

12me Année No. 548

Lundi - 3 - 1 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الرسالة

فى عامها الثانى عشر

فى بصيص من الأمل يلمع فى دياجى الآفاق استهل عامنا الوليد !! وهذا البصيص قد لاح من الشرق أيضاً : لاح فى أفق « العلمين » من صحراء لوبيا ! ولصحارى الشرق أسرار يبوح بها القدر كلما قضى الله أن يخرج العالم من ظلمة إلى نور ! ولِرَب السموات والأرض نظام يدبره على مقتضى أمره . فلا الزلزال ولا الإعصار ، ولا الحديد ولا النار ، ولا الدمار والموَتان ، ولا الجبروت والطغيان ، ولا النازيَّة النازيَة ، ولا الفاشيَّة الفاشِيَة ، تستطيع وإن تظاهرت أن تُعقّب على حكمه ، ولا أن تبدل ما سبق فى علمه .

كان العالم كله فى النصف الأول من العام الذاهب يتيه فى بِيدٍ قواتم الأعماق من مجاهل الأرض ، نجومها رجوم ، وآفاقها غيوم ، ورياحها سموم ، ومسالكها الغوم ، وهواتفها جِنة . وكانت الوحوش النازيَّة تَزأر فى جنباتها السود فتردد زئيرها الرعود ، وتنزل بوعيدها الصواعق . ثم أراد مالك الملك ألا يَشركه فى ملكه أحد ، فبدا فى غياهب « العلمين » ودياجى « ستالنجراد » شعاع من نوره ، فإذا الظلام يشف والطريق يستبين ، وإذا اليأس يتحول رجاء ، والزئير ينقلب عواء ، والمارد الجبار يعود إلى القمقم ،

١ ٠ ٢٢

والتنين الخرافى يرتد مثخناً بالجراح إلى قفصه الهائل ، وقد شرع مخالبه الكثيرة بين قضبانه الطوال الغلاظ ليعوق القدر الهاجم ويؤخر الأجل المحتوم !

* * *

فى هذا الشعاع الإلهى الذى هدى المجوس ليلة ميلاد المسيح ، وضلل المشركين يوم هجرة محمد ، ثم عاد فبيّن للإنسانية نهج الطريق فى مَعامى هذه الحرب ، تستقبل « الرسالة » عامها الثانى عشر ، وهى باعتبارها لساناً من ألسن الإصلاح الإنسانى تجد بهذا التحول الحربى والسياسى رَوْحاً وغبطة : ترتاح لأن تباشير النصر تكاد تنبئ عن سلام رخى يرد الوئام على الناس ويعيد النظام إلى الدنيا ؛ وتغتبط بعقبى هذه الحرب التى لا نعت لها فى لغات الناس إذا استطاعت نارها التى لم تخبُ ساعة فى أربع سنين أن تنفى خَبَثَ الغرائز عن العنصر السماوى فى ابن آدم المسكين . وما أسعد الإنسانية جمعاء إذا عوضها الله من ملايين الأنفس التى أزهقت ، ومن قناطير الذهب التى أنفقت ، ومن آلاف المدن التى أحرقت ، تلك الأمانى العِذابَ التى اشتمل عليها ميثاق الأطلسى ، وعبرت عنها حريات رزفلت !

لقد ظلت هذه المنى دعوة الدين ورسالة الحكمة منذ هبط هذه الأرض آدم ؛ فكانت تُقص كالأحلام ، وتُسمع كالأنغام ، فتهدهد الغرائز العارمة ساعة الشبع والغفوة ، فإذا انتبه الإنسان على وخز الحاجة كشّر عن الناب وشمر عن المخلب ، ثم يفعل ما يفعل كل حيوان من كل جنس . فلما جاءت المدنية لم تزد على أن جعلت للناب غطاء من الذهب الوهاج ، وللظفر غشاء من الصبغ القانى !! فهل آن لعقول الناس أن تفهم عن وحى الله ؛ وللخلائق المكسوبة بالتهذيب أن تتغلب على الغرائز الموروثة بالفطرة ؟ لا نظن ذلك . إنما هى القوة التى تحولت بتأثير الكثرة والثروة إلى تهديد مستمر ؛ وهى الحرب التى تطورت بتسخير العلم والفن إلى فناء عام ! فإذا فكر قادة الإنسانية اليوم أن يحسموا أسباب الحرب فيما بقى من عمر الدنيا ، فذلك لأن الحرب المقبلة معناها انفطار السماء وانفجار الأرض وقيام الساعة . والنزاع الدولى مهما اختلفت دواعيه نزاع على مادة الحياة . فإذا كان يؤدى إلى الفناء المطلق ، وجد فى أصل الفطرة الإنسانية ما يمنعه . والأصل فى طبيعة الحرب أن تُنتج النصر من قوة وضعف .

فإذا تكافأت القوى بطل عملها أو نفات . وكل دولة من الدول التى تمتاز اليوم بكثرة الأرقام فى عدد الأنفس والأموال ومعاهد العلم ودور الصناعة ، تستطيع أن تعبئ الجيوش وتهيئ الأسلحة ، ولكنها لا تستطيع أن تضمن الغلب ؛ فلا مناص إذن من تحالف دولتين أو ثلاث منها لتُبطل التكافؤ وتُثقل الكِفَّة . ولا يدوم هذا التحالف الحتمى بين الدول المختارة لحفظ السلم إلا إذا انقدعت نفوسها عن الطمع والأثرة . لذلك كنا متفائلين بنتائج هذه الحرب إذا دارت دوائرها على المحور ؛ فإن جنوح الأحلاف إلى تحكيم العقل المسالم فى النزاع ، وتوخى العدل الممكن فى القسمة ، وإيثار التبادل الحر فى المعاملة ، هو حلم الأمم الضعيفة بطبعها فى العدد والعُدة .

على أن سلطان العقل والعدل وإن قوى أثره فى نظام العالم المرجوّ لا يضمن وحده سلامة شعب اجتمعت على أهله القلة والذلة والفرقة والجهالة ؛ فإن لهذه الصفات الخسيسة أثرها فى تخفيف الموازين وتخفيض القيم . ولن تستطيع ولو حرصت أن تعدل بين متفاوتين فى العقلية والحرية والمدنية والقوة . ولا يستوى فى طلب الحق أو الدفاع عنه واحد وجماعة . والدول الصغيرة كالآحاد قوتها فى أن تُجمع . ودول البلطيق والبلقان والشرق الأدنى قوى متفرقة ؛ فلو تجمعت المتجاورات منها لكان لها فى الحرب والسلم شأن غير هذا الشأن . وإن العروبة التى فرقتها المطامع ومزقتها الأحداث قد أدركت فضل تعاونها فى حادث لبنان القريب فأخذت تعمل على أن تكون يوم يجتمع الناس للصلح وحدة سياسية فى أى صورة من الصور نرجو أن تنتظم دولها جمعاء من المحيط إلى المحيط

* * *

اللهم رُحماك ورضاك ! هذا خامس شتاء يقضيه عبادك فى زمهرير جهنم ! ونار الطاغين يا أعدل الحاكمين غير نارك ، يصلاها البر والفاجر ! لم يبق فى العالم المحروب صدر من غير بلبلة ، ولا بلد من غير زلزلة ، ولا أمة من غير أزمة ! فاجعل اللهم هذا العام حداً لهذا البلاء الشامل !

ربنا اصرف عنا العقاب إنا بُرَآء ، وخفف عنا المصاب إنا ضعفاء ، واكشف عنا العذاب إنا مؤمنون

احمد حسن الزيات

قصر أنطونيادس

للدكتور زكي مبارك

هو أنطونيادس ، بالذال لا بالدال ، فى النطق اليونانى ، ونحن ننطقه بالدال على أسلوبنا فى المراوحة بين هذين الحرفين ، كما نقول : دا ، فى مكان ذا ، وكما نقول : دى ، فى مكان ذى ، وكما نقول : خد ، فى مكان خذ ... وكان ذلك لأن الدال أخف فى النطق من الذال ، لا يحوجنا إلى بروز اللسان بين الأسنان .

أترك هذه الفائدة اللغوية لأواجه الموضوع فأقول :

كانت أيام الصيف الماضى أيام أعياد لقصر أنطونيادس ، فقد ورد اسمه مرات ومرات فى الجرائد المصرية والسورية والحجازية والعراقية ، إلى آخر ما هنالك من الجرائد التى تصدر باللسان العربى ، ثم ورد اسمه أيضاً مرات ومرات فى الجرائد التى تصدر بالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واليابانية والصينية ، إلى آخر ما هنالك من الألسنة التى يهم أصحابها بالمشكلات الدولية

ونحن نعرف الأسباب التى جعلت لقصر أنطونيادس هذه المنزلة التاريخية ، فقد كان المكان المختار لمشاورات الوحدة العربية ، المشاورات التى اشترك فيها رجال يمثلون العراق والشام والحجاز ... ولو تمهلت الحوادث لاشترك فيها رجال يمثلون لبنان قبل أن ينتهى ذلك الموسم الجميل

وأنتم رأيتم الصُّور التى سجلت بعض المناظر لأولئك المتشاورين ، ففى الجانب المصرى يجلس رفعة النحاس باشا ومعالى الهلالى باشا وسعادة الأستاذ محمد بك صلاح الدين ، وفى الجانب العراقى أو السورى أو الحجازى يجلس من اختارتهم أممهم لتلك المشاورات ، ثم يكونون ضيوف الحكومة المصرية فى قصر أنطونيادس ، إلى أن تنتهى مهمتهم الرسمية

فما هو قصر أنطونيادس الذى شغل الجرائد والمجلات والإذاعات والبرقيات عدداً من الأسابيع فى الصيف الذى سلف ؟

أعترف بأنى ما كنت رأيت ذلك القصر من قبل ، فما كان يهمنى من الأسكندرية غير الشواطى ، ولا كنت أتصور أن فيها مكاناً أبهج من محطة الرمل . عليها تحية الحب !

الصورة التاريخية هى التى دفعتنى إلى رؤية قصر أنطونيادس لأكتب عنه كلمة توضح بعض ملامحه لمن يجهل من أحواله ما كنت أجهل ، وما أكثر ما أجهل من أحوال بلادى !

منطقة شعرية

أخذت العربة طريقها بمحاذاة نادى سبورتنج ، ثم اتجهت شرقاً إلى ناحية خفق لها قلبى ، القلب الذى تذكر أنه زار تلك الناحية فى الليالى البواسم قبل أن تولول أبواق الحرب !

نعم ، هذا كازينو النزهة ، وهدى موسيقا الرقص فى ضحوات الآحاد ، بعد أن امتنع فيه الرقص بالليل

وتلك طيوف الماضى تعاودنى برفق أو بعنف ، فقد كان لى فى ذلك الكازينو ذكريات

متى تعود أيامى ؟ متى تعود ؟

من حق الأيام أن تنتقم منى ، فقد أكرهتها على أن تكون فى مذاقى رحيقاً فى رحيق ، وهى بلؤمها تريد أن تكون غسليناً فى غسلين

وهل استطاعت الحياة أن تنتقم منى ؟

وكيف وهى مثقلة بالديون لقلمى ؟

نحن نبتدع الحياة بأفكارنا وأحلامنا ، لنجد ما نصوره بأقلامنا ، فإن فكرت الحياة فى أن تمن علينا فلتنزجر ولترتدع فليس لها فى أعناقنا جميل ، وإنما نحن أصحاب الجميل

إن الإنسان خليفة الله فى الأرض ، ونحن لا نخترع هذا القول ، فقد جهر به القرآن المجيد ، فما مصير الحياة لو عاشت بلا أبناء ، ونحن وحدنا الأبناء الأصلاء ؟

إن خطيئة أبينا آدم كانت نعمة على هذه الأرض ، فما كان للأرض تاريخ قبل أن يهبط إليها من الفردوس ، وما صنع إلا لأنه مجموعة نفيسة من الآراء والأهواء ، والحقائق والأباطيل بإرادة إلهية خلقتنا خلقاً يا هذه الأرض ، وصيّرتك مؤتمرات سلام وميادين حروب

حديقة الورد

هى حديقة نموذجية تذكرنا بالجوانب الوردية من حديقة لكسمبورج فى باريس ، وقد هجعت الورود بسبب قسوة الشتاء

الآن عرفت ما لم أكن أعرف

عرفت أن البرد يؤذى أهل الرقة واللطف ، وينفع أهل القسوة والعنف

الآن عرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الرقيقة بأنها « نؤوم الضحى » ، ومعنى ذلك أنها لا تستطيع الاستيقاظ فى برد الصباح ، لأنها فى رقة الورد ، والورد لا يستيقظ فى ساعات البرد

هل تذكرون حياة النمل ؟

إن النمال تكون من العمالقة فى الصيف ، ثم تأوى إلى مساكنها المطمورة فى الشتاء

ولا كذلك بنو آدم ، فقوتهم فى الشتاء لا فى الصيف ، ومن هنا جاءت فكرة « عيد الميلاد » ، وهى تعبير عن نزعة إنسانية قبل أن تكون تعبيراً عن نزعة مسيحية ، فما يعرف أحد بالضبط فى أى شهر ولد المسيح ، لأنه ولد قبل أن يلتفت الناس إلى تقييد المواليد

البرد هو الذى نفع روسيا فنصرها على نابليون ، وقد ينصرها على هتلر بعد حين .

وتأخر البرد فى هذه السنة آذى المزارع المصرية بعض الإيذاء ، لأن فى الدفء حياة للديدان ، وحياة للنمال ، وحياة للذباب ، وفى حياة هذه المخلوقات جور على أرزاق الناس

البرد هو الذى يعلمنا كيف نستعد لمقاومة التقلبات الجوية ، وهى تقلبات لا ينتصر عليها غير من يتدثرون بالأثواب والقلوب

وآية « يا أيها المدثر » تدل على أن الرسول تفتح قلبه للوحى فى ليلة شاتية ، وسنجد دليلاً على صحة هذا الافتراض ، إن كان يحتاج إلى دليل

وهل تهجع الأرض فى الشتاء كما يتصور الناس ؟

إن الحرارة تتحول إلى جوف الأرض فتعدها إعداداً صالحاً للانبات والإيراق والإزهار والإثمار ، وسبحان من لو شاء لكشف الحجاب عن حكمته العالية فى مداولة الأيام بين الصيف والشتاء .

وهل تهجع شجيرات الورد كما تصورتها وأنا أجول فى حديقة الورد ؟

إنها تستجم ، ولعلها تدير فى نفسها الصور المنتظرة للربيع المقبل ، كما يستجم الفنان ليدير فى نفسه الصور المنتظرة لربيع الفكر والخيال

لا نوم ولا موت فى هذا الوجود ، لأن الله خلقه لليقظة والخلود .

لو زحزح الحجاب لحظة واحدة لرأينا جميع الموجودات فى اقتتال أو اعتناق ، وإن ظهر للعيون أنها غافيات

لم يرحم الشتاء غير طائفة قليلة من الأزاهير ، فرأينا ما تصنع النحل ، وتذكرنا أن النحل تمنح وهى تنهب ، لأنها تشعر الزهر بمعانى الحنان ، والحنان غذاء الجمال

تدخل النحلة إلى جوف الزهرة فتمتص ما فيها من رحيق ، ثم تنتقل بسرعة إلى زهرة ثانية وثالثة ورابعة ، ولا تكف إلا حين تغلبها النشوة فتميل إلى القرار والاطمئنان

والنحل تترك الخلايا من وقت إلى وقت ، وتسافر فى طلب الرزق ، ثم ترجع بدون أن تضل الطريق ، فسبحان من أوحى إلى تلك الخلائق اللطيفة ما أوحى ، سبحانه سبحانه ، وإن كان غنياً عن الثناء

التمثال

دخلنا الروضة النائمة بسبب البرد ، فراعنا التمثال ، وأى تمثال ؟

ذلك وثن أقيم لفتاة عارية تتلقى شآبيب المطر ، أو أكواب الشمس ، فى لحظة صفاء

تلك فتاة قتلت صباها وهى تخضع لصانعى التماثيل ، وإلا فأين هى اليوم ؟

بعشرين جنيهاً أو بثلاثين سمحت الفتاة المسكينة بالجلوس على تلك الصورة أسابيع وأسابيع ، ليصاغ منها ذلك التمثال

قلت للجنان : افتح صنابير النوافير لأرى كيف تغتسل هذه الشقراء

لقد كادت الفتاة تستيقظ لتتملق بمنق ، فما تحدث عنها شاعر قبل أن ترانى

١ـ أغنية الرياح الأربع

لشاعر اللذة والجمال على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

هكذا أصبح الشاعر المبدع « على محمود طه » أغنية فى فم الجيل الجديد . وهكذا أصبح شعره إحدى أناشيد مصر الحديثة التى نهتف بها فى جنات الجمال ، ونتغناها فى بساتين الحب ، وتغازل بها روح الفن ، وتحفز بموسيقاها همم الشباب ، وتعطر بأريجها أجواء المجتمع ، وتثبت بها شخصيتها فى دنيا الشعر العالمى

انتظروا يا أصدقائى الشعراء !

انتظروا . فوالله إنى لأعرف لكل منكم فضله ، ومسجل إن عشت لكل من بلابلكم يده ، وما بدأت إلا بواحد منكم كنت أنتظر أن يفى بوعده الذى وعد منذ سنوات عشر حتى أنجزه ، وأرجو أن يأخذ فى إنجازه إلى ما يشاء الله

أما كيف أنه وعد وعداً ولم ينجزه إلا بعد سنوات عشر فرجعه إلى وفاة شوقى أمير الشعراء رحمه الله وغفر له ، وذلك أنه كان قد ألقى قصيدة من نظمه فى رثاء الشاعر الخالد ، فى حفلة أقامتها ممثلة الشوقيات الأولى « السيدة فاطمة رشدى » فى يناير سنة ١٩٣٣ ، يقول فيها الأبيات التالية التى علقت بذاكرتى طول هذه السنوات العشر :

أيها المسرح الحزين عزاء قد فقدت الغداة أقوى دعامه
ذهب الشاعر الذى كنت تستو حى وتستلهم الخلود كلامه
واهب الفن قلبه وقواه ومصافيه ودَّه وهيامه
رب ليل بجانبيك شهدنا قصة الدهر روعة وفخامه
أسفر الشعر عن روائعه فيـــها وألقى عن الخفاء لثامه
فأعد عهده ، وأحى ليا ليه ، وجدد على المدى أيامه
(ولك اليوم همة فى شباب ملأوا العصر قوة وكرامه)
نزلوا ساحه يشيدون للمجـــد وشقوا إلى الحياة زحامه
فاذكروا نهضة البيان بأرض أطلعت فى سمائها أعلامه
إنها أمة تغار على الفـــن وترعى عهوده وذمامه
(لم تزل مصر كعبة الشعر فى الــشرق،وفى كفها لواء الزعامه)
إن يوماً يفوتها السبق فيه لهو يوم المعاد ، يوم القيامه !

كنت أردد هذه الأبيات ثم أبحث عن على محمود طه فلا أجده إلا فى قصيدة أو مقطوعة تسفر بها إلينا جريدة أو مجلة ،

كان الماء يتساقط على شفتيها ، وكأنها عروس فى ليلة حمراء

أين النموذج ؟ أين؟ إنه فتاة ذهبت إلى غير معاد ، فما يعمر مثل هذا الجمال ، وهل تطول أعمار الورود ؟

ركمت هنالك طفلة ظريفة ، وهى تقول فى بغام يشبه الحنين :

La statue falt comme ça

فما عرفت أى الروحين أرق وألطف ، الروح الناطق ، أم الروح الصامت !

النموذج مات ، بدليل أنه سكت عن مطالبة البلدية بحقوقه فى روضة الورد ، ولأن زيارته ميسورة بنصف قرش ، وما أهون الجمال الذى يزار بأنصاف القروش !

أين أنا مما أريد ؟

كان الغرض أن أصف قصر أنطونيادس ، فشرقت وغربت ، وأتهمت وأنجدت ، ولم أقل شيئاً عن القصر ذى الشرفات والروضات ، القصر الذى سمع نجوى القلوب الصوادق بأمانى الأمم العربية ، حقق الله تلك الأمانى

وهل كان يجوز أن أتحدث عن ذلك القصر قبل أن أصف ما يحيط به من رياض هي ملاعب أهواء ، ومراتع ظباء ؟

كل شيء ينبض بالحياة فى تلك المنطقة الشعرية ، وإليها تهفو الأرواح فى ضحويات الشتاء ، وعصريات الربيع ، ولا ينافسها إلا رمال الشواطيء حين يقبل الصيف !

ما هو قصر أنطونيادس ؟ إن له عندى شجوناً من الحديث ، وموعدنا المقال المقبل ، والله هو الموفق

زكى مبارك

حتى لقيته فى المقتطف ذلك اللقاء الكريم الفاجىء ، فى منظومته الطويلة « الله والشاعر » ... فقلت : نفحة أرجو أن تتلوها نفحات ... وكان علي محمود طه فى هذه المنظومة الرائعة عاصفة مكبوتة تريد أن تنطلق ... أو تريد أن تجتاح الأرض والسموات

ما أثمت روحى ولا أجرمت ولا طغى جسمى ولا استهترا
عناصر الروح بما ألهمت أوحت إلى الجسم فما قصرا ؟

فلما أتيت على آخر المنظومة

فابتهلى لله ، واستغفرى وكفرى عنك بنار الألم
وقدمى التوبة ، واستمطرى بين يديه عبرات الندم

رثيت له وأعذرته

ثم ملأ أيدينا الممدودة « بالملاح التائه » فبادرت إلى « الله والشاعر » أستعيدها ، وأستغفر الله لهذا البلبل الشادى . ثم ذكرت رثاءه لشوقى فطويت الصفحات إليه ، ووقفت عند هذا البيت :

أيها المسرح الحزين عزاء قد فقدت الغداة أقوى دعامه

فطويت الملاح التائه ، وجلست مسترخى الأعصاب شارد اللب ، لا أفكر إلا فى مسرحنا هذا الحزين ، وأدبنا ذاك الشاحب ؛ فلما عدت إلى نفسى ، أو عادت إلى نفسى ، أخذت أقرأ حتى استوقفنى هذا البيت :

ولك اليوم همة فى شباب ملأوا العصر قوة وهمامه

فوجدتنى أردد بيت شوقى .

شباب قنع[1] ......

رددته مرتين ثم أمسكت ، فلما قرأت هذا البيت :

لم تزل مصر كعبة الشعر فى الشرق ، وفى كفها لواء الزعامه

ذكرت وفود الشرق التى بايعت شوقي فى بيت[2] حافظ ، فطويت الملاح التائه وانصرفت عنه زمناً طويلاً . . . ووالله ما انصرفت عنه قالياً أو سالياً ، لكننى ذكرت ما وعدنا به علي محمود طه ولما ينجزه ... فتجدد حزنى على شوقى ...

ومضت سنون سبع ، وطلع علينا شاعر اللذة والجمال بليالى ملاحه التائه ، وبه تلك المجموعة الشائقة من روائعه التى قرأناها كلها فى الصحف ، ثم ذكرت وعده الذى وعد ، وأنه لم يف لكعبة الشعر فى الشرق بشىء من هذا الوعد ، فرحت أردد الذى رددته من قبل من شعر علي محمود طه :

أيها المسرح الحزين عزاء قد فقدت الغداة أقوى دعامه !

ثم طلع علينا الملاح التائه « بأرواحه الشاردة » ، فقلت : لا بأس ... روح الشاعر تعانق أشباح أشباهه ! ومن يدرى ؟ لعله لا يزال يستعد ...

ثم فاجأنا « بأرواح وأشباح » فلما قرأتها فغمنى فيها أريج من دانتى ... إنها رحلة الشاعر إلى السماء ، حملته إليها ربة الشعر :

إلى قمة الزمن الغابر سمت ربة الشعر بالشاعر
يشق الأثير صدى عابرا ورَوحاً مجنحة الخاطر
مضت حرة من وثاق الزمان ومن قبضة الجسد الآسر
وأوفت على عالم لم يكن غريباً على أمسها الدابر

فلما فرغت منها ، وأفقت من حلمها اللذيذ ، سمعت رجع أصدائها تملأ أذنى من منظومته القديمة « الله والشاعر » ، فعدت أستغفر له الله . . . وأشبهه بالدهر الذى يقول فيه أبو العلاء :

يا دهر يا منجز إبعاده ومخلف المأمول من وعده !

لولا هذا الجمال الذى عوضنا به مؤقتاً ، والذى أودعه أشباحه وأرواحه

ثم حيانا علي محمود طه بزهر وخمر ، وكنا ننتظر البشرى الثمينة التى كان قد زفها إلينا صديق عزيز ، ثم ملأ أيدينا بالبشرى نفسها ... لقد أنجز علي محمود طه ماوعد ... لقد أصدر أغنية الرياح الأربع ! ولقد أصدرها باقة يانعة من السحر والشعر والجمال والخيال

***

حانة جميلة على شاطىء فينيقية الساحر فى ثغر بيلوس[1]

(١) مكان جميل من أعمال لبنان

(١) شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا !
(٢) أمير القوافى قد أتيت مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

حيث وجدت إيزيس جثمان أخيها وزوجها أوزيريس ، فى ميثولوجيا المصريين القدماء ، يملكها ويديرها خمّار يونانى يدعى أرسطفان ، لا يهمه من الحياة إلا حطامها الفانى ... وله زوجة رائعة الجمال لا يهمها من الدنيا إلا أن تملك منها جلباباً أو تزهى فيها بحلية . وقفت تساعد زوجها فى تنظيف الحانة وتنظيمها ، ووقف زوجها يداعبها ويلاعبها . وراحت هى تدل عليه وتتيه ، وتستنجزه ما وعدها من جميل النعم ، فإذا مد يده يداعب خدها الناضج أو فمها المفتر ، اقتحم الحانة شاعر مصرى جوّاب آفاق يدعى باتوزيس ، يحمل على كتفه كل ما يملك من عرض دنياه ... قيثاره و ... قلبه و ... أمانيه ... تلك الأمانى التى لا تزيد على كأس يشعشع بها أحلامه ، أو أغنية يسكن بترديدها آلامه ، أو قَـيْـنة يريق تحت قدميها أنغامه ؛ وما أرخص هذه الأمانى فى حانة أرسطفان هـذا البيلوسى !

ويرى باتوزيس زوجة الخمار ، فيعتمد القيثار ويتغنى أعذب الأشعار ؛ إلا أن أرسطفان يضيق به وبأشعاره ، حتى إذا قال باتوزيس

لو كنت فى طيبة يوماً متى رأيت باتوزيس فى المجلس يسقيك من خمرة كهّانها مصرية عذراء لم تُمس

انتفضت زوجة الخمارة الحسناء لذكر طيبة ، ولذكر مصر ، وتسائل الشاعر عن ملاعب صباها فى وادى النيل ، فيجيبها ودموعه تترقرق فى عينيه شوقاً إلى مراتع حبه وجنة قلبه

أى صدى هزّنى وأى حلم عجاب
هل لى إلى موطنى يا ربّتى من إياب ؟
يا ربتى رددى هذا النداء الجميل
اليوم أم فى غدٍ أرى ضفاف النيل ؟

وتقدم الزوجة الحسناء بيدها البضة وأناملها الفضة كأساً من الخمر إلى باتوزيس ، ويأخذ الخمار وزوجه والشاعر المصرى فى حديث طلى طويل عن مصر ، تقطعه ضجة يسمعونها من بعد ، وهى تقترب ، فيخبرهم باتوزيس أن اليوم عيد البحار ، وأن البحارة المقبلين نشاوى قدموا ليحتفلوا بعيدهم

ربابنـة السـفن المـواخر أقبـلوا
يحيّـون عيـد المـاء عيد السفائن
يلوحون من أقصى الطريق بموكب
تصايح فيه كل نشوان ماجن
ألا حبذا عيـد البحار وحبـذا
شرابىَ فيه أو شجىُّ ملاحنى !

ويخشى أرسطفان على زوجته من هؤلاء السكارى العزابيد :

حبيبتى أخشى عليك سكرهم فى حانتى فاجتنبيهم واذهبى

فتسأل زوجها :

مم تخاف ؟ فتنة ؟ أم غَـيْرةً ؟
تظن بى سوءاً ؟ أما وثقت بى !

فيضحك أرسطفان ، ويخبرها أن هؤلاء البحارة إنما يغشون الشواطىء لخطف الحسان

إنى أخاف عليك وسوسة الطلى
فى كأس عربيد الصبا نشوان
أرمى سـفينته هنـاك كأنها
مقصورة العشاق فى بستان
إن يَدْعُ زائرة له فسبيلهـا
سـوق الرقيـق وعالم النسـيان

(للكلام بقية)

دريني خشبة

كتب وشخصيات

٢ — ابرهيم الثاني ... للمازني

للأستاذ سيد قطب

خصائص المازني وفنه

أخيراً يهتدي المازني إلى نفسه ويمضي على نهجه ، ويستغل أفضل مزاياه .

و « أخيراً » هذه تعني سنة ١٩٢٩ يوم أخرج المازني كتابه « صندوق الدنيا » ، وإن كان قد نشره متفرقاً من قبل في صورة مقالات .

وإذا علمنا أن المازني بدأ ينشر سنة ١٩١٠ أو حواليها ، فإننا نسأل : وفيم إذن أنفق أكثر من خمسة عشر عاماً قبل أن يتجه اتجاهه الأصيل ؟

والجواب أنه أنفقها أولاً في التمهيد والتحضير لدوره الأخير ، وأنفقها ثانياً في التهيئة العامة للأذهان والأذواق ، متابعاً في هذا وذلك زميله العقاد ، مع بعد ما بين الرجلين في الطبيعة والاتجاه .

والواقع أنني لم أعجب لشيء عجبي لاقتران هذين الاسمين في الأذهان فترة طويلة من الزمان ، وهما يكادان يتقابلان تمام التقابل في الطبيعة الفنية والإحساس بالحياة

فالعقاد موكل بالفكرة العامة والقاعدة الشاملة ، والمازني موكل بالمثال المفرد والحادثة الخاصة ؛ وبينما يضع العقاد يده مباشرة على مفتاح القضية أو الفكرة يمضي المازني في استعراض أجزائها ودقائقها مستلذاً هذا الاستعراض مشغولاً به عن كل ما عداه . وفي العقاد ثورة وزراية وسخط على النقائص والعيوب الكونية والاجتماعية والنفسية (وإن أدركه العطف على الضعف البشري) ، ومع ثقته وتفاؤله بالحياة ، وفي المازني قلة مبالاة وسخرية واستخفاف ، وشيء من التشاؤم يبطنه بالفكاهة والشيطنة .

ومن هنا احتفال العقاد واهتمامه وجده فيما يأخذ وما يدع من الأمور حتى في فكاهته وسخريته ؛ واستخفاف المازني وسهولة أخذه للمسائل والأشياء ، وإن لم تنقصه الفطنة لما فيها من متناقضات

ومن الأمثلة الحاسمة التي يهيئها الاتفاق فتصور الفارق الأصيل بين اتجاهي التفكير وطريقتي النظر والتعبير ، إجابتا المازني والعقاد على سؤال في مجلة ، كان عنوانه : « هل أخلاقنا في تقدم » ؟

فأما العقاد فقد سارع بوضع القاعدة ونصب الميزان ، وهو يقول :

« نعم الأخلاق المصرية في تقدم ، أو أن الرجاء في تقدمها أقرب من اليأس ، وربما منعنا أن نرى دلائل التقدم أن الرجة عنيفة ، وأن الغبار كثير حول الأقدام وفوق الرءوس . فإذا انجلى غداً عرفنا ما خطوناه ، وما لا يزال أمامنا أن نخطوه

« ومن الواجب أن نعرف مقياس التقدم قبل أن نقيس ونضبط القياس فمقياس التقدم عندي هو احتمال المسئولية لأنه الفارق بين كل متقدم وكل متأخر بلا استثناء

« ... وإذا كانت المسئولية مقياس التقدم الأوحد ، فالحرية إذن هي شرط التقدم الذي لا غنى عنه بحال من الأحوال ، لأنك لا تفرض المسئولية على إنسان مكتوف اليدين ، ولا بد من حرية حتى تكون مسئولية ، ولا بد من مسئولية حتى يكون تقدم في الحاضر أو المستقبل

« هذه الفوضى التي نراها في أخلاقنا هي مظاهر الحرية الأولى ، أو هي أول مفاجأة من مفاجآتها ... الخ

وقد تخالف العقاد أو توافقه ، ولكنك مضطر أن تنظر أولاً في « مقياس التقدم » أو في « مفتاح الفكرة » الذي يلخص الرأي ويبلور التفصيلات

وأما المازني فراح يستعرض المظاهر الخلقية ويحكم عليها واحداً بعد الآخر حسبما رآه . فقال :

« كيف تصلح أخلاق أمة والبيت فاسد والتفاوت بين الرجل والمرأة شديد ، والتربية سيئة ، والمدرسة عقيمة النهج ، والقدوة العامة على أسوأ ما يمكن أن تكون ، ولا تقدير

للتبعات والمسئوليات ، ولا احترام للحقوق ، ولا اعتراف بوجود حدود ، ولا ثقة بإنصاف ... » الخ

ويلاحظ أن المازنى ذكر « تقدير التبعات والمسئوليات » التى ذكرها العقاد ولكن هذا جاء هنا عرضاً ومظهراً ، بينما جاء هناك قاعدة وأصلاً

وعلى هذه الوتيرة تسير طبيعة العقاد وطبيعة المازنى فى عملهما الفنى بل فى حياتهما كذلك . والفرق كما ترى بين الطبيعتين بعيد

وبينما كان العقاد يسير على نهجه الأصيل منذ نشأته فى النقد الأدبى والدراسات الفلسفية والعلمية ، وفى دراسة الشخصيات والسير ؛ ويتهيأ للمكانة الملحوظة التى بلغها فيما بعد فى دراسة التراجم والمذاهب الفنية ، ويقطع مراحل التحضير إلى مرحلة النضوج الأخيرة على بصيرة واستواء . كان المازنى يتنكب عن نهجه ويسير فى غير طريقه وهو يتناول هذه الموضوعات التى يتناولها العقاد يومذاك ، إلى أن اهتدى إلى أفضل مزاياه فى عام ١٩٢٩ وقبله بقليل . وكان ذلك لخير الأدب بلا جدال

وقد أخرج المازنى — وهو فى التيه — كتاب حصاد الهشيم وكتاب قبض الريح ، والقارئ يعجب لتشابه الموضوعات فى هذين الكتابين مع موضوعات كتابى الفصول والمطالعات للعقاد ولتشابه الاتجاه فى الرأى كذلك ، وإن بقى الفارق الكبير بين الطبيعتين والطاقتين حتى فى هذا الطور المختلط ، الذى لم يكن المازنى فيه يفطن إلى حقيقة مزاياه ؟

ولا نحب أن نظلم المازنى فنغفل عن عوامل الزمن والبيئة التى كانت تحتم عليه هذا الاتجاه فى ذلك الزمان . فأغلب الظن أن الحالة الفكرية وفهم الأدب وتقدير الفنون فى هذا الوقت لم تكن تسمح بظهور أديب يكتب على نهج المازنى الأخير الذى بدأه بصندوق الدنيا سنة ١٩٢٩ أو قبلها بقليل

وحسبنا لمعرفة هذه الحالة ولتقدير الجهد الذى بذله المازنى بجوار العقاد فى تصحيح مقاييس الأدب والفنون عامة ، أن نعلم شيئاً عن المشكلات التى كانا يعانيان شرحها وهى اليوم فى حياتنا الأدبية من البديهيات . فمسائل مثل : وحدة الشعر هى القصيدة لا البيت ؛ اللغة وأساليبها تتطور بتطور الزمان ؛ التصوير « الفتوغرافى » فى الفنون لا يعد عملاً فنياً ... إلى آخر هذه البديهيات ، كانت فى ذلك الحين من أعوص المشكلات !

ولقد قرأت بعطف كبير قول المازنى فى « حصاد الهشيم »

« ما مصير كل هذا الذى سودت به الورق وشغلت به المطابع وصدعت به القراء ؛ إنه كله سيفنى ويطوى بلا مراء . فقد قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تمهيد وأن يشتغل أبناؤه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وبتسوية الأرض لمن يأتون من بعدهم . ومن الذى يذكر العمال الذين سووا الأرض ومهدوها ورصفوها ؟ من الذى يعنى بالبحث عن أسماء هؤلاء المجاهيد الذين أدموا أيديهم فى هذه الجلاميد ؟

« وبعد أن تمهد الأرض وينتظم الطريق ، يأتى نفر من بعدنا ويسيرون إلى آخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة ، والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد !

« فلنودع الخلود إذن ، ولنسأل : كم شبراً مهدنا الطريق ؟ »

أدركنى عطف كبير وأنا أقرأ هذه السطور ، وأراجع جهد المازنى وجهد العقاد فى التمهيد نحو ربع قرن من الزمان ، ووددت لو كان المازنى بجانبى حينئذ ، لأقول له :

« لا يا مازنى ! إن نصيبك ونصيب زميلك الكبير أكبر جداً من مجرد التمهيد ، فلقد بنيت بعد ذلك — على طريقتك — بنايات جميلة نابضة بالحياة فى « ابرهيم الكاتب ، وابرهيم الثانى ، وفى صندوق الدنيا ، وفى الطريق . كما أقام هو — على طريقته — بنايات سامقة معمورة الأركان . وفى التراجم الأخيرة على الخصوص » !

***

اهتدى المازنى إذن إلى خصائصه وسار أخيراً على نهجه . فما هذا النهج وما تلك الخصائص بالتفصيل بعد ما تقدم من الإجمال ؟

والمازنى فكاهة ودعابة وسخرية . وقد يفهم بعض الذين تصدوا للنقد بلا عدة وافية أنها غاية خصائصه ومزاياه . وهى منها ولها قيمتها فى تلوين أدبه بلونه الخاص ؛ ولكنى لا أراها فى

فى مجموعها خير ما فى المازنى الفنان . فكثيراً ما تقوم دعابات المازنى على نوع من سوء التفاهم المتعمد والمفارقات الكثيرة فى الحركات الذهنية التى تقابل مفارقات الحركات الحسية فى بعض أدوار « لوريل وهاردى » المشهورة ، ولو عدل هذا « التوليف » الخاص لفقدت كل مزيتها ، وليس هذا من الدعابة العميقة الأصيلة . ولا يمنع هذا أن يصل بعضها إلى القمة حين يلاحظ المفارقات الإنسانية والنفسية ويندس العبث بالحركات الذهنية والمغالطات اللفظية ، وأبرز ما يكون ذلك حين يضبط نفسه أو نفس سواه ؛ وهى تغالط نفسها لتهرب من مواجهة موقف أو تتوارى من الكشف فى وضح النهار ، أو تدعى فضلاً ليس لها وتنكر سيئة عملتها . وللمازنى فى هذا نماذج قليلة نسبياً ، ولكنها من أمتع وأقوى ما تحويه الآداب .

أما مزية المازنى الكبرى فهى طريقة إحساسه بالحياة .

إذا كان بعض العيون يأخذ الحياة جملة ، فعين المازنى تأخذ الحياة بالتفصيل ، وهى عين مفتوحة واعية فاحصة ، لا تفوتها حركة ولا يند عنها لون ؛ وهي تستعرض الحياة والمناظر والنفوس والأشياء ، ولا تشبع من النظر ومن التقاط هذه الدقائق فى يقظة وانفعال .

وليس كل كائن فى الحياة موجوداً بالقياس إلى النفس الإنسانية ؛ إنما تملك النفس ما تفطن له وما تنفعل به . واللحظة القصيرة تطول وتضخم إذا هى امتلأت بالأحاسيس وأفعمت بالانفعالات ، والتقطت العين والنفس كل أو معظم ما تنطوى عليه من الدقائق والتفصيلات .

وكذلك يصنع المازنى باللحظات ، وكذلك يملؤها حتى يكظها ويزحمها بالانفعالات . وقد لا يبلغ أغوار الحياة ولا قلالها ؛ ولكنه يذرعها طولاً وعرضاً ، ويلحظ كل دقيق لا تأخذه العيون ، فإذا هو فى حفل من الصور والحركات والتصورات ، وإذا هو بعيد إليك هذه الصور المتحركة فى حرارة فائرة كأنها حية حاضرة .

تلك مزية المازنى التى لا نظير له فيها فى اللغة العربية كلها ، إلا ما قد يقع لابن الرومى فى بعض قصائده مع الفارق بين قيود النظم وضروراته ، وانطلاق النثر وحريته .

* * *

وبعد فما قيمة « إبراهيم الثانى » التى كنا ننوى الحديث عنها ، فأعدانا المازنى فى هذا الاستطراد !

هى قصة قلب إنسانى يضطرب فى عواطفه اضطراباً طبيعياً حياً صادقاً تجاه ثلاث من النساء ، كل منهن نموذج من المرأة يلتقى مع الأخريات فى الجنس ويفترق فى الطراز . وكل منهن امرأة طبيعية فى هذا الاتجاه

وهو قلب إنسانى حافل بالتجارب مثقل بالقيود ــ وفى أولها قيد المعرفة الثقيل ــ ولكنه فائض بالحيوية ، زاخر بالعواطف ، يضطرب بين الأثقال ويتفلت من هذه القيود . والمؤلف الواعى يسجل كل حقيقة وكل اختلاجة فى دقة كاملة ويبطن ذلك كله بالدعابة الساخرة التى لا تنجو منها شخصية من شخصيات القصة جميعاً !

وهى من حيث كونها قصة تقف فى أواسط الصف ؛ ولكن من حيث مزية المازنى التى أسلفت الحديث عنها تقف فى أول الصف بلا جدال

والذى أريد أن أقوله : إن « الحدوتة » فى ذاتها قد لا تكون خير ما فى القصة ، ولكن الفطنة للمواقف والمشاعر ، والدقة فى رسم اللحظات والانفعالات ، والانسياب الطبيعى الذى يشعرك أن الحياة تجرى فى الورق كما تجرى فى الواقع اليومى ... كل هذه مزايا ذات شأن فى تقويم القصة وتقديرها وكلها تتفق « لإبرهيم الثانى » أحسن اتفاق . فالحركة والملاحظة والوعى لأدق الخلجات وأخفى التصورات ، وخلع الحياة الفنية على الفتات التى لا يعنى به الكثيرون ، يشيع الحيوية واللذة والانفعال .

ويصعب فى مثل هذه الأعمال الأدبية ــ الاجتزاء بالمثال ، فليقرأها من يريد التطبيق على هذا المقال !

ولا بد من الاعتذار فى النهاية عن هذا البيان المقتضب السريع المحدود بهذا المجال .

(حلوان) سيد قطب

حرية أحرار... وحرية عبيد

[إلى الانسان الحر عباس محمود العقاد]

للأستاذ نظمي لوقا جرجس

هل رأيت حماراً سعى يوماً إلى غير طعام أو شراب أو ضراب ؟

لا أظن !

فما لغير هذا « تسوقه » طبيعته وضرورات حياته ! وهو لا حياة له وراء هذه الضرورات ، ولا مذهب له غير أن تقضى من أقرب سبيل وعلى أيسر وجه

هكذا جميع الحمير من جميع الأجناس . . . ذوات الأربع منها وغير الأربع على السواء !...

يمضه الجوع ، أو ينخسه فى الحين بعد الحين ... ولكنه مركوب للجوع فى جميع الأحيان ؛ فهو حين ينقصه الطعام مشغول بالبحث عنه ، وهو مشغول وقت حضوره بالإقبال عليه بالقلب والسمع والبصر . ولا شغل بعد هذا ولا انشغال ، إلا أن يكون انتظار فراغ جديد يملؤه فى غير فتور ولا ملال . فهو جائع حين تخلو معدته من الطعام فتطالبه به ، وهو جائع كذلك والطعام ملء معدته وبين يديه . إنه جائع على الدوام ، ولا ذنب له فى قلة الخلاء أو ضيق الأمعاء ! هذا مخلوقٌ ، الجوع محور حياته وفلكها الذى فيه تدور !

وغير جائع — وإن جاع حياته كلها ! — من تتلوى أحشاؤه ، لأنها لم تحظ منذ أيام بما يقيم الأود ، لأنه إذا حضر الطعام وسكتت المعدة كانت له فى الحياة أشواط ليست كلها قضاء ضرورات ولبانات ، وإن كانت كلها إرضاء نفس تطلب الكمال فى تحقيق ذاتها ، باعتبارها معنى قائماً بذاته فى الحياة ، ونغمة مستقلة فى الوجود

فالنفس الحية بمعنى الكلمة هى التى لها معنى خاص لوجودها . وهى التى تحس فى أعماقها دوافع ذاتية مستقلة عن دوافع الحياة الخارجية وموانعها

الحجر بغير « حركة » ذاتية ... لأنه لا يتحرك بذاته وإنما يحركه غيره

والحيوان « حركة » ذاتية ... لأنه يتحرك بذاته وليس بحاجة إلى غيره كى يتحرك

والحمار بغير « دوافع » ذاتية ... لأنه لا يريد وإنما تريد له خلقته الشائعة بينه وبين أفراد نوعه

والشخص ذو دوافع ذاتية ، لأنه يريد بوجه خاص بخلاف الطبيعة الشائعة بين جميع الأفراد

ودوافع الحياة الشائعة أن تطلب منك القوت واللذة وما فى حكمها مما يطلب من جميع النظراء فى النوع . وهذه هى كل الدوافع التى تحرك الحمار ، فإذا فرغت أو كفيت لم يخرج مع هذا عن تكرارها والانحصار فيها ، لأنها هى وحدها الموجودة بالنسبة إليه

فالحمار ليس بذى وجود شخصى أو « عالم نفسى » مستقل بدوافعه الذاتية بعيد عن ضرورات الحياة الشائعة فى النوع

ولكنه — وكل حيوان بغير تخصيص — مجرد مدفوع بدفعات الحياة ودوافعها . وليس بذى دفعة فى الحياة إلى جانب ذلك الاندفاع . فهو نسخة شائعة أو رقم فى نوع ...

أما النفس التى لها وجودها الخاص ، فهى النفس التى لها مطالبها وغاياتها التى تتميز بها عن بقية أفراد جنسها الذين يطابقونها فى تلقى دفعات الحياة الشائعة ، ولكنهم لا يطابقونها فى دفعات حياتها الخاصة ... التى هى عالمها النفسى الخالص لها بغير شريك ...

تلك النفس ليست نفس جائع أو معدة مبطان ، لأن الجوع ليس كل ما لديها من علامات الحياة ... ويستوى بعد هذا أن يجهل الجوع صاحب تلك النفس ، وإن يعوزه الطعام طيلة أيامه . والحمار بعد جائع أو صاحب جوع ، ولو لم يغب عن فمه المذود طرفة عين !

ولكن هذا وذاك قد يتشابهان فى السمت أو فى الاسم ، وقد تضمهما — بغير تفريق — رتبة واحدة فى مملكة الحيوان !

***

أفترى حياة المعدة وحياة النفس بعد هذا سواء ؟

أفترى الاسم الواحد يحمل معنى واحداً عند هذه وتلك ؟

أفترى الحرية واحدة بعد هذا ، لا فى معسكرين متقابلين ،

بل عنـد أصحاب الفريق الواحد ، لأن الفارق فارق الطبائع لا فارق الأوضاع ؟

إن اللقمة الواحدة يأكلها اثنان على مائدة واحدة ، ولكنها عند هذا غيرها عند صاحبه ...

فهي في هذا الجانب من المائدة أصل السعي وغاية الطلاب . وهي في الجانب الآخر منها عارض يجب رفعه من الطريق الى ليس هو من غايتها في كثير ولا قليل ...

وحساب اللقمة بعد كحساب كل شيء يشترك في مظاهره اثنان في هذه الحياة . لأن الحياة نفسها بمعناها الأصيل مختلفة كل الاختلاف خلف تشابه المظاهر والسمات

فهل الحرية بعد هذا يمكن أن تكون واحدة خلف وحدة اللفظ على لسان هذا وذاك ؟

كلا !

فكما أن هناك جوعة عارض وجوعة مبطان ، فكذلك هناك حرية أحرار وحرية عبيد !

أما الأحرار ، فالحرية لديهم هي عين حياتهم النفسية : تفيض نفسهم بالدوافع الذاتية ، فإذا بالحياة من خارج تنازعها الميدان ، ولا تتركها طليقة تأخذ مداها كما تريد . فتحس النفس — لأنها حرة أصلاً وبطبعها وحكم وجودها الشخصي — أنه محال بينها وبين الاستمتاع بحريتها . فتطلب لذلك الحرية كمال موجود طبيعي ، لا قضاء مطلب مطلوب من الخارج طلب فرض واضطرار !

أما العبيد فالحرية عندهم أن يطلبوا الطعام — حاشا ! بل أن تطلبهم معداتهم بالطعام — فلا يحال بينهم وبين الطعام . وهم — إلى هذا — تطالبهم غريزة (هي معدة من نوع آخر لا أكثر ولا أقل) أن ينفلتوا من القيد انفلات البهيم يأنف العقال إذا نسي الشبع وأحس البطر . أو حين يعضه الجوع فيدفعه إلى السعي وراء القوت

آية الحرية عند الحر ألا يرغم على ما لا يريد ، وأن تترك إرادة حياته الفردية أو النفسية بغير حد يقيد مداها . ويحول دون كمال وجودها ، سواء أكان ذلك من صنع المخلوقات أو كان من طبيعة الخلقة الشائهة .

فهو يرفض كل إرادة على الإطلاق ، لأن له إرادته الخاصة التي يسعى لتحقيقها بغير قيد

وآية الحرية عند العبد ألا يرغم على ما لا تريده له طبيعة خلقته الشائهة بين أفراد نوعه . .

إنه بغير إرادة خاصة — إذ هو بغير عالم نفسي — فهو لهذا لا يهمه أن تكون لأحد إرادة ، وبالتالي أن تسيطر عليه إرادة أحد ...

ولكنه يحس إرادة الحياة الشائهة وهو كله لها ... فيكره لهذا أن يشارك تلك الإرادة مريد

الحر صاحب نفسه ، والعبد ملك خلقته

وكل يذود بعد هذا عن مِلكه : فالنفس تأبى الشريك في إرادتها وعالمها ... والخلقة الشائهة تأبى الشريك في مملوكها المسخر ... وهو يكره أن يتقاسمه سيدان ، فيكافح الدخيل ليخلص للأصيل ...

والكفاح هنا وهناك يقال إنه في سبيل الحرية !

فمن ينكر كل إرادة ، لأن عالمه لا يتسع لغير حياته الخاصة وإرادتها ، فهو طالب حرية

ومن ينكر كل إرادة — لا لأنه صاحب إرادة خاصة تريد أن تأخذ مداها من السلطان ، بل لأنه بغير إرادة على الإطلاق غفل في الحياة مسخر لها ، لأن إرادتها وحدها كافية لديه ومعقولة — فهو كذلك طالب حرية ...

أهذا كلام أيها الناس ؟ بلى محض كلام ! فما كل حرية بحرية أحرار

وليس المعول على طلب الحرية ، ولكن المعول على الحرية نفسها وكيف تكون ...

ولنا إلى مقوماتها رجعة بعد هذا أو رجعات

(أسوان) نظمي لوقا جرجس

روسيا والثقافة الإسلامية

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

كبر على الأستاذ راشد رستم أن يقول الأستاذ إختاتى كراشوفسكى أحد علماء روسيا المستعربين : «[1] ولا يزال بعض سكان داغستان يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها فى التخاطب والكتابة حتى فى نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة » فقال فى مقال له : «والواقع أن للغة العربية مكانة بين هذه الشعوب لأنها لغة الدين ولغة القرآن غير أن الذين يدرسونها هم العلماء والمتفقهون الخ »

وأرجو أن يسمح لى الأستاذ راشد رستم أن أوجه نظره إلى أن الأستاذ إختاتى كراشوفسكى ليس أول من قال : إن بعض الداغستانيين يتكلمون العربية ويستعملونها فى التخاطب والكتابة ونظم الشعر على وفق الأوزان العربية

فقد قال ذلك من قبله سعادة رشاد بك رئيس محكمة مصر سابقاً فى كتابه « سياحة فى روسيا » إذ يقول : « ولغاتهم (يعنى القوقازيين) أكثرها لا تقرأ ولا تكتب ماعدا الداغستان فإن لغتهم لها قراءة وكتابة خاصة بها ، وحروفها هى نفس حروف الهجاء العربية . ولكن من ضمن هذه الحروف حرفا لام وكاف تحت كل واحد منهما ثلاث نقط . وهذه اللغة لا تشبه أية لغة من اللغات الشرقية ولا غيرها بل هى لغة قائمة بذاتها وفيها كلمات عربية كثيرة . وفى العهد الأخير أسسوا مطابع عديدة فى « تيمور خان شورا » مركز ولاية الداغستان تطبع فيها كتب ومجلات باللغة العربية الفصحى ، وباللغة الداغستانية ... وكل معاملاتهم وصكوكهم تكتب باللغة العربية ، وعلماؤهم وأئمتهم يعرفون هذه اللغة قراءة وكتابة لأنها لغة دينهم . وزيادة على ذلك فإن الداغستان يقرأون ويكتبون بالعربى ويتكلمون » .

وليس هذا فقط فقد قال الأمير شكيب أرسلان فى حاضر العالم الإسلامى (ج ١ ص ٧٩ — ٨٣) من الطبعة الأولى :

« ... وبلاد الداغستان متعددة اللغات ... ولكن لسان العلم فى جبال الداغستان هو اللسان العربى ، وهو اللسان الذى يتكاتب به أعيان تلك الأمة . وقد صادفت سنة ١٩١٩ الوفد الداغستانى الجركسى فى « برن » قاعدة سويسرة ، ولزمتهم مكاتبات إلى رؤساء بلادهم فكلفنى حيدر بك بامات بتحريرها لهم بالعربية الفصحى ، وكثير من علماء الداغستان معدودون من علماء العربية .

وجاء فى الطبعة الثانية من الكتاب المذكور (ج٣ص٣٦٨) :

« أما الداغستان ، فهى قسمان : داغستان لزكى والثانى داغستان التركي . فاللزكيون يتكلمون ويكتبون بالعربية ، ومحاكهم لسانها العربى »

ولعلى إلى هنا استطعت أن أثبت للقارىء الكريم أن اللغة العربية لغة العلم والثقافة العامة فى الداغستان وليست خاصة بالعلماء والمتفقهين فقط كما يقول الأستاذ راشد رستم

ولكن بقى أن نقول فى أى عصر من عصور التاريخ انتشرت اللغة العربية فى تلك الربوع ؟.. وما الذى جاء بها من وراء الحدود حتى أصعدها الجبال وأنزلها الوهاد فى الداغستان ؟

وفى هذا يقول الأستاذ راشد رستم : « ويرجع الفضل فى انتشار اللغة العربية فى القوقاز وخاصة فى بلاد الداغستان واللزكى والشاشن إلى إحدى الطرق الصوفية المعروفة باسم المريد »

وأبادر فأقول : إنه ليس فى الداغستان ، ولا فى أى بلد من بلاد الله طريقة صوفية معروفة باسم « المريد » ، وإنما المريد كلمة عربية فصيحة واضحة المعنى جلية المبنى اسم فاعل من أراد يريد ؛ وتطلق كلمة المريد فى عرف الصوفية على كل سالك طريق من طرق الصوفية . وأما الطريقة التى يشير إليها الأستاذ وكانت موجودة فى الداغستان فعلاً ؛ فهى الطريقة النقشبندية المشهورة ؛ ولكن هل هذه الطريقة هى صاحبة الفضل فى انتشار اللغة العربية فى الداغستان ؟ وما شأن الطريقة النقشبندية ؟ ومشايخ النقشبندية قوم بخاريون ؛ وليسوا من الحجاز ولا من نجد ؟

لا ... لا ... الواقع أن اللغة العربية فى الداغستان قديمة عريقة دخلت البلاد مع سراقة بن عمرو وبكر بن عبد الله ، وعبد الرحمن بن ربيعة القواد الفاتحين فى خلافة عمر بن الخطاب

---

(١) أهرام ٩ - ٦ - ١٩٤٣ الرسالة عدد ٥١٦

رضى الله عنه سنة ٢٢هـ ومع إخوانهم الغزاة المجاهدين من كبار الصحابة والتابعين الذين اندفعوا كالسيل يجاهدون ويرابطون . ثم استقرت واطمأنت وألقت عصاها يوم وطد مسلمة ابن عبد الملك الحكم العربى فى تلك الأصقاع فى خلافة أخيه هشام سنة ١٠٥هـ ، وكان يؤيدها على مر الأيام ذلك السيل الذى لا ينقطع من المرابطين الذين كانوا يقصدون إلى « دربند » — وهى ثغر من ثغور المسلمين — المرابطة فى سبيل الله

***

بقى أن نقول كلمة عن مدى انتشار اللغة العربية وحدود استعمالها فى بلاد الداغستان

فالأستاذ راشد رستم حاول أن يصورها لغة الأسرار والأحاجى (الشفرة) يلجأ إليها المحاربون والقواد إلى إخفاء شئونهم . ونشر للتدليل على ذلك رسالة بعث بها أحد نواب الشيخ شامل إلى الشيخ شامل نفسه وقال : « ننشر نصها للدلالة على قدر معرفة بعضهم بهذه اللغة »

وهو يريد بهذا الإشارة إلى ضعف أسلوب تلك الرسالة وغموض موضوعها بعض الشىء .

وأنا أكتب هذه الأسطر وبين يدى عشر رسائل مختلفة كتبت فى الشئون العامة من شئون الناس فى الحياة ، وفيها الطويل المسهب والقصير الموجز ، وليس فيها ما هو أدنى أسلوباً من الرسالة التى نشرها الأستاذ . بل إن فيها رسائل كتبت بأسلوب أدبى عال إلى حد ما . وكنت أريد إثبات بعضها لولا ضيق نطاق الصحف فى هذه الأيام

وأمامى أيضاً قصيدتان إحداها للشيخ غازى محمد الكمراوى فى تسعة أبيات ، والأخرى للشيخ اسحق المشهور بجمال القربانى فى نحو أربعين بيتاً ، والقطعتان من الشعر الذى لا بأس به ، إذا لوحظ العصر الذى قيلت فيه ، وهو القرن التاسع عشر الميلادى ، والبلاد التى نشأ بها الشاعران وهى بلاد انقطعت صلتها بالحكم العربى من نحو ألف عام تقريباً

وفى مكتبة رواق الأتراك فى الأزهر الشريف قصيدة فى نحو ألف بيت من الشعر القوى الرصين للشيخ نجم الدين الداغستانى

وهكذا إلى ما لا يحصى من الآثار النثرية والشعرية والعلمية التى خلفها الداغستانيون فى اللغة العربية ، مما يثبت أن اللغة العربية فى الداغستان كانت أوسع مدى وأكثر انتشاراً مما يبدو لأول وهلة . بل يثبت إلى حد ما أنها كانت لغة الثقافة العامة والثقافة الدينية بصفة خاصة . ومما يزيد هذا القول أنه كانت تصدر فى الداغستان صحيفة عربية إلى وقت قريب ؛ أصدرها أحد العلماء قبل الحرب العالمية الماضية باسم « الداغستان »

فإذا كان لا يفهم العربية فى الداغستان إلا العلماء والمتفقهون — كما يقول الأستاذ راشد رستم — فهل فى الداغستان من العلماء والمتفقهين تلك الكثرة التى تكفى لحياة صحيفة عربية ليس لها من القراء إلا هؤلاء العلماء والمتفقهون ؟

الواقع أن التعليم فى الداغستان كان إلى حين قريب أهلياً محضاً ودينياً خالصاً ، يقوم به أئمة المساجد فى القرى والمدن ، فكان على الإمام فى مسجده أن يعلم الطلبة الوافدين إليه العلوم الدينية والعربية . وكان الإقبال على هذا التعليم شائعاً بين الداغستانيين ؛ وقلما من يحسن القراءة والكتابة من غير هؤلاء الذين تعلموا فى مدارس المساجد

على أنه قد أنشئت فى العهود الأخيرة بعض المدارس المنظمة الحديثة ، وكانت عنايتها باللغة العربية شديدة إلى جانب العلوم الأخرى

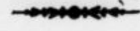
فاللغة العربية فى الداغستان هى لغة العلم والثقافة الدينية العامة ولغة الكتابة الغالبة .

وليس معنى ذلك أن الداغستانيين انسلخوا من قوميتهم ، لغتهم الأصلية وتركوا عاداتهم وتقاليدهم وانقلبوا عرباً خالصين ؟ لا . فالقوم لا يزالون محافظين على مقومات قوميتهم من لغة وعادات وتقاليد ، ولكنهم مع ذلك مسلمون أشد ما يكون المسلمون تعلقاً بدينهم وحباً للغة القرآن .

برهان الدين الداغستانى

فى الثرى

للأستاذ محمود عماد



كل شيء قد انتهى   وانقضى العرس يا عروسْ
والذى كان يشتهى   صار تشقى به النفوس

صار ما كان مقصفا   لك يا قلب معبدا
ثم هدوه فاختفى   فكأنْ لم يكن بدا

أقلع الركبُ واندثرْ   بعده واضح الأثرْ
هل لدى الحيّ من خبر   أن ركبا هنا عبر

لم يعد ثم من شهود   بعدهم غير واحد
والقضايا لدى الوجود   لا تزكى بشاهد

هم إذن فرية تموتْ   صعبة الفهم شائكه
مثل أحدوثة حوت   جنةً أو ملائكه

ما دليلى عليهمو ؟   طاحت الدار والنزلْ
أنت يا قلب تقيم ؟   حسبهم أنت من دليل

ها هنا إنّ ها هنا   نهرَ نُعمَى لنا جرى
موهنا ثم موهنا   بعده غاب فى الثرى

احفروا الأرض حفرة   واضغطوا تُربها الندِى
علّ فى الترب قطرة   تنفع الهائم الصدِى

اعصروا النبت ربما   فيه من نهرنا وشلْ
واسألوا الريح أين ما   قد روت عنه من بلل

اسألوا السحب هل ترى   نهرنا عندها رُفعْ
كل ماء تبخرا   فى سحاب سيجتمع

إن فى ذلك الثرى   عهدنا مات واندفنْ
ويحه كيف لا يُرى   منه عظمٌ ولا كفن ؟

بئسَ ما يفعل التراب   قد حوى أىّ كيمياء ؟
كل جسم به يذاب   دون نار ودون ماء

كل جسم به يصير   غير جسم على الزمن
راجح الرأى والغرير   والذى شاهَ والحسَن

إن فى القفر مقبره   من بتربها درى ؟
أهو من جسم عنتره   جاء أو جسم قيصرا ؟

كل من قد تباينوا   شأنهم فى الثرى سواءْ
ذاك عدل مطمئِن   لو ثوى العدل فى الفناء

ليت لا ينقضى النعيمْ   أو تراءى لدى الخبرْ
لا كما خبّر الهشيم   عن مدى نضرة الشجر

ليتنا حين نشتهى   أىّ عهد لنا نأى
جاءنا ثم ينتهى   مثلما تنتهى الرؤى

قد عرفناك فى المآلْ   يا جسوما لدى الثرى
والأحاديث والخصال   أين يذهبن يا ترى ؟

هل لها داخل الفضا   من قبور نزورها ؟
أو مضت حيث قد مضى   من رياض عبيرها ؟

يحبس العلم باحتيالْ   فى قنانيه العبيرْ
ليته يحبس الجمال   فى حبوس فلا يطير !

ليته سجل الهناء   فى شريط له يذاعْ
مثلما سجل الغناء   أو حديثاً لنا يشاع

سوف تبقى لنا العلوم   معلنات غباءها
أو نرى ميتاً يقوم   مستجيباً نداءها

انتهت قصة الشباب   وانطوت شاشة النجوم
غير نجم هنا عجاب   أرهقت ضوءه الغيوم

بينما المخرج الكبيرْ   من يسمونه القدرْ
لم يزل يخرج الكثير   من رواياته العبرْ

ها هو النجم فى المحاق   ساربٌ وحده كليلْ
افسحوا الجو يا رفاق   واتركوا عابر السبيل

محمود عماد

من أزهار الشر

لشـارل بودلير

الشرفة

يا نبع ذكرياتى ، يا أحب الحبيبات
أنت يا كل لذاتى ، أنت يا من لك حياتى
ستذكرين يوماً جمـال مداعباتى
وعذوبة مثوانا وسحر الليالى
يا نبع ذكرياتى يا أحب الحبيبات

***

والليالى الساطعة بسعير المجامر
وأمسياتنا فى الشرفة فى ظلام تغشاه غمائم وردية
فـكم كان فى نهدك من عذوبة ! وكم كان فى قلبك من حنان
ولقد تبادلنا عهوداً لا تزول مع الزمن
فى الليالى الساطعة بسعير المجامر

***

كم كانت الشمس جميلة فى الآصال الدافئة !
وكم كان الفضاء عميقاً والقلب قديراً
وكنت حين أميل إليك يا ملـكة المعبودات
إخال أننى أشم رائحة دمائك العاطرة
كم كانت الشمس جميلة فى الآصال الدافئة

***

حين كان الليل يرخى سدوله بيننا كحجاب
كانت عيناى تتمثلان عينيك فى الظلام
وكنت أحتسى أنفاسك فيا لهـا من عذوبة ! ويا لها من سم !
وكانت قدماك ترقدان على يدىّ الأليفتين
حين كان الليل يرخى سدوله بيننا كحجاب

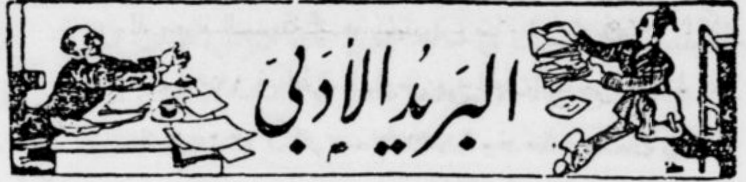
***

أنا أعرف فن إحياء اللحظات الهانئة
وكيف أبعث زمانى الغابر الجاثم بين ساقيك
فـا الجدوى من البحث عن محاسنك الفاترة
فى جسد غير جسدك المحبوب ، وفؤاد سوى فؤادك الوديع
أنا أعرف فن إحياء اللحظات الهانئة

***

هذه العهود ، وهذه العطور وهذه القبل الخالدة
هل تعود مرة أخرى من أعماق هاوية ، حرِّم علينا سبر غورها
كما تعود الشمس إلى الأشراق فتية
بعد أن تطهرت فى أغوار اللجج العميقة
إيه أيتها العهود ! إيه أيتها العطور ! إيه أيتها القبل الخالدة .

ترجمـة
عثمان على عسل



غصن المحيوى

قرأت كلمة لحضرة الأستاذ محمود عزت عرفة فى الاعتراض على بيت المحيوى :

والغصن ميّاس القوام كأنه ... نشوان يُصبَّح بالنعيم ويُغبَق

والاعتراض وارد على كلمة « النعيم » وقد فسرتُها بالخمر ، وهو يقول إنها مصحفة عن النسيم ، ويأسف على أن يرى التصحيف مثبتاً فى كتابين آخرين ، هما حلبة الكميت ومطالع البدور

وأقول إن ورود الكلمة بصورة واحدة فى ثلاثة مصادر يبعد التصحيف ، وأقول أيضاً إن ترنح الغصن بالنسيم ليس فيه صبوح ولا غبوق ، لأن النسيم يراوح الغصن فى كل حين

أما استبعاده أن يكون « النعيم » من أسماء الخمر فهو مستبعدٌ عندى ، لأن الخمر سميت « الراح » وهو فى معنى النعيم ، وبيت المحيوى نص صريح فى تأييد ما أقول

وأنتهز هذه الفرصة السانحة فأذكر أن للأستاذ محمود عزت عرفة أبحاثاً تشرح الصدر ، وما قرأت له كلاماً إلا رأيته يعنى ما يقول بفهم وبيان

زكى مبارك

الاختزال كفن قديم

أشار الأستاذ الكبير عباس العقاد فى مقاله عن (كتب السياحة) إلى بعض ما نفيده من مطالعة المؤلفات القديمة فى مثل هذا الموضوع ؛ فذكر أننا قد نحيط بعادات الأمم الخالية « فنصحح بعض الغرور الذى يركب أبناء العصر الحاضر فيخيل إليهم أنهم هم السابقون إلى كل طرافة ، وأن المتقدمين فى باب الطرائف هم اللاحقون » . وقد أذكرتنى عبارته هذه ، ثم إشارته إلى قدم استعمال العملة الورقية فى الصين ، بما وقعت عليه مما يتصل بفن الاختزال Short-hand وتاريخ ابتداعه فى الصين قديماً رغم ما يعتقده أكثر المعاصرين من أنه فن غربى حديث ...

فقد ذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أن للصين كتابة يقال لها (المجموع) كانوا يأتون بها على المعانى الكثيرة فى القليل من الحروف ؛ « فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب فى مائة ورقة كتبوه فى صفح واحد » .

وذكر قصة رجل من الصين أقام سنة بحضرة محمد بن زكريا الرازى يتعلم العربية وفنونها ؛ ثم أزمع الرجوع إلى بلده ، فقبيل سفره يستملى الرازى كتب جالينوس الستة عشر . وكان لضيق وقته يكتب بالمجموع ، فلا تكاد يد المملى تجارى لسانه سرعة وانطلاقاً ! وقد زعم الأستاذ « أن الإنسان الذكى السريع الأخذ والتلقين لا يمكنه أن يتعلم ذلك فى أقل من عشرين سنة »

وذكر ابن النديم فى موضع آخر أن للروم قلماً يعرف بالساميا ، يحيط الحرف الواحد منه بالمعانى الكثيرة . قال : « وجاءنا من بعلبك فى سنة ثمان وأربعين – يعنى بعد الثلثمائة – رجل متطبب زعم أنه يكتب بالساميا ، فجربنا عليه ما قال فأصبناه إذا تكلمنا بعشر كلمات أصغى إليها ، ثم كتب كلمة ، فاستعدناها فأعادها بألفاظنا »

وهكذا نرى أن القدماء من أهل الأمم المتحضرة لم يسبقونا فى زمنهم ، بأكثر مما سبقونا فى دقة تفكيرهم وبراعة مخترعاتهم .

(جرجا) محمود عزت عرفة

تنبيه لغوى

الفعل ساح يسيح سيحا وسياحة أى ضرب فى الأرض ، ومنه قوله تعالى فى سورة التوبة (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين) وليس من الصواب « نسوح بين بقايا القاهرة التاريخية » . فعين هذا الفعل يائية قطعاً من غير خلاف . وقد نبه اليازجى إلى ذلك من زمن طويل

وبناء على هذا نقول مثلاً : إن المستر وندل ويلكى الأمريكى من السُّيَّاح لا من السُّوَّاح ، كما يقول العوام .

(م . ع)

الصديقة بنت الصديق

طالعت كتاب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد — الصديقة بنت الصديق — فوجدته خير كتاب أخرج عن عائشة رضى الله عنها ، وقد سلك الأستاذ الكبير طريقة الباحث الذى يحكم العقل قبل النقل فى مسائل التاريخ ، ولكنى وجدته حاد عن هذه الطريقة فى موضعين : أولهما ما ذكره من قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد حمل إليها ابنه إبراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنطقتها الغيرة بما رأى الأستاذ أن يترك مكانه بياضاً ، لأن فيه نفياً لما بينهما من شبه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من الأشياء ، فكيف بهذا الأمر الذى يثير الريبة فى مارية القبطية ، وفى نسبه إبراهيم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؟

وثانيهما ما ذكره من قول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة فى حديث الإفك : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه — فمثل هذا لا يصح أن يقوله النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعرِّض لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره ، فكيف يخالف ذلك مع عائشة ، ولأن حديث الإفك لم تلكه إلا ألسنة المنافقين المعروفين بعدائهم للاسلام ، فلا يمكن أن يكون له أثر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من جهة براءة عائشة ، وإنما كان منه شىء من الإعراض ، لأنها أتت من التصرف ما أدى إلى هذا الإفك . ولو أنها حين ذهبت لبعض حاجتها تركت فى الركب خبراً بذهابها لما تحرك الركب وتركها ليأتى بها صفوان بن المعطل .

عبد المتعال الصعيدى

حول ختان البنات فى مصر

اطلعت بالعدد ٥٤٦ من مجلة الرسالة الغراء على تعليق حضرة الأستاذ دسوقى ابراهيم على البحث « ختان البنات فى مصر » ولما كانت الناحية الدينية للموضوع ليس لى فيها مجال فقد استعنت بأحد الأساتذة الأجلاء فأطلعنى على فتوى المرحوم السيد محمد رشيد رضا نشرت فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٠٤ فى الجزء السادس من المجلد السابع من المنار ، وفى المقطم فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ وقد جاء فيها ما يأتى :

« قال ابن المنذر : ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع . واحتج القائلون بأنه سنة بحديث أساسه عند احمد والبيهقى : « الختان سنة فى الرجال مكرمة فى النساء » وراويه الحجاج بن أرطأة مدلِّس . والذى لا نزاع فيه هو ما قلناه من أنه سنة عملية كانت فى العرب وأقره النبى صلى الله عليه وسلم وعده من خصال الفطرة وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الأمراض الخطرة »

وكانت هذه الفتوى عن ختان الذكور فقط . وأذكر أننى اطلعت على فتوى رسمية فى هذا الموضوع صدرت من دار الإفتاء بطلب جماعة من فضلاء الهنود بمناسبة زيارة البعثة الأزهرية للهند وهى بنفس هذا المعنى . ولعل الأستاذ الفاضل أقدر منى على الاهتداء إليها . والموضوع قبل كل شىء علمى اجتماعى صحى وليس فيه نزاع أوشك من هذه الوجهات ، وليس فى شىء منها ما يقر هذه العادة الخطرة وهى ختان البنات التى استأثرت بها مصر دون سائر أقطار العالم .

دكتور
ع . أسامة

إلى الدكتور الأهوانى

تفضلت أيها الأخ الجليل بنقد كتابى « تاريخ الأخلاق » فى طبعته الثانية بالعدد ٤٥٦ من الرسالة ، وكنت أود بعد ما كان منك من ثناء لا أرانى مستحقاً له كله أن أتقبل جميع ما أخذته علىَّ من غير تعقيب ، ولكن طلبى الحق الذى وصفتنى به يجعلنى أتقدم بهذه الكلمات أرد بها على بعض ما جاء بالنقد

١ — لم أخرج يا أخى الغزالى من زمرة المتصوفة ، بل ذكرت فقط أنه لم يكن معهم فيما رأوه من سبيل السعادة وهو العمل وحده ، وإليك نص ما قلته

باشتراط « أبى حامد » العلم لبلوغ السعادة القصوى يكون مخالفاً للصوفية الذين لا يأبهون للعلم ولا يعدونه من أدوات السعادة ، بل يرون أن سبيل السعادة هو العمل وحده[1] . كما قلت

(١) ص ١٩٦ — ١٩٧

بعد هذا : « ولسنا فى حاجة للقول بأن الغزالى أصاب الحق بمجانبته للمتصوفة وموافقته للنظار والفلاسفة ، فى اشتراط العلم للسعادة الحقة ، وجعله العمل مقدمة ضرورية لها ، لا طريقاً يكفى وحده للوصول »[1]

وإذاً فليس غريباً إخراج الغزالى من طائفة المتصوفة فى هذه الناحية ، وإن كان متصوفاً فى نواحيه الأخرى وفى طابعه العام

٢ — أما الأخلاق عند « إخوان الصفا » فمنها بلا ريب كما ذكرت جانب فطرى ، ومنها جانب كسبى ، وإليك الدليل من أقوال الإخوان أنفسهم

يذكر إخوان الصفاء فى بيان أن من الأخلاق ما هو مركوز فى الجبلة ، وما هو كسبى يكون بمجهود ومعاناة : « إن الأخلاق المركوزة فى الجبلة هى تهيؤ ما يسهل به على النفس إظهار فعل من الأفعال من غير فكر ولا روية . مثال ذلك متى كان الإنسان مطبوعاً على الشجاعة ، فإنه يسهل عليه الإقدام . وهكذا متى كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية . وعلى هذا المثال والقياس سائر الأخلاق والسجايا المطبوعة فى الجبلة المركوزة فيها ، إنما جعلت ليسهل على النفس إظهار أفعالها بلا فكر ولا روية »[2]

وأصرح من هذا ما قرروه فى فصل آخر بعد ما تقدم ، إذ يقولون : « الأخلاق كلها نوعان ؛ إما مطبوعة فى جبلة الناس مركوزة فيها ، وإما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها »[3]

أما النص الذى أتيت به أيها الأخ الجليل فهو — كما تعلم — قد جاء فى أثناء كلامهم فى أثر التربية ، ليؤكدوا به ما للدرس والمران من أثر كبير فى بلوغ مرتبة الحذق والأستاذية فى الصنائع واكتساب الأخلاق والسجايا . وذلك ، أن الدرس ونحوه كالنشوء فى بيئة خاصة ، وجه من الأربعة التى ذكروا أن الأخلاق تختلف من أجلها[4]

وأخيراً ، فللأخ الفاضل المحقق ، وللأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، خالص تحيتى وشكرى وتقديرى . **محمد يوسف موسى**

ختان الأنثى بين الدين والرأى

قرأت مقال الدكتور الفاضل أسامة وانتظرت ما يكتب فى موضوعه ، فكتب الأديب الفاضل دسوق ابراهيم ينبه الدكتور إلى خطئه فى قوله إن الختان ليس له أصل دينى ذاكراً فى ذلك ما ذكر من الدليل . وعقب عليه الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى يرى أن الدين لا يخدم بمثل ما كتب الأديب الفاضل ، لأن ذلك يخلق عداء بين الدين والعلم ، وأظهر الاستعداد إلى التوفيق بين الدين والعلم فى هذه المسألة عن طريق التأويل ، إذا كان هناك قرار إجماعى من الأطباء.

ولست أدرى ما وجه الخطأ فى ما كتب الأديب الفاضل الذى نبه إلى حكم الدين فى ختان الأنثى ما دام قد نبه إلى واقع وقرن قوله بالدليل . إن الدكتور أسامة كتب فى هذه الناحية كتابة من لا يعرف حكم الدين فى الموضوع ، فنبهه الأديب الفاضل إلى حكم الدين . ولو لم يفعل لكان حقاً على أحد شيوخ الدين أن يفعل بدلاً من أن يأتى منهم من يلوم الذى فعل خوفاً من خلق عداوة بين العلم والدين . فهل يا ترى يكتم حكم الدين كلما ادعى مدع أنه يخالف العلم فى قليل أو كثير ؟

إن قراراً إجماعياً لو صدر من الأطباء بالفعل بتأييد الدكتور الفاضل أسامة لا يغير من الحكم شيئاً فى هذه المسألة بالذات ؛ لأن الدكتور من ناحية يقر بحكمة أخلاقية لختان الأنثى إذ أقر بأنه أدعى للعفة وأعون عليها عند الأنثى ، والدين من ناحية أخرى ينهى عن الإنهاك فى الختان أى عن استئصال الزائدة التى يدعو الدكتور أسامة إلى الإبقاء عليها كاملة . فالدين قد أبد عادة تعين على عفة الأنثى ، ونبه فيها إلى الطريق القصد الذى يبقى من تلك الزائدة ما يحقق من وظيفتها مما يكفى لإسعاد الزوجين فى غير جموح . فماذا يراد من حكم الدين وراء هذا الجمع بين المصالح للانسان ؟

ومن العجيب أن الحديث الشريف قد نص على الوظيفة الفسيولوجية للزائدة قبل مقال الدكتور أسامة بثلاثة عشر قرناً ونصف . وكان الرجاء فى مثل الأستاذ الصعيدى أن يكشف لمثل الدكتور أسامة عن هذا . والحديث الذى أشير إليه هو حديث (يا أم عطية) — وكانت تخفض — (إشمّى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج) . فأما أنه أحظى عند الزوج ، فقد تنبه إلى ذلك العلم . وأما أنه أسرى للوجه فيظهر أن العلم لم يتنبه إليه إذا كان مقال الدكتور أسامة يمثل كل ما وصل إليه العلم فى هذا الموضوع .

أما الحالات المرضية التى أشار إليها الدكتور فى مقاله فردها إما إلى الإنهاك الذى نهت عنه السنة الشريفة ، وإما إلى تبديد

(١) ص ١٩٧ (٢) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٢٣٤ـ٢٣٥
(٣) نفسه جـ ١ ص ٢٣٩ (٤) نفسه جـ ١ ص ٢٢٩

للقوة العصبية ببعض عوامل التبدبد الكثيرة فى هذه المدنية ، وعلى أى حال ، فليست هى مما يبنى عليه حكم عام أو مما يدعو إلى العدول عن عادة أيدها الدين .

محمد أحمد الغمراوى

فى عبقرية الإمام

لقد بلغ العقاد العظيم الذروة فى (عبقرية الإمام) لجاء كتابه على خير ما تجيء الكتب من قوة الأسلوب ونضج البحث وعمق التحقيق والنفاذ إلى أغوار الأشخاص . غير أن لنا على الكتاب بعض الملاحظات التى نرى لزاماً أن نتوجه بها إلى المؤلف الفاضل بعد أن رأينا الحقائق وحدها كانت هدفه ومبتغاه

يقول المؤلف فى الصفحة ١٥٧ فى معرض بحثه عن حكومة الإمام : (وكان أنصار الإمام أبداً من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بنى هاشم على الأخص وبين قبائل العرب جميعاً على التعميم)

ولا ندرى إذا كان حفظه الله يعنى بذلك أنصار الإمام فى حياته وخلال خلافته ، أم يعنى أنصار الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه . فإذا كان الأول فلا نحسب أنه كان بين جيوش الإمام من هو غير عربى ؛ بل الذى نعرفه أن جيشه من أكبر قائد إلى أصغر جندى كان جيشاً عربياً خالصاً قوامه تلك القبائل العربية الشهيرة التى ما خالطتها عجمة ولا شابتها هجنة ، وأن مؤيديه كانوا صفوة المهاجرين والأنصار ، وخلاصة المسلمين الأقحاح الذين أنبتتهم رمال الجزيرة العربية وغذاهم نخيلها . فهمدان ومضر وربيعة وتميم وكندة والأوس والخزرج وطيء وعبد القيس ومذحج وبكر بن وائل والنخع وخزاعة وفزارة وأسد وكنانة وقضاعة وبجيلة وذهل وغيرها كانت عدة على فى حروبه وجنوده فى قتاله . وهذه كلها قبائل عربية صريحة ، وإذا كان المصريون من أشد أنصاره حماسة وأكثرهم فى تأييده اندفاعاً ، وإذا كانت مصر هى البلد الذى هتف باسمه بين لدد الخصوم وتصايح الأهواء ، ورشحه للخلافة دون هوادة ولا لين ، فلا شك أن مصر كانت بلداً عربياً ، والمصريون فيها كانوا — كما هم اليوم — من العروبة فى الصميم . وأما المغاربة فما سمعنا لهم بين تلك الصيحات صيحة لنعرف أين كانت وجهتهم ومن كان رجلهم المرموق

بقى أن يكون ما عناه المؤلف أتباع الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه . والإمام وغيره سواء فى هذا الشأن ؛ فإذا كان فى أتباعه الفرس وغير الفرس ففى أتباع غيره الترك وغير الترك مثلاً . وإذا شايعه غير العرب فقد شايعته كثرة من لباب العرب . ولا أختم القول قبل أن أتقدم إلى المؤلف العبقرى بكل إكبار وتقدير .

حسن الأمين
حاكم النبطية

رابطة فكرية بين مثقفى البلاد العربية

الواضح أن الدعوة لتحقيق الوحدة العربية آخذة فى التطور والانتقال من عالم النظريات إلى دنيا الحقائق والواقع

والنجاح الشكلى المنتظر لتحقيقها عامل مهم للتشجيع ولكنه ليس كل العوامل لأنه ظاهرى إسمى

وإن أمتن معانى الوحدة : هو التفاهم العقلى ، والتقارب الشعورى ، والكيان المشترك بكل الوسائل الممكنة وهى كثيرة

وإنى أعرض إحداها ليس لأنها أفضلها بل لأنها أسهلها وأسرعها تنفيذاً . وسأعرضها كاقتراح قابل للتهذيب والتعديل

أقترح إيجاد رابطة فكرية بين مثقفى البلاد العربية بواسطة الاتصال الشخصى بالمكاتبة والتزاور . وليتم هذا تخصص الصحف والمجلات فى مختلف الأقطار العربية قسماً منها للبحث فى هذا الموضوع ، وتنشر أسماء الراغبين فى دخول هذه الرابطة مع شيء من المعلومات عن كل منهم ليسهل على الآخرين انتخاب من يرون فيه من الصفات الثقافية والفكرية ما يشجعه على التعرف والاتصال الشخصى به بالمكاتبة

ويمكن إيجاد مراكز أو نواد خاصة فى كل بلد عربى لمؤازرة هذا الاقتراح وتوجيهه إلى الغاية السامية من هذه الوحدة وهذه الرابطة . ويمكن أيضاً بواسطة هذه المراكز أو الأندية تسهيل الرحلات والتزاور بين شباب كل قطر وآخر

فهذا الاحتكاك الفكرى والتعارف الشخصى وما ينتج عنهما من تآلف شعورى صحيح وكيان روحى واحد نصل إلى معرفة حقيقة المشاكل الأساسية فى كياننا فنراها ونقترب بسرعة من حلها .

(الرملة — فلسطين) أبو أكرم

الأستاذ صلاح الدين المنجد

ورد القاهرة فيمن وردها من رجال الأدب والفضل الكاتب السورى المعروف الأستاذ صلاح الدين المنجد . فعلى الرحب والسعة



12 me Année No. 549 — Lundi - 10 - 1 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

خلاف يستحق الاختلاف

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذلك هو الخلاف الذي أشار إليه الفاضلان : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، والأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية في العدد الأخير من (الرسالة) : أولهما فيما يرجع إلى كتابي عن « الصديقة بنت الصديق » ، والثاني فيما يرجع إلى كتابي « عبقرية الإمام »

فالعالم الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي يقول : إنني حكمت العقل قبل النقل في مسائل التاريخ إلا في موضعين : أولهما ما ذكرته من قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل إليها ابنه ابراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنطقتها الغيرة بما أشرت إليه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء.

وثانيهما ما ذكرته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في حديث الإفك : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . ومثل هذا — كما يرى الأستاذ الصعيدي — لا يصح أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعرض

لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره فكيف يخالف ذلك مع عائشة ؟ ... إلى آخر ما ورد فى كلمة الأستاذ

ورأيي كما قال الأستاذ أن العقل مقدم على النقل ، ولكن النقل لا يبطل إلا بالبرهان أو باستحالة القبول

وليس فيما لاحظه الأستاذ الصعيدى موضع لبرهان ، ولا لاستحالة عقلية تقوم مقام البرهان

فالصحيح أن السيدة عائشة لا تكذب النبي عليه السلام فى شيء من الأشياء ، ولكن الذى حدث فى أمر ابراهيم ليس فيه من تكذيب ينبو عنه مقام السيدة عائشة

رأى النبي عليه السلام شبهاً بينه وبين ولده ابراهيم وسأل السيدة عائشة فى ذلك فقالت : إنها لا ترى شبهاً

فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت : « إنك يا رسول الله لا ترى شبهاً بينك وبين ابراهيم »

أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه — وهي لا تراه — فذلك هو الكذب الذى ينبو عنه مقامها

ومن السهل جداً أن تغشى الغيرة عين المرأة المحبة فلا ترى فى ابن ضرتها المحاسن التي تحبب تلك الضرة إلى رجلها العزيز عليها ، فإذا غاب هذا الشبه عن عين عائشة فلا غرابة فى الأمر ولا مخالفة فيه للطبائع الإنسانية والطبائع النسوية على التخصيص . وإذا قالت إنها لا ترى الشبه — وهي لم تره فعلاً — فقد صدقت فى مقالها ونطق لسانها بما تأدى إلى نظرها ولم ترد عليه

وقد ورد فى الخبر أن السيدة عائشة كانت تغاضب النبي وتقول له « اقصد » فى مقالاتٍ أمام أبيها ، فيلطمها أبوها عقاباً لها . وليس كلام المغضبة أو الغيور بالكلام الذى يصدر عن تكذيب أو بغضاء .

أما أن النبي عليه السلام لا يصح أن يقول للسيدة عائشة : إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »

فهذا ما نخالف الأستاذ فيه كل المخالفة

إذ هذا المقال هو الذى يصح أن يقوله النبي عليه السلام فى هذا المقام . وماذا فيه إلا أنه عليه السلام يدعو من ألم بذنب إلى الاستغفار ؟ وأى عجب فى ذلك وقد صحت فيه آيات من القرآن فضلاً عن الأحاديث النبوية ؟

ويلاحظ أن النبي عليه السلام قال للسيدة عائشة : « إن كنت ألمت ولم يقل لها إن كنت اقترفت ذنباً » ولا يخفى أن الإلمام يناسب اللمم الذى هو دون كبائر الإثم والفواحش ، وفيه يقول القرآن الكريم : « ولله ما فى السموات والأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة »

وفى كلام النبي موافقة لهذه الآيات . وفى القرآن الكريم أن نبياً هم بأمر وعدل عنه . والهم والإلمام قريبان : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

فدعوة النبي للسيدة عائشة أن تستغفر عن لمم ليست بالدعوة التي ينكرها العقل ويجزم باستحالتها ، وليس فيها ما يناقض الآيات ولا الأحاديث . ومقطع القول بعد هذا كله فى حديث الافك أنه كما قلنا فى كتاب الصديقة بنت الصديق « سخف لا يقبله إلا من يفترى بوشاية أو بغير وشاية ، وسواء فيه منافقو المدينة ومن يصنع صنيعهم من المؤرخين فى العصر الحاضر لأنهم لا يؤمنون بنبي الإسلام . بل هؤلاء أذل وأغفل لأنهم يؤمنون بمريم والمسيح وكان عليهم أن يعصمهم عاصم من هذا الإيمان »

* * *

أما الأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية فقد عقب على قولنا فى عبقرية الإمام أن أنصاره من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بنى هاشم على الأخص وبين قبائل العرب جميعاً على التعميم »

فأحصى فى تعقيبه أسماء القبائل العربية التى كان منها أناس فى جيش الإمام ، ثم قال : « بقى أن يكون ما عناه المؤلف اتباع الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه ، والإمام وغيره سواء فى هذا الشأن ، فإذا كان فى اتباعه الفرس وغير الفرس ففى اتباع غيره الترك وغير الترك مثلاً ، وإذا شايعه غير العرب فقد شايعته كثرة من لباب العرب »

والقول الأخير هو الذى نخالف فيه الأستاذ الفاضل ، مع شكرنا إياه على جميل تحيته و كريم ثنائه

فالمقصود بالأنصار هم شيعة الإمام الذين يشايعونه خاصة ولا يشايعون غيره

إذ العرب الترك والأمم الأخرى التى شايعت كل خليفة فى زمانه ليسوا بأشياع ذلك الخليفة على التخصيص ، ولكنهم أشياع الدولة ومن يقوم عليها من الخلفاء واحداً بعد واحد ، وليسوا مع ذلك بأعداء لعلى كعداوة بعض الشيعة لمن ينازعهم الرأى فى حق الإمام وتقديمه على جميع الحقوق

ومتى كان هذا هو شرط الأنصار الذين يختص بهم الإمام ولا يختص بهم غيره فلا جدال فى كثرتهم بين العرب والشعوب الأخرى ، ورجحانهم على شيعة الإمام من العرب ولا سيما أقرب الناس إليه من بنى هاشم ومن قريش

وهذا موضع العبرة فى تلك الملاحظة :

موضعها أن الإمام قد ظفر بهؤلاء الأنصار ممن لا يشايعونه عصبيته ، لأنه قام بالأمر على الخلافة الدينية ، ولم يقم به على العصبية الجنسية أو النزعة الوطنية

وهذه هى الخصلة التى ينفرد بها الإمام بين الخلفاء من قديم وحديث ، فليس فى الأئمة جميعاً من كان الانتصار له مذهباً فى الدين ، وكان الدائنون بهذا المذهب أرجح عدداً من الدائنين به فى الشعوب العربية على اختلاف الأقطار ، فيما خلا الإمام

وليس بين الأئمة جميعاً من له نصراء فى الشعوب الأخرى يساوون نصراء على بين المسلمين من غير العرب ، سواء فى الزمن القديم أو الزمن الحديث

وهذا الذى عنيناه ، وهو جدير بالتقرير والتعليل

* * *

وربما استتبع الكلام فى هذه الكتب أن نشير إلى الذين ذكروها فقالوا عنها إنها لم تأت فى التاريخ الإسلامى بجديد

فإن كان الذى يعنونه بهذا القول أن موضوع الكتب ليس بجديد ، وأننا لم نخلق حوادث العصر النبوى ولا حوادث عصر الخلفاء ، فنحن معهم فيما يقولون

ولكن على هذا الاعتبار لا يوجد فى الدنيا ولن يوجد فيها أبداً كتاب جديد أو رأى جديد أو علم جديد

فالكيمياء الحديثة ليست بالجديدة ، لأن الأجسام التى هى موضوع الكيمياء اليوم وموضوعها بالأمس لم تخلق فى هذا العصر ، ولم تزل على وصفها الذى رآه الأقدمون

والجغرافية الحديثة كذلك ليست بالجديدة ، لأن القارات والبحار والأنهار والكواكب والرياح والأمطار ليست من صنعة الجغرافيين المتأخرين ، وليس أحد منهم بأقدر على خلقها من الجغرافيين السابقين

وقل مثل ذلك فى علم الفلك وعلم الطبيعة وعلم الطب وعلم القانون وسائر العلوم والفنون

أما إن كان الذى يعنونه بقولهم إننا كررنا فى كتبنا ما تقدم فى كلام المؤرخين قبلنا فدون ذلك وتقصر الألسنة ، ودون ذلك ويفتح الله ثم يفتح الله . . . إنهم يقولون إذا أراحهم القول ، ولكن لن يريحهم يوماً أنهم مسموعون أو مصدَّقون !

عباس محمود العقاد

---

٢ - أغنية الرياح الأربع

لشاعر الحب والجمال على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

تنطلق الزوجة الحسناء داخل الحانة بَرِمة ، ثم يقبل البحارة ، فيأخذون فى هرج ومرج ، تزيدهما النشوة ضجة واصطخاباً ، فإذا سألوا من صاحب الحانة وقدم لهم أرسطفان نفسه ، عبثوا به وضحكوا منه :

أنظر إلى وجهك في المرآة وصف لنـا عجيبة الحياة
من أى غاب يا وحيد القرن وما اسمك الصحيح ؟ لا تكنى

فيقول لهم : أرسطفان ... فيقول أحدهم

... عَــلمٌ مفـلوط صحتــه وشكله المضبوط
تنبئ عنه هـــذه الخيوط أرسطفان أنت أخطبوط ! !

وهكذا يستغرق الجميع فى ضحك متصل ، تزيده القيان الحسان اللاتى صحبن البحارة بهجة وإيناساً ومرحاً . ثم تأخذ إحداهن فى رقصة بارعة يدخل بعدها بطل الدرامة الرهيب « أزمردا » فيأخذ مكانه فى ناحية ، ويسود الحانة جو من الوجوم لا يفيقون منه إلا على إنشاد باتوزيس الذى يتغنى لهم قصة تلك الأشورية التى تعشقها فتى ملاح ، ووقع هو الآخر من نفسها فدعته إلى سفينتها وانطلقا يذرعان البحار عامين سعيدين حتى فرقت بينهما يد الأقدار حين نزل الفتى إلى الشاطئ للصيد فأتى قرصان فصاد حبيبته وذهب بها إلى حيث لا يدرى العاشق المسكين ... وروى أن هذه الحسناء قد تزوجت من بعض الآلهة فأنجبت منه (ربّات الرياح الأربع)

فإن سمعتم فى صدى الأمواج أو لحن شاديكم
أغنية تهـــفو على الأثباج حيرى تناديكم
فهى لهـا ، وهى تناديكم

فإذا سأله البحارة عن هذا القرصان الفاجر أين مقره ، قال باتوزيس إنه يجلس بينهم كواحد منهم .. معرّضاً بأزمردا ... أزمردا القرصان الهائل الذى دوّخ أطراف البحر ، وزلزلت سطواته جزائر إيجة وشطئان مصر ، وأحرز من خطف الحسان ثروة طائلة وبأساً شديداً ... فيظن البحارة أن باتوزيس يمزح ، ثم ينصرفون من الحانة إلى ملذاتهم ومعهم حظاياهم بعد أن ينقدوا الخمار ثمن شرابهم ... ويقبل أرسطفان على الشاعر المصرى مسروراً باشاً لأنه كان روح هذه الليلة بشعره وغنائه وموسيقاه ، ويقدم إليه كأساً راوية فيأمره له (أزمردا) بأخرى ، ثم يأخذان فى حديث طويل نعرف منه أنهما كانا صديقين منذ زمن طويل يعملان فى البحر ثم افترقا ، وأن أزمردا يعمل الآن فى القرصنة والاتجار فى سوق الرقيق الأبيض ، ثم يعاتبه لتعريضه به بين أولئك السكارى ، وما غمزه به فى قصته التى رواها لهم ... ويحدثه باتوزيس حديث (ربات الرياح الأربع) الذى سمعه فى آخر زيارة له فى طيبة المصرية :

فتيات أربع يظهرن فى كل عام صوراً مختلفات
رائمات يتخطرن على هذه الأمواج مثل النسمات
فوق شط رمله من ذهب لؤلؤى الماء درّى الحصاة
من يحزهن يحز ملك الثرى ومقاليد البحار الطاغيات

فإذا جادله أزمردا فى أمرهن أكد له باتوزيس حقيقتهن ، فيعرض عليه أزمردا أن يعيش معه فى سفينته

تعال فى سفينتى وكن أخى وساعدى
وذقْ مباهج الحيــاة عذبة الموارد

ثم تسمع ضجة عند باب الحانة ، وتدخل جماعة من الشـذاذ وعلى رأسهم زعيمهم أزرو ومعه حظيتان من حظاياه لا تلبثان أن تخرجهما حميا الخمر عن رشدهما ، فتشاجر إحداهما الأخرى فيصفع أزرو إحداهما ويطرحها أرضاً فينتصر لها أزمردا ويرفعها بيديه إلى كرسيها فتثور ثائرة أزرو ويمتشق حسامه ليغمده فى صدر أزمردا ... فينتفض أزمردا كالأسد ، ويكشف عن نفسه ويضرب بسيفه سيف أزرو فيكسره . . . ويذهل الجميع حين يعرفون أنهم فى حضرة القرصان الأكبر ، وترتفع صيحة من جوانب الحانة يرددها الجميع مشدوهين :

أز ... مر ... دا

وينزل ستار الفصل الأول !

ويتألف الفصل الثانى من منظرين ... من أروع ما وصل إليه خيال شاعر — لا فى مصر وحدها ، بل فى الدنيا قاطبة ! وهكذا أقولها غير عابئ بجميع الابتسامات التى أراها الآن ترقص على شفاه الكثيرين من قرائى ، وعلى أرنبات أنوفهم !!

ومن الخطر الأدبى تلخيص هذا الفصل . . . فهو وحدة فنية كاملة يجب ألا تشوه بالتلخيص . وحسبك أن تعلم أن سفينة أزمردا ترسى فى ميناء رفح المصرية قبيل الشروق ، وأن أزمردا ينزل إلى الشاطئ وحده فيلاقى ربات الرياح الأربع يتواثبن راقصات على الرمال النائمة ، فيغريهن بزيارة سفينته ويمنيهن الأمانى ، فإذا طلبن إليه برهانه أبرز لإحداهن وهى حرواز ا ، ربة ريح الشرق ، ياقوتة حمراء تبهر العين وتذهب بالألباب ... ثم ينتصر بيان أزمردا ، فيرضين بزيارة سفينته آخر الأمر ...

ونرى فى الفصل الثالث جانباً من سفينة أزمردا ، فهنا مخدع الشاعر باتوزيس ، حيث يوقظه العبد ماتوكا ويقدم إليه طعام الإفطار ، ويأخذ معه الشاعر فى حديث عن حظوظ بنى الإنسان ، ندرك منه أن ماتوكا لا يبغى بحياة الرق بدلاً

سفينتى هى الحياة والغد المؤمَّل

قد طاب لى فى ظلها العيش وطاب المنزل

ومن كساء سيدى الربان هذا المخمل

ومن شرابه أعل هانئاً وأنهل

أى حياة لىَ من هذى الحياة أجمل ؟

وينصرف العبد ، ويدخل أزمردا إلى بهو مجاور وفى صحبته ربات الرياح الأربع فما يلبثن أن يوجسن خيفة ويستربن فتطمئنهم حرواز ا وتذكرهن أنهن آلهة ... ويمضى أزمردا ليخبر باتوزيس الذى لا يصدق إلا بعد لأى .... فإذا سأله عم يصنع بهن وهن آلهة ، قال :

أسخرهن قوى ينتظمن شراعىَ ما قادنى مطمعُ
وأغزو بهن منيع الثغور وأجنى الثراء وأستمتع

فيسأله باتوزيس : أتطمع فى ملكوت السماء ؟ فيقول أزمردا ... أو يقول على محمود طه ... بيته الخالد الذى هو أثمن من ديوان :

خُلقنا غرائز منهومةً فليست تروَّى ولا تشبع !!

ويوشك باتوزيس أن يجن جنونه لهذا القرصان الجرىء المغامر الذى لا يبالى أن يخطف حتى الآلهة . فيثور على أزمردا ويثور أزمردا به ، فينطلق باتوزيس ، ويسمع أزمردا أصوات ربات الرياح الأربع فيقصد إليهن ليسرى عنهن ، ثم يدخل ماتوكا العبد ليدعو سيده لتسكين ثائرة إحدى المخطوفات فيذهب معه ، ويبرز باتوزيس ، فإذا سألنه من هو قال :

لا وقت للسؤال من أنت هنا ومن أنا

أنتن فى سفينة القرصان ، لا وقت لنا

ويخبرهن خبر أزمردا فيطمئنه ، ويدخل أزمردا متقلداً سيفه فيرى باتوزيس ويدرك أنه قد فضح سره فيهم بقتله لولا أن تحول الربات بينهما ويأخذن فى السخرية بأزمردا ، نيهم بقتل باتوزيس ثانية فتمد حرواز ا ذراعها السحرية فيجمد الدم فى عروق أزمردا ويسقط السيف من يده ، ثم يرجف بدنه رجفاً شديداً وتغرورق عيناه بالدموع التى تخنق عبراتها صوته ويطلب الصفح على أن يكون خير عباد الله براً وصلاحاً واستقامة . ثم ترق الربات له ويسمعن ضجة ، وإذا الحسناء التى كانت ثائرة بالداخل مقبلة ، فتلتفت إليها حرواز ا ويبطل سحر ذراعها فتدب الحياة فى أزمردا الذى يتناول سيفه مرة ثانية ويهم بالغدرة مهدداً الربات وكل الحاضرين بالقتل ، فتمد حرواز ا ذراعها ثانية فيجمد الدم فى عروق حرواز ا من جديد ، ويسقط السيف من يده ، ثم ترفع الربات أيديهن وينفخن ... فإذا ريح صرصر عاتية تحمل أزمردا فتقذف به فى أعماق اليم

وبعد ... فهذا سحر وشعر وجمال وفن !

(يتبع) دريني خشبة

حكم فى الجنحة العسكرية رقم ٥٠١ سنة ١٩٤٣ مركز ضد زينب على سلام بالحبس ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه مع إيقاف التنفيذ لامتناعها عن بيع الشاى بالتسعيرة .

كتب وشخصيات

زهرة العمر ... لتوفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

مدرسة توفيق الحكيم الفنية

ترددت قبل أن أكتب « مدرسة توفيق الحكيم » فالواقع أن كلمة « مدرسة » تعني في نفسي شيئاً كثيراً ؛ وليست هي مجرد الأسلوب الفني وطريقة التعبير ؛ إنما هي هذا وشيء آخر، هي طريقة الإحساس والتفكير ؛ بل هي طريقة حياة حين تؤخذ بمعناها الواسع الأصيل.

وليس من الضروري أن يكون هناك أتباع وتلاميذ، كي يتحقق معنى «المدرسة» ، فتلك مسألة تأتي مع الزمن ؛ إنما المهم أن توجد المعالم الواضحة المستقلة التي يلتقي عليها التلاميذ والأتباع حين يوجدون في زمن قريب أو بعيد.

هذه المعالم هي سمات إنسانية وفكرية ونفسية تجتمع أصولها لتلاميذ المدرسة الواحدة ثم تفترق ألوانها وأنماطها حسب الأمزجة الخاصة والملكات الفردية. وتتبعها طريقة التعبير، أي الأسلوب الفني الجامع لتلك السمات.

فهل نستطيع بعد هذا البيان أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؟

نعم نستطيع ! ولكننا نحتاج بعدها إلى التحفظات المحددة لحقيقة ما نعنيه. فتوفيق صاحب أسلوب فني واضح السمات — هذا ما لا جدال فيه — وهو كذلك صاحب طريقة في الإحساس والتفكير، ولكن هذه الطريقة ترجع إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي، أكثر مما ترجع الطبيعة العامة

وهذا كلام يحتاج إلى التوضيح !

يجنح توفيق الحكيم إلى أن يعيش في داخل نفسه أكثر مما يعيش في خارجها، فلا تهمه الحياة المنطلقة في الخارج كما تهمه الحياة التي يصورها خياله كما يريد، وهنا تولد وتعيش تلك المخلوقات الفنية التي يرسمها على هواه من أمثال شهرزاد وشهريار وبيجماليون وعنان ومختار ... الخ.

فما منشأ هذا ؟ منشؤه هو إشفاق توفيق من الحياة، وضعف الحيوية في كيانه الجسدي. وقد يكون هذا الضعف علة ذلك الإشفاق، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى في نشأته الأولى، يمكن أن يقف عليها من يقرأ كتابه « عودة الروح » ، وإلا فالضعف الجسدي كثيراً ما يكون سبب دفعة حيوية في الفكر، كما في « نيتشة » مثلاً

وليس بنا في هذا المقال القصير أن نقوم بدراسة جسدية ونفسية ؛ ولكن حسبنا أن نشير إلى هذه الأسباب لتوضيح ما قلناه من أن طريقة توفيق في الإحساس والتفكير مردها إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي.

فالذين يشبهون هذا الفنان في مزاجه وتكوينه هم الذين سيكونون أتباعه وتلاميذه في هذه الحياة الفكرية الباطنة التي ترسم الشخوص رسماً فنياً خاصاً. ولا بد لكل فنان من قسط من هذه الحياة الباطنة بنقص أو يزيد. ولكن يبقى أن يوهب هؤلاء التلاميذ — كما وهب — أسلوباً قوياً فنياً في التعبير، وأداة فنية ناضجة في الحوار، ليكونوا تلاميذ حقيقيين. وهو ما لم يوجد بعد، على الرغم من المقلدين الكثيرين في مصر وفي بلاد الشرق العربي الذين حسبوا الحوار هو كل موهبة توفيق الحكيم، وحسبوا استيحاء الأساطير هو كل ما يميزه بين الفنانين !

نعم إن الطاقة محدودة، وقد يأتي — في هذا المجال — من هو أكبر طاقة وأبعد غوراً من توفيق الحكيم ؛ ولكن سيبقى له فضل السبق، وابتداع الطريقة وإكمال الأداة

في هذه الحدود نستطيع أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؛ ولكننا نعود فنرد إليه حقه كاملاً حين نثبت له النضوج الكامل في أسلوبه الفني عامة والقوة البارعة في حواره على وجه الخصوص. هنا موهبة متفردة لا شك فيها، مهما قيل في الطاقة التي يعمل بها وفي الموضوعات والفكر التي يتناولها

***

وبعد فما العنوان الذي يمكن أن نضمه لتلك المدرسة أو لهذه الطريقة ؟

هو عنوان « التنسيق الفني »

يقول توفيق الحكيم في إحدى رسائله إلى « أندريه » في كتابه « زهرة العمر »

« إن فن الإغريق هو تجميل الطبيعة إلى حد إشعارها بنقصها ... لكأنهم يريدون أن يقولوا للطبيعة : أنظرى ... كان ينبغي أن تصنعي هكذا ! ... »

ثم يقول : « إن فن مصر القديمة هو تحد صارخ للطبيعة ؛ فكأنهم يقولون للطبيعة انظرى.. لاشأن لنا بك ولا بمخلوقاتك، إننا نستطيع من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى غريبة عجيبة لم تخطر لك على بال ... »

ويخيل إليّ أن فن توفيق الحكيم هو تنسيق للطبيعة وتهذيب ، بالنقص هنا وبالزيادة هناك ، حتى يستوى له خلق فيه من الطبيعة مشابه ولكنه منسق على نحو خاص يرضى مزاجه الفني الذي يجد مجاله في مخلوقات الفن المنسقة على طراز مطلوب... وكأنه يقول للطبيعة : إنك في منتصف الطريق ، ولا تزالين تخلطين بين الجمال والقبح وبين الرذيلة والفضيلة وبين الفكر والغريزة ... إلى آخر هذه الأمشاج ؛ فدونك مخلوقات أخرى مصفاة على نحو خاص ، ذات اتجاه موحد لا اضطراب فيه ولا اختلاط ... ! »

وهذه المخلوقات التوفيقية يتفق لبعضها الجمال الفني فيغنيها عن جمال الحيوية ويضعها أنداداً مقابلة لمخلوقات الطبيعة ؛ ويخطئ بعضها التوفيق فتبدو باردة هامدة ، ولكنها لا تهبط إلى الموت أو الابتذال

وهنا نجدنا ملزمين بأن نرد لتوفيق حقه مرة أخرى فننص على أن هذا الاتجاه لا يستغرق جميع أعماله ؛ فهناك أعمال تنبض بالحياة الطبيعية والحركة الحيوية — على نحو من الأنحاء — كيوميات نائب في الأرياف ، ورصاصة في القلب ، وعودة الروح ، والزمار ، والعوالم ، وراقصة المعبد ، وعصفور من الشرق ؛ وهي تؤلف جانباً كبيراً من أعماله الفنية المطبوعة بطابعه الخاص

وفي بعض هذه الأعمال تتهيأ الحبكة الفنية والحركة الحيوية ، إلى جانب الدعابة الفكهة والسخرية العميقة . وبخاصة « يوميات نائب في الأرياف والزمار » وفيهما معالم واضحة للفن القوى المنشود !

ثم نعود إلى اصطلاح « التنسيق الفني » الذى جعلناه عنواناً لمدرسة توفيق الحكيم فنقول : إننا نعني به معنى آخر بجانب « تنسيق الشخصيات » نعني به معنى في طريقة العرض ، في الأسلوب الذى تعرض به الشخصيات والحوادث والأفكار ، فهذه الطريقة موحدة سواء كان المعروض قصة أو تمثيلية أو فكرة في مقالة . ولسنا نعني به ما يعبرون عنه بالحبكة ، فهو أوسع من ذلك مدى . إنه « التصميم الهندسى » للعمل الفنى كله ، بحيث يبدو متساوقاً منسقاً مطرداً ، وبحيث يتهيأ هذا العمل الفني كله في ذهن الفنان قبل أن يبدأ اللمسة الأولى ، كما يضع المهندس تصميم مشروع كامل من المشروعات ، ثم ينفذه بعد ذلك حسب التصميم . وما قرأت عملاً من أعمال توفيق إلا كان هذا « التصميم الهندسى » واضحاً فيه كل الوضوح

ولعل أوضح ما يوضح ذلك هو « زهرة العمر » . فهذا كتاب مكون من مجموعة رسائل إلى صديقه أندريه ؛ وليس مطلوباً في « رسائل » متفرقة أن تؤلف موضوعاً متناسقاً . فإذا هي كانت كذلك ، كان هذا دليلاً على أصالة ملكة « التنسيق الفنى » ، وظهورها حيث لا يرتقب منها الظهور

وتقرأ هذه الرسائل في تتابع فتلحظ عملية التنسيق الداخلى ، وتحس شيئاً فشيئاً أنك أمام قصة : قصة مخلوق حقيقى أو روائى ، يسير في الحياة وكأن يداً خفية تسوقه إلى مصير مرسوم ، وكلما أراد لنفسه أو أراد له أهله أو أرادت له ظروفه أن يحيد عن هذا المصير ردته هذه اليد الخفية إلى طريقه المرسوم !

شاب يريد له أهله الوظيفة بعد الليسانس فلا يوفقون ، ويبعثون به إلى أوربا للحصول على الدكتوراه ، فيجاهد في سبيلها بما يستطيع — بعد أن يغرق في الدراسات الفنية إلى أذنيه — ولكن تخونه ذاكرته في الامتحان ، وتقيض له الحياة متع المرأة الحية جيماً — مع ساشا الجميلة وسواها — فيمل هذا المتاع ويتعلق بالمرأة الأخرى التي طردته من جنتها بعد أسبوعين

وتركته يتعذب ويتلظى (لأن تعلقه بها جزء فى الطريق المرسوم طريق الفن الملعون) ويعود فيوظف وينجح فى وظيفته ويأخذ أهله أو يأخذ المجتمع فى تكبيله بقيد النجاح العملى ثم بقيد الزواج ... وهنا يستجمع المؤلف كل قوته الروائية فى المشهد الأخير وهو يستعد للوثبة النهائية وللخلاص من جميع القيود ؛ فيجمع هذه القيود فى مشهد واحد فى الرسالة الأخيرة ، قيد الوظيفه على أتمه ، وقيد الزوجية فى إبانه ، وقيد المجتمع فى احتقار الفنون ؛ وفى اللحظة نفسها يبدو كأنه نضج للفن واهتدى إلى سره وأمسك بالأسلوب الذى طال بحثه عنه ... ثم يسدل الستار بين الهتاف والتصفيق ! وبطل القصة أشبه بأبطال الروايات ، بل هو أشبه ما يكون « ببجماليون » !

هذا تنسيق يدل على أصالة فى فن التنسيق ، وهو ظاهرة ملحوظة فى « زهرة العمر » كل الظهور . وهى كذلك ملحوظة فى « يوميات نائب فى الأرياف » يمثل هذا الوضوح . وقد اخترت هذين العملين لأنهما ليسا قصة وليسا تمثيلية . فإذا توافر لهما هذا التناسق الكامل ، فأولى القصص والتمثيليات بأن يتوافر لها من أيسر سبيل . وفى « زهرة العمر » رسائل تحوى كل منهما قصة صغيرة كاملة مثل « قصته مع ساشا » يبدو فيها التناسق فى أعلى مستواه

ومعنى ثالث نعنيه « بالتنسيق الفنى » هو إحالة الحوادث والملاحظات إلى مواد فنية خامة فى « الاستوديو » الدائب العمل ! فالناس يعيشون الحياة وتوفيق الحكيم يشفق أن يعيشها وينزوى عنها مرتداً إلى نفسه ليحولها إلى عمل فنى هناك ، وكلما لحظت عينه أو نفسه مشهداً من مشاهدها لم يكن همه أن يستمتع بهذا المشهد وأن يزاوله ويضطرب فيه ، ولكن كان همه التقاطه لأنه مادة صالحة « للاستوديو » اللامين ! ومرد ذلك إلى مزاجه وتكوينه كما سلف . وكثيراً ما يكون انحراف المزاج مزية للفنان الذى يعرف كيف يحيل كل ما يصادفه إلى مادة فنية . وتوفيق من هذا القبيل . وقصة « ساشا » فى « زهرة العمر » من الأمثلة على ما نقول . وغلطة هذا المزاج هى اعتبار الفن مقابلاً للحياة لا متفاعلاً مع الحياة ؛ ولكن ليس من الضرورى أن توافق توفيق فى مزاجه لتستسيغ فنه فقد تخالفه فى الرأى والإحساس ، ولكنك تجد المتعة فى الأثر الناشئ عنهما فى الفنون

* * *

ثم نخلص إلى الحديث الخاص عن « زهرة العمر » فما قيمة هذا العمل الأخير ؟ إن هذا الكتاب يستمد قيمته التى ترفعه إلى مستوى أحسن أعمال توفيق الحكيم من ثلاثة أصول

من اللهجة الإنسانية الأليفة التى صيغت بها معظم الرسائل من الألم والشك والجهاد والقلق والاضطراب والتذبذب المستمر بين الحالات النفسية المختلفة ... هذه اللهجة التى تعقد أواصر الصداقة بين المؤلف وبين القارئ ، وتشعرهما معاً أن بينهما صلة إنسانية ، وأن الإنسان ضعيف أمام القوى الخفية التى تسيطر على أقدار الناس وخطواتهم فى هذا الكون الكبير !

ومن « التنسيق الفنى » الذى يجعل من هذه الرسائل الواقعية وحدة مطردة فى سياق روائى ، والواقع حين يكتسب التنسيق الروائى تجتمع له بساطة الصدق وجمال الفن ، وهذا واضح فى « زهرة العمر » لمن يقرؤه متنبهاً إلى التنسيق الفنى الخفى الملحوظ !

ومن البيان الحى لمرحلة التكوين الفنى الصحيح ، حتى ليصح أن يطلق على الكتاب « سفر التكوين » . فالطريق إلى النضوج الفنى طويل ، ووعر ، ومليء بالأشواك ، والفن عسير ، والذى يثبت إلى النهاية هو الذى يحق له أن يتطلع إلى النجاح بعد الجهد الجهيد ... هذه خلاصة ما يشير إليه المؤلف فى « زهرة العمر » وبدلاً من أن يلقيه نصائح وعظات ، عرضه مصوراً فى حياة إنسانية ، فكان أقرب إلى النفوس

وإذا اجتمعت هذه المزايا الثلاث لعمل أدبى كانت حسبه ليعد عملاً فنياً ذا قيمة . ولكنها لا تجتمع وحدها فى هذا الكتاب ، فهناك الومضات الفكرية والإشعاعات الشاعرية التى لا بد منها لكل عمل حتى تسلكه فى عالم الفنون

وعيب هذه المقالات المحدودة المجال أنها لا تتسع للنموذج والمثال ، فليعد القارئ إلى أعمال توفيق الحكيم وبيده هذا المفتاح الذى قصرنا عليه المقال !

(حلوان) سيد قطب

الهـــوى تحت النجوم

للأستاذ صلاح الدين المنجد

(نَشْوَى) يا حبيبتي الجميلة !
يا فراشة مزركشة فرَّت من الفردوس
يا قطرة ندى تتأرجح حالمة فوق ورق الورد
أنظرى ! فالنجوم الزُّهر يسبحن فى البحر ، كالحسان
يتغامزن ويتضاحكن ، ويتراشقن بالنور والسناء
وعبدُنا الزنجى يختلس إليهن النظرات
ووادينا يضحك بالأنس ، وبندى من المطر ، ويشرق بالضياء !
والنسيمات رشيقات يرفرفن كالعصافير ، ويقبلن الأزاهير !
فاقتربى ، نلذ الهناءة والنعيم
لعلك ترأبين الصدع ، وتواسين الجرح ، وتخففين الهموم
اقتربى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !
نشوَى يا عبقةَ الروض الجنى ، وحُـلْمَ العمر السعيد

***

شفتاك ذابلتان ، ونداهما فى شفتى
عيناك فاترتان ، والهوى فى غَزَلى
أرأيتِ عصفور الحقول ، يغدو مع الفجر الضحوك ؛ ليسرق القوت الهنى
إن شئتِ كنتُ اليوم عصفور الحقول
وقطفتُ من فمك الشهى زهر الثغور
لهّـابة كالنار ، تحيى الهوى ، تنسى الهموم .
اسمى همسات الزمان اسمى
تعالى نجعل هوانا دماً كزهراته ، أخضر رفافاً كورقاته ، متصلاً كالليالى والأيام ، ناغماً كترانيم الحمام ، صافياً كدموع الغمام
اقتربى ، فعبدنا الزنجى يحرس الوادى ، ويرعى الجبال
والهوى حلو الجنى ، فى ليلك العطرىّ يا ذات الدلال

***

نشوى ! ياُحلما زوّقْتُه بالفتون
ودميةً صنعتُها من الوهم والظنون
لِمَ يشحب الوجهُ البهىّ ، ويَرْعش الثغر الشهىّ ، إذا رأيتنى ؟
مالك مرعوبة يانشوى ؟
أهذا حفيف الصنوبر الحزين ، فى الغاب ، أم آهات صدرك؟
وتلك ومضات البرق الجريح ، فوقنا ، أم خفقات قلبك ؟
لقد تمنينا المنى حتى مللناها
فتعالى نسحقها بالوصال ، ونقتل الخوف باللقاء ، فنصبح أقوياء كالظفر ، بسامين كالنور ، تياهين كالأبطال
اقتربى
فياهناء من ارتوى من حبِّه تحت النجوم !

***

اذكرى ليلة الـكرم يانشوى
ليلة كنا نعد النجوم
وكلما قلتِ هذى نجمة
قلتُ هذى قبلة
وضممتك إلى صدرى ، ورويتك من حبى
لقد كنت ترعشين بين ذراعىّ وتبسمين ، وتتلهين عن قُـبَلى وتحـلمين
وكان قلبى يعربد تارة ويرتجف ساعة
فهمست فى أذنك الرهيفة : « سيبقى حبنا متوقداً كهذه النجوم يانشوى ، فإذا غيّبنى الثرى يوماً ، فاذكرى حبى إذا زرتِ الـكروم ، واذكرى قبَـلى إذا رنوت إلى النجوم»
فرقرقت فى عينيك الدموع ، وقلتِ : « سأذكر حبك ، وقبلك ، كلما نظرت إلى النجوم أو وطئت الـكروم »
فمالك الليلة صامتة يانشوى ؟
لا ترعبى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !

***

أين قلبك الشارد يانشوى ؟
أيضل ، وهنا يرف النور ؟
اقتربى ، ويحك اقتربى
عمرنا شعلة ، الفجر يطفئها
وهوانا ومضة ، القبر يرعشها
فَـلِمَ تبكين وبم تحلمين ؟
اقتربى نلذ لذة عاصفة ، فنطيش بها كالفراش بين الزهور ، ثم نلفظ الروح ، ونرتمى كالصدفات الفارغة ، على حفاف النهور
يا هناء من ارتوى من حبه تحت النجوم !

(القاهرة) صلاح الدين المنجد

دراسة ومقارنة

الطبيعـــة توحى
والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الطبيعة مصدر إلهام عظيم فى الأدب ، وللشعر فيها مجال فسيح . افتن بها الشعراء ، وتردد إليها الملهمون من أهل الفنون ، فوجدوا بين أحضانها منفسحاً من القول ومتسعاً من الكلام . ووجدوا فى مختلف مظاهرها صوراً تستحق التسجيل ؛ فانتضوا أقلامهم ، وجردوا ريشتهم ، يجمعون الألوان من هناك وهناك . ويؤلفون بين الظلال ، ويواءمون بين الأضواء ، ويخرجون من ذلك لوحات شعرية تمتاز من لوحات المصرين .

ولا شك أن اللوحة التى يخرجها الشاعر الموهوب يكون فيها من صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الأحساس ما لا يكون فى لوحة يخرجها رسام أو مصور .

ولقد أولع الشعراء من قديم بالطبيعة ؛ فأووا إليها وصوروها فى شعرهم تارة باسمة ، وأخرى عابسة ساخطة . ووصفوها على اختلاف الحالين كما فعل هوميروس فى الإلياذة ، فلم يجعلها ملحمة فقط للحروب والغارات ؛ ولكنها كانت معرضاً لألوان شتى من الطبيعة .

ولم يغفل شعراء العرب فى الجاهلية وصف الطبيعة ؛ ولكن اللوحات التى خلفوها لنا ليست من التنوع والكثرة وخصب الألوان وغناها بحيث تستحق أن نطيل الوقوف عندها والتحدث عنها . ولكنها على كل حال لوحات صادقة التصوير لتلك البيئة .

ولو قد أطال الشاعر الجاهلى تأملاته إلى الطبيعة ، وأمعن التفكير فى ظواهرها ، وعود نفسه السكون إليها والأنس بها والتحديق فيها لأخرج لنا صوراً رائعة من تلك الفيافى الممتدة ، والرمال المتناثرة والصخور العارية ، كما فعل الشاعر « توماس هاردى » فى بعض قصصه وفى كثير من أشعاره . فقد صور منطقة « المور » فى جنوبى انجلترا تصويراً صادقاً ؛ وهى إقليم مملوء بالصخور الموحشة ، والأشواك الجافة ، والوحشة الرهيبة .

ولكن ريشة « هاردى » استطاعت أن تقلب وحشة هذا الإقليم أنساً ، وأن تخرج من تلك الطبيعة الجافة الخشنة ألواناً تعجب النفس . ولهذا تهافت السياح والزوار على مشاهدة هـذا الإقليم بعد ما قرءوا رواية هاردى التى عنوانها « عودة المواطن »

وقد ترتبط ذكريات خاصة ببعض الأمكنة أو ما دار فيها من حوادث ، ويحن إلى الماضى الذى انطوى فى غبار اليوم ، كما فعل « امرؤ القيس » فى يوم الغدير بدارة جلجل . فقد أشار إلى ذلك فى بيت واحد من معلقته التى تبلغ الثمانين بيتاً . والبيت هو :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

وكان حق امرىء القيس أن يقف طويلاً عند هذا الغدير ، لا أن يمر عليه مرورا عابراً سريعاً ؛ ولكن شاعراً فرنسياً كان له مثل هذا الموقف فصنع قصيدة عنوانها « البحيرة » . والبحيرة هى بحيرة ليمان بسويسرا ، والشاعر هو « لامارتين »

والبحيرات والغُدُر والبرك كانت وحياً وإلهاما للشعراء فى كل أمة وجيل ؛ فامرؤ القيس يشير إشارة سريعة إلى دارة جلجل وغديرها ؛ والبحترى يصف بركة المتوكل على الله العباسى فى قصيدة واحدة ، ويطول فيها نفسه ويجود فيها وصفه ، فيقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريّق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

والسرىّ الرفاء الموصلى الذى خرج من الموصل إلى حلب واتصل بسيف الدولة بن حمدان له شعر جميل فى وصف الغُدُر والبرك والمياه . وقلّ أن تجد لشاعر عربى ما للسرى من الشعر فى البحيرات كثرةً وإجادةً .

ولعبد الله بن المعتز الشاعر الحسن التشبيه الكثير الوصف شعر فى البحيرات ، إلا أن الصنعة تغلب عليه وتعمُّل التشبيه يلوح فيه . ولو أنه أطلق الوصف على سجيته ، وأرسله على فطرته لكان شعراً تصويرياً للطبيعة التى أولع ابن المعتز بتصوير كثير من مظاهرها . فإذا سمعته يقول :

غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصَّبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهبا

بدا لك أثر الصنعة . وأين هذا من قول البحترى فى المعنى نفسه :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

* * *

ولقد أوحت بحيرات سويسرا الجميلة إلى كثيرين من الشعراء أمثال « لامارتين الفرنسى » « واللورد بيرون » ، «وشيلى» الإنجليزيين . واللورد بيرون له فى رحلته الأولى إلى جنوبى أوربا أشعار طبعها ما بين سنتى ١٨١٢ ، ١٨١٨ . وفيها إشارات جميلة إلى ذكرياته السعيدة على بحيرات سويسرة

وفى هذه المناسبة أستطيع أن أذكر اسم الكاتب الأمريكى « هنرى دافيد ثورو » الذى نزح من المدينة الصاخبة سنة ١٨٤٥ إلى غدير (والدن) وغابته الفيحاء ؛ ووجد فى زقزقة الطيور ، وطنين الحشرات ، وخرير المياه وحفيف الشجر أنساً لنفسه الظامئة إلى رحيق الطبيعة . وله فى ذلك كتاب اسمه « والدن » The Walden كتبه بالنثر إلا إنه يفيض بالشعور والأحاسيس والفناء الكلى فى الطبيعة وتقديسها كما تقدس الآلهة

ولا نجد شاعراً - فيما نعرف من الأدب العربى والإنجليزى والفرنسى - أعطى من نفسه وشعره للبحيرات والغدر ومساقط المياه ما أعطاه الشاعر الإنجليزى « وليام وردسورث » لمنطقة البحيرات الإنجليزية المعروفة باسم Lake District

كان « وردسورث » شاعر الطبيعة فى أى مظهر من مظاهرها ، وكان يعتقد أن الطبيعة تمحى الإنسان من الشرور ، وتجعل الخير أليفاً عنده حبيباً لديه ، كما أشار إلى ذلك فى ديوانه المعروف « الفاتحة » Prelude . ولهذا قضى حياته جوالاً فى منازه أوربا وانجلترا . وعاش فى قرية «جراسمير» بين البحيرات الإنجليزية التى ألهمته ديوانه المعروف باسم « شعر البحيرات » ودفن هناك فى الأرض التى ألهمته ، وأوحت إليه أسرار جمالها . وقد أتيح لى أن أزور قبره وقبر شقيقته فى تلك البقعة الجميلة الهادئة من بقاع شمالى انجلترا

ومنطقة البحيرات الإنجليزية مدينة فى التعريف بجمالها للكاتب النقاد « جون رسكين » الذى أدرك «وردسورث» وعاش بعده زماناً ؛ فقد أبان للانجليز جمال هذه المنطقة مما جعل أغنياءهم يشدون إليها الرحال بدلاً من زيارة بحيرات سويسرة . ولهذا أقام له الإنجليز فى تلك المنطقة تمثالاً اعترافاً بفضله ووفاء لحقه

* * *

أما وصف السماء والنجوم والسحاب والمطر والرعد والبرق والليل ، فقد ورد كثيراً فى شعر العرب . وهو وصف مجرد لا تمسه عاطفة ، ولا تدخله خوالج النفس ولا هزات الحس . ولكنه على كل حال تصوير صادق ، كثير الإحاطة للتفاصيل . ومن فرسان هذا الميدان ابن خفاجة الأندلسى والسرى الرفاء الموصلى وأبو تمام الذى أكثر من وصف الغيث والسحاب ، وابن الرومى ، وابن المعتز الذى يقول فى وصف سحابة

وموقرة بثقل الماء جاءت تهادى فوق أعناق الرياح
كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه تفتح بينه نُوَر الأقاحى

ولأبى تمام هذه الأبيات الرائعة فى وصف الغيث :

لما بدت للأرض من قريب تشوقت لو بلها المسكوب
تشوق المريض للطبيب وطرب المحب للحبيب
وفرحة الأديب بالأديب وخيمت صادقة الشؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب وحنت الريح حنين النوب
والشمس ذات حاجب محجوب قد غربت من غير ما غروب
والأرض من ردائها القشيب فى زاهر من نبتها رطيب

ومن شعراء الإنجليز فى هذا الباب « شيلى » وله قصيدة عنوانها « إلى الليل » ، وهى من النوع العاطفى ؛ والشاعر « جراى » وله « أغنية الربيع » ، والشاعر « كيتس » وله « أغنية الخريف » ، والشاعر « كامبل » وله « أغنية الشتاء » . وهو شعر يذكرنا بما قاله البحترى فى وصف الليل والربيع .

ويذكرنا كذلك بقصائد رائعة للسرى الرفاء وأبى تمام والبحترى وابن الرومى فى وصف الربيع والخريف والشتاء والسحاب ، وهو شعر منثور فى مواضع من دواوينهم ومن السهل الرجوع إليه .

أما البحر ذلك الخضم الواسع الذى يقصر الطرف عن إدراك مداه ، وتعجز السنون عن سبر أغواره ، فقد كان له من الشعر العربى نصيب ، إلا أنه ضئيل ، وقد أشار إليه امرؤ القيس إشارة عابرة فى معلقته وهو يشبه الليل بموجه ، كما وصفه ابن خفاجة الأندلسى بثلاثة أبيات . ووصفه الشاعر الأندلسى يحيى ابن الحكم البكرى المشهور بالغزال فى قصيدة طويلة قالها يصف رحلته إلى القسطنطينية موفداً من قبل الخليفة عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام سنة ٢٢٥ هـ إلى قيصر أمبراطور الروم فى مهمة سياسية ، والقصيدة لطيفة البحر والتصوير ، ومنها :

قال لى يحيى وصرنا   بين موج كالجبـــال
وتولتنــــا رياح   من دبور وشمـال
شـقت القلعين وانبتَّـــت   عرى تلك الحبال
وتمطَّى ملك المو   ت إلينا عن حيـال
فرأينا الموت رأى الـ   عين حالاً بعـد حال

ولم يذكر نفح « الطيب » من القصيدة إلا أحد عشر بيتاً اخترنا منها هذه الخمسة . وهى فى الجزء الأول ص ٤٤٤

وللدكتور جورج صوايا من شعراء المهجر فى أمريكا الجنوبية قصيدة فى البحر المتوسط تجدها فى الصفحة التاسعة وما بعدها من ديوانه « همس الشاعر » المطبوع فى « بونس أيرس » ألا إنها ضعيفة الصياغة ، على الرغم من حفولها ببعض المعانى التى توحيها وقفة أمام هذا البحر الذى شهد ازدهار حضارات ومصارع دولات

وأحجم شاعر أو — ناظم — عن ركوب البحر خشية أن يذوب فيه ، لأنه من طين ... ! ولكن شوقى وحافظ ركبا البحر ووصفاه . ولحافظ رائيته التى مطلعها :

عاصف يرتمى وبحر يغير   أنا بالله منهما مستجير

ألا إن ذلك قليل على الشعر العربى ، وأين ذلك من قصيدة « وردسورث » التى عنوانها « على شاطىء البحر » ؟

أما الرياض والأشجار والأزهار ، فلم يترك شعراء العرب نوعاً منها إلا وصفوه ، فابن خفاجة له فى شجر النارنج والأراك والريحان شعر كثير . والسرى الرفاء له شعر كثير جداً فى وصف الرياض والبساتين والنرجس وشجر الليمون وزهر السوسن والورد وشقائق النعمان والأترج والنخيل ورياض الموصل ومتنزهات الشام

وتلك ناحية فى الشعر العربي تذكرنا بشعر « هريك » فى النوار والبراعم ، وبقصيدته الفاتنة فى زهرة « الدافودلس » التى يفتتحها ويختتمها بهذين البيتين :

أيتها الزهرة الجميلة ! نحن نبكى لأن نراك
تسرعين الخطوات إلى الذبول
مثل أمطار الصيف أو قطرات الندى
التى تمضى إلى غير رجوع

كما تذكرنا بقصيدة « مارفل » الإنجليزي التى عنوانها « أفكار فى حديقة »

ولقد أخذ الشعور بوصف الطبيعة يزداد عند نفر من شعراء المشرق ، وشاع عند شعراء المغرب ؛ وظهرت الطبيعة مجلوة فى شعر أمثال ابن خفاجة وابن حمديس وابن جهور وابن زيدون وابن عبدون وابن سهل . وهذا الأخير كان يمزج فى شعره بين وصف الطبيعة ووصف العواطف وخلجات النفس كما يفعل الفرنسيون أمثال : هوجو ، ولامارتين ، والكونت دى ليل ، وألفريد دى موسيه . ولكن الفرق بعيد ..

ولقد ظهر فى مصر فى أيامنا هذه (الشاعر الهمشرى) ، الذى عنى بتصوير الطبيعة المصرية فى مختلف صورها . تسمع وترى وتحس وتشم فى شعره كل شىء فى الطبيعة ، حتى رائحة الكلأ . وكان يرجى له فى هذا الباب مجال ، وتناط به آمال لولا أن الموت عاجله وهو نضير الشباب

ولعل قراء العربية يجدون فى شاعر آخر « شاعر البرارى » مثالاً لشاعر الطبيعة المصرية البحت الذى يغنى على قيثارتها فى كل مكان .

محمد عبد الغنى حسن

شلى

[سيبقى شعرك ينبوع الأرواح
الظامئة ، لأنك روح ظامئ]

للأستاذ محي الدين السامرائي

بعض العباقرة لا نكاد نفهمهم الفهم الدقيق النافذ ، إلا إذا فهمنا أطوار حيواتهم فنربطها بتجاربهم الميتافيزقية الخفية ، والاختلاجات النفسية ، لندرك ما وراء الحس فى حياة كل عبقرى من صدام وصراع.

وشلى أحد أولئك الذين تعيننا تراجمهم على كشف البواعث والولائد فى أطباق نفوسهم القصية إذا ما أراد أحدنا درس واحد منهم دراسة عميقة ، يقوم أساسها على الفهم الحي للعنصر الوجداني الدفين المستتر فى قرارة كل نفس ، ليخرجه إلى عالم النور

وإذاً ، فقد ولد هذا العبقرى الثائر فى الرابع من أغسطس عام ١٧٩٢ فى ورشهام ، بين الأحراج النضرة والمراعى الجميلة ؛ فنشأ فى أحضان الطبيعة القروية الساذجة ، فاستشف مكامن الروعة من الكون بعينين ناعستين « كأنما أثقلهما وسن حالم عميق » ، كما يقول أحد نقاده المعاصرين . ثم سافر حدثاً ليلتحق بكلية (إتون) باكسفورد ، فبرم من تقاليدها المدرسية الرتيبة(١) ، وحاول مراراً التخلص منها ، ولكن إرادة والده حالت دون ذاك ؛ إلى أن نشر رسالة عن « ضرورة الإلحاد » وذلك عام ١٨١١ ، هاجم فيها العقائد والأديان ، وسخر من جميع المثل السائدة فى عصره ، وبشّر بضرورة تحطيم اللاهوت المسيحى وسحقه ؛ فما كان من الجامعة إلا أن أقصته عنها ، فغادرها وفى نفسه حزن عميق من السخرية والسخط اللذين أثارهما بيديه من الأساتذة ورفاقه الطلاب . وهنا فعل الكبت فعله العجيب فى مطاوى هذه النفس الحساسة النزوع . ومنذ هذا الوقت مضى طليقاً ينظم الشعر ويقرأ الميثولوجيا اليونانية والآثار الكلاسيكية ، ولا سيما أفلاطون وأسخيلوس اللذين أعجب بهما كثيراً ، وصاحبهما طوال حياته ؛ فأشربت روحه هذه الثقافة الحية المفعمة بدوافع الفن والحياة . وبقى يتنقل بين أقطار أوربا بعد أن ودع انجلترا إلى غير رجعة ، حتى وطئت قدماه أرض إيطاليا الجميلة ، فاتخذها مقراً له ، بصحبة زوجه ابنة الفيلسوف الإنجليزى وليم كودون ؛ وهنالك استكمل تكوينه الفنى المدهش فبقى يبدع الروائع الشعرية السامية دراكاً حتى وافته المنية غريقاً فى ليجهورن على شاطئ سبيزا وذلك فى الثامن من (يولية) عام ١٨٢٢ وقيل بل مات منتحراً أثر اضطراب نفسانى أصابه ، يأساً من حياته المترعة بالآلام والأوصاب . فأحرقت جثته فى حضرة صديقه العظيم بيرون ، ودفنت بقاياه ، حيث كتب على قبره باللاتينية : « هنا يرقد قلب القلوب الشاعر بيرسى بيش شلى » وفى أسفل منها بيت من شعره يقول : «لقد عاش ومات وغنى وحيداً »

وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر المستوحد الغريب بفاجعة من أعنف الفواجع التى عرفها تاريخ الأدب الحديث

* * *

ما كان شلى ممن يأخذ بدخيلات عصره ، وتوافه بيئته ؛ فقد عاش ما عاش هائماً فى أجواء نفسه ، وأقطار أوهامه ، « مأخوذاً بالسماء الكوكبة الساطعة بالأنوار » وبكل مظهر من مظاهر هذا الوجود الرحيب . فأثر ذلك تأثيراً عميقاً فى روحه الفنية ، وطبعه بتلك الانطباعات المتسعرة التى اعتصرت روحه العبقرى على أساس من الثورة والألم ، إلى جانب تشاؤم فى الحساسية عميق ، أشعره بآلام العصر الذى يضطرب فيه ، وشاع فى جوانب نفسه ميولاً متدفقة قوية ، ولكنها تتأرجح بين « الشواطئ الزرق البعيدة الحالمة » ، وبين « الجروف الصخرية الصماء »

فلخص ما يقوله الأستاذ الفيلسوف هوايتهيد فيه : أنه مؤمن بالعلم التجريبى يعالج الطبيعة ومظاهرها تحت ضوئه ، فى الحين الذى يستند فيه إلى المذاهب المثالية الأخرى مثل : كانت ، بركلى ، أفلاطون

فهو مزيج من نوازع متباينة تتجاذبه ، فمن الناحية الواحدة نزعة إغريقية قوية تؤمن بالطبيعة وتقدسها ، ومن الناحية

(١) اختارها الأستاذ الزيات مقابل الكلمة الفرنجية routine

الأخرى إحساس دينى عميق يربط مظاهر الوجود فى وحدة كيانية واحدة Pantheism

« عندئذ اتحد الجسم بالروح

وعرت كيان « أيانث » رعشة رقيقة

فأطقت جفنيها المحتقنين بهدوء

وعند ذاك توقفت الأجرام المعتمة الزرقاء ... »[1]

ومن هنا كانت ابتداعيته الطامحة ، القلقة ، المشرئبة إلى مثل إنسانى يحرر النفس ويعتقها من ربقة المادة ، وهدآته النفسانية المحلقة فى عالم الأحلام : عالم المثل الرفيعة ، حيث الحقائق متلاحمة يعروها الغموض . فشعره صورة صادقة للرومانتيكية التى تغلب الإبهام obscurity على الوضوح ، ولو أنها لا تمت إلى الرمزية بصلة ما . فهى تسبغ صفة الجلال sublimity على كل شىء ، وتنتصر الباطن من الظاهر ؛ فهى « رومانتيكية صوفية » بالمعنى الدقيق . وأكبر مظاهرها ، ذلك الطرب الساذج — الذى يقرب من العبادة — لغرائب الطبيعة ، والتمجيد المنيف لصور الوجود ، الذى يذهب بنا إلى حالة انقياد روحى شديد ، هى من أسرار الطلاقة الفنية فى شعره . ويظهر هذا الأثر واضحاً فى قصائده الأخيرة : القبرة ، وانتصار الحياة ، وأبيسكديون التى حار النقاد فيها ، ومنظومتى هيلاس ورمنيوس ، التى يصور فيها الجبروت الإبليسى فى شخصية البطل الخرافى بريشة تفوق ريشة ملتون فى تصوير إبليسه

وفى الطور الأخير من حياته تأخذ « صوفية شلى الرومانيكية » شكلها الأخير ؛ إذ يخضع للقوى اللاواعية السلبية فى النفس ، فيستشعر الألفة والانسجام فى صلب الوجود العام ، ويدرك أن هناك عقلاً سامياً وراء كل شىء ، تتوقف السعادة الدائمة بالاتحاد الحى به — كما يعبر الصوفيون — بعد أن أنكر ذلك من قبل . وتحت تأثير هذا الشعور الجديد فى كيانه ، نظم أغنيته الفذة أبيسكديون ، التى هى « نشيد باطن » لتلك

الروح التواقة لذلك الحب المثالى السامى ، ولو أن فيها بعض الأثر من شلى القديم . وقد يخطىء من يظن أن شلى هنا ، يبحث عن الحب الحسى الأرضى ؛ فما الحب الذى يفتقده إلا الحب الروحى المغرق فى المثالية الزاخرة بأحفل العواطف والأشواق ، حيث العناق المكين بين الزائل الفانى والخالد الباقى ... « كل شىء يحول إلا إياك أيها الحب ... »

والآن استمع لشلى صاحب « ضرورة الإلحاد » ، ينشد فى آخر سنيه على لسان « النبى محمد » فى افتتاحية منظومته السامية هيلاس إذ يقول :

أسرعوا واملأوا الهلال الباهت

بالأنوار الحادة ، كتلك التى شقت عتمة ذلك

الليل المسيحى الذى انسحب إلى الغرب

حيث امتطى القمر المشرق صهوة النصر ...

ألا فلتحل اللعنة على أولئك الذين ديدنهم الإشراك وتقسيم الإله الأعلى المتعالى ...

فشعره — كما يبدو لأول وهلة — مزيج من الرومانتيكية الجامحة والتصوف الرزين ، مزيج من الأنوار والظلال ، ومن العقل والجنون ؛ لخياله المحلق النفور قد عصف بكل الفواصل الأرضية ، فانقطعت الصلة بينه وبين أكثر القراء . حتى أن النقادة الكبير « ماتيو أرنولد » أطلق عليه لقب « الشاعر السماوى المجنون » ، إذ عاش حالماً بعوالم أثيرية قصية ، مفعمة بأنفاس المحبة والجمال ، (محدقاً بشفق الحياة النائم) — وقد كرر هذا المعنى فى شعره كثيراً —

ألا نهيم يا حبيبتى

نحو غابة الشفق .

حيث يتعالى القمر الوضىء ؛

وهنالك سأهمس إليك

فى هواء الليل البارد

ما لست قادراً على البوح به فى النور ؟ »

ولقد اختلف النقاد فى تقدير ملكة شلى الفنية اختلافاً كبيراً ، فهاجمه كثير منهم ، أمثال صديقه الخائن « هوج » و « بيكوك » وغيرهما . بينما انتصر له النقادة الكبير ماتيو

(١) يحدثنا الأستاذ « ول دورانت » صاحب كتاب قصة الفلسفة : أن شلى شرع فعلا يترجم كتاب « إسبينوزا » « رسالة عن الدين والدولة » ، وهى أهم مؤلفات فيلسوف وحدة الوجود الأكبر بعد كتابه « الأخلاق » . وقد استشهد كثيراً بأقواله فى الملاحظات الفلسفية التى وضعها لقصيدته هذه التى عنوانها « الملكة مب » .

أرنولد وأنصفه من أعدائه . كما أن الكاتب الكبير لورد ماكولى كتب عنه يقول : إن شعر شلى لم يكن فناً وحسب ، إن هو إلا وحى . أما البروفسور إيفور إيفانس أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة لندن ، فقد رفعه إلى رتبة النبوة فى شعره ، واعتبره من أصحاب الرسالات المثلى فى تاريخ البشرية

ومهما يكن من رأى النقاد فيه ، فالحقيقة أن فيه عنصراً غير عادى ، هو الذى حمل معاصريه على أن يروا فيه — على رأى ستيفن سبندر — رجلاً هستيرى المزاج ، منحرف السريرة ، مزيجاً من الغول والإنسان ، حتى أن رفاقه فى المدرسة زروا عليه شذوذ سلوكه واندفاعاته الطائشة ، فلقبوه بـ « شلى المجنون » ، كما أن مؤسسة (شانسرى) قررت حضانة ابنته من زوجه الأولى ، بحجة أنه رجل مهوس مخبول ، ليس أهلاً لإعالة إنسان . وفى ذلك — كما يبدو لنا — مظهر من مظاهر العبقرية السامقة التى لا تخضع لمقاييس الناس وموازينهم . أو ليست العبقرية — قبل كل شىء — انطلاقاً من كل قيد ، وشروداً عن كل مصطلح ومألوف ؟

أما عقيدة شلى الفلسفية ورسالته التى بشر العالم بها فلها قصة طويلة لا نستطيع جلوها ناصعة إلا عن طريق الدراسة الدقيقة لشعره فى مختلف أطواره الروحية . مع أنه ـ بالحقيقة ـ ليس صاحب فلسفة متبلورة ناضجة ذات حدود ، إن هى فى مجموعها إلا تجارب نفسية متباينة ذات أصباغ مشوشة غامضة

فشلى يرى ظواهر الوجود سيلاً مندفعاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد لأى لحظة واحدة من الزمان . فهو — إذا شئنا الدقة الفلسفية — خَلق مستمر ، وامتداد من عالم الحرية إلى عالم الحتمية والضرورة .

« الكون السرمدى لهذه الأشياء
يتراكض خلال العقل ، ويضرب بأمواجه الخاطفة .
آونة قاتمة ، وآونة ملتمعة ؛ حيناً تقبض النفس ،
وحيناً تنيرها ... ...
كجدول رقراق يأخذ سمته ، خلال الغاب الكثيف
وبين الجبال ، حيث الشلالات المتدافعة حولها إلى الأبد ،
وحيث الغاب والريح يتصارعان ؛ يندفع النهر الكبير

دائباً على الصخور بلا انقطاع ، وهذه الكائنات — وفيها الإنسان — « كسحب تغشى القمر الليلى ،
وسرعان ما تنقشع ، فتلتمع ، ثم ترتعش ،
فتفرى الظلام بلألائها ! ثم يطبق الليل
ثانية ... فتضيع هاتيك السحب إلى الأبد .
... ألا إن أمس الإنسان لا يشبه غده
فهو لن يعانى غير التغير المستديم . »

أما حيال ذلك السر المحجب القديم : سر هذا الوجود ، ماذا يحول ؟ وأيان منتهاه ؟ فكثيراً ما وقف واجماً مبهوتاً ، لا يرى غير ظلمات يركب بعضها بعضاً .

« يا أشباح الموتى ! ألم أسمع عويلك المرتفع مع أنفاس الليل الدائرة ، حيث تشتد العاصفة على الأثير المظلم
وعلى الريح الرخية يتلاشى هزيم الرعد ؟
ألا ما أكثر ما وقفت على قمة جورا المظلمة العابسة فوق الوادى المنفرج فى الحضيض .
وما أكثر ما صمدت أمام ثورة إعصار الليل القارس
إذ يحوطنى ، كما يبدو لى ، رجع أصداء الموت الهامسة ! »

فالموت يطارد جميع الكائنات « بأقدام لاهبة وأنفاس باردة صفراء » ، حتى الشموس والأفلاك يصيبها الخمود والاندثار :

« أخبرنى أيها الكوكب ذو الأجنحة النورانية
المسرعة بك فى دورانك المشتعل ،
فى أى من كهوف الليل ستنطوى أجنحتك
وأنت أيها القمر الأشيب الهزيل
فى أية أعماق من الليل أو النهار
تطلب الراحة والسكون ؟ ... »

لا ! لن يقوى أمام ناموس الفناء غير « ذلك النور السماوى المؤتلق إلى الأبد » ؛ أما الظلال الأرضية « فتتناثر بدداً تحت وطء الموت ... بينما تبقى روح أدونيس مشتعلة فى أعمق أطباق السماء كالكوكب هاد حيث الخالد الباقى . »

. . . وأخيراً طوته ظلمة الموت بعد أن ترك للعالم تجربة حية صادقة ، وسجل لنا اعترافاً روحياً طويلاً مكتوباً بدم القلب

(بغداد) محى الدين السامرائى

على ضفاف الجحيم

[إلى ذلك الروح الذى نفث القدر
فى دمى معناه فأخرس كبريائى ومزق رغبائى
وصرب على مشاعرى جواً من الضباب ،
تخبط فيه حكمتى وتتعثر أشواقى]

علام أبعث للدنيا بأنغامى ... لا الظل ظلى ولا الأنسام أنسامى
لا الشمس فى صحوتى أسمى بموكبها ... ولا الحقيقة فى آفاق إلهامى
هيمان أطوى الليالى البيض فى سغب ... تفلسفُ الوزر والحرمان أوهامى
حيران تصطرع الأهواء فى خلدى ... وساوس الشك فى صحوى وأحلامى
موزَّع العقل والوجدان ذو أمل ... مشترد الرأى أفّاق الخطى ظامى
موزَّع الحس مخدور المنى شَرِقٌ ... مفزَّع القول هدَّامٌ لأصنامى
دنياى خلوٌ من الأفراح يا عجباً ... علام أبعث للدنيا بأنغامى

***

هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى ... وعربد الشك فى عقلى ووجدانى
بالأمس كنت هنا قديس حانتهم ... أحدو الجنون وأحدوها بألحانى
أجامل الزور فى أفواه من شربوا ... وآخذ القول بهتاناً ببهتان
جُنَّ الجميع فهذا عبد شهوته ... وذاك تاجر زهدٍ بين رهبان
لباقة الراح هاجت إفك مسرحهم ... كلٌ وفى يده مصباح شيطان
حقيقتى فوق مافى الكأس من سَكَرٍ ... فلم أُجَنَّ ولكن جُنَّ حرمانى
من لى بسبعة أيقاظ لأنشدهم ... هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى

***

يا وحدتى بين نادى الصحب والآل ... كلٌ بمثل ولم أظفر بأمثال
أنا الغريب ونفسى فى مجاهلها ... حيرى تَلَفّتُ عن قومى وآمالى
تهفو إلى النور فى جوع وفى ظمإٍ ... كأنها ذلة فى وجه رئبال
تمضى على الشوك لا تشكو تعثرها ... ولا يفزّعها تحويم أهوالى
مضى الشباب سُدىً ما كان أجمله ... لو لم أُقضِّ سنيه بين أغلالى
طويت أيامه إثماً وسخريةً ... أصانع الإفك فى حلى وترحالى
من يفهم النفس إن أنضت بقولتها : ... يا وحدتى بين نادى الصحب والآل

***

أخرجت من معبد الأوهام خفّاق ... وعشت فى حكمتى مجنون آفاق
هدمت محرابى الأسمى وكم سجدت ... على قداسته روحى وأشواقى
أحرقت إنجيله كفراً وكم خشعت ... نفسى لما فيه من نور وإشراق
ماتت صلاتى وكانت آيُها سكناً ... لما أكابد من يأس وإملاق
خلا المصلى وطافت حول هيكله ... معالم الجد فى صمت وإطراق
وأطفأ المعبد الوضاء راهبه ... وودع القدس فى زيغ وإشفاق
وأرسل الحكمة الهوجاء هاتفة : ... أخرجت من معبد الأوهام خفاق

(كلية الآداب) **محمد العبوشى**



بين الدين والعلم في ختان الأنثى

قرأت كلمتين في العدد — ٥٤٨ — من مجلة الرسالة الغراء: إحداهما للدكتور أسامة، والثانية للأستاذ محمد أحمد الغمراوي، فأما الدكتور أسامة فقد عاد إلى بحث ختان الأنثى من الناحية الدينية، ونحن لا نريد هذا منه، وإنما نريد منه أن يبين لنا رأى غيره من الأطباء في هذا الختان، لأن رأيه وحده فيه لا يفيد القطع في هذه المسألة من الناحية الطبية، ولا بد من الوصول إلى رأى قاطع فيها من هذه الناحية قبل بحثها من الناحية الدينية

وأما الأستاذ الغمراوي فلا أدرى ما يأخذه على وقد مضى يعالج مسألة الختان على طريقتي من التوفيق بين الدين والعلم، وخالف طريقة من رددت عليه حين يريد أن يثبت أن هذه المسألة من الدين، ولا يريد أن يعالجها من ناحية العلم، بل يرى دكتوراً فاضلاً يريد أن يوفق بين الدين وبين ما يراه مخالفاً له في الطب، فيقطع عليه طريق هذا التوفيق، ولا يقول له إلا أن مسألة الختان من الدين؛ فإن معنى هذا أن حكم الطب فيها لا يعبأ به، وهذه هي الطريقة التي قلت إن الدين لا يخدم بها، وقلت إنها تخالف ما اعتمده سلفنا الصالح في تعارض دليل العقل ودليل النقل

ومن العجيب أن يقول الأستاذ الغمراوي: إن قراراً إجماعياً لو صدر من الأطباء بتأييد الدكتور أسامة لا يغير من الحكم شيئاً في هذه المسألة بالذات، ثم يمضي بعد هذا في محاولة التوفيق بين الطب والدين في مسألة الختان، وهذا تناقض لا أدرى كيف وقع فيه. وقد يعقل أن يأخذ الإنسان في هذه المسألة بحكم الطب ولو خالف الدين، وأن يأخذ فيها بحكم الدين ولو خالف الطب، ولكنه لا يعقل أن يضرب بإجماع الأطباء فيها لو حصل عرض الحائط ثم يمضي في محاولة التوفيق فيها بين الطب والدين، ولكن الأستاذ الغمراوي يريد أن يمسك بذيل الرجعية والتجديد معاً، وأن يجمع بين إعجاب الرجعيين به والمجددين، وهو في هذا كمن يحاول الجمع بين الضدين

عبد المتعال الصعيدي

ختان البنات بين الطب والدين

فائدة الختان تتلخص طبياً فيما يأتي:

أولاً — الافراز الدهني المنفرز من الشفرين الصغيرين وجزء من البظر إن لم تقطع في الختان تتجمع وتتزنخ ويكون لها رائحة غير مقبولة وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول، ورأيت حالات كثيرة بهذه الالتهابات في بعض السيدات سببها عدم الختان

ثانياً — هذا القطع يقلل الحساسية الجنسية للبنت، حيث لا شيء لديها ينشأ عنه احتكاك جالب للاشتهاء، وحينئذ لا تصير البنت عصبية من صغرها

وإن عملية الختان لا تقطع البظر من جذره بل تقطع جزءاً منه؛ فهي تقطع الحشفة وجزءاً من العضو، وهذا الجزء الأعلى هو ذو الحساسية الشديدة، ثم يبقى جزء منه توجد فيه أيضاً الحساسية ولكنها أقل أثراً

ويقول الدكتور الفاضل أسامة (إن إزالة البظر يحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكاً فيها، ولكنه يحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح باللذة الجنسية) ولكن الحقيقة التي لا مرية فيها أن الفتاة التي استهدفت لعملية الختان قلت فيها حساسية الشهوة بخلاف التي لم يحدث لها الختان فإن أي احتكاك (بالبظر) حتى بثوبها يحرك فيها حساسية شديدة ربما لا يؤمن جانبها في الفتيات. وأما قوله إن المتزوجة تحرم من الشعور الصحيح باللذة الجنسية، فهذا غير صحيح؛ فالشعور لا زال فيها لكنه شعور غير فياض رزين غير عابث، مضبوط زمامه غير منفلت

ثم إن حضرة الدكتور يقول إن الجاذبية الجنسية لا تحدث من الأعضاء التناسلية الخارجة، وإنما تحدث من الصفات الجنسية الثانوية، وهي في الأنثى جمال الوجه. الخ.

إذاً فالتأثير الجنسي لم ينعدم في المرأة بعد ختانها إنما وجد بمقدار إن زاد أضر بها

هذا هو رأى الطب فى ختان البنات فانظروا إلى رأي الدين :

يقول صلى الله عليه وسلم (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) . وأية مكرمة للنساء أفضل من هذه المكرمة التى تضبط شهواتهن وتقلل من اشتهائهن ، وفى الوقت نفسه لا تحرمهن لذاتهن .

ثم انظروا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجرت النساء ، وكان فيهن امرأة يقال لها أم حبيبة ، وكانت تختن الجوارى ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟ فقالت نعم يارسول الله إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه ، قال بل هو حلال ، فادنى منى حتى أعلمك . فدنت منه فقال يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى ، فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج .

فانظروا إلى كلمة (لا تنهكى) أى لا تستأصلى . أليس فى هذا الحديث معجزة تنطق عن نفسها ، وتدل بوجهها ، فلم يكن الطب قد أظهر شيئاً عن هذا العضو الحساس (البظر) ولا التشريح أبان عن الأعصاب التى فيه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى علمه العليم الخبير ، عرف ذلك فأمر ألا يستأصل العضو كله حتى لا يفقد الحساسية جميعها

فأى تعارض بين الطب والدين فى هذا ؟ أما عن قول الدكتور عن أضرار الخطر الجراحى كالنزيف ، فهذا أيضاً فى ختان الذكور وإن كان حضرته لا يمانع فيه فى الذكور فما كان هذا الضرر الممكن منبعه ليمنع هذه الفائدة . وها نحن نرى هذه العملية تعمل يومياً بين نساء جاهلات ولم نر أضراراً كثيرة بل قل أن تنزف منها فتاة

وختاماً أخالف الدكتور أسامة فى رأيه ، وأرى أن ختان البنت مكرمة لها ، وأقول إنني ما رأيت الدين يدعو إلى شيء إلا وجدت الطب يتبعه فى ذلك ، ولمن يريد التثبت من ذلك أن يقرأ كتابى (الطب الحديث يترسم خطى الإسلام) وكتابى (الحمل وخلقته الإنسانية بين الطب الحديث والقرآن) فيرى صدق ما أرمى إليه والسلام .

الدكتور
حامد البدرى الغوابى
طبيب أول رعاية الطفل ببني سويف

نبغاء الأقزام فى رسالة الغفران

فى أكثر اللغات مثل سائر أو كلمة مأثورة أو أطروفة ضاحكة تؤكد للأقزام وقصار القامة من الناس الذكاء والنبوغ وحدة الذهن والحيوية . حتى لتكاد كلمة قصير تصبح بنفسها علماً على العبقرية أو مرادفة لها . والإحصاء نفسه يبرهن عليه . وفى ذلك بحث طريف لم يتنبه له الكتاب بعد ولم يقيموا له بحثاً بذاته على ما فيه من سعة وعمق وإمتاع

دعانى إلى هذا التقديم كتاب ظهر منذ أيام باللغة الإنكليزية مترجماً عن العربية تعاون على إخراجه أقزام ثلاثة مشهورون ، بدأه أولهم قبل ألف سنة وأتمه الآخران منذ أيام . هؤلاء الأقزام الثلاثة هم : أبو العلاء المعرى وكامل كيلانى ومستر براكنبورى . وضع أبو العلاء رسالة الغفران وقذفها فى تيار الفكر الإنسانى تنحدر مع الأيام وطال بها حلك الليالى عصوراً مديدة حتى جاء الكيلانى فتناولها بالتحقيق والتهذيب ونشرها فى الفكر العربى الحديث نوراً قوياً ساطعاً . والكيلانى يعشق أبا العلاء عشقاً عنيفاً ويرى فيه صورة العقل العربى الجبار ويبرهن على أن فى كل جملة منه توجيهاً جديداً ، وأنه أسمى تفكيراً وأسلم منطقاً من كثير من مشهورى الغرب قدمائه ومحدثيه . وهذا ما حثه فتعاون والمستشرق الإنكليزى جيرالد براكنبورى على ترجمة رسالة الغفران إلى الإنكليزية . وقد تم طبعها الأنيق منذ أيام فجاءت تحفة ممتازة من تحف العقل العربى فى المكتبة الإنكليزية . ولئن كان الإنكليز قد اطلعوا على شيء من أدبنا القديم فإنما اطلعوا على أضعف مافيه غالباً وهو ما يمثلنا فى عصور الانحطاط كمقامات الحريرى مثلاً ؛ على أنها فى حقيقتها لا تمثل إلا القدرة اللفظية وألاعيب التراكيب مما لا يروق العقل المفكر . أما رسالة الغفران ففخر لنا نباهى به ؛ وأنا على مثل اليقين أنها ستستحوذ على الشهرة التى نالتها ترجمة فيتز جرالد لرباعيات الخيام . وترجمة الرسالة هذه تكاد تكون حرفية لكنها قوية لا تحس فيها موضع ضعف أبداً ونقل فيها الشعر إلى الإنكليزية شعراً . وساعد براكنبورى على ذلك سعة اللغة الإنجليزية نفسها وليونتها وتعدد الألفاظ الدينية وترادفها بمعانيها نفسها أو بمعان أخرى قريبة منها مما لا نجد له مثيلاً فى سائر اللغات غير العربية . أضف إلى

هذا كله قدرة براكنبورى الفائقة فى لغته وفى العربية والتشابه القوى فى حياة المؤلف والمترجم وطراز التفكير ، ثم إمداد الكيلانى وتحقيقه وجهوده

فأبو العلاء المعرى وكامل الكيلانى وجيرالد براكنبورى ؛ هؤلاء هم الأقزام الثلاثة الذين تعاونوا على تقديم رسالة الغفران إلى الإنجليز . ومن أجدر فى القيام بهذا العمل الجبار من هؤلاء النبغاء الثلاثة ؟

(القاهرة) *ممدوح حقى*

الشيخ عياد الطنطاوى

فى تاريخ الأدب العربى الحديث شخصية عملت على نشر الأدب العربى خارج نطاق مصر ، وهى تكاد تكون مجهولة من المعاصرين . تلك هى شخصية الشيخ محمد عياد الطنطاوى (١٨١٠ — ١٨٦١) الذى كان يقوم بتدريس الأدب العربى فى مدرسة لازاروف بمدينة موسكو ومؤلف كتاب « أحسن النخب فى معرفة لسان العرب »

ورجائى ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عن شخصيته

محمد أمين حسونه

حفلة تأبين الشيخ ابراهيم باكير عالم طرابلس الغرب

أقيمت فى طرابلس الغرب حفلة تأبين لشيخ علمائها المغفور له الشيخ إبراهيم باكير دعا إليها الأفاضل أبناء الشيريق وفريق آخر من الأدباء . فافتتحت بآى الذكر الحكيم ، ثم قام سماحة المفتى فشكر للداعين سعيهم وذكر مآثر الفقيد ، ثم تتابع بعده الخطباء والشعراء فعددوا مناقبه ومواهبه .

وقد ولد رحمه الله عام ١٢٧٣ ، ونشأ فى بيت علم وفضل شهر منذ الفتح العثمانى بالقضاء والفتيا والخطابة ؛ فكان نموذجاً سامياً فى الأخلاق الكريمة والخصال النبيلة والآداب العالية . وكان معروفاً بتواضعه وعزة نفسه ورقة عاطفته وصدق عزيمته ونزاهته وجده فى كل شىء وتقديره واحترامه للغير

وكان يعتبر بحق شيخ مشايخ القطر وخاتمة المحققين . فقد كان حجة فى كل العلوم ، وثقة يرجع إليه فى المشكلات . ولم تكن منزلته العلمية ومكانته الأدبية وشهرته قاصرة على وطنه ومواطنيه ؛ بل كان فضله مذكورا بين علماء دمشق وأدبائها حيث تسنى له أن يؤدى رسالة العلم والأدب فى العاصمة الأموية زهاء ثمانى سنوات كان فيها موضع الإجلال والتقدير

وله عدة تآليف ورسائل نذكر منها :

١ — فتاوى على المذهب الحنفى
٢ — فتاوى فى الوقف على المذهب الحنفى
٣ — منظومة فى الحكمة والأدب
٤ — رسالة فى علم البيان
٥ — منظومة فى علاقات المجاز المرسل
٦ — رسالة فى المنطق
٧ — منظومة فى المقولات مع شرح لها
٨ — ديوان شعره

وقد تولى من المناصب فى العهد العثمانى : عضوية الاستئناف ، ورآسة المحكمة الاتهامية من سنة ١٢٠٦ إلى ١٣٢٤ . ثم الفتوى ورآسة الأوقاف من سنة ١٣٢٤ إلى الاحتلال الإيطالى . ووكالة رآسة مجلس الإدارة قسم المحاكمات والجنح من سنة ١٣٢٥ إلى ١٣٢٨ عن أربعة ولاة . وفى دمشق حين هاجر إليها عرض عليه إفتاء طرابلس الشام فلم يقبل ، وخصص له معاش باعتباره من هيأة كبار علماء المشيخة . ثم رأس بعثة أثناء الحرب العالمية وفدت إلى المدينة المنورة فقام بها خير قيام . ورجع إلى طرابلس بعد الاحتلال الإيطالى فعين حاكما بالمحكمة العليا وظل فيها ١٥ عاماً إلى أن توفى فى ربيع الآخر سنة ١٣٦٢

الهوى العذرى

لا يؤمن كثير من أهل الرأى بما دونه مؤرخو العرب من القصص الغرامى الملتهب « كقيس ليلى » « وقيس لبنى » بل لقد يذهب بعضهم إلى الضحك منه ، والسخرية به ، ويعتقدون أن هذا القصص تصور روائى ، وخيال شعرى

وأحسب أن الذين يعتنقون هذا الرأى بنوا عقيدتهم على خبرتهم الصادقة بالطبيعة البشرية

فهذا العشق الذى يهيم له الرجل على وجهه ، ويدخل الضيم على مروءته ليس من طبيعة الرجل ، وهو الذى يجرى بفطرته وراء النفع والطمع ، ويسمى بغريزته إلى النضال فى معارك الحياة وتكاليف العيش ، إنما الحب زخرف من زخارف صباه وزينة من زينات شبابه ، بل هو أغنية من أغانيه يتطرب بها فى مجال نضاله فى الحياة ، ويتغنى بها فى خلال جهاده للعيش

من طبيعة الرجل أن يسمى إلى الشهرة والثروة ، وأن يتبوأ مكانها ملحوظاً فى رأى الدنيا ، وقم التاريخ ، ومن أظهر ميوله حب السيطرة والسيادة وبسط السلطان

هذا الرجل قد يحب ، وهذا طبيعى أيضاً ، وقد يحدث الإخفاق فى حبه لوعة ومرارة تجرح شعوره وعواطفه ، لكنه مخلوق نشيط تشغل مخه أفكار متباينة فى دائرة الحوادث المختلفة ، وفى مناحى الفرص المتعددة التى تسنح بين حين وآخر فى ميدان النضال الحيوى ، فإذا كانت الفجيعة ألمية ، مفعمة بالهواجس والخيالات والأحزان ، فقد يجد من وسائل الكسب ومباهج الأفراح والملاهى ، وحزم الإرادة القوية ما يتلهى به فينسى

هذا شأن الرجل إذا أحب ، وهو كثير المشاهدة بين الناس تجرى الحوادث فيه على ما رسمته الطبيعة البشرية ، أما هيام الرجل على وجهه ، وتدلهه وإغفاله تكاليف الحياة ومسئوليتها جرياً وراء امرأة ، على الوصف الذى دونه مؤرخو العرب فى (قيس ليلى) (وقيس لبنى) فهو بعيد حتى عن الذوق الإنسانى

ومن عجب أن يهيم الرجل ويذهب ، وتصبر المرأة وتتسلى فلا تهيم على وجهها ، ولا يذهب بها التدله شتى المذاهب ، فتأنس إلى الغزلان فى مسارحها ، وإلى الوحوش فى مساربها إلى غير ذلك من مؤثرات التأليف المسرحى

كيف يكون هذا والمرأة كلها قلب ، وحياتها تاريخ كامل للعاطفة ؟ هى ، عمرها ، أسيرة أفكارها ، رقيقة عواطفها ، فإذا تسلط على هذه الأفكار والعواطف حكام من الخيبة والفشل ، فأين تجد التآسى ؟ لا شىء ؛ إلا أن تكون كالقلعة المقتحمة قد انهارت أسوارها

كم من عيون براقة خبا بريقها ، وكم من خدود متوردة ذبلت حمرتها ، وكم من قوام معتدل هصره الأسى فأماله ، كل ذلك والحب فيها خجول صامت لا يجرى فى الطرقات ، ولا يتسكع فى الصحارى . قد تمتص الفجيعة دمها ولكن فى صبر وتجلد

هل كان قيس يحب ليلى وليلى تكرهه ؟ لا . إنما كان بقلب ليلى من العشق والوله مابقلب قيس . إذن ففيم يهيم الرجل ويذهل ، وهو أقوى عزما ، وتتجلد المرأة وهى القلب المتفجع ؟

هذا وضع مقلوب للطبائع البشرية لم يجنح إليه المؤلفون إلا للقصة والرواية

ولِمَ اختص بالجنون عشاق المرأة وحدها ؟ ومن الناس عشاق متدلهون فى المال ، ومنهم عشاق الشرف والمروءة والرجولة الكاملة ، وقد أصيب كثير من هؤلاء فى مالهم ورجولتهم فما هاموا على وجوههم ، ولا فقدوا رجولتهم ، ولكنهم عالجوا الحياة من جديد بما وهبوا من المزايا الطبيعية لينالوا نصيبهم منها

ومن أظهر ما يدل على أن هذا القصص موضوع ما يشاهد فى طبيعة البشر من أن الرجل إن استحلف بالله رب كل شىء وبرسله وكتبه سهل عليه الحلف ولم يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه واستطاره الغضب وعصى وامتنع حتى لو كان الحلف سلطاناً مهيباً ، هذا وإن لم يكن يحبها وكانت هى قبيحة المنظر ، فكيف يسوغ عقلاً أن يطلق قيس ليلى وهو يحبها ؟ وهى جميلة الخَلق والخُلق ، لمجرد أن أبويه طلبا إليه هذا الطلاق وكفى ؟ لقد خير ملك عظيم بين عرشه وبين زوجة ارتضاها ، فنزل عن العرش ولم يفترق عن زوجته

ألا أن العرب لم يكونوا بدعاً من الناس ...

عز العرب على

إلى حضرات المشتركين

نرجو من حضرات المشتركين الأفاضل أن يبدوا رغبتهم فى تجديد الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ على أن يصلنا ذلك قبل يوم ١٥ يناير وإلا كان سكوتهم إذناً منهم بقطع المجلة



12 me Année No. 550 — Lundi - 17 - 1 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٥٠ «القاهرة في يوم الإثنين ٢١ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـرس

عبقرية الإسلام



عبقرية الإسلام(١) عنوان وضعته لكتاب اشتغلت بإعداده منذ اشتغل العالم بهذه الحرب. وكان الذي وجه فكري إلى هذا الموضوع ما وقع فيه الناس كافة من هذا التفاني الذريع لأسباب لا يصعب حسمها على العقل الأصيل. وبداهة الرأى أن نرجع إلى ما شرع فاطر الأرض وواهب الحياة ومنزل الوحى، بعد أن عجز الذين طاولوه في ملكه من دهاقين الحكم وأساطين العلم عن قسمة رزقه بين أشتات خلقه. وما كان لبشر سليم الفطرة ليرتاب

(١) عارضت بهذا الكتاب الخالد أمير النثر الفرنسي شاتوبريان في كتابه القيم الممتع «عبقرية المسيحية» « Le Génie de christianisme »

فى أن الذى برأ الخلق على اختلاف فى القدرة والحيلة ، وأنشأ الغرائز على اتفاق فى الطمع والنيلة ، هو أعلم بما سينشأ فى كونه من تصادم القوى وتعارض الأهواء ؛ فلا جرم أن يكون شرعه دستوراً كاملاً تصلح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفى كل عصر وعلى كل أرض

ولقد كانت إدامتى النظر والفكر مدى هذه السنين الأربع فى مصادر الإسلام الصافية مصداقاً لهذه الفكرة ؛ فإن غير الله لا يملك أن يضع فى الإسلام هذه الأسس والقواعد التى تضمن نظام العالم وسلامه مهما اختلفت الأحوال وتعاقبت الأجيال وتطاول الأبد . وهل كان — لولا وحى الله — فى مقدور رجل أمىّ نشأ ربيب اليُتم والعُدْم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز الجديب أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى التى أعلنت بعضها بالأمس فرنسا نتيجة لتلك الثورة ، وتمنت بعضها اليوم أمريكا غاية لهذه الحرب ؟!

***

عبقرية الإسلام هى ذلك الإشراق الإلٰهى الذى انبثق من غار حراء فكشف للرسول عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة ، من طريق التوحيد ، والمؤاخاة ، والمساواة ، والحرية ، والسلام . فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هى الغايات التى ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية فلا تتكشف أمانيها بعد طول السُّرى وفرط اللغوب إلا عن سحاب خلَّب وسراب خادع

هذه المبادئ المثالية التي تضمنتها دعوة الإسلام معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف . فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه . وهو من الكلم الجوامع التى وعت جوهر الأصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة . هو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا . وشواهد التوحيد فى أشتات معانيه مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد

وفكرة الوحدة الإنسانية هى مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة . وفى سبيلها صدّق الإسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبى أرسل ، ودعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى خطة واحدة وكلمة سواء . ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصل بينهما ؛ فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه . ثم آخى بين المؤمنين ليجتمعوا على صدق المودة ، ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوى ، ولا يبخل غنى ، ولا يظلم متسلط . بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ؛ ثم توثقت عرى الأخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وأصبح هؤلاء الإخوان القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر !

كذلك فى سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية فرض الإسلام الزكاة ، وشرع الحج ، وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات ، بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع : « إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى »

فى هذه الأصول الإسلامية كما ترى أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية . فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا . ولقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ولدعاتها صوت ولمعتقديها يقين . فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطماناً فى فدافد الأرض لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى . ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه . فليت شعرى متى يُتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها ، وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم »

أحمد حسن الزيات

الروحانية بين الأنبياء الثلاثة

للأستاذ عباس محمود العقاد



الأديان الثلاثة: الإسرائيلية والمسيحية والإسلام، ظهرت كلها بين السلالات السامية وكان أنبياؤها جميعاً من الساميين والإجماع منعقد على هذا بين المؤرخين كافة، نعنى انتساب موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام إلى هذه السلالة، يشذ عنهم « فرويد » العالم النفسانى الإسرائيلى المشهور ، فهو ينسب موسى إلى الجنس المصرى القديم . وبعض الباحثين يقولون إن الجنس المصرى القديم منحدر من الأصول الأوربية

ويشذ عنهم فى أمر المسيح أولئك الدعاة الجرمانيون الذين يتسفون الأنساب لكل عظيم فيردونه إلى الأصل الجرمانى أو السلالة الآرية على التعميم . فهؤلاء الدعاة يزعمون أن صفات المسيح المتواترة أقرب إلى الملامح الآرية الشمالية، وينظرون من جهة أخرى إلى الملامح الفكرية أو الأدبية فيزعمون أن الروحانية التى تظهر فى أقوال السيد المسيح أكبر وأرفع من طاقة « السلالة السامية » التى يحسبونها مقصورة على الماديات الملموسة والمطالب الأرضية القريبة

وكلا القولين — قول فرويد وقول الدعاة الجرمانيين — لا يؤيده دليل قاطع ولا يتعدى الأخذ بالظنون

فمن المستبعد أن يكون موسى مصرياً ثم تجتمع له زعامة الإسرائيليين من جميع القبائل والبطون فى الديار المصرية ؛ ومن السخف أن يكون المسيح « آريا » تطبيقاً لقاعدة يخترعها دعاة الجرمانية ، ثم يسندونها بالظنون ويعودون فيسندون الظنون بتلك القاعدة المخترعة

وعلى هذا يصح أن ينعقد الإجماع — كأصح ما انعقد فى مسألة من المسائل — على أن البيئة السامية هى البيئة التى ظهرت فيها الأديان الثلاثة ، وأن موسى وعيسى ومحمداً جميعاً من سلالات الساميين

ألهذه المزية الجنسية دلالة عامة ! وهل نشأت الأديان الكبرى الثلاثة بين أبناء الجنس السامى لسبب عنصرى يخص هذه السلالة ، أو لسبب نفسانى يرجع إلى طبيعة العقيدة الدينية ؟

تكلم فى ذلك المتكلمون فأثبتوا وأنكروا كما يحبون أو يكرهون . فمن قائل إن العقل السامي بفطرته مستعد للاعتقاد غير مستعد للتفكير أو الخلق الفنى والنظرات الفلسفية المجردة ؛ ومن قائل إن العقيدة الدينية نفسها طور من أطوار الزعامة العنصرية التى تطور فيها الساميون إلى مداها الأقصى ، قبل أن يخرج الآريون الشماليون من نظام القبيلة الأولى

ولا يتسع المقام للتقصى فى أقوال المثبتين والمنكرين ، فحسبنا أن نقف فى أول الطريق على بر الأمان ، فنقول إن العقائد الدينية ظهرت فى السلالات السامية يوم كانت تظهر فيهم جميع المعارف الكونية والنهضات الثقافية ، فلا محل لتخصيص الأديان هنا بالعنصر السامى أو اتخاذ هذه الخاصة دليلاً عنصرياً من تلك الأدلة الكثيرة التى تختلط بالعصبيات

كانت الدول الكبرى كلها قائمة فى الرقعة الغربية من القارة الآسيوية ، وهى الرقعة التى أقام فيها الساميون منذ مئات الأجيال . فشاعت المعارف الكونية من هذا الوطن القديم ، ولم ينحصر الأمر يومئذ فى ظهور العقائد دون غيرها من النهضات أو الفتوح فى عالم الروح

***

نحن لا ننكر الفوارق العنصرية ولا نستخف بآثارها فى اختلاف الأمزجة والأخلاق وتباين المشارب والميول ، ولكننا

لا نحب أن نعزو إلى الفوارق العنصرية إلا الذى يثبت ثبوتاً قوياً أنه راجع إليها . فلا نقول إن « العقائد » سليقة سامية إلا إذا تبين أن الآريين بمعزل عن العقائد ، وأن الساميين لا يمتازون بغيرها ، وأن المسألة محصورة فيهم على مدى العصور وليست مسألة عصر ومناسبة زمانية أو مكانية

كذلك نرجع إلى الروحانية بين الأديان الثلاثة فلا نجعل العنصرية حكماً فيها قبل أن نستنفد العوامل الأخرى جميعاً ، وإن جاز أن يذكر الاستعداد العنصرى بين عوامل شتى يحسب لها حسابها فى هذا الموضوع

فالذى يقال مثلاً إن السيد المسيح عليه السلام كان صاحب دعوة روحانية لا تشتغل بشئون الدنيا ولا بالمطالب العملية التى تحتاج إلى وضع النظم وفرض الشرائع ، وأن علة ذلك فى رأى بعض الباحثين أن المسيحية تشابه العقائد الآرية التى جعلت الدين للروح والضمير ولم تجعله لمطالب الجسد أو مطالب الحياة الاجتماعية والنظم السياسية

وهذا الذى يقع فيه الخلاف الكثير

فاهتمام السيد المسيح عليه السلام بالجانب الروحى من الدين لم يصرفه أولاً عن الجوانب الأخرى التى تناولتها سائر الأديان ، ولم يكن لفارق عنصرى بين الذين خوطبوا بالدعوة المسيحية والذين خوطبوا بالدعوة الإسلامية أو الدعوة الموسوية

واهتمام السيد المسيح بالجانب الروحى ليس معناه — من الوجهة الأخرى — أن هذا الجانب لم ينل حظه من الاهتمام فى دعوة محمد أو دعوة موسى عليهما السلام ؛ وإنما معناه أنه جانب من الجوانب الكثيرة التى عنى بها الإسلام خاصة ، وكان لها سهم فى العناية من وصايا الأنبياء الذين ظهروا فى بنى إسرائيل

وقبل أن نحصر الأمر فى علة « الاستعداد العنصرى » نعود إلى العلل المختلفة فنسأل : ألم تكن هنالك علل أخرى جعلت رسالة السيد المسيح أقرب إلى الروحانيات منها إلى العمليات والشئون الدنيوية ؟

فإذا سألنا هذا السؤال لم نستطع أن نقول إن السامية أو الآرية هما الحد الفاصل فى هذا الموضوع

فقد كانت هنالك علل كثيرة خليقة أن تقصر الدعوة المسيحية الأولى على مواعظها الأخلاقية التى أوشكت أن تقتصر عليها

فمن تلك العلل أن بنى إسرائيل كانوا أصحاب شريعة دينية مفصلة فى شؤون الحقوق والمعاملات قبل أن تتجه إليهم دعوة السيد المسيح ، وكانت آداب القائمين على تلك الشريعة هى موضع العهدة أو موضع الحاجة إلى الإصلاح ، فلا جرم تتجه إليهم الدعوة من هذه الناحية ولا تتجه من ناحية التشريع المفصل فى شئون الحكم وشئون المعيشة ، بل كان من قول السيد المسيح الصريح أنه لا ينقض الناموس ولكنه يثبته ويزكيه

ومن تلك العلل أن السيد المسيح ظهر فى بلاد يحكمها الرومان ويتولى إدارتها أولئك القوم الذين اشتهروا بالنظم والشرائع وتبويب الأوامر والقوانين ، وما لم تكن الدعوة المسيحية ثورة سياسية معززة بقوة الجند والسلاح فلا سبيل فى بدايتها إلى تفصيل الشرائع وانتزاع سلطان الحكم من أيدى القابضين عليه ، وإنما السبيل الأوحد أن تنصاح الأخلاق والضمائر بالعظة والهداية الروحية على السنة التى اختارها السيد المسيح ويختارها فى مكانه كل داع إلى دين جديد يتذرع إلى دعوته بالإقناع لا بالسلاح والصراع

فهذه العلة كافية لتعليل الصبغة الروحانية التى غلبت على المسيحية ، وإنها لأقرب إلى تعليلها من الرأى القائل باقتباس المسيحية من العقائد الهندية أو الآرية فى جملتها ، لأن هذا الرأى يلجئنا إلى إقامة فاصل بين ساميين وساميين ، ولا يبطل الاعتراض الذى يرد فى هذا الصدد حين يسأل السائل : وماذا كانت الدعوة المسيحية صانعة إذا هى فرضت الشرائع بغير حكومة وبغير ثورة مسلحة وبغير موافقة من أصحاب الأمر بين الرومان أو بنى إسرائيل ؟

أما الإسلام فلم يكن معقولاً أن ينحصر فى المواعظ الروحانية

دون غيرها ، لأن العرب لم يدينوا بشريعة عامة مفصلة قبل الإسلام تغنيهم عن تشريع جديد ، ولأن الإسلام قد تولى الحكم كما تولى الهداية النفسية ، فلا مناص هنا من إقامة الحدود وبيان الحقوق وتقرير الحكم فى كل شأن من شئون المعيشة تتولاه الحكومات

وكذلك موسى عليه السلام فى قيادته للقبائل الإسرائيلية ، لأنه كان فى مقام الزعيم الذى يسوس تلك القبائل بالشرائع المرعية فى زمانه والشرائع التى اقتضاها خروجه من ديار مصر إلى ديار كان فيها لبنى إسرائيل موطن قديم . فاهتم بتسجيل الشرائع المصرية والإسرائيلية والموسوية ، واهتم إلى جانب ذلك بمصالح قومه ، لأن العمل الأكبر الذى تصدى له إنما هو إنقاذ إخوانه فى العنصر والعقيدة ، فهو عمل « وطنى » مقدم فى زمانه على الوصايا الإنسانية العامة التى تشمل الأمم كلها كما تشملها كل نصيحة أخلاقية أو موعظة روحية

وهذه العلة كافية أيضاً لتعليل الصبغة العملية التى غلبت على الدعوة الموسوية فأصبحت شيئاً غير المسيحية فى الروحانية أو البشارة الإنسانية التى تخاطب جميع الأمم كما تخاطب بنى إسرائيل . ولا حاجة فى هذا المقام إلى التفريق بين ساميين وآريين ، أو التفريق بين طائفة من السلالة السامية وطائفة أخرى ، إذ لو كان موسى آرياً وكان أبناء إسرائيل آريين لما سلك غير مسلكه معهم فى شئون التشريع والمصالح الوطنية أو المصالح العنصرية

ونعود فنقول إننا لا ننكر الفوارق بين العناصر والأقوام ، ولكننا ننكر الفوارق التى يفرضها بعض الباحثين المتعسفين بغير دليل ولا قرينة راجحة ، ونحب أن نقيم البحث فى أسرار العقائد وأسرار نجاحها فى زمانها ومكانها على العلل الكونية التى جرى عليها نظام الوجود ، لأن الأسرار الإلهية التى توحى بها الأديان لن تناقض المعقول من سنن الكون وفطرة الأشياء .

عباس محمود العقاد

فقه عمر

للأستاذ محمود شلتوت

[عمر بن الخطاب هو أول من كتب التاريخ بالهجرة ، فأحيا بذلك مجدها ، وخلد على الزمان ذكرها ، لحق على الذين يحتفلون بهذا العيد أن يذكروا عمر !]



للرسالة المحمدية جانبان : جانب التلقي عن الله رب العالمين ، وهو خاص بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه أحد من أمته ، وجانب الفهم والبيان ، والدعوة والإرشاد ، والعمل على توسيع نطاق الإسلام ومد رواقه ، وتنظيم الشئون بأحكامها ، وإلى هذا الجانب ترجع عزة الإسلام وبقاؤه على الدهر فتياً لا تزعزعه العواصف ولا تنال منه الأحداث . ويشارك الرسول من أمته في هذا الجانب من آتاه الله العلم والحكمة ، وقذف في قلبه النور والهداية ، وكشف له عن سر تشريعه ، وبصره بمواقع الأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، ووهبه غيرة تحمله على الجهاد في ذلك كله ، وعلى الصدق والإخلاص في هذا الجهاد !

وإذا كانت عزة الإسلام ترجع إلى الجانب الثاني ، وإلى قيمة ما يتصل به من جهود موفقة مخلصة صادرة عن الإيمان واليقين ، فإن من يقرأ سيرة عمر ، ويقف على جهاد عمر ، ويعرف مواقفه المجيدة أثناء خلافته وقبلها ، وأفكاره السديدة في حياة الرسول وبعدها ، يدرك بوضوح : لماذا كان عمر على رأس الذين أعز الله بهم شريعة الإسلام ، وركز أصوله ، وأرسى قواعده ، كما كان على رأس الذين أعلى بهم كلمته ، وأعز سلطانه ، ووسع ملكه ، ويدرك سر هذه الدعوة النبوية التي توجه بها محمد صلى الله عليه وسلم إلى ربه حين أنكره الناس ، وتألبوا عليه ، وتحالفوا على الكيد له ولرسالته : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك » وقد ضمن الله لنبيه إعزاز دينه ، ونصرة شريعته ، فأجاب دعوته وهدى أحب الرجلين إليه ، فكان إسلام عمر تنفيذاً للارادة الإلهية ، وتحقيقاً للدعوة النبوية ، وكان إعزازاً لدين الله برجل العزة والسلطان ، ونصراً لشريعة الله برجل الفهم والبيان !

***

لعمر رضى الله عنه نواح كثيرة : فهو رجل حرب وجلاد ، ورجل حكم وسلطان ، ورجل تقى وإيمان ، ورجل عدل ونصفة ، ورجل إشراق ونور ، ورجل فقه وقانون ، ولسنا بمستطيعين في مثل هذا المقال أن نلم بشواهد تلك النواحي من عظمة عمر ، فحسبنا أن نلم ببعض تلك الشواهد في ناحيته الفقهية التي هي أبرز نواحيه ، وأخص ميزاته ، فقد كان عمر في هذه الناحية نسيج وحده : شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفها فيه أصحابه رضى الله عنهم :

قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال : « بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » قيل : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم !

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله » « ولو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم . ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ! »

وقد سئلت عنه عائشة فقالت : « كان والله أحوذياً نسيج وحده »

***

لم يكن فقه عمر من هذا النوع الذي أودعه الناس بطون الكتب . لم يكن من هذا النوع الذي تجلت فيه روح العصبية الحادة ، ولونه الاتجاهات الطائفية ، والنزعات المذهبية ، لم يكن

من هذا النوع الذي جافى الحياة الواقعية في كثير من صوره ومسائله ، ولا من النوع الغامض الذي التوت مسالكه ، وتعقدت أساليبه ، فصار بعيد المنال على من يريده أو يلتمس الانتفاع به من غير أهله . لم يكن من هذه الأنواع التي زعم الناس أنها فقه ، بل التي اغتصبوا لهـا كلمة الفقه لتدل عليها ، وإنما كان فقهاً ناصعاً واضحاً صافياً تستريح إليه النفوس ، وتطمئن إليه القلوب ، وتقضي به روح هذه الشريعة السمحة !

إن الفقه هو الفهم والفطنة والإدراك لما يريده الله تحقيقاً لمصالح عباده ، وتنظيماً لشئونهم ، وتيسيراً عليهم ، وإسعاداً لهم برغد العيش وطيبات الحياة

هذا هو الفقه ، وهذا هو فقه عمر !

كان أساس الفقه عنده هو المصلحة ، يقدرها قلب امتلأ بالإيمان والإخلاص ، ويزنها عقل راجح منصف لا يميل به الهوى ، ولا يفسده الغرض ؛ ذلك بأنه رأى الكتاب الكريم يعلل الأحكام بالمصالح ، ويربط بينهما وجوداً وعدماً ، وبقاء وانتهاء ، وأدرك ذلك في جميع تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد ظهرت آثار هذا الفقه من عمر في صنفين من الحوادث :

أحدهما : الحوادث التي كانت تنزل بالناس وليس فيها وحي يتبع ، فيقول الناس فيها ويقول عمر ، فينزل القرآن على نحو ما قال ، فكأنما ألهم به إلهاماً ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر »

وقد ذكر العلماء الوقائع التي وافق فيها الوحي رأي عمر ، وأوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين ، نذكر منها على سبيل المثال والتطبيق رأيه في أسرى بدر ، ورأيه في الحجاب ، ورأيه في الصلاة على من مات من المنافقين

فأما رأيه في أسرى بدر فإنه لما تم النصر للمسلمين في هذه الغزوة ، ووقع كثير من المشركين أسرى في أيديهم ، عرض النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم على أصحابه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام . وقال عمر : لا والله يا رسول الله ! ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكننا منهم فنضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ، ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة » ثم ضرب إبراهيم وعيسى مثلاً لأبي بكر ، وضرب نوحاً وموسى مثلاً لعمر ، وأخذ رأي أبي بكر فحكم بالفداء ، فأنزل الله قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »

قررت الآية رأي عمر ، ونعت عليهم فكرة الفداء مبينة أن سنة الأنبياء الداعين إلى الله ، المنشئين للأمم ، ألا يأخذوا الأسرى طلباً للفداء إلا بعد أن يكونوا قد أثخنوا في الأرض ، وظهرت لهم القوة والغلبة على أعدائهم ، وتمكنوا من إبادة جراثيم الشر والعدوان التي من شأنها أن تقف دون نجاح الدعوة وتكوين الدولة . ولا ريب أن هذا هو الفقه الذي يرمي إليه عمر بقوله « إن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها » وإنه لخير للمجاهدين قبل أن يتمكنوا من خصومهم أن تجرد نفوسهم من كل غرض مادي ، وأن تملأ قلوبهم بالروح المعنوية التي تحملهم على بذل النفس والتضحية بها في سبيل الله ابتغاء لما عنده وإيثاراً لعقبى الدار

ولذلك نهى عن الفداء أولاً ، ثم شُرع أخيراً بعد أن استقرت دولة المسلمين ، وقويت شوكتهم

وأما رأيه في الحجاب فإنه يؤخذ من كثير من الروايات أن عمر كان شديد التطلع إلى أن يحتجب نساء النبي صلى الله عليه وسلم تمييزاً لهن عن سائر النساء ، وحفظاً لجلال الرسالة وتوفيراً للهدوء النفسي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإبعاداً لأسباب الأذى عنه ، فكان يقول : « لو كنت أطاع فيكن لما رأتكن عين » ويقول « يا رسول الله : لو اتخذت حجاباً ، فإن نساءك لسن كسائر النساء »

فنزل القرآن في ذلك تقريراً لما أشار به عمر ، وتأييداً لفقهه الذي بني عليه « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »

« إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب »

وأما الصلاة على من مات منافقاً ، فقد روى كثير من المحدثين عن ابن عباس قال : سمعت عمر يقول : « لما توفى عبد الله بن أبي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فلما أراد الصلاة قلت : أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا، ورسول الله يبتسم ، حتى إذ أكثرت قال : يا عمر أخر عنى إنى قد خيرت ، ثم صلى عليه ومشى حتى قام على قبره ، قال عمر فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزل « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » ، فقد وجهت الآية منع الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم بمثل ما وجه به عمر رأيه : قالت « إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » وقال عمر « أتصلى على عدو الله القائل كذا وكذا ؟ »

والصنف الثانى من الحوادث التى تجلى فيها فقه عمر ، هو الحوادث التى عرف فيها حكم ، واتخذت صورة عملية بين المسلمين ، وقد كان عمر يغلب فى هذا الجانب أيضاً روح الشريعة وعدالتها وتقديرها للمصالح على الصور التى عرفها الناس من قبل ؛ وكما حفظ له العلماء موافقاته حفظوا له كثيراً من هذه المسائل التى كان له فيها رأى غير ما كان معروفاً ، واتخذ رأيه صورة عملية أقرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقة منهم بفقهه وعدالته ، وأنه لم يحد قيد شعرة عن الحق

وحسبنا اليوم لضيق المجال أن نشير إلى رأيه فى المؤلفة قلوبهم ، وفى صلاة التراويح ، وفى الطلاق الثلاث بكلمة واحدة وفى توزيع العطاء ، وفى الأراضى التى فتحها المسلمون عنوة ، وفى متعة الحج ومتعة النكاح ، وفى حد شارب الخمر ، وفى السرقة عام المجاعة ، وفى قتل الجماعة بالواحد ، ونحو ذلك من المسائل التى تدل على أن عمر كان فقيهاً بروحه وطبعه ، وعلى أن فقهه كان مبنياً على إدراك المصالح التى انبنى عليها التشريع ، وأرشد إليها القرآن الكريم ، حيث يقول « والله يعلم المفسد من المصلح » « قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » إلى غير ذلك من الآيات

أما بعد : فإذا كان هذا المبدأ قد عمل به عمر ، ونزل به الكتاب ، وأيده الرسول ورضى به الأصحاب ، فجدير بالعلماء أن يجعلوه مبدأهم ، وأن يبنوا عليه فقههم ؛ فذلك أجدى عليهم وأدعى إلى أن يتقبله الناس عنهم ، وأقوى أن يدفعوا به فى صدور أعداء الفقه الإسلامى ، وأجمع لكلمة المسلمين ، وأنفى لهذا التفرق المذهبى الذى جعلنا شيعاً وأحزاباً ونزع هيبتنا من صدور أعدائنا . أسأل الله الكريم أن يهدينا إلى الصواب ، ويبصرنا بالرشاد ، ويجمع على الحق كلمتنا إنه سميع مجيب .

محمود شلتوت

عظة العيد وعبرة الذكرى

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميل بك



إذا كانت «الهجرة النبوية» من «مكة» إلى «يثرب» قطب الدائرة في انتشار الرسالة المحمدية واستطارة الدعوة إليها من المشرق إلى المغرب في حقبة قصيرة من الزمن، فإنها إلى جانب هذا حادثة من أعظم حوادث التاريخ وأبلغها أثراً في تغيير اتجاهات الإنسانية. وقد صار يوم الهجرة أو التاريخ الهجري بداية تاريخ جديد إلى جانب تاريخ الخليقة والتاريخ الميلادي. فلا بدع أن ينصرف الباحثون والمنقبون من جميع الأمم منذ ثلاثة عشر قرناً، إلى درس ذلك اليوم التاريخي، فيتناولوا بالبحث والتحليل ما سبقه من المقدمات، وما صاحبه من الحوادث، وما أعقبه من النتائج، حتى أنه ليخيل أنه لم يبق من زيادة لمستزيد.

ولكن الحوادثَ الكبرى في تاريخ البشرية كنزُ عبر لا يفنى، ومعين فوائد لا ينضب، يرجع المرء إليها كلما تعقدت حوادث حاضره، والتبس عليه مصيره في مستقبله.

والشرق اليوم، في صبره على الحاضر وانتظاره المستقبل، أحوج ما يكون إلى استخلاص الفوائد والعبر من عظائم الحوادث الغابرة. والإنسان أمام المستقبل المجهول يبحث في الماضي عن قبس ينير له الطريق: فالسياسي يعود إلى السوابق، والقانوني يرجع إلى العرف والتقاليد، والاجتماعي يذهب منقباً في ثنايا التاريخ.

أما العبرة التي نحتاج إليها من هذه الذكرى في حاضرنا فهي ما اكتنف الهجرة من اضطهاد؛ وأما الفائدة التي ينبغي أن نستخلصها لمستقبلنا فهي ما قضت به على ذلك المهاجر المقدام من تضحية. فنفهم حينئذ حق الفهم أن كل دعوة تقوم على يقين صادق وإيمان راسخ لا يستطيع أحد أن ينال منها. فهي كالحرية: كل ما يصنع ضدها يعود بالخير عليها. والإرادة الثابتة لا غالب لها، فهي تتخذ من كل ما يقوم في وجهها من العقبات درجات ترقيها إلى هدفها الأسمى.

فالالتجاء إلى الهجرة انتهى بتآلف المهاجرين والأنصار، والعودة إلى الديار تحت رايات الانتصار

والاضطرار إلى الاختباء في ظلمات (الغار)، مهد الظهور في وضح النهار

ومن السكون الموحش الذي خيم في تلك الليلة الليلاء، انطلق ذلك الصوت المدوي في جميع الأرجاء.

كل فكرة لا تضطهد لا تعيش. وكل دعوة لا تقاوَم لا تقوم على أساس. وكل صاحب رسالة لا يضحي في سبيلها بأعز ما لديه يفشل وينكص على الأعقاب.

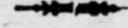
تاريخ الأنبياء والرسل شاهدٌ على ما نقول. بل هذا تاريخ أبطال العالم وعظمائه يدلّ من الوجهة الإنسانية البحتة على أن الفكرة الكبيرة تحتاج إلى مقاومة، وإلى اضطهاد، وإلى تضحية، لترسخ وتقوى وتنتشر، كالشجرة تعمل فيها الفأس قطعاً فتزداد نمواً، أو كالأرض لا تخرج أحشاؤها خيراتها إلا إذا ذهب المحراث فيها شقاً.

وفي الشرق اليوم «فكرةٌ» تجتمع حولها أماني الأفراد، وتتلاقى نزعات الجماعات - في السياسة وفي الاقتصاد وفي الثقافة. وإذا كان المقام لا يتسع للتفصيل، وإذا كانت صبغة هذه

بركه خان

أول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام





— ١ —

انقسمت مملكة جنكيز خان بين بنيه الأربعة: جوجي وجقتاي وأوكتاي وتولوي، وذرياتهم. تسلط تولوي أصغر أبنائه على منغولستان الشرقية، فورث ملك أبيه في مملكته الأصيلة.

وكان من أولاده الذي فتحوا إيران والعراق، وأزالوا الخلافة العباسية من بغداد. وتولى أوكتاي على جونغاريا في أواسط آسيا. وملك جغتاي فيما وراء النهر. وحكم بنو جوجي وهو أكبر بني جنكيز في صحراء القفجاق (دَشت قِبجاق) وما يجاورها.

— ٢ —

وكان جنكيز أعطى ابنه الأكبر جوجي الأرض التي شمالي نهر سيحون حيث قامت من قبل مملكة قراختاي، ولكن جوجي سار صوب الغرب فاتحاً ثم خالف على أبيه، ومات في حياة والده، فورث ملكه ابنه الأكبر أوردا

وكان لجوجي أربعة أبناء آخرين: باتو وتوقاتيمور وشيبان ونوغاي، تولوا هم وذرياتهم الملك في شرقي أوربا، صحراء القفجاق وما يتصل بها كما تقدم، وقد دام الملك في شعبة منهم حكمت في القريم حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري (١٧٨٣ م). وفي شعبة أخرى ملكت في بخاري وخيوه إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

وكان أعظمهم شأناً وأوسعهم سلطاناً باتو وذريته؛ ودام الملك لهم زهاء قرن ونصف (٦٢١ — ٧٦٠ ق)[1]. وكانت دار ملكهم مدينة سراي على نهر إتل (نهر الفُلجا)

— ٣ —

توفي باتو سنة ٦٥٣ فخلفه ابنه سرتاق سنة واحدة، ثم تولى بركة (بركاي) عشر سنين بين سنتي ٦٥٤ و ٦٦٤

بركاي حفيد جنكيز وسليل هؤلاء المغول الذي دمروا الحضارة الإسلامية، دخل في أخوّة الإسلام، وصار من بناة الحضارة الإسلامية، وحماة علمائها، فلم يعرف بعد باسم بركاي، ولكنه صار «أبا المعالي ناصر الدين بركة خان»، وحالف المسلمين ولا سيما ملوك مصر على ابن عمه هلاكو ليرد عدوانه عن المسلمين، ويكف يده عن تدمير حضارتهم.

كان إسلامه من بركات الشيخ نجم الدين كُبرَى الصوفي المعروف؛ فقد بث دعاته في الأقطار للدعوة إلى الإسلام. وكان من تلاميذه الشيخ سيف الدين الباخرزي فأرسله إلى بخارى وأرسل سيفُ الدين أحد تلاميذه إلى بركاي فدعاه إلى الإسلام، وبيّن له عقائده وشرائعه، فاستجاب له وأسلم، ثم ذهب إلى الشيخ الباخرزي، فأكرمه وأجلّه وجدّد إسلامه ورجع إلى دار ملكه يدعو إلى الإسلام، ويعظم شعائره، ويبر علماءه، فأسلمت زوجه ججك خاتون واتخذت مسجداً من الخيام يحمل معها إن سارت

(١) من أشق الأبحاث التاريخية تأريخ دول المغول وتعيين أزمنتها ومواطنها.

الصحيفة الغراء لا تسمح بالتصريح، فإننا لا نتعدى النطاق المرسوم إذا قلنا إن هذه «الفكرة» تلاقي مقاومة من أهوائنا وغاياتنا المتنازعة في الداخل، ومن المطامع والمصالح المتضاربة في الخارج. وهذه المقاومة نفسها كفيلة بتحقيق هذه الفكرة في يوم يقاس قربه أو بعده بمقياس استعدادنا للتضحية في سبيلها.

فيارجال السياسة والاقتصاد، ويارجال القانون والاجتماع، أيها المهيمنون على مقدرات هذا الشرق، المسؤولون عن مصايره، اتخذوا اليوم من ذكرى هذا الحادث التاريخي العظيم — التي يحتفل بها مئات الملايين من المسلمين ويشاركهم فيها مواطنوهم من سائر المذاهب — اتخذوا لنا ولكم من هذه الذكرى عظة، ومن هذا العيد عبرة!

أنطونه الجميل

وكاتب ناصر الدين بركة الخليفة المستعصم وبايعه وأرسل إليه الهدايا . يقول ابن عربشاه وهو عليم بأحوال بركة وأمور مملكته : أقام فى مدينة سراى دار الملك سنين وتزوج بها وولد له فيها أولاد :

« ولما تشرف بركة خان بخلعة الإسلام ، ورفع فى أطراف الدشت[1] للدين الحنيفى الأعلام ، استدعى العلماء من الأطراف والمشايخ من الآفاق والأكناف ، ليوقفوا الناس على معالم دينهم ، ويبصروهم بطريق توحيدهم ويقينهم . وبذل على ذلك الرغبات ، وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات ، وأقام حرمة العلم والعلماء ، وعظّم شعائر الله وشعائر الأنبياء . وكان عنده فى ذلك الزمان وعند أوزبك خان بعده وجانى بك خان ، مولانا قطب الدين العلامة الرازى ، والشيخ سعد الدين التفتازانى ، والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية ، وغيرهم من الفضلاء الحنفية والشافعية ، ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى ومولانا أحمد الخجندى رحمهم الله تعالى . فصارت سراى بواسطة هؤلاء السادات ، مجمع العلم ومعدن السعادات ، واجتمع فيها من العلماء والفضلاء ، والأدباء والظرفاء ، ومن كل صاحب فضيلة ، وخصلة نبيلة جميلة مالم يجتمع فى سواها ، ولا فى جامع مصر ولا قراها »

ويقول ابن بطوطة عن مدينة سراى : « وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة أحدها للشافعية . وأما المساجد سوى ذلك فكثيرة جداً . »

أسلم بركة فشملته أخوة الإسلام الجامعة ، وهدته سننه الرشيدة ، وتبنته الحضارة العظيمة التى اجتمعت عليها عقول المسلمين وأيديهم منذ قرون . وتقطعت الأسباب بينه وبين قرابته من المغول ، وانفصمت بينه وبينهم الأواصر ، ووقعت العداوة بينه وبين ابن عمه هُلاكو ، وثارت الحرب بينهما . فأمر بركة جنده الذين كانوا فى جيوش ابن عمه أن يخذلوه ويرجعوا فإن لم يستطيعوا فليتوجهوا تلقاء الشام ومصر ليعينوا الملك الظاهر بيبرس على هلاكو . فانظر إلى أمراء المغول الذين شاركوا فى تدمير البلاد الإسلامية ، وقاتلوا المصريين فى عين جالوت

(١) يعني دشت قبجاق « صحراء القفجاق »

وغيرها ، يقودهم الإسلام إلى مصر نجدة للمسلمين على حرب هلاكو وأشياعه

بلغ أمراء بركة دمشق فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ستين وستمائة ، وهم زهاء مائة معهم نساؤهم وأولادهم ، وأخبروا بانتصار بركة على هلاكو فشاعت البشرى فى الشام ومصر ، وسر الملك الظاهر بقدومهم ، وكتب إلى نوابه فى الشام فأكرموا وفادتهم وأرسل إليهم الأقوات والخلع . ثم ساروا إلى مصر ، فبلغوا القاهرة يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة ، وخرج السلطان للقائهم يوم السبت ، وخرج أهل القاهرة والفسطاط لرؤيتهم ، واحتفوا بهم حفاوة عظيمة ، وأنزلوا فى دور بنيت لهم فى اللوق ، وأرسل إليهم السلطان الأموال والخيل والخلع ولعب معهم الكرة وأمّر أكابرهم على مائة فارس . وأسلموا وحسن إسلامهم . ولما بلغ التتار ما نال هؤلاء من الكرامة فى مصر وفدوا جماعة بعد أخرى . وقدم البريد من حلب فى ذى القعدة سنة إحدى وستين بأن جماعة من التتار يزيد عددهم على الألف ومعهم ثلاثمائة فارس من المغل قادمون إلى مصر ؛ فأمر السلطان بالحفاوة بهم ، ثم استقبلهم حين قدموا كما استقبل إخوانهم من قبل ولحقت بهؤلاء جماعات أخر

وتوالت الرسائل بين الملك الظاهر بيبرس وبين الملك بركة خان وحرّضه الظاهر على جهاد هلاكو ومحاربة التتار ولو كانوا أهله « فإن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل عشيرته الأقربين وجاهد قريشاً ، وليس الإسلام قولاً باللسان ، والجهاد أحد ماله من الأركان »

كذلك سبق بنو باتو إلى الإسلام وشرع الدين الحنيف يفتح قلوب التتار ، ويدخلهم فى إخوته وينظمهم فى جماعته ويطبعهم بحضارته . وهزم بالدعوة الظافرين بالسيف ، وغلب فى السلم الغالبين فى الحرب ، ولم تستعص قسوة التتار على هدى الإسلام ، ولا كبرياؤهم على عزته ، ولا عداوتهم على مودته ، ولا إفسادهم على إصلاحه ، ولا تخريبهم على تعميره . وإنها لآية من آيات هذا الدين ، وحجة على من زعم أن الناس دخلوا فى الإسلام كارهين

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

هزيمة الشيطان

للأستاذ علي محمود طه



ألا ما لهـذا الليلِ تَدْجَى جوانبُه
على شَفَقٍ دامٍ تلظَّى ذوائبُه ! ؟
وما ذلك الظلُّ المَخُوفُ بأفقِهِ
يُطِلُّ فترتدُّ ارتياعاً كواكبُه ! ؟
أأيتها الأرضُ انظري ، وَيْكِ واسمعي !
توثَّبَ فيك الشر حُمْراً مخالبـه
أرى فتنةً حمــراء يلفظها الثَّرى
دُخاناً تغشَّى الكائناتِ سحائبُه
وأشتمُّ من أنفاسها حَــرَّ هَبْوَةٍ
كأنَّ هجيرَ الصيف يلفح حاصبُه

أرى قبضةَ الشيطان تستلُّ صارماً
توهَّجُ شــوقاً للدماء مضاربُه
تسلَّلَ يبغي مَقْتَلاً من « محمـدٍ »
لقـد خُيِّب الباغي وخابت مآربُه
تقدَّمْ سليلَ النار ! ما الباب مُوصَدٌ !
فماذا توقَّاه ، وماذا تُجانِبُه ؟
تأمَّلْ ! فهـل إلاَّ فتًى في فراشـه
إلى النور تهفو في الظلام ترائبُه ! ؟
يسائلك الأشياعُ زاغتْ عيونهم
وأنت حسيرٌ ضائعُ اللُّبِّ ذاهبُه :
ترانا غفَوْنا أم ترى عبَرَتْ بنا
نفاثةُ سِحْرٍ خــدَّرتنا غرائبُه ! ؟
وما زال منا كلُّ أشْوَسَ قابضاً
على سيفِهِ لم تَخْلُ منـه رواجبه
ترى كيف لم تُبْصِرْ غريمك سارياً
وأين ترى يمضي ؟ وتمضي ركائبُه ؟
تقدَّمْ ، وجُسْ في الدار وَهْناً ؟ فما ترى ؟
لقـد هجر الدارَ النبيُّ وصاحبُه ! !
يحثّان في البيــداء راحلتَيْهما
إلى جبــلٍ يُؤْوي الحقيقةَ جانبُه
فقف وتنظَّرْ حائراً نَصْبَ غارِهِ
تحدَّاكَ فيــه وُرْقُه وعناكبُه
لتعلم أن الحق رُوحٌ وفكرةٌ
يذلُّ لها الطاغي وتعنو قواضبُه
فطِرْ أيها الشيطانُ ناراً أو انطلق
دُخاناً ، فأَخْسِرْ بالذي أنت كاسبُه !
خسئتَ ! ولو لم يعتصِمِ الحقُّ ربُّه
طوى الأرضَ ليلٌ ما تزول غياهبُه

الطريقة المثلى
في دراسة الفقه الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني



كلما أقبل عيد من أعياد الإسلام أو أظل الناس موسم من مواسمه، ذكرت الفقه الإسلامي فجعلت الحديث عنه هديتي إلى العيد، واحتفالي بالموسم، ذلك بأني رأيت الكفاح في هذا العالم مهما تنوعت أشكاله، وتعددت صوره إنما يبدأ من الفكرة: لكل أمة في الحياة شرعة ومنهاج، وكل أمة تكافح لتسمو فكرتها، ويسود منهاجها، وهذا الفقه هو برنامج الإسلام العملي لهذه الحياة، فهو فكرتنا ومنهاجنا، ويجب أن يبتدئ منه كفاحنا، وأن يعتمد عليه جهادنا، وأن تصدر عنه جميع دعوات الإصلاح والتقدم فينا

يجب أن نستقبل هذا الفقه بعناية، وأن نديم النظر فيه، والتأمل في أصوله ومصادره، وأن نخلصه من الشوائب، ونلائم بينه وبين العصر الذي نعيش فيه

يجب أن ندرسه دراسة جيدة تكون الغاية منها تخريج أعلام أئمة ذوي بصر وإدراك وملكات فقهية يرجع إليها في المشكلات، وينتفع بها في المعضلات

***

الفقه نوعان: فقه الفروع، وفقه الأصول، ولكل منهما كتب تهتم به، وتبحث فيه، ولكن النوع الأول قد فاز بالحظ الأوفر فعكف عليه الناس، وأمعنوا فيه بحثاً ودرساً، واختصاراً وشرحاً، بينما ظل النوع الثاني مهملاً، وظلت كتبه في زوايا المكتبة الإسلامية لا يكاد يشعر بها أحد

والسر في هذا الاهتمام بالنوع الأول، وفي هذا الإهمال للنوع الثاني، يرجع إلى الفكرة القائلة: بأن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن عهد المجتهدين قد انقضى فلن يعود. هذه الفكرة هي أصل الداء في كل ما أصاب الفقه الإسلامي، مما أوقف نموه، وأظهره بمظهر الجمود والتخلف ظلماً وزوراً. راجت هذه الفكرة بين أهل العلم فصرفتهم عن فقه الأصول إلى فقه الفروع، فقصروا هممهم على نوع معين من الكتب، ولم يكتفوا بأن يمنحوا هذه الكتب تقديرهم واعترافهم، وأحياناً تقديسهم حتى ساروا في دراسة الفقه على طريقتها شبراً بشبر وذراعاً بذراع: فالفقه في هذه الكتب أبواب بعضها في المعاملات وبعضها في العبادات، وكل باب من هذه الأبواب هو في جملته وتفصيله مجموعة من الأحكام الفرعية تجمعها رابطة واحدة هي أنها أحكام الصلاة أو أحكام الزكاة أو البيع أو نحو ذلك، ولهذا تعد هذه الكتب سجلاً واعياً لكثير من الفروع الفقهية التي تكونت بمرور الزمن من فتاوى المفتين واجتهاد المجتهدين وأحكام القضاة ونحو ذلك، وكثيراً ما تجد فيها أحكاماً هي وليدة الفرض والتقدير لا وليدة الحس والوقوع والمولعون بهذه الكتب يسيرون على نمطها لا يعدونه، ولا يسمحون لأنفسهم بالانحراف عنه، بل إنهم ليضعون مناهجهم الدراسية على أساس فهارس الكتب، وربما نقلوها نقلاً حرفياً إلى هذه المناهج!

وليتهم يتمون قراءة هذه الكتب، أو يقطعون في دراستها شوطاً بعيداً، ولكنهم يكتفون منها بالقليل الذي لا يعد تحصيلاً وجماً ولا يحسب درساً وفحصاً

***

ليست هذه الطريقة في نظر المنصفين دراسة للفقه، ولو عكف عليها إنسان مدى عمره لما كان — إن نجح فيها — إلا محصلاً للفروع، جامعاً لكثير من صور المسائل الجزئية وليس هذا هو الفقيه الذي نبتغيه!

إن هذه الطريقة تقضى على الفقه بالركود والجمود ، وتقضى على روح التفكير والإنتاج العلمى ، ولا تثير فى نفس الباحث شعوراً باللذة الفكرية ، ولا تغريه بالاسترسال مع البحث وتذليل صعابه ، وهى تعثر السبيل على الذين يريدون مجاراة التقدم العلمى والعملى فى هذا العصر ، ويدعون إلى تيسير وسائل الانتفاع بالفقه الإسلامى

نحن ندعو إلى العمل بالشريعة الإسلامية وجعلها أساساً للقانون والتشريع ، فكيف نقدم هذا الفقه لرجال القانون الذين ألفوا النظام والترتيب والمبادئ الواضحة ؟ كيف نقدمه لهم فى هذا الثوب المهلهل ، فى هذه الكتب المضطربة ، فى هذه المسائل المبعثرة ؟ بل كيف نقدم للمحاكم قاضياً ليس عنده روح الفقيه المتصرف المرن البصير بمبادئ التشريع وأصول الأحكام ؟

إن هذه الطريقة تفرض علينا عناية بعرف المتقدمين ، وعادات السابقين لا نحظى بمثلها عاداتنا وأحوالنا وما جد من نظمنا ووسائل حياتنا : نحن نعرف جيداً من هذه الكتب أحكام النقد الإسلامى فيما يتصل بشركات العنان وشركات الوجوه وشركات المضاربة ، ولا نعرف شركات التضامن ، ولا شركات التوصية ولا الشركات المساهمة ! إننا نعرف أحكام الفقهاء على المزابنة والمراطلة ، وبيع الفضة بالفضة والذهب بالذهب والدراهم الناقصة بالدراهم الكاملة والمغشوشة بالصحيحة ولا نعرف معرفة شافية حكم أوراق « البنكنوت » ، ولا نظام القرض المضمون ، ولا كيف تغطى أوراق النقد ، ولا كيف يتم البيع والشراء فى أسواق الأوراق ، ولا ما هو نظام القطع ونحو ذلك !

ونحن نقول أن شركات التأمين على الحياة أو على المصانع والمتاجر تتعامل مع الناس تعاملاً محرماً مع أننا لا نعرف التفاصيل الكافية لتكوين الحكم الصحيح على هذا النوع من التعامل بالحل أو الحرمة !

ونحن نقول : إن قضاة المحاكم الأهلية لا يحكمون بما أنزل الله حين يقضون على هذا بالسجن ويقضون على هذا بالغرامة ، ويحكمون على بعض الأموال بالمصادرة ... الخ ولعلنا لو تأملنا أحكامهم لوجدناها غير متعارضة مع الشريعة ، ولا مختلفة مع المبادئ الفقهية السليمة !

ونحن نشغل أنفسنا ونضيع أوقاتنا فى الفروض الفقهية التى لم تقع ، فنبحث عن الحكم « فيما لو غربت الشمس ، ثم عادت هل يعود الوقت أو لا يعود » وفيما « لو أحيا الله ميتاً بعد موته وتقسيم تركته ، فهل له أن يأخذ ما بقى من ماله فى أيدى ورثته »[1] وفيما « لو تزوج شرقى بمغربية ولم يدخل بها وبينهما مسيرة عام وجاءت بولد لستة أشهر من وقت العقد ، فإنه يكون من الزوج لولاية أو استخدام »[2]

نحن نشغل أنفسنا بمثل ذلك ، بينما رجال القانون والتشريع فى البلاد وعلى رأسهم معالى وزير العدل يطلبون إلى كل مشتغل بالفقه والتشريع فى حفل عام أن يدلى برأيه فى مشروع تنقيح القانون المدنى ، ويتحدى خطيبهم من يدله على حكم فيه أو مادة تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، فلا يغرينا ذلك ببحثه ولا النظر فيه مع أننا رجال البحث والنظر والنقاش والجدال

* * *

إن الفقه الذى ينبغى أن يعكف عليه أهل العلم ويشتغلوا بخدمته ودراسته ، ولا سيما فى أقسام الدراسات العليا هو فقه الأصول لا فقه الفروع ، ولست أقصد بالأصول هذا النوع من البحوث التى ترجع إلى معرفة الأدلة وكيفية الاستفادة منها وأحوال الألفاظ من حيث ما يعرض لها من النسخ والتعارض والترجيح ... الخ . ولكنى أريد معرفة القواعد الكلية المشتملة على أسرار الشريعة وحكمها ، أريد النظر فى المبادئ العامة ، ودراسة النظريات الفقهية الجامعة التى تتفرع عنها أحكام الجزئيات فى شتى نواحى الحياة ، كأن ينظر الباحث فى « قاعدة الملكية » مثلاً فيدرسها درساً وافياً ، ويعرف ما يتصل بها من التصرفات ، وما هو اتجاه الشريعة فى شأنها ، ومن الذى يثبت له هذا الحق ، وما مدى حرية المالك فى تصرفه ، وهكذا يتتبع آثارها ، ويسجل فروقها ، ويعرف آراء العلماء وأصحاب المذاهب فيها معرفة البصير الناقد المتخير الذى يعرف ما يعرف وينكر

(١) هذا الفرع والذى قبله فى شرح الدر حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٣٥٢

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٤٧

ذكرى الهجرة

للأستاذ محمد فريد وجدى



إننا إن ذكرنا هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى يثرب فى العام الثالث عشر من الرسالة المحمدية، وجب علينا أن نذكر أنها كما كانت فاتحة عهد جديد للدعوة الإسلامية، كانت كذلك مقدمة لقيام أمة عالية، تألفت من طريق الإعجاز على غير السنن الطبيعية، أمة نموذجية لما يجب أن يكون عليه العالم تحت سلطان الأصول الخلقية، والآداب النفسية، لا تحت حوافز الحاجات المادية والضرورات المعاشية.

إن اجتماع القبائل لأجل أن تقوم من مجموعها أمة، ليس بالأمر الشاذ فى تاريخ البشر، وإن كان يستدعى مقتضيات كثيرة، وآماداً طويلة، فإن الحاجات الحيوية، والمطالب المادية كثيراً ما تدعو إليه وتحتمه. فالعوامل التى اضطرت الأفراد إلى الاجتماع على هيئة قبيلة لتأمين حياتهم، وضمان معاشهم، هى نفسها التى تضطر تلك الجماعات الصغيرة إلى التآلف والتضامن لتأليف أمة. وإذا كانت هذه العوامل تضطر بعض الحيوانات لتأليف جماعات منها لتتعاون على تذليل العقبات التى تحول بينها وبين ما هى فى حاجة ماسة إليه، فلا محل للتعجب من حدوث ذلك فى العالم الإنسانى، ولكن العجب كل العجب أن تتألف أمة تحت سلطان أصول خلقية، وآداب نفسية، ومبادئ عالية، لم تقم عليها أمة من قبل حتى ولا فى عهد الرسالات الدينية فى مثل هذه البرهة القصيرة التى تألفت فيها الأمة الإسلامية

ما ينكر عن بينة وفحص وروية وإعمال فكر وإدمان نظر، ثم ينظر فى قاعدة أخرى على هذا النحو، وقد ذكر العلماء كثيراً من هذه القواعد كقولهم: «المشقة توجب التيسير»، «الضرر يزال»، «العادة محكمة»، «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، «الخراج بالضمان»، «الوسيلة والمقصد»، «ما يؤثر فيه الغرر وما لا يؤثر»، «اليقين لا يزول بالشك». الخ

وقد دعا إلى هذه الطريقة الفقيه المصرى «شهاب الدين احمد بن إدريس القرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ» فبث كثيراً من القواعد الفقهية فى كتابه «الذخيرة» ثم ألف كتابه الجامع المعروف «بالفروق» وفى مقدمته يقول:

«وهذه القواعد مهمة فى الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف. ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التى لا تتناهى، وانتهى العمر ولم تقض نفسه من طلب مناها، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها فى الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره»

والأستاذ الأكبر المراغى يرى هذه الطريقة واجبة فيقول فى مذكرته التى جعلها برنامجه لإصلاح الأزهر منذ سنة ١٩٢٨ ولم ينفذها:

«يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة، والأحكام المجمع عليها، والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم كما كان يفعل السلف من الفقهاء»

وإنى فى مطلع هذا العام المبارك أسأل الله أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يوفق الأزهر الذى هو حصن الدين والعلم والفقه إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين

محمد محمد المدنى

إن كل العوامل التى عملت لتأليف الأمة الإسلامية ، ليست من جنس العوامل التى دفعت لتأليف الجماعات البشرية ، فقد جرت السنة الطبيعية فى تآلف الجماعات العظيمة ، أن تنتدب قبيلة كبيرة تحت قيادة زعيم معترف به ، لدعوة القبائل المجاورة تحت حافز قوى من مطلب أو مطالب مسلم بضرورتها لدى الكافة للقيام بتحقيقها ، فتحدث أولاً بينها اتفاقات جزئية مع حفظ كل منها لاستقلالها الذاتى ، ثم تأخذ هذه الاتفاقات فى التطور تحت تأثير الحوادث الاجتماعية ، فتسقط موجبات التخالف بين هذه الجماعات الجزئية شيئاً فشيئاً حتى ينتهى الأمر باندماج بعضها فى بعض ، بعد مرور آماد طويلة .

ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فبدأت بدعوة رجل واحد إلى عقائد ومبادىء غير مسلم بها من الكافة ، بل كان قومه وعشيرته الأقربون أشد معاداة لها من غيرهم ، وتبعه أفراد منهم لا يغنون عنه ولا عن أنفسهم شيئاً . ثم اتفق أن تأثر بدعوته أفراد من قبيلتين فى مواطن بعيدة عن موطنه ، تولوا دعوة ذويهم فقبلها كثيرون منهم . وهنا يجب أن يعلم أن العرب الجاهليين لم يكونوا يأبهون بتمحيص العقائد ، ولم يعتادوا أن يقتبسوا شيئاً من غيرهم ، بل كانوا يأنفون أن يخضعوا لزعيم من غير قبائلهم ، بله أن يعينوه على قومه ويستجلبوا بذلك على أنفسهم عداوة قبيل ليس بينهم وبينه ثأر قديم ، ولا سخائم موروثة

فلما هاجر النبى إلى موطن هؤلاء الذين قبلوا الدخول فى دينه ، احتفلوا به أيما احتفال ، وخولوه الزعامة عليهم ، وعاهدوه على أن يحموا دعوته ويناضلوا عنها بأموالهم وأنفسهم . وانتشر الإسلام فى تينك القبيلتين بيثرب وهما بنو الأوس وبنو الخزرج ، حتى لم يبق بيت فيهم لم يصبأ أهله إليه

تطور غريب لم يعد له شبيه فى عالم الاجتماع البشرى : جماعتان كانتا بالأمس على الوثنية تقبلان ديناً ليس بين دينهما وبينه أقل شبه ، ومناقض لما نشأنا عليه كل المناقضة . وليس ذلك فحسب ، بل يدعو إلى أصول ومبادىء كان يمقتها العرب قاطبة ، ولا تتفق وما طبعوا عليه ، وأشربوه من العصبية الجاهلية ، كمبدأ التوحيد فى العقيدة ، ومبدأ المساواة بين الأجناس البشرية ، ونبذ التفاخر بالآباء ، والمباهاة بالمفاخرات الحربية ، ويصرفها إلى العمل على تطهير القلوب بالمجاهدات النفسية !

هذا تطور عجيب فى ذاته ، وأعجب منه أن يكون فى بيئة كل ما فيها يدعو إلى التعويل على الوسائل المادية ، والإخلاد إلى الحياة الأرضية ؛ وأدعى للعجب منهما أن يتم ذلك التطور طفرة ، وهو لا ينشأ عادة إلا بعد تطورات متوالية ، وظروف مواتية

قلنا فى مقدمة هذه المقالة أن تأليف هذه الجماعة كان مقدمة لقيام أمة عالية جعلت نموذجاً لما يجب أن تكون عليه الأمم ، بعد أن تبلغ من التطور حداً يسمح لها أن تقوم على مثل ما قامت عليه من الأصول الأدبية ، والمبادىء الخلقية . فإذا صح ما يقال من أن الحياة الإنسانية أصبحت فى حاجة إلى مقومات اجتماعية غير التى تقوم عليها اليوم ، تتفق ومقررات العلم ، وتتلاءم وما هدى إليه البشر من الأصول الإنسانية ، بحيث تبطل بالقيام عليها الحروب ، ويتم بينها التعاون على توفير الخير لجميع الشعوب ، فلا سبيل إلى ذلك إلا باستبدالها الأصول الأدبية ، والمبادىء الخلقية ، بالأصول المادية البحتة التى تقوم عليها . وقد آنسنا فى غضون هذه الحرب العالمية المستعرة أن التفكير أخذ يتجه صوب هذا التطور العظيم ، بإقامة الصلح على قواعد إنسانية تسمح لكل شعب أن ينال حظه من المواد الأولية ، وأن يعيش على قدم المساواة مع غيره من سائر الشعوب الأرضية . وهذه من مبادىء الدولة النموذجية التى كانت الهجرة النبوية فاتحة لإقامتها

فإذا احتفل المسلمون بيوم الهجرة وجب أن يذكروا معها أن هذا اليوم كان بدء إقامة الدولة الإسلامية التى بلغت من امتداد السلطان ، ورونق المدنية ، وزعامة العلم والسياسة إلى ما لم تبلغه أمة قبلها ، وشيدت للمبادىء الإنسانية صرحاً لن يزال قائماً ما دامت الحياة الأرضية .

محمد فريد وجدي

في الرفيق الأعلى

للأستاذ دريني خشبة



لن أعفيك يا قلبي الحبيب من أن تذرف دموعك صلاة خالصة على فخر الكائنات، بعد هذه القرون الطوال التي غبرت منذ أذرفت عيون المؤمنين حينما لحق الروح الكريم بالرفيق الأعلى ما كان أجلَّها لحظات تتصل فيها الأرض بالسموات!

إن لم يكن بد من رفيق في هذا السفر الطويل فما أختار لك! إلا قلبي ودموعي!

لا عليك يا قلبي الحبيب، فقد تستطيع أن تصم أذنيك عما يجلجل في تيه الزمن، من هُتاف المجد، أو أنين الهزيمة... في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فما أريد لك إلا أن تصل سالماً إلى ماوراء هذه السنين الألف والثلثمائة والخمسين والإثنتين، لتشهد فخر الكائنات محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فوق ناقته بأرض عُرَنَة يخطب المسلمين، بل يخطب البشرية كلها، قائلاً فيما يقول:

« أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم[1] فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا[2] ! » لشد ما وجفت قلوب المؤمنين لدى هذه الكلمة التي أرسلها

(١) بعض الروايات: اسمعوا قولي

(٢) ويروى بهذا الموقف أبداً. وغيره

فخر الكائنات بأرض عُرَنَة في حجة الوداع التي كره بعضهم[1] أن يطلق عليها هذا الإسم فدعاها حجة الإسلام وحجة البلاغ!

لقد نظر المسلمون بعضهم إلى بعض وقد غشيتهم من تلك المبادأة بالوداع غاشية... ألا ترى إلى الرسول الكريم يتلو عليهم بعد صلاة العصر في اليوم نفسه ما أوحي إليه ثمة من قول الله تعالى: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » فيسمعها أبو بكر فيبكي، لأنه يضيفها إلى الكلمة التي قالها الرسول حينما زالت الشمس وهو قائم مقام إبراهيم يخطب، فيعلم أنهما أمارتان من أمائر الفراق!

***

ثم ما هذه النُّوق الثلاث والستون ينحرها فخر الكائنات بيمنى يا رفاق؟! أتكون عدد الدَّرَج إلى الرفيق الأعلى؟ أليس قد بلغ الرسول الكريم عامه الثالث والستين من التقويم الهلالي؟ أليست هذه هي الأمارة الثالثة؟ لبيك أبو بكر إذن، ولتبك الأجيال كلها معه... فوالله لقد ظهرت الأشراط قبل هذا كله... لم يكن النبي قد حج قط[2]، فأمر هذه السنة أن يحج ليبين للناس مناسكهم؛ وكان يعرض القرآن على صاحبه جبريل مرة واحدة كل سنة في رمضان، لكنه عرضه عليه مرتين في هذه السنة؛ وكان يعتكف العشرة الأواخر من رمضان لا يكلم الناس إلا رمزاً، فلأمر ما اعتكف عشرين هذا العام؟ أليس لأنه العام الأخير؟

ويحك أيها الرجل محمد بن سيرين فيم رجوت أن تكون قراءتك هي العرضة الأخيرة؟[3] أكان قلبك يحدثك كما حدث ابن عباس قلبه حينما نزلت: إذا جاء نصر الله والفتح، فقال: داع من الله ووداع من الدنيا[4]!... أجل... فهي العلامة التي حدث الرسول عنها عائشة، قال: إن ربي كان أخبرني

(١) منهم ابن عباس وطاوس

(٢) يروى أنه (ص) حج مرة أخرى قبل الهجرية والأكثرية على أنه لم يحج حجة الوداع

(٣) في طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٣ ط ليدن: عن محمد بن سيرين قال: كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص) كل عام مرة في رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه مرتين. قال محمد: فأنا أرجو أن تكون قراءتنا العرضة الأخيرة!

(٤) في البخاري ج ٦ أن ابن عباس قال لعمر وقد سأله عن سورة النصر: أجل رسول الله أعلمه إياه

بعلامة فى أمتى فقال إذا رأيتها فسبح بحمد ربك واستغفره ، فقد رأيتها ... وقرأ إذا جاء نصر الله ...

***

لله هذا المدلج إلى البقيع متكئاً على ذراع مولاه أبي مُوَيهبة حتى إذا بلغ مراقد السابقين إلى الجنة ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، توقف قليلاً ثم قال يكلمهم : السلام عليكم أهل المقابر ، لِيَهْنِ لكم[1] ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ... ثم أقبل على مولاه يقول له : يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة فاخترت لقاء ربى والجنة ؛ فيقول أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فيقول له فخر الكائنات : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة !

ثم يأخذ فى الاستغفار للنائمين فى التراب ، أستغفر الله ، بل للنائمين فى روضات الجنة ، أولئك الذين استجابوا لنداء السماء الذى يَسَّره الله بلسان محمد ! فيا للوداع ويا للوفاء يا رسول الله !

أهذا فقط ؟ كلا يا رفاق ، القلم والقلب والدموع ! فقد حدَّث عقبة بن عامر الجُهَنى قال : إن رسول الله صلى على قتلى أُحُد بعد ثمانى سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ثم اطّلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فَرَط[2] ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لأنظر إليه وأنا فى مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تُنافسوا فيها[3]

ففى هذا الكلام معنى مما خاطب به رسول الله شهداء البقيع فقد هنأهم بما أصبحوا فيه مما أصبح الناس فيه ... وذكر إقبال الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ... وهو بعد صلاته على شهداء أحد يخطب الناس فلا يخشى عليهم أن يشركوا ، بل يخشى عليهم الدنيا أن ينافسوا فيها !

***

كان الرسول عند زوجه ميمونة عندما بدأ بالرسول شكوُه الذى تُوفّى فيه[1] ، فذهب إلى زوجه عائشة ، وكأنها رأت أثر ما به من وعكة ، فقالت مداعبة : واراأساه ! فتبسم الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مداعباً : وددت أن ذلك يكون وأنا حى فأصلى عليك وأدفنك . فقالت عائشة غَيْرَى : أو كأنك تحب ذلك ؟ لكأنى أراك فى ذلك اليوم مُعْرِساً ببعض نسائك فى بيتى . فتبسم النبى أيضاً ، وتتامّ به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يُمَرَّض فى بيتى فأذِنَّ له فخرج بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيتى .

وقد سئل ابن عباس عن هذا الرجل الآخر من هو فقال : إنه على بن أبى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع !

وذهب الرسول إلى الفضل بن عباس فأخذ بيده حتى جلس على المنبر وهو معصوب الرأس ثم قال : نادِ فى الناس ، فاجتمعوا إليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا منى حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستَقِدْ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ، ألا وإن الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقاً إن كان له ، أو حلّلنى ، فلقيت الله وأنا أطْيَبُ النفس ، وقد أرى أن هذا غير مغنٍ عنى حتى أقوم فيكم مراراً

أى والله يا رفاق ، القلمَ والقلبَ والدموع ، إن رسول الله وفخر الكائنات يخشى أن يلقى الله ولأحدٍ عنده حق لم يأخذه منه ، فهو يعطى ظهره لمن يرى أن يستقيد منه ، وهو يريد أن يحلله من لا يريد أن يأخذ حقه حتى يلقى الله وهو أطيب النفس . ثم هو يرى أن ذلك كله غير مغن من الله شيئاً ... فوارحمتاه لنا نحن يا رفاق !

(١) رواية الطبرى ج٣ وفى غيرها : ليهنكم وليهنىء لكم

(٢) الفرط بفتحتين الذى يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأرشاء والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم (عن الجوهرى)

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠

(١) هذا من كلام عائشة رضى الله عنها

ثم صلى النبي الظهر وعاد فجلس على المنبر ليحاسبه الناس، فقال له واحد منهم: يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم، فأمر النبي الفضل أن يعطيه إياها؛ ثم قال النبي: يا أيها الناس من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقل فضوحُ الدنيا، ألا وإن فضوحَ الدنيا أيسر من فُضوح الآخرة. فقام رجل فقال يا رسول الله عندى — أى فى ذمتى — ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله، قال ولم غللتها، قال كنت إليها محتاجا، قال خذها منه يا فضل... ثم قال الرسول يا أيها الناس من خشى من نفسه شيئاً فليقم أدْعُ له، فجعل الناس يقومون يعترفون بذنوبهم بين بدى رسول الله يدعو الله لهم، حتى قام أحدهم فقال: يا رسول الله إنى لكذاب وإنى لمنافق، وما من شيء إلا قد جنيته. فقام عمر بن الخطاب فقال: فضحت نفسك أيها الرجل! فقال رسول الله يا ابن الخطاب فُضوح الدنيا أهون من فُضوح الآخرة، اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وصَيِّر أمره إلى خير، فقال عمر كلمة، فضحك رسول الله ثم قال: عمر مني وأنا مع عمر، والحق بعدى مع عمر حيث كان!![1]

فهل عرفتم هذا يا رفاق؟ رسول الله يجلس ليحاسب نفسه وليحاسبه الناس وليحاسب الناس على ثلاثة دراهم، لأن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة! ورسول الله لا يدع لليأس من رحمة الله سبيلاً إلى نفوس المؤمنين؛ فهو يعرض على من يخشى من نفسه شيئاً أن يقوم فيدعو له! وهذا عمر بن الخطاب يتميز على الرجل من الغيظ فيضحك رسول الله ويداعبه، كما داعب عائشة من قبل. فمن منا حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله؟ ومن منا عمل حساباً لفضوح الآخرة الذى ينكشف بين يدى الله لا فضوح الدنيا الذى ينكشف بين أيدى الناس؟!

رَبِّ أين نحن اليوم؟!

* * *

إسمعوا إلى الرسول الكريم وهو يناجى ربه ويسأله الشفاء يا رفاق!

واسمعوا إلى أزواجه يداعبنه لما يرين من شكواه فتقول إحداهن: لقد اشتكيتَ فى شكوكِ شكوى لو أن إحدانا اشتكته لخافت أن تجد عليها، فيتبسم ويقول: أو لم تعلمى أن المؤمن يُشدَّد عليه فى مرضه ليُحط به خطاياه؟

واسمعوا إليه وهو يطلب ماء يصب عليه من سبع آبار عسي أن تخف عنه بُرحاء الحمي كى يدخل فيخطب الناس موصياً بأسامة وبَعْثِ أسامة لما سمعه من لغط الناس عن تأمير أسامة!

واسمعوا إليه وهو فى المسجد يوصى المهاجرين بالأنصار، ويأمر «بسد هذه الأبواب الشوارع[1] فى المسجد إلا باب أبى بكر؛ فإنى لا أعلم امرأ أفضل فى الصحابة من أبى بكر»

واسمعوا إليه يأمر أن يصلى بالناس أبو بكر، فتراجعه عائشة فى ذلك، متذرعة بشتّى الحجج، مشيرة أن يصلي بالناس عمر، فيغضب رسول الله ويذكر صواحب يوسف! ويصلى بالناس أبو بكر. فإذا سئلت عائشة بعد عن سبب مراجعتها رسول الله قالت: «وما حملنى على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً. ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبى بكر!»[2]

* * *

وهذا هو أبو بكر يصلى بالمؤمنين الصبح فى هدأة الفجر... وهذا هو رسول الله قد خرج عاصباً رأسه لينظر إلى أمته وليفرح بها واقفة بين يدي الله فيتفرج المصلون ليمر رسول الله وقد أوشكوا أن يفتتنوا من الفرح بفخر الكائنات، فيعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك ولا يصح أن يفعلوه إلا لرسول الله فينكص عن مصلاه، فيدفع رسول الله فى ظهره ويقول: صلِّ بالناس، ويجلس إلى جنبه فيصلى عن يمين أبى بكر، فإذا قضيت الصلاة أقبل رسول الله على الناس رافعاً صوته وهو يقول: أيها الناس سُعِّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإنى والله ما تمسَّكون علىّ بشيء، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن»، ويفرح المسلمون بصحة وهمُوها فى رسول الله، ويفرح معهم أبو بكر، ويستأذن أن يلحق أهله بالسنح. فاليوم يوم بنت خارجة!»[3]

(١) الطبرى سنة احدى عشرة ص ١٩١

(١) ف ابن هشام فى اللانطة

(٢) رواية البخارى الجزء السادس

(٣) ابن هشام

الله . والانسان . والحياة

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



— ١ —

جدّدوا الإيمان بالله رب الوجود واهب الحياة كما وصفه القرآن القديم ، وحدّثنا عن أعمال يده العلم الحديث ! فِرّوا من طنين الشكوك والفلسفات الحائرة حول « الموجود الأول » الذى صَدرت عنه جميع الموجودات وأنشئت بتدبيره واختراعه ، ونسقت بفنه وابتداعه ، ودامت بحفظه ورعايته !

واعلموا أن مفتاح الشر وباب الضّياع هو الشك فى تلك الحقيقة الأولية العظمى ، والانفلات من قيودها وهى قيود أمانات الحياة كلها !

ابدءوا حياتكم الفكرية بالحديث النفسى والقلبي عن تلك الحقيقة لتتعرفوا إلى جلالها وجمالهـا ، ولتطردوا عن أذهانكم وسوسة الشر وشوشرة الباطل .

إبنوا أساس حياتكم على صخرة تلك الحقيقة الراسية ، وقاعدتها العريضة الواسعة ؛ لتطمئنوا على أن وجودكم مستند إلى وجودٍ أعظم ! وليس وهما طائراً فى أجواء هذه القوى العمياء التى يزخر بها الكون المادى .

اضربوا فى رحاب الحياة ومتاهاتها ثم عودوا إلى مكانكم الأول فى أحضان تلك الحقيقة مهتدين بالنور الذى يشع من هيكلها بالعُروَة الوثقى التى تمتد منهـا فى كل اتجاه إلى الغرقى والضائعين والشاردين !

املأوا وجودكم بهذه الحقيقة واجعلوها تستبد بخواطركم ؛ فستكونون سعداء بهذا الاستبداد ، لأنه استبداد أساس البناء بالبناء كله إن يُحدّث نفسه بالبعد عن دعامته الأولى ؛ فينهار ويذهب هباء تذروه الرياح

إنها حقيقة تبعث ذلك الشعور الصادق العجيب بالانسجام مع الكون كله ، وحسبكم به من سعادة ! وبالاستناد إلى دعائم الكون كله ، وحسبكم به من حماية ! وبالوصاية على أماناته كلها وحسبكم بها سيادة ! وبارتفاع العقل والقلب إلى مستوى رفيع يعلو بنظراتهما ويَرْحُبُ بخطراتهما ويَعْمقُ بأسرارهما ؛ وحسبكم بها كرامة !

وعلى الباحثين عن مصادر السعادة الفردية والجمعية وعن المسرات الأصيلة فى الحيـاة أن يفتحوا عيونهم وعيون الناشئين فى الجيل الجديد على هذه الحقيقة دائماً ويمسكوا بعرى أسبابها ،

إلا أنّ واحداً من المؤمنين لم تخدعه صحوة الموت فى أمر رسـول الله ! ذلك هو ابن عباس الذى يقول لعلى وقد فرح بشفاء محمد : « والله لأرى رسول الله (ص) سوف يُتوفى من وجعه هذا . إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت »(١)

وعاد رسول الله إلى بيت عائشة فاضطجع بين سحرها ونحرها ... « ودخل عبد الرحمن بن أم رومان ، أخى ، وفى يده سواك رطب ، وكان رسول الله (ص) مولعا بالسواك ، فرأيته يُشخص بصره إليه ، فقلت يا عبد الرحمن اقضم السواك فناولنيه فمضغته ثم أدخلته فى فم رسول الله فجمع بين ريقى وريقه »(١)

وأخذت عائشة تعوذه بعد ذلك بدعاء كان من عادتها أن تعوذه به إذا مرض . لـكن رسول الله رفع رأسه إلى السماء وقال :

« فى الرفيق الأعلى ... فى الرفيق الأعلى ... »

* * *

يا رفاق الأحباء الأعزاء الأودّاء ، القلم والقلب والدموع ! أين نحن الآن من هـذا الرفيق ؟ أين نحن الآن من رسول الله ومما ترك لنا رسول الله !

دريني خشبة

(١) رواية البخارى

(١) رواية ابن سعد

ويعرفوها معرفة الرأى فى عقولهم والدم فى قلوبهم

وعبث لا طائل وراءه ، بل عناء ضائع ، بل جريمة موبقة أن يتجه محبو الإصلاح بقلوب الناس إلى قطب غير قطب تلك الحقيقة ، فإنه لا حق ولا طهر ولا عدالة ولا أمانة إلا فى محيطها

فليعرف ذلك الذين يدعون إلى تأسيس حضارة نفسية جديدة ويريدون أن يلاءموا بين سياسة الاجتماع الإنسانى والسياسة التى تتجلى فى الطبيعة كلها

وحَسْبُ الإنسانية ما مضى من تجارب الشرود والجحود واللعب بالألفاظ . والانطلاق وراء خداع الفلسفات الشاذة وافتتان أرباب « الترف العقلى » الذين يتشهون كل غريب من الآراء يقدم إليهم على موائد الفكر ، كما يتشهى أرباب الترف المادى كل غريب يقدم إليهم على موائد البطون

— ٢ —

آمنوا بالإنسان الذى تحملونه فى أجسادكم ، وتستوحونه فى أفكاركم ، وتبادلونه ما صح وما فسد من شئونكم !

آمنوا به لتؤمنوا بالكون ورب الكون ... فلن يؤمن بهما من لم يؤمن به ؛ لأن عقله هو المنظار الذى ترون به كونكم وربكم . فإذا أهدرتم قيمة الإنسان أهدرتم عقله ، فلم يبق لكم ما تدركون به وجودكم وربكم !

ولكى تدركوا اللمحات التى تتراءى فى أعماق معنى الإنسانية حاولوا أن تتحرروا وتتجردوا وتخرجوا من نفوسكم ونوعكم وترصدوا الإنسان بعيون غريبة عنه وتروه بنظرات الملأ الأعلى ممن هو فوقه ، والملأ الأدنى مما هو دونه !

فأيقظوه لنفسه ، ونبهوه إلى امتياز وضعه ، وأقرئوه ما يكتبه الآن على صفحة الأرض

واتركوا الجدليات القديمة حول قيمته فقد هدرت شقاشقها حين كان عاجزاً عن شق الطريق أمام فكره

اخرجوا من غبار التاريخ القديم ، وافتحوا عيونكم على العالم كمخلوقين الآن ، تفكيرهم ابن زمانهم هذا ، ومنطقهم من وقائع الحاضر

أنظروا إلى الإنسان فى نِصابِه الأعلى دائماً ، ولا تنظروا إليه فى حضيضه الأدنى ؛ فإن من طبيعة كل كائن حىّ أرضىّ أن يكون له جِذْرٌ فى الطين والعُفونات ، أو أصلٌ فى الدم وبعض القاذورات

وإن النطفة التى خلق منها الإنسان أخلاط وأمشاج أخذت من العناصر الحادة والقوى العمياء ، ما يحمله منها على اضطراب وابتلاء ... وإن الفرد يحمل فى مجارى طعامه وفى أحشائه أوضاراً وأقذاراً نجسة تشمئز منها نفس حاملها ، ومع ذلك هو يقنع من نفسه بتقدير الوجه والرأس الذى يحمل الشخصية وقوى الفكر ...

فلا تنظروا دائماً إلى الذين هم فضلات فى جسم الإنسانية ، وتتخذوا منهم « مَقْطع » النظر إليها جميعاً . فيحملكم ذلك على التشاؤم والسخط والشك فى الخير والجمال الذى فيها

هم كالثمار الفجة المعطوبة عَطِبَت وتلوثت ، لأنها سقطت لضعف روابطها بفروع الشجرة التى تسمو

إننا نحمل أقباساً منيرة مطهرة من عالم الحق والطهر والجمال ولكنها وضعت فى أجسامنا : تلك الأوعية الطينية السريعة التعفن . فمن الناس من يدوم على تطهير وعائه وصقله حتى يستحيل إلى زجاجة شفيفة رائعة تساعد ذلك القبس على السطوع والإشراق

ومنهم من يتركه كما هو من غير تطهير وصقل بالعلم والتهذيب فيظل مُعتماً ويَحُول بين ذلك القبس وبين السطوع الكامل ...

ومنهم من يضع فى ذلك الوعاء ما يزيده عتمة وكثافة تطغى على ذلك القبس وتمحق شعاعه وتجعله منبع ظلام

فلأجل النور ! نَبِّهوا كل مصباح إلى رسالته ، وَحوِّلوا بين الظلام وبين زجاجته ...

ولا تحملنكم حياة الظلام الراهن على أن تتشاءموا وتسخطوا وتحطموا ما بقى لكم من مصابيح ، فتعيشوا فى عمياء نهارها كليلها ...

— ٣ —

وصدِّقوا الحياة وكذبوا المتكلمين الذين يعارضونها ، ويزعمون أنهم أصدق منها ، ويغرون الناس بسبابها وتحقيرها ، ويملأون قلوب فتيانها الناشئين بأحاسيس السخط عليها قبل

أن ينالهم منها ما يبرر ذلك ، ويخلقون لأنفسهم عوالم خيالية منفصلة عن الحياة ومنطقها العملي ، ويقذفون بكلمات جوفاء على كلمات البداهة والطبع فيحجبونها عن أنظار القاصرين الذين ينظرون نظراً سطحياً ، فيذهبون ضحايا الانخداع بزخارف القول المغرور وأوهام الفكر الشرود

والحياة بالغة الحجج مفحمة المنطق جارفة التيار ، تدفع الإنسانية دائماً إلى مجراها الذي يعُبُّ عبابه وتتضرَّب أمواجه على رغم هؤلاء المتكلمين المتشائمين . فلا سبيل إلى الوقوف في وجهها وتحويلها . وكل من زعم أن منطقه أصدق من منطقها فله ما شاء من زعمه . أما أبناء الحياة الذين سادوا فيها فلا يعرفون إلا وجه أمهم الواضح القسمات المعروف السمات . . .

واعتقادي أن الذي جنى على التدين أن الناس حسبوا منطقة الدين منفصلة عن الإحساس العام بالحياة ، وزعموا الدين لغير الحياة الدنيا ، فجابهوهما بقلب مُوزَّع وفكر حائر بينهما ، وحاول المتعبدون منهم الفرار من الدنيا قبل أن تستوفي ضرائبها منهم ويستوفوا تجاربهم فيها ، وظنوا العبادة فترات انسلاخ من الحياة بالطقوس والرسوم وما إليها من المظاهر التي هي مواقف « استعراض » للمؤمنين لا أكثر . . . مع أن لُبَّ العبادة هو أن تشعر دائماً في نفسك بفيض الحياة : ذلك الشأن الإلهي العجيب ! وأن تتيقظ لفعله في ضربات قلبك وخطرات فكرك ، ونبضات خلاياك وهمسات نفسك ولمحات عينك ... وألا تنسى أنك دائماً تتلقى ذلك الفيض من ينبوعه الأعظم إلى أجلٍ . . . فيحملك ذلك الشعور الملازم على أن تحافظ على وجودك الذي هو مظهر تلك الأسرار ومشكاة تلك الشعلة ، فلا تعطل قوة من قواه ، ولا تطمس رسماً من رسومه ، ولا تقعد به عن الزحام في مجالات العمل الكريم الذي يذكي شعلة الحياة ويلقي إليها حطباً يشُبُّ ضِرامها ...

والوجود الإنساني الكامل الصحيح هو الذي ينتج الشعور الصحيح والفكر الصحيح والخلق الصحيح والعمل النافع الدائم ؛ وهو الذي أنتج وسائل التغلب والسيادة على عقبات الطبيعة ، والقدرة على تمهيد الأرض للانشاء والتعمير ، وتخفيف المشقات والآلام ؛ وهو الذي حقق تلك « الكرامات » العجيبة الدائمة التي أكرم الله بها الإنسانية على أيدي علمائها الذين جعلوا همهم البحث عن أسرار صنعة الله وقراءة كلماته الظاهرة والباطنة في الآفاق وفي الأنفس ومحاكاة نماذجها .

وإذا كانت كرامات الأولياء أمراً مؤقتاً خاصاً بهم ، فإن كرامات علماء الطبيعة أمر دائم مشاع للانسانية جميعها . . .

فلنعرف ذلك جيداً ليحملنا على الاعتراف بصدق الحياة والإقبال على الكشف عن أسرارها ، والإيمان بأن جميع أحلام الإنسانية في السيطرة على شئون الأرض ستحقق قبل انقضاء رحلتنا على سطحها

وينبغي ألا نخلط بين شرور الإنسان وبين آلام الحياة التي لا دخل للانسان فيها حين نتحدث عن صدق الحياة . فإن الحياة من يد الله بريئة صحيحة قليلة الشر والألم ، ولكن الذي يضاعف الشر ويمحو بشاشة الحياة هو الإنسان القاصر الجاهل الناشيء في أحضان السفاهات والجرائم والإهدار لقيمته . . . ومن هنا وجب الإيمان بالإنسان وإيقاظه لنفسه أولاً على نحو ما قدمناه في هذا الصدد لكي يحتجب شره وينمو خيره فيظهر وجه الحياة الجميل البريء ، ويظهر وجه الإنسان الكامل المنشود ، ويظهر وجه الله الرحمن ذي الجلال من خلالها حتى يراه كل فكر جحود وقلب كنود !

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق!)

وتلك نبوة الحياة الصادقة ، يبعثها سر الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه وجعله خليفة في الأرض ليظهر غيوبها ويثير دفائنها ، ويلبس بروحه الحية موادها الميتة فيجعلها تحيا بروحه وتفكر بعقله وتخطو بسرعة فكره !

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ! فسجدوا ...)

ذلك هو حديث الزمان يرسله هامساً في أذن الإنسان خلال صيحات وحوش الحديد والفولاذ الرابضة والسائرة والسابحة والطائرة ، وبين دوي الآراء والمذاهب الهدامة والفلسفات الشاردة الحائرة . وأعتقد أنه نداء يجب أن يكون عنواناً لتجديد الدعوة الدينية في هذا العصر الحائر المتهافت ، وأساساً فكرياً صالحاً لوصل العقول والقلوب بأعماق الكون ولباب الإنسانية وصدق الحياة !

عبد المنعم محمد خلوف

هجرة الروح

للأستاذ زكي نجيب محمود



قال صاحبي وهو يحاورني: ما أنا بمؤمن بما زعمت لي من رأي

فقلت أي رأي تريد ؟ فما أكثر ما جادلتني مذ أخذت فيما أنت آخذ فيه هذه الأيام من قراءة الفلسفة

فقال: ألا تذكر إذ كنت تسايرني وتسامرني في مماشي حديقتك الغناء ليلة الهجرة ؟ ألست تذكر حين أخذت تقص علينا كيف أوذي النبي في مكة فهاجر إلى المدينة، وكيف نشب القتال بين المسلمين والكافرين، حيث اضطرمت نفوس المؤمنين بحماسة الإيمان فاندفعوا يريدون: إما نصرة الدين وإما الخلود في دار النعيم ؟ ... وعندئذ أبصر زميلنا « م » المتفلسف الشكاك زهرات متناثرات هنا وهناك، فقهقه ساخراً وهو يقول: « خلود ! » ثم أدار عينيه ناحية الجدار فإذا هو يرى جماعة من النمل عركتها قدم فلبثت جامدة على الأرض صرعى حيث كانت، فارتفعت قهقهة الزميل مرة أخرى، ورنت فيها نبرات السخرية التي عهدناها في ذلك الزميل الساخر ...

فقلت: نعم، إن لما تقول لأثراً خافتاً كادت تنمحي من صفحة الذهن معالمه فلا أكاد أتبينه في وضوح، فما الذي أضحك « م » ؟

فقال أضحكه أن يرى منثور الزهر ومبتور النمل راقداً كأنما هو جثث القتلى في حلبة القتال يوم المعركة، وقد علق بقوله: أليست الحياة هي الحياة حيثما تبدت في بشر أو حشر أو زهر ؟ أي فرق ترى بين زهرات تطأها فتذويها، ونمال تعركها بقدمك فترديها، وجماعة الجند في حومة الوغى تصفعهم بالحديد والنار فتوردهم موارد الحتوف ؟ لكنه الإنسان المغرور ظن بنفسه الامتياز فاختص روحه بالخلود والبقاء، وطوح بسائر الأحياء في مهاوي البلى والفناء ...

ولست أكتمك الحق يا صديقي، فقد أخذت أعيد قول زميلنا « م » بيني وبين نفسي، وأديره مرة بعد مرة في رأسي، حتى أرّقَ الفكرُ جنبيّ في غير طائل ؟ فبعد طول التفكير لم أجد في قبضتي غير ريح، ولم يكن حصادي سوى هشيم ! ولجأت إلى كتبي أقلب صفحاتها، أنزع كتاباً وأضع كتاباً، فما صادفت غير الحيرة والشك المميت ؛ فما زلت أسائل نفسي بما سأل « م » أي فرق ترى بين زهرات تطأها فتذويها، ونمال تمركها بقدمك فترديها، وفرقة من الجند تصفعها بالحديد والنار يوم الوغى فتوردها موارد الحتوف ... ؟ فلا بأس يا صديق أن نعيد الحديث بعد عام كامل، في مماشي حديقتك وفي ليلة الهجرة ؛ أفيكون غرور الإنسان حقاً هو الذي ...

فقاطعت صديقي قائلاً: كفى، كفى، فلم أعد أميل إلى مثل هذا الجدال وإنه لعقيم، فلقد قرأت في صدر شبابي كل ما أنت به اليوم معجب مفتون، واجتزت عهداً أراك تجتاز مثله الآن، عانيت فيه ما عانيت من كرب وضيق. وكم قرأت وقرأت، فكنت أتلون بما أقرأ كأني حشرة حقيرة تدب على ظهر الأرض وتسمى، فتصفر إن كانت تحبو فوق الرمال، وتخضر إن كانت تزحف فوق الحقول. كنت أقرأ الشكاك فأشك، ثم أقرأ المؤمنين فأومن .. هذا كتاب متشائم أطالعه فإذا أنا الساخط الناقم على حياتي ودنياي. وذلك كتاب متفائل أطالعه فإذا أنا الهاشُّ الباشُّ المرح الطروب ؛ لكن أراد الله بي الخير فأفقت إلى نفسي فوجدتها مضطربة هائمة تعصف بها الريح هنا وهناك، وهي في كل ذلك تماني من القلق والهم ما تعاني، وهداني الله سواء السبيل. أتريد أن تسمع مني — إذن — نصح الخبير ؟

فقال : أحبب إلى نفسى بما تقول !

فقلت : إنى منتزع لك القول من هذا اليوم الخالد ؛ فنصيحتى أن تهاجر كما هاجر الرسول

قال : وكيف وأنت أعلم الناس بأمرى ، فالى بغير هذا البلد مأرب ولا عيش

قلت : لئن هاجر الرسول الأمين فى عالم المادة ، فهاجر أنت فى عالم الروح

قال : وماذا تريد بهجرة الروح

قلت : لقد هاجر النبى الكريم بمعنى الرحلة من بلد إلى بلد ، فهاجر أنت بمعنى الرحلة فى مكتبتك من رف إلى رف ! لقد أوذى النبى الكريم فى مكة فهاجر إلى المدينة ، فجاءه نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وها أنت ذا تؤذيك أباطيل العقل فى بعض الكتب فدعها إلى سواها ، لعلك بذلك منتقل من ضلال العقل إلى إيمان القلب حيث السكينة والقرار . ولقد كانت هجرة النبي مولداً جديداً لرسالته ، فأرجو أن تكون هجرتك من كتب إلى كتب بعثاً جديداً لروحك المعذب الظمآن . إن من ابتلّ جسمه بالماء وهو فى البحيرة مغمور لا بد له من الخروج إلى الشاطئ المشمس إن أراد لنفسه الدفء والجفاف . أما أن يثب من البحيرة إلى البر فقد ازداد بِلّةً على بلة ، وذلك ما صنعته أنت حين أرّقتك فلسفة صديقنا « م » فطلبت النجاة فى كتب الفلسفة !

إنى مُذ أراد الله لى الهداية أكره أن أناقش مسائل الدين بمنطق العقل ، ولكنى لا أزال ألمح فى عينيك حيرة الشك ، مما سمعته من سخرية صديقنا بروح الإنسان وخلودها ، فدعنى لحظة أخاطب فيك الفطرة والبداهة ، فأقول : أليس أمل الإنسان فى خلوده بعد الموت دليلاً على خلوده ؟ إن رغبة الإنسان فى الطعام ما كانت لتوجد لو لم يكن الطعام موجوداً ، ورغبة الإنسان فى زمالة الأصدقاء يستحيل أن تنشأ إن لم يكن إلى جانب الإنسان الواحد ناس يزاملونه ويصادقونه ؛ فالزهرة والنملة فانيتان وهما لا تنشدان خلوداً ، أما الإنسان فراغب فيه ساع إليه ، ويستحيل أن يكون له ذلك ما لم يجد فى فطرته وجبلته ما يوحى إليه أنه خالد ؛ فلماذا لا يستوحى صديقك « م » فطرته بدل أن يلتى بسمعه وفؤاده إلى هذا وذاك ؟ أإذا اهتدى بوحى البصيرة إلى الحق أنكره ، لأن غيره لم يجد السبيل إلى الهدى ؟ إنه إذن كمن يحدّج ببصره فى الشمس ساطعة فينكرها لأن زميله المكفوف لم يرها !

ألم تقرأ عن « مذهب الذرائع » الحديث الذى يصور آخر ما بلغه العقل الفلسفى ؟ إنه يقيس صدق الفكرة أو بطلانها بمقدار نفعها ؛ وذلك لأن الحق المطلق فى رأيه معدوم ، فإن أدّتْ الفكرة إلى نجاح الحياة الإنسانية وازدهارها فهى الحق ، وإلا فهى كذب وباطل . فلنسأل صديقنا المتفلسف : أيهما أنفع للحياة الدنيا نفسها أن يعتقد الإنسان فى خلوده أو فى فنائه ؟ أى المقيدتين يؤدى إلى الفضيلة والخير ؟ فإن كانت الأولى فحسبنا ذلك وليس بنا بعدئذ حاجة إلى لجاجة وجدال ...

كلا يا صديقى ، لا تلق بنفسك فى هذه الشكوك التى قد تغرى بها غاشية الحرب ، فيتجهم أمام ناظريك الأفق وإنه لمشرق وضاح ؛ بل هاجر كما هاجر الرسول الأمين ، ولتكن الليلة موعداً لهجرتك

هل جاءك حديث الإمام الغزالى وهو « حجة الإسلام وزين الدين » ؟ لقد قرأ إبان نشأته ما قاله الحكماء والفلاسفة ، فارتجت له نفسه وأخذه الشك من كل جانب . إقرأ له « المنقذ من الضلال » لتستمع إلى قصته عن نفسه يروى لك ما قاساه فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفِرَق ، مبتدئاً بعلم الكلام ، ومنتقلاً بعد ذلك إلى دراسة الفلسفة ، ومنتهياً بطريق الصوفية ، خائضاً فى كل ذلك بحر الخلاف ، متوغلاً فى كل مظلمة ، متهجماً على كل مشكلة ، فاحصاً عن عقيدة كل فرقة ومذهب ؛ وهو يقول إن التعطش إلى درك حقائق الأمور كان دأبه وديدنه من أول عمره ، غريزة وفطرة من الله وضعها فى جبلته من غير اختيار منه ؛ فلما أدت به دراسته الطويلة العميقة إلى حيرة الشك ، « حزن قلبه ، وانحطت صحته ، ثم التجأ

إلى الله الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، فأجابه ... » وعاد إلى الإمام المؤمن يقينه « ولم يكن ذلك بنظم دليل ، وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة »

ثم هل جاءك نبأ « تولستوى » ذلك الأديب الفحل ، والفيلسوف العظيم ؟ إنه غاص فى أغوار الفكر وغاص ، ثم انتهى به الأمر أن يفرغ مكتبته من كل ما فيها على أنه باطل وهراء ، ولم يبق على رفوفها سوى الكتاب المقدس وبعض الكتب الدينية ! لقد جثمت على صدره أزمة نفسية ، كالتى ألمت بإمامنا الغزالى ، فأحس كأن شبحاً مخيفاً يطارده ، واسودت الدنيا فى عينيه ، وبلغ به اليأس والقلق حداً بعيداً ، فأخفى عن نفسه « بندقية » الصيد خشية أن يصوبها إلى صدره فى ساعة من ساعات القنوط ؛ وقال عن نفسه على لسان شخص من أشخاص قصصه : « لم يعد لدى شك فى أنى – ككل كائن حى – لن أصيب فى هذه الدنيا غير الألم يعقبه الموت والفناء » ، وشرع « تولستوى » يقلب صفحات الكتب الفلسفية ذات المذاهب المختلفة ، فيستطلع آراء أفلاطون وكانت وشوبنهور وباسكال لعله واجد فيها ما يرد له الطمأنينة بعد حيرة وقلق ، لكنه تبين أن آراء هؤلاء الحكماء – كما يقول – « واضحة جلية دقيقة حينما تبتعد عن مشاكل الحياة المباشرة ، ولكنها لا تهدى الحائر سواء السبيل ، ولا تبعث الطمأنينة إلى القلوب الضالة القلقة » ولم يلبث « تولستوى » أن هجر الأدب ثم الفلسفة ، واتجه إلى الدين لعله يجد فى نوره الهداية واليقين ؛ فلئن عجز العقل عن هداه فليلجأ إلى القلب ، ودعا ربه قائلاً :

« اللهم هبنى إيماناً قوياً أملأ به قلبى ، وأهد إليه غيرى »

هاجر يا صديق كما هاجر الرسول الأمين . لقد هاجر النبى الكريم بمعنى السفر من بلد إلى بلد ، فهاجر أنت بمعنى الرحلة فى مكتبتك من رف إلى رف . لقد أوذى النبى الكريم فى مكة فهاجر إلى المدينة ، وها أنت ذا تؤذيك أباطيل العقل فهاجر إلى القلب وانعم بإيمانه تنعم بالسكينة والقرار . لقد كانت هجرة النبى لرسالته مولداً جديداً ، فلتكن هجرتك فى مطالعاتك بعثاً جديداً لروحك المعذب الظمآن

هاجر يا صديق كما هاجر الرسول ، ولئن هاجر النبى فى عالم المادة فهاجر أنت فى عالم الروح .

زكى نجيب محمود

خيبة سراقة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[وقف « سراقة » مبهوتاً فى طريقه إلى غار ثور متقفياً أثر المصطفى وصفيه الصديق ... ساخت قوائم فرسه فى الرمال ، وردته معجزة العنكبوت حيران الضلال ... *]



سراقة يحدث نفسه :

وَيلاهُ مما سَطَّرتْهُ الرمالْ ... آثارُ وَهْم فى مَعَانى خيالْ ...
أرَكْبُ جِنٍّ حين مَلَّ السُّرى ... فى عالم الناس ، تَوارَى ومال !
أمْ مَوْكِبٌ للنـور أقدامُهُ ... خَلّفْنَ فوق الأرض رُؤيا زوال !
أمْ قافلاتُ الريح كانت هُنا ... تمشى ، وألقت رَحْلَها فى الجبال !
أمْ حُلُمٌ مرَّ ، وَهٰـذا الثرى ... وَادِى كَرًى نامت عليه الليال !
أمْ نغم سـارَ وَأشْبَاحُهُ ... مَسَسْنَ صَدْرَ البِيدِ مَسَّ الظلال !
أمْ فارس للغيب عاتى الْخُطا ... جَواده المسحور تلك التلال !
جرى عليها وَهْىَ تجرى به ... كما جرى بالروح عصف الملال
سُبحان من علم أرْسانَهُ ... تَخَطُّفَ الوحْىِ ، وَبُعْدَ المحال
هٰذِى هُواديه ، وَذا خَطْوُهُ ... زَفْزافُ ريح طاردته الثمال
عدا جوادى خلفه ، فانظرى ... ياخَيْبَتى : كيف حططنا لرحال!
قوائم ينهش منها الثرى ... ما دسه لله غـدر الرجال
مغروزة فى الرمل تلهو بهـا ... طرائد الوحش ، وريح الشمال
ناحت عليهـا صهوة طُهِّمَتْ ... وَطُعِّمَتْ باليأس قبل النضال
تذِيبُ سَـــاقَىَّ بأفْوافِها ... كأنهـا مَحْشُوَّةٌ بالنِّصال
أحَرَّ تحتى من جحيم اللظى ... وَوَخزةِ الذُّلِ ، وَفَحِّ الصِّلال
كأنما قمنا بِعُرْض الفَـلاَ ... تمثالَ خزى عبقرىِّ المثال
رباه ما هـذا ؟ جواد سرى ... أم لعنة ، أم خيبة ، أم ضلال !

« سمفونية » الغار

يسمع الغار حـديث سراقة لنفسه فيتلاقى هتاف العنكبوت والحمامتين والثعبان فى هذا النشيد :

سَمـاءُ البِيدِ بُشْرانا ... « سُراقَةُ » عادَ حَيْرانا
أتى وَالـكفر يرعاه ... ونور الله يرعانا

أتى ليصـد أنوارا ... فَجَرْنَ البِيدَ أنهارا
فصـد الله مسعاه ... وَذَاقَ الذُّل والعارا

بِسَيْفِ كافر ظَلاَّمْ ... جَرَى لِيطَارِدَ الإسلامْ
هَتَفْنَا إذ رَأَيْناهُ ... رَماكَ اللهِ بالإظلاَمْ

فَعادَ يُقلِّبُ الـكَفّينْ ... كفيفَ القلب والعينين
ترَى الأشباحَ عيناه ... وَيَسْأَل أيْنَ نفسِى أيْنَ؟

وَلاذَ نَبِيُّنا بالغـارْ ... فَحَامَتْ حَوْلَه الأقدار
وَصَانَ ضِـياءُهُ اللهُ ... لِيَسْطَعَ مَشْرِقُ الأدْهار

(*) هذه بقية المشهد الغنائى للذى دار لحنه بين العنكبوت والحامتين والثعبان فى غار ثور فى العدد الممتاز السابق لهذا من (الرسالة)

الإسلام بين العقل والروح

للدكتور زكى مبارك



قلت مرة : إن النضال بين الإسلام والنصرانية أتاح فرصاً كثيرة لمباحث نفيسة تغذّى القلوب والعقول، وتكشف عن آفاق ما كان يُنتظر أن تكشف لو أراد الله أن لا يقع ذلك النضال والمجادلة لا تُذمّ إلا إن صدرت عن سوء نية ، لأنها عندئذ تكون عملاً من أسوأ الأعمال ، أما إن صدرت عن رغبة فى الفهم والتحقيق ، فهى عمل مقبول دعا إليه جميع الحكماء فى جميع البلاد

وأنا ماضٍ فى تبديد شبهة وجِّهت إلى الإسلام ألوف المرات ، وسأقضى على تلك الشبهة قضاء مبرماً . سأقتلع جذورها فلا تنبت بعد اليوم ، وسأقوّض جدرانها فلا يقوم لها بناء إلى آخر الزمان

فما هى تلك الشبهة ، ولا أقول التهمة ، ترفعاً بالمجادلين ؟

هى قولهم إن الإسلام شريعة مدنية ، وليس عقيدة دينية ، فهو فى نظرهم مجموعة قوانين ، وليس ديناً يهتم بتأصيل المعانى الروحية فى صدور المؤمنين

وزادوا فقالوا : إن الإسلام لم تشع فيه الروح إلا حين عرف التصوف ، والتصوف فى رأيهم نزعة مسيحية العرق ، وليس لها فى الإسلام أصول

وأسارع فأقرر أنه لا يضير الإسلام أن يكون مجموعة قوانين ، فسنرى بعد لحظات معنى هذا من الوجهة الروحية ، وهى مثار الاعتراض

وأقرر أيضاً أن المعانى الإسلامية المقبوسة من المسيحية ليست سرقات ، حتى يعيرنا بها فريق من الناس ، وإنما هى ميراث أخذناه باستحقاق ، لأن الإسلام بنص القرآن هو الوارث لجميع الشرائع السماوية ، والمؤلفون المسلمون ينقلون أقوال سيدنا موسى وسيدنا عيسى باحترام ، تقرباً إلى الله ، لأن الله أوصى سيدنا محمداً بإعزاز جميع الأنبياء والمرسلين

وإذا كان التصوف الإسلامى منقولاً عن أصول مسيحية — ولنسلّم جدلاً بهذا — فما كان التصوف مما اتفق عليه جميع أئمة المسلمين ، فقد ثار عليه رجال من أقطاب الباحثين ، وعدُّوه خروجاً بالإسلام عن صبغته الأساسية ، وهى الصبغة التشريعية

ومعنى هذا أن الهدية مردودة إلى مهديها الأول ، على فرض أن التصوف هدية ، وعلى فرض أنه بعيد من الروح الإسلامى

إسمعوا يا أيها المجادلون بلا بصيرة وبلا يقين

أنتم اعترفتم بأن الإسلام يعرف العقل ولا يعرف الروح ، بدليل أنه فى نظركم ليس إلا مجموعة قوانين

وهنا الخطر كل الخطر ، الخطر عليكم لا عليه ، فالخطأ فى الحكم المدنى أو الجنائى لا يحتمل الجدال ، لأن نقضه أسهل من السهل ، بسبب ارتكازه على العقل ، فلو كانت القوانين التى أذاعها الإسلام واهية الأساس ، لثار عليه المشرّعون فى جميع بقاع الأرض ، وعدّوه أسطورة بدوية منقولة عن سراب الصحراء

ولا كذلك الخطأ فى الحكم الروحى لأن الحكم الروحى غير محدود بحدود ، فمن حق كل روحانى أن يسفِّه من يخرجون عليه ، بحجة أنهم محجوبون عن الروح ، وذلك باب يدخل منه الدخلاء والأصلاء على السواء

وإذن يكون الإسلام تحدَّى جميع الديانات ، تحداها بالعقل قبل الروح ، تحداها بما لا يجوز فيه الخطأ ، وهو التشريع ، تحداها بالنبى الأمّى ، ليعرف من لا يعرف أن وحى السماء فوق إيحاء الكتاب

ماذا أقول ؟ هل بددت الشبهة ؟ وكيف والكلام إلى هنا

يؤيد القول بأن الإسلام دين العقل ، وليس دين الوجدان ؟

أفترع الحديث فأقول :

إن التهمة صحيحة ، تهمة الإسلام بأنه لا يقصر اهتمامه على الشؤون الروحية ، وإنما يوزع اهتمامه على كثير من الشؤون العلمية والاجتماعية والمعاشية ، وهنا المطعن الذى لا ينفع فيه علاج (؟ !.)

إسمعوا ، ثم اسمعوا ، يا أيها المجادلون

كل مايعرف المسلمون من العلوم والفنون والآداب والقوانين ليس إلا وسائل لغاية صريحة هى خدمة القرآن ، والقرآن وحى من الله ، وبخدمة القرآن نتقرب إلى الله

علوم النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع علوم تساعد على فهم القرآن ، فهى وسائل أدبية لغاية دينية ، فنحن نتقرب بها إلى الله

وعلم الفقه ينظم المعاملات بين الناس ، ليعرفوا سبيل النجاة من غضب الله ، فنحن بعلم الفقه نتقرب إلى الله

وعلم الحساب يساعد على تحديد الأغراض الاقتصادية بين الناس ، فنحن بعلم الحساب نتقرب إلى الله

وعلم الفلك يساعد على تحديد المواقيت ، فنحن بإدراك دقائقه نتقرب إلى الله

وعلم التاريخ يخلق العظة بالحوادث ، وقد رآه القرآن من وسائل الترغيب والترهيب ، فنحن بعلم التاريخ نتقرب إلى الله

لاموجب للاطناب ، ففى أول كل كتاب نجد الراجز يقول :

إن مبادى كل فن عشرهْ الحد والموضوع ثم الثمرهْ

إلى آخر ما قال ، ولاموجب للنص على أن علماء المسلمين لم يدركوا للعلم غاية غير خدمة الشريعة الإسلامية ، فذلك واضح فى جميع مؤلفاتهم ، حتى علم الحساب . وقد راعى هذا المعنى أستاذنا محمد بك إدريس فنص عليه فى مقدمة كتاب الحساب لطلبة الأزهر الشريف

جميع العلوم والفنون وسائل لخدمة الدين الإسلامى ، والتكسب أو التسبب له فى الإسلام آداب ، مع أن الظاهر يوهم أنه بعيد من الروح

كل خطوة تخطوها فى صباحك أو مسائك ، لها فى حياتك المعاشية صلات بحياتك الدينية ... بهذا يوصيك الإسلام ، لأنه دين العقل والروح

إن الحج وهو فريضة دينية ، أبيحت فيه المنافع المعاشية ، لأن الله يرى أن جميع الفضائل وسائل إلى رفاهية المعاش

وهل ننسى أننا نطيع الله لننعم بالفردوس ؟

المزية الصحيحة للاسلام هى دعوته إلى أن نسيطر على جميع بقاع الأرض ، لتحقق الصلة بيننا وبين الله بإقامة دعائم العدل فوق جميع البقاع ، ولتحقق إرادته السامية فى أن تكون الكلمة العليا لله وللمؤمنين

مزية المسلمين أنهم لا يقابلون الله وجهاً لوجه ، كما يتوهم المسيحيون ، وإنما يقابلونه فى مخلوقاته من الأنهار والبحار ، والجِنّة والناس ، والحقائق والأباطيل

وأين الله ؟ هل رآه من يدعون أنهم أبناؤه ، صادقين أو كاذبين ؟

المسلم هو الصورة الحقيقية للمؤمن

المسلم هو خليفة آدم ، وقد جعل الله آدم خليفة على الأرض ، وللأرض آداب لاتعرفها السماء ، لأن فيها تكاليف لم يسمع بها سكان السماء

المسيحى يخاطب الله فى ذاته فيستريح ، والمسلم يخاطب الله فى مخلوقاته فيتعب ، والتعب شارة الرجال

وأنا مسلم ، لأن الإسلام يوجب على أبنائه أن يذكروا الله فى جميع الشؤون

أنا مسلم بالرغم منى ، لأنى لا أرى ديناً يفوق ما فى الاسلام من تكاليف ، والتكاليف هى الأساس لتجربة أخلاق الرجال

أنا مسلم بالعقل وبالروح ، والدين عند الله هو الاسلام ، لأنه الصورة النهائية للحسن والصدق فى التشريع

حاولت أن أرتاب فى الاسلام فلم أستطع ، حاولت بالعقل وبالروح فى حدود ما أطيق ، وأين أنا مما أطيق ؟

الآن آمنت بأن الاسلام دين العقل والوجدان .

زكى مبارك

من مذكرات ابن أبي ربيعة

جريرة ميعاد

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر ابن أبي ربيعة ... » : ركبتني الحمى ثلاثاً حتى ظننت أن الله قد كتب على أن أذوق حظي من نار الدنيا قبل أن أرِدَ على نار الآخرة . وكنت أجد مسها كلذع الجمرات على الجلد الحي ، وأجدني كالذي وضع بين فكيه ضرساً من جبل فهو يجرشه جرش الرَّحى ، وظللت أهذي وابن أبي عتيق يتلقف عني ما كنت أُسِرُّ دونه ، حتى إذا قَصَرتْ عني وثاب إلى عقلي قال ابن أبي عتيق : ويلك يا عمرَ ! والله لقد فضحتها وهتكت عنها سترها ؛ أما والله لو قد كنت أخبرتني قبل الساعة لاحتلت لها ، ولوقيتها مما عرضتها له .

قلتُ : ويبك يا ابن أبي عتيق ! من تعني ؟ قال : من أعني ؟ وأنت مازلت منذ الساعة تهذي باسمها غير معجم ! إنها الثريا واليوم ميمادها ، ولقد مضى من الليل أكثره وما بقى منه إلا حشاشة هالك !

ووجم الرجل واعتراني من الهم ما حبب إلى الحمي أن تكون خامرتني وساورتني حتى قضت على ، وطفقتُ أنظر بعينيّ في بقايا الليل نظرة الثكلى ترى في حواشي الدُّجى طيف ولدِها وواحدِها . وتمضي الساعات عليّ كأنما تطأني بأقدام غلاظ شداد لم تدع لي عضواً إلا رضَّتهُ . وابن أبي عتيق يذهب ويجيء كأنما أصابه مسٌ فهو يرميني بعينه صامتاً يتحزن لما رهبُ من بغاءات القدر بي وبها . ثم أقبل علي يقول : خبرني يا عمر أين واعدتها من دارك هذه ؟ فوالله لكأنما ألقى في سمعي لهباً يتضرَّم ، فلم أسمع ولم أُبصر ودارت بي الأرض ، فما أدرى بم أُجيب ، فلقد واعدتها منزلاً كنتُ أحتفي به لميمادها ، قد استودعته سرى وسرها ، فما أدرى ما فعل به أهل الدار ، وقد ربضتْ بي الحمى بمنأى عنه . ولا والله ما شعرت أن الفجر قد صدع حتى سمعت الأذان كأنه ينعَى إليّ بعض نفسي فما تماسكت أن أنتحبَ ، وابتدر إلى صاحبي بكفكف غَربَ أحزاني . وقال : خفض عليك يا عمر ، فإن هذا يهيضُك إلى ما بك . وما تدرى لعل الله يحدث بعد عسر يسرا . قم إلى وضوئك أيها الرجل ، واستقبل بوجهك هذه البنية ، وادع الله جاهداً أن يستر ما هتكت ، فإنهنّ النساء لحمٌ على وضمٍ إلا ما ذُبّ عنه

فما كدتُ أفرغُ من صلاتي حتى جاءت جارية صغيرةٌ تعدو قد أزفَها الجرى ، ورمتْ إليّ كتاباً في سَدَقةٍ من حرير يفوح منها العطر ، وقالت : سيدتي تقول لك : في هذه شفاءٌ من داء . واستدارت وانطلقت تسعى . فنظرتُ وشممتُ ونشرتُ الحريرة المطوية عن كتاب مطوى طيّ السِّجلِ ، وإذا فيه : « جئنا لميعادِكَ ، فإذا شبحٌ نائمٌ في بُردِكَ فرميتُ نفسي عليه أقبِّله فانتبه وجعل يقول : أعزُبي عني فلست بالفاسق أخزاكِ الله . ودفعني فعدوتُ أفرُ بنفسي من فضيحة تنالني فيكَ . وما شعرتُ أنك محموم حتى أنبأتني بذلك أختي ، فويلي عليك وويلي منك يا عمر ! » . فألقيتُ الكتابَ إلى ابن أبي عتيق وأستعفي به أن يدبر منذ اليوم ما أتقي به خَبءَ الليالي ، فنظر إليّ بعينين زائغتين من سهر وسهاد وقال : والله يا عمر لكأني بك قد ركبتَ إلى بلائك وبلاء الثريّا حين قلت :

تشكّى الكميت الجرْيَ لمّا جهدته
وبيّن لو يستطيع أن يتكلما

وما أدرى كيف أحتال لك في أمرٍ قد انفلتت من يديك

أعنّته ، فدع الأمر لله يدبره ، ووطن نفسك على الثقة ، ولا تجزع لبغية إن جاءتك ، والق من يلقاك بالفضيحة كأنم ما كنت بشاشةً ورضًـى وسكينة ؛ فأنت خليق أن تنقذها مما ورطتها فيه . وإياك والتردد ، فإنه مدرجة النكبات . ولقد عهدتك صَـنَع اللسان فإن لم ينفعك اليوم لسانك فلا والله لا نفعك . قلت : جزاك الله عنى خيراً يا ابن أبى عتيق ، ماضرّنى كتمانى دونك ما أكتم إلا اليوم ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . ويلى من نفسى ثم ويلى منها ! واعلم أنه ما يكربنى أن يلقانى من أحتال له وأصرفه ، وإنما يكربنى أمر الثريا وهى تقضى الساعات قد ألقى الهم فى دمها ناره وفى فكرها ظلمته ، ولا والله ما أستطيع أن أحتال لرسول يلم بها فيقول لها بعض ما تسكن إليه

قال ابن أبى عتيق : فهلاً حدثتنى عنها يا عمر ؟ فلقد صحبتك ما صحبتك وما أدرى من خبر الثريا وأمرها إلا ما أتسقّطه من حديث الناس . قلت : وما تبغى إلى ذلك ؟ أما كفاك ما تعرف من أمر سائرهن ؟ وإنى لأراك كالمنهوم الذى لا يشبع ؛ فلو كنت مثلى لقلت عسى أن تكون لك فى نفسك حاجة ، ولكن الله عافاك مما ابتلانى به ، فدع عنك الثريا وأخبارها . فورب السموات والأرض وما فيهن ما أمنت على سرها نفسى ، فكيف بى إذا بحت لك ؟ قال : إذن فصفها لى كيف تراها ؟ قلت : أما إنك على ذلك ، لشديد الحرص شديد الطمع . وما تبغى إلى امرأة من النساء تسمع من نعتها وحليتها وصفاتها ؟ لولا أن كنت اليوم شاهدى لما حدثتك بحرف . يقول الناس : ما فعل الله بابن أبى ربيعة ؟ ما زال يمد عينيه إلى كل غادية ورائحة حتى أفضى إلى الثريا ، فتعلق منها بنجم لا يناله وإن جَـهِدَ . وإنها لعرضة ذلك جمالاً وتماماً ، وإنى لخليق أن أفنى فيها نور عينى وقلبى . ويقول الناس : ما الثريا ؟ إن هى إلا امرأة دون من نعرف من النساء حسناً وبهاء . وقد والله كذبتهم أعينهم ، وإنى لبصير بالنساء خبيرٌ بما فيهنّ ، ولئن كنت قد عشت تبيعاً للنساء أنقدهن نقد الصيرفى للدينار والدرهم فأنا أهل المعرفة أحقّق جيادها وزيوفها بأنامل كالميزان لا يكذب عليها ناقص ولا وافٍ

ما يضيرك يا ابن أبى عتيق أن ترى الثريا أو لا تراها ، فإنك لا تراها بعينىّ ، وإنما أنت من الناس تضل عن جمالها حيث أهتدى إليه ، وتسألنى كيف أراها ؟ فوالله إن رأيتها إلا ظننت أنى لم أرها من قبل ، فهى تتجدد فى عينىّ وفى قلبى مع كل طرفة عين ، ولئن نعتها لك فما أنعت منها إلا الذى أنت واجده حيث سِرْت عن النساء : غادة كالغصن الغض يميد بها الصبا وسكر الشباب ، لم ترْبُ رَبْوةَ الفارعات ، ولم تجف جفوة البدينات ، ولم تضمر ضمور المهزولات ، ولم تُمسح مسحة الضئيلات ، ولم تقبض قبضة القصار القميئات ، فتمَّ تمامها بضة هيفاء أملوداً ، خفاقة الحشا هضيمة الكشحين مهفهفة الخصر ، تتثنى من اللين كأنها سكرى تترنح . فلو ذهبت تمسها لمست منها نَعمة وليانًا وامتلاء قد جدلت كلها جَدْل العصب ، فهى على بنانك لدنة تُرْعد من لُطفها واعتدالها . وانظر بعينىّ يا ابن أبى عتيق ، تُبصر لها نحراً كذَوْب الفضة البيضاء قد مسها الذهب ؛ فلا والله ما ملكت نفسى أن أعب من هـذا الينبوع المتفجر . إلا تُـتّق لله أن أدنّسه بشفتين ظامئتين قد طالما جرى عليهما الكذب والشّـعر . أما وجهها فكالدرة المصقولة لا يترقرق فيه ماء الشباب إلا حائراً لا يدرى أين ينسكب إلا على نحرها الوضاء ، يزينه أنف أشمّ دقيق العرنين لطيف المارِنْ ؛ فإذا دنوت إليها فإنمـا تتنفس عليك من روضة معطارٍ أو خمرٍ معتقة ، فاذهب بنفسك أيها الرجل أن تزول عن مكانك كما يقول صاحبنا جميل :

فقام يجر عُطفيه نُخمــاراً وكان قريب عهد بالمهات

ودعْ عنك عينيها يا رجل ، فلو نظرتْ إليك نظرة لوجدتها تنفُـذُ فى عينيك تفضى لقلبك فى أكنّـته مساربَ الدم فى أغوار جوفك ، ولتركتك كما تركتنى أسير بعينين مغمضتين ذاهلتين إلا عما أضاءتْ لك فى الحياة عيناها . فإذا دنتْ إليك فكن ما شئت إلا أن تكون حيا ذا إرادة تطيق أن تتصرفِ ، وذرْ

كل شيء إلا عطر أنفاسها وضياء وجهها ، وغمامةً تظلل روحك النشوى طائفة عليك بأطراف شعرها المتهدِّل كحواشي الليل على جبين الفجر ، وخذْ بنانًا رخْصًا مطرَّفًا كثمار العنّاب تغذوها يدٌ بضة بيضاء يحار فيها مثل ماء الصفا ، فلقد قبَّلتها يومًا ظننت أن قد أطفأت بها غليلي فزادتني غُلَّةً وصدًى ، فما نفعني في نار هـذه الحمى إلا ما لم أزلْ أجد من بردها وطيبها وعذوبتها على شفتي حتى اليوم . ولا والله إنْ رأيتُ كمثلها امرأةً إذا حدثت ، فكأنما تسكب في روحي سرَّ الحياة بهمس عن شفتين رقيقتين ضامرتين كأن الدم فيها مكفوف وراء غلالة من النعمة والشباب. فآه من الثريا ! لقد حجبت عني كل نجم كان يلوح لي في الدياجي يُلهمني أو يُغويني... وَيْ ، ما دهاك أيها الرجل ؟

ورأيت ابن أبي عتيق يتخطاني بعينيه ينظر إلى الباب من ورائي ، قد انتُسِف وجْهه وغاض من الدم كأنما يرى هولًا هائلًا قد أوشك أن ينقض عليه ، وما كدت أرد الطرف حتى سمعت من يقول : السلام عليكما يا عمر ! وأنت يا ابن أبي عتيق مالك تنظر إليَّ كالمغشيِّ عليه لا ترفُّ منك عاملة ولا ساكنة ؟ وما بك يا أبا الخطاب ! أترى الحمى كانت منك على ميعاد ؟ لقـد أقبلت أمس من سفري ، وكان الليل قد أوغل فتلقاني ولدك جوانٌ فأنبأني أن الحمى قد وردتك فأردعتْ عليك أيامًا فنهكتْـك حتى خيفت عليك بُرَحاؤها . وأن ابن أبي عتيق جزاه الله عنا وعنك خيرًا أبى إلا أن يتعهـدك بمرضك حتى تبرأ وتستفيق ، وإني لأراك بارئًا يا أبا الخطاب .

فوالله لقد سكنتْ نفسي لما أتم كلامه وسكتَ ، وأدنى يده يجسُّني جسَّ المشفق . ورأيت ابن أبي عتيق يثوب كأنما كان في كرب ينتُّه ويعصرُه ثم أرسله فعاد إليه الدم . فهـذا أخي الحارث (هو الحارث بن أبي ربيعة أخو عمر) سيد من سادات قريش شريفٌ كريمٌ عفيفٌ ديِّنٌ ، ما رآه امرؤ إلا دخلتـه الرهبة له حتى تتعاظمه . فما زاده أن كانت أمه سوداء من حَبش إلا رفعةً ومكانًا . ولقد كان عبد الملك بن مروان ينازع عبد الله ابن الزبير أمر الخلافة ، وكان ابن الزبير قد ولَّى الحارث بعض الولايات ، فلما جاءه النبأ بولاية الحارث قال : أرسل عوفًا وقَـعَد ! ولا حُرٌّ بوادي عَـوْفٍ . فابتدر من المجلس يحيى بن الحكم وقال : ومن الحـارث يا أمير المؤمنين ؟ ابن السوداء ! فقال له عبد الملك : خسئتَ ، فوالله ما ولدتْ أمةٌ خيرًا مما ولدت أمه !

ثم صرف الحارث وجهه إلى ابن أبي عتيق وهو يبتسم له وقال : أما زلت يا ابن أبي عتيق بحيث قال صاحبك فيما بلغني من شعره إذ يقول لك ؟

لا تلمني عتيقُ حسبي الذي بي ... إنَّ بي يا عتيق ما قد كفاني
إنَّ بي داخلًا من الحب قد أبـ ... ـلى عظامي مكنونُه وبراني
لا تلمني وأنت زيَّنتها لي ... أنت مثل الشيطان للانسان

فقال ابن أبي عتيق : هُديت الخير ، فوالله إن أخاك لشاعر يقذف بباطله ، ولقد وقعت في لسانه ولقيت من دواهيه . ثم نظر إليَّ الحارث وقال : أما وقد لقيتك بخير يا عمر ، فإني منصرف إلى وجهي ، وبالله إلا ما تقدمت إلى أهل بيتك أن يعدوا لي المنزل الذي نزلته بالأمس حتى أعود ، وإني أرى الريحان قد ذبل فَمُرْهُم أن يستبدلوا به ، وأن يطيِّبوا الفراش ويجمروه . وقل لطائف الليل أن لا يلم بنا ؛ فلسنا من حاجته ولا هو من حاجتنا . فما تمالكت أن قلت له : ويحك ! أفهو أنت ؟ قال : أجل هو أنا أيها الفاسق ! قلت : إذن فوالله لا تمسُّك النار أبدًا وقد ألقت نفسها عليك وقبَّلتك . فقام مغضبًا يفور وقال : أعزُبْ ، عليك وعليها لعنة الله !

وانطلق الحارث واستفقت من غشيَة الحب وما نزل بي من الغم لما فاتني من الثريَّا . وقال ابن أبي عتيق : قد والله أسأت فما تراني كنت أحدثك من جوف الليل أنهاكَ أن تجزع لبغتة إن جاءتك ، فوالله لشـدَّ ما جزعت وخانتك نفسك وأرداك لسانك ! ولبئسما استقبلت به أخاك ! ولقد كنت أقول لك إن التردد مدرجة النكبات فإذا جرأة لسانك مَدرجَة إلى كل بلاء ، وإلا والله لا تفلح أبدًا أيها الرجل

فلقد اضطرب عليَّ أمري حتى ما أدري ما أقول ، ثم سكَنت

نفسي وقلت له : أفرخ روعك يا ابن أبي عتيق ، ولتعلمن اليوم دهاء عمر ، فأرسل فى طلب ابنتى « أمة الوهاب » والحق أنت الحارث فرده على . وانطلق ابن أبي عتيق ، ولم ألبث حتى جاءتنى أمةُ الوهاب فقلت لها : يا بنية ! أشعرت أن عمك الحارث قد نزل بنا الليلة ؟ قالت : كلا يا أبهْ ! قلت : إذن فانطلقى إلى هذه الغرفة التى إلى جوارى وتباكى وانتحبى ما استطعت حتى أنهاك . ففعلت ، وجاء الحارث وابن أبي عتيق فقلت له : جعلت فداءك ! مالك ولأمة الوهاب ابنتك ؟ أتتك مسلمة عليك فلعنتها وزجرتها وتهددتها ، وها هى تبك باكية . فقال : وإنها لهي ! قال : ومن تراها تكون ؟

فانكسر الحارث كأنما اقترف ذنباً لا يعفو الله عنه إلا رحمة من عنده ، وقال : فما بالك وما كنت تقول ؟ فقال ابن أبي عتيق : ذاك هذيان المحموم يا ابن أخى ، ولو أنت كنت الليلة إلى جانبه لسمعت من بوائق لسانه ما تصطك منه المسامع . وإنى لأظن الحمىَّ هى التى خيلت له حتى أنطقته ببعض تكاذيبه . قال الحارث : والله لشد ما يغمنى أن يدع عمر كل خير فى الدنيا ، وكل ثواب فى الآخرة ، وأن يحبط أعماله بما يسول له شيطان نفسه وشيطان شعره ، فيهتك عن الحرائر ما ستر الله . ولقد طالما نهيتك يا عمر عن قول الشعر فما زلت تأبى أن تقبل منى ، أتراك فاعلاً لو أعطيتك الساعة ألف دينار ذهباً على ألا تقول شعراً أبداً . قلت : قد رضيت ! قال : فهى منذ الساعة فى ملكك

قال عمر بن أبي ربيعة : فما أخذتها منه إلا لأهديها إلى الثريا عطراً ولؤلؤاً وثياباً من تحف اليمن . أما الشعر فوالله لا أتركه لأحد ، رضى الحارث عنى أو غضب .

محمود محمد شاكر

القضايا الكبرى في الإسلام

قتل الهرمزان

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



رُوّع المسلمون بقتل عمر رضى الله عنه بيد فارسى أثيم يسمى فيروز ، ويكنى أبا لؤلؤة ، ووقف العالم ينتظر أثر هذا الحادث فى نفوس المسلمين من جهة الفرس الداخلين فى حكمهم . أيجعلونها قضية شخصية كسائر القضايا ، أم يتناولون بها غير القاتل من قومه ، فيقضون فيها بحكم القوة الذى كان يقضى به فى الجاهلية ، وتقوم به الحروب بين القبائل والشعوب ، ويخرجهم السلطان عن حكم القرآن فى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) فلا فرق بين أمير وحقير ، ولا بين عربى وغيره من سائر الشعوب

وقد تفرعت عن هذه القضية قضية أشد منها امتحاناً للمسلمين فى الحكم الذى يأخذون به فيها ، فوقف العالم مرة ثانية ينتظر فيها حكمهم ، فهل يقضون بالعصبية التى كانوا يقضون بها فى الجاهلية ، أو يقضون بالعدل الذى لا يفرق بين القبائل والشعوب ، وتلك قضية قتل الهرمزان الذى رَوّع المسلمين كما روعهم قتل عمر ، وأظلمت به المدينة على أهلها ثلاثا

خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف فى السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة — وكان نصرانياً — فقال : يا أمير المؤمنين ، أعْدِنى على المغيرة بن شعبة ، فإن علىّ خراجاً كثيراً . فقال له عمر : وكم خراجك ؟ قال : درهمان فى كل يوم . فقال عمر : وإيش صناعتك ؟ قال : نجار ، نقاش ، حداد . فقال عمر : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال . قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت . فقال : نعم . فقال عمر : فاعمل لى رحاً . فقال : لئن سلمت لأعملن لك رحاً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب . ثم انصرف عنه . فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفاً . فلما كان بعد ثلاثة أيام خرج إلى صلاة الصبح ، وكان يوكل بالصفوف رجالاً ، فإذا استوت جاء هو فكبّر ، ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته ، وهى التى قتلته ، ثم خرج يريد الفرار فتبعه رجل من تيم فقتله وأخذ منه الخنجر ، ومضى ذلك المجرم الأثيم بسر فعلته ، ولو أنه بقى لأمكن أن يؤخذ منه اعتراف عن السبب الذى دفعه إليها ، وأن يُسأل هل الذى حمله عليها أن عمر لم يُعْدِه على المغيرة بن شعبة ، أو أنه أراد الانتقام لدولة الفرس التى أسقطها عمر ؟ وهل كان له فى ذلك شركاء ، أو لم يكن له شركاء فيه ؟

وقد شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبى لؤلؤة وحده ، وأنه كان هناك أشخاص شركوا فى دم عمر ، ففتح باب التحقيق فى هذه القضية الغامضة ، وجاء عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق غداة طمن عمر : فقال : مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جُفَيْنَة والهُرْمُزان وهم نجىّ ؛ فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فانظروا بأى شىء قتل ؟ فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فإذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن بن أبى بكر

ولم يتقدم أحد بعد عبد الرحمن بشهادة تلقى ضوءاً على هذه القضية الغامضة . ولا شك أن شهادة عبد الرحمن إنما تثير شبهة فقط فى جفينة والهرمزان ، والشبهة لا تكفى فى إثبات جناية

من الجنايات ، لأن أمور الدماء أجل من أن تهدر بشبهة من الشبه ، بل إن الشبهة لا تكفى فى إثبات حق فى الدماء وغيرها ، ولا بد من دليل واضح تثبت به الحقوق ، وتبنى عليه الأحكام .

وقد سئل القماذبان بن الهرمزان عن أمر ذلك الخنجر فقال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ، فمر فيروز (أبو لؤلؤة) بأبي ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه وقال : ما تصنع بهذا فى هـذه البلاد ؟ فقال : أُبسُّ به . فرآه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما أصيب عمر قال : رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز

فلما لم يجدوا فى هذه القضية الغامضة غير تلك الشهادة طووا التحقيق فيها ، ولم يروا فى هـذه الشهادة ما يدين جفينة والهرمزان ، وكان فى طى التحقيق بهذا الشكل أكبر دلالة على سمو الإسلام ، لأنه أبى مع تلك الشهادة التى تثير شبهة قوية فى أن قتل عمر كان بمؤامرة فارسية أن يحمل لشهوة الانتقام أثراً فى حكمه ، وأن تأخذه عزة السلطان فيستهين بدم شعب خضع له ، ويجعلها مذبحة تشفى النفوس الثائرة لمقتل ذلك الخليفة الذى نشر لواءه فى الخافقين

ولكن طى التحقيق بهذا الشكل لم يرض بعض آل عمر ، وكان ابنه عبيد الله لا يزال فتى يجرى فيه دم الشباب ، ويعد من شجعان قريش وفرسانهم ، فخرج مشتملاً على السيف حتى أتى الهرمزان فقال : اصحبنى ننظر إلى فرس لى . وكان الهرمزان بصيراً بالخيل ، فخرج بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف ، فلما وجد حرَّ السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله . ثم أتى جفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة ، أقدمه سعد بن أبى وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة ، فلما أشرف له علاه بالسيف فضربه فصلَّب ما بين عينيه ، ثم أتى ابنة أبى لؤلؤة جارية صغيرة تدَّعى الإسلام فقتلها ، ثم أقبل بالسيف صَلتاً فى يده وهو يقول : والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته وغيرهم ، وكأنه يعرِّض بناس من المهاجرين ، فجعلوا يقولون له : ألق السيف ، فيأبى ويهابونه إلى أن أتى عمرو بن العاص فقال له : يا ابن أخى أعطنى السيف . فأعطاه إياه ، ثم ثار إليه عثمان بن عفان فأخذ بناصيته حتى حجز الناس بينهما ، وأرسل صُهَيْب الرومى القائم مقام الخليفة من أتى به إليه ، فسجنه حتى يتم الاستخلاف وينظر فى أمره

فلما تولى عثمان الخلافة جلس فى المسجد لينظر فى هـذه القضية التى وقف العالم ينظر ما يفعله الإسلام فيها ، فدعا بعبيد الله من سجنه ، ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار : أشيروا علىَّ فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق ، فنصب علىُّ ابن أبى طالب نفسه محامياً عن الهرمزان ومن قتل معه ، وقال لعثمان : أرى أن تقتل عبيد الله . وهو فى هـذا يرى أن النص صريح فى القصاص من القاتل ، ومتى كان هذا أمر النص وجب الحكم به ، ولا يصح أن يراعى معه شىء آخر ، ولا أن يُغَلَّب على حكمه ما يقترن بحادث القتل من مثل ما اقترن به فى هـذا الحادث ، لأن أمر النص فوق كل شخص ، وحكمه يعلو على كل اعتبار ، وهو فى هذا كمن يتمسك فى عصرنا بألفاظ القوانين ، ولا يبيح الدول عنها فى حال من الأحوال . وقد وضع على بهذا أول حجر فى أساس تشيع الفرس له

ونصب جماعة من المهاجرين أنفسهم للدفاع عن عبيد الله ، فقالوا فى الدفاع عنه : قُتل عمر بالأمس وتريدون أن تُتبعوه ابنه اليوم ! أبْعَدَ الله الهرمزان وجفينة ! وكأنى بهم يخالفون علياً فى ذلك النظر إلى النص ، ويرون أنه قد يطرأ من الأحوال ما يجب معه التساهل فى أمر النصوص ، وتغليب الاعتبارات التى تمنع من الأخذ بها ، فلا يجب أن يتقيد القاضى بها دائماً ، بل يجب أن يترك الأخذ بها وعدمه لتقديره واجتهاده ، ولحكم الأحوال التى تقترن بالحادث الذى يريد الحكم فيه

وكان عمرو بن العاص ممن نصب نفسه للدفاع عن عبيد الله ، وقد ذهب فيه مذهباً غريباً يخلصه من القصاص ، ولا يكون فيه عنده خروج على نص الشرع فى قتل العمد ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعفاك أن يكون هـذا الأمر ولك على الناس من سلطان ، إنما كان هـذا الأمر ولا سلطان لك ، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين . وعمرو يذهب فى هذا كما ذكر ابن حزم

إلى إهدار القوَد عمن قتل فى الجماعة بين موت إمام وولاية آخر ، وهو مذهب غريب لا يصح الأخذ به ، وإلا انتظر الناس ذلك الظرف فاستباحوا فيه الدماء ، لأنهم يرون أنه لا ينالهم فيه قصاص . وانتهت بدفاع عمرو مرحلة الدفاع فى القضية ، وهو دفاع يدل على أن الصحابة كانوا يتمتعون بقسط وافر من حرية الاجتهاد ، وأنهم كانوا لا يقفون جامدين أمام دلالة النص إذا حزب الأمر ، واقتضى مرونة تحل ما يوقعهم فيه من إشكال . وقد تشعب الخلاف بينهم فى دفاعهم حتى بلغ أقصى ما يبلغه خلاف ، فلم يحمل أحداً منهم على الطعن فى دين الآخر ، ولم يرمه بالإلحاد الذى نترامى به فى عصرنا فى كل خلاف يحصل بيننا

ثم جاءت مرحلة الحكم فقال عثمان : أنا ولى الهرمزان وجفينة والجارية ، وقد جعلتها دية . وفى رواية أنه قال لعلى حينما قال له اقتل عبيد الله : كيف أقتل رجلاً قتل أبوه أمس ، لا أفعل . ولكن هذا رجل من أهل الأرض ، وأنا وليه أعفو عنه وأؤدى ديته . وقد اختلف العلماء فى توجيه هذا الحكم الذى جاء مخالفاً لنص القصاص ، فقال صاحب البدائع : أراد بقوله : أعفو عنه وأؤدى ديته ، الصلح على الدية . وللحاكم أن يصالح على الدية إلا أنه لا يملك العفو ، لأن القصاص حق المسلمين بدليل أن ميراثه لهم وأن الحاكم نائب عنهم فى الإقامة . وفى العفو إسقاط حقهم أصلاً ، وهذا لا يجوز . وله أن يصالح على الدية كما فعل عثمان رضى الله عنه . وذكر ابن حزم أن عثمان أخذ فى ذلك بما ذهب إليه عمرو فى دفاعه من إهدار القوَد عمن قتل فى الجماعة بين موت إمام وولاية آخر . وقيل إن عثمان لم يحكم بذلك إلا بعد أن دعا القماذبان بن الهرمزان فأمكنه من عبيد الله ثم قال له : يا بُنى ! هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله . فخرج به وما فى الأرض أحد إلا معه ؛ إلا أنهم يطلبون إليه فيه ، فقال لهم : إلى قتله ؟ قالوا نعم ، وسبُّوا عبيد الله . فقال : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا ؛ وسبُّوه . فتركه لله ولهم ؛ فاحتملوه حتى بلغوا به المنزل على رؤوسهم وأكُفهم . وقد حكم ابن حجر بضعف هذا الخبر ، لأن علياً استمر حريصاً على أن يقتله بالهرمزان . وقد قالوا إنه هرب لما ولى الخلافة إلى الشام فكان مع معاوية إلى أن قُتل معه بصفِّين . وإنى أرى أن هذا لا يقطع بضعف هذا الخبر ، لأنه يجوز أن علياً رأى أن القماذبان قد حمل من الناس على هذا العفو ، على أنى أستبعد أن يستمر على حريصاً على قتل عبيد الله بعد حكم عثمان بذلك ؛ فلكل حكم قداسته ، وعلىٌّ أكبر من أن يستهين بالأحكام إلى هذا الحد .

ولا أنكر مع هذا أنه لم يكن راضياً عنه ، وأنه كان هناك فريق من الصحابة يشاركه فى عدم الرضا به ، ومن ذلك الفريق زياد ابن لَبيدِ البياضى ، وكان إذا رأى عبيد الله ينشده :

ألا يا عبيد الله مالك مهربٌ
ولا ملجأ من ابن أرْوى ولا خَـفَرْ
أصبت دماً والله فى غير حِلّه
حراماً وقتل الهرمزانِ له خطر
على غير شىء غير أن قال قائل
أتتهمون الهرمزان على عُمر
فقال سفيهٌ والحوادث جمّةٌ
نعم أتهمُـه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد فى جوف بيته
يقلّبها والأمر بالأمر يعتبرْ

فشكاه عبيد الله إلى عثمان فدعا به فنهاه ، فقال فى عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهنٌ
فلا تشكك بقتل الهرمزان
فإنك إن غفرتَ الجُرْم عنه
وأسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو إذ عفوت بغير حقٍ
فمالك بالذى يحكى يَدان

فدعا به عثمان ثانياً فنهاه وشذّبه ، وكان حقيقاً بما فعل عثمان به لأن الطعن فى الأحكام بهذا الشكل يدعو إلى الفوضى ، والقاضى إذا حكم باجتهاده كان لحكمه قداسته كائناً ما كان حكمه

عبد المتعال الصعيدى

من روائع الرسول

للأستاذ قدري حافظ طوقان



يمر الزمن وتزداد عظمة الرسول وضوحاً وجلاء، وكلما تعمقنا في دراسة روائعه وجوامع كلمه تجلى صفاء المعنى وسمو المرمى والحكمة الزاخرة والحق المبين

وحين نستعرض بعض روائعه نجتلي محاسن أغراسها، ونمتع النفس بنفائس أزهارها، ونغذي الروح بما فيها من حكمة وخير وجمال — أقول حين نستعرض هذه نجد أن من الأحاديث ما يعبر أروع تعبير عن حقيقة الظواهر الكونية وعن القوانين الطبيعية التي تسيطر على هذا العالم، فهي وإن قلت عدد كلمات، فقد حوت من الحكم والمعاني ما يبهر العقل والقلب والعاطفة؛ يهتدي بها الضال في الفلوات، ويرنو إليها الخابط في الظلمات، تنير الفكر وتهدي إلى الغاية، كما ترشد إلى الحقيقة الخالدة. فيها الهدى وفيها الموعظة، وفيها العبرة.

كان إبراهيم قرة عين الرسول يُسرُّ بمداعبته ويطمئن إلى رؤيته، يرمقه بعطف ليس بعده عطف، ويخلع عليه ألواناً من الحب والحنان تتمثل فيها الرحمة الأبوية في أقوى صورها، والعاطفة الإنسانية في أسمى معانيها.

لقد فقد محمد أبناءه وبناته ولم يبق له غير فاطمة وإبراهيم. لهذا لا عجب إذا طفح بشراً عند مشاهدتهما، وامتلأ غبطة وسروراً في لقياهما، ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن لا تطول تلك الغبطة وذلك السرور، وأن يفجع النبي في ولده إبراهيم، وهنا (انطفأ بموته ذلك الذي تفتحت له نفس زمناً وزادت عينا محمد تهتانا وهو يقول: يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك بأشد من هذا ...)

كسفت الشمس في يوم الوفاة، ورأى المسلمون في ذلك كرامة. فقال بعضهم: لقد انكسفت الشمس لموته. وهم على ما يظهر على حق فيما يقولون؛ فلقد وافق موت إبراهيم كسوف الشمس؛ فلماذا لا يرى بعضهم في هذا معجزة؟

أليس الله بقادر على كل شيء؟

أليس الرسول كريماً عند مولاه؟

لقد حسبوا أن الله أراد أن يكون في هذه الظاهرة العزاء والسلوى لنبيه الكريم ...

وهنا ... يتجلى في محمد — على فرط حبه لإبراهيم وشدة حزنه عليه وجزعه لموته — إخلاصه للرسالة، ويرى في القول خروجاً على الدعوة التي بعث من أجلها، ولا يرضى أن يرى الناس في هذا معجزة فينسى أن إبراهيم، ولده وينسى أن إبراهيم كان رجاءه وأمله، وينسى أن إبراهيم مات ولما تتفتح نفسه له ... وينسى فجيعته وهذا الهول الذي نزل به، ويقف خطيباً ويقول: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي)

صلى الله عليك ... وهل بعد هذا من عظمة؟ ففي أحرج المواقف، في أدقها، لم تنس رسالتك، ولم تغفل عن الحق الذي أتيت به، وأبيت إلا أن تكون مخلصاً لدعوتك ولحقائق الوجود، وجئت بدستور كوني وضع حداً لسخافات المنجمين وأقوالهم، ولاعتقادات الناس في الظواهر الطبيعية والكونية، وبأن ما يجري في الكون لا يتقيد بأحد، ولا يسير إرضاء لبشر، بل إن هناك قوانين تسيرها، وأنظمة تسيطر على حركاتها، أوجدها الخالق منذ الأزل لا تحيد عن الطريق الذي رسمها، وقد نزهها عن الشذوذ والتناقض

ومن يبحث فى هذا الكون ويسعَ فى الوقوف على أنظمته والقوانين التى تسيطر عليه يجد أن لا شىء فيه إلا يسير ضمن دائرة من القوانين لا يتعداها ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ، وأن الكون متسق فى نظامه ، متناسق فى أجزائه ، متشابه فى تركيبه ، وأن النظام الوجود فى السيارات والشموس هو بعينه فى الجوهر الفرد ، فى الكهارب وفى النوايا . ومن الغريب أن الإنسان كلما تقدم فى الكشف عن قوانين الطبيعة وكلما حاول تفهم أسرارها ، رأى نفسه أمام أسئلة عديدة لا يستطيع الإجابة عنها ، وقد زاد اعتقاداً بضآلته وجهله ، وبأنه لم يكشف شيئاً ، وأنه لا يزال فى فجر يقظته العقلية وفى مراحل التفكير الأولى فى الوقوف على أسرار الوجود . وكلما قلب بصره فى هذا الفضاء وزاد معرفة به شعر بأن الوداعة تقترب منه ، وأن من الواجب عليه أن يكون فى الذروة من التواضع وسمو الخلق . ولا عجب ، فحسبه أن يعرف أن الأرض إزاء الأجرام السماوية التى لا عد لها أشكالاً وأنواعاً كذروة من الغبار سائرة إلى الفناء لا تأبه للحياة ... ولقد ربط مبدع هذا الكون أجزاءه بعضها ببعض ربطاً وثيقاً لا يستغنى أحدها عن الآخر ولا يستطيع أى جزء أن يسير دون غيره ، فالإنسان مرتبط بالإنسان ، وهذه كرته التى يعيش عليها وما فيها من حيوان ونبات وجماد لها علاقة مباشرة وغير مباشرة مع غيرها من الكواكب والنجوم ، فلولا الشمس لما عاش النبات والحيوان والإنسان ، ولولا القمر لاختل نظام التجارة ، ولولا الكواكب والنجوم وجذب بعضها لبعض لما استطاع أن يحفظ كل نجم أو كوكب مركزه فى هذا الوجود ولسادت الفوضى وعم البلاء

وعلى هذا فالعالم مترابطة أجزاؤه تسيطر عليها أنظمة وتتولاها قوانين لا تتعداها ولا تشذ عنها : والذى لا ريب فيه أن هذا الكون لم يوجد من تلقاء نفسه إذ لو كان كذلك لما رأينا فيه هذا النظام وهذا التنسيق . بل إن هناك قوة « خارقة » منسقة منظمة لا يحيط بها عقلنا ، بل هى تحيط بنا وبهذا الوجود من جميع نواحيه فلا تتحرك هباءة فى الأرض والسماء من جماد أو نبات أو حيوان ، ولا فلك ولا نجم ولا كوكب إلا والله هو محركها والمسير لها فى دائرة من النواميس تشهد على عظمته وحكمته وبديع أمره فى خلقه ، وتنطق بكمال علمه ونفاذ مشيئته ، وتدل على قدرته وجلاله وكبريائه . ومهمتنا نحن البشر أن نزيد معارفنا عن هذه النواميس ونبحث فى أصولها . وكلما زدنا معرفة بها زدنا اعتقاداً بقدرة الله الخارقة المنظمة وإيماناً بقوة إبداعه ، وظهر لنا بجلاء أن هذا الكون لم يخلق باطلاً

هذا الاعتقاد وهذا الإيمان ، إذا رسخا عن طريق الدرس والبحث والتفكير فى آيات الله فإنهما يسموان بالإنسان إلى عالم أسمى من عالمنا ، وفى هذا لذة روحية ومتاع فكرى ليس بعدها لذة أو متاع . وهذا ما جعل الرسول المفكر يقول عند حدوث الظواهر الكونية : اذكروا الله وتفكروا فى آلائه وعجائب صنعه ، فنى هذا آيات لأولى الألباب ، وفى هذا عبادة هى أسمى العبادات وأفضلها

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك »

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

حكم فى الجنحة ٣٤٨ عسكرية بولاق سنة ١٩٤١ بتغريم حافظ عبد السلام ٢٠٠ قرش لامتناعه عن بيع بترول بالسعر المحدد

تحية الهجرة

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



يا دياراً طيب الله ثراها ... طلع الحـق عليها فهداها

إنه النـور الذي أخرجها ... من غَشَى الظلمةِ واجتاح دُجاها

لم يُرِدْ مجداً ولم يسع إلى ... زُخرُفِ الدنيا ولم يبتغ جاها

لم يرد في الحـق إلا غايةً ... لا . ولم يدع مع الله إلاها

السفاهات عليه اجتمعت ... فمضى لم يخش في الحق سفاها

والضلالات عليه ائتمرت ... إنها لم تثنه ... لكن ثناها

غُلِبَ الشِّرك على دولته ... والهوى قُوِّضَ والباطل شاها

أيها الداعي إلى السِّلم أعِنْ ... أمماً قد ضاع في السلم رجاها

نزغ الشيطان فيهم فمشى ... كل شيطان بأرض يتباهى

ملأوا أشداقهم سلماً كما ... تملأ الضفدع بالأصوات فاها

مُلتوي الغايات... لم نعرف لهم ... وِجهةً تُبتغى ولم ندر اتجاها

كل يوم جشع لا ينتهي ... كل حين طمع لا يتناهى ...

أيها الهادم أصنامَ مِنًى ... عادت اليومَ كما نحن نراها

أين منها « اللاتُ » في طاغوتها ... والقرابينُ تُضَحّى لثراها ؟

كل أرض بدلت من ربها ... صنماً يمتص بالبَغْي دماها

ساقها للحرب شعواء وقد ... دارت الحرب على قطب رحاها

دولة الأصنام قد ولت فمن ... عاد بالدنيا قروناً فدعاها ؟؟

نَزَّهَ الله عن الشرك ... لقد ... تخذ الناس من الناس إلاها

أيها الخارج من مكة لم ... يلق منها العطف أو يأمن أذاها

أهلُكَ الأدنون عادَوْكَ وقد ... تجد النفس من القربى عِداها

هذه أرضك فارقتَ لكي ... تنشد الأمن على أرض سواها

هكذا الأحرار لا تقعدهم ... جذوة الظلم ولا لفح لظاها

لا تضيق الأرض في أعينهم ... عن أماني النفس أو درك مداها

كل أرض ظللتهم وطن ... ما هي الأوطان إن ضاع حماها ؟

هِجْرةٌ لله لم تبغ بها ... كلأً رطباً وأرضاً ومياها

هذه مكة قد غَضَّتْ بها ... أعينُ القربى وآذتك يداها

أجمعوا ـ والله أقواهم يداً ـ ... وعلوا ـ والحق أعلاهم جباها

فإذا الباطل أعيا أمره ... وإذا الأصنام قد خارت قواها

لم تكن إلا رؤى خادعةً ... طلع الصبح عليها فمحاها ...

اسألوا الإسلام عن دولته ... من أشاع السلم فيها من بناها ؟

من على القوة أرسى أرضها ... وعلى العزة قد أعلى سماها ؟

قرشي من بني هاشم ما ... دل بالسلطان أو بالحكم تاها

مهـد الأمر لدنيا أقبلت ... وزمانٍ ببني قحطان باهى ...

فتحوا الأرض فما غلوا يداً ... سفهاً منهم ولا كفوا شفاها

على عتبة رسول الله

للشاعر التركي ابراهيم صبري
للأستاذ عثمان على عسل

هذا مقام أحمد محمود المجتبىء ، هذا هو حب الله قد تجسد تراباً وإنه لكحل للعيون . ألا فلتحمل أيها القلم قلبي إليه وقطعه إرباً إرباً وعلّق به قلادة منه لتكون بلسماً لجراحه

قبّل ثراه ساجداً وابسط تضرعى وابتهالى فههنا حرم سيد المرسلين باب المصطفى

***

بشر الأنبياء بالحياة فى الآخرة غير أنك يارسول الله أسبغت على الدنيا حياة أيضاً

هدمت عصور الجهل وحكمت على الظلم بالهلاك

فأنت عطية من الله للأحرار يارسول الله . فتاريخ البشر لم يسجل حدثاً أكبر شأناً من رسالتك ، فمن ذلك اليوم كان التوحيد لله وحده

حين أستمع إلى دعوات التكبير التى تنبعث من أغوار العصور الغابرة يستولى على جنانى الدوار ويخر مع سجودى على الأرض فى استغراق من الحيرة

وحينما أعود بأفكارى القهقرى إلى أسلافى وأرسل خيالى إلى هؤلاء الصحابة والأشراف الذين دانت لهم أمصار الأرض أتمثل « يا محمد » هذا النداء الذى يتردد فى صلوات أرواح لا تحصي

وحينئذ يذكرنى الذل الذى ترسف فيه شعوب الإسلام بذلك الماضى المجيد الذى أصبح تاريخاً ؛ فتنزف روحى دماً ويستحيل إحساسى وأفكارى ألماً . لم يبق للاسلام من ذلك المهد الجليل سوى هذه القفار الجرداء

وإنى لأبحث عن حقوق الإنسان التى أشرقت فى المغرب ثم أشعلت النار فى المشرق ثم غابت ؛ فلا أجد لبزوغها أثراً فى هذه الفيافى التى لا يسمع للصوت فيها صدى . لا رجاء فى هذه النظم التى سنتها البشرية ... وليس من نفاق أصدق من الحقوق المزعومة والحقائق الباطلة

أما أنا فقد فتنت بحق من فيض هداك ، ومن احتراق لليلاه أمزق ثيابى كالمجنون

ليلاى ليس من شيمة حبها ظلم محبيها للجميع سواء

والذين وقعوا فى شراك غرامها لا يشعرون بالندامة ، لأن هناك أمامهم يوم القيامة

وكأنما القرآن رسالة غرام تنثر السلوى للعشاق المعاميد

ألا كيف يشرب ذو الحجى خمرة الذهول من يد الساقي

ضمنوا حرية الفكر وما ... ضيقوا يوماً على الناس مداها
كان للرأى لديهم ساحة ... كالميادين وأرجاء وَغَاها
اسألوا بغداد عما شهدت ... من جدال سطرته صفحتاها
الثقافات لديهم مثلت ... بعدما ألقت من السير عصاها...

يا دياراً ألّفتها وحدةٌ ... تسع الدنيا جميعاً فى حماها
بين وادى النيل فى رقته ... ورُبَى لبنانَ فى شمّ ذُراها
والهضابِ الخضر من أندلس ... والعراقين وأعلام قراها
هذه الأوطان من فرقها ... وبأحداث الليالى من رماها
لم يعد فيها سوى مئذنة ... ضاع فى الغارات مرجوع صداها...
فمتى يرجع يوماً مجدها ... وَمَتَى يُشرق بالشمس ضحاها ؟
وَمَتَى يهتف فيها هاتف ... بالمودات وأنغام لُغاها ؟؟؟

محمد عبد الغنى حسن

ما دام الصحو من سكر الدنيا هو النوم

سكبت من مآقى جرعات وانصرفت من مجلس لهوى على حداد . وبودى أن أتناول كأس الوصال من يد ليلاى لأنقع به صداى …

أنت لحب ليلى رسول تكرمت فيممتك فى تواضع ليس من طبيعة المشوق ، ومن أنا يا رسول الله حتى تحمل إلى الرسالة ؟ لهذا جئت إليك متضرعاً فى خشوع وخضوع

أنا شاعر صغير من شعراء الروم هاجرت من ديارى وقد تحجر براعى فضممته إلى أحشائى ، كما يشد الساغب الحجر على بطنه ليمسك رمقه

ولقد تحطم خيالى من فيض الإلهام الذى انهال عليه من مقام المصطفى ولا يدركه عقل … ومن ذكريات حبيب الله التى لا أدرى كيف استوعبها الثرى

وقفت مطرق الجبين حاسر الصدر باسطاً يدى أسأل الرحمة ومنتظراً منك المؤونة على باب سخائك

وسأستمد الجرأة من شأنك الذى رفعه الله بقسمه « لعمرك » كما ألتمس من شفاعتك الرحمة والهداية لأمتك العاصية ما دامت قصيدتى ستمضى إلى الأبد فى تقبيل تراب روضتك الطاهر .

مترجما

عزّانه على صـل

إعـــلان

يحيط مجلس مديرية أسيوط المصالح والجمهور علماً بأن القسائم غير المستعملة والآتى بيانها فقدت من دفتر القسائم ٣٣ ع . ح مجموعة نمرة ٣٤

عدد
٨ قسيمة مما تبقى بالدفتر منها :

عدد
٤ من رقم ٦٤٦٤٧٣ إلى رقم ٦٤٦٤٧٦
٤ « « ٦٤٦٥١٣ « « ٦٤٦٥١٦

عدد
٨ قسيمة مما تعطى للدافع منها :

عدد
٤ من رقم ٦٤٦٤٦٩ إلى رقم ٦٤٦٤٧٢
٤ « « ٦٤٦٥٠٩ « « ٦٤٦٥١٢

فكل من عرضت عليه أو عثر بأى طريق كان على إحدى هذه الأوراق أن يعلم أنه لا قيمة لها وأنها لاغية وغير معمول بها وليكن معلوماً أنها إذا استعملت إنما يكون استعمالها من باب الاختلاس والتزوير مما يجعل مستعملها عرضة للمحاكمة جنائيا ومجازاته بما يقضى به القانون وقد نشر هذا الاعلان لئلا يجهل أحد ما تقدم ؟ ١٧٥٦

محكمة ببا الجزئية الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية ن ١١٣٥ سنة ١٩٤٣

بجلسة البيوع اللازم انعقادها بسراية محكمة ببا الجزئية الأهلية فى يوم الخميس ١٠ فبراير ١٩٤٤ أفرنكى صباحا

سيصير إشهار مزاد وبيع العقار كالآتي

١٦ س ٢٠ ف بحوض محمد بك ٢٤ قطعة ن ٢٦ البحرى لزم بنت فتح الباب بالقطعة ن ٢٥ بحوض والشرقى طريق عمومى والقبلى ورثة حسن أبو الجود بالقطعة ن ٢٧ بحوض والشرقى طريق عمومى والقبلى ورثة حسن أبو الجود بالقطعة ن ٢٧ بحوض والغربى فاصل حوض رشوان باشا ن ٤

٢٦ س ٢٠ ف فقط عشرين قيراطا وستة عشر سهما لا غير

وهذا البيع بناء على طلب محمود افندى حسن خاطر رئيس كتاب مصلحة السكة الحديد بالقبارى بالاسكندرية ومتخذ له محلا مختارا ببنى سويف مكتب حضرة الاستاذ حلمى افندى لوقا المحامى وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة ببا الجزئية الأهلية بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٣ ومسجل بقلم كتاب محكمة بنى سويف الأهلية فى ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٣ نمرة ٤٣٦ م ١٩٤٣ وذلك وفاء لسداد مبلغ ٣٣٠ مليم ٢٧ جنيه بخلاف المصاريف وما يستجد لغاية تمام السداد وسيكون البيع بثمن اساسي قدره ٤٠ جنيه القدر جميعه بالشروط الواردة بالعريضة وأن يكون البيع صفقة واحدة وجميع الأوراق وكذا شروط البيع مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يرغب الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبين أعلاه

فنعلن بذلك

وعلى قلم المحضرين لصق وتعليق نسخ مناقل المحلات القانونية حسب القانون مع إعلان كل من المدين الشيخ طه برديس على المقيم بناحية رشاشة مركز ببا

الست أنجيل خبار المقيمة بمصر ومحلها المختار مكتب حضرة الأفوكاتو شارل جيما بصفتها صاحبة دين مسجل

الدائن محمود افندى حسن خاطر المقيم بالاسكندرية بالسكة الحديد بالقبارى ومتخذ له محلا مختاراً ببنى سويف مكتب حضرة الاستاذ حلمى افندي لوقا المحامى

كاتب البيوع



12 me. Année No. 551

Lundi - 24 - 1 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٥١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

٦ ٥ ٢٢

فى التأنى السـلامة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلنا فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تروى كثيراً من الشعر ... « وكانت تحفظ من شعر عروة بن الزبير نفسه وتسوق الشاهد منه فى موقعه ، كما قالت وهى ترى النبى عليه السلام يتندى عرقاً فى يوم قائظ وقد جلس يصلح نعله : لو رآك عروة لـكنت المعنى بقوله :

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده
لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لواحى زليخا لو رأين جبينه
لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

إلى آخر ما جاء فى ذلك الـكتاب

وقد رأينا فى العـدد الأخير من مجلة الثقافة كلاماً بتوقيع « أحمد محمد شاكر » يقول فيه :

« أما هذه القصة فقد أطلت البحث عنها فى المصادر المحترمة من كتب الحديث والسير والتاريخ حتى أتعبنى البحث ، ثم لم أجدها . وهذا النوع من الـكاتبين لا يتورعون عن تـكذيب الأحاديث الصحيحة المروية فى كتب السنة الصحاح والتى رضيها أهل العلم بالحديث : يكذبونها إذا لم توافق أراءهم وما يدعون إليه

من نظريات يتناولون فيها قواعد الإسلام ، ويزعمون أنهم يتبعون بذلك ما يسمونه طرق النقد الحديث ، ثم يحكون عن رسول الله وعن أصحابه الأكاذيب لا يرون بحكايتها بأساً وينسبونها إليهم نسبة جازمة ، كأنها من الحديث الصحيح لا يتحرون ولا يبحثون ، إنما هو سواد فى بياض ، يضل به الناس وهم يشعرون أولا يشعرون ... أنا لا أجيز لنفسى أن أتهم الكاتب الجرىء بأنه اخترع هذه القصة من عند نفسه ، ولكنى أظن أنه رآها فى كتاب من كتب السمر ... »

إلى أن يقول :

« الذى نعرفه من التاريخ الصحيح فى أمر عروة بن الزبير أنه ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وقيل بعد ذلك ... » إلى غير ذلك من أشباه هذا الكلام الذى ينم قليله على كثيره

وكان بودنا أن ننقل هنا كلمة الكاتب بحذافيرها لتشهد عليه وعلى طويته وبواعث نقده ، لولا أننا نطايل فى غير طائل . وإن الاجتزاء بما نقلناه كاف للدلالة على دخائل الصدور وكوامن النيات .

فأوجز ما نقول وأصدقه أن الجرأة كل الجرأة هى فى إقدام الكاتب على مثل هذا الكلام وهو يضع نفسه موضع الحكم الفصل فى أخبار السيرة ومراجع الأحاديث والمحدثين مع قصور المراجع التى عنده وقصوره فى البحث عنها ، واستيفاء مواضع الاستقصاء منها ، فى مسألة بعينها هى معروضة له ومبسوطة بين يديه

ولا معابة على أحد أن يفوته بعض المراجع التى لا تفوت غيره ، ولكن المعابة كل المعابة أن يبحث عنها عامداً فلا يهتدى إلى طريقها ، وهو يتحدى ويناجز ويتهم ويعاجز ، وبه ما به من هذه اللهفة على إظهار العلم الغزير وإغلاق موارد البحث دون الباحثين

تلك معابة أى معابة على من يحسب أنه يتحرى وحده ويبحث وحده مكتفياً بما فى يديه غير مستزيد مما عنده . ثم هو يبسط يديه معاً إلى أقصى مداهما فلا تبلغان ميسور ما فى الأيدى من المراجع فى باب السير وكتب المحدثين

فليعلم هذا الكاتب — الجرىء — إذن أننا لم نخترع هذه القصة من عندنا ، وأننا لم نرها فى كتاب من كتب السمر ولا فى كتاب من الكتب التى يعوزها الاحترام ؛ لأن شرح شمائل الترمذى ليس اختراعا لمؤلف « الصديقة بنت الصديق » ولا هو حكاية من حكايات الأسمار ، ولا هو مهزلة يعوزها احترام مثله ، وهو لا يرتقى إلى منزلة التلميذ المستفيد بين أصغر شراح الترمذى فى أخبار السيرة وعلم الحديث

فشمائل الترمذى وشروحه من أشهر كتب السيرة التى يتسامع بها العلماء الواصلون والشداة المبتدئون ، وهذه القصة مذكورة فى شرح الشمائل للعلامة محمد بن قاسم جسوس يراجعها فى الجزء الأول صفحة ٢٩ من الطبعة المصرية وفى صفحة ٤٠ من الطبعة الخارجية ، ليعلم أننا لا نخترع ولا نعتمد على كتب الأسمار ، وأنه لا يزال يتهجى فى مراجعة فهارس المكتبات ليعلم أين يكون البحث وكيف يكون الاستقصاء ، ودع عنك المطولات والمبسوطات ، ودع عنك الشروح والأصول

وظاهر من كلام هذا الكاتب الجرىء الذى نقلناه والذى لم ننقله أنه يتتبع ما ألفناه من كتب « العبقريات » واحداً بعد واحد ، وأنه على اللهفة التى ما بعدها لهفة للعثور على هفوة هنا أو نقيصة هناك ، ثم يطلق عقال الحفيظة ليثور ويفور ، ويبلغ قصاراه من الثوران والفوران

فإذا كان قد أضنى نفسه بحثاً فى خمسة كتب أصدرناها من سلسلة العبقريات وما إليها فلم يخرج منها — مع تلك اللهفة وذلك التجنى — بغير تلك القصة ، فهل فى وسعه أن يشهد لباحث فى المشرق أو فى المغرب بتحقيق أوفى من هذا التحقيق ، وفضل أشرف من هذا الفضل ، وعناية أكبر من هذه العناية ؟

أين هو الباحث الذى كتب فى السيرة أو غير السيرة ، وبين المتقدمين أو غير المتقدمين ، ثم تعقبه المغيظون المتلهفون على الأخطاء فعصموه عن حكايات فضلاً عن حكاية ، وعن مخالفات لآرائهم فضلاً عن مخالفة واحدة ؟

صفحات تتجاوز المئات إلى الألوف كلها تنزيه للنبى وتعظيم لأصحابه وأنت فى لهفتك على المعابة تجحظ عيناك فى كل سطر منها فلا تقع على غير تلك القصة التى لا تضير ولو كذب رواتها جميعاً ثم تخرج بها إلى الناس نافخاً فى الصور ، متشدقاً بمظالم

الأمور ، ناسياً لصاحب تلك الصفحات كل ما أصاب فيه ، ولو كنت على يقين وأنت كما رأيت لست على أقل يقين !

هب العلامة ابن قاسم الذى شرح شمائل الترمذى قد روى ما رواه خطأ من شعر عروة بن الزبير ، وهب عروة لم يقل هذا الشعر ولم تنشده السيدة عائشة ، فماذا فى الرواية مما لا ينبغى للسيدة عائشة أو مما لا ينبغي للنبي عليه السلام ؟

هل فيها إلا أن السيدة عائشة كانت تثنى على جمال النبي وأن النبي كان يسره هذا الثناء ؟

أهذا الذى لا ينبغى لعائشة رضى الله عنها ولمحمد صلوات الله عليه ؟ كلا بل هذا الذى ينبغى لهما دون غيره ، ومن أنكره فهو الكاذب الذى لا يفقه ما يقول

وهأنذا أعيدها جهرة بغير سند ولا رواية من شاعر أو فقيه : لقد كانت عائشة تثنى على جمال محمد وكان محمد يرضى عن هذا الثناء

أسمعت يا هذا ؟

مرة أخرى أعيدها لك ولغيرك ممن يشاء أن ينكرها ، فأقول ثم أعيد أن عائشة أثنت على جمال محمد غير مرة وأن محمداً رضى عن هذا الثناء فى كل مرة ، فإن كانت قد بلغت أذنيك فاذهب إلى صورك فانفخ فيه ما بدا لك ، وادع من يستمع لك أو يستجيب

فليس فى القصة ما يدعو إلى الاستنكار والتردد من وجهة الأدب فى حق النبي عليه السلام ، ويجوز من الوجهة التاريخية أن يكون عروة قد ولد بعد المهد الذى ذكره الرواة .

ولكن يستبعد جداً أنه ولد فى سنة ٢٣ التى اعتمدها حضرة البحاثة المتحرى البارع فى تحرى الأعمار والأوقات ، لأن أم عروة أسماء بنت الصديق ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وليس هو بآخر أولادها ، ويندر جداً أن تلد المرأة بعد الخمسين

ومع كل هذا لا نرى نحن أن نجعل رواية من روايات السنوات والأعمار مبطلة لمقال أو قصيد على سبيل الجزم الذى لا مراجعة فيه ؛ فعمر بن الخطاب نفسه مختلف فى عمره بين خمس وخمسين سنة كما يقول ابن قتيبة ، وثلاث وستين كما يقول الواقدى ومن جاراه . وحديث الإفك نفسه مختلف فى سنته مع اتصاله بتنزيل آيات من القرآن فى موضوع البراءة وموضوع الحجاب ، وتواريخ الآيات أولى بالتمحيص من تواريخ الأحاديث أو تواريخ الأشعار

وقد طبعت لجنة التأليف والترجمة التى تصدر « الثقافة » كتاباً اسمه إمتاع الأسماع جاء فيه صفحة ٢١٥ « أن غزوة بنى المصطلق التى قال أهل الإفك فيها ما قالوا كانت فى شعبان من السنة السادسة » ثم جاء فيه بالصفحة التالية : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذى القعدة سنة خمس ، وقيل كانت فى شوال منها ، وقال موسى ابن عقبة : كانت فى سنة أربع ، وصححه ابن حزم ، وقال ابن اسحاق فى شوال سنة خمس ، وذكرها البخارى قبل غزوة ذات الرقاع واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم »

أفبعد هذا الاختلاف فى تواريخ القوم المناسبات التى هى أجل من شعر عروة بن الزبير وأولى بالإثبات يريد صاحبنا أن نطيل الوقوف على عمر عروة لأنه قال كلاماً يجوز أن يقوله كل إنسان ، بل هو معنى كل ما قيل فى غرضه ونحواه على ألسنة جميع المسلمين

إننا أطلنا الوقوف حيث ينبغى أن يطول وقوف الباحث الحريص على كرامة محمد وذويه

أطلنا الوقوف حيث كان أمثال هذا الناقد الحاقد يتقبلون الروايات وهى أغرب ما روى وأبآه عن المعقول وأولاه بإنعام النظر ودفع الشبهات

كانت روايات من أقوال الأقدمين تذكر أن النبي عليه السلام خطب السيدة عائشة وهى فى السادسة وبنى بها وهى فى التاسعة . وكان هذا مجالا لأعداء الإسلام وأعداء نبى الإسلام يبدئون فيه ويعيدون ، ويجدون المستمعين والمتشككين حتى بين المسلمين . فهنا مجال لإطالة الوقوف يعبره أمثال هذا الناقد الحاقد مهرولين ويجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان المبين . وهنا وقفنا لنثبت بالعقل والنقل أن محمداً عليه السلام لم يبن بالسيدة عائشة إلا وهى فى السن الصالحة للزواج بين بنات الجزيرة العربية ؛ فأثبتناه على رغم الأقاويل والسنين

أما عمر عروة بن الزبير فهو « الفارغة » التى يتصدر فيها

القصيد المرسل

لأستاذ جليل

أبو على أحمد شوقى لما « أصم به الناعى وإن كان أسمعا » أملى الشعور على البراعة هذا الرثاء . وما كنت أنوى والبراعة تكتب أن أبنى شعراً مطلقاً أو مقيداً أو نثراً مسجوعاً أو مرسلاً . وما كنت وقتئذ فى حال تفكر أو تقصد . كتبت ما أوحى إلىّ ، وحين تم الكلام لم أنكره . وما كنت علمت أو قرأت شيئاً مما ذكره العلامة الأستاذ العقاد والكاتب البارع المتفنن الأستاذ دربنى . وما فكرت فى هذا الشأن أدنى تفكير . والقريض تركته أو تركنى منذ أكثر من ثلاثين سنة

قال قائلون : هذا شعر لم يقيد بالقوافى [1] ، ووجدت بحثاً فى الشعر المرسل فى « الرسالة » الغراء فرأيت إملاء قطع من رثائى شاعر العرب العظيم . والعربية لا تنكر تفنننا فى المقال ، ولا نصد عن التنويع ؟ فقصيد مقيد ، وقصيد مرسل ، وموشح وغير ذلك . ولكل مقامٌ يقتضيه ، وزيادة الخير فى الفنون خير ، والعالم فى تبدل ، والدنيا تطير . وإذا تفنن قائل أو أبدع وأجاد فلا تقل له (يا هذا) ضللت أو أخطأت

* * *

[شاعر العُرب قضى ، يافتاة العَربِ [1] ، فالبسى ثوب الحداد !

وابرزى بين الملا حاسرة واندبيه .

زحزحى هذا النقاب لنرى وجه الحزن

أعرضى عن خَفَرٍ عُوِّدْتِه ، فعيون القوم غرق فى الدموع

شيعى دمعك هذا قانتاً بنحيب ونشيج وعويل

وابذلى الدمع رخيصاً ؛ إن من تبكين غالِ

بلبل (الكرمة) ولّى ، أين غاب البلبلُ ، أين غاب البلبل ؟!

غادر الطير ثكالى فى حنين وأنين وشجن

زَهر (الكرمة) يبكى بدموع ظاهرات فى الصباح

---

(١) أخبرنى العلامة الدكتور محمد عوض محمد الأستاذ فى جامعة فؤاد الأول أنه ما كان يميل إلى الشعر المرسل فلما اطلع على رثائى (شوقيا) ارتاح لى هذا النوع

(١) هي فى هذا المقام مثل ربة الشعر عند الاغريق ، قال هومير .
ربة الشعر عن أخيل بن فيلا   أنشدينا واروى احتداما ويلا

أمثال ذلك الحاقد الناقد لينفوا حديثاً قصاراه أن عائشة كانت تثنى على النبى وأن النبى كان يتقبل منها الثناء ، ولا يمسك فى ذلك لأصدقاء ولا لأعداء

فإن طاب الموقف هنا فليقف فيه من يشاء كما يشاء

* * *

وتتمة الجواب بصدد ما تقدم أن نعرج على تعقيب للأديب الذى يكتب فى الثقافة بتوقيع « قاف » يقول فيه عن الشعر « إنه نسج مهلهل ضعيف لا يقع فى نفس أحد أنه من لغة العصر الأول ، أو ما يجرى به لسان شاعر من شعرائه ، وأحسب هذين البيتين — إن صح حدسى — لو احد من شعراء الخلاعة بعد القرن السابع ، قالهما فى أوصاف خد غلام رقيق من غلمان الترك أو الروم يلتمس قربه أو يطلب وده »

فنقول : إن الضعيف حقاً هو هذا النقد الذى ينزه العصر الأول كله عن مواضع النقد وفيه عشرات من قالة الشعر الذين لا يبلغون هذا المبلغ من التجويد والتشبيه ، وفيه من قالة النثر من وهموا أنهم يناظرون القرآن بكلام يزرى به هذيان الأطفال

وقد ينسب ذلك الشعر إلى ناظم فقيه فنصدق النسبة إليه ونصدق أنه يذكر قصص القرآن فى أبياته ليفضل جمال محمد على جمال يوسف . ولا بعد من ذلك جداً عن التصديق أن ينظمه فقيه أو غير فقيه ليذكر بآيات القرآن التى يشير إليها أن غلامه أجمل من الأنبياء !

فإن كان فرض هذه الخلاعة كلها أسهل وأدنى إلى التقدير عند « قاف » الثقافة فله دينه ، وللأبجدية جماء دين .

عباس محمود العقاد

فتن (الكرمة) آس ، لا اهتزاز ، لا ارتياح ، لا طرب !

بهجة زالت وجاءت وحشة ، وعرا (الكرمة) حزن لا يريم !

بِمَدِه العُرب قضى يافتاة العَرب ، فالبسى ثوب الحداد !

مَن لشعب قد بدا من مِشعَب يرتجى شراً لإحياء العرب .

من يبيد البُطل فى الناس مشى ، ويبين الحق يهدى الحائرين ؟

أين شهباً حججٍ قد درأت لدد الخصم عنيفاً تخنع ؟

أين صوّال على الظلم ضحى ، قدع الظلم شباه فانقدع

من لغرب عاسف مغتصب لَصَّ حق العُرب فى الصبح المبين

يا حليفا والغاً ما إن له ، أبد الآباد عهد أو يمين

جيت كذاباً وجينا عربا ، ومشى اللؤم مع اللخيم الكريم

خاس هذا الغرب بالعهد ، ولم ينتب من دنس الغدر الذميم

أيها الظالم ، أرهق سادراً ؛ سيرى الظالم عقبى الظالمين

قد هدانا (أحمد) منهاجها ، سنلبي (أحمد) فى كل حين

علم الأقوام قول بيِّن ، خطة الأعتاق من رق مهين(١)

* * *

عبقرى الشعر ولى يا فتاة العرب ، فالبسى ثوب الحداد

طرفة الدهر التى ضن بها ألف حول ثم جاد

(أحمد) عاد وعاد (البحترى) ورأى القوم (حبيباً) يبدع

مبدع فى كل قول قاله ، فى قصيد ونشيد ورواية

* * *

نوَّر القرآن قولاً فعلاً ، وسما صاحبه فى القائلين

إنما القرآن هدًى الناطقين ، إنما القرآن نور العالمين

فتّ قول لم يهذبه (الكتاب)

* * *

عبقريات تجلت للورى ، يا لها من فاتنات ساحرات !

فاتت الحسن ، ولاحت عجباً ، هل رأيت الحور فى دار النعيم ؟

---

(١) ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدنى الحقوق ولا يحق
فى القتلى لأجيال حياة وفى الأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

هل رأيت الحور فى جنة عدن ؟

إبنة الدهر ثباتاً وخلوداً ، ونشيد الدهر حزناً وحبوراً(١)

رقية ، سحر ، نعيم ، ولظى ؛ جنة العرب ، جحيم الغاصبين !

إنه الإعجاز قسم الأحدين ، إنه الإبداع حظ المبدعين !

رب أحقاب تقضت ما رأت عبقرياً فى شؤون أو فنون

آه من دهر خبيث ناقد ، باخل بالعبقريين ضنين

ويكأن الدهر يخشى النابغين ، فقليلاً فى الدجى ما يسفرون

ويكأن الدهر يخشى الخالدين ، فهو لا يبدنهم فى كل حين

إنما الدهر خصيم العبقرى

* * *

غادة (الضاد) رزاها رازئٌ وهى فى سلطانها

زها أوحى بنيها نجدة ، وفتى فتيانها

ما رأى الرائى كشوقى فارساً قد جال فى ميدانها]

* * *

إن فقدنا فى مصر (أبا علىّ) فالعزاء فى (علىّ) — على محمود طه — والرجاء أن يسير فى الطريقين : طريقه وطريق (أحمد) ؛ و (أبو محمود) هو الأديب المقتدر بما أعطاه الله

لم تزل مصر كعبة الشعر فى الشرق (م) وفى كفها لواء الزعامه(٢)

(ه)

---

(١) كان شعرى الغناء فى فرح الشرق (م) وكان العزاء فى أحزانه

(٢) على محمود طه من قصيدة فى رثاء شوقى

على محمود طـــه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

١ — عبقريته فى إكمال أغنية الرياح الأربع ٢ — مشخصات أسلوبه ٣ — بعض صور كتبه ٤ — لقب شاعر اللذة

ليس فرحنا بأغنية الرياح الأربع أنها لشاعر مصرى قديم يرجع زمنه إلى أربعة آلاف من السنين ، بل لأنها نظمت بالعربية بعد زمان هذا الشاعر المصرى القديم بأربعة آلاف من السنين ؛ وقد نظمها شاعر مصرى تسلمها منقوصة فسواها كاملة ، وجعل منها آية فنية مشرقة البيان ، حسنة السبك ، فياضة بالحياة التى تملأ جميع جوانبها

فى المقدمة القصيرة التى وضعها الأستاذ دريتون للأغنية والتى يقول فيها : « تقوم هذه الأغنية على الحوار فبعد أربع مقطوعات تغنى كلا منها فتاة يدخل رجل فيحييهن ويشرع فى خطفهن ليستولى على الرياح الممثلة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول فى نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته ... ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة فى الأغنية « إن وسائلى لا تنفد » . ولكن لسوء الحظ لم نعثر على تكملة الأغنية والوسائل التى لجأ إليها الرجل . وأكبر الظن أنها مما يثير الشراهة Gourmandise التى تكشف مواطن الضعف فى النساء » . نستنتج أن الفصل الأول والفصل الأخير من تمثيلية الأستاذ على محمود طه هما من ابتكاره . وأن الفن الرائع الذى لوّن به الفصل الثانى — وهو الفصل الذى تضمن الأغنية المصرية القديمة كلها تقريباً — هو من إنتاج قريحته الخصبة المبدعة . . . أثمره خياله المتجدد ، وسرت فيه بالحياة شاعريته النابضة ، ودوّت فيه موسيقاه بألحان الجمال .

وقد يسأل بعض القراء : وما قيمة هذه الأغنية وما ذا تتناوله من مشكلات الحياة ؟ وليس أيسر من الرد على هذا بما ختمنا به مقالنا الأول عنها من أنها سحر وشعر وفن وجمال ... إنها من قبيل هذه الدرامات الرائعة التى نظمها شيكسبير فى صدر حياته . و (العاصفة) هى أقرب أمثلة ذلك ؛ إذ ترتكز على السحر الذى كان يجيده بروسبيرو ، والذى سخر به الريح فأغرقت سفينة ملك نابلى وسلط عليه وعلى أخيه الخائن الروح آرْيل يسيمها من العذاب ألواناً ، حتى تنتهى الرواية بصلح عام تكون ثمرته زواج ابن ملك نابلى من ابنة بروسبيرو وعودة بروسبيرو إلى ملكه فى ميلان . فالموضوع فى (العاصفة) موضوع شعرى ساحر تجلت فيه عبقرية شيكسبير ، وظهرت فى عرضه وتناوله مواهبه التصويرية العالية . وكذلك موضوع أغنية الرياح الأربع . والعجيب أن تكون هذه أولى روايات على محمود طه المسرحية ويتمها مع ذلك علي هذه الصورة الرائعة من الحبكة والحركة والتسلسل والإبداع المتناهى فى التصوير واختيار المناظر الخيالية الراقصة ... هذا فضلاً عن بيانه المشرق وديباجته العالية وقوافيه المنتقاة وقوة تدفقه فى الحوار وحرصه على موسيقية الأوزان ، بل موسيقية الألفاظ . . . فقلما نعثر على لفظة نابية ، أو كلمة قلقة ، أو جملة لم يحسن الشاعر اختيارها وصقلها وتجويدها . . . وأنا متعمد أن أسوق كل هذا الكلام الذى يشبه الأطراء ، بل هو الإطراء نفسه ، لأذكر سببه ... حقاً إن لهذا الإطراء سبباً طريفاً أرى أن أسوقه هنا ، لأن هنا موضعه ... ذلك أننى تعودت كلما فكرت فى الكتابة عن شىء أن أسأل هذا النفر من إخوانى الأدباء الذين أتوسم فيهم إلماماً بالموضوع رأيهم فيما أنا بسبيله منه . وقد سألت هذه المرة كثيرين من إخوانى الشعراء رأيهم فى على محمود طه أولاً ، وفى تمثيليته أغنية الرياح الأربع ثانياً ؛ فعجبت إذ وجدت الغالبية منهم تجمع على مآخذ يأخذونها على هذا الشاعر ، منها أنه مولع بألفاظ وعبارات بعينها يرددها فى الجزء الأكبر من شعره . فمن هذه الألفاظ « شمشع » وما يتفرع منها ، و « عبقرى » وما تصفه من خيال وخمر وموسيقا وجمال ، و « لؤلؤ » وما إليه من لألأ ولألاء ولؤلؤى ، و « تذويب القلب » فى الدموع وفى القبلة وفى النظرة وفى الابتسامة ، و « مَرِح » ، فالمجداف مرح ، والحبيب مرح الأعطاف ، والجيد مَرِح ، والقلب مرح ، والشباب مرح ؛ و « مُجَنّح » فالخيال مجنح والطيف مجنح والسفين المجنحات ، وللريح أجنحة

أى روح خفية أى ريح حملتنا بأجْنُح فى الخفاء ؟

و « سلسل » وما يصرف منها ، ومثلها « ضوَّأ » و « ناسم

وبنامم » و « الأصائل المسجدية » و « الخلجان المسحورة » و « حدائق النسيان » و « الكنوز المرصودة » إلى آخر هذا الثبت الطويل من الألفاظ والعبارات التي تركتهم يحصونها ولا يكادون يفرغون منها لكثرتها . وقد كنت أكتب ما يذكرون منها في ورقة بسرعة فائقة ؛ فلما سكتوا سألتهم رأيهم في هذه الكلمات ، أشرٌ هي ؟ وهل فيها كلمة لم يعمل الذوق السليم فيها عمله ؟ وعلام تدل هذه الكثرة العجيبة من تلك الألفاظ والعبارات المنتقاة ؟ أهي دليل فقر في محصول الشاعر الأدبي واللغوي ، أم هي دليل شيء آخر غير الفقر ؟ والمعاني التي تساعد هذه الألفاظ في أدائها ؟ ألغوٌ هيَ ؟ أم هي من أدق المعاني وأحلاها وأكثرها طلاوة ؟ وهل نسينا أن لكل كاتب ولكل شاعر أسلوبه الخاص ، وأن لهذا الأسلوب الخاص مشخصات تشبه علائم الطريق ؛ فهي تميزه وتُعرِّف به ... فالدكتور طه حسين مثلاً يلتزم عبارات بعينها يرددها في كل كتبه أو في معظم كتبه ؛ وهو يرددها أكثر مما يرددها أي كاتب آخر ، بل لعل معظم الكتاب في مصر وفي العالم العربي لا يرددون من عبارات الدكتور طه حسين شيئاً ، تلك العبارات التي يعرف بها أسلوبه بين مائة أسلوب أو أكثر من ذلك لو أنه وضع بينها .

وكذلك أسلوب الأستاذ العقاد ، ذلك الأسلوب القوي الذي يفيض بفحولة تتعب أفهام القراء أحياناً ، وهو تعب تنتج عنه لذة ذهنية عجيبة إذا استطاع القارىء أن يدرك المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه الكاتب الكبير ، فإذا لم يستطع القارىء إدراك هذا المعنى أحس عند تلك الفقرة أو ذلك السطر من كتابة الأستاذ العقاد بمرارة ، لكنه مع ذلك يمضي في القراءة مأخوذاً بالجمال الكلي عن هذه الجزئيات الهينة . وللأستاذ المازني مُشخِّصات عجيبة في أسلوبه ، تُميزه من جميع أساليب الكتّاب المصريين والكتاب العرب على حد سواء ، فهو دائماً « يمط بوز » أبطال مقالاته و « يمط شفاههم ! » ، وهو مولع بترديد « حلاق المين » في جميع كتاباته أو في أكثرها ، وفي قصته الجميلة « إبراهيم الثاني » تردد هذا « الحلاق » أكثر من أربعين أو خمسين مرة كما ترددت هذه العبارات مراراً :

« أي نعم ، ليس إلا ، لا تجعل بالك إلى كذا ، من الحزامة أن تصنع كذا ، الثبات والنبات ، بامها ، الحب الآخذ بالكليتين ؟ »

ولست أدري كيف يأخذ الحب بالكليتين ، والذي أعرفه هو الحب الذي يأخذ بمجامع القلوب مثلاً . ولأسلوب الأستاذ « المازني » مشخصات أخرى عجيبة سنعود إليها في موضع آخر إن شاء الله

وللدكتور زكي مبارك مشخصات أسلوبية معروفة لقراء هذه المجلة . وقد ظلمه الأستاذ العقاد حين جرد أسلوبه من « مقومات الشخصية » ، ومشخصات أسلوبه أكثرها « أنماط » جامعية .

فهو يكثر من « على التحقيق » و « النص على كذا » ، و « هذا معناه » و « هل يعترى منصف في كذا » و « الحقائق الأدبية » و « في الأثر » و « الوارد هو كيت » ... هذا إلى ما تفيض به مؤلفاته من روح الاعتداد بالنفس والزهو الذي أعجب به من زكي مبارك ولا أعيبه عليه ... ولله ما أظرف ما يجيب به حين يسأل عن هذا فيقول : زمان لا يريد أن ينصفني فلماذا لا أنتصف منه لنفسي !

ولكل من شعرائنا أسلوبه الخاص كذلك ، ولولا خشية الإطالة لضربنا الأمثال الكثيرة لذلك ، وحسبنا أن نشير إلى اشتراك رجلين من أقطاب شعرائنا الشيوخ في فخامة العبارة وقوة النسج وتخير الألفاظ التي تأتي في قصائدهما كأنها خارجة من كَنَّى لآل ؛ أما هذان فهما الجارم ومحرم ، وإن لم يصعب على الناقد البصير أن يميز كلاً منهما عن الآخر مع اشتراكهما في هذا السبيل .

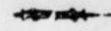
ومن شعرائنا الشباب عدد كبير يستطيع الناقد كما يستطيع القارئُ العادي أن يدل عليهم من أشعارهم وإن لم تحمل أسماءهم ، ومن هؤلاء الشعراء الشباب من أغرم بألفاظ خاصة وعبارات بعينها تشيع في معظم منظوماته ، وهي مع هذا لا تنقص من قيمة شعره شيئاً ، إن لم تكسبه ميزة جديدة فوق ميزاته الكثيرة الرائعة .

(للكلام صلة) دريني خشبة

أعوذ برب الفلق

من شر ما خلق

للكاتب المجهول



صحوت مع الفجر بعد ليلة حمراء ، وهى الليلة التى ولد فيها هذا العام الجديد ، صحوت ظمآن ، ولكنى لم أستسغ الماء ، فقد شعرت أنه ذَوْبٌ من ثلوج الشمال ، وعند ذلك هتفتُ :

« أعوذ برب الفلق ، من شر ما خَلَق » !

ولكن ما هو الفَلَق ؟

أهو الصبح ؟

وكيف وما كان ليلى إلا صبحاً فى صبح ؟

هو إذن « واد فى جهنم » ، كما قال بعض المفسرين ، وبالله أعوذ ، فما يدفع شرَّ جهنم غيرُ من خلق جهنم

وجهنم التى أخاف هى الجنية التى أرادت أن تأسرنى إلى آخر الزمان ، بالعقد الذى لا ينقضه الأحرار وهو عقد الزواج

فى عصرية الأمس قال خالها الفرنسى وهو يرانى أضحك معها وألعب :

Je vous souhaite d'être aussi heureux à l'occasion de vos fiançailles que moi durant les 42 anneés de mon mariage.

وقد اعتصر الحزن قلبى فى تلك اللحظة ، لأنى كنت اعتزمت فسخ الخطبة ، بعد أن رأيت أن خطيبتى تنقلنى إلى وطن غير وطنى ، وبعد أن رأيت أن أهلها صاروا أعزَّ علىَّ من أهلى

ومن حالى معها أدركت السر فى أن تحرم الدولة المصرية على سفرائها أن يتزوجوا من أجنبيات

وهل أنسى أنى رفضت المشاركة فى الاحتجاج على ما صنع الفرنسيون فى لبنان ؟

من أجل حبها أبيت أن أكتب حرفاً واحداً فى تقبيح ذلك الصنيع ، فقد بدا لى غير قبيح ، لأنه صدر عن أهل سوزان ، وصدّق شاعرنا العربى حين قال :

ومن بينات الحب أنْ كان أهلها
أحبَّ إلى قلبى وعينىَّ من أهلى

إن الدرس الذى تلقيته عنها يفوق جميع الدروس ، فقد بدأت أومن بأن من يتعلم لغة أجنبية يهاجر عن وطنه بطريقة خفية ، وبدأت أفهم كيف صارت الوطنية شريعة عند الفرنسيس والإنجليز والألمان واليابان

أولئك أقوام لا يعرفون غير لغاتهم ، فهم فى أمان من احتلال الأفكار والآراء

وهل كان من العبث أن يقول جماهير المشرّعين من المسلمين بعدم جواز الصلاة بغير اللغة العربية ؟

من المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يقبل الصلاة بأية لغة وبأى صوت ، ومن المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يسمع دبيب النمال كما يسمع قعقعة الرعود

فكيف أوجبوا أن تكون الصلاة باللغة العربية ؟

إنهم أرادوا إنشاء قومية لها لغة واحدة ، ودينٌ واحد ، لتأمن احتلال الأفكار والآراء

ذلك درس تلقيته عن خطيبتى ، الخطيبة التى ودعتها عند انتصاف هذا الليل ، وإن لم تتلق منى أى جزاء

قالت ونحن نفترق : لن ترانى بعد هذا الليل !

فقلت : سنلتقى بأقرب مما تظنين ، فلا بد للجمر من وقود ، وأنت الوقود

وما ذا تريد أن تأخذ منى ؟

ألا يكفى أنها صيرتنى أشهر الدعاة لوطنها الغالى . الغالى علىَّ وحدى من أجل حبها . فما تألم روحها يوم سقوط باريس كما تألم روحى . ولا هفا قلبها على فرنسا الجريحة كما هفا قلبى

وأنا برغم بخلها مُنِنْ على روحها اللطيف ؛ فقد علمتنى كيف أدرك قيمة الصورة التى ساقها شاعرنا العربى حين قال :

تمطيك شيئاً قليلاً وهى خائفة كما يمس بظهر الحية الفَـرِقُ

لن ينقضى عجبى من الفروق بين الأرض والناس

أرض فرنسا هادئة من قديم الزمان ، وهى قليلة التعرض للزلازل والبراكين ، وقد رأيت بعينى كيف جَـلَّدوا عِرقاً نَبض من نهر السين وهم يُمِرُّون من تحته قطار المتروبوليتان ، فـكيف يكون أبناء تلك الأرض الهادئة الثابتة نوّاراً ومتقلبين فى أكثر الأزمان ؟

وأرض اليابان معرضة فى كل وقت للزلازل والبراكين ، ومع هذا عُرِف اليابانيون بالقرار والاطمئنان ، على اختلاف الأحداث والأزمان ، فما هذا الذى نرى من الفروق بين الأرض والناس ؟

ولـكن كيف عرفتُ أن اليابانيين أهل قرار واطمئنان ؟ كيف عرفت ذلك ولم أزر اليابان ، ولم أعرف من أوصاف أهلها غير أشياء لا تتصل بأعماق النفوس ؟

لو كان لى حظ التعرف بصديقة يابانية لأدركت شيئاً من السريرة اليابانية ، على شرط أن أتكلم لغتها الأصلية

اللغات أنفاس ، فلا تصدقوا من زعم أنه صافح روح شاعر وهو يقرأ شعره مترجماً إلى إحدى اللغات ، ولا تصدقوا من يتحدث عن بلاد زارها وهو يجهل لغتها كل الجهل أو بعض الجهل ، وإنمـا نصصت على « بعض الجهل » ليفهم ناس من خلق الله أن الذى لا يتعمق فى لغة من اللغات لا يجوز له أن يقول إنه يعرف تلك اللغة ، فالمعرفة الناقصة أخطر من الجهل لأن الجاهل يقف عند حده فلا يتزيد ولا يستطيل ، أما ناقص المعرفة فقد يوهمه الغرور أنه أعلم العلماء ، فيؤذى نفسه قبل أن يؤذى الناس

وخطيبتى التى فارقتها بالأمس هى إحدى بنّـيات لطيفات من اللواتى عرفت فى القاهرة أو فى باريس ، وحالى معها كان عجباً من العجب ، فقد رضيت عنها ورضيت عنى ، مع أن حياتنا سلمت من جميع الأسواء الروحية والوجدانية ، فى زمان لا تأنس فيه روح إلى روح إلا بمعاقرة الأهواء

كان الزواج هو الغاية التى نريد ، وقد كان يجب أن نسارع قبل أن تفضحنا الأقاويل ، فما الذى وقع فى تلك الليلة الحمراء ، وقد سبقته تماهيد ؟

بدا لى أن لحاجة العاطفة وصلت إلى أبعد حـدود العنف ، فرأيت أن أستعير خيالاً من العقل الذى عشت به سنين . وهل بقى لى من العقل إلا طيف من خيال ؟

فـكرت فيما تمناه لنا خالها العزيز ، وقد عاش اثنين وأربعين عاماً وهو سعيد بالزواج . ثم افترضتُ أن سعادته الزوجية دامت لأنها بُنيت على الهدوء ، والعاطفة الهادئة تَبنى برفق ؛ فمالى أتعرض لعاطفة مجنونة الجموح ؟ وكيف أسمح لهـذه الجنية بأن تزلزل الخيال الباقى من عقلى !

لقد راعنى بكاؤها فبكيت

قالت بصيغة الاستفهام لا التقرير :

Tout est fini entre nous?

فأجبت بالصمت

ومن قال إنى سأرجع ؟ ومن قال إنى سأراجع ؟

ذلك فراق ، ليس بعده تلاق

لن يؤذينى أن تخرجى من سمائى ، فإنى واثق بأنى سأجد هواى حين أشاء ، وإنما يؤذينى أن أتصور أنك يئست من وفائى ، وأنك صرت يتيمة بعد أن خمدت نيران أشواقى ، ولن تخمد نيران أشواقى

لن يصلح ما بيننا إلا إن سمعت شكواى : هذا الصدر يسير عارياً فى كل يوم ، كسائر صدور النساء فى هذا الجيل ، فـكيف يهادن جميع الرجال ، ويحاربنى وحدى ؟ وهذه العيون توجه نظرات وغمزات ، ولا تأسر أحداً ، مع أنها تخاطب جميع الخلائق ، فـكيف تأسرنى وحدى ؟

قلبى هو القلب ، وجمالك هو الجمال ، والناس ما عدانا خيال فى خيال

لا تسأليني عن حالى ، فأنت حالى وأحوالى ، وأنت ماضى وحاضرى ومستقبلى ، وأنت ضميرى المركوز فى ضمير الوجود

لن أيأس منك ، ولن تيأسى منى ، ولن يقول قائل إنى فارقت هواى فى لحظة من لحظات الغضب أو العناد أو العتاب

أنا حاربت فرنسا وهى صحيحة ، وسالمتُها وهى جريحة ، وأنت الخيال الزائر من ذلك البلد المحبوب

لن أشمت بفرنسا مع الشامتين ، ولن أذكرها بغير الجميل ، وإن جانبتِ الجميل

قال الجنرال دى جول : لبنان وديعة فى يدى وسأسلمه لفرنسا

يقول هذا القول وهو مغلوب ، وتلك غاية الغايات فى صدق الوطنية ، وأنا أمجّد هذه الوطنية ، وأتمنى مثلها لنفسى

إن الاستعمار من أنصبة الأمم القوية ، فتى نكون من المستعمرين ، كما كان الآباء والأجداد ؟

آفة الاستعمار هى التسلط الغاشم ، تسلط الحاكم الجاهل الذى يقول كما قال بعض حكام فرنسا فى الهند الصينية :

Je suis le maître

ولا بدّ لنا من استعمار نجرّب فيه أخلاقنا السياسية ، وفى السياسة أخلاق ، إذا تولاها عظماء الرجال

والاستعمار لم يَعُد صعباً كما كان قبل أعوام قصار لا طوال ، كان الاستعمار يحتاج إلى جيوش برية وبحرية ، وهو بعد اليوم سيكون فى ميدانين اثنين : ميدان الأدب وميدان الاقتصاد ، وسلاح الأدب هو الصدق ، وسلاح الاقتصاد هو الأمانة ، فلنحرص على أن نكون الصادقين الأمناء

أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خَلق ، وهو الجمال

ومعنى هذا أنى سأراجع خطيئتى الغالية ، وهى الفتاة الملثوغة الراء

إنها تحاول أن تنقلنى إلى وطنها ، وأنا أحاول أن أنقلها إلى وطنى ، وسنرى بعد قليل مَن الغالب ومَن المغلوب

للشَعر فى رأسها بريقٌ سرقتْ شعاعه من نيران قلبى

والتموج فى خدودها مسروق من تموج أشعارى

وسحر عينيها الزرقاوين منهوبٌ من سحر عينىّ الخضراوين

وتبارك الذى تفضّل بجعل لون عيونى مما يهيج الحيات السُود

سنفترق ؟ سنفترق ؟

هو ذلك إن جاز أن تزهد العيون فى الضياء

يابنت فرنسا الغالية ، تذكّرى لياليَّ وأيامى ، وارحمى مَن يصعب عليه أن تجرحيه ، وهو الصديق الأوحد لوطنك الجريح

لن نفترق ، لن نفترق ، وهل نستطيع أن نفترق ؟

وإذا أرادت الطبيعة أن نكون خائنَيْن ، فلنكن خائنين، لنتحرر من مواثيق الجهلاء ، وما هى الطبيعة التى يتحدثون عنها جاهلين ؟

الطبيعة هى الصدق فى تلوين ما خلق الله من حقائق الوجود وسيكون هوانا تعبيراً أبديًا عن ضمير الوجود ... ومقالتى هذه تصورٌ لمحنة روحية لن تخمد قبل أن تخمد النيران الصوارخ فى ضمائر الجبال .

« الكاتب المجهول »



كتب وشخصيات

٤ – الصديقة بنت الصديق ... للعقاد

الأستاذ سيد قطب

مدرسة العقاد

في الأدب والحياة

كل ما قلته عن « حدود المدرسة الأدبية » في كلمة سابقة من هذه الكلمات ، يمكن تطبيقه بلا تحفظ على «مدرسة العقاد» ؛ فهي مدرسة في الأدب كما أنها مدرسة في الحياة ، يلتقي منها تلاميذها على سَنَن واضح ونهج صريح ، ويجدون فيها تفسيراً معيناً للحياة والفنون ، يشتمل نوع الإحساس ولون التفكير ، وطريقة التعبير ، بل يشتمل فوق ذلك قواعد المنطق والسلوك ، وتقويم الأشياء والأشخاص ، وتقدير الحوادث والأعمال !

وهي مدرسة متبلورة ، واضحة السمات ، لا يجد الناقد مشقة ولا عسراً في اختيار عنوان لها ، يمثل ويلخص أكبر ما تستطيع العنوانات تمثيله وتلخيصه

هي مدرسة « المنطق الحيوي »

والنسبة هنا إلى « الحياة » وإلى « الحيوية » جميعاً ... إلى « الحياة » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو ما تقوله الحياة وما تصنعه ، ومنطقها هو المنطق المطاع في جميع الأحوال . كل ما تصنع الحياة يُرجَّى من بنيها قبوله واغتفاره فإذا أنكروا قبيحاً ، ففي القبيح من الموت لونه أو شماره

وإلى « الحيوية » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو باعثه ، ومدى الحيوية في هذا الباعث . وقد تتشابه مظاهر الأقوال والأعمال ولكنها تتفق في « الرصيد » المكنون لها من الباعث الحيوي ليتوحد الحكم عليها ، وقد تتفق مظاهرها ولكنها تختلف في الرصيد فيكون ذلك مناط الاختلاف

أستاذ هذه المدرسة الأعظم هو الحياة ذاتها ، لا الفكر المجرد ، ولا المنطق الذهني ، ولا مواضعات المجتمع الاصطلاحية ، ولا قواعد الخلق المتعارفة ، ولا المذاهب الفنية المتنوعة ... إنها ترجع إلى النبع الأول تستقي منه ، وإلى الناموس الخالد تتوخاه ، ترجع إلى الحياة الطبيعية فتتلقى عنها مؤثرات الإحساس ، وقواعد المنطق ، وطرائق التعبير ، كما تتلقى أصول السلوك ونواميس الآداب وقوانين الأخلاق سواء بسواء

ولكن عدداً من المدارس يمكن أن يتتلمذ على الحياة ثم يختلف في مناهج الدراسة .. وهنا تسعفنا نسبة المدرسة العقادية إلى « الحيوية » في تحديد المنهاج . فالحيوية الفائضة المتدفقة ، الحيوية الظاهرة والباطنة ، حيوية الحس والوجدان ، حيوية الطبع التي تفيض على الحواس والذهن والضمير في آن ... هي السمة التي تعجب بها مدرسة العقاد ، والتي تصدر عنها في السلوك والاعتقاد ، وفي الفنون والآداب

ولما كانت الحياة هي الأستاذ الأعظم للمدرسة ، فلا عجب أن يكون طابعها هو الاستقلال في التلقي عن هذا الأستاذ – في حدود السمات العامة لها – وأن يكون عمل العقاد فيها هو عمل الرائد الذي يكشف النبع ، ويمهد إليه الطريق . وهناك يلتقي تلاميذه ومريدوه – وهو معهم – بين يدي الأستاذ الأعظم . وفضله عليهم هو فضل السبق والإجادة ، وعملهم معه هو عمل المتذوق الفاهم المريد ، لا عمل المقلد الناقل المقود . فليس بتلميذ أصيل في مدرسة العقاد من يغفل عن نفسه ليقلده ، ومن يسلك طريقه ولا يستمد من النبع الخالد معه ، لأنه إنما يضيع في هذا السلوك سمة المدرسة الأصيلة ، وهي سمة الاستقلال في الأخذ المباشر عن الحياة .

***

والعقاد – رائد هذه المدرسة – هو ابن الحياة البار . ابن هذه الحياة القائمة على هذا الكوكب ، لا أية حياة أخرى في أي كوكب آخر ، هذه الحياة بقيودها وضروراتها ، وبآمالها وأشواقها . الحياة الظاهرة للحس واللمس ، والمكنونة في القلب

والضمير . وهو — قبل كل شيء — إنسان حى ، ملء إهابه حياة ، بل هو رسول من رسل الحياة المفوضين ، وداعية من دعاتها المخلصين

وما عن ضيق فى آفاق النفس والحس تستغرق الحياة حس العقاد ونفسه ، ولكن عن سعة وضخامة فى هذه الحياة تستغرق الحس والشعور

يا طالباً فوق الحياة مدًى له ... يسمو عليها ، هل بلغت مداها
ما فى خيالك صورة تشتاقها ... إلا وحولك لو نظرت تراها

على أننا لا نعتمد فى تقرير هذه الحقيقة على ما يقول ، فقد يستوحى الأديب قراءاته أو أفكاره ثم يقول ! ولكننا نعتمد على الإنسان الحى فى العقاد ، وعلى سلوكه فى حياته الشخصية والسياسية والفنية ، وعلى انتباهه الحاد لكل نبضة حية فى نفوس الآخرين وسلوكهم ، ولكل التفاتة منهم إلى الحيوية النابضة فى الكون والحياة . وذلك هو البرهان الحي الصحيح فى فهم الطبائع والخصائص والاتجاهات .

وأدوات الاتصال بالحياة عند العقاد هى حواس يقظة متفتحة ، تؤدى إلى حس متوفر مكتمل ، يفضى إلى وجدان زاخر عميق ، ولهذه الأدوات كلها مدد من بداهة الطبع وومضات الفكر ، وسبحات الروح ، فى توازن وانسجام . وإن الاتصال بينه وبين الحياة ليتم تارة من الخارج إلى الداخل ، وتارة من الداخل إلى الخارج (إذا لم يكن بد من هذا التجسيم)... حاسة توقظ حساً فيذكو ويتوهج ، وحس يثير وجداناً فيشبع ويفيض . أو وجدان ينفعل ليوقظ الحس فيفتح الحواس . وهذا وذلك على حسب الحالات النفسية وعلى حسب المؤثرات المختلفة . وإن المنافذ لمفتوحة علواً وسفلا ، بل لا علو ولا سفل ، إنما هى قوة واحدة متعددة المنافذ مشتبكة المسالك ، متصلة بالحياة ، تلتقى فيها الأرض بالسماء ، بل لا أرض هناك ولا سماء ، إنما هو عالم واحد والروح والمادة مظهران لحياة واحدة و « الدنيا جمال نصل إليه من طريق الضرورة ، وروح نلمسها بيد من المادة »

وهذا العالم الواحد هو الذى ندرك الظاهر منه بالحس والحواس ، وندرك المكنون منه بالبداهة والوجدان ، أو ندركه ظاهراً وباطناً فى لمحة واحدة بجميع هذه الأدوات ؛ فما ظاهره إلا رمز لمكنونه . وقيمة هذا الظاهر مستمدة مما يرمز إليه من مكنون . وكلاهما حق وصدق لأنهما شيء واحد فى النهاية !

قالوا الحياة قشور ... قلنا فأين الصميم
إن الحياة حياة ... ففارقوا أو أقيموا

ولقد كان العقاد ـ بما فيه من يقظة الحس وقوة الحواس ـ وشيكا أن يبذل إعجابه كله للحياة المحسوسة الظاهرة وللحيوية المتدفقة فى الحس والغريزة ، لولا قسط من « الصوفية » — ولا يعجب أحد لهذه الكلمة — ففي العقاد إيمان عميق بقوة مجهولة تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع (والصوفية فى أساسها البسيط هى هذا الإيمان بالمجهول) . ولكن هذه القوة المجهولة التى يؤمن بها العقاد إنما تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع ، لمصلحة هذه الحياة نفسها وللرقى بالإنسانية فى معارج الكمال ، لا لغرض آخر من الأغراض التائهة المجهولة !

هذا القسط من الصوفية ـ بهذا المعنى ـ يمتزج بالحيوية الحسية ، فيخرج منهما مزاج جديد فيه من هذه وفيه من تلك على غير تحيز بينهما ولا انفصال

ولقد كان العقاد كذلك — بما فيه من صحو الذهن ، ويقظة الوعى وشيكا أن يبذل قواه كلها للفكر والمنطق ، لولا فيض من حيوية الطبع يجرف قوى الذهن والوعى لتستحيل جنوداً لهذا الطبع الحي ، تضرب بسلاحه ، وتستمد منه القوة وله عليها السيطرة فى النهاية !

وكثير من الفنانين يقوم فى نفوسهم صراع بين مثلهم العليا وبين سلوكهم فى الحياة . بين ما يصطرع فى كيانهم من غرائز يستقذرونها وما يحلق فى أرواحهم من أشواق يهفون إليها ؛ فأما العقاد فقد عقد صلحاً مبكراً بين غرائزه ووجداناته فهو لا يفعل ما يستقذره ولا يستقذر ما يفعله ، وبين ذلك قوام ! وللحيوية عند العقاد شفاعتها الحاضرة فيما تأخذ وما تدع

من الأمور ... أأقول شفاعتها ؟ ألا إنهـا ليست فى حاجة إلى الشفاعة ؛ فهى نفسها الشفيع الذى لا يرد له كلام ، والمفوض الذى لا يسأل حتى عن أوراق الاعتماد .! وليست هى إذن فى حاجة إلى الشفاعة والاعتذار بقـدر حاجتها إلى الثناء والإطراء . وهكذا يعجب بمحمد فى الأنبياء ، وعمر وأبى بـكر والإمام فى الخلفاء ، وبالصديقة بنت الصديق فى النساء ، كما يعجب بالمتنبي وابن الرومى فى الشعراء ، وبنيتشه وجيته فى الأدباء ، وبسعد ومصطفى كمال فى الزعماء ... وهؤلاء وأولئك وسواهم ممن نالوا إعجابه ، إنما يلتقون أولاً فى صفة الحيوية ، ثم يختلفون فى مدى هذه الحيوية ونوعها ، وفى اتجاهها ومظاهرها كل حسب وظيفته فى الحياة

وإن إعجاب العقاد بالحيوية ليطرد فتنشأ عنه آراؤه فى الحياة والأخلاق ، وفى الانفعال والسلوك ، وفى الأحداث والأشخاص ، وفى الفن والنقد . وما من رأى له فى المدارس الأدبية وفى طرائق الأدباء ، وفى الفن والسياسة وفى الارتياء والاعتقاد ، يبهم أو يستغلق إذا عالجه الناقد بهذا المفتاح !

أعمال العقاد الفنية لتؤلف جميعها نشيداً واحداً مطرداً فى تمجيد الحيوية بكل معانيها وأشكالها ، منذ الجزء الأول من ديوانه إلى الجزء الأخير ، ومنذ « خلاصته اليومية والفصول » حوالى سنة ١٩١٤ إلى مؤلفاته الأخيرة سـنة ١٩٤٤ . وتلك علامة الصدق بلا جدال

وإنه ليسير فى فلسفته الوحدة ، فى طريقه المستقلة ، فيلتقى بالـكثير من الأدباء والفلاسفة والمفـكرين فى الشرق والغرب ، ولـكنه لا يساير أحداً منهم إلا إلى المدى الذى يتفق مع فلسفته الخاصـة ، ثم يفترقان فيمضى هو على نهجه بطريقته ، ويدع صاحبه يمضى لطيّته ، فى سلام أو فى خصام ! وهنا يقول من لا يلتفتون لغير الظواهر : إنه يأخذ من هذا أو من ذاك على معنى غير معنى الدراسة والالتقاء

ولا بد قبل أن نختم هذه الـكلمة أن نلاحظ بحق سعة فى النفس والفكر تجعل هذا الرجل ذا الشخصية الواضحة والفلسفة الخاصة يستمتع ويهش ويتجاوب مع جمع حاشد من أنمـاط الشخصيات والفلسفات

من المعرى الذى يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به
أبر من درهم تعطيه محتاجاً

إلى المتنبى الذى يقول :

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روّى رمحه غير راحم

ومن ماكس نوردو إلى شوبنهور ، ومن تاجور إلى نيتشه ، ومن جيتى إلى توماس هاردى ، ومن خالد بن الوليد إلى عمرو ابن العاص ، ومن مصطفى كمال إلى غاندي ، ومن عمر بن أبى ربيعة إلى جميل بثينه ... إلى آخر هذه الشخصيات التى لا تقل الفوارق بين كل اثنتين منها وبين كل واحدة منها والأخرى عن الفوارق بين المعرى والمتنبى فى شتى الاتجاهات

ولا بد أن نلاحظ بحق كذلك تلك المقدرة التى تقيم عظامة أبى بكر أمام عظمة عمر الندين المتقابلين فى نوع العظمة ، والتى تفسر تصرف عمر مع خالد ، وتصرف عائشة مع على ، والتى تنصف الإمام من الصديقة ، وتنصف الصديقة من الإمام

وليس هذا عن منطق لبق ، ولا عن مهارة ذهنية ، إنما هى سعة فى النفس ، ورحابة فى الفـكر ، وانفساح فى الإحساس ، لرؤية جميع الجوانب ، وتحليل وجهـات النظر ، وتفسير جميع النزعات

هذا ولم يتسع المجال لأن نذكر شيئاً عن خصائص العقاد الفـكرية ، خصائص التحليل والتعليل ، تلك التى تطرد فى كل ما يكتب ، وإن كان اعتماده الأكبر فى التعليل والتحليل على المنطق الحيوى لا المنطق الذهنى . وخلاصة ما يقال فى دراساته التحليلية أن « برهانه الفصل تابع لاعتقاده المجمل ، وليس اعتقاده تابعاً لبرهانه فى كل حين ، كما يقول هو فى إحدى مقالاته عن نموذج من الناس يستحسنه ويؤمن على طريقته فى الاستدلال

ولم يجل كذلك طريقته فى العرض ، وأسلوبه فى التعبير ، ولعل القارئ يجد شيئاً من هذا فيما كتبناه عند الموازنة بينه وبين المازنى ، وفيما كتبناه فى العام الماضي عن « عبقرية محمد » وهى نموذج كامل لدراسة الشخصيات .

***

إلى الأديب «محمد العلائى»

للدكتور عزيز فهمى

[ذكرى أول لقاء على صفحات الرسالة ، وقد نشرت له (على ضفاف الجحيم) فى العدد ٥٤٩ صفحة ٣٦ قصيدته]

أَرَنَّتَ كامنَ أشجانى وآلامى
وَضَجّ جنبى على «خفاقه» الدامى
يا أيها الشاعرُ المحرومُ لا سَغَبا
— كما تقول — ولكن روحُكَ الظامى
إن «عربدالشكُّ» — والتعبيرمُبتكرٌ —
فى ساعةِ اليأسِ عَرْبدْ بعض أنغام
فى نور قلبكَ من شمس الضحى عِوَض
فاقبِسْ من النور أو أشرق بإلهام
إن «الحقيقةَ» ظاظِلٌ حائل أبدا
يحومُ والنـــاسُ فى ماخور آثام
دون الحقيقةِ ســـدٌّ هائل عَرِم
من التقاليد محفوفٌ بأوهام

وما الحقيقـــةُ إلا ما يُزوِّرُه
خيالُ مُتَّجِرٍ أو عجزُ أقزام
غرائز النـــاس تأباها مجردة
وَيُدْعِمُ الزورَ منهم كلُّ هدام !
«خلا المُصلّى» ولا محراب تنظره
وعسعس الليـــل فى بيداء أحلام
وَطُفْتَ بالمعبـــد المحزون تسأله
أين المسيح وأين المبدأ السامى ؟
وتمم الـكاهن الدجال أُغنيـةً
وأطفأ الشمع إلا حـــول أصنام
كَفَرْتَ بالإثم واجتاحتك عاصفةٌ
فى لجة الشك حول الساحل الطامى
وهمْتَ فى الأرض «مخدورَالمُنى شَرِقا»
تقول «ياوحدتى» فى ليل إحرامى !
أخى ! وإن لم تصلنا بعدُ رابطةٌ
من الوداد ولم نوصـــل بأرحام
عَظُمَتْ شعرك عذباً فى تخولته
قبل الأوان فلم يُخطئكَ إعظامى
ورق قلبى وراق اللحن فى أذنى
— أنا العنيد — كما يحتج لُوّامى
يصيب سمعى وقرٌ من مبـاذلهم
إذ يُقحمون ركيكا شر إقحام
كذلك الشعر فاصدح فى خميلته
أعوذ بالشعر من أنغـام نظّام !
عَصَرْتَ من كَرْمَة الحرمان خمرته
فقاحت الـكاس فى «جَوّى وأنسامى»
وفى البواكير طعم لا يَلَذُّ به
إلا عليم بطعم الخمر والجـــام
نزحتَ دمعى فليت الدمع يشفع لى
وليت نفسك ترضى بعد إحجام

عزيز فهمى

وبعد ! ألا كلمة عن «الصديقة بنت الصديق» صاحبة المقال ؟ ! إن قلة السطور الباقية لتعجلنى عن كثير ، ولـكننى أملك أن أقول : إن عائشة المرأة ، وعائشة الأنثى ، وعائشة المسلمة ، وعائشة زوج النبى ، وعائشة الإنسانة تبدو على أوضح ما تـكون فى هذا الـكتاب الأخير

ولقد وقع اتفاق عجيب فى موعد هذه الدراسة . ذلك هو التوافق بين السن التى كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يهش فيها لعائشة ويستروح ويتقبل بسرور ونشاط مقتضيات سنها وصباها وبين السن التى يدرس فيها العقاد شخصية عائشة (رضى الله عنها) ،

وإنه ليخيل إلىّ أن هذا التوافق كان واضح الأثر فى انفعال العقاد لهذه الشخصية الحلوة الـكريمة وصحة فهمه لجوانبها وتصرفاتها

وهذا الـكتاب الجديد امتداد وتكملة لعبقرية محمد ، كما كانت عائشة امتداداً وتكملة لحياة محمد ، وقد جمعهما أسلوب العقاد الفنان على نسق اجتماعهما فى الحياة قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان .

سيد قطب



حول خلود الروح

عقيدة خلود الروح من العقائد الغامضة المغلَّفة بالأسرار، ولذلك فقد لَقِيت على مرّ العصور نقداً عنيفاً، وطعناً جارحاً. ولعل أقسى ما وُجّه إلى هـذه العقيدة من حملات، تلك الحملة الشديدة التي شنها عليها الفيلسوف الألماني أرنست هيكل في الفصل الحادي عشر من كتابه «لغز الكون» وقد انتهى هذا الفيلسوف من نقده إلى القول بأن «الإيمان بخلود النفس الإنسانية إنما هو عقيدة تتناقض تناقضا صارخاً مع الحقائق التجريبية الثابتة للعلم الحديث». ولكن خلود الروح — على الرغم مما أدلى به هيكل وغيره من الفلاسفة — لا يزال حقيقة عزيزة على الإنسان. وحسبنا أن نقرأ ما كتبه الأستاذ زكي نجيب محمود بعدد الرسالة الممتاز تحت عنوان (هجرة الروح) لنتحقق من أن الإنسان لا يسمه أن يطلّق هذه العقيدة، ولو قام على بطلانها ألف دليل! وإذا كان ڤولتير يقول لنا «إننا إذا فكرنا في البرغوث لم يخطر ببالنا أن له نفساً خالدة؛ فلماذا إذن أعتقد أن لي نفساً خالدة؟ لماذا يتملق الناس أنفسهم ويفترون بأنهم هم وحدهم الموهوبون بمنصر الخلود والروحانية؟ لعل السبب في ذلك زهوهم المفرط. وإني أشعر أنه لو كان الطاووس يتكلم لأعرب عن إعجابه بنفسه، وادّعى أن مكان النفس من جسمه هو ذنبه الجميل!» إذا كان ڤولتير يقول هـذا؛ فإن في استطاعتنا أن نرد عليه فنقول: «أليس أمل الإنسان في خلوده بعد الموت دليلاً على خلوده؟ إن رغبة الإنسان في الطعام ما كانت لتوجد لو لم يكن الطعام موجوداً. فالزهرة والنملة فانيتان وهما لا تنشدان خلوداً، أما الإنسان فراغب فيه ساع إليه، ويستحيل أن يكون له ذلك ما لم يجد في فطرته وجبلته ما يوحي إليه أنه خالد»

أجل، إن العقائد لا تبنى فقط على العقل، ولكنها تبنى أيضاً على الشعور، وقد فطن إلى هذا أحد الباحثين — وهو سترلانج — Sterillanges — فقال: «إنني أعلم علم اليقين أنه ليس يكفي أن أرغب في امتلاك القمر، لكي ينعطف إليّ هذا القمر، كما أنه ليس يكفي أن أصبو إلى مجد نابوليون لكي يسمى إليّ هذا المجد، ومع ذلك فإنني أقول إنه يكفي أن أرغب في خلود النفس لكي يكون هذا الخلود حقيقة ثابتة لها وجود. فما هو الفارق إذن؟ إنه لفارق كبير، وبيان ذلك أن الرغبة في نيل القمر، والطموح إلى مجد نابليون، لا يعـدو كلٌّ منهما مجرَّدَ تهاويل شخصية ليست نتيجة لطبيعتي إنْ في كثير أو قليل. أما رغبتي في الخلود فهي ظاهرة أولية عامة لها أساس في الطبيعة الإنسانية كلها»(١)

أما الاعتراضات التي تثار ضد عقيدة خلود النفس فقد تكفل بالرد عليها الكاتب الفرنسي شاتوبريان في كتابه: «عبقرية المسيحية» (القسم الأول، الكتاب السادس، الفصل الرابع). وهذه الاعتراضات كلها يمكن أن تنحل بسهولة، إذا عرفنا أنه لا يجب علينا أن نتخذ من جهلنا لبعض التفاصيل والجزئيات ذريعة للقول بفساد العقيدة كلها. ويعجبني في هذا الصدد قول ترتليانوس Tertullien: «أرِنْ لي الحالة التي أنت عليها، أقُلْ لك الحالة التي ستصير إليها»

زكريا ابراهيم

حول ختان البنات في مصر

كتب الدكتور الفاضل (ع. أسامة) في هذا الموضوع الهام مقالاً ممتعاً في رقم ٥٤٤ من مجلة «الرسالة» الغراء، وقد ورد فيه بعض نقط دفعتني إلى ما يأتي:

يقول الدكتور الفاضل: «تختص مصر بهذه العادة دون سائر بلاد العالم المتمدن، إذ لا يشاركها فيها سوى قبائل السودان وأواسط إفريقيا». والواقع أن الشعب السوداني كله مختص بهذه العادة، ولم يستطع الخلاص منها رغم الجهود العظيمة التي يبذلها شبابه وشيوخه بين حين وآخر أملاً في أن يقلع هـذا الشعب المسلم عن هذه العادة الضارة

وقد كتب الدكتور السوداني سيد أحمد عبد الهادي مقالاً عام ١٩٣٩ في جريدة النيل السودانية مشابهاً لما كتب الدكتور

(١) مصادر الايمان بالله (Les Sources de la croyance en Dieu) ص ٤٣١، باريس، بيران

أسامة عن هـذه المادة ، وبناء على ما جاء في مقال الدكتور سيد أحمد أفتى فضيلة مفتى السودان بما يحرم ختان البنات بهذه الطريقة التي كتب عنها الدكتوران . وتسمى عندنا (الفرعونية) . والمعروف أنها انتقلت إلى السودان من مصر . وقد كان لإثارة هذا الموضوع آنذاك آثار حسنة ظاهرة ، ولكنها ما لبثت أن اختفت مع مرور الأيام . وأكبر الظن أن الدافع إلى الدكتور السوداني إلى الكتابة في هـذا الموضوع كان ما تتكبده المرأة السودانية من ألم وصعوبات عند الوضع . الأمر الذي يترتب عليه كثير من حوادث الوفيات بين النساء

أما سكان أواسط إفريقيا الوطنيون فهم قوم ما زالوا على الفطرة ، ولم ينتشر بينهم ختان البنات والأولاد على أية طريقة ما إلا في أندر الحالات التي لا تبرر ذكرهم في كلام الدكتور أسامة . ومع ذلك فقد لا ينعدم بينهم (الخرافات المتعلقة بالاعتقاد في إصابة بعض النساء بالجن والمشايخ والأسياد ، وما يجده الدجالون من سوق رائجة بينهن باستغلال هـذه المعتقدات) ، ولهـذه المعتقدات في أواسط السودان وشماليه أثر ظاهر يماثل أثرها في مصر ، ولكنها في جنوبيه لا يوجد لها أثر مرتبط بهذه الناحية

هذا ما عنّ لي أن أذكره شاكراً للدكتور أسامة جهوده وغيرته ، وأرجو أن يوفق فيما دعا إليه . خصوصاً في هذا الظرف الذي يحتم على أبناء الشرق أن يصلحوا من حالتهم الاجتماعية التي هي أساس كل تقدم يرمون إليه

« وادى حلفا » سليمان نجيب

في الصديقة بنت الصديق أيضاً

كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد منصفاً كل الإنصاف في اختيار العنوان لرده على المآخذ التي وجدتها أنا وبعض الفضلاء في كتابيه : « الصديقة بنت الصديق » و « عبقرية الإمام » ، ولكن ما أجاب به عن الأمرين اللذين أخذته بهما لم يصب عين ما أردت منهما ، لأنه جرى فيما أجاب به عن الأمر الأول على مذهب ضعيف للنظّام في الصدق والكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للاعتقاد ، والكذب عدم مطابقته له . والصحيح مذهب الجمهور في الصدق والكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب عدم مطابقته له . فالنبي صلى الله عليه وسلم حين رأى شبهاً بينه وبين ابنه إبراهيم يرى أنه يشبهه في الواقع ، وعائشة حين قالت له إنها لا ترى شبها بينهما ، ترى أنه لا شبه بينهما في الواقع ، وفي هذا تكذيب له غير لائق ، ولا سيما أن ألسنة المنافقين كانت تلوك في أمر مارية حين ساءهم ولادة إبراهيم ما لا كره في عائشة ، وهي أكبر من أن تقابل النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول الذي يرتاح له أعداؤه من المنافقين . وقد قال الأستاذ العقاد : « فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت إنك يا رسول الله لا ترى شبهاً بينك وبين إبراهيم . أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه وهي لا تراه ، فذلك هو الكذب الذي ينبو عنه مقامها » . وإني أقول إن هذا هو مذهب النظام في الصدق والكذب بعينه ، ومؤاخذتي للأستاذ العقاد في ذلك الأمر لا تقوم على أساسه

وأما جوابه عن الأمر الثاني فقد خرج فيه عن الذنب الذي قذفت به عائشة ، وطلب منها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الخبر أن تعترف به وتستغفر منه إن كانت ألمت به ، فالذنب الذي قذفت به هو الزنا ، وهو يخالف سائر الذنوب في أنه يندب للحاكم إذا أقر به شخص عنـده أن يعرّض له بالرجوع عن إقراره ، فكيف يطالب النبي صلى الله عليه وسلم أن تعترف به إن كانت ألمت به . على أن الاعتراف بالذنب ليس من أصول الإسلام في شيء ، وإنما هو أصل من أصول المسيحية . وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله يحب من العبد إذا ارتكب ذنباً فلم يفضحه أن يستره عن الناس . فالذي أنكره من ذلك الخبر هو ما فيه من طلب اعتراف عائشة بذنب لا أساس له ، وما فيه من إفادة شك النبي في براءتها مما قذفت به ، وفي جواب عائشة عن ذلك أكبر دليل على ضعف ذلك الخبر .

عبد المتعال الصعيدي

لبشار أم لكثير عزة ؟

فى الرسالة (٥٤٣ — ٩٥٩) كتب الأديب عبد الحميد عثمان عبد المجيد كلمته تساءل فيها : كيف أورد مؤلفاً قصة الأدب فى العالم الأبيات البائية المشهورة التى نسبها صاحب الأغانى إلى بشار — تساءل كيف نسبا هذه الأبيات إلى كثير عزة ؟ ...

ويظهر أن الخلاف فى قائل هذه الأبيات قديم جداً ، وأن الخلاف فى القائل واسع لا يقف عند بشار وكثير عزة . والظاهر أن بعض الكتاب القدماء نسب هذه الأبيات إلى ذى الرمة أيضاً ؛ فقد ذكر صاحب مصارع العشاق أن كثير عزة خرج مرة للقاء عزة واشتدت به الحال فأنشد :

يزهدنى فى حب « مية » معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى الخ

ثم قال : « هكذا رواه ابن اسحق ، وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الأبيات إلا أنه قال :

يزهدنى فى حب « عزة » معشر . ثم قال هذه الأبيات لكثير عزة ، وقد توهم قوم أنها لذى الرمة بدليل قوله :

يزهدنى فى حب « مية » معشر ، وليس كذلك . وإنما كان سهواً

هـذا كلامه بالنص ومنه يعلم أن هناك من نسبها إلى ذى الرمة ، ولكنه رحمه الله يجزم — كما ترى — أنها لكثير عزة ، وهـذا الجدل والدفع والجذب يقوم ، مع أن الأصفهانى ذكر الأبيات فى شعر بشار بغير خلاف !

وليس هذا بأول خلاف ولا بآخر جدل يقوم على بيت من الشعر وتعيين صاحبه . والقطع برأى فى مثل هذه المسائل يحتاج إلى شىء من الدقة وشىء من التريث . ولا بد من الرجوع إلى كل ما يمكن الرجوع إليه من المراجع والموسوعات

برهان الدين الداغستانى



الاعــــتراف ...

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

بقلم الآنسة درية رستم

كانت مرجريت دي تيرول تعاني سكرة الموت وهي بعد في الواحدة والخمسين من سني حياتها ؛ إلا أنها كانت تبدو لرائيها على الأقل في الخامسة والستين . . . وراحت تتنفس وهي أشد اصفراراً من أدثرتها . . . تخالج جسدها رعشات هائلة . . . شاحبة الوجه . . . زائغة البصر ، كما لو كان شيئاً هائلاً يلوح لها . وراحت شقيقتها الكبرى « سوزان » تنتحب ، وهي تكبرها بعشر سنوات ، وكانت جالسة بالقرب من السرير ، وكان بالقرب من فراش المحتضرة منضدة عليها مفرش من فوقه شمعتان مشتعلتان . . .

كانتا في انتظار القس الذي كان من واجبه أن يقوم بمباركتها البركة الأخيرة ويقدم القربان المقدس . وكان للمسكن ذلك المنظر المشؤوم لحجرات الموتى ، منظر الوداع الذي لا لقاء بعده . . . زجاجات الدواء على كل قطعة من الأثاث . . . والملابس ملقاة في كل ناحية من نواحي الغرفة . . . مدفوعة بركلة قدم أو بضربة مكنسة . . . حتى الأرائك كانت في غير أماكنها المعدة لها . نعم فقد كان الموت المروع ثم مختبئاً منتظراً . . .

كانت قصة الشقيقتين تستدعي رحمة القلوب وإشفاقها . . . وراح القوم يروونها من زمان بعيد وهي بعد تستدر عبراتهم .

كانت سوزان في ميعة صباها يحبها فتى إلى حد الجنون . . . وكانت تبادله الحب . . . وإذ لم يعد على زواجهما غير أيام معدودات مات « هنري دي سابير » فجأة . . .

ولقد كان يأس الفتاة قاتلاً حتى لقد أقسمت ألا تتزوج أبداً . . . والحق أنها برت بقسمها وعاشت عيشة العوانس ، ولم تشذ عن عادتها مطلقاً

. . . وذات صباح جاءتها شقيقتها . . . شقيقتها الصغرى « مرجريت » ، ولم تكن بعد قد تعدت الثانية عشرة وألقت بنفسها بين ذراعي شقيقتها الكبرى وقالت لها :

يا شقيقتي الكبرى . . . إنني لا أريد أن تكوني تعسة . . . لا أريد أن تبكي طول حياتك . . . أبداً لن أغادرك أبداً . . . وأما عن نفسي فلن أتزوج ، وسأظل دائماً إلى جوارك دائماً . . . دائماً . . . واحتضنتها سوزان متأثرة بهذا الإخلاص من طفلة . ولكن الطفلة عملت بقولها ، وعلى الرغم من توسلات أبويها وتضرعات شقيقتها لم تشأ أن تتزوج . . . ولقد كانت جميلة بارعة الجمال ، وردت كثيراً من الشبان الذين كانوا يلوحون أنهم يحبونها . . . ولم تغادر أختها مطلقاً !

***

وعاشتا معاً طيلة إقامتهما دون أن تفترقا مرة واحدة . وظلتا متعاشرتين تربطهما عروة وثقى . . . إلا أن « مرجريت » كانت تبدو دائماً حزينة مهمومة . . . أكثر حزناً من أختها ، كما لو كان من المحتمل أن تكون تضحيتها الغالية قد قوضت حياتها ، وراحت تدلف في طريق الشيخوخة بخطوات حثيثة ، ووخط الشيب شعرها وهي لا تزال في الحلقة الثالثة من عمرها . . . دائماً تعاني ، كما لو كان خطراً هائلاً يهددها .

وها هي ذي الآن تموت قبل أختها ! ولم تنفرج شفتاها عن كلمة منذ أربع وعشرين ساعة . . . فقط قالت عند الومضات الأولى للفجر : هيا ابحثي يا أختاه عن القس ؛ فإنني مشرفة على الهلاك . . .

وبقيت بعد ذلك مستلقية على ظهرها . . . تنتفض انتفاضاً مرتجفة الشفتين ، كما لو كانت كلمات هائلة تصعد من أعماق قلبها ، ثم تقف حائرة على شفتيها !

وراحت أختها ، وقد أرمضها الألم ، تبكي بحرقة من خلف السرير ، وهي تردد :

يا مرجو . . يا مرجو التعسة . . . يا صغيرتي ، وكانت دائماً تناديها بيا « صغيرتي » ، كما كانت مرجريت تناديها دائماً بيا « أختي الكبرى » . . .

وسمعنا وقع أقدام على الدرج . . . وفتح الباب ولاح طفل من الكنيسة ، ومن خلفه قس كهل فى لباسه الكهنوتى . وما إن وقع بصر المحتضرة عليه حتى انتفضت وفغرت فاها ، وتمتمت بكلمات غير مفهومة ... وتقدم منها الأب « سيمون » وتناول يدها وقبلها فى وجنتها ، وقال لها فى صوت حلو النبرات :

— إن الله ليعفو عنك يا طفلتى ... تشجعى ... ها هى ذى اللحظة قد دنت ... تكلمى

... وتمتمت مرجريت التى راحت تنتفض من فرعها إلى قدمها ... وراح مهادها يهتز بتأثير حركاتها العصبية

لتجلسى يا شقيقتى الكبرى ... ولتسمعى ... وانحنى القس يأخذ بيد « سوزان » وهى قابعة كعادتها عند قدم السرير وأجلسها على الفوتيل وأخذ بكل يد من يديه يد كل من الشقيقتين، وقال :

رباه ... لتبعث فيها القوة . . . ولتنزح عليها رحمتك ...

وشاءت مرجريت أن تتكلم ، فخرجت الكلمات من حلقها الواحدة بعد الأخرى جزئية متقطعة

عفوك ... عفوك يا أختاه ... لتصفحى عنى ... آه لو أنك تعلمين كم كنت أشفق على نفسى من هـذه اللحظة ... طول حياتى ... وتمتمت سوزان من بين عبراتها ...

ثم أصفح عنك يا صغيرتى ... وقد منحتنى كل شىء . . . وضحيت بكل ما تملكين ... إنك ملاك

ولكن مرجريت قاطعتها قائلة :

خلى عنك

دعينى أتكلم ولا تقاطعينى ... هذا مريع ... دعينى أقل كل شىء حتى النهاية . . . دون أن تتحركي . . . إصغى ... إنك تذكرين ... تذكرين هذى ...

وانتفضت سوزان ونظرت إلى شقيقتها التى استطردت قائلة :

يجب أن تنصتى لتفهمى ... كنت فى الثانية عشرة من عمرى حياتى ... فى الثانية عشرة فقط وإنك لتذكرين ذلك جيداً أليس كذلك ؟ ولقد كنت مدللة ؛ كنت أعمل كل ما أريد عمله ... أتذكرين جيداً كيف كانوا يدللوننى؟ أصغى... حينما جاء لأول مرة كان يحمل باقات نضيرة ونزل من فوق جواده أمام الدّرج

ولكنه كان يحمل نبأ إلى والدى ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقولى شيئاً ، أصغي . . . حينما رأيته ... شعرت كأننى أُسرت ، فقد كان جميلاً ، فاتن الجمال ... وظللت واقفة فى ناحية من الصالون طوال الوقت الذى كان يتكلم فيه

وزارنا مرات عدة ، فكنت أحدق فيه ، بكل عينى ... من كل قلبي ... فلقد كنت أكبر من سنى !

وعاد بعد ذلك كثيراً ... ولم أكن أفكر إلا فيه ... وكنت أقول فى صوت خافت :

هذى ... هذى دى سامبير ... وبعد فقد قيل إنه سيتزوج منك ... فأصابني لذلك ألم ... أواه !

لشد ما تألمت ... لشد ما تألمت !

وظلت ثلاث ليال متتاليات دون أن يزورنى الكري ، وشرع يزورنا كل يوم ، وبعد الظهر ... بعد أن يتناول طبعاً الغداء ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقولى شيئاً ... إصغى ... كنت تمدين له « الفطير » الذى كان يحبه كثيراً من الدقيق ... أواه ... إننى لأعرف تماماً ، كيف كنت تقومين بذلك !

وبعد أن كان يرشف قدحاً من الخمر ... يقول : كم هو شهى ! وإنك لتذكرين كيف كان يقول ذلك . . . لقد غدوت حقودة ... حقودة ... وكان يوم زواجكما ... يقترب حتى لم يبق عليه إلا خمسة عشر يوماً ... غدوت مجنونة ... فكنت أقول فيما بينى وبين نفسى

سوف لا يتزوج من سوزان ... كلا ، لا أريد ذلك ... إنه سيتزوج مني حينما أكبر . إننى لم أجد أبداً من أحبه هذا الحب . . . ولكن . . . ذات مساء قبل عقد زواجكما بعشرة

أيام كنت تسيرين معه ... في ضوء القمر ... هناك تحت شجرة السرو ... شجرة السرو السامقة ... ضمك ... ضمك بين ذراعيه طويلاً ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ ... وكان ذلك محتملاً أول مرة ...

لأنني رأيتك شاحبة الوجه حينما عدت إلى الصالون ... ولقد استطعت أن أرى كل شيء ، ذلك لأنني كنت واقفة هناك على الرصيف ، فتملكني الغضب ... حتى لو كان في استطاعتي آنئذ أن أقتلكما ... لما ترددت في ذلك . قلت فيما بيني وبين نفسي : سوف لا يتزوج من سوزان أبداً ، ولا من أية فتاة أخرى ... غدوت تعسة ... وفجأة وجدتني أندفع في طريق الحقد ... الحقد المروع !

أتعلمين ما الذي فعلته إذن ؟ ... اصغي . كنت رأيت البستاني يعدُّ كُرات صغيرة ليقتل بها الكلاب الضالة ... فكان يسحق الزجاج بحجر ... ثم يضع الزجاج المسحوق في كرة صغيرة من اللحم ... وأخذت من غرفة والدتي زجاجة صغيرة من زجاجات الدواء وجعلت أحطمها

وأخفيت الزجاج في جيبي وهو لا يعدو أن يكون مسحوقاً لامعاً ... وفي اليوم التالي ... عند ما قمت كعادتك بعمل « الكمك » ، شققتها جميعاً بسكين ودسست الزجاج فيها ... وأكل هنري منها ثلاثاً ... وأكلت أنا واحدة ... وألقيت بالست الباقية في الغدير ... ولقد مات الأوزتان بعد ذلك بثلاثة أيام ... إنك لتذكرين ذلك ... أواه لا تقولي شيئاً ... إصغي ... إصغي ... أنا وحدي التي لم تمت ...

ولكنني كنت دائماً مريضة مدنفة ... إصغي ، لقد مات ... إنك لتذكرين جيداً ... إنه ليس في ذلك شيء حتى الآن ... بل إنه بعد ذلك ... بعد ذلك بكثير غدت حياتي كلها مفعمة بالشقاء ، فكنت أقول فيما بيني وبين نفسي : سوف لا أغادر شقيقتي ، سوف أقول لها كل شيء ... عند ما يدهم أحدنا الموت ولقد كنت أفكر دائماً في تلك اللحظة المرتقبة . تلك اللحظة التي أعترف لك فيها بكل شيء ...

وها هي ذي قد حانت ! هذا مريع ... أواه ... يا شقيقتي الكبرى ... كنت دائماً أفكر ... في الصباح وفي المساء ، في النهار وفي الليل ... أنه يجب علي أن أكاشفك بكل شيء ...

لشد ما تألمت ! انصتي ... الآن يتملكني الخوف ... خوف مروع ، أواه . أخشى أن أراه بعد برهة ... حينما أموت ... أتدركين ما أعني ؟ أتدركين ... ها أنذا وقد أشرفت قبلك على الهلاك ، أتضرع إليك أن تصفحي عني ، لأنني لا أستطيع أن أموت دون أن أتقدم بعفوك إليه ...

اسأله أيها الأب أن يعفو عني .. أتضرع إليك ... لا أريد أن أموت قبل ذلك

***

أخفت سوزان وجهها بين يديها ، ولم تأت بحركة ، وراحت تفكر في فتاها ، وكيف كان من الممكن أن تتعهده بحبها طويلاً ، وأية حياة جميلة تلك التي كانت لها ، وومض خياله لحظة في ذهنها ثم لم يلبث أن اختفى في الماضي البعيد ... مات فتاها وشقيقتها العزيزان .. كم يمزق موتهما قلبها ... أواه ... صورته .. صورته الحبيبة ... إنها لتحتفظ بها في أعمق نفسها ... ثم لم يبق شيء من حياتها كلها ...

وفجأة قام القس ، وصاح في صوت جهوري واضح :

يا آنسة سوزان ، إن شقيقتك تحتضر

وفتحت سوزان ذراعيها ، ووضح وجهها المخضل بالدموع واندفعت إلى شقيقتها وراحت تقبلها بكل قوتها وهي تتمتم ... إنني أعفو عنك ، أعفو عنك يا صغيرتي !

درية رستم
معهد التربية بالزمالك

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 552

Lundi - 31 - 1 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

نجيعة مصر في أميرها



نعم ، فُجعت مصر فى أميرها، وقلّما تفجع مصر فى أمير! وعمر باشا طوسون أحق أنداده – إن كان له أنداد – بأن تقول مصر فيه : اليومَ فقدت ابنيَ البارّ وأميرى الحق ! ذلك لأنه أعزها وأجلّها ، وعاش فيها وبها ولها ، ووقف على خدمتها حياته كلها ؛ فلغتها لغته ، ودينها دينه ، وقومها قومه ، وتقاليدها تقاليده ، وأمجادها أمجاده . وما يمترى اثنان فى أن حفيد محمد على وصهر إسماعيل كان على جلالة منبته وضخامة ثروته فلاحا متواضع النفس لين الجانب ، يهبط مختاراً إلى مستوى الحياة العاملة فيلابس سواد الجمهور ، ويتمرس بمختلف الأمور ، ويأخذ بالنصيب الأوفر من الرأى الموجّه والعمل المثمر . ولم تسوّل له نفسه مرة أن يقف على قة

الشرف الموروث ثم ينظر من علياه إلى رزق الله وخَلق الله بشَطر عينه ويقول بلهجة المتغطرس المزهوّ :

أولئك ضياعى ، وهؤلاء عبيدى !

رحم الله الأمير عمر ! لقد كان فى حياته ومماته مثال الأمير الديمقراطى الصالح . وأريد بالصالح معناه المدنى الرفيع من صلاح للدنيا وللدين . ولعله بهذا المعنى يوشك أن يكون رجلَ وحده فى الأمراء والأغنياء كافة !

كان أشبه بالعصاميين فى تدبير مُلكه وتنمية ثرائه . ورث أكثر ضياعه من غامر الأرض فلا زرعٌ ولا مرعى . فلو كان من أولى الجسد البض والعظم الخريع والطبع المدلل لأجاب الخبير الذى قال له : « إن إصلاح أرَضيك يحتاج إلى مال قارون وصبر أيوب » : دعنى لخيول سباق وكلاب صيدى وخلاك ذم ! ولكن الأمير الشاب شمّر للأمر تشمير الرجل ، واستعد للعمل استعداد المضطر ، وأقبل على سبَخات الأرض ومناقع الماء يقذف فيها الخصب ، ويسبغ عليها النماء ، ويغرى بها الربيع زهاء نصف قرن ، حتى أصبحت الأجادب منازه نعيم ، وصار « الخزان » خزانَ نعمة !

من ذلك اشتد حبه لأراضيه لأنها ثمار جهده ، وقوى عطفه على فلاحيه لأنهم رفاق جهاده . ثم اتسع حبه لضياعه حتى وسع وطنه ، وانتشر عطفه على أتباعه حتى شمل أمته . حينئذ أخذ يوزع نشاطه على حركات الإصلاح فى الأرض وفى الناس ، فنهض بالإنتاج الزراعى نهضة موفقة بما أمد به الجمعية الزراعية من علمه وعمله وماله وجاهه . ثم كان له فى كل وجه من وجوه الخير نفحات ظاهرة وباطنة . وامتد أفقه إلى الأمور السياسية والقومية فشارك فيها مشاركة المؤمن بحقوق الشعب ، المذعن لسلطانه ، فأيد دعاة الدستور، وعضد قادة الأمة ، وبسط من لسان مصطفى كامل ، ومد فى يد سعد زغلول . ولو ذهبتَ تستقصى دوافع العمل ودواعى الخير فى حياة الأمير ثم رددتها إلى مصدر واحد ، لكان ذلك المصدر حبه العارم لمصر والسودان وما يمتّ إليهما بسبب ، من جوار أو نسب . فمن أجلهما عطف على طرابلس وفلسطين والحبشة ، وفى سبيلهما عقد الأواصر ومتّن الأسباب بين الأهل والجيرة

ثم اتجه نشاطه إلى العلم والتأليف فلم يجد أعلق بخاطره ولا ألصق بهواه من البحث فى تاريخ مصر والسودان ، وتقويم بلدانهما ، ومناقب سكانهما ، فكتب فى هذه الموضوعات واحداً وعشرين كتاباً أكثرها بالعربية وبعضها بالفرنسية ، أشهرها :

الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على ، مصر والسودان ، كلمات فى سبيل مصر ، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ، رسالة المصانع والمدارس الحربية فى عهد محمد على ، الأطلس التاريخى الجغرافى لمصر السفلى منذ الفتح الإسلامى إلى اليوم ، ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الإنجليزية ، يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ، المسألة السودانية ، فتح دارفور سنة ١٩١٦ ، تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها إلى ضياعها ، تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية ، الجيش المصرى فى حرب القرم .. وهذا الثبت المختصر كاف وحده للدلالة على مهوى فؤاد الأمير ومتّجه مساعيه .

***

كان الأمير عمر ، جادَ الله بالرحمة ثراه ، نازه النفس لم تحم حول مروءته ولا سمعته ريَب الحسب الموروث ولا دنايا الغنى الطافح . وكان صاحب وقار وجد ، فلم يشغل ذرعه بسفساف الأمور ولا حقير الملاهى . وكان فى دقته كدورة الشمس تضبط على حركاته ساعتك ؛ فهو ينام ويستيقظ ويأكل ويعمل ويَقيل ويقرأ ويستريح ويستريض فى مواعيد لاتتقدم لحظة ولا تتأخر . وتلك خصيصة العزم الثابت ، والنفس المطمئنة ، والطبع المستقيم . ولقد كان وهو فى هذه السن العالية يدير أعماله الزراعية والمالية بنفسه ، فيفض البريد ، ويعلق على كل رسالة ، ويطلع على كل أمر، ويقضى فى كل مسألة . وكان الظن بمثل هذه الحياة العاملة الحافلة الموزونة أن تنبو على أعراض الترف وأمراض البطالة ؛ ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر

هذه خطوط وظلال لصورة الأمير الراحل رسمناها على التقريب ليكون فيها للشباب قدوة وللشّيب عبرة . وإنا لنرسمها ولذعات الحسرة ترمض الفؤاد على حال الوادعين فى ظلال أمنه يوم يفتقدونه فلا يجدونه . على أن للناس فى شبليه صاحبى المجد النبيلين الجليلين «سعيد» و «حسن» خير العزاء من فقده ، فإن حياتهما امتداد لحياته ، وعملهما استمرار لعمله .

احمد حسن الزيات

مدينة الخيرات

للدكتور زكي مبارك

بالأمس حضرت مع الأخ الزيات حفلة وزير الأوقاف لشرح تخطيط « مدينة الخيرات » بدعوة كريمة من معاليه ، واليوم قرأت جميع الجرائد الصباحية والمسائية من عربية وفرنسية لأستروح بعبير الحديث عن المدينة الجديدة ، ثم تأملت الخريطة المنشورة في جريدة المصري وجريدة الأهرام ، ودرستها مع أحد أبنائي ، ليتخير مكاناً نبني فيه بيتاً هناك ، بإذن الله ، وبعون الله ، فما نقدر على شيء ، إلا إن أعانتنا رعايته السامية ، وأظلنا ظله الظليل .

مدينة الخيرات

الوزير سماها في حديثه معنا « مدينة الزهور » ، ثم قرأت في جريدة الأهرام أنه قال إن اسمها محل بحث في الوقت الحاضر ، وأنا أقترح أن نسميها « مدينة الخيرات » للمعنى الذي أشار إليه الوزير في خطبته ، فقد قال إن الذي يبنى قصراً في هذه المدينة يضمن قصراً في الجنة ، لأن الأموال التي ستحصل من إنشائها ستكون أزواداً باقية للفقراء والمساكين

والخيرات كلمة قوية في اللغة العربية ، فهي جمع خَيْرة مؤنث خَيْر ، والخير في لغة العرب يتضمن وصفين : الوصف بالخُلق والوصف بالجمال[1] والرسول عليه السلام سمّى « المختار » لهذا المعنى ، وقد وردت « الخيرات » في الشعر القديم بمعنى الخِصال الشريفة ، قال النمر بن تولب :

أعاذِلُ مهلاً لا تلمني ولا تكن
خفياً إذا الخيرات عُدَّت رجالها[2]

فمدينة الخيرات هي مدينة الأخلاق الفاضلة ، والشمائل الكريمة ، والجمال الرائع ، وإذن يكون اسمها في معناه من أشرف الأسماء

أرجو معالي الوزير أن يتفضل بإقرار هذا الاسم الجميل ، وأرجو حضرات الكتاب والشعراء أن يذكروه فيما يكتبون وما ينظمون ، ليسير على الألسنة في أقرب وقت ، ولهم مني أطيب الثناء

عبد الحميد عبد الحق

هذا فتى من أماجد الفتيان ، فتى طيب القلب ، صافي الروح ، واشتراكه في الوزارة الحاضرة دليل جديد على براعة النحاس باشا في اختيار الرجال

تولى عبد الحميد وزارة الشؤون الاجتماعية وهي وهم من الأوهام ، فصيرها وزارة رئيسية ، صيرها وزارة يرضي بها وزير مثل فؤاد باشا سراج الدين

وحين نُقل هذا الوزير المبتكر إلى وزارة الأوقاف كان مفهوماً للجمهور أنه نُقل إلى ميدان لا يصلح للجهاد ، ثم كانت النتيجة أن يبتكر أشياء لم تخطر لمن سبقوه في بال

الأوقاف الخيرية

حدثنا الوزير في خطبته أن الوقف الخيري كاد ينقرض ، فلم نعد نسمع شيئاً من أخبار المحسنين الذين يحبسون الأطيان والعقارات على الفقراء والمساكين ، وذلك باب من « التأمين الاجتماعي »

وإذن يكون من الواجب أن ننمي الأوقاف الموجودة ، وهي لا تزيد عن خمسة وأربعين ألفاً من الفدادين ... وقد تعجبت حين سمعت هذا الرقم الهزيل ، وجال في الخاطر أن الأراضي الموقوفة تعرضت للسرقات ، والأرض تُسرق كما تُسرق النقود ، وإذا كانت الأراضي التي يسهر عليها أصحابها تُسرَق منها مساحات فليس من المستغرب أن تُسرق أراضي الأوقاف ، ولم يكن لها حراس فيما سلف من السنين !

وقد وجد الوزير أبواباً لتنمية الأوقاف الخيرية ، منها بيع الأراضي القريبة من المدن لينتفع الفقراء بأثمانها العالية ، وأهم هذه الأبواب هو إنشاء « مدينة الخيرات » في الأراضي الواقعة على الضفة الغربية للنيل

(١) راجع المصباح للفيومي (٢) راجع البستان للبستاني

ارتفع السعر من اللحظة الأولى ، فاشترى حلمى باشا عيسى فداناً وصل ثمنه إلى نحو تسعة آلاف من الجنيهات ، وكان الفدان هنالك لا يجد من يشتريه بأبخس الأثمان

أنا متفائل بما صنع حلمى باشا ، فهو من جيرانى فى المنوفية ، وسأصنع كالذى صنع فأشترى بضعة قراريط بجوار ذلك الفدان ، لنظل جيراناً هنا وهناك !

اللهم آمين !

سعيد وسنان

الأراضى التى ستقام عليها مبانى المدينة الجديدة هى من أوقاف سعيد باشا وسنان باشا ، فن هذان الرجلان ؟

أرجو أن يتفضل أحد أصدقاء الرسالة فيكتب كلة عن هذين المحسنين العظيمين ، جعلهما الله من سكان الفردوس

شارع الأهرام

الشارع الأعظم فى المدينة الجديدة عرضه ثمانون متراً ، ومزيته أنه يواجه الأهرام من بدايته إلى نهايته ، ومعنى هذا أن السائر فيه يرى الأهرام كلما مدّ بصره إلى الأمام

أتاح هذا الشارع فرصة لخطبة وجيزة عقبت بها على خطبة الوزير ، فقد تحدثت عن حرمان القاهرة من مثل هذا الجمال ، تحدثت عن شارع الأزهر وهو بدعة البدع فى الاعوجاج ، وكان يجب أن يسمح لمن يقف بميدان الملكة فريدة أن يرى منارات الأزهر الشريف

وقلت أيضاً إنه كان يجب أن يتمتع من يقف فى ميدان الإسماعيلية أو باب الحديد برؤية الواجهة الجميلة لقصر عابدين

ارحموا القاهرة

ثم اندفعت فتحدثت عما أخشاه من إهمال القاهرة ، وهى عروس الشرق ، فالعمران الجديد يتجه إلى الضفة الغربية ويترك الضفة الشرقية ، يتركها لأن تنظيمها صعب ، أو لأنها من ميراث الأجداد ، وهذا هو العذر الذى وصف بأنه أقبح من الذنب ؟

أين كان مهندسونا يوم أقيمت إدارة الأزهر بوضعها الجديد ؟

وكيف جاز أن تشوه الجمال المنشود بوصل ميدان الأزهر بميدان الحسين ؟

وأين كان مهندسونا يوم أقيمت معسكرات الحرس الملكى كان يجب أن يتصل الميدان بالساحة التى تقع فى شمال تلك المعسكرات ، ليزيد فى الرونق والبهاء

وكيف جاز السكوت عن تنظيم شارع الخليج حتى يصل إلى مداه من الشمال ؟

وإلى متى نسكت عن التلال التى تحيط بالقاهرة من الشرق فتملؤها بالغبار والأقذاء ؟

وزير الأوقاف يَعِدنا بغابة تحمى المدينة الجديدة من الرطوبة والغبار ، فتى نسمع أن وزارة الأشغال أقامت غابة تحمى القاهرة من الأتربة والرمال التى تثور من الشرق ؟

وعند هذه الكلمة قام الوزير ليقول : إن لوزارة الأوقاف أملاكا فى « تل زينهم » ، وإنه سيحاول تحويل تلك التلال إلى رياض

ولم يسمح المقام بمعارضة الوزير ، فأنا أريد تلال الدراسة لا تلال زين العابدين !

عثمان محرم باشا

وقف الأستاذ محمد الصباحى ليردّ على خطبتى فقال : إن صاحب المعالى عثمان محرم باشا معنىٌّ برفع التلال التى تؤذى القاهرة من الشرق ، ومضى فقال كلاماً جميلاً فى الدفاع عن وزير الأشغال

وأقول إنى معتزمٌ رفع قضية على عثمان باشا ، قضية طريفة يعرف بها أن الأديب مهندس يفوق المهندسين ، وسأترفق به ، فلا أطالبه بغير عشرين ألفاً من الدنانير الصحاح

كتبت فى « الرسالة » مقالات كثيرة عن تخطيط القاهرة ولم يستمع وزير الأشغال ، بدليل أنه لم يَدْعُنى ليسمع أقوالى

وسأقدم المحكمة وثيقة عجيبة ، هى مقالة قدمتها لجريدة المصرى فى العام الماضى ، ثم ردّتها إلىّ برفق ، لأنى اقترحت أن يسير وزير الأشغال على قدميه أو يركب الترام عند خروج الموظفين من الدواوين ، فإنى أعتقد أن راكب السيارة الخصوصية أو الحكومية لا يشعر بما يعانى القاهريون من صعوبة المواصلات

لامية شعية بن غريض

أخي السموءل

لأستاذ جليـــل

أطالع كتاب (النظم الإسلامية) تأليف العالمين الفاضلين الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ على ابراهيم حسن فأجد فى الصفحة (١٥٦) هذه الأبيات :

أنا إذا قلت دواعى الهوى   وأنصت السامع للقـائل
واصطرع القوم بألبابهم   نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا   نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تُسفـَّه أحلامنا   فيحمل الدهرُ مع الحمل

وقد نقلها المؤلفان من كتاب (الأحكام السلطانية) للامام الماوردى ، وهى فيه فى الصفحة (٢٢) وإن احتفال الأستاذين بمباحث كتابهما المهمة ، واطمئنانهما إلى تدقيق العالم الفاضل الأستاذ محمد بدر الدين النعسانى (رحمه الله) صرفاهما عن الاهتمام بهذا الشعر

لم تُعَمز الأبيات فى (النظم والأحكام) إلى قائلها ، وهو (شمية بن غريض) أخو السموءل لا (سعيد بن غريض) كما ورد فى طبعة الخزانة للعلامة البغدادى ، ولا سمية كما جاء فى (الأغانى) . وقد نسب الإمام الزمخشرى فى (الأساس) بيتاً واحداً منها إلى الربيع بن الُحقيق ، وهو من شيعة شمية ، وليس البيت يتيماً[(١)] ، وصاحبه قارضة أولى به . ومن روايات هذه الأبيات :

إنَّا إذا جارت دواعى الهوى   وأنصت السامع للقـائل[(٢)]
واعتلج القـــوم بألبابهم   فى المنطق الفائل والفاصل[(٣)]
لا نجعـل الباطل حقاً ولا   نلطُ دون الحق بالباطل[(٤)]
نخاف أن تسفـه أحلامُنا   فنخمل الدهرَ مع الخـامل

وهى من شعر التمثيل والمحاضرة . روى فى (الأغانى والخزانة) أن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنهما) كان يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر (الأبيات الأربعة) ، وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده (هذه الأبيات) ، ثم يجتهد عبد الملك فى الحق بين الخصمين

والشعر من قصيدة أولها :

لباب ، يا أخت بنى مالك   لا تشـترى العـاجل بالآجل
لباب ، هل عندك من نائل   لعاشـق ذى حاجة سائل
عللتِـه منك بمـا لم ينـل   يا ربمـا عُللتُ بالباطل
لباب ، داوينى ولا تقتلى   قد فضـل الشافى على القاتل

(١) اليتيم : الفرد . قال ابن خالويه : أنشدنى شاعر :
تلاثة أحباب فحب علاقة   وحب تملاق وحب هو القتل
فقلت له : زدنى ، فقال : البيت يتيم

(٢) فى رواية : إذا مالت وفى رواية فى الأغانى إذا حارت وهى تصحيف

(٣) روى كما ورد فى (الأحكام والنظم) واعتلج مثل اصطرع ، و (الفائل المخطئ . وفى الأغانى (فى المنطق الفاصل والنائل) وهذا تطبيع

(٤) فى رواية : نلظ . ولِط بالشئ وألط . ولط به وألظ : لزمه ولم يفارقه ، ، وهذا البيت هو الذى رواه الزمخشرى ، وقد جاء فى الأساس : (لا نجعل ، لا تلط نهيا ، وذلك تصحيف أو تطبيع

وقد تعب السكرتير العام لوزارة الأشغال ، وهو الأستاذ حامد القصبي ، فى ترضيتى ، ليضمن سكوتى عن رفع القضية ، ولـكنه لن يصل إلى ما يريد ، وإن كان أعزّ صديق

سأقاضى وزير الأشغال بعد أيام أو أسابيع ، وهل يكون أعزّ علىّ من القاهرة وهى الغرة اللائحة فى جبين الشرق ؟

اعتذرَ عنه أحد أصدقائه بأنه لم يقرأ مقالاتى فى تخطيط القاهرة ، وأنا لا أقبل هذا الاعتذار بأى حال ، فقد كان يجب أن يقرأ الضمائر قبل قراءة المجلات

غرِّبوا كيف شئتم ، وابنوا ألوف القصور فى الضفه الغربية فستحتاجون إلى ألف سنة ليـكون لـكم بعض ما للقاهرة من تواريخ

أنت يا قاهرة قاهرة ، فلا تحزنى ولا تخافى ، وأنا الـكفيل بأن ترجع إليك وديعتك الغالية وهى الجامعة المصرية فى دار جميلة هى دار وزارة الأوقاف ، يوم تنتقل هذه الوزارة إلى مدينة الخيرات ، والله هو الكفيل بالتوفيق .   زكى مبارك

٤ـ علي محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

مما يأخذه بعض أصدقائنا الشعراء على زميلهم علي محمود طه الذي يُكبرهم ويعزهم ويعرف لكل منهم قدره حرصه على « تزويق ! » دواوينه بهذه الصور الملونة وغير الملونة ، وتلك الرسوم التي يوحيها إلى الفنان بيت أو أبيات من شعره فيمثل فيها فكرة أو خيالاً من أخيلة الشاعر المتمردة أو ... المتجردة ! . فأما مايسمونه « تزويقاً » فأنا أعده تجنياً منهم على زميلهم ، لأن إبراز مؤلفاتنا على هذا النسق الذي يربّي أذواق القراء بما يمتزج فيه من خيال الشاعر ودقة الفنان ، وما يتساند فيه من البيان الناصع وتأثير الألوان ... هو عمل يسد فراغاً موحشاً في طباعتنا العربية ، وكان الأولى أن نستزيد منه لا أن نصرف المؤلفين والفنانين عنه . إلا أن المغالاة في إبراز المعاني التي تجول في روع الشاعر والمبالغة في تصويرها على هذا النحو الذي صورت به في « أشباح وأرواح » مثلاً ، هو الجدير بالملاحظة ، وهو ما يجب التنبيه إلى خطره على نفوس الشباب الغضة ، وقلوبهم الرطبة ؛ فلقد كان الفن اليوناني فناً وثنياً ، وكان الفنانون اليونانيون مع ذاك يحرصون على إبراز دقائق الجمال الجسماني من جميع نواحيه التي تتصل بفضائلهم المثالية متجنبين النواحي التي تنازل غرائز الإنسان الدنيا ، والأوضاع التي تُلمع إلى منازلة هذه الغرائز ، وهاهي تماثيلهم وتصاويرهم على (الأمفورات) الشائقة والجرار الجميلة وأفاريز المعابد والدور العامة لا ترى بينها شيئاً يدنّي إلى منازلة الغرائز الدنيا مطلقاً ... بل هذا تمثال أفروديت ميلوس الذي ينبض كل عضو من أعضائه وكل عضلة من عضلاته بأسمى ألوان الجمال الحي ، لا يملأ عين رائيه إلا بروعة الفضائل العليا للجمال الخالص ، مع أن أفروديت في الميثولوجيا اليونانية — ڤينوس — هي ميدان العواطف الملتهبة والغرائز الجياشة ، ومعظم الأساطير التي رويت عنها تمثل « العاصفة » في الحب الآثم ؛ ومع ذلك لم يفكر فنان يوناني في نحت تمثال لربة الجمال والحب يودع فيه أسرار ڤينوس إلا رَمْزاً ، ولم يحاول أحدهم كشف هذه الأسرار قط . جميل جداً أن يستعين الأدب بالفن وأن يستعين الفن بالأدب في أن يجلو أحدهما الآخر ، وأن يُبرز أحدهما للآخر تلك الدقائق التي لا يغني في إبرازها التمثال أو الصورة إذا كان لا غناء عن القلم ، أو القلم إذا كان لا غناء عن التمثال أو الصورة ... والأجمل من ذاك أن يكون هذا التعاون في ناحية الخير الذي يرتقي بالغرائز ، لا في ناحية الشر الذي يسفل بها . وإذا كان فنانو اليونان الوثنيون قد أخذوا أنفسهم بتلك التقاليد الصارمة في فهم عند ما كان يتصل بأخلاق القوة ، فأحرى بفنانينا أن يلقوا بالهم إلى ذلك في كل ما يغذون به نهضتنا الفنية التي لن تستطيع أن تتجاهل أنها تنمو في كنف

وإذا سلب متقدمون أخاه السموءل المسكين (لاميته) :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

كلها أو جلها أو بعضها على اشتهار نسبتها إليه ، وأعطوها دُكينا الراجز (١) ، وعبد الملك بن الرحيم الحارثي (٢) ، وعبد الله ابن عبد الرحمن أو الرحيم الأزدي (٣) ، والحلاحا الحارثي (٤) وشريحا بن السموءل (٥) ، وقالوا ما قالوه ، فمن النصفة ـ إن كان في الدنيا إنصاف ـ ألاّ يحرم شمية (لاميته) هذه ، حسبه رزء أخيه

وروى الإمام المرزباني في (معجم الشعراء) لشمية مقطوعة ختامها هذا البيت :

واجتنب القاذع حيث كانت واترك ما هويتُ لما خشيتُ

« ناقد »

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة
(٢) شرح الحماسة للتبريزي وأخبار أبي تمام للصولي
(٣) اللآلئ في شرح الأمالي لأبي عبيد البكري
(٤) و (٥) العلامة عبد العزيز الميمني في حواشيه في شرح الأمالي وقد ذكر المظنة . وهذا الفضل هو الذي أظهر (شرح الأمالي) محققاً وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر .

أعظم ديانتين على وجه الأرض ، لأنى كنف الوثنية اليونانية مثلاً !..

فلا بد إذن من (مؤاخذة) شاعرنا الفنان الرهوب على هذا ، لأن شعره العالى الجميل المصقول لم يكن بحاجة إلى هذا اللون من الفن (المكشوف) ليجلو منه شيئاً ، وإن كان لا بد من تعاون بين شعره هذا العالى الجميل المصقول وبين الفن ، فقد كان أحجى أن يتم هذا التعاون على منوال آخر يعرفه شاعرنا الرقيق النابه ولا يجهله ، كما يعرفه الفنان الذى كان سبب لومنا هذا ولا يجهله أيضاً . وأخشى أن تكون ثمة علاقة بين الفن المصور والفن المكتوب « فى أشباح وأرواح » التى لم يكتب هذا المقال فى نقدها ، وأخشى أن يكون لقب « شاعر اللذة والجمال » الذى يضفيه أستاذنا الزيات على شاعرنا الرقيق النابه ، والذى وضعه بيده فى رأس مقالنا السابق ، يعنى من اللذة والجمال شيئاً غير الذى نعرفه ويعرفه أستاذنا الزيات وشاعرنا على محمود طه من اللذة البريئة ... لذة الطهر ... اللذة التى لا تثور بعرف ولا تعصف بخلق ... ويحلو لى جداً بهذه المناسبة ، أن أدافع عن الشاعر الكبير بكلامه هو ، لا بكلامى أنا ، وما يعرفه هو ، لا ما أعرفه أنا ، عن اللذة الآثمة ، «التى دفعت إليها تاييس شاعر (أرواح وأشباح) فلم يلبث أن أفاق منها ، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه[1] »

فهذه كلمات قدم بها الشاعر لقطوعة جيدة يقول فى أولها

ولفّتْ ذراعين كالحيتين علىّ وبى نشوة لم تطرْ
وقد قربت فمها من فمى كشقين من قبس مستعرْ
أشم بأنفاسها رغبةً ويهتف بى جفنها المستعرْ
تبيَّنتُ فى صدرها مصرعى وآخرة العاشق المنتحرْ

ويختمها بقوله :

دعينى َ حواء ، أو فابعدى دعينى إلى غايتى أنطلقْ
أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى كيانى وأوشك أن أختنقْ

أرى ما أرى ؟ لهباً ؟ بل أثم رائحة الجسد المحترق
فيالك أفعى تشهيتها وبالى من أفعوان زرق !!!

فاعتراف الشاعر الناظم فى المقدمة المنثورة بانهيار روح شاعر الملحمة وانهيار فنه ، لأن تاييس قد دفعته إلى اللذة الآثمة ثم اعترافه فى المنظومة بأنه تبين فى صدرها مصرعه — وآخرة العاشق المنتحر ؛ وأن حواء أفعى تشهاها أفعوان زرق ... كل هذا ينفى عن على محمود طه ، الشاعر الرقيق النابه ، ذهابه مذهب اللذة ، وأعنى اللذة الآثمة . . . ولله شاعرنا حيث يقول فى الكرمة الأولى :[1]

صهباء ما كانت من غرس إبليس
بل كرمة زانت خلق الفراديس
تسمو بها الأرواحْ عن عالم الإثم
شفافة الأقداحْ فى رقة الحلم

فهل رأيت الخمر التى تسمو بها الأرواح عن عالم الإثم ؟ رحم الله ابن الفارض الذى يقول :

وقالوا شربت الإثم قلت لهم بلى
شربت التى فى تركها عندىَ الإثم

فتلك لذة على محمود طه التى لا تعرف الأثم والتى لا تعرف إلا الطهر . . . الخمر التى يقول فيها :

خمرة ما قبّلتْ غير شفاه الأنبياء[2]
خمرة فى الغيب كانت قطرات من ضياء
ختمت بالشفق الوردى فى أصفى إناء
جبلت فخّاراته من صفاء ونقاء

لشد ما أكره أن يلقب شاعرنا الرقيق النابه بشاعر اللذة ! وما أحب أن ندعوه جميعاً إلا : بشاعر الفن والجمال !

***

لست أدرى لماذا لا أنتهى من هذا الثناء الطويل على الشاعر على محمود طه لأفرغ إلى جانبه الآخر .. الجانب الجدير بالنقد ..

(١) أرواح وأشباح ص ٢٦

(١) زهر وخمر ص ٥٣
(٢) زهر وخمر ص ٣١

أو الجانب المظلم الذى لا يتراءى فى جانبٍ غيره للكثيرين ممن حاورونى فيه ... أولئك الذين يظنون أن على محمود طه لا يملك كتفين عريضتين قويتين تحتملان النقد ، ما خف منه وما ثقل ، وما جاء منه ممن يفهمون وممن لا يفهمون ، وما صدر منه عن إعجاب بالشاعر ومحبة له ، وما صدر منه عن موجدة عليه وضيق به

ولست أدرى لماذا لا أصارح أصدقائى الشعراء خاصة ، وأصدقائى القراء عامة ، بأن « الهدم المطلق » ليس من مذهبى ، بل ليس من النقد فى شىء أن نظلم الأديب من الأدباء ، أو الشاعر من الشعراء ، فى تسعة أعشار إنتاجه ، لأن العشر الباقى لا يرضيك ، أو لأنك لا (تستظرفه !) هذا الأديب من الأدباء ، أو ذلك الشاعر من الشعراء ؛ فهذا اللون من النقد هو الذى يصدر عن هوى لا يعرف العدالة ولا يعرف الاتئاد ولا يعرف الفطنة . والمؤلم فى هذا كله أنه يصدر عن قراءة سطحية للأديب أو الشاعر ... قراءة خاطفة .. لا تعدو مقالة أو قصيدة فى مقهى أو فى ترام

وللحديث فى هذا الموضوع ظرفه الخاص .. إنما هى إشارة « خاطفة » تشغلنى عنها هذه المفاتن التى عرفتها فى شعر على محمود طه منذ أخذت أقرأ شعره

ومفاتن شعره تأتى من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع . فمن ناحية الشكل ، تروقنى منه تلك القوافى المتخيَّرة الشائقة التى تدل على ذوق مُرهفٍ فنان ، ومزاج موسيقى مفتتن بالغناء مولع بالألوان . فهو إذا اختار أن يقول من قافية واحدة اختار القوافى الراقصة التى تميس فيها الكلمات وتتلألأ ... وتكاد تغنى ... وتستطيع أن تتناول دواوينه كلها وتقرأ منها ما شئت ، فلن تجد قافية عليلة أو قافية ثقيلة ، أو قافية تنبو فى سمعك أو تستأذن على هذا السمع . وعلى محمود طه نفحة فى هذه الناحية من شاعرنا الخالد شوقى أمير الشعراء عليه رحمة الله .. فإذا اختار أن يقول فى المنظومة الواحدة من قوافٍ عدة ، وجدت موهبته فى ذلك تتدفق .. كدت أقول تتبرَّج .. فهو يتنقل بك ، كما يتنقل بك الموسيقى العبقرى من لحن إلى لحن ، ومن نغمة إلى أخرى ، من غير أن يصدم سمعك ، أو ينبو على ذوقك . والعجيب أنه يجيد هذا التنقل فى منظوماته القصيرة وفى منظوماته الطويلة على السواء . وقد أجاد بوجه خاص فى درامته الرائعة « أغنية الرياح الأربع » وكأنما كان يمنيني من دون الناس جميعاً بتجويده قوافيه حينما كنت أقف وحدى فى الشاطئ الآخر ، داعياً جهدى إلى استعمال الشعر المرسل فى الدرامة المنظومة ، تلك الدعوة التى أستمسك بها وأصر عليها ، بالرغم من هذى القوافى المذهبة التى يبهر بها على محمود طه ألباب قرائه ، ولى الفقير فى مقدمة هذه الألباب !

(للحديث بقية) دريني خشبة

المجمع اللغوى والوحدة العربية

للأستاذ عبد القادر المغربى

لم يكن يدور فى الخلد، وقد فارقنا هذا البلد، أن الزمان سيُقصينا عنه أربع سنوات فاتت بين هم لا يُنسى، وحذر لا يُحصى، وإشفاق، من مفاجأة إرهاق، بعد ست سنوات قضينا دوراتها فى مجمع مصر بين إخوان لا يُنسى أنسهم، ولا يحصى فضلهم، ولا يُفرَى فَريهم

نعم لم ننس ذلك كله، لكنا نسينا قرارات وضعها المجمع، شهدنا مصادرها، ثم غابت عنا مصايرها، وأعمالاً شاركنا الزملاء فى غرامها، ثم لم ندر ما ذا كان نتاجها، عدا شؤوناً أخرى قام بها المجمع خلال غيابنا كنا بها أجهل، وعن معرفتها أبعد

أقول هذا أيها السادة اعتذاراً عن كلمتى التى أنا فى صدد إلقائها بين أيديكم؛ فقد جاءت كما يُريد جهلى بما ذكرت، لا كما يريد الواجب، ويقتضيه المقام

لكنى مع هذا إذا عجزت عن استخراج موضوع كلمتى من القرارات والمناقشات، فلن أعجز عن استخراجه من موضوع المجمع وأغراضه التى أُنشئ من أجلها

يكاد لا يفهم الجمهور من وظائف المجمع إلا أن عليه أن يتتبع الكلمات الدخيلة والأعجمية المتفشية فى لغته اليومية، وأن يستبدل ألفاظاً عربية بها، حتى كأن هذا العمل أو هذا الغرض هو كل ما يُرتجى من المجمع. وقد نسوا ما للمجمع من فضل فى توفية الأغراض حقها، ولا سيما وضع ألوف الكلمات لِلُغة الدراسة أى لغة العلوم والفنون

لما عاد رئيس وزارتنا السورية دولة سعد الله بك الجابرى من مصر زرناه مسلّمين فكان مما أطرفنا به من أخبار رحلته أنه سأل أحد وزراء مصر عن مجمعهم اللغوى، فأجابه معاليه: يكفى من حسنات مجمعنا أنه زوّد وزارتى وحدها بنحو ألفى كلمة جديدة يتداول استعمالها الموظفون فيها وفى سائر المصالح التابعة لها

ينسى الجمهور هذا ويتساءلون: ما ذا صنعت مجامعنا اللغوية بما تجدد وفشا من الألفاظ الأعجمية خلال هذه الحرب الماضية فى سبيلها، والتى ما زلنا نقاسى من عقابيلها؟

ما ذا صنع حُماة اللغة، الغُير على سلامتها بكلمات: براشوت، شتوكا، جستابو، كوماندوس، ستراتيجية، ستوديو، برازيت، كورس، وكلها أعجميات؟ وهل أقر المجمع كلمات عربية حديثة الوضع يكثر استعمالها فى لغة الراديو والصحافة، ولم تعرفها معاجمنا بمعناها الاصطلاحى الجديد مثل: ذبذبة، وقطاع، وسجل إصابتين، وقدم عرضاً. وكانت البادهة فى الحرب هذه المرة للروس، وحملة أميركية رمائية

وهل يقر المجمع أبناء الضاد إذا قالوا: كان الفتيان فى تلك الحفلة مسرولين بالشورت، والفتيات ملثمات بالأيشارب؟ وبالجملة أين تقع تلك الألفاظ والتراكيب من معاجمنا العتيدة؟ هل يفسح لها فيها مكان يا ترى أو لا؟

وعهدى ببعض الزملاء أنهم يرون قبول ما يطرأ على اللغة من أمثال تلك الكلمات الأعجمية، وبعضهم يمنع ذلك ويعدّه مفسداً للغة، منافياً لسلامتها

وهما رأيان بدءا يتصاولان منذ زمن الشيخ رفاعة الطهطاوى، أو نقول منذ عهد الترجمة الأول. وما زالا فى الصيال حتى أسلما أمرها أخيراً إلى مجمع فؤاد ونزلا على حكمه

حقاً إن مسألة التعريب أو نقول: إن التردد فى قبول الكلمات الأعجمية وعدم قبولها أخل بنهضتنا اللغوية وأخرها إلى الوراء أكثر من نصف قرن.. ولذا كان التعريب من أعظم الأغراض التى ينبغى أن تُعنى بها المجامع اللغوية. وهو فوق ذلك موضوع معقد خطير. ولم ننس بعد ما كان من اختلاف الرأى حول وضع اصطلاحات عربية للجيش المصرى مكان اصطلاحاته القديمة، وكم عالم غيور من رجال نهضتنا الحديثة قضى نحبه وبقلبه شىء أو حسرة من التعريب

ومن أكبر الأدلة على خطورة أمره وتعقد مشكلاته أن زميلنا وفقيد مجمعنا الشيخ حسين والى كان قدم إلى المجمع تقريراً

مسهباً بعنوان (المعرَّب) أودعه كل ما قاله علماء العربية بشأنه. افتتحه بقوله: «قال الجوهري: إن تعريب الاسم هو كذا وكذا» إلى أن اختتمه بقوله: «وفي القاموس. البرد معرب وهو فارسي» هكذا ابتدأ وهكذا انتهى. ولم يجرُؤ رحمه الله — وهو بطل العلم الجرىء — على إبداء رأي من عند نفسه في مشكلة هوان بجدتها، وقد اصطنع تقريره من أجل حلها

بَلى جرأ المجمع نفسه فأجاز التعريب، وقال في جملة قراراته التي أصدرها في سنته الأولى ما نصه: «يُجيز المجمع أن تستعملَ بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم» اهـ. لكن عاد الخلاف فاحتدم حول كلمة (الضرورة) وتحديد معناها والقدر المراد منها، حتى أصبحت الحيرة فيها أشد من الحيرة في التعريب نفسه، وظلت الكلمات الأعجمية سادرة في غُلوائها، مُرخية من عنانها، تسرح وتمرح في جنبات لغتنا، وأجواء صحافتنا، وفي أحاديث الراديو التي يُذيعها بصوته الجهوري وسحره العبقري.

* * *

ما لنا ولهذه الكلمات وفي موقف مجمعنا منها، ولنُقبل بشراشر قلبنا على موقف جديد للمجمع يرفع شأنه، ويضاعف عمله، ويوسع نطاق رسالته

ذلك ما يكون حينما يتحقق المشروع الأعظم أعني مشروع اتحاد الممالك العربية الذي يعمل له، ويتقرب إلى الله به جلالة الملك الصالح فاروق الأول، وينفِّذُ إرادته فيه عضد دولته رفعة النحاس باشا

تعلمون أيها السادة أن وحدة أمة من الأمم لا تتحقق ما لم يتحقق استقلال لغتها. قال بعض فضلاء الكتاب المصريين: «يجب أن نفكر في توحيد اللغة قبل أن نفكر في توحيد الأقاليم، ونجتهد في أن يكون للعرب كافة لغة واحدة يتلاقون عندها، كما يتلاقون في جبل عرفات»

ولا يخفى أن الغرض الأول من مجمع فؤاد الأول إنما هو وحدة اللغة العربية وسلامتها. فمن وظائف المجمع إذن مشاركة العاملين من طريق غير مباشر في تحقيق أمر الوحدة العربية الشاملة التي يضطلع بأعبائها جلالة المليك المحبوب

إذا تحقق اتحاد الأقاليم العربية كان المجمع لهذه الأقاليم كلها لا لمصر وحدها، وكان عليه أن يتصل بها اتصالاً يشمل اللغة من جميع نواحيها: فيدرس لغاتها، ويعمل المقارنة بين لهجاتها، ويستفيد من مزاياها وخصائصها، ويرسل إليها من مطبوعاته ما يساعد على توحيد تلك اللغات واللهجات أو التقريب بينها على الأقل

لا جرم أن المشروع الفاروق، سيخلق للمجمع الفؤادي وظيفة جديدة وعملاً مستأنفاً

وفي جزيرة العرب مجال واسع للعمل: من ذلك مثلاً بعثة إلى نجد، وأخرى إلى الحجاز، وثالثة إلى اليمن، وهلم جرا.

نحن في ذلك اليوم السعيد، وإذا رئيس مجمعنا المصري يعلن أنه تلقى من رئيس بعثة اليمن تقريراً قال فيه: إن البعثة زارت جبل (عكاد) فرأت أهله كما وصفهم به ياقوت والفيروزابادي والزبيدي:

قال القاموس وشارحه الزبيدي: (عكاد كسحاب جبل باليمن قرب زبيد أهله باقون على اللغة الفصيحة إلى الآن ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم. اهـ)

والزبيدي يمني نشأ في اليمن قريباً من جبل عكاد وتوفي بمصر منذ مئة وخمسين سنة. وقال ياقوت في معجم البلدان: (جبلا عكاد فوق مدينة الزرائب وأهلهما باقون على اللغة العربية من زمن الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من أهل الحضر في مصاهرة، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه. اهـ)

وحدثني العلامة المرحوم الشيخ أحمد الإسكندري في إحدى جلسات مجمعنا هذا قال: إن السيد عبد الرحمن الكواكبي المعروف في القاهرة أخبره أنه في أثناء سياحته في جزيرة العرب مرَّ بجبل عكاد المذكور فوجد أهله كما وصفهم ياقوت والفيروزابادي والزبيدي. قال الكواكبي: ولكن العكاديين يسكّنون أواخر الألفاظ ولا يُلحقون بها حركات الإعراب. وعقب الإسكندري على هذا بقوله: يظهر من قرائن الأحوال ومن طروء الشذوذ على الأفكار أن اللغة العربية ستفقد في المستقبل مزيتها هذه. فقلت للشيخ الإسكندري، وقد بدأنا العمل بتلك الرخصة حينما نقرأ

مرسلات مع الريح

أسامة

للأستاذ إسماعيل مظهر

وأقبل الشيخ عمران ذات صباح يجرّ رجليه جرًّا فيثير عجاجة من تراب الثرى، فبادرني بالتحية، ثم ارتمى على المصطبة كأنما ينفض عن كاهله حملاً ثقيلاً ينوء به. وكان في عينيه حزن عميق، رغم ابتسامة افترّ عنها ثغره، ولكنها كانت تعبر عن حزن أعمق من ذلك الذي لاح في نظراته وشاع في تقاسيم وجهه. وكثيراً ما يكون الابتسام عن حزن دفين، تجمد معه العين ولكن القلب في بكاء. ثم أطرق ومضى يحرك أصابعه الهزيلة فوق حبات مسبحته الكبيرة، ويتمتم بكلمات غير بيّنة كأنه يناجي نفسه بالمعاني التي كانت تجيش في صدره

— كيف بي لا أرى الدنيا كما كنت أراها منذ أيام؟ لقد تغيّرت فيها كل شيء وانقلب فيها كل معنى! فالوجوه التي أراها ليست هي الوجوه التي كنت أعرفها؛ والكلمات التي تطرق سمعي لا تؤدي في نفسي ذات المعاني التي كانت تؤديها من قبل؛ والزمان والعمر والحياة! تلك التي مضت تغمرني بالأمل وتشيع في نفسي معاني الحسن وأفانين الجمال، كيف حالت تلك الألوان الزاهية الغضّة؟ وكيف انتهى الأمل ومات الحسن وذهب الجمال؟ في لحظة واحدة ماتت الدنيا في نفسي بكل ما غرست فيّ من المعاني الأولى! والناس والمجتمع ونظام العيش! كيف أصبح الناس في عيني كأنهم القرود الزُّعر يهيمون في أودية الأحلام! وكيف بالمجتمع وقد انقلبت نظرتي فيه، فإذا به موكب من الناس ليس فيه إلا التزوير على الطبيعة، والتدليس على الفضائل. وكيف بنظام المعايشة وقد بانت لي في لحظة واحدة خفاياه، فإذا به الكفران بكل ما كنت أتخيل من المعاني التي لا تزدهر الحياة إلا بها

وكان يتكلم وناظراه إلى السماء، كأنه يأنف أن يخاطب أهل الأرض. كنت تظن أنه يناجي أشباحاً وخيالات تراءت له في الأفق البعيد، أو أنه يقرأ هذه المعاني من كتاب صفحاته السماء.

كان قد مضى بضعة أسابيع والشيخ عمران بعيد عن ندوتنا الريفية، فلم نسأل عنه ولم نبحث وراءه. لأن هذا الشيخ المحنك له وقفات عن الاتصال بالناس، وغيبات قد تطول وقد تقصر، يخلو فيها بنفسه، بعيداً عن جلبة القرية، فيظل أياماً أو أسابيع يخرج من بيته مع الغراب، ويأوي إليه بعد أن يموت أهل القرية تلك الميتة الصغرى. وكنا نحترم في هذا الشيخ الوقور نزعته تلك، فلا نحاول أن نقطع عليه خيط أحلامه. رأيته مقبلاً، فتوقّعت أن أرى تلك الابتسامة الفلسفية التي عوّدت أن أراها مرتسمة على شفتيه، وذلك البريق الواضح الذي ينبعث من عينيه. ولكن الابتسامة كانت عن حزن، وذلك البريق عن ريبة من أمر الدنيا. ولكن ما وراء ذلك؟

هذا شيخ قد رمته الدنيا بأرزائها، فسلبت منه الثراء وسلبت مع الثراء هدوء النفس، فثار على الدنيا وعلى أهل الدنيا، وعلى أهل اليسار منهم خاصة. فإذا كلمك فيهم، فإنما أنت تسمع لزعيم من زعماء الاشتراكية، أو لصعلوك متطرف من صعاليك الدولية الثالثة

«الأنساب» و«أرقام الحساب»: فنقول في الأنساب مثلاً: جاء الشيخ محمدْ بنْ يوسفْ بنْ خالدْ بنْ عبد الله، هكذا من دون إعراب. ونقرأ أرقام الحساب، فنقول غير ملومين: سافر فلان إلى أوربا سنةَ ألفْ وثلاثمائةْ وثلاث عشرةْ مثلاً. على أن بعض علماء العربية رخّص في تسكين الأعداد وحدها.

ثم إن الشيخ الإسكندري رحمه الله حوقل وتعوذ إلى الله من هذا المصير، وتمنى ألا يعيش إلى ذلك الزمن الذي تفقد فيه اللغة حِليتها. وتتعرّى من أعلاق زينتها

حقاً إن تعوّذ المرحوم الإسكندري من هذا المصير للغة في محله، لأن التفريط بحركات الإعراب تفريط بها نفسها وإضاعة لمزية من أكبر مزاياها. وهو فوق ذلك يحدث بلبلة في تفهم آيات القرآن ونشر تعاليمه بين الناطقين بالضاد إن بقيت الضاد ضاداً. ونحن نشاركه في الحوقلة والتعوّذ. ونسأل الله أن يصون لغتنا، وأن يبقي مجمعنا «مجمع فؤاد الأول» حارساً لها، عاملاً على سلامتها، في كنف المليك المعظم فاروق الأول، كما نضرع إليه سبحانه أن يجعل القرآن تعويذة لجلالته من صروف الزمان، ويزيده توفيقاً في ما يروم من إسعاد العرب، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، إنه سميع مجيب.

عبد القادر المغربي
عضو مجمع فؤاد الأول

ورابنى منه أن يبادرنا بتلك الكلمات بعد تحية قصيرة من يديه المُرْعَشتين ، فتوقعت أن داهية أخرى حلت بذلك الشيخ . لعله فقد البقية من ماله ، أو اعتدى عليه أحد الفاليك ، أو اغتصبه سرى من السّراة شيئاً من طينه القليل . غير أن ذلك كله لم يكن شيئاً جديداً عليه ، وتمابير الحزن الشائعة فى ملامحه كانت ولا شك تنم عن سبب أعمق من جميع هذه الأسباب ، وأمعن فى الإيلام ، وأعمل فى تحريك هواجس النفس

— ما وراءك يا شيخ ؟ لقد طالت غيبتك ، ولم نشأ أن نعكر عليك صفو تأملاتك التى تسعد بها فى حقلك إلى جانب ساقيتك وأشجارك ؛ فكيف أنت وكيف أولادك ؟

وكأن السؤال عن أولاده قد حرك جميع أوتار نفسه ، فتطلع نحو السماء وقال : « حمداً لك يا رب ! » ، ولكن دمعتان أطلتا من حدقتيه ، فدل بريقهما على كارثة لم يألفها عمران وقد حطمته السنون

— أولادى كما تعهدهم ، لم يحدث بهم حدث غير مألوف فى هذه الحياة . شاءت الطبيعة أن تستأثر بواحد منهم ، فانتزعت من قلبى فى يوم وليلة أسامة الصغير ، فقمت نحوه بالواجب الذى يقوم به الأحياء للموتى فى العادة ، وأسلمته للتراب ، إلى سفر اللانهاية ، إلى القرون ثم القرون تتوالى عليه فى حفرته تلك ، فى ظلام الأرض ، وراء تلك الحجارة الباردة المرطوبة ؛ بل وراء الأبد والأزل ، وراء السعادات والشقاوات ، وراء الأحقاد والضغائن ، وراء الآلام والأحزان ، وراء الجهالات والحفائظ ، بل وراء كل شىء ، حتى وراء الأقدار . ثم ودعته بقلبى لا بشفتىّ ، وعدت أدراجى مشتت النفس خائر القوى مضطرب الوجدان ، أضرب فى فلوات الوهم : أسائل نفسى ما الموت وما الحياة ؟ ولكن . نعم ولكن ...

ثم أمسك عن الكلام ، ودموعه تنهمر قطرات من الحزن والأسى الهالع العنيف

— ولكن ماذا ؟ لقد أثرت شجونى أيها الشيخ ، وحركت كوامن نفسى ، وأثَرْتَ فى صدرى ذكريات كانت نائمة

— ولكن . نعم ، ولكن ليست البلوى فى الموت ، ولا المصيبة فى ترك الدنيا . الداهية كل الداهية فى الحياة

ومضى ينكث فى الأرض بمخصرة كانت فى يده ، ويرسم فوق الثرى رسوماً ، أشبه بتلك التى يرسمها الأطفال على رمال الشاطىء ، لا تلبث أن تمحوها الأمواج . ثم قال :

— ولأى شىء تثور شجونك وتتحرك لواعج نفسك ؟ إنما الشجن شجنى ، والحزن حزنى ، والبلوى بلواى ؛ والعزاء بالزمن ، والسلوى بالاستسلام للقضاء . فلست فى حاجة لأن أسمع تلك الكلمات الجوف التى اعتاد الناس أن يُعَزُّوا بها عن المصيبة ، فإن إثمها أكبر من نفعها ، فتزويرها واضح لا يحتاج إلى دليل ، والتدليس فيها بيِّن لا يعوزه البرهان . والناس هم الناس ، والدنيا هى الدنيا ، والأقدار تسيّرنا فى ليل معتم من الحوادث ، لا نستطيع أن نرجع إلى ما فات منه ، ولا أن نرسوَ فيه بأرض . لجٌ مائج ، والسفينة تحملنا كرهاً ، فتسير رخاء حيناً ، وحيناً تلاطمها الأمواج

— إن هذه لفلسفة جديدة ، بعث الحزن معانيها فى نفسك ، وأثار الشجن تفاصيلها فى وعيك . فإنى عهدتك على غير ما أنت ، صباراً غير يئوس ، جلداً غير متخاذل ، مرحاً عند الخطب قلّ أو جلّ

وكانت مخصرته ما تزال فى حركتها ترسم فى الثرى دوائر ومربعات ، وزوايا ومنحنيات ، ولوالب وإهليجات ، فكانت تلك الرقعة المتخاذلة المعانى ، المتداخلة الصور ، صفحة كاملة تقرأ فيها دخيلة نفسه ، وحركات وجدانه ، ولواعج قلبه . ومضت المخصرة ترسم ثم ترسم ، ومن ورائها لسانه يتحرك :

— كلا يا بنى . هذه الفلسفة قديمة ، ولكن معرفتنا بها جديدة . تعلمنا إياها المصيبة إذا حلت ، والقارعة إذا نزلت . فمن فطن لها فطن للحياة ، ومن ضل عنها عاش العمر معتم البصيرة أعمى القلب . هذه الفلسفة يا بنى قطعة من الحياة ذاتها ، فكيف تكون جديدة علينا ؟ وإنما تكون معرفتنا بها أدق ، ووقوفنا عليها أتم ، كلما كانت فوادحنا أعظم ، وكوارثنا آلم وأشأم . إن كل مرائى الحياة ومجاليها ومناظرها ، أشياء إذا مضى عليها قليل من الزمن مرت على خواطرنا كالأحلام ، لا يبقى منها إلا الحقائق المريرة ؛ وكل الحقائق مرة أليمة ، والآلام أشد حقائق الحياة مرارة ؛ تبقى فى النفس آثارها ، فإذا خفّف الزمن بعضها

وعملت فيها دورة الليل والنهار حتى كادت تنضاف إلى وادى الأحلام ، فإنها بطبعها تكون أوضح أحلام الحياة ، وأشدّها بياناً وأعمقها أثراً ، وأبقاها مع التذكر أطول الزمن . والحقيقة كالجبل السامق تتسلقه على درج من الألم والحزن والنصب ، وكلما صعّدت فيه زادت آلامك ، وتضاعفت أحزانك ، حتى إذا بلغت القمة أشرفت منها على محيط الدنيا ، فالسماء من فوقك نجوبها ذكاء بكل عظمتها ، والأرض بوديانها وشعابها وغاباتها منبسطة تحت قدميك ، ولكن الأسف كل الأسف أن الحقيقة طريقها الألم ، طريقها الحرمان ، طريقهـا الأحزان تمزق نياط القلب ، وتبدد قوى النفس وتهدّ من بناء العمر ... ما أجلّها وما أقساها

— أمّا الزمان ، فذلك المجهول الذى نعامله ، كما يقول فيلسوفنا المعاصر . هو ذلك التيار المادىء المنحدر إلى لا نهاية . هو ذلك العقد النظيم من الحركة الدائمة . هو ذلك الكائن الموهوم الذى لا يشعر بوجودنا ولا يأبه بآلامنا . ونحن لجهلنا نعامل هـذا الزمان ، نعتب على الزمان ، ونغضب من الزمان ، ونتبرم بالزمان . وما الزمان فى مفهومنا العادى سـوى الظرف الذى نعيش فيه . وما الظرف الذى نعيش فيه إلا تصرف القدر وتصرف ذلك الناس الذين نعايشهم . أما القدر فذلك الذى لا نعرف ، هو ذلك العالم المغيب . أما الناس فهم الناس ، أولئك الذين يعيش سوادهم دسيسة عليك فى الحياة ، والدسيسة كما يقول شكسبير تجد حماها ومستقرها فى شيئين : بشاشة الوجه ، ومعسول اللفظ فقال :

فأمّا إن أردت رحًى أميناً ... تخلف بشاشة المُتَـبَسِّمينا
وتحت اللفظ يقطر منك وداً ... هنالك تـكمنين فتختفينا

— تنزل بك الكارثة ، وتحل بك القارعة ، فيواجهك الناس وعلى ألسنتهم تلك الألفاظ المحفوظة عن ظهر قلب ، تتحرك بها شفاههم ، ولا تعيها قلوبهم . وقد تفجع فى مالك أو عرضك ، فتسمع منهم جملاً وقِفَتْ على ذلك الظرف . وقد يموت لك ولد كما مات ولدى ، فيعزونك بجمل أخرى نقشت على قلوب من حجارة . وهى جميعاً صلوات ودعوات بالرحمة وطلب الصبر . وإنما هى من الألسنة لا من القلوب والصلاة التى لا تصدر من القلب لن تجد إلى الله طريقاً . وإذا ضلّت الصلاة طريقها إلى الله فما جدواها ؟

— لقد مات ذلك الصغير ، فى ذمة الأزل ، وفى ذمة اللانهاية ، وفى ذمة الزمان ينساب عليـه انسياب الماء اللّيّن المادىء إلى لا غاية . وما موته إلاّ أحد ظروف الزمان . وما أظلمنا إذ نعتب على الزمان وعلى ظروف الزمان . وإنما أعَـبِّر بالزمان عن أولئك الذين كنت أتوقع أن أرى فى أعينهم دمعة واحدة تترقرق على فراقه ؛ فإذا بهم ينظرون فى وجهى بعيون جامدة النظرات ، وقد عقدت ألسنتهم حتى عن لوك تلك الجمل المحفوظة . وما آسف على شىء ، إلا أن ذلك الظرف قد حرك فى نفسى تلك الأفعى الجبارة ، وكانت ما تزال لحسن حظى وسنانة نائمة : حرّك الحقد والضغينة والقطيعة . كانت نفسى كالبركة الهادئة النائمة فى أحضان طبيعة وادعة ، إذا مسَّـها النسيم تحركت أمواجها حركة لطيفة تمر بخاطرى كحلم لذيذ ؛ فلما هبت عليها هذه العاصفة تعالت أمواجها وتلاطمت حتى كدُر ماؤها ، واحتمل زبداً رابياً تهدر من تحته براكين الألم فتزيد ثورتها عنفاً وشدة ، وذلك هو الأجر الذى ربحت بموت قطعة من نفسى : ألم القلب ، وقطيعة الناس ، وفراق الأبد !

أمنتك يا فراق وربّ يوم ... حذرت لو أنه نفع الحذار
أخذت فلم تدع شيئاً عليه ... يخاف أسى ولا يرجى اصطبار
حبيب خنتنى فيـــه ودار ... وللناس الأحبـه والدّيار

— والعمر ما هو ؟ هو على التحقيق مقياس الزمن بين ساعة مولدك وساعة مصرعك ، ولكن الواقع الصحيح أن عمرك قد يطول وإن قصر مقياسه الزمانى ، وقد يقصر وإن طال مقياسه ذلك . فليس العمر هو الأيام والسنون ، بل هو اللحظات والساعات ، تقيس عليهـا آلامك ومسراتك .

فإن طال ألمك فأنت قصير العمر وإن امتد زمنك ، وإن اتصلت مسراتك فأنت طويل العمر وإن قصرت أيامك . ولـكن

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٠٩ - أما هذه فنعم

في (معجم البلدان) لياقوت

قال حفص بن عمر الأردبيلي : جلس سعيد بن عمر البرذعي في منزله ، وأغلق بابه ، وقال : ما أُحدّث الناس ؛ فإن الناس قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن مسلم بن وارَه الرازي ، فدخل عليه ، وسأله أن يحدثهم ، فقال : ما أفعل

فقال : بحقي عليك إلا حدثتهم

فقال : وأي حق لك عليّ ؟

فقال : أخذت يوماً بركابك

فقال : قضيت حقاً لله عليك ، وليس لك عليّ حق

فقال : إن قوماً اغتابوك فرددت عنك

فقال : هذا أيضاً يلزمك لجماعة المسلمين

قال : فإني عبرت بك يوماً في ضيعتك ، فتعلقت بي إلى طعامك ، فأدخلت على قلبك سروراً

فقال : أما هذه فنعم . فأجابه إلى ما أراد

٥١٠ - وأين ذاك الواحد

في (شرح المقامات) للشريشي :

كتب بعض وزراء ابن عباد يتسخط الإخوان هذا البيت :

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد، وأين ذاك الواحد؟

فوقّع في الكتاب : (وأين ذاك الواحد . صحّفْ تعرف)

فلما قرأه طار سروراً . ومثل بالبساط ، فلثمه بين يديه . وإنما صحف (وأين) فجاء منه (وأنت) فرد عليه من كلامه أبلغ جواب

ما ذا جنينا من اللحظات والساعات

كم ساعة آلمني مسها وأزعجتني يدها القاسيه
فتشت فيها جاهداً لم أجد هنيهة واحـــدة صافيه
وكم سقتني المر أخت لها فرحت أشكوها إلى التاليه
فأسلمتني هـــذه عنوة لساعة أخرى وبي ما بيه
ويحك يامسكين هل تشتكي جارحة الظفر إلى ضاريه

— والحياة ما هي ؟ لجهلنا في الظاهر ، ولغرورنا في الحقيقة ، نزعم أنها ذلك القبس الذي هبط من نور السموات إلى سواد هذه الأرض . ولو أنها كانت من السماء لما دنست ذلك الدنس ، ولا كدرت تلك الكدوة . بل لكانت نوراً صرفاً وحباً محضاً ، ولرجعت دوماً إلى أصولها السماوية ، فكانت صفواً زلالاً ، وسحراً حلالاً

— الحياة . هي تلك المأساة العظمى التي يمثلها القدر على مسرح سمته الأرض . نأتيها كرهاً ، ونزاولها كرهاً . نشعر بأن لنا اختياراً هو إلى الجبر . ونعلم بأن فينا جبراً هو إلى الاختيار . ونأبى إلا أن نكون مختارين إذا لذ لنا أن نختار ، ونأبى إلا أن نكون مجبرين إذا طاب لنا الجبر . وهذه الفلاة ، فلاة الجبر والاختيار ، هي إحدى مصائب الحياة العظمى ، فإذا أضفتها إلى كارثة الوجود ذاته ، رأيت طرفاً من نقائض هذه الحياة التي تدعى أنها من أقباس السماء وما أبعدنا عن السماء أصولاً

— نولد رغم أنوفنا ونموت رغم أنوفنا . وبين المولد والممات . تتوالى الصور وتتالى الأحداث ؛ فنمضي ناظرين إلى المسرح ، وأفواهنا مفغورة مشدوهين عجباً . وكأننا نسأل لم المولد ولم الممات ولم ما بينهما ؟ ونشعر بالعجز عن الجواب فنمضي مع الماضين نغذ السير ساعة وندلف أخرى . ولكن إلى الهاوية ... إلى اللانهاية . . . إلى سفر الأبد الطويل . . . إلى الفوهة التي تبتلع ثم تبتلع ، نهمة غرثانة جائعة

ولمّ الشيخ عمران فضل ردائه والتف بعباءته وحيانا بيده . ثم شرع يمشي بقامته الديدة وخطواته الوئيدة المتزنة ، ووجهه في هـذه المرة نحو الأرض ، كأنما مل مخاطبة السماء . فخيل إلى أنه يبحث في منكب من مناكبها عن تلك الفوهة الغرثانة الجائعة ، يمضي نحوها ثابت القدم ... مطمئن القلب ... راضي النفس . . . فيلقي بهـا عبء شجونه ، ويودعها قلبه بأسراره وآلامه وأحزانه ، ولسان حاله يقول : يا ابن الأرض : إنما إلى الأرض تعود . هذا أول السفر وآخر المعاد

إسماعيل مظهر

٥١١ – خذ معها ...

في (تاريخ بغداد) للخطيب :

أبو بكر الصولي : قال محمد بن زكريا : حضرت مجلساً فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التيمي ، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي . فقال جعفر لابن عائشة : ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً وهي : « وإنه لذِكْرٌ لك ولقومك » فقال له ابن عائشة : قومه قريش ، وهي لنا معكم[1] ، قال جعفر : بل هي لنا خصوصاً

قال : فخذ معها « وكذَّب به قومك ، وهو الحق »

فسكت جعفر فلم يحر جواباً

٥١٢ – الفاكهة واللحم

في (مفاتيح الغيب) تفسير الرازي :

(وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون) هل في تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة ؟ قلت : وكيف لا ، وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة ، وإن كان لا يحيط بها ذهني الكليل ، ولا يصل إليها علي القليل . والذي يظهر لي فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم ، وإذا حضرا عند الشبعان تميل إلى الفاكهة ، والجائع مشتهٍ ، والشبعان غير مشتهٍ ؛ وإنما هو مختار ، إن أراد أكل ، وإن لم يرد لم يأكل . فخص اللحم بالاشتهاء والفاكهة بالاختيار

٥١٣ – ألم تعلموا ؟

شاعر في بعض الولاة :

إذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم   وأفنيتم أيامكم بمدام
فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة
ومن ذا الذي يلقاكم بسلام ؟
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة
بشرب مدام أو بلثم غلام
ألم تعلموا أن اللسان موكل   بمدح كرام أو بذم لئام ؟ !

٥١٤ – التوارد في السرقة

في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » لجلال الدين السيوطي : من أعجب ما وقع لأبي العباس أحمد بن علي الكناني الإشبيلي[1] – الملقب باللص لكثرة سرقته أشعار الناس – في السرقة أن والياً قدم أشبيلية فانتدب أدباؤها لمدحه . قال : فطمعت تلك الليلة أن يسمح خاطري بشيء فلم يسمح ، فنظرت في معلقاتي فإذا قصيد لأبي العباس الأعمى مكتوب عليه : « لم ينشد » فأدغمت فيه اسم الوالي . فلما أصبحنا وأنشد الناس أنشدت تلك القصيدة ؛ فقام شخص وأخرج القصيدة من كمه وقد صنع فيها ما صنعت ، ووقع له ما وقع لي ، فضحك الوالي من ذلك وكثر العجب من التوارد على السرقة

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) تيم من قريش ، ومنها أبو بكر الصديق وليس معنى القول الكريم ما ظنه الهاشمي وتوهمه التيمي وساقته تفاسير زائفة ، وروته أحاديث مصنوعة . بل معناه ما ذكره الحسن البصري : « وإنه لتذكرة وموعظة لك ولأمتك » يراجع (الاسلام الصحيح) الصفحة ٢٦٥ وما بعدها

(١) كان مقرئاً محدثاً متحققاً بعلوم اللسان نحواً ولغة وأدباً ، ذاكراً للتاريخ ، حسن المجالسة شاعراً مفلقاً « بغية الوعاة »

النشيد

للأستاذ عمر أبو ريشة

يا قلب حزنك ما أشدُّهْ　　خفر الحبيب اليوم ودّه
ما ذا عليك إذا تنا　　سيت الهوى وطويت عهده
أمن المودة أن تبـ　　ـيت بأضلعى؟ أمن المودة؟
جاوزت حد الحزن يا　　واهى القوى! جاوزت حده
لو كان حزنك يستردُّ　　وفاءه لك لاسترده
قد طاب بعدك عيشه　　فعلام عيشك ساء بعده
كم مرتع بتنا به　　والليل حاك عليه بُرْده
ولكم أذعت إليه وجـ　　ـدى فى الهوى وأذاع وجده
وكم اتكا فوق الزهو　　ر ومد لى باللطف زنده
حـتى إذا طوقته　　أدميت بالقبلات خده

عمر أبو ريشة

الفجر الغارب

[إلى ذكرى الشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير « فى مسابحه الأبدية »]

للأديب محيي الدين صابر

مرَّ فى موكب الحياة غريباً　　ومشى كالظلال فيه مُريبا!
ومرى كالخيال جنَّحه الوحىُ　　م، فعيناه تقرآن الغيوبا
يحمل الناى فى يدٍ، منه طُهْر　　وبأخرى، تراه يحمل كوبا
ومشى فى الحياة، نشوانَ، كالرحمـ　　ـة، دنيا ترفُّ عطراً وطيبا!
وسقى الناس خمره، وهو يَصْدَى　　لخسا الناسُ روحه مسكوبا
وشدا نايه فكان لحوناً　　لو تجسَّمْنَ، خِلتَهُنَّ قلوبا
مشرفاً فوق ربوة الخلد كالرا　　عى، على مولد الحياة رقيبا!
عصفت تحته الحياة، فلا الجـ　　ـنُ عزيفاً، ولا السواقى هُبُوبا!
ضَجَّةٌ تملأُ الوجود سكوناً　　ساخراً رجعُه ومعنًى رتيبا!
فانبرى الشاعر المجنح فى المو　　كب، يُلقى إنجيله الموهوبا
ومضى يزحم الحياةَ مِثاليَّـ　　ـة فِكرٍ فكان فناً عجيبا
رقصت حوله أمانىُّ قلب　　كاد بالخلق رحمة أن يذوبا
وسِـعَ الكون كله وحواه　　خفقة فى ضلوعه أو وجيبا!
عاش فى عالم من الروح صوفـ　　ـىٍّ، تجلاَّهُ عالماً مشبوبا
فيلسوف، دنياه حق وعدل　　وانطلاق كالوحى فكراً خصيباً
ورسالاتُ شاعر عُلوىٍّ　　عاش كالطير فى الروابى طروبا
أيها الشاعر الموشح بالخلـ　　ـد، لاماً كالفجر غضاً رطيبا!
لم تزل تسبق الزمان وتعلو　　قمم الفكر والخيال وثوبا!
ثائراً تُنكر القيود فأدركـ　　ـت على صحوة الصباح الغروبا
كنت لحناً على الحياة غريباً　　فتولى، فعاد رجعاً غريبا!
ما تلاقت فوق التراب حياتا　　نا، وإن كنت لى أخاً ونسيبا
جمع الفكر فى السموات دنيا　　نا، كما يجمع المطاف الدُّروبا!
ولقد طوَّفتْ حياتك فى الأر　　ض جراحاً بخاطرى وندوبا!
يا أخى مزِّق النقاب عن الغيـ　　ـب، وبين لنا الغد المحجوبا
وانسخ الشك باليقين فقد تهـ　　ـدى نفوساً، وقد تنير قلوبا!
ولقد تُنقذ الضحايا وما زا　　لوا وَقُوداً يُؤرِّثُون الحروبا
لا تزال الحياةُ مجلى صراع　　لا ترى غالباً ولا مغلوبا!
نحن فى حيرةٍ كما كنت فيها　　وسؤال، فهل لقيت مجيبا؟
وبنو الفكر فى الحياة أُناس　　يتحدَّوْنَ كيف شاءوا الخطوبا
إنهم عنصر الخلود ولفتا　　ت من الروح بُرِّئت أن تغيبا

* * *

إيه يا شاعر السماء وَدَاعاً　　ربما نلتقى هناك قريبا
لست أرثيك يا رفيقى ولكن　　أنا حَيَّيْتُ فنك الموهوبا

محيي الدين صابر

من الأدب البولندي

ستانسلوس أوجاخوفسكي

STANISLAUS ORZECHOWSKI

أحد الأحرار

للأستاذ حسين غنام

كانت دعوة مارتن لوثر المشهورة لا زالت طفلة غضة تحبو على يديها ورجليها، ولكنها كانت تتعثر كثيراً وتصطدم بعقبات قاسية، فحاربها البطاركة والرهبان في مختلف الأديرة والكنائس، وحاربها الملوك والأمراء والأعيان، بل حاربتها الشعوب أنفسها

وكان طبيعياً أن تتسرب تلك الدعوة الجريئة، في أوائل القرن السادس عشر، من بروسيا مهدها ومنشأها إلى جاراتها القريبة، وخاصة بولندا، وتلاقي صدى عند المفكرين الأحرار وأنصار التجديد الأجرياء

ولكن بولندا في تلك العصور كانت خاضعة خضوعاً عجيباً للبابا في روما. وكان البابا الكاثوليكي الروماني أشد خصوم دعوة لوثر التي ترمي إلى تجديد الدين وإصلاحه، دأب رجال الدين جميعاً في محاربة كل تجديد، أو ما يسمونه بدعة أو فتنة! فما بالك بخليفة الله في الأرض، وما يحيط به من آيات الجلال والتقديس، وهو يخشى أن تزعزع تلك الدعوة كيان روحانيته على الشعوب التي تقدسه؟

فكانت كل دعوة إلى الأخذ بآراء مارتن لوثر، أو ميل إلى تجديد الكنيسة يقابل بحرب عنيفة ولا شك مبعثها البابا، والمحرض الأكبر عليها هو وأعوانه الكثيرون

ولكن على الرغم من ذلك وجد بعض الأجرياء في بولندا في ذلك الحين، ولعل أول هؤلاء المصلحين الذين أثروا تأثيراً كبيراً في الكنيسة البولندية والحياة البولندية جميعاً هما أندرو مودجاڤسكي وستانسلوس أوجاخوفسكي. ولكن ثانيهما كان أبعد أثراً وأجرأ قلباً وأعنف قلما وبيانا، وأشد إقداما وأرسخ قدما من زميله

تلقى هذا الرجل علومه في وتنبرج، فاعتنق مذاهب المجددين وتشرب نظرياتهم وآراءهم، ثم صار تلميذاً للمجددين الدينيين العظيمين «مارتن لوثر» و «بلانختن»

ثم نزح إلى إيطاليا وقضى فيها مدة قصيرة عاد بعدها إلى بلده. وكان ذلك سنة ١٥٤٣، والتحق بالسلك الديني مبتدئاً برتبة صغيرة ما زال يتدرج منها حتى رقي في زمن وجيز إلى وظيفة القسيس الأول في بشيمزل Przemysl

وكان وقتئذ عضواً في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ولكنه لم يستطع أن يخفي شعوره ضدها، وعملت فيه آراء أستاذيه المصلحين الكبيرة، كما استفزه قريبه الشاعر «ري»(١) فكان لا يفتأ يعلن آراءه، ويرددها غير خائف ولا وجل

وكان المذهب الديني الغالب آنئذ في مقاطعة (جاليسيا) — إحدى مقاطعات بولندة في ذلك الحين — هو المذهب الأرثوذكسي. وكان هذا الرجل يقيم في تلك المقاطعة، وفيها إرشيته التي يعمل فيها؛ فأخذ يكتب ويكتب في تمجيد العقيدة اليونانية، والدفاع عنها، وكان هذا ضد وظيفته، ولكنه لم يأبه لذلك، فقد كان غرضه مهاجمة البابا الكاثوليكي، والتعرض له فطلبته السلطات الدينية العليا للمحاكمة. واستطاع بعضهم أن يؤثر عليه تأثيراً مؤقتاً، وطلب إليه الرجوع عن تعاليمه ونبذها، ثم أحرقوا كتابه الذي أعلن فيه هذه الآراء.

ولم يكن عن ضعف رجوع الرجل عن آرائه؛ فدأب المصلح أن يمهد الطريق، ويجس النبض، ولا يتردد في إحناء هامته للعاصفة القوية حتى تمر سراعاً، ثم ينتصب من جديد قوياً

فإن إذعان ستانسلوس لتلك السلطات الدينية كان إذعاناً وقتياً؛ فقد تزوج بعد ذلك بأمد وجيز من ماجدالين خلمتسكي ضارباً بهذا الزواج تقاليد الكنيسة التي يمثلها، فدعاه مطران بشيمزل ليحاكمه على ما أتى، أمام محكمته، فذهب ستانسلوس برفقة صحبة قوية من أصدقائه؛ فخشي المطران أن تحدث فتنة، فلم يستطع أن يفتتح الجلسة، وآثر أن يحكم على القسيس النافر غيابياً، ففعل، ثم وقع مرسوماً بفصله عن الكنيسة وتجريده من جميع رتبه الكنسية

وأعلنت فضيحته، وقيل إنه خارج على الدين الرسمي للدولة، وصودرت أملاكه. ولكنه لم يفزع لشيء من ذلك. ومر ذات يوم بكنيسة أثناء تأدية الخدمة الدينية فيها، فدخلها وتكلم في الجمع الحاشد بها، محتكما إلى المصلين، ومعلناً براءته مما نسب إليه

(١) «ري Rej» هو الشاعر البولندي العظيم نيقولاس ري، ١٥٠٥ — ١٥٦٩ من الذين ثاروا على اللغة اللاتينية واستعملوا لغتهم البولندية القومية في كتاباتهم، بعد أن كانت اللاتينية هي اللغة المستعملة وهو من الذين تأثروا بعهد النهضة في أوربا Renaissance. ومن أحسن أعماله كتاب «المرأة أو حياة الرجل الشريف»، وكتاب في الحكم والأمثال، ومسرحية عنوانها «يوسف في مصر»

ولم تطل مدة الحكم عليه ، فأصبح فى نظر الكثيرين بريئاً منه ، وانقلب التيار الآن وسار جارفاً قوياً ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وتطاول التيار ضدها ، حتى وصل مجلس الآراء ، ووجد كثير من الرجال الذين أخذوا بناصر أوجاخوفسكى وآزروه

قال المستر چيروم هورسى السفير البريطانى لدى بلاط الروسيا فى ذلك الحين ، فى بعض مذكراته (عند ما جئت قلنا ، أكبر مدينة فى لتوانيا ، قدمت نفسى وأوراق كندوب من الملكة ، فقابلنى الأمير (راجفل) ، وهو أمير عظيم ذو حول وطول ، ويعتنق المذهب البروتستانتى !)

فمن هذا يبدو لنا كيف بجح أوجاڤسكى فى تحويل التيار ، حتى بين الأمراء ، ضد الكنيسة البولندية التى حاربته

وفى مجلس الأمراء ظهر أوجاخوفسكى ظهوراً عظيما ، فقرأ على الأعضاء نصوص الحكم عليه بقطعه من الكنيسة ، وتساءل عما إذا كان فى استطاعة الأكليروس أن يتصرفوا فى حياة إنسان مثل هذا التصرف

وكان قرار المجلس حينئذ أنه فى مثل هذه الأشياء التى تتعلق بمواطن بولندى يجب أن تعرض على مليكه ليتصرف فيها

ولكن أوجاخوفسكى وجه خطاباً جريئاً إلى الملك وإلى مجلس الأعيان ، ونجح فى إرجاء هذا العرض ، وقرر المجلس أن يستشيروا البابا فيما إذا كان يبقى أوجاخوفسكى زوجته أم يطلقها

ورأى أوجاخوفسكى أن العاصفة هذه المرة قوية ضده أيضاً . فآثر أن يحنى لها هامته للمرة الثانية ، ريثما تمر كما مرت سابقتها ، فهادن الكاثوليك الرومانيين بعد ذلك . وفى السابع عشر من فبراير عام ١٥٥٢ برىء من قطعه عن الكنيسة وأعلن خضوعه للمجلس الدينى فيما يتعلق بالعقائد ، ولكنه تخلى عن قدره ورتبه الكنسية ، آملاً أن تعترف السلطات الرومانية الدينية بزواجه .

كان هذا النبيل رجلاً قوياً جديراً أن يعمل الكثيرون على استمالته ، وكان همهم الأكبر أن يفصلوه عن البروتستانت ، ولكنه لم يكن ممن يحترمون الباباوات (الأحبار الرومانيين) ، فخاطب يوليوس الثالث بهذا الأسلوب : (تأمل ، يايوليوس ، وتبصر جيداً ؛ مَن من الرجال ستفعل فعلتك معه . إن هذا الرجل ليس إيطالياً تفرض عليه سلطانك وجبروتك ، والواقع أننى رجل روسى [1] وهو ليس تحت رعويتك الباباوية الخسيسة ، ولكنى مدنى من مملكة يجب حتى على ملكها أن يحترم قانونها ويطيعه . إن فى استطاعتك أن تحكم على حتى بالموت ، إذا أحببت ، ولكنك لن تستطيع أن تنفذه فىَّ . ولن ينفذ الملك حكمك ، لأن الأمر يجب أن يعرض على مجلس الأعيان . إن الرومانيين يحنون قامتهم ويركعون أمام جموع خدامك وأجرائك ، ويحملون على أعناقهم نير الذل والعبودية عن كتاب الرومان الجبناء . . . ولكن هذه الحال لن تكون معنا . فحيثما يحكم القانون ؛ فلا العرش ، ولا الملك ، ولا الحاكم ، بمستطيعين أن يفعلوا ما يريدون ، فالحكم لا يكون إلا للقانون وما يشرّع . إنه لن يقول ، حالما تشير إليه بأصبعك ، أو تبهر عينيه بخاتم الصياد السحرى الذى فى يدك ، يا ستانسلوس أوجاخوفسكى ! إن البابا يوليوس يريدك أن تذهب إلى المنفى ، فيجب عليك أن تذهب ، ولكنى أؤكد لك أن الملك لا يمكن أن يريد ما تريد أنت ؛ وإن قوانيننا لا تسمح له أن يسجن أو ينفى أى شخص لم تحكم عليه محكمة حقيقة بالحكم)

وأدرجت أعمال أجاخوفسكى ضمن القائمة السوداء فى الفهرس البابوى ، وأعلن الكتاب الكنسيون أنه خادم من من خدم الشيطان

ولكنه بدل أن يرتدع بمثل هذه التصرفات ، فقد انفجر ثائراً بتجريحات أقوى ، وكتابات أعنف ، وإليك مثالاً من مخاطبته للبابا بول الرابع : (بما أن هذا المكروه العربيد المعتوه الأخرق ، الذى يسمى نفسه بول الرابع ، قد أخرج موسى والمسيح من الكنيسة ، فإنى سأتبعهما بملء حريتى ورغبتى ؛ فهل أستطيع اعتباره شيئاً حاطاً بكرامتى أن أكون زميلاً لهذين اللذين يسميهما الأخرق البغيض هرطيقين ؟ هذا سيكون شرفاً لى وتاجاً يتوج رأسى . إن إهمال التعاليم القديمة أفسدنا وأذلّنا وجردنا من شرفنا . يا بول ! حذار أن تجر على إبرشيتك الخراب الأخير . نظف المدينة من جرائمها ، واستأصل بذور الخسة والدناءة فيها ، ولا تجر وراء الأرباح التى تجنيها لمصلحتك إنى سأشرح لمواطنى ، بكل صراحة ووضوح ، أن الفساد الرومانى يضر الكنيسة ويؤذيها أكثر مما يضرها التواء اللوثرية)

بهذا وبمثله كان يخاطب أوجاخوفسكى الباباوات الرومانيين . وهو لم يكتف بذلك . فقد تناول هذا البابا فى رسائل أخرى بالتجريح المنيف ، وحمله من المذمات والقدح والشتم حملاً هائلاً ، ثم بدأ مؤلفاً جديداً — لم يطبعه — ولكن بعض أصدقائه حدث أنه رآه مخطوطاً وقرأه ، وهو فى هذا الكتاب .

(١) أوجاخوفسكى مواطنا من روسيا الصغيرة .



الأستاذ ساطع الحصري

من أنباء دمشق أن الحكومة السورية اغتنمت فرصة العطلة الموقوتة التي اضطر إليها أستاذ التربية في الشرق العلامة «أبو خلدون ساطع الحصري» ، فعرضت عليه منصب المستشار الفني لوزارة المعارف فيها ، فقبله الأستاذ لأجل مسمى بعد تمنُّع شديد ، ليتسنى له الرجوع متى شاء إلى العراق وطنه المختار ، فيتبوأ فيه مكانه المرموق من قيادة النهضة الحديثة . وهذا التعيين ولا شك توفيق من الله يُناط به الأمل في بناء التعليم في الجمهورية السورية على أساس متين من العلم الصحيح والخبرة الحكيمة

خنادق الانى بين الدين والرأى

أخشى أن يكون الأستاذ عبد المتعال الصعيدي قد شغله تطبيق قواعد فن الجدل عن أساسيات الموضوع فقد أوحت إليه طريقته في الدفاع عن الدين أن يمهد إذا أجمع الأطباء على رأى الدكتور أسامة ، بأن يوفق بين الطب والدين عن طريق تأويل حكم الدين ، وهذا في نظره سهل في هذه المسألة ، لأن الأحاديث التي وردت فيها أحاديث آحاد

فلنفرض أنه لم ينعقد إجماع ، ولكن انعقدت أغلبية على رأى الدكتور أسامة ؛ أفكان هذا مغيراً شيئاً من الناحية العملية للموضوع ؟ إن الأستاذ عندئذ لا يكون عند نفسه مضطراً إلى التأويل ، ولكن الشبهة تبقى حيث كانت من نفس الدكتور ومن لف لفه . وسيقال إن الدين يخالف أغلبية العلماء أو أغلبية الأطباء ، ويكون الأستاذ لم يصنع شيئاً لخدمة

وعنوانه — خلع روما — أو شيء شبيه بذلك يفضح جرائم وأغلاط البابوات ، ثم أعلن أنه سينضم إلى الكنيسة اليونانية التي كانت وقتئذ المذهب الشائع للجزء الأعظم من سكان مقاطعة جاليسيا

وفي بعض ثورات أوجاخوفسكى الهجومية ، غير المتصلة ذكر بعض الحقائق اللاذعة المؤلمة

فقد بين أن الأقسام التي يقسمها المطارنة للأبرشية البابوية تمنعهم أن يكونوا رعايا أمناء للملك

وقال — إنه لو تقلد مطران كاثوليكي روماني منصب عضو في الأعيان ، فمن الضروري أن يكون خائناً لبلده ، لأنه سيفضل منفعة روما على مصالح مليكه ؛ فهو سيقسم يمين الطاعة للبابا ، ثم يقسم بعد ذلك للملك

ووجه أوجاخوفسكى الخطاب إلى الملك ، قال — وإن هذا القسم لينسخ حرية المطارنة ، ويجعلهم جواسيس على الشعب وعلى الملك ، إن هيئة الأكليروس العليا بتطوعها لقبول هذه العبودية قد دخلت في مؤامرات خسيسة ضد بلادهم نفسها ، وعلى الرغم من تآمرهم ضدك وضد عرشك ، فهم لا يزالون يحتلون مقاعدهم في مجلس الشورى . لقد فحصوا خططك واستقصوها ، ثم بلغوها إلى رئيسهم الأجنبي)

وقال أوجاخوفسكى في موضع آخر عن هؤلاء الأكليروس « دعهم يعمدون ويبشرون ، ولكن لا تدعهم يوجهون أعمال

الدولة وشئونها . وإذا كانوا يريدون ـ على الأقل ـ أن يحتفظوا بمناصبهم في مجلس الأعيان ، فدعهم يبرأون من طاعتهم لروما »

هذه الآراء الجريئة ذكرها أوجاخوفسكى في كتابه البابا الأكبر ، الذي نشره بلا توقيع في سنة ١٥٥٨ ، ولكن المعروف المشهور إن هذا الأثر كتب بقلم أوجاخوفسكى

وقد أثمرت هذه الآراء ، وهذه الثورة التي نارها ذلك الرجل الفاضل الجرىء ، في القرن السادس عشر ، ثمراً طيباً حتى في عصره ، فقد اشتد النضال بين أنصار البابوات وبين أنصار المجددين الدينيين ، واستعرت نار الشحناء بينهم واتسعت رقعتها ، وعمت أرفع الطبقات ، ومنها طبقات الأمراء والأشراف ورجال الأكليروس وخدمة الدين عامة ، حتى أن قسيساً حكم عليه بالموت حرقاً لأنه كان يدعو للمذهبين جميعاً ولقيت إحدى السيدات نفس الجزاء لأنها أنكرت الواقع

وسارت عدوى التشكك إلى عديد من النبلاء ، وتزوج الكثيرون من رجال الأكليروس

ويقال أن الملك سيجسموند ، كان ميالاً إلى مذهب المجددين الدينيين ، وسمح للمجدد الكبير كالفن أن يهدى إليه أحد مؤلفاته ، وأن يقدم له لوثر طبعة من إنجيله الألماني ، وهذا كله بتأثير دعوة ستانسلوس أوجاخوفسكى ...

(الاسماعيلية) حسين غنام

الدين أو لإزالة الشبهة بتعليقه تأويل حكم الدين على انعقاد الإجماع

ثم لنفرض أن الإجماع انعقد على رأى الدكتور أسامة . أفكان يحل للأستاذ عندئذ التنازل عن حكم الدين بتأويله وإهمال أحاديث الآحاد الواردة فيه ؟ كلا ! لأن قاعدة التأويل التي يستند إليها مشروطة بالاضطرار لا يحل تطبيقها إلا عند تناقض النقل والعقل ، بحيث لا يكون هناك سبيل إلى التوفيق إلا بالتأويل ، وهذا الشرط مفقود في هذه المسألة لثبوت حكمة أخلاقية لختان الأنثى ، وثبوت مراعاة الدين لوظيفة الزائدة المختونة بنهيه عن الإنهاك عند الختان . من أجل هذا قلت لو انعقد الإجماع ما تغير الحكم ، لأن الخلاف هنا خلاف رأى لا خلاف واقع ، ولم يقل أحد بتأويل النص من أجل الرأى كائناً ما يكون ، وقد أشرت إلى هذا في عنوان كلمتي ، ولكنها إشارة لم يفطن لها الأستاذ

ومن العجيب أن الأستاذ يعقل — كما يقول في كلمته — أن يتمسك متمسك بالطب رغم الدين ، أو بالدين رغم الطب ، ولا يعقل أن يتمسك متمسك بالدين والطب كليهما ، لأنه لا خلاف في الواقع بينهما . أفليس هناك طريقة للتوفيق عند الأستاذ إلا طريق التأويل حتى يعجب من سالك سلك غير هذا الطريق ؟ أم هل الطب عند الأستاذ هو رأى الأطباء لا حقائق العلم حتى يعجب ممن لم يبال بإجماع الأطباء لو أجمعوا على رأى يخالف حكم الدين في مسألة اتفقت حقائق الطب فيها مع حكم الدين ؟

ويقول الأستاذ أنى أجرى على طريقته في التوفيق بين العلم والدين ، وددت لو جرى وجريت في هذا على طريقة واحدة ، ولو نسبت بعد ذلك إليه لا إلى من سبقني وسبقه . إنى مخبره بطريقتي والأمر إليه في أن يقول إنها أيضاً طريقته . إنى أرى مستحيلا أن يتناقض العلم والدين بحيث يضطر للتوفيق بينهما إلى قاعدة التأويل ، وهذه الاستحالة ناتجة عندى من أن حقائق العلم وأحكام الدين القصية مصدرها واحد ، هو الحق سبحانه فاطر الفطرة ومنزل الدين . أما الرأى — رأى المجتهدين في الدين وأصحاب النظريات في العلم — فقد يختلف مع حقائق العلم أو نصوص الدين ، وعندئذ يكون هذا الرأى خطأ قطعاً كرأى الدكتور أسامة في موضوع الختان

محمد أحمد الغمراوي

الأستاذ إسعاف النشاشيبي

ورد القاهرة علامة فلسطين وأديب العربية الأستاذ « إسعاف النشاشيبي » ، فوردها العلم الجم والفضل العظيم . و (الأستاذ الجليل) في صف القيادة من نهضة العرب ، وفي صدر الأبوة من أسرة الرسالة ، فلا يحتاج فضله إلى تعريف ، ولا ذكره إلى تشريف . فنرجو للأستاذ الصديق طيب الإقامة ودوام السلامة

الى طلبة السنة التوجيهية

في الأسبوع المقبل — إن شاء الله — ستقرأون مقالي عن كتاب « أخبار أبي تمام » ، وهو مقرر للامتحان التحريري في مسابقة الأدب العربي

وأسارع فأدعوكم إلى النظر في « علم البديع » نظر الفهم والاستقصاء ، لتقفوا على أظهر جانب من جوانب التجديد في شعر أبي تمام ، فمن المؤكد أنكم ستسألون عن هذه الناحية لأهميتها في تحديد اتجاه الصياغة الفنية عند هذا الشاعر المجيد

وأدعوكم أيضاً إلى النظر في كتاب «الموازنة بين الطائيين» للآمدي ، ففيه معارف كثيرة تزيد شخصية أبي تمام وضوحاً إلى وضوح

ويجب حتماً أن تنظروا في ديوان أبي تمام ؛ فإن لم تستطيعوا الوصول إليه بسبب نفاد طبعته ، فلا يفتكم أن تطيلوا التأمل في النماذج التي اختارها الصولي ، وإن خفي عليكم شيء من دقائق تلك النماذج فاسألوا أساتذتكم بدون تسويف

ولا تنسوا ما أوصيتكم به من قبل ، وهو الحرص على الظفر بجوائز وزارة المعارف ، فذلك يقوى ثقتكم بأنفسكم ، ويزيدكم حباً في التفوق

زكي مبارك



12 me Année No. 553

Lundi - 7 - 2 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥٣ «القاهرة في يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

علامات الزمن

للأستاذ عباس محمود العقاد

للزمن علامات في أقوال الشعراء والأدباء

ولأقوال الشعراء والأدباء علامات في الزمن

ولكن العلامات التي تصدق في دلالتها، ويقل خطأها في إشاراتها هي على الأعم الأرجح علامات الصناعة دون علامات الطبيعة

لأن الطبيعة الإنسانية تتشابه في جميع الأزمان وتتماثل فيها الخصائص والعيوب بين جميع الأجيال، فلا يقال إن السخف وقف على عصر دون عصر، ولا إن الركاكة مقصورة على جيل دون جيل، وإن هذا البيت لا يمكن أن يصدر عن شاعر في الجاهلية لأنه سخيف، أو لا يمكن أن يصدر عن شاعر متأخر في القرن التاسع عشر لأنه متين ظاهر الفحولة، فهذه علامات لا تقطع بالقول الفصل على وجه اليقين، ولكنها تذكر للاستئناس كما يقال في لغة الفقهاء والمحامين، إذ يوجد السخف لا مراء في كلام الجاهلية كما توجد القوة والجزالة في كلام المتأخرين

إنما العلامات القاطعة في دلالتها التاريخية هي علامات الصناعة اللفظية والمعنوية على اختلافها في جميع اللغات؛ لأن المحسنات والموشحات وضروب التطريز والتشطير والتوشيع

قد ظهرت عندنا فى اللغة العربية على عهود معلومة تنحصر بالسنوات فضلاً عن الحقب والفترات . فلا يعقل أن يتكرر الجناس الكامل فى الشعر الجاهلى ولا أن تصدر أفانين التوشيح عن مخضرم أو متقدم بين الأمويين . وقل مثل ذلك فى كل علامة صناعية مرجعها إلى زمن معلوم

أما الركاكة أو السخف أو الإعياء أو اختلال الوزن فكل أولئك قد يوجد فى الجاهلية كما يوجد فى عصور المماليك . ورب بيت لشاعر من شعراء العصر الأول تسلكه بين أبيات النظامين من مداح الريف فلا تشعر بغرابته بينها . كقول حسان مثلاً :

ويحسبنا فخراً على من غيرنا حب النبى محمد إيانا

أو بيت عريق فى القدم لو ألقيته على لسان خليع من خلعاء الأزبكية لجاز أن يكون من كلامه إذا نظرنا إلى الخلاعة والمجون ، كقول الأعشى :

قالت أميمة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل

فهذا البيت هو بعينه ترجمة « يا دهوتى عليك ويا دهوتى منك يا راجل انت » التى تقطر بخلاعة المحدثين ، إذا كانت المسألة مسألة عيب من عيوب النفس والمزاج

ولن يؤخذ بعلامة المتانة والجزالة مأخذ اليقين كما ليس يؤخذ بها هذا المأخذ فى باب الركاكة والإسفاف

فالبارودى مثلاً يقول فى إحدى معارضاته :

ألا حى من أسماء رسم المنازل وإن هى لم ترجع بياناً لسائل
خلاء تعفتها الروامس والتقت عليها أهاضيب الغيوم الحوافل
فلأياً عرفت الدار بعد ترسم أراني بها ما كان بالأمس شاغلى
فللعين منها بعد تزيال أهلها معارف أطلال كوحى الرسائل
فأسبلت العينان منها بواكف من الدمع يجرى بعدسح بوابل

والشيخ محمد عبد المطلب يقول :

لنا باللوى مغنى عهدناه آهلاً سقى الله روضات به وخمائلا
كساه السحاب الجون من نسج نبته
عقود جمان نظمت وغلائلا

أو يقول :

دعته الملا أن الثواء من الوهن فأسلم أرسان الركاب إلى الظعن
وأرسلها فى ذمة الشوق فانبرت صوادى تنسيها اللغى أحلب المزن

والسيد البكرى يقول :

سقى دور مية بالأجرع مسف من الدجن لم يقلع
ولو ترك الشوق دمعاً بجفنى سقيت المنازل من أدمعى

ويروى مثل هذا الشعر لفئة من المحدثين لا يعدون الفترة العارضة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

فاذا لو أن ناقداً من المتحذلقين الذين يختطفون القول فى علامات الزمن خطف البيناوات رجع إلى مقاييسه الخاطفة فأنكر نسبة هذا الكلام إلى عصره وزعم أنه أشبه بعصور البداوة وأقرب إلى فحولة الجاهليين أو المخضرمين ؟ ! بل ماذا لو أضاف إلى ذلك أمثلة من الشعر والنثر الشائعين فى هذه الفترة ، فقال جازماً إن الأسلوبين لا يصدران عن عصر واحد ؟

إنه لو قال ذلك لكانت حجته أقوى وأسلم من حجة القائل أن شاعراً فى العصر الإسلامى الأول لا يتأتى أن ينظم هذا البيت !

لواحى زليخا لو رأين جبينه لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

لأنه فى زعمه بيت تعوزه متانة الشعر فى ذلك العصر . ولو صح أن المتانة تعوزه لما كان ذلك جازماً باستحالة نظمه فى عصر من العصور ، لأن عصراً من العصور الأولى أو الأخيرة لن يخلو من بيت ركيك أو سخيف

ومن المصادفات الحسنة أن كلامنا فى الخلاف على صاحب هذا البيت يظهر فى الرسالة وفيها كلمة للأديب الداغستانى يذكر فيها أن مؤلفى « قصة الأدب » نسبا أبياتاً إلى كثير عزة وهى منسوبة فى كتاب الأغانى إلى بشار . ومنها هذا البيت :

يزهدنى فى حب عزة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى

وهناك قوم ينسبون الأبيات إلى ذى الرمة ويضعون « مية » فى موضع عزة من البيت المتقدم ، وبين العصرين دولة مضت بصدر الإسلام وأعقاب الأمويين . ومن الأبيات الثلاثة بيت يشير إلى النظر هو أليق ببشار الضرير حيث يقول :

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وهناك أبيات ومقطوعات وموشحات ينسبها أناس إلى شعراء من الأندلس وينسبها آخرون إلى شعراء من بغداد

ولا سبيل إلى القطع بصواب النسبة إلا الرجوع إلى علامات الصناعة وعوارض البلدان ، أو الرجوع إلى دليل قاطع من العقل يبطل به النقل كل بطلان

وصفوة القول أن علامات الزمن فى الشعر إنما تؤخذ مأخذ اليقين إذا اتصلت بحدود الصناعة وأوقاتها ، ولكنها فيما عدا ذلك لا تبلغ مبلغ اليقين إلا بدليل قاطع من العقل أو دليل قاطع من النقل ، أو بالدليلين معاً مجتمعين . وليس من ذلك هذا الزعم الذى أتى به المعترضون على رواية البيت المنسوب إلى عروة ابن الزبير فى كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

***

وهؤلاء المعترضون يزعمون أنهم قد أتعبوا أنفسهم تقصياً للكتب المحترمة فى السير والأدب والتاريخ فلم يعثروا على إشارة إلى القصة التى أنكروها جملة وتفصيلاً وحسبوها من تلفيق كتب الأسمار التى لا يطلعون عليها

ومع هذا لم تقتصر الإشارة إلى تلك القصة على رواية واحدة ولا على كتاب واحد من كتب السير والأدب والتاريخ « المحترمة »

فأخرج أبو نعيم فى الدلائل والخطيب وابن عساكر فيما روى السيوطى فى شرح شواهد مغنى اللبيب ، قال رواية عن السيدة عائشة :

« ... كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فقال مالك بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ؛ ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره ، حيث يقول :

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

فهذه رواية فى كتب محترمة تذكر التمثيل بالشعر فى وصف شمائل النبى ، وتذكر مناسبة التمثيل ويختلف فيها ناظم البيتين ، ولم يقل أحد أن أبا نعيم والخطيب وابن عساكر ومحمد بن قاسم حبوس من أصحاب السمر الذين لا يذكرون مع كتاب التاريخ والسير ، ويضاف إليهم السيوطى صاحب التفسيرات والأمالى فى النحو والعربية ؛ فأين جماعتنا إذن من الكتب المحترمة والاحترام ؟

***

ويذهب بنا القول فى أدلة العقل والنقل حول كتابنا « الصديقة بنت الصديق » إلى مناقشة الأستاذ الصعيدى مرة أخرى فيما اعتمدناه من النقل المتواتر الذى لا يناقض العقل على ما نراه

فالعقل لا يمنع أن تراجع السيدة عائشة محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمر من الأمور ، ولا يمنع أن تخالفه فى ضرب من الشعور ، ولا سيما شعور الغيرة التى بلغت أشدها بعد مولد إبراهيم من مارية القبطية

ومن المحقق بالمناسبات القرآنية أن النبى عليه السلام هجر نساءه شهراً لأنهن راجعنه وألححن فى مراجعته فى شؤون النفقة ، وفيما بينهن من التغاير والتناظر الذى تعددت أسبابه ومناسباته

ومن المتواتر فى الروايات الموثوق بها أن عائشة كانت تراجع النبى لأنه كان يكرم ذكرى خديجة وهى تقول عنها إنها عجوز حمراء الشدقين ، وكان يميل إلى صفية وعائشة تقول عنها إنها قصيرة ، وكانت تزعم للنبى أنه أكل مغافير وهو لم يأكل المغافير

فهذه المراجعات والمناقشات لا ينفيها العقل ولا يستغربها ، بل نقيضها هو الأحق بالنفى والاستغراب ، لأنه مناقض لطبيعة الإنسان

ومهما يكن من قول النظام فى معنى الواقع ومعنى التصديق فالواقع أن عائشة رضى الله عنها كانت تكذب لو أنها قالت إنها ترى شبهاً فى إبراهيم وهى لا تراه . والواقع أن الغيرة تحجب النظر عن الشبه الذى يمتنع فيه الخلاف ؛ فكيف بالشبه الذى يجوز فيه الخلاف ؟ وأى شبه فى طفل مولود لا يختلف فيه نظران ؟

كذلك لا غرابة فى أن يدعو النبى عائشة أو غيرها إلى الاستغفار إن كانت ألمت ببعض الذنب ؛ فإن الاستغفار مطلوب

٢ ـ بركة خان

أول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

واستمرت المكاتبة والمهاداة بين الملوك من بني جوجر وبين سلاطين مصر زمناً طويلاً ، وقد فصلت كتب التاريخ بعض المراسلات بين الدولتين ولا سيما بين بركة والملك الظاهر بيبرس حين كان المسلمون في فزع من التتار وبخاصة هلاكو وأشياعه من الذين غزوا ديار المسلمين حتى استولوا على بغداد ثم تجاوزوا إلى الشام حتى وقف سيلهم بعد موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ

لما بلغت مصر أفواجُ التتار من أصحاب بركة الذين قدّمنا الكلام عنهم ، وعلم الملك الظاهر بيبرس بإسلام الملك بركة وعرف أحوال مملكته ومقرّ ملكه ؛ أرسل إليه رُسلاً معهم اثنان من التتار الذين قدموا إلى مصر

وحمل الرسل كتاباً إلى الملك بركة يرغبه في الجهاد ويحثه عليه ، ويصف له جند المسلمين وكثرتهم وأجناسهم ويذكر من في طاعة الملك الظاهر من ملوك الأقطار ، ومن هادنه وصالحه من ملوك الفرنجة وغيرهم ، ويخبره بقدوم التتار من أنصاره إلى الديار المصرية ، وأنه لم يأل في إكرامهم والحفاوة بهم ، وإنزالهم المنازل الرفيعة

جمع السلطان الأمراء والأعيان وأمر أن يقرأ عليهم الكتاب ، واستشارهم فيه ، فاستحسنوه

يقول القاضي ابن عبد الظاهر كاتب السلطان بيبرس :

« ولما كان يوم الخميس ثاني المحرم سنة ٦٦١ جلس السلطان مجلساً عاماً فيه جميع الناس ، وجماعة التتار الواصلين ، ورسل السلطان المتوجهون إلى الملك بركة ، وحضر الإمام أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ... أمين الخليفة المسترشد بالله . وبايعه السلطان بعد ثبوت نسبه عند قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ . وبايعه الأمراء والعامة والتتار الواصلون ، والرسل إلى الملك بركة ، ولما تمت هذه البيعة المباركة حصل الحديث معه في إنفاذ الرسل إلى الملك بركة فوافق على ذلك ثم قرىء الكتاب ثانياً بحضوره وانفصل المجلس »

« ثم أمر السلطان بعمل نسبته الطاهرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكتبت وأذهبت وسيّرها إلى الملك بركة »

« فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم يعني يوم البيعة ، اجتمع الناس وحضر الرسل المتوجهون إلى الملك بركة . فبرز الخليفة وعليه سواده ، وصعد المنبر وخطب وصلى الجمعة بالناس ودعا للملك الظاهر وللمسلمين »

« ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الإسلام ؛ وعرف أصحابه التتار أحوال عساكره وكثرتها وما هو بصدده من جهاد وما يبذله من الأموال في نصرة الدين ، وقتال الأعداء المشركين ، وأنه محبٌّ للملك بركة وداع له بالنصر على الأعداء ، فوافق له على ما فيه صلاح العالم »

هذه صفحة من التاريخ الإسلامي لم تعط كفاءها من القراءة والتأمل ، وفصل من سياسة مصر في جهاد أعداء الإسلام لم ينل نصيبه من الإيضاح والشرح . ها هو ذا الملك الظاهر بيبرس وأمراؤه وعلماء مصر وكبراؤها يحيون الخلافة العباسية ليجمعوا عليها قلوب المسلمين ، ويثبتوهم في تلك الفتن المبيرة ، والكوارث المروعة . وها هم أولاء يرسلون الكتب والهدايا والرسل إلى بركة خان ابن عم هلاكو ، لينحاز إليهم ويحارب بني عمومته ويفل حدهم ، ويكف بأسهم عن البلاد الإسلامية . وليس احتفاء السلطان بمبايعة الخليفة العباسي

بنصوص القرآن ، ومطلوب بالعقل والبداهة ، ولا مناقضة فيه لأدب النبوة ولا لأدب الحاكين

ولست أرى من واجب المؤرخ أن يبطل الروايات المنقولة لأنه يظن ظناً ضعيفاً لا سند له أن عائشة لن تقول هذا القول ولن ينطلق به لسانها مع فلتات الغيرة وجمحات المغاضبة ، وإلا انتقلنا من البحث في عصمة الأنبياء إلى البحث في عصمة أزواجهم وأقربائهم حتى من فلتات اللسان ، حيث تبدر الفلتات من كل إنسان ، وإننا لننزه العقل الآدمي أن نغله بأمثال هذه القيود

عباس محمود العقاد

وإثبات نسبته إلى الرسول وإرسالها إلى الملك بركه ، وصلاة الخليفة بالناس ، وحضوره مفاوضة السلطان والرسل — ليس هذا كله إلا إعلاء لشأن الخلافة وإيذاناً لبركة بأن الخلافة التي أزالها ابن عمه وخصمه وعدو المسلمين هلاكو ، قد حييت في مصر وكتبت إليه تستنجده وتستنصره بالإسلام دينه الذي ارتضاه وأنعم الله به عليه

وهذه مأثرة لسلاطين مصر في القرن السابع بعد بلائهم المشكور في دفع الصليبيين مائتي عام ، وقبل جهادهم لرد تيمور عن الشام ومصر في مفتتح القرن التاسع . وإنها لمفاخر خالدة ومساع محمودة جديرة بعناية مؤرخي الإسلام

سار رسل الملك الظاهر حتى بلغوا القسطنطينية فلقوا بها رسل الملك بركه المتوجهين إلى مصر ؛ فرجع معهم أحد الرسل المصريين ، وهو الفقيه مجد الدين ألجأه المرض إلى العودة . وكتب ملك الروم إلى الملك الظاهر أن رسله قدموا سالمين وتوجهوا إلى الملك بركه في صحبة رسل من عنده . ومؤرخو المسلمين يسمون ملك القسطنطينية في ذلك العصر الأشكرى وهو تعريب اسم الأسرة التي سيطرت على مملكة الروم الشرقية في تلك العصور

ثم يصف القاضي ابن عبد الظاهر مسير الرسل المصريين إلى القرم . ثم رحيلهم عنها إلى أن بلغوا شواطىء نهر إبل (الفلجا) في واحد وعشرين يوما . يقول :

وهو نهر حلو سعته سعة نيل مصر ، وفيه مراكب الروسن وهو منزلة الملك بركه . وحملت إليهم (إلى الرسل) الإقامات والأغنام طول هذه الطرقات »

ولما اقتربوا من المخيم « الأردو » قابلهم الوزير شرف الدين القزويني ، وهو يحدث بالعربية والتركية وأنزلهم في ضيافة الملك

ودعاهم الملك بركه من الغد فساروا إلى مضربه في صحبة الوزير شرف الدين . وعُرّفوا آداب الدخول على الملك

يدخلون إلى الجهة اليسرى ؛ فإذا أخذت منهم الرسائل ينتقلون إلى اليمنى ، ويقعدون على الركبتين . ولا يدخل أحد بسيف أو سكين ، ولا يطأ عتبة الخيمة ... الخ .

كان الملك في خيمة عظيمة تسع خمسمائة فارس مكسوة باللباد الأبيض ومبطنة بثياب نفيسة ومزينة بالجواهر ، وهو جالس على سرير ، واضع رجليه على كرسي فوقه وسادة ، لأنه كان مصاباً بالنقرس ، وإلى جانبه الخاتون الكبرى ، أي كبرى زوجاته « طقطفاى خاتون » — وكان له امرأتان أخريان ججك (زهرة) خاتون دكد (جوهرة) خاتون ، وعنده زهاء خمسين أميرا على كراسي . وكان بركه كما روى ابن عبد الظاهر :

« كبير الوجه خفيف اللحية في لونه صفرة ، يلف شعره عند أذنيه ، في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمنة . وعليه قباء خطائى [1] وعلى رأسه سراغوج [2] وفي وسطه حياصة ذهب مجوهرة معلق بها صولق بلغاري أخضر ، وفي رجليه خف كيمخت أحمر وليس في وسطه سيف ، وفي حياصته قرون سود مقمعة بذهب »

دخل الرسل وأدوا رسالة الملك الظاهر فسر بها بركة سروراً عظيما ، وأمر الوزير فقرأ الكتاب ، وأمر بأن يجلس الرسل عن يمينه خلف الأمراء الذين بين يديه ، وقدم لهم القمز ثم العسل المطبوخ ، ثم اللحم والسمك ، ثم أمر بإنزالهم عند زوجه ججك خاتون وانصرفوا آخر النهار من الغد إلى منازلهم

وكان الملك بركه يدعو الرسل كل يوم يحدثهم ويسألهم عن أخبار مصر وعجائبها : سأل عن النيل والمطر وعن الفيل والزرافة ، وقال سمعت أن عظماً لابن آدم ممتد على النيل يعبر عليه الناس . فقالوا هذا ما رأيناه ولا هو عندنا . ويقول ابن عبد الظاهر :

« وكان عند الملك بركه رجل فقير من أهل الفيوم اسمه الشيخ أحمد المصري له عنده خدمة كبيرة . ولكل أمير من أمرائه مؤذن وإمام ، ولكل خاتون أيضاً مؤذن وإمام . والصغار الذين عندهم لهم مكاتب يتلقنون فيها القرآن العزيز »

ما أعجب الأخوة الإسلامية التي وصلت بين بركة وقومه وصلته بالمسلمين في بقاع الأرض كلها ، وصيرته حليفاً للمصريين على ابن عمه هلاكو ، ثم أحاطته بعلماء المسلمين وكبرائهم من غير قومه . فهذا وزيره شرف الدين قزويني يعرف العربية ، وهؤلاء علماء من أقطار شتى ينحازون إليه ، وهذا رجل مصري من الفيوم يعيش في كنفه ويحظى لديه .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) من بلاد الخطا

(٢) سراغوج وهو ما يسمى قلبق

طاقات ريحان

هدية إلى شعراء فى هذا الزمان

لأســتاذ جليل

يقرض قارضون فى مصر والشام والعراق وبلاد المغرب — هذا الذى يطلع فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والدواوين العامة[١]؛ فإذا تمعقب قارضِى ذاك القريض متمقبون ، وسوّءوا عليهم ما يُهرئون[٢] ، وأرذلوا تلك المخزيات[٣] المهلهَلات — حرِد أولئك المقصِّدون والقوالون والفصالون[٤] ونزقوا ، ولبثوا ليالى ونُهُرا[٥] متأوهين متأففين يلعنون النقد والناقدين . والنـاس فى كل زمان لا يحبون إلا المدح والتمجيد ، وبخ بخ ، وزه ، ومرحى ...

يهوى الثناء مقصر ومبرز حب الثناء طبيعة الإنسان[٦]

وقد أردت أن أتقرب إلى أصحـاب الشعر البهرج[٧] المزروف[٨] برواية أحاديث وأقوال فى شعراء من قبلهم قالوا الشعر واللغة لغة والعربية عربية والناس ناس « والأدب غض والزمان زمان[٩] » ليتعزى الأصحاب بما يقرءون ويسمعون ، وليتأسوا بإخوان لهم سابقين « إن الأُسى تدفع الأَسى »

ولولا الأُسى ما عشت فى الناس ساعة
ولـكن إذا ما شئت جاوبنى مثلى[١٠]

عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزّى رباعهم والتأسى[١١]

وبآبائك الـكرام التأسى والتسلى عمن مضى والتعازى[١]

وليستيقن القوم أن الله لم يدخر السخف لهذا الزمان ، ولم يُبَتّج عصراً من العصور من خلط وهذيان . والدواهى أقاسيم ، جزأها وقسمها بين الناس صانع حكيم

***

* قال عبد الرحمن بن حمزة المكى : كان أبو العتاهية إذا حج يجلسُ عندى بمكة ، فجاءه شاعر كان عندنا ، فجعل ينشده وأبو العتاهية لا يصغى إليه لأنه لم يستجد شعره ، فقال له الشاعر : مالك لا تصبر حتى تسمع ؟ فقال :

سأصبر جهدى لمـا أسمع فإن عيل صبرى فـا أصنع ؟

* سمع عروة بن الزبير من ابن له شعراً ، وكان ابنه هذا يقول الشعر ، فقال له : يابنى، أنشدنى، فأنشده حتى بلغ مايريد من ذلك، فقال له : يا بنى ، إنه كان شىء فى الجاهلية يقال له : المزروف بين الشعر والـكلام ، وهو شعرك

* قال أبو العيناء : دخلنا على العتبى نعوده وقد مرض ، فقال : ما أجزع من الموت لجزعى من « أبى مسلم الخلق » لأنى أخاف أن يرثينى كما رثى الأصمعى

* قال الهيثم السمرى : حدثنى شاعر من موالى بنى تميم كان يألف أبا نؤاس ، وكان أديباً ظريفاً قال : دخلت على أبى نؤاس فى علته التى مات فيها ، فسر بدخولى عليه ، ونشط ؛ فقلت له أعرض عليك شعراً لى ؛ فقال : أعلى هـذه الحال ؟ فقلت له : أنت بخير حال . وأنشدته إياه فجعل يبكى ، فقلت له : لم تبكى ؟ لك بسائر اليهود والنصارى والملوك أسوة ... فقال لى : كم تظن من شاعر قد مدح بأحسن من شعرك هذا فـكان ثوابه أن صُفع حتى عمى ، وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزقهم فقال له ما لك لا شفاك الله !

* أنشد رجل الفرزدق شعراً له وقال له كيف تراه فقال: لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحق بقبله سواك

* قال السجستانى : أنشد رجل ابن مناذر قصيدة ، فجعل يقول : غفر الله لك ، غفر الله لك ! فلما فرغ قال : ردها على شيطانك لا يعتن بها عليك

---

(١) بتخفيف الميم وتشديدها
(٢) أهرأ : أتى بالهراء
(٣) المخزيات . المخزيات . وفى اللسان : قصيدة مخزية نهاية فى الحسن يقال لقائلها : أخزاه الله !
(٤) (الفصالون) هم الذين يمدحون ليأخذوا الجوائز
(٥) نهر : جمع نهار
(٦) ابن نباتة السعدى
(٧) في الأساس : كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة .
(٨) المزروف بين الشعر والـكلام
(٩) ابن قتيبة فى مصنفه أدب الـكتاب
(١٠) الحارث بن زيد الخيل (١١) البحترى

(١) المتنبي

* قال الطبرى فى تاريخه : قال محمد بن سلام كان المهدى يقعد للشعراء فدخل عليه شاعر طويل اللحية ، فأنشده مديحاً له فقال فيه : « وجؤار زفرات » فقال المهدى : أى شىء زفرات ؟ فقال له : ولا تعلمه أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين لا تعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلا والله . فقال المهدى : ينبغى أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك .

* أنشد رجل أعرابياً شعراً وقال له : هل ترانى مطبوعاً ؟ قال : نعم على قلبك

* قال الصولى فى كتاب الأوراق والمرزبانى فى الموشح : سمع أحمد بن يوسف الكاتب لأخيه شعراً قد كتب به إلى هوى[1] له فكتب إليه أحمد : وفقك الله « يا أخى » للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً أنفذته إلى من تخطب مودته ، وتستدعى عشرته ، فسرنى شغفك بالأدب ، وساءنى اضطرابك فى الشعر ، وليس مثلك من أخرج من يده شيئاً يعود بعيب عليه ، وأعيذك بالله أن تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فتنسب إلى قبيح أمر هويت النسبة إلى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على عمله بأهله ، ثم قل منه ما أحببت ، إذا عرفت ما أوردت وأصدرت

* قال ابن الجوزى : أنشد رجل أبا عثمان المازنى شعراً له فقال : كيف تراه ؟

قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك لأنك لو تركته لأورثك السل

* قال إسحق الموصلى : أنشدت أبا عبيدة أبياتاً لبعض القدماء فقال : أترى فيها مثلاً أو معنى جسناً ؟ فقلت : لا

فقال : من جملك حامل أسفار ؟

* قال إسحق : قال لى الفضل بن الربيع : يا أبا محمد ، إن من الشعر لأبياتاً مُلس المتون قليلة العيون ، إن سمعتها لا تفكه لها ، وإن فقدتها لم تبالها

* قال ابن الجوزى : جاء شاعران إلى بعض النحاة فقالا : اسمع شعرنا واخبرنا بأجودنا ، فسمع شعر أحدهما ، وقال ذاك أجود . قال له فما سمعت شعره

قال : ما يكون أنحس من هذا قط

* قال الجاحظ : أنشد عبد الرحمن بن عبد الأعلى أبا زيد الأنصارى شعراً له فقال له أبو زيد : يا أخى ، هذا شعر لا عليك ألا تستكثر منه

* قال أبو العيناء : عرض رجل على الأصمعى شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكينى أن ليس لغريب قدر ، لو كنت ببلدى بالبصرة ما جسر هذا أن يعرض علىّ هذا الشعر وأسكت عنه

* قال على النجم : أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل إلى أن ترزق حمقى فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها عدة أعمارهم ، ثم ينتهى بها الأمر إلى الذهاب ؛ وذلك أن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل

* قال الصفدى : قال الرضى الحلاوة يوماً لضياء الدين موسى الكاتب : أنا أشعر شعراً حسناً وما يعوزنى إلا حَلْق فقال له موسى : لحية ...

* قال ابن رشيق صاحب العمدة :

الشعر منزلة المقول ؛ وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً

* أبو إسحق الصابى :

لقد شان هذا الشعر قوم ، كلامهم
إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيارب ، إن لم تهدهم لصوابه   فأضللهم عن وزن ما لم يجوّدوا

* دعبل :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره
ويكثر من أهل الرواة حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى وإن مات قائله

(***)

(١) هو — كفى — وهوى — كفى — : الهوى

مسابقة الأدب العربي

أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

فرحة الأديب بالأدب

أتممت قراءة « أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي » وأثنيت من جديد على اللجنة المؤلفة من رجال الجامعة ورجال المعارف لتنظيم هذه المسابقات بمثل هذا النظر الدقيق

قضيت في قراءة هذا الكتاب سبع سهرات هي بداية كريمة لسهرات العام الجديد ، ومن هـذا الكتاب عرفت أن الأستاذين المفضالين خليل محمود عساكر ومحمد عبـده عزام قد استطاعا تكوين قسم خاص بمكتبة الجامعة المصرية يشتمل على جميع ما أمكن الوصول إليه من المؤلفات التي عُني مؤلفوها بأبي تمام العظيم

وليس من الجديد أن أعرف الأستاذ محمد عبده عزام ، فقد عرفته قبل سنين طوال ، وأنا لا أستكثر عليه أي فضل ، فهو أهل لكل فضل ، وإنما الجديد هو التفاتي إلى الأستاذ خليل محمود عساكر ، وأنا لا أذكر أني التفت إليه قبل قراءة هذا الكتاب ، فليتقبل مني أصدق الثناء

وعلى غلاف الكتاب اسم الأستاذ « نظير الإسلام الهندي » بدون أي مجهود ظاهر يستحق وضع اسمه على الكتاب ، ولكني بعد التأمل رأيته صحح لفظة كانت تحتاج إلى مهارة في التصحيح ، وأنا أرى أن تصحيح لفظة واحدة عمل من أجل الأعمال ؛ فقد انقضي زمن الأحجام والأوزان والمكاييل !

من هذا الصولي

معرفتي بأبي بكر الصولي قديمة العهد ، فقد كان صاحب الفضل في أن أعرف مؤلف « الرسالة العذراء » يوم ثار الخلاف بيني وبين أستاذي مرسيه تحت أروقة الكوليج دي فرانس

وكان مثار الخلاف أن نسبة الرسالة العذراء إلى ابن المدبّر ليست موضع يقين

إشارة واحدة في كتاب « أدب الكتّاب للصولي » دلتني على أن ابن المدبّر هو مؤلف الرسالة العذراء

ولكني لم أعرف الصولي معرفة حب وإعجاب إلا بعد قراءة كتاب « أخبار أبي تمام » فقد وجدته يؤمن بالأدب إيماناً هو الغاية في العمق ، والذي يقرأ دفاعه عن أبي تمام يكاد يتوهم أنه يتحدث عن نبي من الأنبياء ، لا شاعر من الشعراء ، ويزيد في قيمته أنه ردّ معاني أبي تمام إلى مصادرها القديمة حين يجد ما يوجب ذلك ، وهذا الصنيع يشهد بحب هذا الرجل للصدق ، ورغبته في أن تسلم أقواله من الأهواء

وقد تألمت حين تذكرت أن من الصعب أن نصل إلى بقية مؤلفات الصولي ، ولا سيما المؤلفات الخاصة بتحقيق طائفة من دواوين الشعراء ، كالذي صنع في تحقيق ديوان أبي نواس ، بحيث صارت نسخته هي النسخة المعتمدة ، وبحيث صارت النسخ القديمة تباع بدراهم بعد أن كانت تباع بعدد أوراقها دنانير

فأين تلك النسخة الفريدة ؟

هل يسمح الزمان بأن نجدها في أي مكان ؟

إن ديوان أبي نواس أهمل ، ولا أذكر أن في علماء هذا العصر من اهتم بشرحه ، مع استثناء جهد أستاذنا الشيخ سيد المرصفي في شرح الرائية التي منها هذا البيت :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره

وأهمية نسخة الصولي أنها من تصنيف رجل قريب من زمن أبي نواس ، ومن حديث الصولي نعرف أن المفاضلات بين بشار وأبي نواس كانت تشغل الأندية الأدبية في تلك الأيام ، ومعنى هذا أن أشعار أبي نواس كانت لا تزال بمنجاة من التزيد والافتراء

يرحم الله الصولي !

تراجم مفقودة

قال الناشران الفاضلان إنهما لم يعثرا على ترجمة مزاحم بن فاتك الذي ألف له الصولي كتاب « أخبار أبي تمام » ، وأقول إن ترجمته موجودة بشهادة هذا الكتاب ، أعني أنه كان

شخصية كبيرة عاشت فى صدر القرن الرابع واستحقت التفات الصولى الذى كانت له منزلة تسمح بمنادمة الخلفاء

ولكن هنالك تراجم مفقودة أحب أن يبحث عنها هذان الناشران الفاضلان ، وهى تراجم الرجال الذين عادُوا الصولى عداء ذهب برشده كل مذهب وأجرى قلمه بما لا يصدر إلا عن رجل مغتاظ مهتاج

ومن المؤكد أن أولئك الرجال لم يكونوا نكرات ، فكلامه صريح فى أنهم كانوا يبارونه فى التأليف ، ويحاولون أن يخرجوه من الميدان

لقد حدثنا أنه انتصر عليهم ، ولكن من هؤلاء الذين غاظوه وحاربوه ؟

إنه كتب كثيراً من الصفحات فى ذمهم وثلبهم ليبرد ما يتأجج فى صدره من نيران الحقد

فمن هؤلاء ؟

لا بد من النظر مرة ثانية فى التاريخ الأدبى لذلك العهد ، فمن المحتمل أن نعرف فريقاً من هؤلاء ، ومن المحتمل إن عرفناهم أن يزيد فهمنا للمشكلات الأدبية عند ذلك الجيل ، وهو من أهم الأجيال

مقدمات وشروح

نجد مع هذا الكتاب مقدمتين : الأولى بقلم الأستاذ أحمد بك أمين ، والثانية من صنع الأستاذ خليل محمود عساكر والأستاذ محمد عبده عزام

والمقدمة الأولى جيدة ، وإن كنت أنكر أن يقول فيها الأستاذ أحمد أمين إن أبا تمام أخرج الشعر من رأسه لا من قلبه ، فهذا القول غير صحيح ، لأن أبا تمام رجل قوى القلب إلى أبعد الحدود ، وشعوره بالحياة يدل على أنه كان غاية فى قوة الوجدان

وسنفصّل هذا المعنى فى المقال المقبل

أما المقدمة الثانية فهى صورة من صور البحث الهادئ الرزين والشروح سخية جداً ، ففيها معارف أدبية ولغوية وتاريخية تنفع القارئ أجزل النفع ، ونشهد لمؤلفيها بالصبر على عناء الاستقصاء

وفى ذيل الكتاب فهارس وافية ، وقد روعيت فيها الأصول الصحيحة ، على خير ما نرجو لإحياء مؤلفات القدماء

هبة الأيام

وأنتهز هذه الفرصة فأدعو المتسابقين إلى النظر فى كتاب « هِبَة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » للبديعى ، ففى هذا الكتاب أشياء تكمل كتاب الصولى ، وقد نشره الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، وقد فقدته لغة العرب منذ سنة أو سنتين ، فما أذكر متى مات ، إن كنت أذكر أنه احتُضِر ليفارق على غير ميعاد

لو كان الأستاذ محمود مصطفى نشأ فى عهد مثل عهد الصولى لوجد من يترحم عليه ويحيى ما ترك من غرر المخطوطات ، ولكنه نشأ فى عهد محوط بتقلبات لا تطاق ، فلم يبكه غير كفنه ومضى وحيداً إلى دار البقاء

لم يُرث الأستاذ محمود مصطفى إلا بكلمة أو كلمتين فى مجلة « الرسالة » ، وهذا فضلٌ عظيم ، فقد سكت عن نعيه جميع من انتفعوا بأدبه من أصحاب الجرائد والمجلات

أسئلة الامتحان

وأرجع إلى الموضوع الأصيل فأقول : إنى كنت أضمن فى كل مرة قدرة الظفر بالخزانة التى تودع فيها أسئلة الامتحان فليعرفوا أن هذا المقال محاولة لكسر أقفال تلك الخزانة ، وليثقوا بأنى سأنقل إليهم أسرارها فى المقال المقبل

ما هو الشمع الأحمر الذى تختم به وزارة المعارف صناديق أسئلة الامتحان ؟

نحن نوجه تلاميذنا توجيهاً يضمن لهم معرفة تلك الأسئلة بأيسر عناء ، وإن كان من العسير عليهم أن يصلوا إلى خزانة محروسة بجنود صناديد

فى مقدور كل تلميذ أن ينهب وزارة المعارف وأن يظفر بألقابها حين يشاء ، على شرط أن « يعرف » كيف ينهب وزارة المعارف ، وهى وزارة تشتهى أن ينهبها أبناؤها الأوفياء

فإلى المقال المقبل ، يا عشاق المجد من قرائى .

زكى مبارك

٥ ـ على محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

لقد افتتحت فصولى هذه عن على محمود طه بأنه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة . ولقد كنت أعنى ما أقول حينما افتتحت فصولى هذه بهذا الكلام . كنت أعنى أن أقول إن الشاعر على محمود طه هو شاعر بحترىّ يقول شعراً فيقع فى فؤاد مصر الحديثة شدواً ويقع فيه غناء... إن الديباجة البحترية فى الشعر العربى هى أصلح الديباجات للغناء . إن كل كلمة من كلماتها موزونة ومقدورة ومجوَّدة .. ألم يقولوا إن البحترىّ أراد أن يشعر فغنّى ؟ لماذا قالوا هذا الذى قالوه ؟ إنهم قالوه لما نقوله اليوم فى شاعرنا المصرى الرقيق . لقد زعم بروكلمان الألمانى فى كتابه « تاريخ التأليف العربى » أن على محمود طه يدين للرومانتيك الفرنسى فى القرن التاسع عشر — وهو الاتجاه الخيالى الفنى والقومى والعقلى — وأنه انتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن قومى فى ديوانه . ونحن لا يعز علينا أن يتأثر شعراؤنا بالمذاهب الأدبية التى تغمر الشرق أو الغرب ، ففى هـذا التأثر دليل من الحيوية والاتصال بركب الحياة والاستجابة للعالم الخارجى ، ولكن الذى يعز علينا هو هذا التجريد من الأصالة الذى يرميننا به مؤرخو الآداب الأجانب مهما مدحونا بعد ذلك وأثنوا على شاعرية شعرائنا وأدب أدبائنا . إن على محمود وغير على محمود طه من الشعراء المصريين إن كانوا قد تأثروا بالمذاهب الأدبية الخارجية إلا أنهم لا يدينون لهذه المذاهب بتلك الأصالة التى هى جزء من الطبع المصرى الشاعر ، والتى تجرى بكل مقوماتها فى الجبلة المصرية مذ عرفت مصر الفنون والعلوم والآداب ، وقد عرفتها قبل غيرها من الأمم ... إن النزعة الرومانتيكية التى ينزع إليها أكثر شعرائنا ، بل شعراء العالم العربى الأماثل ليست بضاعة واردة ، بل هى طبيعة هؤلاء الشعراء التى طبعهم الله عليها ، كما طبع عليها شعوب البحر المتوسط فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، هذه الشعوب التى رزقها الله تلك الأمزجة الرومانتيكية المرهفة المولعة بالغناء والموسيقا والشعر والنحت والتصوير والبلاغة البيانية وسائر الفنون التى تفتقر إلى هذا المزاج الرومانتيكى . ولقد حوّلت بعض الأسباب الدينية شعوب العالم العربى ، ومعظمها من شعوب البحر المتوسط ، عن النحت والتصوير قروناً طوالاً ؛ فانصرفت طاقة هذه الشعوب الوجدانية كلها إلى الفنون الأخرى وفى مقدمتها الشعر فأتت فيه بالمعجز والمطرب كما يقولون ، وخرجت القصائد من قرائح الشعراء المصريين والشاميين والعراقيين والمغربيين راقصة معجبة فى العصر الحديث ، كما كانت تخرج من قبل فى الشرق العربى وفى المغرب الأندلسى والمغرب الأقصى راقصة معجبة ، والمزاج الرومانتيكى بجميع مقوماته مزاج أصيل فى جبلة شعوب البحر المتوسط ، تلك الشعوب التى اخترعت أديانها قديماً من الخيال الخالص ، والتى وضعت أصول فنونها على أسس وجدانية تشبه الشعر إن لم تكن الشعر المجسم نفسه . ومن الناحية القومية ، فالوطنيات التى نشأت على شواطىء هذا البحر هى من أقدم الوطنيات فى التاريخ إن لم تكن أقدمها جميعاً . ولقد كانت الوطنية تمتزج بالدين فى مصر القديمة وعند اليونان والرومان ، وأسطورة البقرة هاتور والإله حابى إله النيل هى أسطورة مشهورة مأثورة . وإذا كان لعلى محمود طه شعر قوى كجميع الشعراء المصريين أشعار قومية ، بل نستطيع أن نقرر أن أكثر من نصف الشعر العربى الحديث قد قيل فى مناسبات قومية . وواجبنا عند ما نقرر هذا ذكر شاعر قوميتنا الأول المغفور له حافظ إبراهيم الذى كان ولا يزال له قرناء فى الوطنية فى جميع الأقطار العربية

وعندى أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه ، الغناء الجميل الذى توزن له الألفاظ وتستجاد البحور وتسترق القوافى . ولو لم يغن الأستاذ عبد الوهاب أغنية الجندول لغنناها

غيره من مطربى العصر الحاضر أو من مطربى العصور المقبلة ، وليست الجندول وحدها هى الجديرة بغناء عبد الوهاب ، بل إن من نظمه ما يوشك أن يغنى نفسه . فما بال مطربينا نائمين عن هذا الكنز الثمين ؟ إن من الأمية أن يهمل مطربونا غناء قطع على محمود طه الخالدة : بحيرة كومو ؛ خمرة الرن ، أغنية ليالى النيل ، كأس الخيام ، وكلها فى ليالى الملاح التائه ؛ وقبلة ، والنشيد ، وميلاد شاعر ، وهى فى الملاح التائه ؛ وليالى كليوبطرة ، وسارية الفجر ، وأغنية الحب ، وخمرة الشاعر ، وزهراتى ، وراقصة الحانة ، والشاعر[1] ، وعاشقة ، والكرمة الأولى ، وحلم ليلة الهجرة ، ليلة عيد الميلاد ، وعام جديد ، وكلها فى مجموعته « زهر وخمر »

فأى شاعر يملك هذه الثروة من المنظومات الغنائية الساحرة يجهله المغنون فى وطنه كما يجهل المغنون فى مصر على محمود طه برغم ما لقنهم إليه المطرب الفنان محمد عبد الوهاب ؟

ومع هذه المنظومات الكثيرة التى اخترناها هنا من مختلف دواوينه ، فإن قصائده الباقية تكاد تغنى نفسها كما قدمنا . إنها قصائد غر تسمع لشدوها جرساً يخرج من صميم أبياتها فيترقرق فى سمعك كرنين الذهب . ولعل الذى يكسبها هذه الميزة هى تلك الشاعرية الصادقة التى تتجلى فيها جميعاً ، والتى يظنها القارىء تناقضاً فى شخصية على محمود طه ، أو تناقضاً فى آرائه ومعتقداته ، إذ كيف نعلل ما جاء فى قصيدته « الله والشاعر » مثلا ، أو فى ثنايا « أشباح وأرواح » من تمرد على الله وعلى البصيرة ، وضرب فى صحراء العقل الشاك ، وهذا الإيمان العجيب الذى يبهرك نوره فى قصائده « حلم ليلة الهجرة ، وليلة عيد ميلاد ، وعام جديد »

إنك تقرأ من منظومته الرائعة « الله والشاعر » هذه الأبيات يخاطب بها الله :

أمنذرى أنت بيومَ الحساب ؟   ولائمى أنت على ما جرى ؟
رحماك ! أما رضيك هذا العذاب   لطيِّع لم يعص ما قُدِّرا !

ما كنت إلا مثلما رُكِّبت   غرائزى ، ما شئت لا ما أشاء
فلتجزها اليوم بما قدَّمت   وإن تكن مما جنته براء

تشككت نفسى بما تنتهى   إليه دنياها وماذا تكون
مضت فما آبت بما تشتهى   من حيرة الفكر وهجس الظنون !

فتشعر أن أبا العلاء والخيام يختبئان فى هذه النفس الحائرة ، لكنه سرعان ما يرد إليك الطمأنينة إذ يخبرك أنه شاعر ، وأن صناعته هى رد الطمأنينة إلى القلوب الشاكية ، ومسح الدموع عن العيون الباكية !

ها أنذا أرفع آلامه   إلى سماء المنقذ الأعظم
أنا الذى ترسل أنغامه   قيثارة القلب وناى الفم ! !

من عبراتى صفت هذا المقال   ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأت منه صفحات الليال   فضُمِّنت كل معانى الألم

أنا الذى قدَّست أحزانه   الشاعر الباكى شقاء البشر
فجرت بالرحمة ألحانه   فاملأ بها يا رب قلب القدر

ولو تفضل القارىء فرجع إلى بقية المنظومة فى « الملاح التائه » لاطمأن على هذا الفؤاد الحيران ، ولعرف أن حبَّته قبس من الإيمان ، فإن لم يجد مصداق ذلك فليقرأ حلم ليلة الهجرة ، وعام جديد ، وعيد ميلاد ، ليشهد كيف تصدق شاعرية على محمود طه فى كل ما تتغنى به من فصول تلك الحياة . إن ميزة شاعريته الصدق فى كل ما تقول ، فهى كالروح الذى يتدفق فى الجسم الحى ، وهى لا تتدفق حكمة كما كانت تتدفق شاعرية المتنبى ، ولا فلسفة وتشاؤماً كشاعرية أبى العلاء والخيام ، ولا وصفاً للطبيعة واندماجاً فيها كشاعرية ذى الرمة مثلاً ، لكنها تتدفق غناء كشاعرية البحترى . ولقد عددنا بعض منظومات على محمود طه الغنائية الرائعة ، ونرجو ألا يحكم أحد علينا بالمغالاة قبل أن يرجع إلى دواوين الشاعر ليراجع هذه المنظومات البديعة ، وليجيل فكره فى هذا الذى نقوله ، ليرى بعد ذلك أننا غير غالين ولا مبالغين فى شاعرية على محمود طه التى تترقرق سحراً كما تترقرق غناء ... حتى فى منظومات الألم والأسى ... أجل ... إنها تترقرق سحراً وغناء حتى منظومات الألم والأسى .. ومن ذا الذى يقرأ منظومته « الموسيقية العمياء » فى ليالى الملاح التائه ، ولا يسمع إلى ألحان الأنين المكبوتة

(١) قالها فى صديقه الشاعر إبراهيم ناجى

ستاندال والحب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ليس كوروا من يتحدث عن الكتاب والشعراء . وليس كمثله فى سلاسة أسلوبه وتدفق ألفاظه وحلاوة معانيه . إنه كالساقية اللاهية تسقى وتروى ثم تمضى ، وقد خلفت وراءها الخصب والحياة . أو كالزهر الفواح يروقك مرآه ، ويسكرك شذاه ، سذاجة وصفاء ، ولكنها سذاجة ملؤها التوع والجمال

لقد تحدث عن « شلى » أبرع الحديث ، وقص مغامرات « بيرون » أحسن القصص ، وعرض حياة « دزرائيلى » أجمل معرض ، وسرد أعمال « ليوتى » كأعظم ما كتب كاتب ، وصور « شاتبريان » بما لم يصوره قبله إنسان . وها هو ذا الآن يتحدث عن « خمس صور من الحب » ويتكلم على ستاندال .

وستاندال إذا تحدث عن الحب فأعجب به من متحدث ، وأكرم به من خبير ! لقد بلا الحب وطعم ذواقه ، ثم وصفه وعرفه وتساءل كيف ينبغي أن يكون الرجل مع النساء ؟ أيكون معهن كما كان « دون جوان » . أم مثل « فرتر » الهيمان ؟ أيكون صياداً محارباً أم عاشقاً مدنفاً ؟ لقد كان ستاندال يعجب بدون جوان ، لأنه رمز الشجاعة والإقدام ؛ وفى الوقت نفسه رمز الهدوء والهزؤ بالناس

والحق أن الناس جميعاً ، كما يقول موروا ، يعجبون بمن كان كدون جوان ؛ ولكنهم يعرضون به ويثلبونه ، فى حين أن العشاق المتيمين أشباه فرتر المسكين ، يشفهم السقم ويضنيهم العذاب ، ويشعرون أنهم سعداء . سعادتهم فى الخيال ، يبنون القصور الشامخات ويزركشونها بأحلى التهاويل . فهى أبداً رفافة بالنعيم ، يعيشون ويحلمون ، لأن الحب على نهج فرتر يعد لقبول كل فن رفيع وإحساس كل شعور لطيف

إن دون جوان يرى النساء عدوات لدودات . والحب فى عينيه حرب ونضال . هو لا يتحدث عن شىء سوى المغامرات والانتصارات ؛ أما أتباع فرتر فأولئك هم الهائمون وبأحلامهم قانعون وبحسراتهم وزفراتهم راضون

ودون جوان إلى ذلك يختصر الحب . إنه أمر هين ينتهى دائماً بالفوز . ولذلك يفكر كالقائد العظيم فى الحيل التى يبلغ بها مشتهاه . يعمل دائماً على نجاح أعماله ونفاذ حيله

الحب أمر هين ، وكله ينطوى فى « التبلور » وصاحب نظرية « التبلور » هو ستاندال الذى وقف حياته على الحب . وكان الحب ، كما قال ، أعظم الأعمال طراً لديه ، بل كان شغله الشاغل الوحيد

لقد خص به كتاباً من الكتب العظام ... وروايات من الروايات العجاب . ولئن بحثت عن « مذكراته Son Journal » فلن تجد فيها غير الحب

ترى كيف يولد الحب ، وكيف ينمو !

أجاب ستاندال ، فى الباب الذى عقده عن « التبلور Cristallisation » فى كتابه : De Phworn عن هذا السؤال وهاك ما يحدث فى النفس

١ — الإعجاب ، يلمح المرء الفتاة فيعجب بها

٢ — ثم يحدث نفسه ، ما أحلاها لذة أن تقبلنى أو أقبلها إنها لطيفة ، جميلة

٣ — ثم يأمل أن يراها وأن تراه . ويرقب ذلك ...

يخفق بها قلبه كما تضج بها روحه ؟ إسمع أيها القارئ :

إذا ما طاف بالأرض شعاع الكوكب الفضى
إذا ما أنت الريح وجاش البرق بالومض
إذا ما فتح الفجر عيون النرجس الغض
بكيت لزهرة تبكى بدمع غير مرفض

إقرأها يا صديق القارئ الشاعر فى ليالى الملاح التائه ، واقرأ الأغنيات التى أومأت إليها لتصدق أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه ، ولتصدق أن على محمود طه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد ، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة ...

(يتبع) دريني خشبة

٤ — وعندئذ يولد الحب

٥ — ويبدأ « التبلور » الأول ، فيشمر المحب بلذة ما بعدها لذة ، وهو يخلع على فتاته الجمال والكمال ، طوال يومه ، في الطريق ، وفي المكتب ، وفي السرير ، وعند الطعام ... وما يزال يزينها ويزوّقها حتى تغدو آية الجمال في الأرض ، ويحدُث بها كما يحدث بغصن شجرة أجرد ، إذا رموه في أحد مناجم الملح في « سالزبورغ » . إنه يبقى شهرين أو ثلاثة شهور فإذا أخرجوه ألفوه غصناً من بـلور ، يتلألأ ويرف ، وقد رُصّع ببلورات لماعة من الملح كأنها الدر تخطف الأبصار وتفتن القلوب . فإذا رآها إنسان غير مَن ألقاها ، لم يدر قط أن هذه الدرر كانت ذات يوم غصناً كالحا أجرد ...

وما يسميه ستاندال « التبلور » هو تزيين الحبيب حبيبته وخلع المحاسن عليها ليل نهار . فإذا تم هذا التبلور كانت المحبوبة في عيني من يحبها أجمل مخلوقة في الدنيا . إنها الجمال نفسه ، ليست من البشر ، ولا كواحدة من النساء ، إنها ملك كريم

ثم لا يسمع بشيء لذيذ إلا تمنى أن يلذه معها ، ولا يخطر بباله سعادة إلا هفا قلبه ، من أجلها إليها

ومن الملاحظة أن هذا التبلور ضرورة لا بد منها . فالمحب إذا لم تتجدّد محاسن محبوبته في نفسه ، وإذا لم يتخيلها كل يوم ذات حسن لم تكن بلغته أمس ، فإنه لا شك يملُّ ، لأنه في الحال النفسية تلك يعزف عن كل رتيب ثابت ، ويريد كل طريف جديد . وفي أعمال « التبلور » صور فيها كل الطرافة ، وكل الجدة

على أن هذا الحب ما يلبث أن يقلق ويضطرب . فلِمَ يضطرب ؟

٦ — إنه يشك في حبه ، وبلوغ أمله . فبعد أن تضحك له المُنى ، يحس القلق يرتع في نفسه . يود أن تكون لذائذ الدنيا كلها طوع يديه ، لينعم بها ، هو وفتاته . ولكن اللذائذ لا تواتيه ، والعادة لا تأتيه

٧ — وعندئذ يبدأ التبلور الثاني . إن فكرة حرمانه الحبيبة تدفعه إلى تمجيدها وتزيينها . ويقول لنفسه « إنها جميلة كل الجمال . ليس في الدنيا أجمل منها . إنها لتنظر إليّ نظرات باسمات . فهي إذن تحبني » ولكنه يتساءل : هل من سبيل كي أنال آية حبها ؟ أتحبني أم تخدعني ؟

فإذا كان الوصل بعد ذلك ، فالتبلور يقف ، وربما ذاب . وإذا كان الهجر ، فهو يعود ويزداد

ويذهب ستاندال إلى أن التبلور يحدث سريعاً عند المرأة . لأنها على زعمه ، أرهف حساً ، وأرق قلباً . ثم إن لديها الوقت الوسيع لذلك . فهي تطرز وتفكر فيمن تحب . وهي تخيط وتتمثل من تهوى . عمل يدوي دائم ، يرافقه حلم جميل باسم . وبهذا الحلم وذاك العمل تخلع الفتاة على مَنْ تحب أروع الصفات التي تود أن تكون في الرجل

ويعتقد ستاندال ، خلافاً لبرنارد شو B. Shaw أن الرجل في الحب يهاجم ، وأن المرأة تدافع . وأنه يطلب ، في حين أنها ترفض . وأنه يكون نشيطاً متوقداً ، وتكون هي مذعورة مرعوبة ...

والمرأة تتساءل عند برنارد شو ، كيف أغرى محبي . والرجل يقول ، كيف أنجو من أسرها ، وكيف أصبح طليقاً . أما ستاندال فيعتقد أن الرجل يتساءل : « هل من سبيل كي أنال رضاها » وأن المرأة تفكر في حبه وتقول : ألا يلهو بعد بحبه ؟ أثابت حبه أم متقلّب ؟ لأن النساء يخفين ولذلك لا يظهرن حبهن بسرعة . بل ينتظرن أن يبلون محبهن ويثقن من حبه ...

***

تلك نظرية التبلور عند ستاندال الفرنسي ، وبعض آرائه في الحب . وكتابه في هذا طريف لطيف ظريف . وفي أدبنا العربي نظرات كثيرة تشبه نظرات ستاندال وشو ، نجدها في كتاب الزهرة « للأصبهاني » و « طوق الحمامة » لابن حزم ، لعلنا أن نعود إليها ، ونقايس بينها بعد حين

(دمشق) صبوح الدين المنجد

منصب الوزير
فى مصر الفرعونية

للدكتور باهور لبيب
المدرس بجامعة فؤاد الأول سابقاً

جرت عادة ملوك مصر الأقدمين أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربية على عاتق أكبر موظف فى الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات »

وكان من يشغل منصب الوزير له من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذى يلى الملك مباشرة فى الأهمية والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء فى العاصمة أو فى الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التى كانت للوزير كان ينتخب من أعرق العائلات المخلصة للعرش المتفانية فى ولائها وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد أو أبناء الملك أو أقارب الملك فى بعض العصور ، وفى عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفى ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إله الدولة الرسمى

وأقدم من ذُكر من الوزراء وزير الملك مينا (تعرمر) : الموحد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمة (عصر التوحيد الأول) ، وقد جرت العادة فى العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة

وبابتداء عصر التوحيد الثانى (الدولة الوسطى) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة فى تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك فى وقت واحد . ولكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولكن من الثابت أن الشئون المصرية القديمة للمملكة الفرعونية قد زادت فى هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير

أما فى عصر التوحيد الثالث (الدولة الحديثة) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة عن مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التى تمتد من شمال أسيوط حتى البحر المتوسط ؛ والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس (بر رمسيس) ، والثانى كان مركزه طيبة

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقاؤها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمى رع الذى كان وزيراً للملك تحتمس الثالث، وأوائل عصر الملك امنحتب الثانى، فنستنتج منها أن الملك هو الذى له حق تعيين الوزير . وكما أن الملك له حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً فى عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمى رع فى منصب الوزارة للجنوب أسدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التى كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير . فقد عثرنا فى مقبرة الوزير أوسر ، خال الوزير رخمى رع ، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت إلى الوزير حابو وزير الملك تحتمس الرابع . من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقظاً لكل ما يجرى فى الوزارة . وإذا أتاك مشتك فيجب عليك أن تبحث بنفسك فى شكايته ، عاملاً حسب القانون . ولتتبع الحق ولتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاباة ... لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيره بأن يحكم بالعدل ، وبألا يحابى أحداً كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومياً . فيبدأ الوزير عمله فى كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكى يبدى فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو رأس الفكرة العليا التى تدير سياسة البلاد

وفى أثناء مقابلة الوزير للملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى ساريات القصر . فإذا خرج الوزير تداول معه فى أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه

الشئون المالية وما اعترى خزينة الدولة من نقص أو زيادة (وطبيعى كانت فى شكل مواد أولية كالأخشاب والخضر والجلود والأقمشة وما أشبه). وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحكومية. مما يدل على أن الملك كان يرشد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمه وتهم الدولة المصرية القديمة

وفضلاً عن إشراف الملك على وزير المالية، كان أيضاً تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذى كان يعتبر عندئذ كرئيس الوزراء الآن. إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلعه على الحالة المالية العامة للدولة

وقد كان منصب الوزير الأول للدولة فى هذه العصور القديمة من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة فى العصور الحالية. فقد كان الرئيس الأعلى للقضاء. ففى مقبرة رحمى رع تجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية فى أربعين ملفاً بردياً محفوظة داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضى الأعظم «ساب سبختى» وهو جالس فى دار المحكمة فى إحدى الجلسات العلنية. (مع ملاحظة أن المرجع الأخير المسائل الجنائية كان الملك، والمرجع الأخير فى المسائل المدنية كان الوزير)

كما كان وزير الحربية؛ وبصفته هذه كان يشرف على الجيش والأسطول، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيوش البرية والبحرية. وكان لمصر أسطول عظيم سطر فى سجل التاريخ انتصارات كبيرة. وكان الوزير أيضاً المشرف على الشئون الداخلية، وبصفته هذه كان رئيساً للبوليس فى منطقة اختصاصه ومحافظاً للعاصمة.

ثم كان أخيراً المشرف على الشئون الزراعية.

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليه مصر القديمة من رقى ومدنية فى الحضارة، وترتيب وتنظيم فى الشئون الإدارية، ودقة ومهارة فى تكييف الأمور والتصرف فيها

«عين شمس» دكتور
باهور لبيب

من أحلام الصحراء

للأديب محمد العلائى

إلى الدكتور «عزيز فهمى»:
هل تأذن لى يا أخي أن أهدى إليك هذه الصورة الوجدانية المحمومة، وفاء لما أشعرتنى به قصيدتك من رقة الشاعر، وحنان الأخ، وكرم الصديق

موحشٌ ذلك الظلام، فيالى ... من تهاويل وحدتى وخيالى!
قذف الليل رعبه فى ضميرى ... عن يمينى مخاوفٌ وشمالى
مزق الوهم خاطرى. كل شىء ... فى طريقى يَضجُّ بالأهوال
مِلء نفسى كآبة؛ وبسمعى ... صرخات الذئاب والأغوال
وعويل الرياح شرقاً وغرباً ... وهزيم الرعود فوق الجبال
والأفاعى لها هناك فحيح ... ينفث السم فى الحصى والرمال
ووراء الكثيب جنٌّ تَغنَّى ... بنشيد الردى ولحن الزوال
وكهوف بها جماجم موتى ... نبشتها الوحوش منذ ليال
وعلى الجانبين صيحات شؤم ... بعثرتها الرياح فى الأدغال
حوَّم الموت واقشعرَّ ضميرى ... ها هنا مصرعى، وذاك مآلى

* * *

أنا يا ليل خائف قد تمشَّتْ ... رِعدة الموت فى دمى وعظامى
هائم لا أطيق رجع ظنونى ... والردي جاثم على أوهامي
ذاهل أنطوى على صرخاتٍ ... مزَّقتنِي وفزَّعت أحلامى
لست أقوى على المسير، فرأسى ... مائل شَلَّه دوار الظلام
وذراعى بجانبى ليس فيها ... من حراك والشوك فى أقدامى
جسدى مُوجع وخلف لسانى ... حشرجات تَرد فىَّ كلامى
وبحلقى شجىٌ يقطِّع أنفا ... سى وفى مقلتى بريق الحِمام
وبصدرى مواجعٌ ألهبتها ... وخزات المُدى ونزع السهام
آه! خلف الضلوع جرح سأقضى ... وهو خلف الضلوع دون التئام
لم يعد غير خفقة ثم أمضى ... ليس خلٌّ هنا يوارى حطامي

محمد العمونى
كلية الآداب

في التصوير الإسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

جعل اللوّح بن مزاحم يبحث طويلاً بين الحجاج عن ابنه « قيس » ، إلى أن ساق القدر إليه حادياً قادماً من ناحية نجد مع قافلة من الحجاج ، فأخبره الحادى أنه رأى فى طريقه شاباً ناحلاً أشعث الشعر ممزق الملابس يضرب فى البادية على غير هدى ، ولما اقترب منه وناداه فرّ هارباً واختفى فى دغل قريب راح يراقب من خلال أشواكه الحادى وما عسى أن يصنع . وعرف الحادى المجنونَ وأراد أن يجتذبه إليه كى يستنشده بعض أشعاره فرفع صوته يغنى أنشودة للمجنون يقول فيها(١) :

منى النفسِ ليلى قرّبى فاك من فمى
كما لفّ منقاريهما غَرِدان
نَذُق قُبلةً لا يعرف البؤس بعدها
ولا السُّقمَ روحانا ولا الجسدان
فكل نعيم فى الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
ويخفقُ صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلب فى الجوانح ثان

واطمأن المجنون إلى الحادى حين سمعه يتغنى بذكر ليلى ، فثاب إليه رشده ، وأقبل من خلف الدغل نحو القافلة يسأل الحجاج(٢) :

أحجاج بيت الله فى أى هودج وفى أى خدر من خدوركم قلبى
أأبقى أسير الحب فى أرض غربة وحاديكم يحدو وبقلبى فى الركب

ولما رآه الحادى مال إليه فجلس إلى جانبه يحدثه عن ليلى ويقص عليه ما سمعه من أخبارها ، والمجنون ينصت فى شغف وشوق ، وقد هاج هذا الحديث فى نفسه ذكريات الصبا ، فصار يقاطعه بين حين وآخر لينشد ما يخطر له من أناشيد حب قالها فى حبيبته ليلى . إلى أن أقسم عليه الحادى أن ينشده أحسن ما قاله فى وصف المحاجر والأطراف والبشرة والجلد . فقال(١) :

ليالى أصبو بالعشى وبالضحى إلى خُرَّدٍ ليست بسود ولا عُصل
منعمة الأطراف هِيفٍ بطونُها
كواعب تمشى مشية الخيل فى الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة وأعينها من أعين البقر النجل
وأثلاثها السفلى بَرادِىّ ساحل
وأثلاثها الوسطى كثيب من الرمل
وأثلاثها العليا كأن فروعها عناقيد تُنَدَّى بالدهان وبالغسل
وتَرمى فتصطاد القلوب عيونها وأطرافها ماتحسن الرمى بالنبل
زرعن الهوى فى القلب ثم سقينه
صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رعابيبُ أقصدن القلوب وإنما
هى النبل ريشت بالفتور وبالكحل
ففيم دماء العاشقين مُطَلَّةٌ بلا قَوَد عند الحسان ولا عقل
ويقتلن أبناء الصبابة عنوة أما فى الهوى يارب مَن حَكمٍ عدل



وما انتهى المجنون من أنشودته هذه حتى لمح غزالاً يقفز متحيراً فى الأفق البعيد فهب واقفاً وهو يقول(٢) :

ألا يا شبه ليلى لا تراعى ولا تنسل عن وِرْدَ التلاع
لقد أشبهتها إلا خلالا نشوز القرن أو خمش الكراع

ثم جعل يعدو خلف الغزال حتى كاد يلحق به واختفى معه عن أعين الحادى وقافلة الحجاج

* * *

خرج زياد بن مزاحم يبحث عن ابن عمه « قيس » ،

---

(١) شوقى ص ٩٩ (٢) الديوان ص ٣٠

(١) الديوان ص ١٩ — ٢٠ (٢) الديوان ص ١٣

فوجده جالساً على ربوة قريبة ، يخطط بأصبعه فى التراب ، ويحدق أمامه نحو مضارب بنى عامر على سفح جبل التوباد . ولما عرفه المجنون ناداه فجلس إلى جانبه يحدثه عن أهل الحى وأخبارهم ، وعن رجوع والده من مكة — بعد سماع قصة الحادى — حزيناً مكتئباً ، وبقى زياد عنده يستنشده الشعر ويدون ما يسمعه منه . وجلسا ذات صباح يتحدثان فظهر لهما شبح امرأة قادمة نحوهما ، ثم أخذت تقترب منهما شيئاً فشيئاً حتى تبيناها ، فإذا بها « بلهاء » جارية المجنون وكانت تحمل بين يديها قصعة بها طعام ، وقام إليها المجنون يعانقها ويقبل يديها ، وتناول منها القصعة وهو يقول(1) :

أرى صنع أمى يا زياد ، فديتها   بروحى وإن حمّلتها الهم والبرْحا

ثم نزع عن القصعة غطاءها فوجد بها ذبيحة مشوية ، فعجب لذلك والتفت إلى زياد مستفهماً ، إذ لم يكن فى الوقت ما يدعو إلى ذلك . وسأل زياد البلهاء أن تحدثهما بخبر هذه الذبيحة ولا تكتم عنهما شيئاً من حقيقة أمرها فقالت :

لقد مرّ عرّاف اليمامة بالحِمَى   فما راعنا إلا زيارته صبحا

طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلاً   وأظهر ما شاء المودّةَ والنصحا

ولاحت له شاةٌ جثوم بموضع   تخيلها ظلاً من الليل أو جنحا

فقال اذبحوها تيك فالخير عندها   فقام إليها يافع يحسن الذبحا

فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها   فلم نألُ قلب الشاة نزعاً ولا طرحا

فلما شويناها رَقَى بعزائم   عليها وألقى فى جوانبها الملحا

وقال اطلبوا قيساً فهذا دواؤه   كأنى به لما تناوله صحّا

وحث زياد قيساً على أن يأكل من الشاة متوسلاً إليه بقوله :

تعلل قيس بالشاة   عساها تذهب الحبا

فما العراف بالجهو   ل لا علماً ولا طبّا

طبيب جرّب اليابس   فى الصحراء والرّطبا

وتلك الأمُّ ياقيس   أطعْها تطع الرّبّا

وأراد قيس أن يجامل زياداً ويتذوق شيئاً من الشاة فقال :

زياد اسمع وكن عوني   وخل اللوم والعتبا

إذا ما لم يكن بُد   فإنى آكل القلبا

وسرت بلهاء بذلك ومدت يدها إلى صدر الشاة تبحث فيه عن القلب ... ولكنها تفقدته فلم تجده ، فاضطربت وجعلت تخاطب نفسها :

القلب ! أين القلب ؟ أين يا ترى وضعته ؟

ياويح لى ! نسيت أنى   بيدى نزعته !

وكان فى ذلك فصل الخطاب ، فرفض قيس الطعام والدواء وهو يبكى أحر البكاء ويقول :

وشاة بلا قلب يداوونني بها   وكيف يداوى القلب من لا له قلب

ورجعت بلهاء إلى الحى تجر أذيال خيبتها ، وروت لقومها ما حدث ؛ فاجتمعوا فى بيت الملوح يتشاورون فى أمر المجنون . ومر بهم بعض الأطباء فسأله الملوح عما يعالج ؛ فقال أعالج كل مسحور مجنون ، قال : مكانك لآتيك بابن لى يهيم فى الصحراء ؛ فخرجوا فى طلبه . فما زالوا يطلبونه حتى أحضروه وأدخلوه إلى المعالج ، وأقبل يسقيه ؛ فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول(1) :

ألا ياطبيب الجن ويحك داونى   فإن طبيب الأنس أعياه دائيا

أتيت طبيب الأنس شيخاً مداويا   بمكة يعطى فى الدواء الأمانيا

فقلت له يا عم حكمك فاحتكم   إذا ما كشفت اليوم يا عم ما بيا

فخاض شراباً بارداً فى زجاجة   وطرّح فيه سلوة وسقانيا

فقلت ومرضى الناس يسعون حوله   أعوذ برب الناس منك مداويا

فقال شفاء الحب أن تلصق الحشا   بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

ثم جعل يمض شفتيه ولسانه حتى خلاه أهله . فنهض المجنون ومضى إلى ربوات جبل التوباد يسعى وراء الذكريات والسلوة . وفى (شكل ١) ترى المجنون وقد ارتمى على الأرض يقبل قدمى البلهاء التى تحاول أن تمنعه من ذلك . وهذه الصورة(2) من مخطوط كتب فى مدينة هرات حوالى سنة ١٤٥٠ م .

(يتبع)

محمد مصطفى

(1) شوقى ص ٢٩ وما بعدها

(1) الديوان ص ٦١   (2) منقولة عن : Martin, II, 62



حول لفظ « الفشل »

أجمع اللغويون على تفسير « الفشل » بالجبن والفزع والضعف، أو هو ضعف مع جبن، كما قال بعضهم. ولم يخرج مفسرو القرآن الكريم عن ذلك في الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ: كقوله تعالى: « ولا تنازعوا فتفشلوا » « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر »

ولكن الكتاب لهذا العهد درجوا على استعمال « الفشل » بمعنى الإخفاق والخيبة، وأهملوا الوضع الأصلي للكلمة.

ولقد كنت نبهت على هذا الخطأ منذ بعيد في إحدى المجلات[1]. وما كنت لأعود إليه، لولا أن رأيت في الرسالة عدد ٥٤٥ كلاماً في هذا الموضوع للأستاذ الجليل عباس محمود العقاد يرد به على الشيخ الفاضل محمود أبي رية

فقد عثر الشيخ في كتاب « عبقرية الإمام » « ببعض ألفاظ كان يقف عندها، مثل: ... وفشل ص٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦ » قال: « هل يجوز استعمال كلمة (فشل) في معنى أخفق وخاب؟ »

فقال الأستاذ العقاد في رده: أما (فشل) بمعنى أخفق فلها حكم آخر. فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذي شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم، مع تقارب المعنيين، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر، لأن التراخي والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق »

وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخي حتما؛ فقد يكون الإخفاق نتيجة للضعف، أو ما يدور حول الضعف من المعاني. وقد يكون نتيجة لعوامل أخرى لا تمت للضعف بصلة؛ فقد يخفق الشجاع، وينجح الجبان الضعيف في أمر واحد يحاولانه معاً؛ فالضعف شيء، والإخفاق شيء آخر

ولو صح هذا التقارب بين المعنيين (حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر)، لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعاني، فيقال مثلاً: أخفق فلان في كذا، أي ضعف وجبن، وهو ما لا يمكن في اللغة

وقال الأستاذ العقاد في دفاعه أيضاً: « ونجد المعاني على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات، وفي مقدمتها اللغة العربية، فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم، وتعقبنا معانيها في العصور المختلفة، لما وجدنا خمسين أو ستين فيها ثابتة على معنى واحد في جميع العصور. وربما غلب المعنى الجديد، وبطل المعنى القديم وهو أصيل في عدة كلمات »

« خذ مثلاً كلمتي الجديد والقديم، وكيف ظهرا، ثم كيف تحولا[1] إلى الغرض الذي نعنيه الآن. فالثوب الجديد هو الثوب الذي قطع حديثاً من (جدّه) فهو جديد أو مجدود. وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها كما نقطعها اليوم؛ فسموها جديدة من أجل ذلك »

« ثم نسيت كلمة (الجديد) بمعنى المقطوع؛ فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين. وأصبحنا نعبّر بالجدّة عن أمور لا تقطع ولا هي من المحسوسات. فنقول (المعنى الجديد) و (الفكر الجديد)، وما شابه هذه الأوصاف[2]

ثم ساق الأستاذ أمثلة أخرى لهذا من اللغة المأثورة، وشرح تطور المعنى فيها وتحوله[3]

وأنا أقول إن هذا قياس مع الفارق. فإن العرب هم الذين استعملوا « الجديد » - مثلاً - في المعنى الأصلي وما تفرع عليه بعد ذلك من المعاني، للملاقة التي شرحها الأستاذ، تجوزاً سائغاً.

(١) أذكر أني أسمعت شيئاً ما في هذا التنبيه، ولكني الآن أعود إلى موقف التشدد.

(١) هكذا، وهو سهو

(٢) في قوله: (وأصبحنا نعبر بالجدة .. الخ) شيء من التسامح في التعبير، إذ العرب هم الذين عبروا من قبل. وكذا يقال في قوله بعد ذلك « وقد نسي الناس (كتب البعير) بمعنى قيده، وأطلقوها اليوم على الخط في الورق.

(٣) راجع ص ١٨٣ من الرسالة

وهـذا ديدنهم فى المجاز والاستعارة يلمحون العـلاقة والمناسبة بين المعنيين ، فيستعيرون لفظ المعنى القديم للمعنى الجديد[1] ؛ فتتفرعت اللغة بهذا واتسعت ، وتحولت المعانى ، وتولد بعضها من بعض ، حتى عادت المعـانى المجازية أضعاف الحقيقية الأصلية

فالأستاذ العقاد جاء بأمثلة من المعجمات ليشرح بها هذا التحول المجازى ، المنبعث من مقتضيات التطور الطبيعى فى الأمة على مر العصور

ولا كذلك نرى الحال فى لفظ (الفشل) : فهذا لفظ سَـلِمَ لنا بمعناه كاملاً ، لم يتحول ولم يتطور . وصان هذا المعنى القرآن الـكريم . ثم تنقـل فى العصور هكذا ، عصراً بعد عصر ، حتى إذا كان عصرنا هذا أخطأ فى فهمه الناس ، وتناقلوا هذا الخطأ ، وثبتوا عليه ، ثم تلمسوا له المعاذير[2]

فليس تحوّله من معناه الوضعي إلى المعنى الفاشى الآن خاضعاً لسنّة التطور الطبيعى التى تخضع لها اللغات جميعاً وإنما هو وليد الخطأ فى الفهم

وليس معنى هذا أنه يمتنع التجوز فى هذا اللفظ على الإطلاق وإنما ندّعى هنا ـ كما أسلفنا ـ انعدام التقارب بين الإخفاق والضعف ـ على الوجه الذى قرره الأستاذ ـ ومن ثَمَّ ننكر « أن يحمل أحدهما قصد الآخر »

ثم نحا الأستاذ فى دفاعه منحى آخر فقال :

على أننى حين استعملت كلمة (فشل) لم أكد أخرج بهـا عما اصطلح عليه الأولون ؛ فقلت : (يحاول الغلبة من حيث فشل) ولو جعلت « فشل » هنا بمعنى ضعف ، لـكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة »

ثم ساق عباراته الثلاث الباقية التى استعمل فيها كلمة (الفشل) وأولها على هذا النحو

ولـكننا إن أسـعفنا فهم (الفشل) فى هـذه العبارة بمعنى الضعف ، فـكيف يمكن أن نسيغه فى قوله : « ولا طائل فى البحث عن عـلة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر »

أو فى قوله :

« منى بالفشل ، لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاه »

أو فى قوله :

« ولـكنها خطـة سلبية لا يمتحن بهـا رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

أترك هذا الحـكم القراء ، ولذوقهم

هذا ما عنانى من مقال الأستاذ الجليل ، علـقت عليه بما عن لذهنى الكيل

وبعد فليس من التزمت فى شيء أن نحارب أوضاعاً واستعمالات ليست من صميم اللغة الصحيحة ، ولا هى مما يخرَّج تخريجاً مجازياً مقبولاً

وليس من التزمت فى شيء أن نعمل على أن نفهم لغة الفصحاء ، وكلام الله تعالى على الوجه الصحيح .

(ا . ع)

١ — هل عرفنا المؤلف

كان العلامة الأمير شكيب أرسلان نشر كتاب (محاسن المساعى فى مناقب الإمام أبى عمرو الأوزاعى) غفلاً من اسم مؤلفه وقد رأيت فى الجزء الثانى من (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى) فى ترجمة احمد بن محمد المعروف بابن زيد أن له تأليفاً بهذا الإسم عينه ، ثم رأيت فى فهرس دار الـكتب المصرية مخطوطة بهذا الإسم نفسه منسوبة إلى الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى

وابن زيد المذكور معاصر لابن حجر وممن سمع عليه بدمشق كما يقول السخاوى . فلو كان له تأليف بهذا الإسم لعرف ذلك ابن زيد فسمى كتابه باسم آخر ، ولما خفى ذلك على السخاوى — وهو التلميذ اللازم لابن حجر وأعرف الناس بمؤلفاته — فيشير إليه فى ترجمة ابن زيد على احتمال اتفاقهما فى الإسم . ولعل الاطلاع على مخطوطة الدار تؤيد ما أذهب إليه .

٢ — أول غلط

قال (الأستاذ الجليل) الناقد المحقق فى كلمته القائمة عن (لامية شمعية بن غريض) ـ فى العدد ٥٥٢ من الرسالة ـ :
وروى الإمام المرزبانى فى « معجم الشعراء » لشمعية مقطوعة ختامها هذا البيت :

وأجتنب المقاذع حيث كانت   وأترك ما هويت لمـا خشيت

(١) كما هو شأن غيرهم فى سائر اللغات

(٢) كما حدث فى كثير من الـكلمات الشائعة الآن فى أقلام الـكتاب حتى ملية منهم . ولـكنهم يطرقون فى تسويغها أبواب المجاز ودون المجاز « تخفطات » لا تخفى عليهم . فليس كل مجاز مقبولا ، ولا كل استعارة معقولة . وإنما يلجأ إلى المجاز لغرض بلاغى .

والصواب أن راوى المقطوعة هو الإمام الآمدى فى كتابه « المؤتلف والمختلف » وسبب غلط الأستاذ هو أن الكتابين « المعجم والمؤتلف » مطبوعان معاً فى مجلد واحد .

عدنان ...

أدبى أدب حى

وصل خطاب من السودان يدعونى فيه كاتبه إلى أن أصحح ماينسب إلىّ فى بعض الجرائد والمجلات من الخروج فى كتاباتى عما ألف الناس فى دنيوات التقاليد ، لئلا يؤذينى ذلك التجريح

وأقول إنى لا ألتفت إلى ما يُكتب عني ؛ ولا أدير بالى إلى خصومى ، لأنهم لا يصلحون للحكم فى قضية الأدب الرفيع

الأدب ليس مناحة تقام فى أحد الميادين على موت الأخلاق ، كما يفعل المرتزقون باسم الأخلاق ، وإنما الأدب هو الفهم لأسرار الوجود والتعبير عن أسرار الوجود ، بأصرح عبارة وأصدق بيان

إن كان فى الدنيا من يبكى على الأخلاق فسأكون أول الباكين على الأخلاق

كان قلمى الرائد لحرية الفكر والرأى ، وما رأيت إنساناً ينتاشنى بقلمه إلا تذكرت أن لى فى عنقه ألف جميل وجميل ،

وإن كان الحزن يعصر قلبي حين أتذكر أن المتثقفين بأدبى لم يتخلقوا بأخلاق ، فقد كنت أحب أن يصيروا إلى ما صرت إليه من الاستغناء بالله عن الناس

لأكثر الخلائق فى هذا العصر سناد ، وأنا وحدى بلاسناد ، لأنى أعتمد على صاحب العزة والجبروت ، أعتمد عليه أدباً لا خوفاً ، لأنى آمن غضبه على أرباب القلوب

أدبى هو الأدب الحق ، فليبك ناس على أنفسهم لأنهم زوروا عواطفهم وسخروها لخدمة الفانين بصورة ملفوفة لا تزيد فى قوتها عن ثوب الرياء .

زكى مبارك

إصلاح تطبيع

فى المقالة « لامية شمية بن غريض » : الربيع بن الخفيق وهو الربيع بن الحقيق .



12me Année No. 554 — Lundi - 14 - 2 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
١٥٠ في العراق بالبريد السريع
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٤ » العـــدد ٥٥٤

الفهـــرس

من مآسي هذه الحرب

أجل، هي مأساة من مآسي هذه الحرب وإن وقعت في قرية صغيرة لأسرة فقيرة. فلا تقل أين (منصور جراد)[1] من (استالين جراد)، ولا أين خمسة نفر أهلكهم الجوع من ملايين طحنتهم رحاً عَرْض شِقّيها كعرض السماء والأرض؛ فإن الموت في معركة الدبابات، كالموت في معركة الزهور. والشقاء الذي يكرُب أنفاس أسرة، هو بعينه الشقاء الذي يفدح كواهل أمة. والموت لا يقاس أثره باتساع ميدانه وانتشار مداه ما دامت الجماعة لا تحسه إلا إحساساً جزئيًّا في كل فرد منها. والفرد مهما قوِيَ شعوره لا يدرك من بحيرة السم غير القطرة التي تسري فيه، ولا من أطنان القنابل غير الشظية التي تفتك به

* * *

ما أظنك نسيت صديقنا الشيخ منصورا ومواقفه الجريئة من أصحاب الضياع والألقاب، أيام الانتخاب لمجلس النواب؛ فقد كان في جُرأة قلبه وعزة نفسه مثَل الفلاح المؤمن بعظمة الله وكرامة الإنسان وحقارة الدنيا؛ وكان كما علمتَ من وصفي إياه قد تعاظمت في نفسه الحرية حتى احتقر المالك، وألحت على

(١) جراد: معناها بالروسية بلد أو مدينة؛ فاستالين جراد: مدينة الزعيم ستالين، ومنصور جراد من باب المشاكلة بلد الشيخ منصور

جسمه السلامة حتى سئم العافية ، ونفرت عن قلبه الهموم حتى ألف السعادة

هذا الرجل الذى كان شخصه يتميز فى الزحام من بُعد ، قد استسرّت علىّ معرفته وهو أمامى ! لقد ذوى ذلك المحيا النضر ، وتهدم ذلك الجسد الوثيق ، وتخدد ذلك العضل المكتنز ، وتجرد ذلك الهيكل الريان ، حتى ليخفق جلبابه على ألواح !

لقد انقطع علمُ ما بينى وبينه منذ دهر طويل ، وكان آخر العهد به لقاء ضاحك فى بعض قرى الريف وهو على حاله تلك من الوثاقة والطلاقة والصحة ؛ فلما علم أنى قدمت المنصورة فى هذا الأسبوع جاء يزورنى متحاملاً على نفسه . فلما أقبل علىّ أنكرته أول ما رأيته ، ثم لم ألبث أن عرفته بما بقى من سيماه على وجهه . فصافحته وأحسنت لقاءه ؛ ثم دعوته إلى الجلوس فسقط بجانبى على الكرسى كما يسقط كيس من العظام على الأرض . وعقل الدهش لسانى فلم أسأله عن أمره . وحدَس هو مايمتلج فى نفسى من الخواطر فقال بصوت غير صوته ، ولهجة غير لهجته :

— لعلك ظننتنى خارجاً من المستشفى ، أو بالحرى مبعوثاً من القبر ! ليت ما بى كان المرض ، فقد يكون للمرض دواء ! وليت ما بى كان الموت ، فقد ينحسم بالموت الداء ! إنما هو جسم يذوب فى نار من الهم لا تخبو ، وروح تزهق فى حشرجة من الكرب لا تنقطع !

— إذن أنت يا صديقى حزين ؟

— إذا كان لفظ الحزن يعبر عن هذا الذوبان الدائم وذلك الاحتضار المتصل فأنا حزين

— هل فقدت عزيزاً عليك ؟

— لقد فقدت كل عزيز علىّ !

وهنا خانه الجلد فلم يستطع المسكين أن يملك دمعه . فلما هدأت نفسه وراجعه صبره قال :

— أنا فى حياتى ماشكوت ولا رجوت ، ولكن الخطوب التى قوّضت ركنى وسوّدت حياتى هى التى أكرهتنى على أن أشكو وأرجو ؛ وذلك وحده خطب الخطوب

كان ذلك فى شتاء سنة ١٩٤١ ، وكان لى عامئذ زوجة مخلصة وابنة عزيزة وثلاثة شباب بررة . وكنا نحن الستة ، ومعنا بقرتنا العاملة الحلوب ، وحمارنا الفارِه الدءوب ، وكلبنا الحارس الأمين ، لانفترق ولا نختلف ، ولا نرى الدنيا إلا فى بيتنا وحقلنا ، ولا نجد اللذة إلا فى لباسنا وأكلنا . فإذا جار المالك علينا فى القسمة ، عدل الله فينا بالعوض . وإن جرى القضاء علينا بما نكره ، انتهى الصبر بنا إلى ما نحب . حتى أزِمت هذه الحرب الناس ، فضاق الرزق ، وامتنع الوارد ، وارتفعت البركة ، وفشا المرض ، وأعوز الداء ، واختزن الملاك ماتنبت الأرض ، واحتكر التجار ماتجلب السوق ، ففحش الغلاء ، وطُفِّف الكيل ، حتى أصبح الأجير يعمل الأسبوع كله ليشترى كيلة من الذرة إذا وجدها . ثم قضت سياسة التموين أن تشترى الحكومة مقداراً من القمح مفروضاً على كل زارع . وقضى الله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر ألاّ تزيد غلّة أرضى على حصة الحكومة عندى ، فنقلت على حمارى ما فى الجرن إلى بنك التسليف ؛ وحجز المالك ثمن القمح استيفاء لبعض إيجاره ، فخرجت صفر اليدين من النقد والحب ، فلا فى الجيب ولا فى المخزن . ولكننا يا سيدى أحياء ؛ والحى لا مناص له أن يأكل . فقمت أنا وزوجتى وابنتى على زراعة الأرض ورعى البقرة ، واشتغل بنىّ الثلاثة أجراء عند الناس ، فكنا نجمع أجرتهم فى كل ثلاثة أيام لنشترى بها كيلة واحدة . وماذا تصنع الكيلة من غير إدام فى ثلاثة أيام لستة أفواه ؟

على أن هذه الحال لم تدم ، وليتها دامت ! فقد نفدت الحبوب من القرية ، وحُرّم على الناس نقلها من بلد إلى بلد ، فكنت أقبض أُجرة أولادى فى المساء ، ثم أذهب إلى المنصورة فى الصباح ، فأشترى بها من الخبز المخلوط ما لا يسمن ولا يشبع . وعلى هذا النمط النّابى من سوء العيش قل الغذاء ، وكثر العمل ، وبلى الثوب ، واتسخ الجسد ، واعتلت الصحة . ووفدت على القرية حمى التيفوس فلم تجد مناعة فى جسم ، ولا وقاية من نظافة ، فأودت ببنىّ الأربعة واحداً بعد واحد . ونجت منها زوجتى لتندُبهم فى التواكل حتى لا يترك أولادى الحياة من غير عرس ولا مأتم . ثم أمعن القدر فى ابتلائه : فانتشر فى الماشية وباء التسمم الدموى ، فنفقت البقرة ، وهلك الحمار ، وأصبحت الدار والحمد لله خلاء مما سأى وصمت ! أما بقية القصة فإنك تقرأها الآن فى وجهى . وإذا جاز أن يكون لمثلى بعد ذلك رجاء ، فإنى أرجو من الله الموت ومنك الكفن ! ...

احمد حسن الزيات

الرغيـــف

لأســتاذ جليل

الرغيف فرزدقاً[١] كان ، أو كان من السميد الحُـوَّارى[٢] هو معضلة العالمين كلهم أجمعين منذ أن نجم الكائنان الأولان اللذان سماهما الأستاذ الأكبر (إرنست هيكل) :

« Protiste, monére »[٣]

ومنذ أن ظهر آدم ونوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

فلهذا الرغيف يعمل العاملون ، ولهـذا الرغيف يخاطر المخاطرون ، ولهـذا الرغيف يتقاتل هؤلاء المتقاتلون ، ولهـذا الرغيف يصنف العلماء ويخطب الخطباء ويكتب الكاتبون

« ما صنف الناس العلوم بأسرها   إلا لحيلتهم على تحصيله »

ومن كان لا يقبل « المقالة » إلا ومعها الشاهد والمثل وبيت الشعر فليستمع إلى هذه الأحاديث « الأماليح الأفاكيه » وليكن لها من الواعين ، فإنها من عيون الأحاديث أو أعيانها[٤] كما يريد موهوب الجواليقى

***

* فى مجمع الأمثال للميدانى :

لولا الخبز لما عُبد الله[٥]

* فى « برد الأكباد فى الأعداد » للثعالبى :

(١) الفرزدق : الرغيف يسقط فى التنور ، وفتات الخبز ، قال اللسان : أصله فى الفارسية برازده ، والمجد فى قاموسه يقول : أو عربى منحوت من فرز ودق لأنه دقيق أفرز منه قطعة ، وقول المجد غير مجد ..

(٢) السميذ والحوارى : لباب الدقيق وأجوده وأخلصه

(٣) يراجع فى شرح هذين اللفظين العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر

(٤) قال فى (شرح أدب الـكتاب) : عيون الحديث مختاره ، وقد عيب ذلك عليه ، وقيل : الصواب أن يقال أعيان الحديث ، (قلت) قول ابن قتيبة صحيح ، وقلما استعمل (أعيان الحديث) أديب

(٥) قالوا : إن كان جواب لولا مثبتا قرن باللام غالباً ، وإن كان منفياً بما تجرد عنها غالباً ، وإن كان منفياً بما لم يقترن بها (قلت) ربط المنفى بما باللام فى الشعر والنثر أكثر من الـكثير

أبو الدرداء الكلوذانى : الدنيا تدور على ثلاث مدورات : الدينار ، والدرهم ، والرغيف

* فى « فتوح البلدان » للبلاذرى :

قال كثير بن شهاب يوما : يا غلام ، أطعمنا ، فقال : ما عندى إلا خبز وبقل .

فقال : ويحك ! وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ؟

* فى (الفتوحات المـكية) لابن عربى :[١]

إذا عاينت ذا سير حثيث   فذاك السير فى طلب الرغيف
له صلوا وصاموا واستباحوا   دم الـكفار والبَرَّ العفيف
له تسمى الطيور مع المواشى   له يسعى القوى مع الضعيف

* فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) للثعالبى :

قال خلف الأحمر : كنت أرى أنه ليس فى الدنيا رقية أطول من رقية الحية ، فإذا رقية الخبز أطول منها . يعنى ما يتكلفه الإنسان من النظم والنثر والتآليف والخطب لطلب المال

* قال الشافعى :

لا تستشيروا أحداً لا يكون فى بيته دقيق ؛ فإن عقله زائل

* حكى عن محمد صاحب أبى حنيفة قال : كنت ذات يوم جالساً وكتب الفقه مطروحة أولها ؛ فجاءت خادم إلىّ وقالت : قد فنى الدقيق ، فذهب عن خاطرى خمس مئة مسألة مما كان نصب عينى وأردت إيداعها الأصول ، فما ذكرت منها شيئاً بعد ذلك

* فى « نهاية الأرب » للنويرى :

قال جعفر الكاتب : قال لى ابراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت فى جيرانك جنازة[٢] وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر

(١) نفح الطيب كان بالمغرب يعرف بابن العربى بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقاً بينه وبين أبى بكر ابن العربى

(٢) فى هذه الـكلمة وأصلها وفتح جيمها وكسره أقوال كثيرة : فى اللسان والتاج : قد قيل هو نبطى . وفى اللسان : الجنازة بالـكسر الميت بسريره وقيل بالـكسر السرير وبالفتح الميت . قال الفارسى لا يسمى جنازة حتى يكون عليه ميت وإلا فهو سرير أو نعش

فى الجمهرة : جنزت الشىء أجنزه جنزاً إذا سترته وزعم قوم أن منه اشتقاق الجنازة ولا أدرى ما صحته

الجنازة ؛ فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم[1] من بيتهم

* فى ديوان « ابن هانئ الأندلسي » :

ولذا صار كل ليث هِزَبْر قانعاً من زمانه بالرغيف

* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

لولا ثلاث لم يسلل سيف : سلك أدق من سلك ، ووجه أصبح من وجه ، ولقمة أسوغ من لقمة

* فى كامل المبرِّد :

كان مالك بن أنس يذكر « قلت : أربعة من عظماء هذه الأمة » فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر[2]

* سمع جحظة قول الشاعر :

وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكونُ أرخص مايكون إذا غلا

فقال :

إلا الدقيق فإنه قوت لنا فإذا غلا يوماً فقد نزل البلا

* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر فى أن تكلم بعلها عبد الله فى أن يبايعه . فكلمته فى ذلك ، وذكرت صلاته وقيامه وصيامه فقال لها : أما رأيت البغلات الشهب[3] التى كنا نراها تحت معاوية بالحِجر[4] إذا قدم مكة ؟

قالت بلى

قال : فإياها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته

* فى مقامات الهمذانى :

ساخف زمانك جداً إن الزمان سخيفْ

وقل لعبدك هـذا يجيئنـا برغيف

***

(١) المأتم : شرحه طويل وقد غلب عند العامة على المصيبة والناحة . فى التاج : قال أبو بكر : العامة تغلط فتظن أن المأتم النوح والنياحة ، والمأتم النساء المجتمعات فى فرح أو حزن . قال ابن برى : لا يمتنع أن يقع المأتم بمعنى المناحة والحزن والنوح والبكاء لأن النساء لذلك اجتمعن

(٢) المغفرة بياض ليس بالخالص ، والأعفر : الثريد المبيض

(٣) فى المصباح : الشهبة أن يغلب البياض السواد ، وبغل أشهب وبغلة شهباء .

(٤) الحجر اسم لحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى .

لما فتحت العرب بلاد فارس ، ورأت مالم تكن عين عربى قد رأت ، وذاقت الطعام اللذ الشهى (الدجاج المسمن بكسكر[1] والزجراج[2] بالسمن والسكر) (الشواء الوشراش والفالوذ الزجراج[3]) قال عربى وقد طعم الفالوذ : والله لو لم نقاتلهم إلا على هذا لقاتلناهم عليه . وقد أمسى القوم بعد ذلك شولقيين[4]

ومن العجيب — بل ليس من العجيب — أن هـذا (الرغيف) قلما يقتنصه المرء حلالاً . ولذلك قال الحسن البصرى : لو وجدت رغيفاً من حلال أحرقته ثم سحقته ، ثم جعلته ذروراً[5] لأداوى به المرضى[6]

(***)

(١) كسكر : بلد بسواد العراق ينسب إليها الدجاج الكسكرى

(٢) الزجراج : الفالوذ الذى يترجرج ، والقول فى كلام الزمخشرى فى مقاماته .

(٣) فى كلام أبى بكر الخوارزمى

(٤) الشولق : المحب للحلاوة اولع بها

ومن الأحاديث الموضوعة : (المؤمن حلوى والكافر خمرى) ، قال الحافظ بن حجر : لا أصل له (كشف الخفاء جـ٢ ص ٢٩٢

(٥) الذرور : ما يذر فى العين وعلى القرح من دواء يابس

(٦) فى كتاب كتمان السر وحفظ اللسان للإمام الجاحظ : قال عمرو ابن عبيد : أعجبنى ثلاث خلال : تركى ما لا يعنينى ، ودرهم من حله ، وأخ إذا احتجت إلى ما فى يديه بذله لى .

تطبيع فى طاقات ريحان

جاء (الدوارين العامة) وهى العامية ، و (إلى أن ترزق حتى) وهى إلا و (أثمارها عدد أشجارهم) وهى بدة .

مسابقة الأدب العربي

٢ـ أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

أقول مرة ثانية ، وسأقول ألف مرة ، إن هذا الكتاب شغلني وألهاني عن المهم من شؤوني ، ولو كان الورق موجوداً على نحو ما كان قبل الحرب لرجوت وزير المعارف أن يشير بتوزيعه على جميع التلاميذ ، ليخلق فيهم الإيمان بالأدب ، وليشعرهم بقوة الروح عند أسلافنا الأمجاد

وقد كتب الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي مقالا عن هذا الكتاب في مجلة الرسالة في أعقاب ظهوره ، فليراجع الطلبة مجموعات الرسالة[1] بمكتبات المدارس الأميرية لينتفعوا بمحصول ذلك المقال

مدرسة أبي تمام

نواجه الموضوع بعد تردد وتهيب ، لأنه أخطر من أن يدرس بمثل هذه السرعة في الدرس ، ولأن أبا تمام أعز من أن نطوف بأشعاره متعجلين

كانت النية أن أؤلف كتابا عن عبقرية أبي تمام بعد كتاب عبقرية الشريف الرضيّ ، ولهذا حججت إلى قبره بالموصل لأسلم عليه ، فعليه وعلى روحه الفنان ألف تحية وألف سلام !

وهل أنسى ما صنعتُ مع هذا الشاعر قبل سنين تزيد على العشرين ؟

أنا أذكر أن في كتاب البدائع حديثاً هو عتاب على الحكومة العراقية في اهتمامها بقبر أبي تمام ، وإغفالها نشر ديوان أبي تمام بصورة تليق بمكانته في التاريخ الأدبي

ويظهر أني أقول أكثر مما أفعل ، فقد مضت أعوام ولم أؤد الواجب نحو هذا الشاعر العظيم ، فلم يبق إلا أن أرجو مدير جامعة فاروق الأول أن يعفي الأستاذ محمد عبده عزام من التدريس سنة أو سنتين ليصحح ديوان أبي تمام تصحيحاً يرفع عنه آصار اللبس والتحريف

ولأبي تمام علينا حقوق ، فقد نشأ بمصر ، وتنسم هواء الفسطاط ، وسمع من علماء مصر بجامع عمرو ما سمع ، فنبغ روحه نبوغا سيبقى على الزمان إلى أبعد الآماد

وأين الموضوع الأصيل ؟

أراني أهرب من مواجهته ، كأنه فوق ما أطيق !

أنا أريد أن أقول إن لأبي تمام مدرسة شعرية ، وهي المدرسة الثانية في الأدب العربي ، وهي أوضح من المدرسة الأولى ، والكلام هنا مقصور على العهد الإسلامي ، أما العهد الجاهلي فله مدرسة يختصم في رياستها شاعران عظيمان ، هما زهير ولبيد ، ومع احترامي لزهير صاحب الحوليات فأنا أعتقد أن معلقة لبيد هي أعظم قصيدة جاد بها الروح العربي ، وأنا أتعجب من أن يتناسى مؤرخو الأدب منزلة لبيد مع أنه أعظم من امرئ القيس بمراحل طوال

أترك هذا الاستطراد وأذكر أن المدرسة الأولى في العصر الإسلامي كان فيها فصلان أساسيان : أحدهما خاص بالثورة على الأخيلة البدوية بإشراف أبي نواس ، وثانيهما خاص بالفن الشعري بإشراف بشار ، وهو أعظم الفنانين بين القدماء

ولا موجب للنص على منزلة مسلم بن الوليد ، فهي أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح ، فقصيدته الدالية هي أشرف ما جاد به عصر بشار وأبي نواس

ومسلم بن الوليد هو الصورة التي تأثر بها أبو تمام ؛ فقد حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام وضع المصحف بين يديه وأقسم أن لا ينال طعاماً ولا شراباً إلا بعد أن يحفظ ديوان مسلم بن الوليد

ومن مجد مصر أن ديوان هذا الشاعر نُشر أول مرة في مدينة دمياط

أبو تمام العربي

أراد ناس أن يشككوا في عروبة أبي تمام ، ومنهم

(١) السنة الخامسة ، العدد ٢٢٥ ص ١٧٠٦ ، والسنة السادسة العدد ٢٣٥ ص ٣٩

الدكتور طه حسين ، والدكتور طه رجل منصف ، ولهذا أرجوه أن يسمع حديثي

التشكيك في نسب أبي تمام بدعة قال بها المتأخرون من المستشرقين ، وهي بدعة لا تستند إلى أي برهان ، فقد أجمع القدماء على أن أبا تمام هو الطائي الأول وأن البحتري هو الطائي الثاني

أبو تمام العربي هو رئيس تلك المدرسة الشعرية ، وهو الرئيس الذي عجز عن مجاراته ابن الرومي

شعر العرب للعرب ، فما ابن الرومي وما شعره وقد عجز عن الظفر بالموسيقا الشعرية ؟

أبو تمام العربي هو رئيس المدرسة الثانية في العصر الإسلامي ، وقد جلجل شعره وصلصل ، وامتد صوته إلى آفاق يعجز عن اجتيازها الخيال

وأبو تمام مظلوم أقبح الظلم في هذا الزمن الظالوم ، فقد قال أحد الناس إن شعره من رأسه لا من قلبه ، وقال آخرون إن شعره خال من تعدد الألوان

والحق كل الحق أن فن أبي تمام جنى عليه ، فقد تصوره بعض بني آدم رجلاً لا يحسن غير التنميق ، مع أن صياغته الروحية تفوق صياغته الفنية ، ومع أن معانيه فوق ألفاظه بمراحل بعيدة ، وإن اشتهر بزخرفة الألفاظ

هذا الرجل زلزل معاصريه وأوقعهم في فتن دامية ، ولم يمت إلا بعد أن صرع خصومه وأرداهم أعنف إرداء

حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام أخمل ثلثمائة شاعر في زمانه بلا قصد وبلا نية ، لأنه كان نصيراً لجميع الشعراء ، فما قال قائل إن هذا الشاعر العظيم وجه إلى أحد معاصريه أي إيذاء ، لأنه كان غنياً بفضله كما قال أستاذنا محمد المهدي

وروح أبي تمام خلق دولة من الأدب ، ولعله السبب في قتل الشريف الرضي وأبي الطيب المتنبي ، فقد أراد هذان الشاعران أن يحملا اسمه بجهود عنيفة لا يستطيعها إلا من يكون في مثل قوة الرضي والمتنبي

وأنا متردد في الفصل بين هؤلاء الشعراء ، فالشريف الرضي كانت له غاية واضحة هي السيطرة على الخلفاء في بغداد ، والمتنبي كان يريد أن يظفر بمكانة في الديار المصرية ، كأن يكون خليفة دعبل في مدينة أسوان

لم يلتفت أبو تمام إلى شيء من أعراض الدنيا الفانية أو الباقية ، وإنما التفت إلى الفن الشعري ليرقم اسمه فوق جبين الخلود

أبو تمام مظلوم ، فما التفت أحد إلى شعوره بالحياة ، ولا عرف أحد أن اهتمامه بالألفاظ لا يقاس إلى اهتمامه بالمعاني

والجاهلون من مؤرخي الأدب العربي لا يعرفون إلا سمة واحدة من سمات أبي تمام ، وهي غرامه بالزخرف اللفظي ، مع أنهم سمعوا أنه كان من رجال المعاني ، بدليل أنه صنّف « ديوان الحماسة » تصنيفاً يشهد بأنه من أصحاب الأذواق .

الى طلبة السنة التوجيهية

أنا تعبت في توجيهكم يا أبنائي ، ولا يعزّيني إلا الشعور بأنكم ستنتهبون جوائز وزارة المعارف

هذه المقالات هي المفتاح للخزانة التي يحرسها جنود صناديد ، وقد كسرت تلك الخزانة بيدي لأقدم إليكم أسئلة الامتحان ، ولوزير المعارف أن يعاتبني على إذاعة أسئلة الامتحان

تذكروا ثم تذكروا أنكم ستُسألون عن مدرسة أبي تمام الشعرية ، وأنكم ستُسألون عن العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، وأنكم ستُسألون عن شعور أبي تمام بروح الوجود

لا تخافوا من الأسئلة ولا من الأجوبة ، فالمصححون آباؤكم الروحيون ، وهم سيفرحون بالقليل من الصواب ، ولو جاء في سطرين اثنين

ووزارة المعارف تنتظر من ينهب جوائزها الغالية ، فانهبوها ، لتفرح بكم ، كما فرح الطائر الذي تحدث عنه ميسيه في إحدى قصائده الخوالد . إنهبوا وزارة المعارف ، انهبوها ، فهي تشتهي أن تنهبوها ، وما تحب وزارة المعارف إلا أن يكثر الطامعون في جوائزها الغالية .

زكي مبارك

كتاب الذخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

أخي الأستاذ محمد عبد الغني حسن

اطلعت في مجلة الرسالة على مقال الأستاذ عن كتاب الذخيرة الذي تخرجه كلية الآداب

وإني أبدأ بالاعتذار عن تأخير جواب الأستاذ حتى اليوم. وعذري أني اطلعت على مقاله وأنا على أهبة السفر إلى فلسطين. فاضطررت إلى إرجاء الإجابة حتى أعود إلى مصر. وعدت مستقبلاً أشغالا متتابعة هوّنت على نفسي هذا التقصير وليس بهيّن.

وأثني بشكر الأستاذ شكراً مضاعفاً على كلمته في المقتطف وكلمته في الرسالة، إذ أثنى على ناشري الكتاب وحمد لهم عملهم وأحسن الظن بهم

وأثلث بأني عند ظن الأخ سمة صدر للنقد، وارتياحا للحق. وأن للناقد الفاضل عندي جزاءه من الثناء والشكر بما اهتم بالكتاب، وقرأه قراءة مدقق، ثم أهدى إلينا ثناءه وعرفنا مآخذه. ونحن ما عشنا طلاب علم و « إنما العلم عند الله ».

وقد لقينا نصباً في قراءة الخطوط المغربية المختلفة، ومقابلة النصوص المحرّفة؛ وكنا ندرك بعض خفاياها أحيانا بضرب من الإلهام.

وبعد فأكثر هذه المآخذ كما يعلم الأستاذ زلات طبع. والأخ من أخبر الناس بها. ولي حديث عنها سيقرؤه إن شاء الله في مقدمتي لديوان أبي الطيب المتنبي الذي سيخرج للقراء عما قليل. وأحسب الأستاذ قد تنبه إلى أن كلمته في الرسالة لم تخل من هذا التحريف المطبعي. فقد وقع فيها دُوَينِ، والصواب فتح النون. ووقع فيها ص ٢٣٦، والصواب ٣٣٦

وقد أكثر الغلط المطبعي فضول في الشكل، وذلك أن الأستاذ المستشرق الذي شاركنا في فاتحة العمل قال: إن المستشرقين يصعب عليهم أن يقرأوا الكلام غير المشكول فلا بد أن يُشكل الكتاب شكلاً كاملاً، ورأيت أنا من بعدُ ألا يُشكل إلا مواضع اللبس؛ ولكن زملاءنا الذين يشرفون على الطبع لا يزالون في إيثار الطريقة الأولى؛ فأسرفوا في الشكل وأدى الإسراف إلى شيء من الفضول، وأوقعهم الفضول في مثل: ومنْ أجلي قتلوه، والصواب فتح النون كما رأيتم. إنما ينبغي أن تشكل النون في هذا الوضع إذا عدل بها إلى الفتح فإن كانت ساكنة فليست حاجة إلى وضع السكون على النون ولو كان صوابا

وكذلك النون في قول الشاعر: وخذ على الريق من اسبابه. والصواب الفتح. وأما البيت:

لما رمته العيون ظـــالة وأثرتْ في جماله الحدق

والبيت:

فكم صافحتني في مِناها يد المنى وكم هبّ عرف اللهو في عرفاتها

فقد صححا في الجدول آخر الكتاب

وأما ابن فتوح فقد شدد مرة ثم رجحنا التخفيف فجرينا عليه وكان ينبغي أن ينبه على هذا في جدول الغلط. وأما العبارة:

... ... فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجر

فهي شطر بيت فزيد عليه الجملة « فقلت لها ». وأظن الكاتب لم يرد غير هذا. وهذا الشطر عثرنا عليه في الموشى (جـ ١ ص ٧٨)

شكوت ما بي إلى هند فما اكترثت

يا قلبها أحديد أنت أم حجر

وأما قول الأستاذ ضبطنا الفعل « مُتّ » بضم الميم والأعلى كسرها، كما في قراءة حفص، فجوابه أن قراءة حفص فيها الضم أيضاً في الآية «ولئن مُتّم أو قُتلتم لإلى الله تحشرون»

وقد أخذتم مأخذين في « أن » إذ وجدتم الهمزة فوق الألف فقرأتموها مفتوحة وصوبتم الكسر، والحق أن مصححي الكتاب يرسمون الهمزة المكسورة فوق الألف أحياناً ويتركون الفتح والكسر للشكل: ولست أماري في أن التفريق بين الكسر والفتح بوضع الهمزة من الألف فوقها أو تحتها أحسن إذا جرى الاصطلاح عليه

نقد على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

وأخيراً نصل معاً ، أو أصل وحدى ، إلى الناحية المظلمة ن على محمود طه ، شاعرنا الرقيق النابه ، بعد أن جد بنا المسير تلك الناحية المظلمة التى لا يجيد كثير من القراء الظالمين أن يبصروا إلا فيها ... وهى ناحية تسهل الكتابة فيها أكثر مما تسهل الكتابة وتسلسل فى الناحية المقابلة ... الناحية المشرقة الزاهية ... التى تعنى بالحسنات ، أضعاف ما تعنى بالسيئات ...

من السهل جداً يا صديقى القارئ ، سواء أكنت ناقماً أم راضياً ، أن يتناول الإنسان أحسن الأعمال الأدبية فيردها سوءات كلها ... ومن السهل جداً أن يغمض الإنسان عينيه عن أمجاد الكاتب أو الشاعر ، فلا يرى إلا ظلمات يتدجى بعضها فوق بعض ... وقد عاهدت نفسى ألا أقع فى هذا الظلم الأدبى الصارخ وأنا أنقد أحداً من أعز الناس على أدبائنا المصريين ... بل أدبائنا العرب أجمعين ، فرب ثناء يصادف محله ، فيكون تزكية للعبقرية الكامنة التى تستحق الثناء وتستأهله ... ويكون سبباً فى أن تفعل هذه العبقرية الأفاعيل ... ورب قدح ظالم لا خير فيه ، يسميه صاحبه نقداً وما هو بنقد ، لكنه سم يسرى فى بنيان نهضتنا فيثبط الهمم ، ويفت فى العزائم ، ويحطم الآمال ... وكم كنت أتمنى ألا أكتب هذا المقال فى نقد على محمود طه ... لأنى مهما اجتهدت فى تلقف ما أنقده به ، وآخذه عليه ، فلن أفوز إلا بهنات هينات لا يمكن أن تنال مطلقاً من شاعريته التى نضجت ، أو من فنه الذى اكتمل

وربما تركت أكثر دواوينه ، فلا أعرض لها إلا من بعد ، وفى مناسبات قليلة ، حينما أضطر إلى ضرب الأمثال للملاحظات التى أسوقها فيما يلى ... ربما تركت أكثر دواوينه إذن ... لأفرغ لمنظومته « أشباح وأرواح » ... تلك المنظومة التى كان من العسير على فهمى الضيق أن يلم بها ، بالرغم مما كنت أهيم به من قراءة الأساطير ، ومصاحبة هوميروس وأبولونيوس وفرجيل وأبى العلاء وابن شهيد ودانتى وملتون ، وطول مداعبة خيالى لأخيل وبتروكلوس وأوديسيوس وأچاكس وهكتور وباريس ، وإينياس وابن القارح ، وزهير بن نمير ، وبياتريس ، وعيسى بن مريم ، وهذه النخبة الساحرة من أبطال الألياذة والأوديسة والأنياذة ، ورسالة الغفران ، والزوابع والتوابع ، والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ...

فالى قرأت هذه الروائع كلها وفهمتها على وجهها ثم أجدنى غبياً أشد الغباء حين أتناول هذه الأرواح والأشباح فلا أستطيع أن أبلعها ... بله أن أهضمها ، ولا أستطيع أن أطير مع الشاعر اللبق المحبوب فى تلك الجواء التى لم أتبين ألا زوردية هى ، أم هى ظلمات فى ظلمات !

يخبرنا الشاعر فى المقدمة أنه تجرد من طيفه ، (أو أن روحه انسدقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة ... وكأنه بها وراء سحابة فى عالمها الذى سبق أن عاشت فيه عند بعثها الأول ، وأنه وجد نفسه فى طريق أفلاطون ومثله العليا ، فتنفس فى هذا الجو طليقاً حراً لا تقيده بيئة ولا عقيدة ، ولا يحد من جريته حذر أو اتهام ، وأنه أرسل بصره فى هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه ، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهى البصر ، فإذا أبواب سحرية موصدة ، وراءها خفايا وأسرار ،

والبيت :

لم أر أن أكون من رواته إذ هو معدود فى هناته

غير متزن كما قلتم ؛ وأحسب صوابه : إذ هو مما عد فى هناته

وأما قول القائل : « إن لم أجد التأيين ، فأجد البكاء والحنين »

فنحن نوافقك على أنه ليس من مواضع فاء الجزاء ، ولكن لم نستبح تغيير الكلام وكان ينبغى التنبيه عليه كما قلتم

وبقية الأغلاط الواضحة مثل الكسرتين تحت لام الجهل مع ألف التعريف ، ومثل الرخصاء مكان الرحضاء فى بيت المتنبى ، وابن حجر مكان ابن حُجر ، فهى من الهفوات التى لا ندرى كيف وقعت ، ولكنا ندرى أنها لم تقع إلا سهواً من الطابع أو المشرف عليه الخ

وأكرر للأستاذ اعتذارى وثنائى وشكرى .

عبد الوهاب عزام

وقضايا وأقدار ، وإذا به فى ختام قصيدته لا يزال فى ذات الطريق لم يصل إلى غاية ، ولم يوف على نهاية ...) ويخبرنا أنه سمع حواراً فى عالم الأسرار والأقدار يجرى بين حوريات من صواحب الفن وربانه ، هن : سافو وبليتيس وتاييس ... ثم هرمز ... أو هرميس كما سماه الشاعر ... يحكم بينهن[1] ...

فلو أن هذا هو الذى يقرأه الإنسان فى تلك المنظومة الغريبة لهان الأمر ولما اتهمت نفسى بالبلادة وفهمى بالغباء ... لكننى أقرأ من هذه المنظومة هـذه القطوعة العجيبة الشائقة « حواء »[2] فأجد قلباً يجيد وصف المرأة . هذه الجنة التى زان بها الله وجه الحياة ... وأجد هذا القلب يعترف بالله وبالأقدار ، وذلك حيث يقول :

قضى الله أن تنوىَ الخالدين   وتُغرىَ بالمجـــد عشاقهـا

وحيث يقول فى ختام المنظومة :

من الخـير والشر إلهامها   وما هو إلا القديم السماعْ
فدع للسماء تصاريفهـــا   فقد أذن البعث بعـد انقطاعْ

وهى أبيات يرددها صوت من السماء ... فأين هو هذا الانطلاق من البيئة والعقيدة ؟ وأين هو طريق أفلاطون ومثله العليا ؟!

أقول لك الحق يا صـديقى على ! إنى أعرفك أكثر مما تعرف نفسـك . . . ورأيى فيك هو الذى أعلنته فى كلماتى السابقة حينما دافعت عنك . ودفعت عنك ما يظنه الناس فيك ، وما تظنه أنت بنفسك من البعثرة بين الزهر والخمر ، وبين أطياف سافو وأفروديت وتاييس وبليتيس ...

على أننى لست أدرى لماذا تستأثر بخيالك أشباح اليونان الغابرة ، ولماذا نسيت فى هذه الأشباح والأرواح مصر الخالدة الحاضرة ؟ فهـل رأيت كيف لم تستطع الانسلاخ من الشرق العزيز الحبيب حين هتف بك هذا الصوت من السماء فى آخر المنظومة ، فردك إلى وادى الوحدانية المؤمنة ، وأقصاك عن الأولمب الوثنى ذى الآلهة المتعددة ، وذلك حينما قلت :

أم الشـــك آذننى بالصرا   ع أم حل بى غضب المنتقمْ

فجلجل فى أذنيك — أو أوحى إليك ... بأن ندع للسماء تصاريفها ...

ولـكن ... لا غبار عليك ، فلست أول مفتون بجمال الميثولوچيا اليونانية التى ظلت أحقاباً وأحقاباً مصـدراً لإلهام الشعراء . . . ولعلك جاعل لمصر نصيباً فى غير هـذه المنظومة إن شاء الله .

هذا من حيث الموضوع . . . أما من حيث الشكل فالنقد أيسر ما يجرى به قلم الناقد . . . ولعل أول ما يلفت النظر فى سياق أشباح وأرواح هو طريقة الانتقال هذه من مقطوعة إلى مقطوعة ، ومن حوار إلى حوار . . . ولو كانت المنظومة تمثيلية لما كان ثمة موضع لمؤاخذة . ولـكن المنظومة قصـة خيالية ، فلماذا لم تُنظم هذه الكلمات الانتقالية التى كُتبت بالمداد الأحمر ، مع أنها تصور مناظر خلابة كهذه الكلمات التى مهد بها لمقطوعة « الحية الخالدة » ، والكلمات الواردة فى صفحة ٦٤ التى يقول فيها : (هرمز ينظر إلى غمائم بيض) قريبة وكأنه يترقب شيئاً والتى فى صفحة ٦٥ والتى فى صفحة ٧٨ التى تصور انشقاق الغمامة عن الشاعر فى موقف اضطراب ... ...

لقد كان هوميروس بارعاً جداً فى مثل هذه الانتقالات ... لقد كان يُنطق أخيل مثلاً بكلام ، فإذا انتهى أخيل وأراد خصمه هكتور أن يتكلم ، تجلت عبقرية هوميروس فى وصف أثر كلمـات أخيل فى نفس خصمه ، وفى نفوس الطرواديين ... فإذا تـكلم هكتور وفرغ من كلامه ، مهد هوميروس للمنظر الذى يلى بشعر يعتبر من غرر الإلياذة الخالدة . وكذلك كان يصنع فى الأوديسة . ومنظر انشقاق الغمامة عن الشاعر هو منظر تصورى مبتكر ، فـكيف يكون خيال شاعرنا الرقيق الموهوب أكثر عبقرية من تعبيره الـكلامى ؟ ولماذا لم يلبس هذا المنظر حلته البهية السنية من شعر على محمود طه البهى السنى ؟! لماذا ؟ ... لماذا هذه السرعة فى الإخراج ؟

ولقد تغنيت طويلاً بحسن اختيار الشاعر لبحوره وقوافيه ، ولـكنى لاحظت مع ذلك أنه كان ينام أحياناً عن اختيار هـذه

(١) من مقدمة أرواح وأشباح مع تحويل الضمير إلى الغائب

(٢) ص ٦٦ وما بعدها

البحور ، وينام عنها ملء أجفانه . وكان حين يصنع ذلك يرسل كلاماً لا هو بالشعر فتحمد موسيقاه ، ولا هو بالنثر فتحمل مجراه : ومن ذلك هذا الكلام الذى تقوله حوريتنا ربة الريح الغربية فى أغنية الرياح الأربع ص ٧٣ :

أنا ريح الغـرب بنت الآبـاد
أنا همس القلب أنا رجع الشادى
أنا رمز الحب فى هـذا الوادى

ثم هذا الكلام الذى يقوله ماتوكا العبد الأسود ص ٩٥ :

مائدة حافـلة كثيرة الأغراء
جاءت بها قافلة تدلف من سيناء

فأين موسيقا على محمود طه وأين غناؤه وألوانه فى هذا الكلام ؟ وقل مثل هـذا فى ذلك النشيد الذى يهرف به باتوزيس ص ٣٣

وأحسبنى قد انزلقت برغمى إلى أعمق أعماق الناحية المظلمة من على محمود طه ، وعلى الرغم منى ... ولذلك فأنا أوثر أن أعبر هذه الظلمات القليلة فى سرعة خاطفة ، لأن أنوار الشاطىء الآخر المتلألئة تجذبنى فى قوة وعنف ...

فما اصطدمت به فى تلك الظلمات انتقال الشاعر فى كلام المتحدث الواحد من بحر إلى بحر ، كما يقول ماتوكا (ص ٩٦) :

هو عند الشاطىء يستقصى نبـأ ويسائل ركبـانا
إن شاء سيدى أمر أرفع هاتيـك الستر

ولست أدرى لماذا لم ينظم البيت الثانى من المتدارك كالذى قبله ؟ فإن اعتذر بأن البيت الثانى كان فاتحة كلام جديد ، فما أظنه حَرِياً بباتوزيس الشاعر أن يجرى وراء ماتوكا الخادم فى بحر يستفتحه له !

ومن ذلك قول أزمردا ص ٤٠

أقيم فى قصر ؟ وفيم القصـورْ ؟
وطوع سلطانى هـذى البحورْ ؟

ويمضى فى النظم على هذا الميزان ، ومن تلك القافية ، ثم تراه يغير الميزان ويبقى على القافية فيقول :

بثير أهواء الحسان الحـورْ
حـتى تُرى فى ظله المنشورْ
يحملها إلى الفـد المقدورْ ؟

ولست أدرى ما ذنب هذه المصاريع الثلاثة الأخيرة لتشذ عن موسيقا المصاريع العشرة التى سبقتها ؟

ومما صدمنى فى هـذه الظلمات القليلة بعض الانحرافات « النحوية » التى لا أسيغها ، ولا أحسب أن لغتنا العربية تسيغها ...

فمن ذلك إفراد فعلاء التى تصف جمعاً إذا كانت فعلاء هذه صفة لونية ... فالغرف الحمراء ص ٣٦ خطأ فى رأيى ، والصحيح أن يقال « الغرُف الحُمْر » ولا داعى مطلقاً إلى تحدى الناس جميعاً بأن يوردوا مثالاً واحداً أُفردت فيه فعلاء اللونية إذا وصفت جمعاً من قرآن أو كلام جاهلى أو إسلامى ... ولن يقبل عذر معتذر بأن أعلام كتابنا يستعملون ذلك اليوم

ومن الانحراف النحوى أيضا قول الشاعر « لا زال » ص ٤٨ والأصح « ما زال » وتستعمل لا فى المضارع فيقال « لا يزال »

ولست أدرى معنى « إضطرح » ص ٤٩ وهو يريد اطّرح بالطاء المشددة

ويقع الشاعر فى هذه الغلطة الذائعة فيقول : الأسى الدّاوى مكان المدوّى « الملاح التائه ص ٨٠ »

على أن هذا كله ليس شيئا فى مفاتن شاعرنا الرقيق المبقرى الموهوب ، الذى أصبح لسانا من ألسنة مصر الحديثة تدخره لمجدها وتنطوى عليه حناياها .

دريني خشبة

حكم فى الجنحة ٧٧٢ عسكرية مصر الجديدة سنة ٩٤٢ بحبس أحمد سلطان كريم ثلاثة أشهر والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه للبيع خبزاً بأزيد من التسعيرة

الطبيعة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

— ٢ —

لم أذكر فى مقالى الأول شعراء الطبيعة فى الشرق والغرب على سبيل الحصر ، بل ذكرتهم على سبيل المثال . وما كنت فى معرض يأذن لى بأن أتتبع شعراء الطبيعة واحداً واحداً فى العالم كله ، وأحصرهم جميعاً فى مقال واحد فى مجلة أسبوعية تضيق صفحاتها عن الحصر فى موضوع يعجز الكاتب أن يستوفى جميع أطرافه . فذلك عمل أولى أن يكون موضوعاً لكتاب يكتب ويحفظ على سبيل الرجوع إليه ، لا مقالاً فى مجلة تختلف أفانين الكلام فيها باختلاف الكتاب ونوع اختيارهم لما يكتبون

ولم أشأ أن أجعل لمقالى الأول لحقاً يلحق به ، أو حلقة ثانية ، ولكن الأديب الفاضل الأستاذ حسين الغنام استدرك على مقالى بعض أشياء رأى أن يذكرها لى فى كتاب خاص . فرأيت ألا أحرم قراء الرسالة الاشتراك فى موضوع لم يعد لى وحدى ؛ ولكنه أصبح موضوع كل قارئ . ومن حق القارئ على الكاتب ألا يغفل رأيه أو يهمل استدراكه . وخاصة إذا كان المستدرك أديباً فى نفسه وأديباً فى درسه . فاستدراك أدبينا اليوم فيه كثير من الاطلاع على الأدب الغربى ، وفيه كثير من الأدب فى الاستدراك ؛ وذلك شىء يشجع الكاتب على المضى فى عمله ، ويغريه بالاستمرار فى البحث

يأخذ علىّ المستدرك الفاضل أننى ذكرت ناساً وتركت ناساً أشهر منهم من شعراء الطبيعة . وشطر هذا الكلام حق فما قصدت أن أعد شعراء الطبيعة جميعهم لا أستثنى منهم أحداً ؛ ولكنى قصدت المشهورين ممن أكثروا فى وصف الطبيعة وكانت إلهاماً لهم ووحياً لشعرهم . ولو كنت فى مقام يقتضى العد والحصر لذكرت مثلاً توماس ناش ١٥٦٧ — ١٦٠١ م الذى عاش قرابة ثلث قرن وعاصر جرين ومارلو ، ومات بعد حياة كانت أملأ بالكفاح والنضال منها بالدعة والمرح . ولهذا الشاعر غرام عجيب بالطبيعة . وكان من حقه أن أنظمه فى سلك شعراء مقالى الأول ؛ إلا أن شهرته الأدبية لا تعدل شهرة من ذكرت وله أبيات فى الربيع عنوانها Spring يقول منها :

المـــروج معطرة الأنفـــاس
والأقاحى تقبـــل أقدامنـــا
وأحداث العشاق يلتقون
والزوجات العُجز يضحين فى الشمس
وفى كل ثنية تحيى آذاننا زقزقة الطيور

* * *

ولو كنتِ فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت مثلاً بن جونسون ١٥٧٣ — ١٦٣٧ ؛ وذكرت معه أبياته الرائعة بعنوان الطبيعة النبيلة The Noble Nature

ولذكرت روبرت هريك ١٥٩١ — ١٦٧٤ ؛ وذكرت زيادة على أبياته فى زهرة الدافودبلس قصائده فى البنفسجة ، والبريمروز ، وبراعم الكرز ، والعشب . فهو فى هذه الموضوعات مُغَنٍّ للطبيعة . ولقد يكون فى أفكاره شىء من التفاهة ؛ ولكنه يخلع على تلك الأفكار ثياباً من تعبير يكسبها نضارة قطرات الندى فى تباشير الصباح

ولذكرت الشاعر وليام كولينس ١٧٢١ — ١٧٥٩ ؛ وذكرت قصيدته غير المقفاة التى عنوانها « إلى مساء »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت والتر لاندور ١٧٧٥ — ١٨٦٤ ؛ وهو الذى يقول فى إحدى مقطوعاته :

« إننى أحببت الطبيعة ، وأحببت الفن بعدها »

ولذكرت لورد تنيسون ١٨٠٩ — ١٨٩٢ ؛ وذكرت قصيدته التى يخاطب بها البحر قائلاً :

تكسر ! تكسر ! تكسر أيها البحر !
على صخورك الباردة الدواكن

وذكرت قصيدته « الجدول » التى أنطق فيها الجدول

الترقرق من حين ينبجس إلى حين يتصل بالنهر ، ماراً بالهضاب ، مترتراً مع الأحجار ، مخترقاً الحقول ، محتملاً فوق مائه رغمة طافية أو عشبة يابسة ، ملقياً بهما فى أحضان تياره المندفع فوق صغار الحصى

ولذكرت برونتج ١٨١٢ — ١٨٨٩ ؛ وذكرت قصيدته « أفكار نحو الوطن ـ من البحر »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت شارلس كنجسلى ١٨١٩ — ١٨٧٥ ، وذكرت قصيدته « أغنية إلى ريح الشمال الشرقى » ، ولذكرت وليام موريس ١٨٣٤ ـ ١٨٩٦ وذكرت قصيدته « فجر الصيف » وهى لوحة على إيجازها مملوءة بالخصيب من الألوان . ولذكرت سوينبرون ١٨٣٧ ، ١٩٠٩ ، وذكرت قصيدته « حديقة مهجورة » ولو أنها أميل إلى شعر التأمل والتفكير الفلسفى منها إلى شعر التصوير والطبيعة

لو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت هؤلاء وكثيراً غيرهم ممن يصادفهم قارىء الأدب الإنجليزى ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء الطبيعة الفرنسيين ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء العربية ممن لم أذكرهم فى مقالى الأول اكتفاء بمن ذكرت ؛ ولأضفت إلى هؤلاء بضعة من الشعراء اقترحهم علىّ الأديب حسين الغنام فى رسالته الخاصة ، أمثال إمرسن ويوسف كبزار وكبلنج ولونغفلو فى أدب اللغة الإنجليزية . وبوشكين فى الأدب الروسى ؛ ولأضفت إليهم — من عندى — بريدجز ، وهوسمان ، وتوماس هارى ، وشارلس سورلى ، ولامير من شعراء القرن العشرين ، وأضفت إليهم كذلك روزنبرج ؛ وداى لوبس ، وبيتس ، وليون ، وغيرهم من المغمورين

نعم ، لوكان المقام يقتضى الدراسة الواسعة والبحث المحيط لخصصت كل واحد من هؤلاء بمقال ، وأضفت إليهم غيرهم ممن لم أذكرهم ولم يذكرهم المستدرك الفاضل ، ولكن دواوينهم مطبوعة يرجع إليهم من شاء من طلاب التوسع والمزيد

وهناك اعتراض آخر ، وهو أنى لم أسلك عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى مع من سلكت من الشعراء المصريين

والمعترض يقول (ولكل واحد من هؤلاء غير قصيدة واحدة فى الطبيعة)

وهذا كلام فيه بعض الحق . فلعبد الرحمن شكرى فى ديوانه الأول قصائد خطرات فى المساء ص ٤ ، أو حنين الغروب عند الشمس ص ٨ ، وتحية للشمس عند شروقها ص ١٦ . والحب والليل ص١٨ ، والروض بالليل ص٥٥ ، والبرق ص٥٥ ، وغيرها . وله فى ديوانه الثانى رثاء عصفور ص ٦٣ . وله فى ديوانه الثالث سحر الربيع ص ٧ ، والشعر والطبيعة ص ١٦ ، وله فى ديوانه «زهر الربيع » قصيدة نرجس ص ٤٨ ، وقصيدة حديقة الصيف ص ١ ، والطائر الحبيس ص ٦

وللعقاد كذلك قصائد ومقطوعات فى الطبيعة . وأطولها قصيدة فى « الكروان » التى ضاعت منها الوحدة الموضوعية التى نبحث عنها فى الشعر العربى الحديث

وللمازنى كذلك مقطوعات فى الطبيعة ، ولكن الحق كل الحق أن شاعراً مصرياً لم يتفرد بوصف الطبيعة والجلوس إليها والانغمار فيها كما فعل الشاعران اللذان ذكرتهما فى مقالى الأول وهما المرحوم الهمشرى وشاعر البرارى

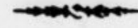
ولو كانت قصيدة واحدة أو بضع قصائد تكفى لأن نسلك صاحبها فى عداد شعراء الطبيعة ، لسلكنا فيمن سلكنا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وخليل مطران وعلى محمود طه والدكتور ناجى وعبد العزيز عتيق ، وكثيراً غيرهم ممن يضطرنا ضيق المقام إلى عدم ذكر أسمائهم .

وعلى المستدرك التحية والسلام

محمد عبد الغنى حسن

من إعجـــاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



كتب الكاتبون قديماً وحديثاً فى إعجاز القرآن ، ولكن ليس كمثل الأمثلة العملية الواقعية بيان لذلك الإعجاز . ومن أحدث هذه الأمثلة وأغربها ما وقع من الدكتور زكى مبارك أو « الكاتب المجهول كما يسمى نفسه فى العدد ٣٥١ من الرسالة

والدكتور زكى مبارك كبير الإعجاب بنفسه يظن أنه أحاط بالأدب العربى من أطرافه : أطراف النثر وأطراف الشعر ، فلم يدع لكاتب ولا لشاعر شأواً معه . تعرف ذلك فى دعاواه الطويلة العريضة التى ينثرها يميناً وشمالاً بغير حساب فيما يكتب من مقال ، وما يؤلف من كتاب ، كأنما أراد أن يكون المثل المنجسم لقانون التعويض النفسى فى الأدب ، فهو يعوض نفسه عما فاته من ثناء الناس بالمبالغة فى الثناء على نفسه ، وهذا شىء لم يكن يفهم لولا أن إعجاب الدكتور بنفسه انقلب فيه غروراً ، وأن الغرور بلغ منه حداً جعله يتطاول إلى مقام القرآن الكريم ، يشكك فى إعجازه تارة ، ويكاد يصرح أنه من كلام البشر تارة أخرى ، ويدعو إن بتلميح وإن بتصريح إلى تناول القرآن بالنقد ، كأنما يظن أن ذلك فى مقدوره لولا أن المسلمين لم يستعدوا بعد لتلقى كل ما عند الدكتور

وسولت له نفسه أن يكتب مقاله « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، ولأمر ما رأى أن يوقعه بغير اسمه

ولكنه نسى نفسه حين أمن أن يعرف فرمى بها عوراء مخزية حين كتب : « أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجمال » . لعلك لو فتشت عن قلبه حين كتب هذا لوجدته مسروراً به ، يرى أنه جاء بطريف وهذا خذلان الله لكل من يلحد فى آياته : يخفى عنه الغلطة المنكرة لا تخفى على العامى من الناس .

والغلطة المنكرة هى جهله أن كلمة « شر » فى الآية الكريمة اسم لا أفعل تفضيل ، وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أنزلت كالفرق بين الجماد والحى ، والإعجاز وغير الإعجاز

وإذا أدرك زكى مبارك غلطته فحاول أن ينكر أن (شر) فى جملته أفعل تفضيل كذبته كلمة (خير) فى نفس الجملة ، إذ لا شك مطلقاً فى ان (خير) فى جملته تلك أفعل تفضيل جاء فى مقابلة « شر » أفعل التفضيل الآخر فى أول الجملة .

إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة ، كما هى فى الواقع فى قوله تعالى (من شر ما خلق) فى السورة الكريمة المعروفة ، شملت كل شر لكل مخلوق ، فالاستعاذة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هى استعاذة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب . فإذا أراد مغرور أن يلعب باللفظ تظرفاً واستطرافاً سقط سقطة الدكتور زكى مبارك . قد يكون الجمال خير ما خلق الله وقد لا يكون ، لكن إذا كان للجمال شر يخشى ويستعاذ بالله منه فقد دخل فى الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله ، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستعاذة منه برب الفلق ، فلا داعى هناك قط إلى تعوذ جديد من الجمال أو من غير الجمال

فانظر الآن إلى ما يطرأ على المعنى من التغيير والتضييق والنقص بجعل (شر) أفعل تفضيل كما فهم صاحب النثر الفنى . لقد انفتح له بذلك من ناحية باب الاستدراك فقال إنه لا يتعوذ من شر ما خلق الله ولكن من خير ما خلق وهو الجمال . ومن ناحية أخرى صارت الاستعاذة على هذا الوجه مقصورة على شر أكثر خلق الله شراً ، وتركت ما عدا ذلك من شر كثير حراً طليقاً يصيب من الإنسان ما شاء . فأى استعاذة هذه التى تترك المتعوذ عرضة لأكثر الشر فى جملته ، أو لشر كثير على أقل

أحزان الوحـــدة !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

دمَّرى يا وَحْشَتِى كُلَّ هَنَاءْ
وَعَلَى أنْقَاضِــهِ مِرْ يا عَنَاءْ
وَاعْصِفِى بِى يا شُجُونى عَصْفَة
تَحْمِلُ النَّفْسَ إلى وَادى الفَنَاءْ
أنَا أُفْرِدْتُ وَلاَ مِنْ مُؤْنِسٍ
يُبْعِدُ الوَحْدَةَ عَنِّى وَالشَّقَاءْ !
أنَا أُفْرِدْتُ فَيَا مَنْ عَزَّ أنْ
يَتَلقَّاهَا خَيَـــالُ الشُّعَرَاءْ
أيْنَ أُلْفَاكِ ؟ ابْزُغِى فى عَالَمِى
تَتَفَتَّحْ لِىَ آفاقُ الرَّجَاءْ !
هٰذِهِ الوَحْدَةُ مَا ذَا بَعْـــدَهَا
يا زَمَانِى يَنْطَوِى لى فى الخَفَاءْ ؟
أحْرِقِى بالدَّمْـــعِ أجْفَانِى يَا
أعْيُنِى وَاسْتَعْذِبِى مُرَّ البُكاء
أنَا أُفْرِدْتُ فَيَا غُرْبَةُ مَا
كُنْتِ لى غَيْرَ مَعِين البُرَحَاء
فَانْزِفِى يا أضْلُعِى فى وَحْدَتِى
حَرَّ ما يُتْرِعُ قَلْبِى مِنْ دِمَاء
هَاتِهِ الأنجُمُ مَنْ يُغْرِقُهَا
فى أوَاذِيكَ يا بَحْرَ السماء ؟ !
ثُمَّ مَنْ يُطْلِقُ رِيحاً صَرْصَراً
تُطْفِئُ المِصْبَاحَ فَالدَّارُ خَلاَء !
غُرْفَتِى لاَ تعْرِفُ الأصوات يَا
شِـــقْوَةَ الهَاتِفِ إبَّانَ النِّدَاء
إنطقى أيتها الجدران ، أو
فَاصْعَقِينِى وَاهْدِمِى فوق البِنَاء
وَقِفِى أيتهــا الأرض ! وَلاَ
تقطعى الدورة فى هذا الفضاء

عبد الرحمن الخميسى

تقدير ؟ فلو كان هذا المعنى مقصوداً فى كلام أديب لكان معيباً عند أهل البلاغة ، ومع ذلك فهذا هو ما فهمه من كلام الله الدكتور زكى مبارك المستأثر ببلاغة النثر والشعر الحائز لدكتوراه الأدب العربى من باريس بكتابه النثر الفنى الذى زعم فيه أن القرآن من كلام البشر ودعا فيه إلى نقد القرآن

فكأن الله سبحانه أراد أن يضرب مثلاً لخلقه من إعجاز كلامه على يد شاك يظن أنه ملك ناصية الكلام ، فقيض الدكتور زكي مبارك ، لا ليبدل لفظاً من لفظ ليكون لفظ القرآن هو الأفصح والأبلغ ، ولكن لينقل لفظاً بعينه من وجه إلى وجه ، من الإسمية إلى الوصفية ، ولا يكون هذا اللفظ إلا أبسط كلمة فى أبسط آية يفهمها حتى عوام المسلمين فى أنحاء الأرض ، ليجيء المعنى تافهاً بعد مروره فى ذهن الدكتور ؛ وليتبين للناس مثل من عزة القرآن وإعجازه ؛ وأن صاحب النثر الفنى لا يفقه فرق ما بين الإعجاز وغير الإعجاز ، وأنه ليس من القرآن الكريم فى حقيقة ولا مجاز .

محمد أحمد الغمراوى



جميل بثينة

جميل جداً أن يتجه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد إلى كنوز الأدب العربي يجلو صفحاتها ببيانه المطرب المعجب العميق. وقد كان من أواخر ما جلته لنا يراعته الفياضة من هـذا القبيل « جميل بثينة »[1] في شعره وفي سيرته ، فملأ بذلك فراغا كان يشعر به رواد الأدب الحديث. وكان بغنائه هذا اللحن الجديد في هذا الموضوع القديم يمثل بحق دور « الكاتب البارع » الذي تحدث عنه « سنوحي » في قصته[2] عن لسان أحد أبطالها المبدعين.

وقد استوعبت رسالة الأستاذ عن « جميل » مطالعة وإمعاناً ملتذاً بما تحويه من أفانين النظريات النفسية الحديثة في عرض كله إمتاع. وفي أثناء مطالعتي لفصولها تبدت لي بعض ملاحظات لا تؤثر على جوهرها ولا فضلها ، وهذه هي :

أولا : يصف الأستاذ بثينة «بالحمق» مستدلا على ذلك بحديثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لها ما الذي رأى فيك جميل ؟ فقالت : الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك . ويعقب الأستاذ على هذا بقوله : « مثل هذه الحماقة لا تظهر في الكهولة إلا إذا كان لها أساس أصيل من بداية العمر » . والذي يلوح لي أن إجابة بثينة لا تنبئ عن حمق ، بل هي تشف عن حصافة رأي ورجاحة عقل وسرعة بديهة وجرأة قلب ، شأن الكيسات الفصيحات من نساء عرب البادية . فعبد الملك إنما سألها بما سأل مبكتاً غاضا من جمالها وقادحا في جميل الذي فتن بهذا الجمال الموهوم . وسرعان ما أدركت غرضه فردت له الكيل بكيل مثله

ثانيا : في الصفحتين ٨٦ و ٨٧ من فصل « مكانة جميل الشعرية » مال الأستاذ إلى نظرية القائلين بتقديم جميل الشعرية في النسيب خاصة على شعراء الجاهلية والإسلام . وفي الصفحة ٩٨ نقض هذه النظرية . فأيهما أجدر بالاعتبار والتقرير ؟

ثالثاً : يقرر الأستاذ خطأ مدرسة «الاستحسان» التي تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل ممن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب . وقد ساق ما لا مزيد عليه من الأدلة لتوطيد هـذه النظرية الطريفة ، بيد أنه خرج من ذلك في الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى   وفي الغر من أنيابها بالقوادح

ينأى به عن اتباع المذهب الاستحساني في تغزله . والذي يبدو لي في هذا القول أنه ليس فيه ما يجافي جميلا عن المذهب المذكور ، فهو لم يقدح في جمال عيني بثينة ولا ثغرها ؛ بل ما زال مستحسنا لهما كل الاستحسان ، وناهيك بوصفه الأنياب بالغر . وغاية ما بجميل أنه كانت تستبد به أحياناً عوامل الغرام فيصاب بما يصاب به الوالهون في مثل هذه الساعات من ذهول واضطراب يجعلانه يتبرم بكل شيء في الحياة ، حتى أن حبيبته التي هي أعز ما في الحياة لديه يتمنى أن تذوق شيئاً من الشقاء ، حتى ترغم على العطف عليه فينعم بهذا العطف وحسبه ذاك . على أن جميلا نفسـه فيما رواه الأسـتاذ في « مختارات شعره » ص ١٤١ قد وصف محبوبته بأنها كالبدر ، ووصف غيرها من النساء بأنهن كالكواكب فهن دونها جمالا ، وبهذا اتبع مذهب « الاستحسان » ، وذلك حين يقول :

هي البدر حسناً والنساء كواكب   وشتان ما بين الكواكب والبدر

« مكة المكرمة » عبد القدوس الانصاري

١ — بين حمدة والمنازي

دهشت لما قرأت حكم الأديب عبد الحميد عبد المجيد بأن نسبة الأبيات التي أولها :

وقانا لفحة الرمضاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

إلى أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي خطأ وإنها لحمدة الأندلسية . دهشت لأني أعلم أن هذه الأبيات مما تنازعها المشرقيون والأندلسيون قديماً ، بل لقد أجمع أدباء المشرق — كما يقول ياقوت في معجم الأدباء — على نسبة هذه الأبيات للمنازي المتوفى سنة ٤٣٧ وتنسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة بنت زياد

وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن المنازي اجتاز في بعض

---

(١) الجزء الثالث عشر من سلسلة « اقرأ »
(٢) الجزء الثاني عشر من سلسلة « اقرأ »

أسفاره بوادي « بزاعا » - قرية بين منبج وحلب - فأعجبه حسن هذا الوادي وقال هذه الأبيات في وصفه .

٢ - قيس لبنى وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ذكر صاحب الأغاني (ج٨ ص ٩٤) أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال في زوجته عشمة هذه الأبيات :

تغلغل حب عشمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

إلى آخرها وهي ستة أبيات رقيقة باكية . وذكرها أبو علي القالي في ذيل الأمالي (ص ٢١٧) ونسبها إلى عبيد الله أيضاً إلا أن صاحب الأغاني ذكر في صفحة ١١٣ ج ٨ البيت الثاني والثالث ونسبهما إلى قيس بن ذريح صاحب لبنى في قصة طريفة ذكر أنهما من شعر قيس . فأي قولي الأصفهاني نصدق ؟

برهان الدين الداغستاني

الشيخ محمد عياد الطنطاوي

رجا فاضل في هذه المجلة (في العدد ٥٤٩) ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلي على صفحات الرسالة بالمصادر التي يمكن الرجوع إليها عنه

وتلبية له أشير إلى أن المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا قد عني بجميع أخباره وتسقطها زمناً ، وبذل في ذلك جهداً مشكوراً ، ثم نشر ما وصل إليه في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٤م (المجلد الرابع ص ٣٨٨ - ٣٩١)

ثم جاء المستشرق الروسي المعروف : (أغناطيوس كراتشكوفسكي) من أكاديمية العلوم الروسية ، فاستدرك على تيمور باشا بعض استدراكات مفيدة جداً نشرها في المجلة المذكورة (ص ٥٦٢ - ٥٦٤) من المجلد الرابع ، ذاكراً أن للفقيد ترجمة بقلمه ، وآثاراً علمية من تآليفه ، تحتفظ بها مكتبة الكلية في بترغراد وكلها بخط مؤلفها ، وأشار إلى مصادر عن حياته لا تخلو من فائدة ، كما صحح خطأ المستشرق هيار Huart في تاريخ وفاة الشيخ محمد عياد الطنطاوي رحمه الله

(دمشق) سعيد الأفغاني

إلى الأستاذ قدري طوقان

قرأنا لكم كتابكم العظيم « الكون العجيب » فحمدنا لكم هذا الصنيع إذ تنفذون إلى أعماق الكون وسرائر الوجود بفكر ثاقب وقلب مؤمن ، وإذ أنا أطالع في مقدمة « ابن خلدون » عثرت على اصطلاحات فلكية لا أكون مجانباً الصواب قلت إن أكثرها يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يتبين منها ما أظهر العلم الحديث صحته أو بطلانه . وكان ما استوقفني من هذه الاصطلاحات قوله : ص ٤٩ طبع مصطفى محمد [وقد تبين في موضعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متحرك من الشرق إلى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الأفلاك في جوفه قهراً ، وهذه الحركة محسوسة] ؛ فما هو الفلك الأعلى وما عوامل قسره سائر الأفلاك على الحركة ، ثم ماذا يعني العلامة ابن خلدون بقوله وهذه الحركة محسوسة ؟ وبدهي أننا حين قرأنا قول الشاعر :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الأقدار

لم نمعن الفكر ولم ندقق الحساب مع الشاعر ؛ إذ قصارى المعنى الشعري أن الحياة سائرة والمخاطبين جامدون : أما ابن خلدون الباحث الاجتماعي الذي شرقت آراؤه وغربت ؛ فلا بد من مناقشته وعرض آرائه على بساط البحث

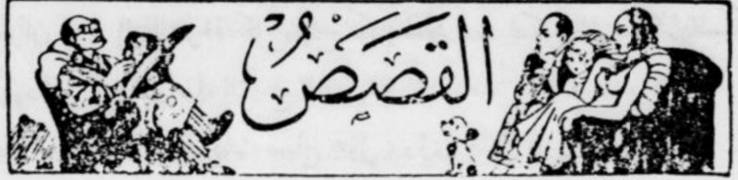
فإلى الأستاذ الكبير قدري طوقان أسوق الحديث .

ابراهيم السعيد عجلان

استدراك

جاء في مقالي عن الشاعر الإنجليزي « شلي » في العدد ٥٤٩ من الرسالة : « أنه سافر حدثاً ليلتحق بكلية إتون بأكسفورد » ، وصوابه : ثم بأكسفورد ، أي الجامعة الشهيرة وهي التي طرد منها الشاعر أخيراً . إذ كما يعلم القارئ اللبيب أن لا علاقة بين المؤسستين على الإطلاق

« بغداد » محيي الدين إسماعيل



جميلة تحت ظلال الأرز

JAMILÉ SOUS LE CÈDRES

ملخصة عن قصة طويلة لهنري بوردو

بقلم الأستاذ حلمي مراد

لم يكن يدور بخلدي ، يوم أن رست بي الباخرة (لوتس) في ميناء بيروت ، أن الأقدار قد هيأت لي أن أعود من زيارتي للبنان بوقائع هذه الفاجعة : فاجعة قلبين فرّقت بينهما شريعة الدين ، فجمعت بينهما شريعة الحب . وما كنت لأقص خبرها لو لم أسمعها بأذنيّ من فم الرجل الذي كان شاهدها ، بل كان واحداً من أبطالها ، قبل أن يكون راويها

كنت قد عرفت « خليل خوري » في إحدى قرى لبنان ؛ كان شيخاً مارونياً في نحو السبعين من عمره ، طويل القامة ، وسيم القسمات ، مهيباً في عباءته الحمراء وعقاله الأسود العريض . وكنت قد قضيت اليوم معه في التجوال فوق قمم الجبال التي تكسوها الثلوج ، حتى آن لنا أن نستريح ، فجلسنا عند حافة غابة الأرز العتيق ، نشرف من عَلٍ على الوادي السحيق ، حيث ينبثق نهر « قاديشا » من بين الصخور التي اصطبغت بلون الأرجوان ، وينساب بين المراعي والقرى وغابات البرتقال

وهناك تحت ظل أرزة ساحقة ، باح لي الشيخ الحزين بسره الذي أقفل عليه قلبه طوال خمسين عاماً كاملة . باح لي به تحت تأثير إلحاحي الشديد ، وتحت وقر الكتمان الطويل الذي كثيراً ما يرهق العاشق كما يرهق المجرم الأثيم

قد يبدو غريباً أن ترد قصة غرام جارف على لسان عجوز في السبعين ، ولكن عزاءه كان أن الاستغراق في الذكرى قد أعاد له - ولو إلى حين - انفعالات الشباب ، فوجد في قلبه ، مرة أخرى ، عاطفة الأيام الخوالي . العاطفة التي أحالت واحة حياته إلى صحراء مقفرة ، لا بهجة فيها ولا رواء

ومن يدري ؟ ربما كان الشيخ قد رأى في تغلبه على عوائق السن ودواعي الوقار ، أطيب تحية يزجيها للعاطفة الأثيمة التي فاضت من قلب « جميلة » قبل نصف قرن من الزمان

***

كان ذلك حوالي عام ١٨٧٠ ، في قرية « بَشَرّي » الهاجعة في أحضان الجبل على عتبة غابة الأرز ، ولم يكن مضى غير أعوام منذ فقد خليل خوري أباه في مذبحة « دير القمر » وهي إحدى المذابح البشعة العديدة التي خضبت في القرن الماضي جبال لبنان بدماء بنيه من المسلمين والمارونيين . فلما دهم اليتم الغلام ، وهو ما يزال في الثامنة ، تلقفه بالعطف والحدب أكثر من قلب ، وخاصة من أفراد أسرة الشيخ راشد والد جيرانه الأطفال : بطرس وجميلة ومُنتهى ، ومن ثم وجد الغلام في ثلاثتهم إخوة يبادلونه ألعابهم ويصطحبونه معهم كلما خرجوا على ظهور الخيل للصيد بين الجبال

مرت أعوام ، وبلغ الفتى عامه الخامس عشر ، فإذا ببطرس يفاجئه يوماً بالقول في لهجته القوية الآمرة : « إن جميلة سوف تغدو زوجتك يا خليل » ... وكأن هذه الكلمات قد أثارت في الفتى فتوته فسبقت مشاعره سنه ، وإذا به يحس مزيجاً مسكراً من الأحاسيس والأخيلة ، ثم إذا بالخيال يوشك أن يصبح حقيقة ، حين يدرك خليل من حركات وهمسات أفراد الأسرتين أن زواجه من جميلة أضحى أمراً مفروغاً منه ... ولِمَ لا ؟ أليست جميلة كأخته ؟ إذن فالتطور لن يصل إلى حد الطفرة ، لن يعدو أن يكون خطوة قصيرة واستكمالاً طبيعياً لمودتهما العذبة ، المودة التي وقفت صلتهما عندها طويلاً ... إلى أن وقع حادث تافه بدّلها في قلب خليل إلى حب جارف ...

... وإنه ليذكر ذلك الحادث كأنه قد حدث بالأمس ... كان خليل عائداً مع بطرس وجميلة — عصر أحد أيام الشتاء — من قرية (حصرون) القريبة ، حيث كانوا يبتاعون بعض ثمار القراصيا والمشمش المجفف . وإنهم لفي الطريق الغائص تحت الثلوج ، وإذا ببطرس قد أبعد في سيره طلباً للصيد

فى الغابة . وبقى خليل وجميلة ينتظران عودته ، وبينما هما يسيران متجاورين ، لمست يد الفتى - عفواً - يد رفيقته ... كانت باردة كالثلج ، فأخذها بين راحتيه يدفئها ويعيد إليها الحياة ، برغم أن الدفء والدم قد سريا إليها بعد حين ، فإنه قد استمرأ أن يبقيها برهة أطول ، حتى قالت له الفتاة ضاحكة : « دعنى » فلم يبال رجاءها بل ضغط يدها أكثر ، ثم اندفع فجأة يقبل اليد الرخصة بلا وعى ! ظلت الفتاة ساكنة ، لم يرعها هذا الانفعال غير المألوف ، ولكنها عادت بعد برهة تقول له فى صوت خفيض : « هيا بنا نعود » ... ووافقها هذه المرة

وحين أبلغها بيتها ، وجدهم قد أعدوا لها نبيذاً دافئاً ، ولكنه كان ثملاً بغير خمر . وتغيرت نظرته إلى جميلة ، رآها بعين العاشق الفاحصة فى ثوبها الصوفى الأبيض ، وراح بصره يتملى شعرها اللامع ورقبتها التى فى لون العاج ، وخدها الدافق بحيوية مشبوبة ، وعينيها الزرقاوين كالبحر الهادئ حين يرى من هامة غابة الأرز فى يوم صحو جميل ... ثم صوتها الذى بدا له كأنه لم يسمعه من قبل ، حتى لقد ود لو يذوقه فى منبعه : بين شفتيها الحمراوين كالقرمز ، وأسنانها البيض كالثلج . وبالاختصار وثب إلى ذهنه إدراك مباغت : أن طفلته قد صارت امرأة

وعند ما وصل إلى بيته ، سأل أمه فى اضطراب : « ألم نحن الساعة بعد يا أمى ؟ » ولم يزد . وفهمت هى مراده بغريزة الأمومة فضحكت وهى تقول : « كما تريد يا بنى » ... وفى اليوم التالى سار ثملاً مع أمه إلى بيت الشيخ راشد لخطبة جميلة . وبأمر من بطرس ، وعلى ملأ من الأسرتين ، قطف خليل من خدها القبلة الأولى .

***

ثم جاء الربيع ، وأزهرت أشجار الفاكهة الفواحة الأريج ، ولكن بقية من الثلوج البيض المتناثرة ، كانت ما تزال ترى من شرفة بيت الشيخ راشد ، فسأل الفتى واجفاً « متى الزواج ؟ » وأجاب الأب « حين تذوب الثلوج هناك » وكان معنى هذا القرار : الانتظار حتى أغسطس . وهكذا صار الموعد رهناً بحرارة الشمس لا بحرارة قلبي العاشقين ... ومن ثم صار الفتى يسرع إلى الشرفة كل صباح كى يطمئن ... لكن الشتاء كان قاسياً فطال بقاء الثلوج

وفى ذات صباح جميل ، رؤى خليل يعدو كالطفل إلى بيت جميلة وهو يقول : « جميلة ! ... جميلة ! لقد ذابت آخر قطعة من الثلج ... لم يعد هناك ثلوج » وأسرعا معاً إلى الأب ، فقال لهما بصوت أغاظتهما رزانته : « ستتزوجان ... بعد أن ينفض عيد الأرز »

... وجاء يوم العيد . وأقبلت على غابة الأرز جموع المعيدين ، من قرية بَشرَّى وسائر القرى المتناثرة كالعنقود على جانبى النهر ... ثلاثة آلاف نسمة أقبلوا لقضاء يومهم فى الهواء الطلق تحت ظلال الأشجار العتيقة ، يستمعون إلى الطقوس الدينية ، ويتناولون طعامهم على العشب ، ويرقصون (الدبكة) ، رقصتهم الوطنية الجميلة ... حتى يغيب النهار فيعودون إلى بيوتهم مع المساء

وجلس أفراد الأسرتين تحت أرزة وارفة الظل مدت غصونها فوق رؤوسهم كأنها تباركهم وتحميهم ... جلسوا جميعاً : خليل وبطرس ووالده الشيخ وجميلة وأختها الصغرى منتهى ، ثم صديقاتهن : آبلة ونالة وراحيل ، وقد خلعت كل واحدة نقابها الأبيض ونشرته على فرع من شجرة الأرز ... وكانت جميلة تبدو بينهن - وهى متكئة على وسادتها - كالملكة فى بلاطها . وأحس خليل بغبطة جارفة . إنها ستغدو له وحده بعد أيام ... وبينما هو مستغرق فى الحلم همس له بطرس بلهجة تنطق بالحقد ، وهو يشير أمامه : « مسلمان ! ... ماذا أتى بهما ؟ ... ماذا يريدان ؟ وتلفت خليل إلى حيث أشار فرأى أعرابيين شابين يترجلان من فوق صهوة فرسيهما المطهمين ، وقد بدت طلعتهما رائعة وقسماتهما وسيمة ... بلحيتيهما السوداوين ، وعيونهما السمراء التى ترسل نظرات من نار وتقدح بفتنة لا يمكن تجاهلها ... ووراءهما تابعان يجران الفرسين ، ولم يكن الضيفان سوى عمر بك الحسين ، وعبد الرزاق بك عثمان ، من أمراء عكار ، جاءا ينشدان النزهة والترويح عن النفس

دأب الشابان على تقليب البصر فى وجوه القوم ، حتى استقرت نظرات عمر بك على جميلة ، وثبتت عندها . لم يحس

خليل بدبيب الغيرة فى بادىء الأمر ، ولكن النظرات طالت ، فبدأ الدم يصعد إلى رأسه . إن الغريب قد اجترأ على فتاته ... أليست هذه إهانة للمارونيين جميعاً ؟ وأخذ الاهتياج يعذبه ، ولكنه كتمه وعاد ينظر إلى جميلة . كانت قد اضطجعت على وسادة ناعمة ، فى وضع أظهر فتنتها صارخة ، وكان شعرها يحتضن كتفيها ، وشعاع من الشمس قد انساب من بين الغصون فوقع على خديها وطلاهما بلون الذهب أو الحنطة .

ترى هل تم هيئتها عن احتقارها لجرأة الغريب ؟ ولكنها تنظر إليه بدورها طائعة ، وعيونهما تتقابل . وأحس خليل أن عاصفة تجتاح نفسها وتعكر البحر الصافى فى عينيها ، حتى لتبدو عليها سمة الفتاة حين تسلم كيانها لانفعال حاد ، وخيل إليه أن عاطفتها الناعمة من نحوه قد تبددت ، جرفتها العاصفة العاتية التى أثارتها فى أعماقها نظرات عمر . ومن ثم أحس الفتى بحلمه يتبدد رويداً رويداً ، وبحلقه يجف ، فود لو يستغيث ، لكنه لم يجد صوته . إن نظراتهما ما تزال متقابلة فى غير مبالاة بالجموع الغفيرة التى شغلها الطعام أو شغلتها الغفلة والغباء عن التنبه لما يجرى . وأخيراً أفاق العاشق المعذب من غمرة أفكاره على صوت بطرس يسأله وهو يهز كتفه مراراً : « ما بالك يا خليل ؟ » فأجابه دون وعى : « إنها تنظر إلى الغريب » وضحك بطرس فى سخرية ، واحمرت وجنتا الفتاة ، لأنها لا شك سمعته !

***

فرغ القوم من الطعام وبدأت رقصة (الدبكة) بعد حين ، فرقص بطرس مع الجموع ، ثم نهضت جميلة ، فأخلى الكل الحلقة لها ووقفوا حولها يتفرجون فى شغف ، وراحت هى ترقص وحدها فى خفة الطير ، وكأنها من فرط رشاقتها لا تلمس الأرض . كان ذراعاها البضتان تدوران فى الهواء ، واتخذت بشرتها لون أحجار (بعلبك) حين يغرب عليها النهار . وفى كلمة ، كانت كآلهة الشباب والجمال والحب ، ثم فرغت من رقصتها بعد حين ؛ وتقدم خليل ليهنئها ؛ فإذا بها منشغلة عنه بتلقى نظرات الأعرابى الجميل . واقترب والدها يرحب بالضيف ، وطال بينهما الحديث : امتدح الشيخ فرس عمر ، فقال هذا : « عندى أختها وتدعى سلمى . سأحضرها لك إذا شئت » ورحل الفارسان ، وعادت الأسرتان إلى القرية

وفى أثناء الطريق سار خليل وجميلة متجاورين ، صامتين كأن عتاباً خفياً يلجم لسانيهما ، وحين جلس خليل إلى مائدة العشاء — فى بيتها — وجد على مقعده غلافا صغيراً فضه فى غفلة العيون ؛ فإذا فيه خاتم الخطبة وكل ما أهداه إليها من حلى !

تحطم قلبه بغتة ، ولكن أحداً لم يلحظ شيئاً ، فإن القلوب لا تحدث صوتاً وهى تتحطم . ووجد فى نفسه القوة على الكتمان . وفى اليوم التالى لقيها فى الحديقة ، وجلسا معاً عند النافورة ، فكانت جميلة ترمقه بنظرة مشفقة أليمة ، ثم تخفض بصرها إلى ذرات الماء المتساقطة من النافورة فى الحوض ... وجرى بينهما عتاب رقيق حزين كنفسيهما . سألها خليل : « إنك لم تعودى تحبينني ؟ » وكان زائغ النظرات ، فغضت من بصرها ثم أجابت بعد حين : « هو ذاك » وعبثاً حاول أن يطرد من قلبها شبح عمر ، فإنه كان قد احتله وتحصن فيه . وافترقا على أمل يراود خليلاً ، بأنها ستنسى الغريب مع الأيام .

***

لم يمض يومان حتى عاد عمر ومعه الفرس التى وعد بها أبا جميلة ، وأعجب بها الشيخ راشد فسأل صاحبها عن الثمن ، ولكن عمر أمهله قائلاً له فى لهجة حازمة : « سأحدد لك الثمن . . . فى الغد » وعبثاً ناقشه الشيخ فإنه أصر ، وإزاء إصراره وتحت ضغط الحرج والشهامة والكرم ، دعاه الشيخ إلى قبول ضيافته وقضاء الليلة تحت سقفه ... فقبل عمر !

ما ذا حدث بعد ذلك فى ضمير الليل ؟ لم يدر أحد ... حتى أفاق خليل من نومه فى الصباح مذعوراً ، على صوت بطرس يبلغ إليه النبأ : إن الضيف قد فر ، وجميلة قد اختفت . . . هل فرت معه طائعة ، أم خطفها ؟ من يدرى !

وبعد ساعات كان بطرس وخليل ممتطيين صهوة سلمى فرس عمر ، فى طريقهما إلى بلدته (عكار) ... وراح قلب

الماشق المدنف يناجى طيف محبوبته « جميلة ! ... أين أنت الآن ؟ ترى هل يقع بصرى عليك بعد اليوم ، فأرى عينيك فى لون البحر الهادى تحت أعتاب الجبل ، وأرى خديك الناضرين ورقبتك التى فى لون العاج ، وذراعيك ، وشعرك ... شعرك الجميل ... إن الطل لا بد قد بلله ليلة أمس ، وأنت تحيطين بدن عمر بذراعيك فوق صهوة الفرس وهى تعدو بكما منسابة بين الجبال فى الظلام ... جميلة ! جميلة ! إننى آتٍ فى ظل إثمك أتبعك ... ألا تسمعيننى يا جميلة ؟ » لكنها لم تسمع ، فإن أسوار قصر عمر فى (عكار) كانت غليظة وعالية !

وبعد أيام خرجت عكار عن بكرة أبيها إلى الطرقات ، وازينت، كي تحتفل بزفاف المارونية التى أسلمت، وكي تراها وهى تعبر شوارع البلدة فى هودجها الفاخر يتهادى بها . وبينما كان الركب يخترق أحد الشوارع كان خليل وبطرس واقفين يستمرضانه فى صمت وغيظ . وحين مر بهما الهودج وجميلة فى داخله تبتسم جذلة ، امتدت يد بطرس إلى غدارته ، وهم باطلاقها ، لولا أن أقنعه خليل ـ والدموع فى عينيه ـ بأن يتريث فإنه يريدها حية ؟ وارتدت يد الأخ الغاضب لشرفه . ومر الركب بسلام . ومضى التعسان مبتئسين ، والحنق يجفف حلقيهما ويضن عليهما بالبكاء

وحين بلغ الموكب القصر ، وضم عمر عروسه إلى صدره ، كانت ظلال خليل وبطرس قد اختلطت بالظلام الذى يرين على الطريق ، حتى إذا كان الغد ، عادا أدراجهما إلى قريتهما

ومضت أيام وأسابيع وشهور ، والغضب للشرف ما يزال يتأجج فى صدريهما وفى صدر الأب الحزين (الشيخ راشد) فإنهم جميعاً لم يكونوا قد طلقوا عزمهم على استعادة جميلة بأى ثمن !

وبعد سبعة شهور من الزفاف ، وفى أوائل الربيع ، عاد خليل وبطرس ينحدران بين غابات الصنوبر والأرز ، فى طريقهما إلى (طرابلس) ، فقد أتاهما النبأ أن جميلة وعمر قد انتقلا إلى قصر آخر له هناك

ولم يطل بحثهما عن ضالتيهما ، فقد اهتديا سريعاً إلى القصر الباذخ ، حيث تعيش العاصية ، كافرة بشريعة العشيرة ، مؤمنة بشريعة الهوى

وبعد أيام ـ ومن نفس الطريق ـ عاد الشابان يصعدان الجبل إلى قريتهما ومعهما فى هذه المرة ... جميلة ؛ فقد وفقا إلى اختطافها أخيراً

وفى (بَشرِّى) انعقد مجلس الأسرة لمحاكمتها ، واعترفت التعسة بكل شىء : اعترفت بأنها قد فرت من كنف أسرتها مختارة ، وطلقت دينها مختارة ، وتزوجت من عدو عشيرتها ... مختارة أيضاً

وصدر حكم الأسرة عليها بالإعدام . ووكل أمر التنفيذ إلى أخيها بطرس .

كم بكى خليل ، حين انفرد بالعاصية بعد صدور الحكم ، وكم أجهد أعصابه وهو يفتنها عن حبها لعمر ، محاولاً إقناعها بأن تشترى حياتها بالزواج منه هو ... لكنها أبت فى إصرار ، وراحت تتطلع إلى بعيد وقد رقت نظراتها وبدت كالحالمة وهى تقول بصوت حنون : « إنني أوثر حبى ، فأنت لا تعرف حبيبى » ودق الباب ، ودخل بطرس ـ جلادها ـ فبكى خليل ، وإذا بها ترمقه بنظرة أوهنها الإشفاق ، ثم تقول وهى تضع يديها على كتفيه : « كن شجاعاً يا خليل ... فلست بخائفة ... وهل يعرف الخوف من يعرف الحب ؟ »

ثم ذهبوا بها وقد انتزعوها منه بعد أن أوصدوا عليه الباب وحين تمكن من اقتحامه ، بعد لأى ، مضى كالمجنون ، يعدو باحثاً عنها ... حتى وجدها تحت شجرة أرز ... مذبوحة !

ولم تمض أيام حتى لحق بها زوجها عمر . قتل نفسه على قبرها ، بعد أن أوصى بأن يدفن معها فى نفس المقبرة ... المقبرة التى ما تزال قائمة حتى اليوم خارج بلدة طرابلس ، والتى ما تزال تظهر على أحجارها أحرف محفورة بخط عربى جميل ... أحرف اسمي : عمر وجميلة .

حلمى مراد
المحامى



12me Année No. 555

Lundi - 21 - 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

في معرض الآراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

مرت بنا في هـذه الأيام آراء كثيرة حول الكتابة والكتاب وحول التأليف والمؤلفين ، منها ما يفيد للمناقشة فيه والرد عليه ، ومنها ما يفيد للدلالة على بعض الأفهام والأذواق . وفيما يلي طائفة من هذه الآراء ، على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر والاستقصاء

***

من ذلك قول الأديب الحجازي الأستاذ عبد القدوس الأنصاري إنني أستدل على حماقة بثينة بحديثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لها : ما الذي رأى فيك جميل ؟ فقالت الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك !

ويقول الأديب : « والذي يلوح لي أن إجابة بثينة لا تنبئ عن حمق ، بل هي تشف عن حصافة رأي ورجاحة عقل ... فعبد الملك إنما سألها عما سأل مبكتاً غاضاً من جمالها وقادحاً في جميل ... إلى آخر ما قال

وخطأ الأديب في هذه الملاحظة راجع إلى نسيانه أول الحديث الذي تناقلته كتب الأدب ونقلناه فقلنا : إنها دخلت على عبد الملك بن مروان « فرأى امرأة خلقاء — أي حمقاء — موليّة »

فقولنا إنها لم تخل من حماقة منظور فيه إلى هذه الرواية المتناقلة لا إلى السؤال أو الجواب بينها وبين عبد الملك ، وقد يكون فى جوابها قصاص مريع من عبد الملك ، ولكن الأجوبة المسكتة كثيراً ما صدرت من الحمق والمجانين

ثم قال الأديب عبد القدوس يشير إلى كلامنا فى رسالة جميل بثينة : « يقرر الأستاذ خطأ مدرسة الاستحسان التى تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل ممن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب .. بيد أنه خرج من ذلك فى الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح

ينأى به عن اتباع المذهب الاستحسانى فى تغزله . والذى يبدو لى فى هذا القول أنه ليس فيه ما يجافى جميلاً عن المذهب المذكور »

وخطأ الأديب فى هذه الملاحظة راجع أيضاً إلى نسيانه المدرسة الغزلية الأخرى التى تكلمنا عنها وهى مدرسة الرقة فى خطاب المحبوب أو فى التحدث عنه . وقد نسي أيضاً أن الذى يتمنى التشويه لمحبوبته لا يرضى مذهب الاستحسان بهذا التمنى . وقد قلنا معترضين : « إن جميلاً – مثلا – أبطل المبطلين فى عشقه وغزله عند مدرسة الاستحسان أو مدرسة الرقة ... لأنه سأل الله تشويه ما هو حسن فى عينى حبيبته وثغرها وهما أجمل ما يُتمنى له الجمال فى وجه محبوب »

وعلى أية حال لا مساس فى هذا ولا ذاك بالحقيقة التى نقررها وهى أن الاستحسان غير العشق وغزل العشاق ، لأن الإنسان قد يستحسن ولا يحب ، بل قد يجمع الكره والاستحسان ، وقد يتمنى تشويه محبوبه ليتركه له الناس كما ضربنا المثل بأمنية جميل وأمنية كثير ، وهنا موضع الإشارة فى كلامنا إلى مدرسة الرقة ومدرسة الاستحسان

***

وننتقل من هذا الكلام إلى رأى يحسبه كله كلاماً فارغاً ويحسبنا نحن الكتاب أو النقاد رجعيين جامدين لأننا نحفل فى هذا العصر بشعر عمر بن أبى ربيعة أو شعر جميل ، ومن جاراهما من الشعراء

فقد حمل إلىّ البريد مجلة أسبوعية على موضع منها علامة حمراء تومئ إلى حديث دار بين المجلة وبين آنسة من الطالبات أو « الأديبات » السوريات سئلت فيه عن رأيها فى أدباء مصر فقالت : « مما يؤسف له أشد الأسف أن معظمهم رجعيون ... أفكارهم ... كتبهم ... مؤلفاتهم ... مقالاتهم ... كلها تدل على أنهم من أنصار الرجعية . ثم أطلقت الآنسة ضحكة رشيقة وقالت : أنظر ... نحن الآن فى عصر الطيارات والراديو والمخترعات الحديثة ، ولكن الأدباء ما يزالون يتحدثون عن عصر ابن أبى ربيعة ! ... »

وبودنا نحن أن نعرف ما هى العلاقة بين الطيارات وإلغاء شعر ابن أبى ربيعة أو شعر غيره من أدباء العصور الأولى

هل كان ابن أبى ربيعة صانع دراجات أو مركبات خيل فبارت صناعته باختراع الطيارات ؟

هل حلت الطيارات محل النساء اللاتى كان ابن أبى ربيعة مشغولاً بهن فوجب أن يشتغل بمنازلة الطيارات عن منازلة النساء ؟

هل أصبح الناس بغير قلوب وبغير ألسنة لأنهم يركبون الطيارة أو يستمعون إلى المذياع ؟

هل ألغى الأوربيون مخترعو الطيارة شعر هوميروس وهو سابق لعصر عمر من أجل هذا الاختراع ؟

لا وحق المحروسة الغالية التى تعلّم كتاب مصر وأدباءها ما ذا يكتبون وما ذا يدرسون

فالأوربيون الذين اخترعوا الطيارات على أنواعها ، والذين شغلتهم الطيارة فى كل ميدان من ميادين القتال أو ميادين السلام ، والذين يبتدعون الأزياء للعقول والجسوم ، لم يتركوا أدباءهم الأقدمين أو المحدثين ليستبدلوا بهم مصنوعات المعامل من آخر طراز ، ولم يحسبوا أن هؤلاء الأدباء مرجوعات تباع فى سوق « الخردة » كلما ظهر طراز جديد من المصنوعات

وإلى يسارى الساعة رفوف عليها أكثر من خمسين مجموعة شعرية ظهرت فى إبان الحرب الحاضرة بين ضرب القذائف من الطيارات وإطلاق الأسراب بعد الأسراب من الطيارات ، وقيام الرؤساء وقعودهم بالحديث عن الطيارات والغارات بالعشرات بعد العشرات

بل فى هذه المجموعات نفسها قصائد من نظم الطيارين الذين يعيشون على الطيارة ويموتون ممها ثم يعودون إلى شعرهم القديم ويذكرون أساطير اليونان التى تحدثت عن الطيران قبل الأوان

فلا علاقة إذن بين الطيارة وإلغاء عصر ابن أبى ربيعة . وإن كان هناك شىء قد صنعه عصر الطيارة على التحقيق فهو أنه لا يقبل الآن ما كان يقبله عهد القرون الوسطى من ثرثرة الكبيرات أو الصغيرات من بنات حواء ، لأنهن بنات حواء

فإذا كانت المحروسة التالية تفهم هذا فلا تستغرب أن تلقى بعض جزائها على الخوض فيما تجهل وعلى التعرض بذلك الأسلوب لأناس لهم على كل إنسان مهذب حق الرعاية والتبجيل

***

ونستأذن عصر الطيارات مرة أخرى لنرجع إلى موضوع « رجعى » عتيق وهو موضوع اللغة ثم موضوع التاريخ القديم ، وكلاهما قد يحرم على المخلوق الناطق فى عصر الدوىّ والأزيز ؛

فقد أجبنا الأستاذ الفاضل محمود أبا ريه بما نراه فى استعمال كلمة الفشل بمعنى الإخفاق ، فقلنا : « إن هذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين ، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر ، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق »

فعقب على هذا عالم فاضل من رجال اللغة عندنا قائلاً فى العدد الماضى من الرسالة : « وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخى حتما ... فالضعف شىء والإخفاق شىء آخر ، ولو صح هذا التقارب بين المعنيين ، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعانى »

ونحن كما يرى حضرات القراء لم نقل إن الإخفاق والضعف شىء واحد ، ولكننا قلنا إنهما متقاربان قد يحل أحدهما محل الآخر ، فكل ضعيف مخفق فى حالة ضعفه وقوة خصمه عليه ، وكل مخفق ضعيف فى حالة إخفاقه ونجاح خصمه . ولنا أن نقول إن فلاناً مخفق الرأى ونعنى به الضعف الذى يحول بينه وبين النجاح ، وليس التحرج فى هذا بأنفع من التسهل ، وما كان العرب يجهلون إطلاق الكلمة على المعنى لمناسبة قريبة بل بعيدة فى أحايين كثيرة . وحسبنا أن الأستاذ نفسه قد تردد بين التسهل والتشدد فى هذا الموضوع لنعلم أن التسهل فيه لا يخلو من حجة يحسب لها حساب

وقد وردت علينا آراء أخرى لا نحب أن نعرض الآن لجانب اللغة منها ، لأننا نود أولاً أن نحيل صاحب تلك الآراء على المراجع الكبرى ليهتدى إلى صوابه قبل أن نهديه إليه

ولكننا نتناول ناحية التفكير من آرائه لأن المجال فيها متسع لشىء من التنبيه والتذكير

فقد كتب الفهرسي المجتهد الأستاذ بشر فارس فى مجلة المقتطف مقالاً استغرق نحو سبع صفحات منها عن كتابنا « الصديقة بنت الصديق » زعم فيه زعماً لا يقبل الشكر كما قال « إن المؤلف ما أراد أن يولج كتابه فى جانب العلم الصرف »

وهذا الزعم الذى لا يقبل الشكر هو الزعم الذى لا يحسب من العلم الصرف فى شىء

لأن الحق الذى توخيناه هو أننا أردنا متابعة العلم فى كل حقيقة من الحقائق التى بسطناها ، ولكننا لم نولج كتابنا على حد تعبيره — فى باب الفهرسيات وما إليها ، لأنها صناعة تليق بمساعد فى مكتبة علمية ، ولا تليق بعالم أن يفرغ لها أو يجعلها كل قسطه من العلم والكتابة

ففى كل « دفترخانة » من دواوين الحكومة كاتب صغير أو ساع يعرف الكتابة والقراءة ويعرف من الرفوف والأرقام ومراجع المواليد والوفيات والمزارع والبيوت والأسناد والعقود ما يستنفد السنوات من حفاظ الفهارس والعناوين

ولكننى أؤكد التوكيد الذى لا شكر فيه أنهم لا يحسبون من العلماء والأدباء ، ولا فرق بينهم على الإطلاق وبين من يحفظون الفهارس والجزازات ويستخرجونها « عند الطلب » من مواضعها على الرفوف

وفى الأمر ما هو أكثر من ذلك وأدعى إلى الحذر والانتباه ؛ فإن هذه المحفوظات الفهرسية خطر على التفكير وإصالة البحث قد يعطل الأفكار ويعوق الفهم عن درك حقائق الأمور ، لأنه يعود الفارغين لها أن يعرفوا الأشياء بأسمائها وعناوينها ويغفلوا عن مسمياتها وحقائقها . ولا خير فى ألف

عنوان لألف مذهب أو كتاب إذا كانت هى قصارى المعرفة عند جماعة الفهرسيين

ومن عوارض ذلك فى كلام ناقد المقتطف أنه يذكر مثلاً كلمة النقد الداخلى « Critique interne » ويسوقها إلينا كأنها شىء غريب لم يخطر لنا ولا لأحد على بال ، لأنه عرف الشىء بعنوانه ولم يعرفه بحقيقته ولبابه . ولو أنه عرف ما هو النقد الداخلى على الحقيقة واللباب لفهمه فى عشرة كتب على الأقل كتبناها عن شخوص مختلفين ، وكلها دائرة على النقد الداخلى لطبائع أولئك الرجال . وليس بفاهم ما هو هذا النقد الداخلى من لم يفهم أنه هو النقد الذى توخيناه ونحن نكتب عن محمد وعمر والصديق وعلى وعائشة وجيتى وابن الرومى وأبى العلاء والمتنبى وسعد زغلول وعشرات آخرين

كذلك يقول مثلاً : « كيف تكون عائشة جارية صغيرة على نحو ما وصفتها بريرة — تنام عن عجينها — وهى ابنة ستة عشرة أو فوق ذلك ؟ »

فلولا الفهرسيات لاستطاع ناقد المقتطف أن يفهم ذلك حق فهمه ، لأننا كتبنا ثلاثة فصول نقرر فيها أن السيدة عائشة قد نشأت مدللة بحكم ولادتها فى الحضر ، وبحكم ولادتها فى قبيلة بنى تميم خاصة ، وبحكم ولادتها فى بيت الصديق على الأخص ، وبحكم الحظوة التى لقيتها فى بيت زوجها العظيم . فإذا كانت فتاة فى السادسة عشرة لا تنام عن عجينها فى هذه الحال فماذا يسميها الناقد الفهيم ؟ أيقال إنها امرأة نَصَف ؟ أيقال إنها عجوز شمطاء ؟

إنما الآفة آفة الفهارس كما قلنا ، وإنما كان صاحبنا يفهم ما ذكرناه لو أنه ظفر بجزازة فهرسية قيدت عليها كلمة العجين وقيل فيها — مثلاً — « ومن العجين ما تنام عنه الفتاة وهى فى السادسة عشرة ، كما جاء فى ترجمة عائشة — راجع كذا وكذا وكذلك وكذاك ... »

ويومئذ يكون هذا هو العلم الصرف وهذا هو التحقيق العجيب ...

وإذا كان لهذا الكاتب عذر من قلة الفهم فقد كان ينبغى أن يتجنب قلة الذوق لئلا يجمع بين الفقرين السيئين ، وفى واحد منهما كفاية

فلا يحسب علينا أن نطيل القول فى حديث الإفك دفاعاً وتصحيحاً وهو يطيل القول فيه للتوهين والتشكيك

« فنحن نقول » على الذى يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها ... عليه أن يصدق أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبى ولا بأحكام الإسلام ، وأن يصدق أن السيدة عائشة كانت وهى زوج النبى لا تؤمن به ولا تعمل بدينه »

فإذا بالناقد الفهيم يعقب على ذلك فيقول : « والذى أراه أن هذا الاستدلال مجتلب بل محض ذاتى ، وذلك لأننا نعلم من طريق المشاهدة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزلوا وإن كانوا من أهل التصديق والإيمان »

وهذا كلام فيه سوء فهم وسوء ذوق مجتمعان !

سوء فهم ، لأن المسألة هنا ليست مسألة الزلل وكفى ، ولكنها مسألة الشك فى اتصال النبى بعالم الغيب وقدرته على كشف الحقيقة مع إنكار المنكرين . وليس فى المشاهدة والملاحظة التى يتشدق بها هذا الكاتب الفهرسى أن امرأة نبى تفعل ذلك وهى مؤمنة به ، وتفعله بغير إغراء يستطير الألباب من الرءوس

أما سوء الذوق فكفى أن نشير إليه ولا نطيل فيه ، وكفى الآن من هذا الموضوع إلى حين .

عباس محمود العقاد

محمد أحمد جاد المولى

للدكتور زكى مبارك

فى الساعة الثامنة من صباح اليوم حدثنى الأستاذ عبد الله الصفتى تليفونياً بنبرات حزينة لم يتحدث بمثلها من قبل وهو يقول : عظّم الله أجرك فى جاد المولى بك !

فقلت : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وكررتها نحو عشر مرات وأنا مأخوذ بصدمة لم تكن تخطر فى البال ، فقد كان جاد المولى بك فى صحة وعافية ، وكانت ملامح وجهه تنبئ بأنه لن يموت قبل التسعين أو الثمانين

وأحدق الحزن بقلبى من كل جانب ، فقد تصورت ماضيه وماضىّ فى رعاية صداقة غالية كانت مضرب الأمثال ، بحيث اعتقد كثير من الناس أنه لم يصادق غيرى وأنى لم أصادق سواه ، فما وقع بيننا ما يوجب الملام فى محضر أو مغيب ، ولا سمع عنى أو سمعت عنه ما يستوجب العتاب

كذلك تصورت ، وكذلك توهمت أننى فجعت فيه وحدى ، ثم كانت النتيجة أن يتبدد ما تصورت وما توهمت ، فقد رأيت جميع من فى وزارة المعارف يترحمون عليه ، ورأيت فيهم من بكاه بالدمع وهو الدكتور رياض

زُلزلت وزارة المعارف لموت هذا الرجل ، وعدت فجيعتها فيه من الفواجع الفوادح ، وتمثّل الجميع ما كان عليه من سجاحة النفس ودماثة الأخلاق

وأدى رجال المعارف واجبهم نحو فقيدهم الغالى فبلّغوا نعيه إلى مدارس القاهرة ليشترك جميع المدرسين فى تشييع جثمانه إلى القرّ الأخير

وأردت أن أشترك فى توديعه ، ولكنى لم أستطع فقد عزّ علىّ أن أرى جاد المولى بك محمولاً على نعش ، وكان بالأمس ملء العيون والقلوب

لم يبق إلا أن أودع هذا الرجل بكلمة تقرّب صورته إلى من جهلوه ، وما أكثر من جهلوه ، والحكيم يعيش فى زمانه عيشة الغرباء

بداية جميلة

كان جاد المولى بك فى طليعة إخوانه بدار العلوم ، فأوفدته وزارة المعارف إلى انجلترا فى بعثة علمية ، وحين عاد أعجب به المغفور له حسن باشا عبد الرازق فاقترح على عظمة السلطان حسين كامل منحه رتبة البكوية ، وكانت تلك الرتبة لا تمنح للشبان ، فكان أول من نالها بفضل تفوقه وهو فى عنفوان الشباب .

ثم رأى أن يتعرف إلى الجمهور فألقى محاضرتين علنيتين عن الغزالى وابن خلدون ، فكان غاية فى الفهم لابتكارات هذين الفيلسوفين العظيمين

وفى سنة ١٩٢٤ أرسلت إدارة الجامعة المصرية خطاباً إلى وزارة المعارف تدعوها فيه إلى تكليف أحد رجالها الاشتراك فى لجنة امتحان الدكتوراه فى الفلسفة بجانب الأستاذ عبده بك خير الدين ، وكان وكيل المعارف حينذاك عاطف باشا بركات ، فاختار جاد المولى بك ، ولهذا الاختيار قيمة نفيسة ، فقد كان عاطف باشا من أعرف الناس بأقدار الرجال

كنت أنا الطالب الذى يؤدى امتحان الدكتوراه فى الفلسفة وكنت أنا الذى جهل أن وزارة المعارف رمتنى منه بداهية ، فقد وجّه إلىّ أسئلة أثارت الجمهور وحملت الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ محمد الأبيارى على أن يغضبا غضبة إسلامية ، ولولا تلطف الدكتور منصور بك فهمى لانقلب ميدان الامتحان إلى ميدان قتال

كان من رأى جاد المولى بك حين خلت اللجنة للمداولة أنها غير مسئولة عن آرائى فى كتاب الأخلاق عند الغزالى ، ولكن الدكتور منصور بك فهمى أقنعه بأن لجنة امتحان الدكتوراه لا تعرف غير شىء واحد هو قدرة الطالب على تأييد آرائه ولو انتهت إلى الضلال !

الذكى المتغابى

كان جاد المولى بك غاية فى الذكاء ، وكان غاية فى التغابى ما أذكر أن مشكلة غاب عنه فهمها على الوجه الصحيح ، ولا أذكر أنه أخطأ الفهم لشأن من الشؤون

كان يثق بى فيحدثنى عن آرائه فى المجتمع ، فأرى له مذاهب من الفكر تغيب عن أكثر الرجال

شهيد الواجب

بلغ جاد المولى بك سن التقاعد قبل شهور ، ولكن معالى الهلالى باشا رأى أن يقترح على مجلس الوزراء مدّ خدمته سنتين ، للانتفاع بخبرته التعليمية ، فبالغ جاد المولى بك فى نشاطه ليؤيد حقه فى ثقة ذلك الوزير الجليل

وفى أحد أيام الأسبوع الأخير من شهر أغسطس الماضى كنت بحضرة الهلالى باشا فى مكتبه بالأسكندرية ، لأحدثه فى شؤون تستوجب لقاءه هناك

وفى أثناء الحديث صلصل تليفون المعارف بالقاهرة ليقول الوزير للوكيل ما نصه بالحرف :

« يجب أن تنتهى حركة التنقلات قبل اليوم العاشر من سبتمبر ، ليعرف المدرسون إلى أين يتوجهون ... شغّل جاد المولى بك »

وعند رجوعى إلى القاهرة رأيت من الأمانة أن أبلغ جاد المولى بك ما سمعت ، فطلب جميع معاونيه من إجازاتهم بالبرقيات لينجز حركة التنقلات بأسرع ما يستطاع

والذى يعرف أن متاعب مدرسى اللغة العربية ليس لها حدود يعرف كيف يعانى من يحاول راحتهم من شديد العناء

ضغطُ الدم قتل جاد المولى بك ، وهو مرض لا يصاول غير شهداء الواجب . . . فملء روح هذا الشهيد ألف تحية وألف سلام

كانت لهذا الرجل مناضبات فى أعوامه الأخيرة ، ولكنه لم يناضبنى فى أى يوم . كانت عبارته حين يلقانى : أهلاً بدكتورنا

فسلام عليك يا أكرم أستاذ وأشرف صديق

لو أنشأنا مليون مدرسة لما استطعنا أن ننشئ فتًى فى مثل أدبك وذوقك . ولو أنشأنا مليون قصيدة فى الرثاء لعجزنا عن كلمة الصدق فيك ، يا أصدق الأوفياء

أكرمك الله وأعزك ، وجملك من أهل الفردوس

رفق والعنف

كان جاد المولى بك رفيقاً جداً بمعاونيه من المفتشين فلا يصدر رأياً إلا بعد الاستئناس بما عندهم من آراء ، وكانت صلاته بالراقبين صلات أخوّة صافية ، وقد بلغ به التواضع أبعد مبلغ فاتُّهم بالضعف ظلماً وعدواناً ، وجرت القالة بأنه يعجز عن درء الشر إن وُجه إليه ، وهذه القالة وتلك التهمة مهدومتان من الأساس ، فجاد المولى بك لم يكن يحب الخصام ولا القتال ، حتى نطالبه بالقدرة على اللدد والعنف ، وإنما كانت فطرته تهديه دائماً إلى إيثار الرفق والمسالمة مع جميع الناس

وما الموجب لأن تكون حياتنا كلها قتالاً فى قتال ، بحيث لا نتصور الشجاعة إلا بصورة واحدة هى المصاولة والفتك والإيذاء ؟

وما الذى يمنع من أن نري فى ضبط النفس شجاعة تفوق كل شجاعة ؟

إن المظاهرة بالعداء أخف وأسهل من المجاهرة بالصفاء ، لأن العداء المنيف هو البقية مما ورثناه عن عهود الوحشية ، ولا كذلك التلطف والترفق ، فهما من مظاهر الرقى فى الشمائل الإنسانية

والحق أن أخلاق جاد المولى بك كانت فوق ما نطيق ، ولهذا كان يحب ناس أن يزيفوها ، ليستروا عجزهم عنها ، فقد كانت من المعجزات

أين من يصدّق أن كبير مفتشى اللغة العربية لم يكن يقدر على توجيه كلمة فيها صورة الأمر للساعى الذى يحفظ ودائع مكتب التفتيش ؟

لو كان تلطفه مع الرؤساء ناشئاً عن ضعف لوجب أن يكون أسداً فى معاملة الضعفاء

وهذا بحث إن أطلناه طال ، والمقام يضيق عن الإطناب

مؤلفات جاد المولى بك

أشهر مؤلفاته كتاب « محمد المَثَل الكامل » وقد طُبع غير مرة ، وانتفع به كثير من المسلمين ، ثم ترجمه أحد الأفاضل إلى اللغة الفارسية باسم « عَظَمت محمد » ، وبهذا وصل نفعه إلى أبعد آفاق الشرق الإسلامي

ومن خير مؤلفاته « كتاب الأخلاق » وهو كتابٌ فصّل به المذاهب الأخلاقية أجل تفصيل

ثم ماذا ؟

ثم يكون الرد المفحم على ما اتهم به جاد المولى بك ، فقد قيل وقيل إنه وضع اسمه على مؤلفات كثيرة بوصف أنه اشترك في التأليف مع أنه لم ينشئ بقلمه فصلاً من فصول تلك المؤلفات

ولهذه التهمة أصل من الصحة ، ولكن المتهمين تناسوا جوهر القضية ؛ فقد كان الرجل أستاذاً كبيراً ، والأستاذ يوجه أكثر مما يؤلف ، وبالتوجيه السديد أنشأ جيلاً من المؤلفين النوابغ ، وهم تلاميذه الأوفياء ، وبإرشاده وبجهودهم زُوِّدت المدارس بأطايب المؤلفات الأدبية والدينية . وهذا فضلٌ لا يجحده إلا أهل العقوق

تحية وسلام

أما بعد ، فإني أسارع إلى رثاء هذا الرجل الكريم ، لأني أخشى أن لا يجد من يرثيه ، فما كانت له عصبية دنيوية ، ولا كان يحب أن يكون له اسمٌ طنّان ، ولا كان يعلن معروفه ليقال إنه طوّق جيد فلان أو فلان

كانت أعماله لوجه الله ولوجه الوطن في صمت وسكون

لم أستطع المشي في جنازتك يا أستاذي وصديقي وزميلي ؛ فقد هدّني الحزن الذي رأيته على وجوه رجال المعارف يوم موتك ، وهو حزن صادق من رجال صادقين

أفي الحق أني لن أراك بعد اليوم ؟

أفي الحق أن إخوانك بوزارة المعارف لن يجدوك إن افتقدوك ؟

عندي خبر أبلغه إليك ، وهو أننا تلقينا اليوم خطاباً باسمك أرسلته الرابطة العربية تدعوك فيه إلى موافاتنا بنيادة الدكتور محجوب ثابت لتنظيم الاحتفال بتأبين الأستاذ محمود بك بسيوني ، رحمه الله ورحمك

فما رأيك في أسبوع أفقد فيه صديقين كريمين ؟

أتكون الدنيا غادرة إلى هذا الحد المزعج ؟

ما أسعد الذين شيعوه وشيعوك إلى مثواه ومثواك

عند الله أحتسب فجيعتي في صديقين قد لا يجود بمثلهما الزمان ، ومن الله أستمد العزاء ، فليس من العدل أن أشقى لفراق صديقين يُشغلان عني بما أعدّ الله من النعيم لأهل الصدق والوفاء .

زكي مبارك

فى مجموع رسائل الجاحظ

لأستاذ جليل

فى هذا الكتاب الذى أفضل على الأدب العربى فى هذا الوقت بنشره الدكتور باول كراوس ، والأستاذ محمد طه الحاجرى ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر — وجدت حروفاً أذكر بعضها اليوم :

١ — فى ص ٤٥ :

... فيفشو من هذه الجهات أكثر مما تفشيه ألسن المذاييع المبذر ، وجاء فى الحاشية : كذا فى الأصل ولعله المبذرين أو البياذير

قلت : هى البُذُر مثل الصبور والصبُر والغيور والغيُر والفخور والفخُر ، والبذور والبذير هو الذى يذيع السر ولا يكتمه ، ومثل البُذر فى المعنى المذاييع جمع المذياع وهو بناء مبالغة من أذاع السر إذا أفشاه

وفى حديث : ليسوا بالمساييح البذُر . وفى حديث علىّ : ليسوا بالمذاييع البذُر

٢ — فى ص ١٠٤ :

... وفى مثل آخر : لن تعدم الحسناء ذامّا

قلت : هو لا تعدم الحسناء ذاماً . والذام والذيم : العيب ، وذامه — كذمه — عابه . ومثله العاب والعيب فى الوزن . وقد ذكرت كتب الأمثال قصة هذا المثل

٣ — فى ص ١٢٠ :

واستمسكت بحبلك ، واستذرأت فى ظلك

قلت : استذريت فى ظلك ، واستذرى بفلان أى التجأ إليه وصار فى كنفه ، وفلان فى ذرى فلان أى فى ظله

٤ — فى ص ١٠٢ :

... وقد قيل : كل مُجْرٍ فى الخلاء يسبق

قلت : المثل المشهور هو كل مجر فى الخلاء يُسر . وقد يقال : كل مجر بخلاء سابق ، وكل مجر بخلاء مجيد

٥ — فى ص ٧١ :

... وسواء — جعلت فداك — ظلمت بالبطش والغشم ، أو ظلمت بالدحس والدس

وجاء فى الحاشية : ولعل الصواب (أى صواب الدحس) : الدعس

قلت : الدعس الوطء . وأغلب الظن أنها الرسّ ، ورسّ بين القوم : أفسد

٦ — فى ص ٤٠ :

وقام مقام الإخبار عن غير تشاور ولا تواطىء مقام العيان

قلت : رسمُ التواطؤ هو بهمزة فوق واو . ومثل ذلك التجرؤ والتبرؤ اللتان يكتبونهما كثيراً بهذه الصورة : (التجرى والتبرى) وجاءت (خطئي) فى ص ٢١ بهذه الصورة : (خطأى) وأرى رسمها كما خططتها . وقد وردت التواطؤ فى ص ٢٤ مضبوطة

٧ — فى ص ٢٢ :

ومنهم من تريده للمهنة

قلت : ضبطت المهنة بكسر الميم ، وقد أنكر الأصمعى الكسر . ونقده الزمخشرى فى (الفائق) ووردت اللفظة فى كتب اللغة بفتح الميم وكسرها ، وفتح الميم والهاء ، وفتح الميم وكسر الهاء . نخير أن تضبط بالفتح والكسر ، أو بالذى هو أفصح — كما قالوا — وهو الفتح . ومثل الاقتصار على كسر الميم فى المهنة ضبط الضن فى ص ٧ و ٢٦ و ٢٧ بالكسر ، وهى بالفتح والكسر

٨ — فى ص ٦٣ :

ولا بد أيضاً من حزم يحذرك مُصارع البغى ، ويخوّفك من ناصر المظلوم .

قلت أرى أن تضبط « مصارع » بفتح الميم كما قصد صاحب القول .

٩ — فى ص ٦٤ :

والهوى يتصور فى صورة امرأة ، فلا يبصر مساقط العيب ، ومواقع الشرف

قلت : السرف ، والجمل التى بعدها تدل على ذلك ، ولم ينبه

على اللفظة فى جريدة « التصحيحات »

١٠ — فى ص ١٨ :

والإفراط فى المضرة مَبعثة على حربك ، والإفراط فى جر المنفعة غِنا لمن أفرطت فى نفعه عنك

قلت : إذا كسرت عين (غنى) قصرت ، وإذا فتحتها مددت ، فقلت غَناء كما قال ابن سيده فى « المخصص » والغنى والغناء : الاستغناء

١١ — فى ص ٣٠ :

فتحرز من دخلاء السُّوء

قلت : السَّوء — بفتح السين — وهو الفساد

١٢ — فى ص ١٠٣ :

فلما لم يرَ أحداً بحضرته يدب عن كتابى قال ...

قلت : يذب بالذال ، وذب عنه دافع عنه . وهذا تطبيع لم يذكر فى جريدة « التصحيحات »

١٣ — فى ص ١١٠

لا سيما إن كان مع استبطان الحسد

قلت : جاءت (ولا سيما) فى هذا الموضع وفى غيره مجردة من ذينك الحرفين . وأستبعد كثيراً هذا التجريد فى كلام المحدثين الأولين ؛ وإن أجاز ذلك نحاة من المولدين المتأخرين ، وقد وردت اللفظة ومعها صاحباها فى ص ٢٤ و ٦٨

١٤ — فى ص ٤٣ :

ألم تر أن وُشاة الرجا ل لا يدعون أديماً صحيحا
فلا تفش سرك إلا إليـ ك فإن لكل نصيح نصيحا

قلت : (ل) فى أول الشطر الثانى فى البيت الأول هى فى مكانها فى هذا البحر . وفى المتقارب تجتمع العروض الصحيحة والمحذوفة . و (ك) فى أول الشطر الثانى فى البيت الثانى مكانها فى الشطر الأول مع جارِّها ، والقبض فى هذا البحر فى كل موضع حسن . فترتيب هذا البيت هو بهذه الصورة :

فلا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا

وإذا كانت (الكاف) فى العجز اختل وزنه

١٥ — فى ص ١٠٤

فإن أبناء النعم وأولاد الأسد محسودون

قلت : هل الأصل وأولاد الأُسر — بالراء — محسودون ، ونحن هنا فى حسد الأناسية لا فى حسد السباع الضارية

١٦ — فى ص ١١٧

وإذا اكتسى ثوباً نسيساً لم أقل ياليت أن عليَّ حسن ردائه

قلت : ثوباً نفيساً . والنسيس بقية الروح الذى به الحياة ، والجهد وأقصى كل شىء ، والجوع الشديد

١٧ — وفى هذه الصفحة المتقدمة :

وإذا تخرق فى غناه وقرته وإذا تصملك كنت من قرنائه

قلت : وفرته بالفاء ، وهذا البيت والذى قبله هما من مقطوعة رويت فى (رسالة فصل ما بين العداوة والحسد) ورواها أبو تمام فى حماسته ، وهذه هى رواية حبيب :

إنى وإن كان ابن عمى غائباً[1] لمقاذف[2] من خلفه وورائه
ومفيده[3] نصرى وإن كان امرءاً متزحزحاً فى أرضه وسمائه
ومتى أجئه فى الشدائد مرملاً ألقِ الذى فى مزودى لوعائه[4]
وإذا تتبعت الجلائف مالنا خُلطت صحيحتنا إلى جربائه[5]
وإذا اكتسى ثوباً جميلاً[6] لم أقل يا ليت أن علىَّ حسن ردائه

وفى رسالة الجاحظ :

وكان عبد الله بن مروان إذا أنشد (إنى وإن كان ابن عمى . الأبيات) قال : هذا والله من شعر الأشراف . نفى عن نفسه الحسد واللؤم وللانتقام عند الإمكان والمسألة عند الحاجة

ناقد

* * *

فى (الرغيف) فى الحاشية : (وإن كان — جواب لولا — بلم لم يقترن بها أى باللام) (الحافظ بن حجر)

---

(١) فى المجموع : كاشحاً (٢) فى المجموع : لمراجم
(٣) فى المجموع : ومعيره
(٤) و (٥) لم يرد البيتان فى المجموع . والجلائف جمع جليفة وهى السنة الشديدة
(٦) فى المجموع : نفيساً

المـــــرأة ...!

للأستاذ عمر الدسوقي

مناجاة :

ويحك أيها اليراع ! مالك تتململ ولا تحير جواباً ؟ ما يحبسك عن خوض هـذه المعركة المحتدمة ؟ إنها الفتنة تـكاد تتمخض عن شر مبين ، وسيطرة لا تنازع لتلك الأقلام التي تنكرت لما تحب وتؤمن أنه الحق ! وإذا كتب لها الفلج فهيهات أن تجد سميماً أو مجيباً أو مؤازراً ، بل ستخمد إلى الأبد مطموراً مع تلك الفضائل الحبيبة التي عصفت بهـا أعاصير الفتنة الجامحة !

استيقظ ـ ويحك ـ من هذا السبات الطويل ؛ فإن الصمت اليوم جريمة ! ألا ترى كيف يناضل دعاة الفتنة ، ويصدرون عن ذهنية واحدة ، ويضربون في هدف واحد ، ويسيرون قدماً بخطى ثابتة يريدون أن يجتثوا ما بقى في قلوبنا من عقيدة وفي نفوسنا من حيـاء ، ويمسخوا تقاليدنا الطيبة مسخاً زرياً ؟!

هل تخشى أيها اليراع ذياك التيار الجارف العنيف الذى يهدر بالمجـانة والعبث والرذيلة ، ويكتسح أمامه النفوس الضعيفة المستخذية المنحلة ويقوض دعائم الحق والإيمان والفضيلة ؟ هل يردعك ألا تجد في الميدان لداتك من دعاة الحق إلا نفراً قليلاً ؟ ...

لا ترع أيها القلم ! فإن هناك نفوساً كثيرة خيِّرة لا تزال صامدة صابرة تقاوم سيل الأباطيل المتدفق الذى يزلزل الأرض تحت أقدامها ، وإن كان يخشى عليها الزلل إن لم يتقدم من يشد أزرها ، وينافح عن مبادئها السامية ، ويزيل من طريقها ما أثارته تلك الأعاصير حتى يتكشف لها الحق ويتضح الخير فيسكن بلبالها وتطمئن أفئدتها وتذهب شكوكها .

لا ترع أيها القلم ! فإن دعاة الخير كثيرون ، وإن كانوا في صمت رهيب كما كنت ، وسوف يدوى صوتهم كما كان بالأمس وسوف يغص بهم الميدان ثانية ، فلن تكون في قلة ، إن « الرسالة » في ماضيها المجيد قد كشفت عن أقلام جريئة قوية صادقة . فأين هي تلك الأقلام يا ترى ؟ لعلها تستجيب لندائك فتلبي سراعاً ، فتكافح في سبيل الدنية والخير والفضيلة !

من يوميات فتاة عصرية :

فتاة مسلمة من أصل جركسي ولا يفوتني أن أشكر المؤلف إذ لم يدع أنها من سـلالة عربية ـ تقطن القاهرة مدينة المعز ، ومثابة الدين لا ترى حرجاً ، وقد تشربت نفسها روح الحضارة الأوربية ، وخلب لبها زيفها — أن تسجل في مذكراتها ما يأباه الدين والكرامة ، فهي تسمح لعلي شقيق صديقتها بأن يقبلها لأنها (تستلطفه) ، ثم تغازل أحمد في سيارة عامة لأن عينيه جذابتان ، وتدع منديلها يسقط على مرأى منه كي يعدو وراءها ويناديها فتعرف : هل صوته جميل كعينيه ؟ وتراه يدخل حانوت وراق فتلجه خلفه وتتمسح به ، فإذا خرج كانت معه لدى الباب كما أرادت فيدعوها للخيالة فتلبي رغبته ، وهي لا ترى بأساً من الكذب على والديها ، وتذهب معه لإحياء ليلة رأس السنة في ملعب من ملاهى القاهرة وتعود بعد منتصف الليل ولا ترى ضيراً من إحياء عيد ميلادها هى بشرب قدحين من « البورتو » ، وقد كادا يكونان من « الويسكى » في مقهى بالجيزة ... الخ ما هنالك مما أستحى أن أسطره

هذا بعض ما جاء في آخر ما صـدر من سلسلة « اقرأ » ، ولست أدرى وأيم الحق ما غرض مؤلفه منه !

أيريد أن يعرض علينا صورة بشعة مما عليه بعض الفتيات اللاوانى نبذن الفضيلة والخلق الرضى وراءهن ظهرياً ، وقلدن الفتاة الغربية في مثالبها ونقائصها فيثير فينا الحمية ، حتى ننأى ببناتنا عن مزالق الفتنة ؟

أم يريد أن يؤنبنا على تفريطنا فى أمر الفتاة ، وأنا تركنا لها الحبل على الغارب ، فكان هذا شأنها ؟ أم يريد أن يقول : إن هذه هى الفتاة المصرية ، فيأيها الفتيات اللائى لا يزلن متمسكات بالفضيلة والحياء ، إنكن جامدات رجعيات ، وإن التمدين لن يكون إلا على هذا النمط ، فقلدن « سميحة » حتى تتشرفن بأن يخلع عليكن لقب « المصريات » ؟

ربما لم يقصد المؤلف شيئاً من كل هذا ، وإنما يرمى لهدف لا أدريه ، أو أنه يقصد « الفن للفن » ، وإن كان عقلى الكليل لم يجد فيما كتب فناً

لا أنكر وجود هذا الصنف من الفتيات اللائى ينتسبن إلى بيئات تدعى أنها « أرستوقراطية » ، ولعل الكاتب قد تلطف كثيراً فلم يعرض إلا نموذجاً « معتدلاً » منهن . ولكن أما آن لنا أن نكف عن عرض هذه المغريات التى تهوى بمجتمعنا إلى الحضيض ؟

لقد ظهرت « سميحة » بأنها فتاة تعبث ولكنها لا تزل ؛ وهذه خدعة من الكاتب ، إذ لو هوت وزلت لارتدعت فتيات كثيرات ممن سيقرأن هذا الكتاب حفاظاً على شرفهن . وهب أن فتاة ما نجت بفضل مهارتها وإرادتها ، أو بفضل ظروفها إذ لم تقع بين يدى ذئب مستهتر من ذئاب البشرية ، فهل هناك ما يكفل لكل فتاة تنهج هذا النهج ذيّاك المصير ؟

إننا لا نكتب لمصر فحسب ، بل نكتب للشرق العربى كله ، وليس هذا النوع — ونحن فى فجر نهضتنا السياسية والاجتماعية — مما يجدر بنا أن نذيعه ، فضلاً عن أنه يصور بيئتنا بصورة غير حقيقية لا تمثل إلا شرذمة انفلتت من تقاليدنا الإسلامية ، ومسخت مسخاً غريباً فتنكرت لنا ، وتنكرنا لها

كم نسبة المتعلمات فى مصر — على فرض أنهن جميعاً من هذا الطراز لا قدر الله — ؟ شىء ضئيل لا يكاد يذكر مع مجموع سكانها . فهل من الإنصاف أن نتحدث عن الفتاة المصرية بمثل هذا ؟!

لست ممن يحاربون تعليم الفتاة ، لأنى أومن بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن الأم المتعلمة خير من الجاهلة ؛ ولكنى أريد تعليماً يغرس الفضائل فى النفوس الغضة ، تعليماً يجعل منها زوجاً صالحة ، وأمّا تنشئ جيلاً قوياً فتياً مُعَدّاً لمستقبلنا الذى يفرض عليه تبعات كبيرة

إنى أومن كذلك برسالة مصر الأدبية ، ولكن إذا كان فى مجتمعنا ما يزرى ، فهلا سترناه عملاً بالحكمة المشهورة : « إذا بليتم فاستتروا » ! إنى أعلم أن مصر قدوة تحتذى فى البلاد العربية ، فلم لا تكون القدوة حسنة تجارى الطبيعة العربية والفضائل الدينية ؟!

***

حزب نسائى أما سمعت بأن النساء يؤلفن حزباً فى مصر — إذ لا ينقصنا غيره — وأن من أغراض هذا الحزب المطالبة بما يسمونه حقوق المرأة فى الانتخاب ، وأن بعضهن يطلب تغيير الشريعة الإسلامية فى الطلاق ، إذ لم يحسن الرجل استعماله فلتجربْ المرأة ، وفى الميراث ، فتتساوى النساء والرجال . . . إلى آخر ما هنالك مما أذاعته بعض المجلات عندنا

ليست هذه الأمور مما يجمل بنا التغاضى عنها وإهمال مناقشتها ، فإن كانت فاسدة وجب محاربتها ، وإلا تركناها تأخذ مجراها الطبيعى . أما المطالبة بما يسمونه حق المرأة فى الانتخاب فليس هذا أوانه أبداً ؛ لأن تسعة أعشار النساء فى مصر يرسفن فى أغلال الجهل والفاقة والأمية والخرافات ، وليس من الطبيعى أن نكلف هذه الأكثرية العظمى فوق طاقتها بأن تفكر فى الانتخابات وتعنى بالشئون العامة ، وهى لم تنل بعد من الضروريات ما يجعلها تعيش كانسان ، وإذا كانت جمهرة المنتخبين من الرجال فى مصر لا يحسنون استعمال هذا الحق بعد فكيف يكون حال النساء ؟ أليس عملكن هذا كمن رى بائساً جائعاً يموت من الطوى ، وعرياناً تقف أعضاؤه

وتيبس من البرد فيعرض عليه نزهة فى سيارة ؟ ! إن المرأة الأوربية التى تحاكيها لم تنل هذا الحق إلا بعد أن صار التعليم فى ديارها أكثر من تسعين فى المائة ؛ فنى انجلترا مثلاً لم تنله إلا فى هذا القرن ، ومنذ سنين معدودات . وأولى بنا ألا نفكر فى هذا إلا بعد أن نبلغ هذا القدر من التعليم

إنى أتمنى كل الخير للمرأة المصرية فهى نصف الأمة أو تزيد ، وأرجو أن تخلص الحركة النسائية فى مصر لقضية المرأة فلا تهتم بالزخارف وتغفل الجوهر ، وتقلد المرأة الغربية تقليداً أعمى فى آخر ما وصلت إليه . إن الخطوات الطبيعية للنهوض بالمرأة المصرية أن يحشد المتعلمات جهودهن لإزالة الفقر والجهل ومحو الأمية وتنوير عقول الجبيرة من نسائنا ، حتى لا يخلدن إلى الخرافات والخزعبلات والرقى والتعاويذ

أما الشطط الذى يلجُّ فيه بعض المتعلمات حين يطالبن بتغيير الشريعة الإسلامية فى الطلاق والميراث فينم عن عدم تبصرة بمبادىء الإسلام ؛ وما تتضمنه من خير عميم للمرأة المسلمة تحسدها عليه كل امرأة أخرى فى العالم . ولست هنا فى صدد بيان هذه المبادىء والإفاضة فى شرحها ، بيد أنى أقول : إذا كان بعض الرجال قد حاد عن نهج الدين وأساء استعمال هذا الحق ولم يستمع لقول نبى الإسلام عليه السلام « أبغض الحلال عند الله الطلاق » ، فلن يكون عمل هذا النفر دليلاً ما على أن الشريعة الإسلامية لم تتوخ العدالة ولم تعرف أى الجنسين أولى بأن يمسك عقدة الطلاق . فالمرأة مرهفة الحس رقيقة العاطفة ، سريعة التأثر ، وزوجها مكلف شرعا بالإنفاق عليها وعلى بنيها ، فهو يقدر التبعة حق قدرها ويأخذ حقه الطبيعى . إن مآسى الطلاق فى أوربا تفوق الحصر ، ويضطر أولو الأمر فى لندن لإنشاء محكمة للطلاق كل عام حتى تناهض عدد القضايا الكثيرة ، فخير لنا أن نحترم شريعتنا وأن نبث تعاليم الدين الصحيح بين أفراد الشعب ، وألا نغالى فى ظلامات النساء .

أما حق المرأة فى الميراث ، فالمفروض أنها ستكون زوجاً ؛ لأن هذه هى وظيفتها التى هيأتها لها الطبيعة ، فإذا أخذت نصف أخيها فى الميراث ستأوى إلى من يتكفل بعيشها والنفقة عليها ، فيكون نصيبها ونصيب زوجها مساوياً لنصيب أخيها وامرأته ، وهذه هى العدالة بعينها . فلا بد من تفهم الإسلام قبل أن نجهر بهذه الآراء الفجة التى تدل على تسرع المرأة وانفعالها وسرعة تأثرها وعدم إصغائها لنداء العقل بل لصوت العاطفة .

محمد الدسوقى

المدرس بمعهد التربية العالى

اقـــرأ

نتيجة الاستفتاء

بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٤ صار إحصاء وفرز الأصوات الواردة فبلغ عددها ٢٧٠٩ بنسبة ١٨٪ من النسخ التى توزع شهرياً

نال الكتاب رقم ٨ « مذكرات دجاجة » للدكتور إسحق موسى الحسينى بالقدس العدد الأكبر من استحسان القراء بنسبة ٣١٪ من مجموع الأصوات الواردة فاستحق جائزة « اقرأ » لسنة ١٩٤٣ وقدرها سبعون جنيهاً

فاز حضرة السيد مصطفى البارودى بدمشق بالاقتراع السرى من بين القراء الذين استحسنوا الكتاب الثامن فاستحق الجائزة المخصصة لذلك وقدرها ثلاثون جنيهاً

فازت سلسلة اقرأ باهتمام وتقدير وتشجيع القراء فى جميع البلاد العربية .

جولة في الفردوس

مع الشاعر المبدع ميخائيل نعيمة

للأستاذ رديني خشبة

« إلى روح أبى العلاء ، بمناسبة أسبوعه فى لبنان الصديقة »

استطاع شاعر لبنان المبدع ميخائيل نعيمة أن ينقلنا معه على أجنحته الأثيرية إلى جنته الوارفة الظلال ، التى غرسها خياله الواسع الشاسع العلوى العجيب .

صحبناه فيها ساعة ، بل ساعات ، فى مجموعته الشعرية الرقيقة « همس الجفون »[1] التى جمعت طائفة من أشعاره الباهرة الممتعة من نظمه بين سنتى ١٩١٧ و ١٩٣٠ ، بعضها بالعربية وبعضها بالإنجليزية ، مترجماً إلى العربية بالشعر المنثور ، فما راعنا إلا أن نرى شبحين ، أو طيفين بلازماننا فى رحلتنا إلى هــذه الجنة العجيبة غُدُوًّا ورواحا . . . أحدهما عن يميننا ، وكان عابساً متجهماً ، منقبض القلب ... كاسف البال ، منطوياً على نفسه ، غائر العينين مظلمهما ... وقد وقف عند الباب فلم يدخل معنا ... ولم ندعه نحن للدخول ، لأننا لم نكن قد دعوناه لاصطحابنا فى هذه الرحلة البعيدة المدى ، بل لم نلق بالنا إلى عروجه معنا . أما ثانيهما فكان يدلف عن شمالنا ، وكان هاشاً باشاً ، ضحوكا طروباً . . . تشيع فى أعطافه نشوة تشبه الخُمار ، فهو يتثنى ويتمطى ... ونحن ننظر إليه ، ولا نستطيع أن نفهم عنه هــذا التخلّج ولا ذاك الاضطراب . . . فلما انفتح باب الجنة كان أسبقنا إليها دخولا ، وأعرفنا بها مسالك ودروباً . ثم ابتعد عنا وغاب بين الأشجار عن أنظارنا ، وسمعنى شاعر لبنان أردد من شعره ، وقد سمعت نغماً ينبعث من أقدام ذاك الطيف :

من ذلك ، بين الأشجار   يمشى خيـــال من نار
هو يضرب عوداً والأشجا   ر تئن لشكوى الأوتار
الزهر يُنكّس تيجـــانه   والحور يُلملِم أغصـــانه
والريح تمـــر على أوتار   العود فتخنق ألحانه ![1]

فتبسم وقال : هذا النيسابورى عمر الخيام . فقلت : ليته رأى شيئاً كهذا فى حياته ، إذن لكان آمن وكفى نفسه شر هــذا الشك الذى باعد بينه وبين هــذا الفردوس ! إنى لأسمعه الآن وهو ينشد :

عدم آخر الوجود ، فصاحى   هات راحاً أغدو بها غير صاح
وأدرها ريحانة الأرواح
لست شيئاً بعد الممات فهبنى   لست شيئاً قُبيله ، واصطحبنى
نقتل الوقت لذةً وانشراحا   وغولاً ونشوةً وانطرابا[2] !

فأرثى له ، لأنه نفى أن يكون شيئا بعد الموت ، وها هو ذا يسمو بروحه بين أيديكم يا معشر الشعراء إلى حيث تذهبون من هذه الجنات التى تغرسونها اليوم ... له الله !.. أين ولى ؟ . . . فقال صاحبى اللبنانى : لقد ذهب يلتمس ريحانة الأرواح فى ظل تلك الكرمة النائية ، فهلم نذهب إليه ، فقلت : عجبا لك يا صاحبى ! ألا تزال مشوقاً إليه مشغوفاً به ، وأنت من أنت فى هــذه الجنة الفيحاء ؟ أليس بحسبك ما ترسّمت خُطاه ، حين قلت فى همس جفونك ، من أوراق الخريف :

عودى إلى حضن الثرى   وجددى العهـــود
وانسى جمالاً قد ذوى   ما كان لن يعود
كم أزهرت سوسانةٌ   وكم ذوَتْ ورود
فلا تخافى ما جرى   ولا تلومى القـــدرا
فمن أضاع جوهراً   يلقـــاه فى اللحودْ
عودى إلى حضن الثرى ![3]

وأردت أن أردد من أشعاره ما ردد فيهــا من معانى النيسابورى عمر الخيام ، لولا أن تجهم قليلاً ، وقال مقاطعاً : لكنك تبدّل بعض الكلمات فى شعرى ولا ترويه كما نظمته ... فاعتذرت إليه بأنى إنما أروى الذى علق بالذاكرة ، وقد لا تؤتمن الذاكرة فى غالب أمرها

ثم انطلقنا إلى حيث جلس الخيام فى ظل كرمة ، وقد وقف أمامه مخلوق عجيب يحاسبه ويشتط عليه فى الحساب ...

(١) طبعته مكتبة صادر ببيروت طبعاً أنيقاً وثمنه ٤٠ قرشاً مصرياً

(١) همس الجفون ص ٤١   (٢) رباعيات الخيام للبستانى ص ٧٣
(٣) همس الجفون ص ٤٥

فلما سألت صاحبي اللبناني عن هذا المخلوق الأديب المتمكّن ، ذكر لي أنه زهير بن نُمَيْر ، شيطان ابن شُهيد ، الذي ألهمه رسالته « الزوابع والتوابع » . فقلت له : وما زهير بن نمير في هذه الجنة ، وهو شيطان ! ؟ فتبسم صاحبي ثم قال : لعله ما أوى إلى هذه الجنة إلا ليحاسبني أنا ، لا ليحاسب الخيام ... فامض بنا ، وليكفني الله شره ! فقلت له : وما ذا تخشى منه ؟ إني لأراك تفرق أشد الفرق ! فقال : أخشى منه تحذلقه وتشبثه السخيف بالعربية الصحيحة الفصحى ؟ فقلت : أتعد التشبث بصحة اللغة وفصاحتها سخفاً ؟ ! والله لنشركنه في هذا الأمر إذن ! يا زهير ... يا زهير ... يا زهير بن نمير ... ولم أزل أهتف به حتى شغلته عن الخيام وعم نحونا . ولم يُحَيِّ ولم يُبَيِّ ، بل عبس عبوسةً مظلمة قاتمة ثم قال : ويحك أيها اللبناني ! أتدع أستاذك وابن جلدتك وفخر بلادك ... دُرة المعرّة أبا العلاء العظيم ، بباب هذه الجنة ، فلا تدعوه ولا تكلمه ، وتترك تلميذه هذا الخراسانيّ ، ينفتل إليها ويعيث فيها ، ويبحث أول ما يبحث عن أمّ عنب فينبطح في ظلها ؟ من علمكم غرس الفراديس والتقلب في أفياء الجنان غير أبي العلاء ؟ وأنت مع ذاك تقول لصاحبك إنك تخشاني وتفرق من محاسبتي لتشبثي الذي تنعته بالسخف ، بالعربية الصحيحة الفصحى ؟ ولكن ، لا والله ... فلن يكون قاضيك إلا ذاك الذي تركته عند باب جنتك دون أن تدعوه إليها ... فعد أدراجك إليه ثم كفر له عن ذنبك ، ويشرفني أن أكون في إثرك مشاركاً في الدعوة عسى أن يغفر لك الشيخ !

ورأيت جبين صاحبي يُقطِّب تقطيباً شديداً ؛ وما كاد يخطو خطوة إلى وراء حتى انطوت أرض الفردوس تحت قدميه ، وتحت قدمي ، فكنا عند الباب من قدمنا ، وإذا سيدنا أبو العلاء ينظر إلينا بكلتا عينيه الغائرتين ، وقد رد إليهما الله القدير نورهما ثم يبتسم ... وكنت أسبق إليه من صاحبي بالتحية التي حيانا بأحسن منها . وإذا كان أمر زهير بن نمير عجيباً ، حين عرف ما تحدث به صاحبي ولم يكن معنا ولا قريباً منا ... فقد كان أمر أبي العلاء العظيم أعجب ... لقد هوّن على الشاعر اللبناني المبدع ما قال زهير ، وما عنف عليه به ، ثم أخذ يعاتبه هذا العتب الظريف اللطيف الحلو ، دون أن يدخل الجنة :

ما ذا يا جفيد الأحفاد ، وسليل العُرب النجُب الأمجاد ! فيمَ ضربك في بيداء الشك وأنت أكبر آية على الحق الذي تبكي من أجله دون أن تهتدي إليه ؟ لماذا تعيش كما عشت من قبلك موزعاً بين الفلسفات والوساوس ، مقسماً بين الظلام والنور ، قلقاً بين الرجاء واليأس ، مضطرباً بين الضلال والإيمان ؟ لشد ما رثيت لك حينما انتهى إليّ قولك :

فإذا ما راح فكري عبثاً ... في صحارى الشك يستجلي البقاء
مر منهوكاً بقلبي فجثا ... تائباً يمتص من قلبي الرجاء
وإذا ما أملي يوماً مشى ... تائهاً في مهمه العيش السحيق
عاد لما كاد يقضي عطشا ... يحتسي الإيمان من قلبي الرقيق
وإذا الإيمان ولى والرجا أضحى ضرير
فلينم قلبي إلى أن يُنفخ البوق الأخير !

لقد قلت عني مرة : « وهذا الرجل عينه ، من بعد ألف سنة مرت على انعتاقه من حياته المرة ، يفتح لي ، وللكثير سواي باب منزله على مصراعيه قائلاً : « تفضلوا وادخلوا »[1] وهذا هو الذي يؤلمني ويقض مضجعي في ظلمات قبري ياصديقي العزيز ... فلشد ما يضاعف آلامي أن أكون سبباً في هذه البلبلة التي تملأ خيالك وتجعله شروداً هائماً ، كما تملأ خيال غيرك من الشعراء الذين تأثروا بي ومشوا على دربي وانتهجوا نهجي . لقد كنت أفكر بآلامي ، وكانت الظلمات التي تملأ عيني تتدجى في فؤادي . وكانت زيارتي للاذقية ، ولبثي بديرها ، فتنة لي وعاصفة في إيماني ... ولكن ما بالكم أنتم يا شعراء القرن العشرين ، ومفكري عصور النور والمدنية ، الضاربين بين العالمين القديم والجديد ... ما بالكم تنظرون إلى الدنيا بأعيننا ، وتفكرون فيها بأداة تفكيرنا ؟ لقد تكشفت لكم عن مئات من الأسرار التي كنا نجهلها ، ونقف منها موقف الحدس ، بل موقف التخمين والترجيم ... فلماذا لا تؤمنون ؟ لماذا لا تملأونها نوراً على نور وبهجة على بهجة ؟ ثم ما هذا الذي أسمعك تتغنى به :

كحل اللهم عيني ... بشعاع من ضياك كي تراك
في جميع الخلق ، في دود القبور ... في نسور الجو ، في موج البحار

---

(1) هلال يونيه ١٩٣٨ من مقال الشاعر عن أبي العلاء

٢ـ القضايا الكبرى فى الإسلام

قتل الحــلاج

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

الحلاج هو الحسين بن منصور من أهل البيضاء ، وهى بلدة بفارس ، وقد نشأ بواسط من مدن العراق ، وصحب أبا القاسم الجُنَيْدَ وغيره من أكابر المتصوفة . ولم تكن أسرته قديمة عهد بالإسلام ، بل كان جده مجوسياً ، ومن شأن من يكون حديث عهد بدين أن يأخذ فيه طريق التشدد ، فرأى الحلاج أن يأخذ فى إسلامه طريق التصوف والزهد ، وأن يبالغ فيهما إلى أقصى حد . وقد سار من العراق إلى مكة فأقام بها سنة فى الحِجْر ، لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفاً . وكان يصوم الدهر ، فإذا جاء العشاء أحضر له القَوَّامُ كوز ماء وقُرْصاً ، فيشرب الماء ، ويَعَضُّ من القرص ثلاث عضات من جوانبه فيأكلها ويترك الباقى فيأخذونه ، ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد آخر النهار . وكان شيخ الصوفية يومئذ بمكة عبد الله المغربى ، فأخذ أصحابه ومشى إلى زيارة الحلاج فلم يجده فى الحجر ، وقيل له قد صعد إلى جبل أبى قُبَيْس ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوف الرأس ، والعرق يجرى منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه ، وقال : هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله ، سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته

ثم عاد الحلاج إلى بغداد فمضى فى إظهار الزهد والتصوف ، وجعل يظهر الكرامات للناس ، فيخرج لهم فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويمد يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم قد كتب عليها — قل هو الله أحد — ويسميها دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه فى بيوتهم ويتكلم بما فى ضمائرهم ، فافتتن به خلق كثير ، واعتقدوا فيه الحلول ، واختلف الناس فى أمره اختلافاً كبيراً ، فمنهم من قال : إنه حَلَّ فيه جزء إلهى ، وادعى فيه الربوبية ، ومنهم من قال : إنه وَلِيٌّ من أولياء الله تعالى ، والذى يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ، ومنهم من قال : إنه مُشَعْبِذٌ ومُمَخْرِقٌ وساحر كذاب ومُتكهِّنٌ ، والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة فى غير أوانها

فى صهاريج البرارى ، فى الزهور
فى الكلا ، فى التبر ، فى رمل القفار
فى قروح البرحى ، فى وجه السليم
... ...

ما هذا الكلام يا أخى ... مادود القبور ، وما هذا الدود الكثير الذى تملأ به أشعارك ، وما صهاريج البرارى ، وما قروح البرحى ؟ أهذا من جملة ما علمتك يا ميخائيل ؟ هل فتحت لك بابى لتملأ أشعارك بدود القبور وصهاريج البرارى وقروح البرحى ! أعوذ بالله يا صاحبى ... أعوذ بالله !

وهل هذه هى بدائع خلق الله التى تراه فى مغانيها ؟ ثم ما هذا التفريط فى سلامة العربية يا حفيد العرب الأمجاد ؟ ...

وكيف تكسو عرائس أشعارك هذه المزق وتلك الأسمال ؟ أنظر إليهن كيف يعشين فى استحياء مما أضفيت عليهن ...

وهنا هز زهير بن نمير أعطافه تيهاً وعجباً ، ثم دس فى الحديث أنفه وقال : حاسبه يا فخر العرب ، وذخيرة اللغة والأدب ، على هذه الهنات : يشمخ أنفه[1] وَرَدانا الخزى والعار[2] والرعد يدوى[3] ونَجْع القتيل[4] ولا يكف الضرب[5] والأحلام والشك والآلام والأيام أطلوا[6] وكل هذا فى ربع الديوان الأول، بدل يشمخ بأنفه، وأردانا، ويُدَوِّى بالتشديد ، ونجيع ، ولا يكف عن، وأطلّت . فقال أبو العلاء : صه يا نمير صه ... إن من المصريين من يعيبون على الناقد ما يأخذ على الشاعر أو الأديب ما يقع فيه من اللحن ، كأن اللغة صارت من الهوان بحيث لا يقام لها وزن ... على أننى أجلك يا ميخائيل عن مراتب اللحّانين بقدر إجلالى لك عن التردى فى مهاوى الشك . ورجائى ألا تضيق بى ، وأستودعك الله وأدعو لك . والسلام عليك ورحمة الله . عشتَ للعرب وأغنية الأدب»

ولا أدرى والله كيف عدنا إلى هذه الأرض ، ولا كيف وقع لى هذا الحديث . والذى أذكره أن زهير بن نمير أراد أن يخوض فى حديث صاحبه فصرفه أبو العلاء ، ولعل لذلك عودة

دريني خشبة

(١) ص ١٢

(٢) ص ١٦ (٣) ص ١٨ (٤) ص ٣٢
(٥) ص ٣٠ (٦) ص ٣٨

وكان ذلك فى عهد المقتدر بالله العباسى ووزيره حامد بن العباس ، وقد تولى له الوزارة بعد أبى الحسن بن الفُرات ، وكان قبلها يقوم بأعمال واسط ، فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه وكثرة أتباعه ، وأن له أربعمائة مملوك يحملون السلاح ، فأمره بالحضور من واسط فحضر وقبض على ابن الفرات ، وقد أقام حامد فى دار الخلافة ثلاثة أيام ، فكان يتحدث مع الناس ويضاحكهم ويقوم لهم ، فبان للخدم ولأبى القاسم بن الحوارى وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة ، وقال له حاجبه : يا مولانا ، الوزير يحتاج إلى لبسة وجلسة وعبسة . فقال له : تمنى أن نلبس ونقعد فلا نقوم لأحد ، ولا نضحك فى وجه أحد ، ولا نحدث أحداً ؟ قال : نعم . فقال له : إن الله أعطانى وجهاً طلقاً وخُلقاً حسناً ، وما كنت بالذى أعبس وجهى وأقبح خلقى لأجل الوزارة . فعابوه عند المقتدر ، ونسبوه إلى الجهل بأمور الوزارة ، فأمر المقتدر بإطلاق على بن عيسى من محبسه ، وكان وزيراً للمقتدر قبل ابن الفرات ، وجعله يتولى الدواوين كنائب عن حامد ، فكان يراجعه فى أمور الدولة ، ويصدر عن رأيه فيها ، ثم استبد بالأمر دونه ولم يبق له من الوزارة إلا اسمها ، حتى قيل فيهما :

هذا وزير بلا سَوادٍ وذا سواد بلا وزير

وكان هذا سبباً فى اضطراب الأمور ببغداد ، فضعفت هيبة السلطنة ، وطمع اللصوص والعيَّارُون ، وكثرت الفتن ، وكُبِسَتْ دور التجارة ، وأخذت بنات الناس فى الطريق المنقطعة ، وكثر المفسدون فى الأرض

وقد نقل إلى حامد وهذا شأنه عن الحلاج ما يفعله فى بغداد ، وأنه احيا جماعة من الناس بعد موتهم ، وأن الجن يخدمونه ويحضرون عنده ما يشتهى ، وأن الناس قد فتنوا به وقدموه على جماعة من حواشى الخليفة ، وأن نصراً الحاجب وغيره من الحاشية قد مال إليه ، فاهتم حامد بأمره ، وطلب من المقتدر أن يسلم إليه الحلاج وأصحابه ، فدفع عنه نصر الحاجب عند المقتدر ، ولكن الوزير ألح على المقتدر حتى سلمه إليه

ومن هنا تبدأ قضية الحلاج التى اختلف الناس فى أمرها اختلافاً كبيراً ، وسندلى برأينا فيها بعد أن نفصل أمرها من أولها إلى آخرها ، وقد أخذ حامد الوزير فى التحقيق مع الحلاج قبل أن يقدمه إلى القضاء ، ليبين التهمة التى ينسبها إليه ، ويطلب من القضاء أن يحاكمه على أساسها ، فأحضر شخصاً يعرف بالشمرى وغيره ممن قيل إنهم يعتقدون فى الحلاج الألوهية ، وقد قررهم فاعترفوا بأنه قد صح عندهم أنه إلٰه ، وأنه يحيى الموتى . ومما ينسب إلى الحلاج فى ذلك أنه كان يقول : أنا الحق . ويقول : ما فى الجُبَّة إلا الله . ولكن الحلاج أنكر ما نسبوه إليه ، وقال : أعوذ بالله ان أدعى الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله عز وجل

فلم يقبل منه حامد هذا الإنكار ، وأحضر القاضى أبا عمر محمد بن يوسف والقاضى أباجعفر بن البُهْلول وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود ، فاستفتاهم فيما أقر به الشمرى وغيره من نسبة الألوهية إلى الحلاج ، فقالوا : لا يفتى فى أمره بشىء إلا أن يصح عندنا ما يوجب قتله ، ولا يجوز قبول قول من يدعى عليه ما ادعاه إلا ببينة أو إقرار

فاجتهد حامد فى أن يأخذ إقراراً من الحجاج بما نسبه إليه الشمرى ، وكان يخرجه كل يوم إلى مجلسه ويستنطقه فلا يظهر منه ما يخالف الدين ، وقد طال الأمر على ذلك وحامد مُجِدٌّ فى أمره ، وكان يحاول أن يجد ما يستحل به دمه ، وجرى له فى ذلك قصص يطول شرحها . ثم عثر أخيراً على كتاب للحلاج وجد فيه بغيته ، لأن الحلاج ذكر فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شىء من النجاسات ولا يدخله أحد ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله ، وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع ثلاثين يتيماً ، ويعمل أجود طعام يمكنه ، ويطعمهم فى ذلك البيت ويخدمهم بنفسه ، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم ، فإذا فعل ذلك كان كمن حج

فأحضر حامد القاضى أبا عمر ، فلما قرئ عليه ما ذكره الحلاج فى ذلك الكتاب قال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الإخلاص للحسن البصرى . فقال له : كذبت يا حلال الدم ، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا . فلما قال له يا حلال الدم وسمعها الوزير قال له : اكتب بهذا . فدافعه القاضى ؛ فألزمه

الوزير ، فكتب بإباحة دمه ، وكتب بعده من حضر المجلس .

ولما سمع الحلاج ذلك قال : ما يحل لكم دمي ، واعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ، ولي فيها كتب موجودة ، فالله الله في دمي

ثم كتب الوزير إلى المقتدر يستأذنه في قتله ، وأرسل الفتاوى إليه ، فكتب إليه المقتدر : إذا كان القضاة قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة ، وليتقدم إليه فيضربه ألف سوط ، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم يضرب عنقه . فسلمه الوزير إلى الشرطي ، وقال له ما رسم به المقتدر ، وأوصاه إن خدعه وقال له أنا أجرى الفرات ودجلة ذهباً وفضة ألا يسمع منه ، ولا يرفع العقوبة عنه ، فتسلمه الشرطي ليلا ، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع وقيل لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة ، فأخرجه عند باب الطاق ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم ، ثم ضربه الجلاد ألف سوط فلم يتأوه ، بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : أدعُ بي إليك ، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية . فقال له : قد قيل لي عنك أنك تقول هذا وأكثر منه ، وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ، ثم حزّ رأسه وأحرق جثته ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر ، وانتهت بذلك مأساة هذه القضية

وقد اختلف العلماء في هذا الحكم اختلافا كبيراً ، ففريق يرى أنه حكم صحيح ، لأن الحلاج قد ارتد عن الإسلام بدعوى الألوهية ، وهذا رأى باطل ، لأن الحلاج قد تبرأ من اعتقاد بعض أتباعه فيه أنه إله ، ولا يصح أن يؤخذ شخص باعتقاد فاسد يراه فيه غيره

وفريق على رأسه الإمام الغزالي يبالغ في تعظيم الحلاج ، ويعتذر عن الألفاظ التي تفوه بها مثل قوله : أنا الحق ، فحملها في كتابه مشكاة الأنوار على محامل حسنة ، وذكر أن هذا من فرط المحبة وشدة الوجد . وقد تفوه كثير من الصوفية بأمثال هذه الأقوال ، فقبلها منهم أهل عصرهم ، ولم يحكموا بكفرهم كما حكم أولئك القوم بكفر الحلاج ، وهذا مثل قول بعضهم :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن رُوحان حللنا بدَنَا
فإذا أبصرتني أبصرتَهُ ... وإذا أبصرتَهُ أبصرتَنَا

وهذا اعتذار غير مقبول ، لأن أولئك المتصوفة يذهبون في تلك الأقوال مذاهب معروفة قال بها بعض الفلاسفة قبل الإسلام وبعده ، وليسوا أول من قالها حتى تؤول ذلك التأويل لهم ؛ على أن الحلاج قد تبرأ من تلك الأقوال ، فلا معنى لذلك الاعتذار عنه

وفريق يرى أن الحلاج قد تفوه بتلك الألفاظ كالفريق الثاني ، ولكنه يرى أنه لا يعذر فيها كما يعذر غيره من المتصوفة لأنه قالها في حال صَحْوه ، ولم يقلها في حال غيبوبته مثلهم ، وبهذا استحق حكم القتل الذي حكم عليه به

وكل هذا كما ترى بعيد عما يرويه التاريخ في تحقيق تلك القضية ، فهو لم يحكم عليه فيها بتلك الألفاظ التي تبرأ منها ، وإنما حكم عليه بما جاء في بعض كتبه عمن أراد الحج ولم يمكنه . وإني أرى أن هذا الحكم باطل شكلاً وموضوعاً ، فأما بطلانه شكلاً فلأن القاضي أبا عمر حصل منه أثناء التحقيق ما كان يجب أن يرد به عن الحكم ، وهو قوله للحلاج — كذبت يا حلال الدم — وكان ذلك فلتة لسانية لم يدركها إلا بعد وقوعها . فلما قال له الوزير أكتب بهذا دافعه ، فألزمه فكتب بإباحة دمه . ولا شك أن هذا صريح في أن القاضي لم يكن يرى أنه يستحق الحكم بإباحة الدم ، ولكنه ألزم بهذا الحكم إلزاماً ، وقد أمضاه وهو يرى ما يحيط به من الظلم والفساد ، فلم يأمن على نفسه نقمة الوزير إن امتنع عنه ، ولهذا كله كان ذلك الحكم باطلاً شكلاً

وأما بطلانه موضوعاً ، فلأن ما ذهب إليه الحلاج فيمن أراد الحج ولم يمكنه لا يستحق الحكم بالقتل ، وما هو إلا بدعة من البدع الفاسدة التي ابتدعت في الدين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ابتدع في ديننا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ عليه . فقضى على المبتدع بأن يرد عليه ما ابتدع ، ولم يقض بكفره ولا بإهدار دمه ، وما بدعة الحلاج في الحج إلا كبدعة غيره في إسقاط الصلاة وغيرها من البدع التي ظهرت في الدين ، ولم يحكم على أصحابها بكفر ولا بقتل

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥١٥ — وليتك تسلم ...

فى (تاريخ بغداد) : قال الإمام أحمد بن حنبل للامام حاتم الأصم : أخبرنى (يا حاتم) فيم التخلص من الناس ؟

قال : يا أحمد ، فى ثلاث خصال

قال : وما هى ؟

قال : أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً ؛ وتقضى حقوقهم ولا تستقضى أحداً منهم حقاً لك ؛ وتحتمل مكروههم ولا تكره أحداً على شىء.

فأطرق أحمد ينكت بأصبعه على الأرض ، ثم رفع رأسه ثم قال : يا حاتم ، إنها لشديدة !

فقال له حاتم : وليتك تسلم ، ليتك تسلم ، ليتك تسلم ...

٥١٦ — إن الغناء زاد الراكب

خرج عمر للحج فسمع غناء راكب يغنى ـ وهو محرم[1] ـ فقيل : يا أمير المؤمنين ، ألا تنهاه عن الغناء وهو محرم ؟

فقال : دعوه فإن الغناء زاد الراكب

* قال رجل للحسن البصرى[1] : ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد ؟

فقال : نعم العون الغناء على طاعة الله ؛ يصل الرجل به رحمه ، ويؤاسى صديقه

* دخل الشعبى وليمة فأقبل على أهلها فقال : مالكم كأنكم جمعتم على جنازة[2] ؟! أين الغناء والدف[3]

* ابن جريج : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء[4] ، فقال لى : لا بأس بذلك

* فى (رسائل إخوان الصفاء) : الموسيقار إذا كان حاذقاً بصنعته حرك النفوس نحو الفضائل ، ونفى عنها الرذائل

* فى (من غاب عنه المطرب) للثعالبى : كان بعض المتكلمين يقول : قد اختلف الناس فى السماع فأباحه قوم وحظره آخرون ، وأنا أخالف الفريقين فأقول بوجوبه لكثرة منافعه ومرافقه ، وحاجة النفوس إليه ، وحسن أثر استمتاعها به

٥١٧ — رأى لا يتكلم خير منه دية

فى (معجم البلدان) لياقوت : أبو إسحق الكرانى أحد كتاب الإنشاء فى ديوان عضد الدولة[5] نيابة عن أبى القاسم[6] عبد العزيز بن يوسف . وله قصة مع عضد الدولة ظريفة ، وذلك أنه أنشد عضد الدولة فى بعض الأيام قصيدة مدحه بها ، وقال فيها وقد تأخر عنه جاريه[7] :

أمن الرعاية يا ابن كل مملك ... رفعت له فى المكرمات منار[8]

(١) أحرم الرجل إذا أهل بالحج أو بالعمرة ، وباشر أسبابهما وشروطهما من خلع المخيط واجتناب الأشياء التى منعه الشرع منها كالطيب والصيد وغير ذلك (النهاية)

(١) البصرة بفتح الباء ، ويقال فى النسبة بصرى بالوجهين

(٢) (الجنازة) بالفتح والكسر والكسر أفصح (المصباح)

(٣) الدف بالضم والفتح لغة فيه

(٤) (الحداء) بالضم والكسر : غناء الرجل للابل

(٥) الملك الأديب ممدوح المتنبى

(٦) قال الثعالبى : أبو القاسم أحد صدور المشرق وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة معدوداً فى وزرائه

(٧) جاريه : المال الذى أجراه السلطان عليه

(٨) المنار : جمع منارة وهى العلامة تجعل بين الحدين . وفى الحديث إن للاسلام صوى ومناراً ، أى علامات وشرائع يعرف بها

والحق أن الحلاج كان مشعبذاً اتخذ التصوف ستاراً له ، وأن التحقيق فى قضيته كان يجب أن يتناول تلك الشعبذات التى كان يظهرها للناس على أنها كرامات ، ليظهر لهم فسادها ، ويتبين لهم أمر الحلاج على حقيقته ، والحكم الذى كان يستحقه على ذلك هو التعزير بالحبس أو غيره ، ولكنهم أرادوا أن يبالغوا فى الحكم زجراً لأصحابه فجاء بعكس مقصودهم ، لأن أصحابه بعد قتله جعلوا يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوماً ، واتفق أن دجلة زادت فى تلك السنة زيادة وافرة فادعوا أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها ، وقد ادعى بعضهم أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه على عدو له .

عبد المتعال الصعيدى



والعاديات ضبحا

يقول العالم الدكتور زكى مبارك فى مقاله « إلى أصدقائى فى لبنان » فى هذا الأسبوع فى « المصرى » الغراء :

« مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها ، وهو المجد الجدير بالخلود ، وقد أقسم الله بالقلم ولم يقسم بالسيف »

قلنا : إن من حفظ كتاب الله معنا قد سها باله عن قوله تعالى : (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ـ إن الإنسان لربه لكنود)

والقسم بالخيل هو مثل القسم بالسيف . والخيل من العدد التى أمرنا الله فى « الكتاب » بإعدادها للدفاع وللجهاد بقوله :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

قال شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (رحمه الله ورضى عنه) فى تفسير تلكم الآيات الكريمات فى (سورة العاديات) :

«أقسم بالخيل متصفة بصفاتها التى ذكرها، آتية بالأعمال التى سردها، لينوه بشأنها، ويعلى من قدرها، فى نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ... وكان فى هذه الآيات القارعات وفى تخصيص الخيل بالذكر فى قوله : وأعدوا لهم الآية ... وفيما ورد من الأحاديث التى لا تكاد تحصى — ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون فى مقدمة فرسان الأرض مهارة فى ركوب الخيل ... أفليس من أعجب العجب أن ترى أمماً ، هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية إلى أن صار يشار إلى راكبها بينهم بالهزؤ والسخرية ... ؟

أليس من أغرب ما يستغرب أن أناساً يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل ، وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم المشار إليهم بالبنان عند ما كنت أكلمه فى منافع بعض العلوم وفوائدها فى علم الدين — أن قال : (إذا كان كل ما يفيد فى الدين نعلمه لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب الخيل) يقول ذلك ليفحمنى ، وتقوم له الحجة على ، كأن تعليم ركوب الخيل مما لا يليق ، ولا ينبغى لطلبة العلم ... »

وبعد فقول الزميل الجليل : « مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها » قول حق . وإنها لظافرة — وهناك تلك العزائم والهمم — بالمجدين عظيمين . و « العلم مذ كان — محتاج إلى العلم » كما قال عمارة اليمنى فى اليمية العبقرية ، وقد كان مجد وإنه ليعود ، ومن ساد فى القديم ورام العلاء فلا بد أن يسود . وألف سنة فى العز والسلطان لن يذهب سدى . وكتاب الله نتلوه كل يوم ، وفيه تحريض ، وفيه تحضيض ، وفيه تذكير ، وفيه تبشير ، وفيه الضياء ، وفيه الهدى « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون »

«القاهرة» أزهرى

أن يقطع الجارى اليسير عن أمرئ
ردفت كتابته لك الأشعار ؟

يا صاحبىّ ، دنا الرحيل فذللا
قلص الركاب تحثها السفار(١)

الأرض واسعة الفضاء بسيطة
والرزق مكتفل به الجبار(٢)

فالتفت عضد الدولة إلى أبى القاسم المطهر بن عبد الله وزيره ، وقد غاظه ما سمعه ، وقال له : أنت عرضتنى لهذا القول . أطلق جاريه ، ووفه ما فاته منه . فلما خرج أبو القاسم المطهر من بين يدى عضد الدولة قال للكرانى : أظنك قد كرهت رأسك ! فقال له : أيها الأستاذ ، رأس لا يتكلم خير منه دبة(٣)

محمد إسعاف النشاشيبى

---

(١) القلوص : من الابل الشابة (الركاب) الابل ، والواحدة راحلة
(٢) المعروف كفل وتكفل ، واكتفل تجوز مجازا
(٣) الدبة : جلة من الزجاج خاصة ، ظرف للبزر والزيت والدهن

نجمة الأسلوب

قضيت ما قضيت من زمانى وأنا نهبة للنمائم ، ولم يبق من البلية إلا أن ينم على أسلوبى . وكنت أظنه يحفظ أسرارى ، عفا الله عنك يا أسلوب المبارك !

أقول هذا وقد حاول ناس أن يقلدوا أسلوبى ليؤذونى ، كالذى يصنع الكاتب المجهول ، والكاتب المعروف ، والدكتور بديع الزمان ، والسيد فلان ؛ والفتى الأزهرى ، والأستاذ الجامعى ، وهى أسماء رجال من تلاميذى ، فلله الحمد وعليه الثناء

وأنا لن أخذل تلاميذى ، ولن أنهاهم عن تقليد أسلوبى ، لأنى دعوتهم إلى أن يكونوا صورة من روحى وعقلى وبيانى

ولكن من هذا الكاتب الذى يتبهنس فى العدد السالف من مجلة الرسالة فيحمل الدكتور زكى مبارك جرائر الكاتب المجهول ؟

من هذا الكاتب وهو لا يمضغ إلا كلاماً حاورنى به منذ عشرين سنة فى بيت القاياتى ؟

إنه يتمسح بالدين لينتصر على ، وليس هناك ، فالإسلام لا يعرف أمثاله ، لأنه دين حقائق لا دين أباطيل

ولو كان مسلماً صحيح الإيمان لستر أخطائى إن كنت من المخطئين ، ولكنه مسلم بالصورة لا بالحقيقة ، ولن يقام لتحديه ميزان ، لأنه أضعف من أن يقام لتحديه ميزان .

زكى مبارك

١ – الشيخ الشنقيطى

فى صباح الخميس الثامن من صفر سنة ١٣٦٣ توفى العالم الغزير العلم والرجل القوى العزم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى عن ٦٨ سنة . ولد رضى الله عنه فى بيت علم ورياسة بشنقيط ، وتلقى أكثر العلوم على كبار مشايخ القطر الشنقيطى من أقاربه وغيرهم ، ثم هاجر إلى مراكش فعلم به السلطان مولاى عبد الحفيظ فاصطفاه لأخذ العلم عنه ، ثم استأذنه وهاجر إلى المدينة المنورة فجاور هناك ، وبعد الحرب العامة الماضية سافر إلى دمشق فصحب شيخ القراءة فيها وأجازه بالقراءات ، ثم هبط مصر فندبته مشيخة الأزهر لتأليف كتاب يضم ما اتفق على تخريجه البخارى ومسلم ، فعكف على ذلك عشر سنوات ونيفاً ؛ وقد تم طبعه بأخرة فى ستة أجزاء . واختارته مشيخة الأزهر كذلك مدرساً بتخصص كلية أصول الدين ، وعضواً فى بعض اللجان العلمية ، ورجاه بعضهم أن يلقى محاضرة فى جمعية الشبان المسلمين ، فلما علا المنبر اقترحوا عليه أن تكون المحاضرة فى التاريخ فاقترحها[1] من صدره ، فعجبوا منه . وعرف مكانته كثير من أهل العلم والفضل بمصر فزاروه وحفلوا به ، رأيت منهم فى داره بعض جماعة كبار العلماء ومشايخ كليات الأزهر وغيرهم . وترك فى شنقيط والحجاز ومصر من التلاميذ والتآليف المطبوعة والمخطوطة ما يدون اسمه فى سجل الخالدين . ودفن بجوار العالم الصالح الشيخ محمد الجنبيهى بمقابر الإمام الشافعى . أفاض الله على قبره رحمة ونوراً وعوض الإسلام منه خيراً .

٢ – أديب الأندلس ابن زيدون

فى « أهرام » غرة فبراير عام ١٩٤٤ كلمة فى الدعوة إلى إحياء ذكرى الأديبين العظيمين الحسن بن رشيق وأبى الوليد ابن زيدون ، قال كاتبها إن وفاة ابن زيدون كانت سنة ٦٦٣ وأنه مضى عليها سبعة قرون . والصواب أن وفاته كانت سنة ٤٦٣ وهى السنة التى توفى فيها ابن رشيق المذكور ، على ما فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد » ، ودائرة معارف البستانى وغيرهما .

عدنان ...

(١) أى ارتجلها ، كما فى أساس البلاغة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 556

Lundi - 28 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٥ ــ دفاع عن البلاغة

٧ ــ الأســلوب

نعود إلى حديث البلاغة بعد أن صرفتنا عنه صوارف من توزع البال وفتور الطبع واعتلال الجسد . وكانت النية أن نترك بقية هذا الدفاع لينشر بجملته في كتاب ؛ ولكن رغبة القراء ما زالت تلح على هذه النية حتى تناولت القلم وأخذت أكتب :

سبق القول في الصفة الأولى من صفات الأسلوب الجامعة الثلاث وهي « الأصالة » وما تضمنته من صفات الدقة والصحة والصدق والطبْعية والوضوح [1] . وكلامنا اليوم في الصفة الثانية منها وهي « الوجازة » . وإذا كانت الأصالة هي الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق ، فإن الوجازة بإجماع الرأي هي حد البلاغة [2] . وإذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات ، فإنها في بلاغة العربية أصل وروح وطبع . وأول الفروق بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية . يظهر ذلك في مثل قولك : (قُتل الإنسان !) ، فإن الفعل في هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل ،

(١) راجع العددين ٥٢٢ ، ٥٢٤ (٢) راجع العددين ٤٩٤ ، ٤٩٦

وهى معان لا تستطيع أن تعبر عنها فى لغة أوربية إلا بأربع كلمات أو خمس. وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيز، والاقتصار على الجوهر، والتعبير بالكلمة الجامعة، والاكتفاء باللمحة الدالة؛ كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق، والإحاطة بالفروع، والاهتمام بالملابسات، والاستطراد إلى المناسبات، والميل إلى الشرح. ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط إلا بعد اتصالها بالآرية فى العراق والأندلس. ولا أقصد من وراء ذلك إلى تفضيل لغة على لغة، أو ترجيح أسلوب على أسلوب، فإن الاختلاف اختلاف جنسية وعقلية ومزاج. والتفصيل إذا سلم من اللغو كان كالإجمال إذا برئ من الإخلال؛ وكلاهما حسن فى موقعه بليغ فى بابه. وقد يكون التفصيل من الإيجاز إذا قُدِّر لفظه على معناه! فإن الإيجاز الذى نعنيه أن يدل اللفظ على المعنى ولا يزيد عليه؛ فإن كان ناقصاً عنه فهو إيجاز الحذف والقِصر، وإن كان مساوياً له فهو إيجاز التقدير والمساواة. إنما أقصد بذكر الإجمال والتفصيل إلى أن الأسلوب العربى الأصيل موسوم بالوجازة من أصل النشأة؛ لأنه أسلوب أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريعة الفهم، تشعر بقوة، وتعبر بقوة، وتفهم بقوة. وقوة الروح والقلب، وقوة العقل والخلق، تلازمهما قوة اللسان والقلم، أى البلاغة. والبلاغة الإيجاز، والإيجاز امتلاء فى اللفظ، وقوة فى الحبك، وشدة فى التماسك. ولا ترى التميع والتفكك والانتشار إلا حيث ترى الضعف فى شىء من أولئك. وملاك الإيجاز غزارة المعانى ووضوحها فى الذهن، وطواعية الألفاظ ومرونتها فى اللسان. وإنما يكون العى والثرثرة ومضغ الكلام من جدب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق أو نبوّ اللغة أو مجافاة الغرض. ومن الكلام المأثور: من ضاق عقله اتسع لسانه. اختصر فى صفة واحدة صفات البلاغة فى أساليب القرآن والحديث وأشعار الجاهليين وخطب الأمويين وكتب العباسيين، فلن تكون هذه الصفة غير الإيجاز. إقرأ قوله تعالى فى آخرة الطوفان: «وقيل يا أرض ابلعى ماءك، ويا سماء أقلعى، وغيض الماء، وقضى الأمر، واستوت على الجودى، وقيل بُعداً للقوم الظالمين»، وقول الرسول (ص) فى تقييد الحرية، وهو الذى أوتى جوامع الكلم واختُصر له الكلام: «إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ قال: هو مكانى أصنع فيه ما أشاء. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا»؛ ثم قول زهير فى حروب عبس وذبيان:

رعوا ما رعوا من ظِمْئهم ثم أوردوا ... غِماراً تسيل بالرماح وبالدم

فقضَّوْا منايا بينهم ثم أصدروا ... إلى كَلأٍ مستوبَل متوَخَّم

وقول معاوية لعائشة بنت عثمان وهى تثيره على قتلة أبيها: «يا ابنة أخى، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد. ومع كل إنسان سيفه، وهو يرى مكان أنصاره. وإن نكثنا نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا يكون أم لنا: ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين، خير من أن تكونى امرأة من عراض المسلمين» فهل تجد آية البلاغة فى هذا الذى قرأت غير الإيجاز وما يصحبه من الجزالة والجلالة والبروز والسبك؟ وهل تجد مصدراً لهذا الإيجاز المطبوع غير القوى المشبوبة فى النفوس والعقول والطباع؟ انحدر بعد ذلك رويداً إلى عهود الوهن والانحلال تجد التطويل وتوابعه من اللغو والحشو والسقط يزيد بزيادة الضعف، ويتقدم بتقدم الجهالة، حتى تسقط به على كتب الدواوين وعهود السلاطين فتدهش أن يكون فى خلق الله من يملأ مائة صفحة بالفِقر والأسجاع ولا يعنى بها شيئاً

لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب، لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة، فيدورون حولها مجمجمين بالكلم الفوارغ والجمل الجُوف. ومن جناية الصحافة على الأسلوب أن أكثر كتابها يؤثرون الكمّ على الكيف، فيكبّرون الصغير، ويطولون القصير، لأن الصحيفة تخرج كل يوم، ولا يجوز أن تخرج بيضاء! وقد كان أحد شيوخ الصحافة يدبج مقالاً فى نهرين طويلين كل صباح؛ فإذا نظرت فيه على أن تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٠٠)

لقد هان هذا الخطب !

للكاتب المجهول

لقد هان هذا الخطب ، وما كنت أنتظر أن يهون ، ولكن الدنيا بصروفها الغرائب تهوّن الخطوب ، وكان من شيمتها أن تجسّم الخطوب !

هان خطب القطيعة ، هان ثم هان ، واستشمرتُ رَوْح الخلاص ، وكنت أبغض الخلاص ، فيا عجباً لزمن يجمل بعدى عنكم شهوة يطمح إليها فؤادى !

ما بكيت على نفسى حين ودعتكم ، وإنما بكيت عليكم ، بكيت على دولة الُحسن التى ذهبت إلى غير مَعاد ، وبكيت على اللطف الذى حُـرِمتموه كما تحرَم الزهرة من العِطر بعد الذبول

ما تمثلُ أيامكم إلا تعجيب مما تصنع الدنيا بأهلها ، فما كانت لكم نظائر فى الُحسن واللطف ، ولا كانت لكم أشباه فى سماحة النفس وصفاء الروح

وبكيت أيضاً على نفسى ، فهـذا مُلكٌ ضاع من يدى ، مُلكٌ أضاعه الدهر الغادر الذى لا يُبقى على شىء ، والذى يستمد سطوته من قدرته على إدالة دولة اللطف والجمال

حُـرِمتُ بقطيعتكم آخر أمل يرجوه من يقف على المقابر ليؤدى التحية إلى أموات يحسبهم أحياء يتلقون تسليمات الأحياء

المقابر تسمع ولا تجيب ، وأنتم تجيبون ولا تسمعون بدليل أنكم تخطئون فى الجواب

لو أننى كنت البادىء بهذا الحب لرأيت لكم عذراً فى الصدوف عنى ، فما يتصدّق الأغنياء على الشعراء فى كل وقت ، وإنما كنتم البادئين وهذا فضلٌ لن أنساه إلى آخر الزمان ، فكيف تهدمون ما بنيتم ، وكان غاية فى متانة البناء ؟

هل تعود ليالينا ؟ هل تعود ؟

لن تعود ليالىّ معكم يا غادرين ، لأنكم لم تعودوا صالحين لإدراك ما يشتجر فى قلبى ، ولأن هواكم قد مات ، وما كنت أحسب أنه مما يجوز عليه الموت ، وقد كذبت على نفسى حين توهمت أن الهوى لا يموت

وأنا مع هذا فرح جذلان ، لأنى واثق بأنكم لا تعانون من آصار القطيعة بعض الذى أعانى ، ومن هواى أن تكونوا فى عافية من ثورة الوجدان ، لتعيشوا فى سلام

هل كان حبنا مزاحاً جد به الزمن فانهزم ؟

أنا كنت أجد ، وما خطر فى بالى أنكم كنتم هازلين ، وجِدُّ الهوى جد ، وهزله جد ، لو كنتم تعقلون

هل كنت حين أناجيكم أناجى وثناً بلا روح ؟

لو ناجيت الصخر لأنطقته بألطف المعانى ، فكيف عجزت عن رياضتكم على الوفاء ؟

ما أشد حزنى على ما ضيَّعتُ من ليالىَّ وأيامى !

لم نكن نعرف ما النهار وما الليل

أيامَ لا أدرى وإن سألتِ ما الفرقُ بين جُمعة وسبْت

ولم نكن نعرف أن للدنيا غدرات ينبو فيها جنب عن جنب ، وقلب عن قلب ، فترحلون عن مصر الجديدة إلى حلوان ، وهى بهجركم أبعد من أسوان

لو كنت أعرف أن فيكم خيراً لجعلت داركم دارى ، ولو سكنتم فى مقبرة تُشرف على عالم الفناء ، ولكن القدر أراد ما أراد فانتزع حبكم من فؤادى ، فأنا اليوم بلا حب وبلا فؤاد

إن إقامة صرح فوق أثباج البحر أبقى وأثبت من الحب الذى أقمته فوق روحكم ، والرُّوح من الرَّوح وهو النسيم ، وليس للنسيم ثبات

انقضى عهد الحب ، انقضى بالرغم منى ، فما فارقتكم إلا بعد أن صح عندى أن هواكم لم يكن إلا أسطورة لفّـقها الخيال

أينتهى غرامنا بمثل هذه النهاية فلا أسأل عنكم ولا تسألون عنى ؟

وهل كان البهاء زهير ملهماً حين عبَّر عما أريد فقال :

ملكتمونى رخيصاً فانحطّ قدرى لديكم
فأغلــق الله باباً دخلت منه إليكم
حتى ولا كيف أنتم ولا السلام عليكم

لن نتصافح إذا التقينا مصادفةً فى شارع فؤاد ، فالمصالحة من الصفح ، ولن أصفح عنكم أبداً ، ولو ضمنتم أن تعود معكم أيامى السوالف وليالىّ الخوالى

أنا فرح بما صرتم إليه ، فقد أنجاكم الله مما ابتلانى

ولكنى حزين مما صرتم إليه ، فلن تعانوا اشتجار العواطف بعد فراق ، واشتجار العواطف هو أثمن ما تتغذى به القلوب

وإنى لأشكر لكم صنيعكم ، فقد رحمتمونى من هاوية كنت سأتردى فيها إن طال حبى لكم ، وكان ثورة وجدانية تزلزل أقطار السماء

انتهينا من العتاب ، أليس الأمر كذلك ؟

وانتهينا من ليالى مصر الجديدة وليالى حلوان ، وانتهينا من الظُّهريات الجميلة بحديقة الشاى فى حدائق الحيوان ... هل تذكرون يا غادرين ؟

وانتهينا من جمع كُسارات الكأس المصدوع ، فى تلك الليلة ، وهى ليلة لن تعود ، ويا ليتها تعود ، فلو صرتم رمة بالية لرجوت أن أستروح منكم روح العطر النفيس

لا تسألوا عنى بعد اليوم ، فقد تبتُ توبة نهائية عن الغرام بالتماثيل ، وهى أبدان بلا أرواح

أنا أحسنت الظن بمن لم يكونوا لحسن الظن بأهل ، فلتعاقبنى المقادير بما تشاء ، وعدلٌ من الله كل ما صنع ، كما قال أستاذنا العباس بن الأحنف ، عليه رحمة الحب !

كانت غايتكم أن تستأثروا بقلبى ، وقد حاولت النجاة بقلبى فلم أفلح ، ثم كانت العاقبة أن نصير إلى ما صرنا إليه ، وما أفظع ما صرنا إليه !

الغدر مسخكم فأحالكم صورة ميتة برقشتها ريشة رسام جهول

هل تذكرون تاريخ العيون الكحيلة ، وكانت أجمل ما رأت العيون ؟

استفتوا المرآة ، ثم حاسبوا ضمائركم ، إن كانت لكم ضمائر ، لتعرفوا أن سواد عيونكم لم يكن إلا منحة خلعها عليكم سواد قلبى ، وهو قلب يمنح الرهبة والسحر لسواد الليالى وسواد الخيلان .

وقد استرددت تلك المنحة بعد أن أيقنت أنى خلعتها على من يكفر بالجميل ، ولست أغنى من الله وهو مع غناه عن الثناء يؤدب من ينعم عليهم فيطالبهم بالثناء

تخطَّروا إن شئتم فى شارع فؤاد ، وانظروا هل تلتفت إليكم عين أو يخفق لكم قلب ؟

أنا أبدعتكم إبداعاً لا نظير له ولا مثيل ، وغاب عنكم جميلى فجحدتم جميلى ، وغضبة الله والحب على من يجحد الجميل .

لن أبكى عليكم ، ولكنى سأبكى على أخلاقى ، وهى جديرة بالبكاء .

كنت أعتقد أنى من رجال الأخلاق ، ثم ظهر أن فى صدرى غريزة وحشية تشتهى الاقتتال والافتراس ، وإلا فما الذى يمنع من أن أنتصر على كبريائى فأسعى إلى داركم لأسأل عنكم ولأخلع عليكم بياض الوجوه وسواد العيون ؟

كنت أبدع البشاشة فى أرواح الملاح ثم صرت المنتقم الفاتك بأرواح الملاح ، فما أفظع جُرمى ، وما أسوأ صنيعى !

سأقتحم داركم بعد أيام أو أسابيع ، فما أدرى متى أنتصر على كبريائى

إنتظرونى ، إنتظرونى ، لتعرفوا أن خطب الفراق لم يهُن ولن يهون

سأصافحكم بيدى ، ألم أحدثكم أن المصافحة مشتقة من الصفح ؟

غفرت ذنوبكم ، غفرت ، ثم غفرت ، وأنا أول من يغفر ذنوب الجمال

عَرْبَدَ الُحسن بكم فأسأتمونى ، والحسن عِربيد ، ومن واجبى أن أغفر ذنوب العرابيد

كان لى منكم تاريخ هو أجمل التواريخ ، وكان رزقاً ساقه الله إلىّ ، والله حين يتفضل يمنح بلا حساب

أنا لا أعرف متى نتصافح ، لأن هذا لن يكون إلا بعد أن أتنازل عن كبريائى ، وهذا أملٌ بعيد المنال

سلامٌ عليكم يا أحباباً وفَـوْا ثم خانوا

أنا أعبد الجمال ، على شرط أن يعرف الجمال حقوق الوفاء

لن أزور داركم أبداً ، ولن أراكم ولن ترونى ، فقد حلّ عليكم غضبى وغضب العاشق الصادق نقمة تنزل من السماء

شرّقوا وغرّبوا فى طلب المستحيل ، فصفحى عنكم هو المستحيل

سأبدع بدائع جديدة ، وسأخلق فى دنيا الحب ما لا تعلمون ، فتناسَـوْا عهدى ، لتعيشوا فى أمان ، من جزع الوجدان

لن تستطيعوا الفرار من انتقامى ، ولن تخطروا بعد اليوم فى شارع فؤاد ، ولن تكونوا نهبة لأعين الحاسدين ، وألسن العاذلين ، ومن حق مَن يَخلق أن يُميت

سلامٌ على الهوى وسلامٌ عليه ، وألف سلام

***

أنتم تمردتم على سجن الحب ، فتمتعوا بالحرية التى اشتهيتموها جاهلين بالعواقب ، فما يتمرد على سجن الحب غير الصائرين إلى الفناء ...

كانت كلمتكم فى ساعة التمرد : Vous disposez de moi وهذا صحيح ، فقد كان من حق الهوى أن أتصرف تصرف المالك بالمملوك

لا تظنوا أنكم خرجتم من يدى ، ولا يخطر لكم فى بال أنى سأترك واجبى فى دفن حسنكم الذاهب إلى غيابات الفناء

هان خطبكم ، ثم هان ، وما كنت أحسب أنه سيهون ، ألم أقل إن الدنيا تصنع الغرائب ؟

أنا واثق بأنكم سترجعون إلىّ قبل أن أرجع إليكم

الشعر عندى والجمال عندكم ، والشعر أفتن من الجمال

أما بعد فمن أنتم ؟

أنا أعرفكم بأكثر مما تعرفون أنفسكم ، فقد كنتم الغاية لما تشتهى الأرواح والقلوب ، وما اشتهت عيناى أفضل مما اشتهيت منكم ، يا نهاية النهايات فى سحر العيون

أنا بنيتكم بيدى ، ولن أهدمكم بيدى ، والبانى لا يكون من الهدّامين

•

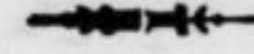
سلامٌ عليكم ، فما ألقاكم إلا إن تنازلت عن كبريائى

احرسينى يا ليلى ، احرسينى ، قبل أن أقول : « عليك منى السلام »

« الكاتب المجهول »

التعارف بين الأدباء

للأستاذ دريني خشبة



منذ شهرين تقريباً نشرت الرسالة لصديقنا السوري الأديب الكريم الأستاذ صلاح الدين المنجد دعوة قصيرة ينادي فيها بوجوب تعارف الأدباء فيما بينهم وتكوين رابطة أدبية تنتظم صفوفهم ... ورأى الأستاذ أن يعقد مؤتمر يدعى إليه أدباء الأقطار العربية كلها ، في القاهرة أو دمشق أو بغداد ، ليعرف الأدباء بعضهم بعضاً ، ويتحادثوا فيما ينقصنا وما يشوه أدبنا وما نحن بحاجة إليه . ولما زار الأستاذ الصديق مصر في الشهر كان فرحنا به يعدل فرحنا بسوريا كلها ، وقد تذاكرنا دعوته التي دعا إليها ووعدناه بالكتابة فيها ، لأنها تؤيد دعوتنا إلى إصلاح الأدب العربي وتجديده

ومنذ شهر تقريباً دعانا صديقنا السوري الأديب الأستاذ حبيب زحلاوي للاحتفاء بالزوجين الكريمين السوريين الأستاذ زكي المحاسني والسيدة الأديبة وداد سكاكيني وذلك بالنادي الشرقي

ومنذ أيام قليلة قرأت دعوة يقوم بها أربعة من كرام الأدباء المصريين إلى إخوانهم الكتاب والأدباء والشعراء للاجتماع بمكان عينوه لدرس حالة الأدباء المصريين وتكوين هيئة تسهر على صوالحهم وتعمل على تقوية أواصر الصداقة بينهم

ومنذ أسابيع طويلة و الأستاذ الصديق الدكتور زكي مبارك يناوش إخواننا الأعزاء المحبوبين أدباء لبنان لأنهم على ما يذكر الأستاذ يحاولون جادين نزع الزعامة الأدبية التي تدعيها مصر بين الأمم العربية من أيدي الأدباء المصريين ... وقد كتب الدكتور زكي مبارك مقالات طويلة في هذا الموضوع في صحيفة المصري الغراء

ومنذ أسابيع قليلة حاضر الدكتور طه حسين في الروابط الثقافية بين الأمم العربية وكان صوته أول صوت ارتفع في العالم العربي بوجوب ربط أسباب المشرق العربي بالمغرب العربي ، فهاج في القلوب العربية كلها أشجاناً وأحزاناً وذكريات عزيزة مؤلمة

ومنذ عام أو أكثر ونحن نردد فيما بيننا شكوى الأدباء جميعاً من تفكك العلاقات بينهم ، بل انعدامها تقريباً مما يجعلهم متدابرين متنافرين ، بل مما يجعل جهودهم وثمار قرائحهم نهباً لدور النشر ومستغلي ضعف الأدباء وعجزهم اللذين هما نتيجة هذا التفكك في علاقاتهم وانعدامها

ولعل أعجب ما حدث في كل ما قدمنا هو ما حدث في دعوة صديقنا السوري المحبوب الأستاذ حبيب زحلاوي بالنادي الشرقي ... فقد دعانا بالتلفون ، ولم يكن أحدنا قد رأى صديقه الآخر قبل هذه الدعوة . فلما توجهنا إلى النادي ، وشهدنا الحفل مجموع الشمل قصدنا إليه ، وقد عرفناه لوجود ثلاثة أو نحوهم من إخواننا ممن حدسنا أنهم مدعوون مثلنا للتعرف إلى الضيفين الكريمين والاحتفاء بهما ... وقد عجبت لأن الأديب صاحب الدعوة لم يلقني ... وظننت أنه ربما كان متغيباً في تلك اللحظة لأمر ما ... ثم دار الحديث عن الأدب ، واستطاع الأستاذ الجليل توحيد السلحدار أن يستدرج الأستاذ نقولا حداد ليحدثنا عن النسبية ... واستطعت أنا أن أدس أنفي في الحديث مما دعا أحد إخواني إلى النطق باسمي عالياً . فماذا حدث ؟ وقف الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن ليصافحني باشاً ... وليته ما فعل ! فقد كشف عن عيب من أشنع عيوب الأدباء المصريين ، هو عدم معرفة بعضهم بعضاً ، وعدم عنايتهم بمحاولة إيجاد هذه المعرفة وخلقها خلقاً . . . ثم ماذا ؟ ثم نهض صديق صاحب الدعوة الأستاذ حبيب ليضحك هو الآخر ويصافحني ، ثم يقول إنه سأل عني الأستاذ محمود تيمور وكان جالساً إلى جانبه ، فلم يعرفني ، وقال له : ألم تدعُه ؟ فقال الأستاذ حبيب : كلا ... وقد ذكرني كلامه هذا ، ثم ضحكه بالمأسوف عليه خالد الذكر السيد أشعب ؟ على أنني عجبت كيف يكون الضيف الكريم الأستاذ المحاسني أسرع منا جميعاً بادرة وأدق ملاحظة ... فقد عرفت أنه هو لجلوسه إلى جانب السيدة وداد فصافحتهما مرحباً بهما ، وذلك عند قدومي ، فما راءني

إلا أن أسمع الأستاذ يقول للسيدة الأديبة ... هـذا فلان ... ويذكر اسمى كاملاً فى صوت ربما لم يسمعه بعد السيدة أحد غيرى ، وقد استمطرت رحمة الله على الميدى فى تلك اللحظة الحرجة ! ثم جعلت أتهم نفسى لانطوائها الذى بالغت فيه عن المحافل الأدبية وعدم محاولتى أن أعقد من الصداقات الأدبية ما لا غنى لمثلى - ولا مؤاخذة ! - عن مثله ! ويظهر أننى عنفت على نفسى فى اللوم حتى أخذ العرق يتفصد من جميع جسمى بالرغم من برودة الليل . . . على أن الأمر لم يدم طويلا . . . إذ خفف عنى ما اكتشفته بعد ذلك من أننى أكثر الحاضرين (معارف) بعد الأستاذ صاحب الدعوة . . . فلم يكن أحد منهم يعرف من الموجودين أكثر ممن كنت أعرف . . . وقد ضحك الأستاذ المحاسنى لذلك أشـد الضحك وتعجب لحالنا وأنذر ليتحدثن به إلى أدباء الشام جميعاً ... والحق أنه لشىء يُتحدث به ويُتَنَدَّر ، إذ كيف تجمع القاهرة ثمانية أعشار الأدباء المصريين ثم لا تجمعهم جامعة ، ولا تربط بينهم رابطة ، ولا يعرف الواحد منهم ثلاثة أو خمسة من عشرات بل من مئات ومئات ؟!

ولقد أضحكتنا هذه الظاهرة ، أو تلك البادرة ، ضحكا طويلا . فهذا هو الأستاذ الزيات لا يعرف الأسـتاذ خليل ثابت إلا حين يلقاه فجأة فى مناسـبة من المناسبات . وهـذا هو الأسـتاذ عبد الرحمن صدقى يكتب فى مجلة الهلال ثلاث سنوات أو أربع سنوات ثم لا يعرفه الأستاذ إميل زيدان بعد هذه المدة الطويلة إلا حين يقدمه إليه أحد أصدقاء الطرفين فى إحدى المناسبات أيضاً ... وهكذا ... وهكذا ...

وأحسب القراء يذكرون ما حدثتهم به من التقائى فجأة بالأستاذ الحكيم فى الرسالة ، وما انتهى إليه هذا اللقاء من صداقة كريمة . وقد سألنى الأستاذ الحكيم مداعباً بعد فراغى من الكتابة عن الشاعر الكريم على محمود طه ... فضحكت ... ثم أخبرته فى بساطة تامة أننى لم أره فى حياتى مطلقاً ؟! هذا مع العلم بأن بين مجلس النواب وبين وزارة المعارف دقيقة واحدة ! ولا شك فى أننا كلينا مقصران !

أما ما يناوش به الدكتور زكى مبارك إخواننا أدباء لبنان فهو موضع العجب . . . لحدوثه فى الوقت الذى نبتهل إلى الله فيه أن ينجح الدعوة إلى الوحدة العربية ، لأن فى هذه الوحدة عزة الأدباء العرب أجمعين ، ونحن إلى التعارف والتقارب أحوج منا إلى التنابذ والتباعد . أما الزعامة الأدبية فليس سبيلها أن يدعيها الأدباء اللبنانيون فتكون لهم أو أدباء اليمن فتكون ملك أيمانهم ... بل سبيلها الإنتاج الأدبى وقيمة هذا الإنتاج وأثره فى شعوب الوحدة العربية ، ولهـذا كان خليقاً بأدباء لبنان ألا يشاكسوا الدكتور زكي مبارك ، كما كان خليقاً بالدكتور زكى مبارك ألا يناوش أدباء لبنان ... لأننا نعز اللبنانيين جميعاً ، لا أدباءهم فقط ، كما نعز أنفسنا

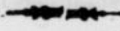
وإذا كان التعارف بين الأدباء فى داخل مصر واجباً ، فهو أوجب بين الأدباء المصريين وأدباء الشرق العربى ، ثم بيننا وبين أدباء أفريقيا الشمالية ، ويجب أن يتحقق أمل الأستاذ الصديق صلاح الدين المنجد فى عقد مؤتمر أدبى عربى فى القريب العاجل إن شاء الله

أما دعوة هذا النفر من الأدباء المصريين للاجتماع بالمكان الذى عينوه ، والزمان الذى حددوه ، فهو ما ندعو له بالنجح والتوفيق . ونصيحتنا إلى المتشائمين أن يخففوا من تشاؤمهم ، وأن يجملوا الصفاء والأخوة الكريمة السمحة دينهم ، وأن يطهروا قلوبهم من السخائم الأدبية الفارغة ، فاعتصامهم بحبل الله وحبل المودة فيه حياتهم ويأسهم ومستقبلهم الذى ينبغى أن يفكروا فيه من الآن حتى تضع الحرب أوزارها ... وقد آن أن يتحرك الأدباء فيلموا شملهم بعد أن ملأت القاهرة النقابات ، من كل صنف ومن كل نوع ، ولا ضير عليهم أن يكونوا آخر من يفكر فى ذلك ، حتى لو لم يربحوا إلا التعارف بينهم

ولعل أظرف ما نختم به تلك الكلمة هو ما يبديه بعض إخواننا الأدباء من التخوف من نجاح هذه الحركة ... فهو يخشى إن تمت أن يكثر (معارفه) منهم كثرة كبيرة ، ومنهم الأدباء المنتجون الذين يخرجون كل شهر أو شهرين كتاباً ، فإذا تم التعارف

إيوان كسرى بين شاعرين

للأستاذ حسن الأمين



— ١ —

وقف البحترى على إيوان كسرى وقفة طويلة جالت فيها عيناه فى جوانب الإيوان وتطلعت إلى صوره ونقوشه، وترامت فى جوانبه وأركانه، فأدهشته فخامة البنيان وروعة الفن وجلالة الصنعة فاستوحى خياله واستنطق شاعريته فجاءنا بقصيدته السنية الخالدة التي اشتهرت كل الاشتهار

وكما وقف البحترى على الإيوان وقف عليه بعد البحترى شاعر شهير، فأرسل بطرفه إلى سوامقه الشاهقة. وتلفت إلى بقاياه الهائلة، فهاجت شاعريته، وفاضت قريحته. فرفد الأدب العربى بقصيدة عصماء لم يكتب لها من الشهرة ما كتب لقصيدة البحترى؛ فظلت فى ديوان الشاعر مغمورة بين قصائده الكثيرة قل أن يذكرها ذاكر أو يشير إليها مشير. وهكذا تواتى الحظوظ شعراً فيحلق فى الأجواء، وينتشر فى الآفاق، وتعاكس شعراً فينزوى بين طيات الأوراق، لا يرفع رأساً، ولا يُسمع همساً فيضيع أى ضياع!

هذا الشاعر الذى عنيته هو الشريف الرضى، فقد تقاذفته النوى حتى حطت به على إيوان كسرى فنظم قصيدة من أروع قصائد الشعر العربى، ولكنها ظلت مهملة، فلم نجد بين كتاب العربية ونقادها من أولاها عناية، أو أشار إليها إشارة، مع ما فيها من الإحساس العميق والشعور السامى الذى يرفع صاحبها إلى أسمى المراتب بين شعراء الأمجاد العربية.

***

وقف الشاعران على الإيوان وتطلع كل منهما إليه بعينين تختلفان عن عينى الآخر، ونظر إليه كل منهما بفكر يباين فكر الآخر، وأثار الإيوان فى نفس أحد الشاعرين غير ما أثار فى نفس الشاعر الآخر؛ فجاءت قصيدتاهما متباينتى الروح والعاطفة والغاية

فالبحترى كان فى وقوفه على الإيوان شاعراً فحسب، لم يهج فيه الإيوان إلا عاطفة الشعر. فوصف ما شاهد وصف الشاعر المجيد الفنان فأبدع فى الوصف ما شاء الإبداع، وأوحى له خلو الإيوان من بناته، وانقراض حماته عاطفة الأسى العميق فقال:

أتسلى عن الحظوظ وآسى ... لمحل من آل ساسان درْس
ذكرتنيهم الخطوب التوالى ... ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهمُ خافضون فى ظل عال ... مشرف يحسر العيون ويخسى
مغلق بابه على جبل القبـــق إلى دارتى خلاط ومكس

فهو فى هذه الأبيات متذكر معبر يتأسى عن الجدود العاثرة بالطلول الداثرة، فيذكر آل ساسان وحياتهم الهنيئة فى ظل الإيوان، وعيشتهم الرغيدة فى أبهائه، وما كان لهم فيه من سلطان أى سلطان. ثم هو يقارن بين هذه الأطلال الساسانية الضخمة وبين الأطلال البدوية التى شغلت شعراء الجاهلية فوقفوا عليها وبكوها وفاض شعرهم بالتغنى بها وترديد ذكرها، فكأنما يريد أن يقول إن مثل هذه الأطلال هى التى يجب أن تشغل الشاعر فيعوج عليها ويستنطقها أخبار الظاعنين لا أطلال القفار البسابس التى لم يكن لها أن تشغل الشعراء ذاك الإشغال:

حلل لم تكن كأطلال سعدى ... فى قفار من البسابس ملس

ثم يندفع الشاعر يصف خلو الدار وإقفارها حتى كأنها أرماس أو مآتم بعد أعراس. ثم يشير إلى ما تدل عليه هذه الآثار من عجائب مشيديها وإبداع موجديها، ثم يسهب فى وصف

صحبه الإهداء ... ويكون مضطراً حينذاك إلى القراءة التى تفرض عليه بهذه الوسيلة فرضاً ... حتى لا يُغضب أحداً إذا سأله عن رأيه فى كتابه الأخير مثلاً ... وقد يكون هذا الأديب المتحرج مشغولاً بقراءة أخرى أهم مما تفرضه عليه الصداقات الجديدة قراءته ... فماذا يصنع ... وقد تكون الكتب المطلوب إليه قراءتها سخيفة ... فما العمل؟! ولا أستطيع أن أقرر إلا أن هذه الملاحظة دعابة لطيفة، وأخشى أن تكون ... تافهة ... ولا يسخط هذا التعبير صديقى العزيز ... الذى أهدى إلىّ كتابه الأخير، ولن أعفيه من الكتابة عنه.

دريني خشبة

ما فيها من النقوش والصور الماثلة ، مجيداً فى كل ذلك كل الإجادة :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان منهم بلبس

فإذا ما رأيت صـورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس

والمنـايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

فى اخضرار من اللباس على أصـــفر يختال فى صبيغة ورس

وعراك الرجالِ بين يديه فى خفوت منهم وإغماض جرس

من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس

وفى هذه الأبيات نستدل على ما كان عليه الإيوان من فن رائع تتجلى فيه صور المعارك الحربية بين الروم والفرس وصور المدن التى وقعت فيها المعارك وصور ملوك الفرس بألبستهم الزاهية يقودون جيوشهم المنتصرة ، وصور المتقاتلين هذا يهوى برمحه وذاك يتقى بترسه إلى غير ذلك من المشاهد المتنوعة

ويبلغ إعجاب البحتري بهذه الصور والنقوش أقصى حدوده حتى ليحسبها أشخاصاً حية ، وحتى أنه ليمعن فى هذا الحسبان فيغالط نفسه فيتقدم إليها ويلمسها ليتأكد من خمود الحياة فيها :

تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس

يغتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس

ثم يمضى البحترى على هذا النسق فى الوصف والشعور والتوجع فى تسعة أبيات ينتقل بعدها إلى ما أصاب الإيوان من كوارث وأرزاء ثم لا ينسى أن يعزيه عما نزل به مشيراً إلى أن ذلك لا يعيب عظمته الخالدة ما دام لا يزال مشمخراً عالى الشرفات :

عكست حظــه الليالى وبا ت المشترى فيه وهو كوكب نحس

فهــو يبدى تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى

لم يعبه أن بُزَّ من بسط الديبا ج واستل من ستور الدمقس

مشمخر تعلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس

لابسات من البياض فما تبـــصر منهـا إلا غلائل برس

وبعد ذلك يظهر البحترى دهشته فيسائل نفسه أيستطيع الإنسان أن يبدع هذا الإبداع أم هى بدائع الجن للانس :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

ومهما يكن من أمر فهو يؤمن أن البانى لم يكن ملكاً خاملاً ولا إنساناً حقيراً بل هو بانٍ كانت تغص نواديه بالوافدين، وتعج مقاصيره بالقيان والمغنين ، وهو من هؤلاء الملوك الذين سادوا الزمن فعنا لهم وانقاد إليهم فعاشوا حياة كلها رغد وهناء

فكأنى أرى المراتب والقو م إذا ما بلغت آخر حسى

وكأن الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخَاس

وكأن القيان وسط المقاصــير يرجحن بين حُوٍ ولعس

وكأن اللقاء أول من أمـــس ووشك الفراق أول أمس

وبعد كل هذا يبرز البحترى شاعراً لا يهمه من كل ما رأى إلا أنه مظهر حى يهز النفوس الشاعرة الحساسة فتبكى العز الزائل والملك الهاوى وتشيد بذكر الأمجاد أياً كانوا :

عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزى رباعهم والتأسى

فلها أن أعنيها بدموع موقفات على الصبابة حبس

ذاك عندى وليست الدار دارى باقتراب منها ولا الجنس جنسى

ثم يعقب على ذلك ببيته الختامى الذى يظهر فيه مذهبه الشعرى الإنسانى :

وأرانى من بعد أكلف بالأشــراف طراً من كل سنخ وجنس

— ٢ —

يستهل الشريف الرضى قصيدته استهلالاً فروسياً جميلاً تتجلى فيه روحه الوثابة وتبرز سجاياه الشماء ، بل تبدو إحساساته المكبوتة وعواطفه المقهورة . فالرضى فتى ملء برودة الرجولة التواقة إلى العلياء ، الطاحة إلى المجد ، وقد اجتمع له من كريم نسبه ونبل خلاله وسمو مكانته ماجعله يأنف حياة الدعة والخمول وعيش الصغار والهوان . وتحكم فى عصره بالناس من هم دونه كفاية وشهامة وحسباً ونسباً فحاول أن يشق طريقه فأقعده الزمن وردته ظروفه فظل مهضوماً مغيظاً يفرج كرباته بالشعر :

قربوهن ليبعدن الغفـارا ويبدلن بدار الهون دارا

واصطفوهن لينتجن العلى بالعوالى لا لينتجن المهارا

إنه ليترنم بالخيـل ويهتف بأسمها ويصيح برهطه ليقربوها

إليه ! ... وماذا في الخيل ؟ ... إن فيها مظاهر القوة والعظمة ، مظاهر النضال والكفاح ، مظاهر الفروسية الباسلة . والشريف يرى نفسه رجل الخيل المغيرات وقد حيل بينه وبين أعنتها فهو يزفر من أعماق صدره هذه الزفرة الحماسية جامعاً فيها ما يتأكل نفسه من الحرمان المرير ، ومضمناً لها ما يجول في خاطره من التوثب إلى معالي الأمور ، فهو وقد وقف على إيوان كسرى لا يتغزل بالحسان الساحرات ، ولا يستبكي للأطلال الدائرات ، بل يفتتح قصيدته بدعوة الخيل لا للتسلي بأعنتها ، ولا للتلهي بصهواتها ، بل للغارات البعيدة ، ولتبدل له بدار الهوان التي تأويه دار العز التي يطمح لها . فهو يرى أنه إنما يحيا في دار الذل ومنزل الضيم بالرغم مما كان يحاط به من تكريم وإعظام .

وتراه في البيت الثاني يعلن زهده في المادة فهو لا يريد الخيل لتنتج له المال

وبعد أن يمضي الرضي في واحد وعشرين بيتاً يضمنها نوازعه وخواطره يصل بنا إلى ذكر الإيوان فيخبرنا أنه نزل فيه داراً لم تكن دار ذل ، وأن بناته كانوا ذوي مجد رفيع استقلوا فيه عن الناس وشغلوه عن أن يعار لغيرهم :

قد نزلنا دار كسرى بعده ... أربعاً ما كن للذل طوارا
أسفرت أعطانها عن معشر ... شغلوا المجد بهم عن أن يعارا
تصف الدار لنا قطانها ... المعالي والمساعي والنجارا

وهنا يتجلى إنصافه واعترافه بالحق ؛ فهو بالرغم من نزعته القومية المتحمسة لا يبخس الناس أشياءهم ولا يغض من ذوي المواهب ، بل يتكلم عن الناس بما كانوا عليه ؛ فقد وصفت الدار له قطانها ، فهي باذخة البناء رحيبة الفناء ، وهي محكمة الصنعة متقنة العمل ، وهي في كل ذلك ناطقة بفضل من أبدعوها وحلوها تخبر عنهم بلسان فصيح ولغة واضحة

ثم نراه يلم بما أصاب هؤلاء القطان من نزول عن مجدهم واضمحلال لأمرهم ، فهو يرى أن الدهر استرد منهم ما أعارهم ليميره إلى غيرهم فكأنما نعم الحياة عاريات يجود بهما الدهر على ناس ، ثم يبدو له فيستردها ليجود بها على آخرين وهكذا تتداول الأمم المجد فيما بينها :

آل ساسان حدا الخطب بهم ... واسترد الدهر منهم ما أعارا
بعد ما شادوا البنى ترفعها ... عمد المجد قباباً ومنارا
كل ملموم القرى صعب الذرى ... يزلق العقبان عنه والنسارا

ثم ينتقل إلى وصف الإيوان كما رآه في عهده ولكنه لا يصف لنا صوره ونقوشه ولا يتحدث عن عجائب صنعه وبدائع فنه ، بل إن ذلك لا يشغل ذهنه ولا يثير اهتمامه فلا يسترسل كالبحتري في وصف دقائقه ، بل يعطينا صورة إجمالية عنه تملأ النفس رهبة ووحشة :

حمل الدهر إلى أن رده ... ضاغط العبء ضلوعاً وفقارا
مطرقاً إطراق مأمون الشذا ... غمر النادي حلماً ووقارا
أو مليك وقع الدهر به ... فأماط الطوق عنه والسوارا
أوهنت منه الليالي فترة ... لا يلاقي وهنها اليوم جبارا

إذ لم يكن يهم الرضي أن يستوفي وصف الإيوان ، فنحن لا نستطيع أن نتعرف من قصيدته إلى حال الإيوان يومذاك ولا إلى ما كان لا يزال ماثلاً من زخارفه ؛ فكأنه لا يعنيه أن يسهب في ذلك ، بل يريد أن يستخرج العبرة من موقفه هذا ، فيتحدث عن حملة الدهر على الإيوان حتى تركه « ضاغط العبء ضلوعاً وفقاراً »

ثم يصوره تصويراً فنياً رائعاً فيتخيله مطرقاً إطراق من كانت له صولة فزالت ، وأمن الناس نقمه وضره ، فهو مطأطىء الهامة أسفاً على ماضيه وتفكراً بحاضره ، ولكن هذا الإطراق المحزن لا يذهب بوقاره وحلمه فهو — على شجاه — يملأ النادي حلماً ووقاراً . وهو على ما نزل به لا يزال محتفظاً بجلاله وهيبته ، ثم يشبهه بملك وقع الدهر به وحلت كوارثه في ساحته فسلبته ملكه وأماطت عنه تاجه وذهبت بطوقه وسواره ؛ فهو لا يزال كما كان رجلاً كامل الهيبة ، ولكنه عاطل من حلل الملك وحليه ، وكذلك الإيوان ، فهو لا يزال قصراً شامخاً ، ولكنه خال من كل ما كان له من شأن

وهذه الأبيات هي كل ما يظفر به الإيوان من الشريف

صلات علمية

بين مصر والشام

فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

طلع هلال المحرم من القرن الثامن الهجرى على العالم العربى بأحداث جسام؛ وسلطان المماليك فى مصر هو الناصر ابن قلاوون، ونائب مصر الأمير سيف الدين سلار؛ ونائب الشام آقوش الأشرم؛ ونائب حماة قراسنقر المنصورى بعد موت الملك المظفر

وكان التتار فى أواخر القرن السابع الهجرى قد أغاروا على الشام مرتين فردهم بيبرس على أعقابهم . وفى سنة ٧٠٠هـ أى فى مستهل القرن الجديد أغاروا ثانية على الشام بقيادة قازان وأحلوا بها الحرمات وكثر عبثهم فيها وقتلوا وسبوا النساء واقتحموا على الناس المساجد، يحطمون أبوابها ويحاربون الله فيها ...

وهنا يقف علماء الشام موقفاً رائعاً، فيحرضون الناس على الدفاع، وينظرون شزراً إلى ذهب التتار وفضتهم اللامعة؛ ويقف رجل منهم جليل هو ابن تيمية معلناً أن أهل الشام لا يسلمونها إلى عدو الله ما دامت فيهم عين تطرف؛ ويرسل إلى نائب قلعة دمشق يقول له: لا تسلمهم القلعة ولو لم يبق فيها إلا حجر واحد . ويستجيب المسلمون إلى صوت شيخ العلماء فيقفون صفاً واحداً، حتى يكرهوا العدو على الرحيل ويطهروا البلاد من أرجاسه

وكان ابن تيمية هذا يقظاً متنبهاً لأحداث زمانه، وليست فيه غفلة بعض الفقهاء، ولكنه رجل صاحى العين والفؤاد. وكيف ينام والعدو على أبواب دمشق؟ فهو يقضى الليل قائماً يحضض الناس على الصبر؛ ويدور كل ليلة على أسوار دمشق يحرض الناس على الثبات ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط

وليس يعنينا من القرن الثامن أحداثه السياسية، فذلك ليس موضوع البحث، ولكن يعنينا حالة العلماء والفقهاء فيه فقد ظهرت بين القطرين الشقيقين فى ذلك العهد مشاركة فى مناصب العلم والوعظ والقضاء، وكان كثير من علماء مصر يعيَّنون فى الديار الشامية؛ كما أن كثيراً من علماء الشام

الرضى من الوصف، ثم ينتقل بعدها إلى ما يريده من أغراض قومية، فيسائل أين معالى الإيوان الجمة وأين حماه الأفيح وأين رجاله الذين غلبوا الناس:

أين لا أين المعالى جمة ... والحمى أفيح والرأى مغارا
ورجال شدخت أوضاحهم ... غلبوا الأعناق مَناً وإسارا

فيجيب عن ذلك بجواب تتجلى فيه نزعته القومية، وروحه الإسلامية واضحة جلية:

عمروا لم يعلموا أن لنا ... جائز الأمر عليهم والإمارا

ثم هو يشير إلى ما كانت عليه الأمم المجاورة للعرب من النظر إليهم نظر الاستهانة وقلة الاكتراث غير عالمة بما وراء هذا الهمود من الاندفاع العجيب، ولا حاسبة بأن تلك الأمة الممزقة الرأى المقطعة الأوصال ستهب هبة تدهش الدنيا:

قدروا جِد نزار واقفاً ... ومشى الجد فما عزوا نزارا

ثم يصف الوثبة العربية العظيمة وما رافقها من بطولات وتضحيات وكيف أذهلت الناس فعنوا لها مستسلمين

لاوَذوا لما رأوا من دونهم ... وادياً باق به السيل غمارا
عاينوا الضرب دِراكا فى الطلى ... يعجل الفارس والطعن بدارا

ثم يشبه العرب بالأسد يهب مصحراً بعد طول الخور:

أصحر الليث العفونى فانثنى ... يطلب اليربوع فى الأرض وجارا

وبعد هذا الاعتزاز بقومه والتفاخر بأمته يتحدث عما أفضت إليه نهضة العرب وعن رسالتهم الإسلامية التى حملوها إلى الآفاق تجلو دياجير الشرك وتمحو معالم الوثنية وتنشر التوحيد حيث حلت:

قهروا الشرك على أعقابه ... بعد ما استخدم غياً وضرارا
وأثاروا الدين من مربضه ... وأطاروا عن مجاليه الغمارا
دانوا المجد بأطراف القنا ... فغدا عيناً وقد كان ضمارا

* * *

وهكذا ترى أن موقف الرضى على الإيوان غير موقف البحترى؛ فإن الإيوان أثار من البحترى شاعريته، ولكنه فى الرضى أثار قوميته.

حسن الأمين

يعينون فى مصر . وكان أحرار العلماء — وأعنى بهم غير الموظفين — يجوبون بين البلاد العربيـة ويتنقلون بين القطرين فيفد الطلاب للقائهم والانتفاع بعلمهم والاغتراف من مناهلهم. والأمثلة على هذا كثيرة وقد تكفلت بسردها كتب التاريخ وخاصة كتب السلوك للمقريزى والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى

فنرى مثلاً أن أحمد بن سـلامة الأسكندرى المصرى يعين قاضياً لدمشق ، ونور الدين السخاوى المصرى يعين مدرساً بالجامع الأموى بدمشق ، والشيخ ابن الوكيل يدرّس بمصر فى مشهد الحسين وبالشام فى دار الحديث الأشرفية وغيرها

وكان تبادل العلماء بين مصر والشام أمراً مألوفاً فى ذلك العصر ، لما كان تعيين المدرسين من حق سلطان مصر . فإنه لما مات قاضى قضاة مصر ابن دقيق العيد سـنة ٧٢٢ هـ كتب السلطان الناصرى المصرى إلى ابن جماعة قاضى قضاة الشام يحبيه ويعظمه ويحترمه ويدعوه إلى مباشرة وظيفة قاضى القضاة بمصر خلفاً لابن دقيق العيد . فيجيب الشيخ دعوة السلطان ويفد إلى مصر مكرماً فتخلع عليه الخلع ويجزل له العطاء

وكان السلطان يعين كبار العلماء فى المناصب الكبرى كمشيخة الشيوخ والمفتى وقاضى القضاة وقاضى العسكر والمدرسين . وكانت وظيفة مدرس من أرقى المناصب العلمية فى ذلك العهد . ويكفى للدلالة على سمو قدرها أن التعيين فيها كان من اختصاص السلطان مباشرة ، كما يذكر المقريزى فى كتابه السلوك . وكانت وظيفة المعيد تلى وظيفة المدرس فى المنزلة . وعمل المعيد فى القرون الوسطى هو بعينه عمل المعيد فى الجامعات الحديثة . وقد عرفه القلقشندى صاحب صبح الأعشى تعريفا دقيقا فقال : « هو ثانى رتبة المدرس ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه ليفهموه ويحسنوه »

ولم يكتف علماء القطرين فى القرن الثامن بالجلوس للدرس فى المساجد والمدارس ، بل كان لهم نوع من النشاط العلمى الدينى فرضته عليهم بعض الظروف فى ذلك العصر . فقد ظهرت بعض المذاهب المبتدعة الحائدة عن سنن الرسول وهديه والمنحرفة عن إجماع المسلمين . وكان فى خلال بعض هذه المذاهب وميض نار يوشك أن يكون لها ضرام ... فكثر الروافض بين التتار واشتد أمر الأحمدية وهى طائفة كان لها أحوال شيطانية — كما يصفهم المؤرخ ابن كثير ؛ ولهم كثير من الحيل والبهتان . وهم فى نظر ابن تيمية من الدجاجلة المخالفين للشريعة ؛ فنصب هـذا الإمام السلفى لهم العداء ، وأخذ عليهم أقوالهم وأفعالهم ، وعقدت له بالشام ثلاثة مجالس للرد عليهم وبيان ما فى طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب والسنة .

ولم تكن تلك المجالس تعقد فى المساجد الجامعة كما يتبادر إلى الذهن ، ولا فى سرادقات خاصة تضرب لها ، ولكنها كانت تعقد فى قصر نائب السلطان بدمشق . وهى تعيد إلى الذهن تلك المناظرات الدينية التى دارت بين علماء الكلام فى العصر العباسى الأول .

وقد أثارت تلك المجالس الدينية خصومة شديدة بين العلماء ، ولعبت فيها أحقاد القلوب دوراً عظيما ، فخشى الشيخ الأكبر على نفسه فى الشام ، وقصد إلى مصر لعله يجد فيها متسعا لآرائه وجهاده ، فخرج لوداعه من أهل الشام خلق كثير . وكان الخارجون — كما روى ابن كثير — بين باك عليه أو حزين لفراقه أو شامت فيه أو متفرج محايد . وفى طريقه إلى مصر يعرج على غزة فيعقد له فى جامعها مجلس دينى عظيم . وفى مصر يعقد له مجلس بالقلعة يحضره القضاة ورجال الدين وأكابر الدولة . فتلاحقه فى مصر الأحقاد ويُكثر الحاسدون فيه القول ، ويفترون عليه الكذب . ويدّعى عليه فى هذا المجلس ابن مخلوف المالكى المصرى أنه من المشبِّهة الذين يقولون بأن الله فوق العرش حقيقة وأنه يتكلم بحرف وصوت . ويقف الشيخ ليدافع فيقاطعه ابن مخلوف قائلاً : ما جئنا بك لتخطب . فيسأل ابن تيمية : ومَن هو الحكم فىّ ؟ فيجاب بأنه ابن مخلوف نفسه . فيتجه ابن تيمية إلى ابن مخلوف قائلا : كيف تحكم فىّ وأنت خصمى ؟ وينتهى المجلس بحبس الشيخ الأكبر فى برج أولاً ، ثم ينقل إلى محبس يعرف بالجب

(البقية فى العدد القادم) **محمد عبد الغنى حسن**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥١٨ – ومشى إلى مكة راجلاً حافياً

مروءة مصرية مدهشة

في (الغرر الواضحة) :

لما ولى صالح بن على مصر من قِبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر . فأرسل إليهم أبا عون ومحمد بن أشعث الخزاعي بعسكر ، فهزما الحكم ، وبلغ صالح بن على أن رجاء ابن روح دخل مصر ، واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره ، فأرسل إليه فحضر ، فقال : ألم أكرمك ؟ ألم أشرفك ؟

قال : بلى

قال : فكان جزائي منك أن أجرت عدوى

قال : وما ذاك أيها الأمير ؟

قال : رجاء بن روح وابنه

قال : أصلح الله الأمير ! اختر واحدة من اثنتين ، لي فيهما براءة : إما أن أثلج صدرك بيمين ، أو ترسل رجلاً من ثقاتك يفتش منازلي

قال : وتحلف ؟

قال : نعم . فأحلفه بطلاق زوجته ، وعتق عبيده ، ومشيه إلى مكة راجلاً حافياً . فحلف له . ثم انصرف إلى منزله ، وأعلم زوجته ، فاعتزلت عنه ، وقالت له لا تنقطع عني لئلا يشعر بك . فلما عزل صالح عن مصر ، ورجع إلى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته ، وأعتق رقيقه ، ومشى إلى مكة كما شرط عليه : (راجلاً حافياً)

٥١٩ – فتنت أهل العراق بقولك

لما اجتاز أبو نواس بحمص قاصداً مصر لامتداح الخصيب سمع (ديك الجن)[(١)] بوصوله فاستخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه ، فقصده أبو نواس في داره ، وهو بها ، فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت الجارية : ليس هو ههنا . فعرف مقصده ، فقال لها : قولي له قد فتنت أهل العراق بقولك :

مورَّدة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها[(٢)]

فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به ، وأضافه

٥٢٠ – متى عصرت من الورد المدام

أبو الحسن الُحصري القيرواني :[(٣)]

أقول له وقد حيَّا بكأس لها من مسك ريقته ختام :
أمن خديك تعصر ؟ قال : كلا متى عُصرت من الورد المدام ؟

٥٢١ – نظرت في ديوان أبي نواس ...

في (كتاب الأذكياء) لابن الجوزي : روى أبو الحسن ابن هلال بن المحسن الصابي قال : حكى السَّلامي[(٤)] الشاعر قال : دخلت على عضد الدولة فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خُسْرُواني[(٥)] ، فرآني ألحظه ، فرمى به إليّ ، وقال : خذه ، فقلت :

وكل خير عندنا من عنده

فقال عضد الدولة : ذاك أبوك ...

---

(١) اسمه عبد السلام بن رغبان . في (ثمار القلوب للثعالبي) : ديك الجن يضرب مثلا للديك النجيب الحاذق ، ومنه سمى ديك الجن الشاعر المشهور . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري : «ديك الجن دويبة توجد في البساتين» فهل جاء اللقب من هنا ؟

(٢) في (الموشى) أخبرني من قرأ على قنينة بين يدي أبي دلف العجلي :

وقهوة كوكبها يزهر يفوح منها المسك والعنبر
يسقيها من كفه أحور كأنها من خده تعصر

(٣) علي بن عبد الغني ، الضرير ، صاحب (يا ليل الصب) كان عالماً بالقراءات وطرقها .

(٤) نسبة إلى مدينة السلام : بغداد

(٥) نسبة إلى خسرو شاه من الأكاسرة

سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

« بمناسبة معرض السجاد الذي يقام الآن في دار الآثار العربية »

— ١ —

تقديم :

للأناضول اتصال وثيق بتطور الحضارات القديمة . وقد كان ينقسم إلى عدة دويلات أهمها مملكة فريجيا التي سيطرت على الأناضول من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ٨٠٠ قبل الميلاد ، وتلاها مملكة ليديا ، إلى أن فتحه الاسكندر الأكبر في سنة ٣٥٠ق م فصار جزءاً من الدولة المقدونية . وبعد وفاة الاسكندر انقسم الأناضول ثانية إلى دويلات دامت حتى سنة ١٣٣ق م لما استولى عليه الرومان وجعلوه مقاطعة تابعة لهم . وفي سنة ٣٩٥ ميلادية عند تجزئة الدولة الرومانية الكبرى ، كان الأناضول من نصيب الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية . وجاء السلاجقة من بلاد التركستان الصينية ، وامتد ملكهم إلى إيران ، ثم العراق ، ثم الأناضول ، وهنا مكثوا من سنة ١٠٣٧ — ١٣٠٠م . وكانت عاصمة دولتهم مدينة قونية . وخلف الأتراك العثمانيون السلاجقة في الأناضول ، وكانت عاصمتهم في أول الأمر مدينة بورصا حيث بني سلاطينهم قصراً عظيماً كان أحد أبوابه يسمى « الباب العالي » وانتقلوا من بورصا إلى أدرنة ، فمكثوا بها إلى أن فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م فصارت عاصمة الدولة العثمانية

وبعد تحطيم الدولة البيزنطية وفتح القسطنطينية صارت تركيا من أقوى الدول الشرقية ، فاستطاع السلطان سليم الأول أن يفتح مصر سنة ١٥١٧م ، وغزا ابنه السلطان سليمان القانوني بلاد إيران واستولى على تبريز وبغداد . وأخذ العثمانيون معهم من مصر وإيران الصناع والفنانين ، فعاونوا على نهضة الفنون وازدهارها في تركيا

ولما أمن العثمانيون جانب البلاد الشرقية اتجهوا نحو أوربا وامتدت فتوحاتهم بها حتى وصلوا إلى فينا . وكانت تركيا أقرب دول الشرق إلى أوربا ، فحملت إليها لواء الفن الإسلامي ، وكان لها أثر كبير في عصر النهضة الفنية بإيطاليا ، حتى إننا نجد أن قطع نسيج القطيفة المصنوعة في إيطاليا في القرن السادس عشر شديدة الشبه من حيث الرسوم والصناعة بقطع القطيفة التركية ، المصنوعة في مدينة أسكوتاري على ساحل الأناضول المواجه للقسطنطينية

وكما دالت دول كثيرة كانت في غابر الزمان قوية وعظيمة ، نرى الانحلال وقد بدأ يدب في عروق الدولة العثمانية ، فارتدت جيوشها عن « باب أوربا » بعد أن صمد لها الأوربيون في فينا . وجاء القرن التاسع عشر وكانت الكهولة قد بلغت حد الهرم ، ففقد « الرجل الهرم » مكانته القديمة بين الدول لما عجز عن أن يحمل خصومه يشعرون بقوة حسامه ، ويدينون بمبادئه وأفكاره ، وطغى الرخيص من الفنون الأخرى على جمال الفن التركي فذهب به وأفقده زهوه وبهاءه :

العناصر الزخرفية في سجاد الأناضول

كانت العناصر الزخرفية من النوع الهندسي هي السائدة على فنون الأناضول حتى القرن الخامس عشر . ويتبين لنا ذلك

فبقيت متحيراً لا أدري ما أراد ، فجئت أستاذي فشرحت له الحال ، فقال : ويحك ! أخطأت خطيئة عظيمة ؛ لأن هذه الكلمة لأبي نؤاس يصف كلباً حيث يقول :

أنعت كلباً ، أهله في كده
قد سعدت جدودهم بجده(١)
وكل خير عندهم من عنده

فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك ، فقال : مالك ؟ فقلت : حممت الساعة . فقال : هل تعرف سبب حماك ؟ قلت : نظرت في ديوان أبي نؤاس

فقال : لا تخف . لا بأس عليك من هذه الحمى ...

محمد إسعاف النشاشيبي

---

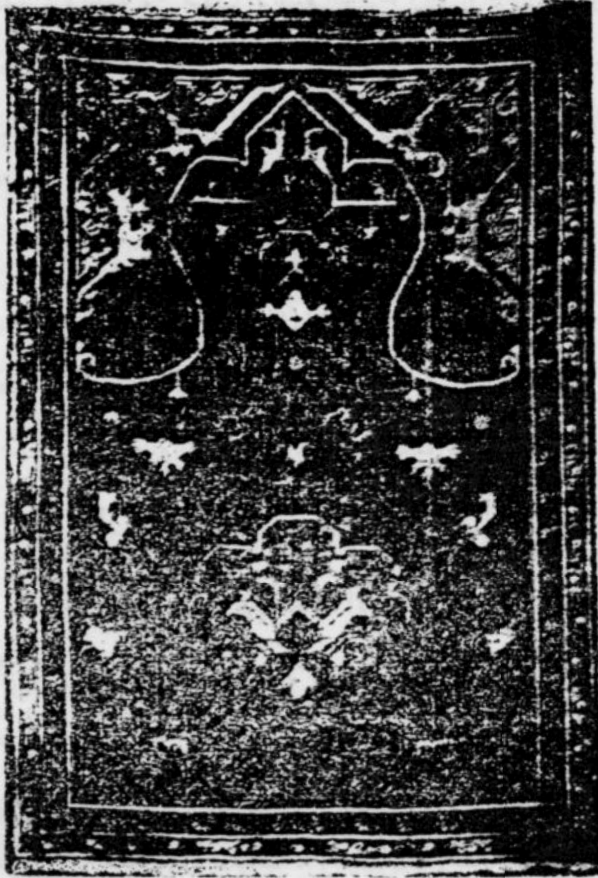
(١) جدودهم : حظوظهم ، والجد بفتح الجيم : البخت ، الحظ . بجده باجتهاده . في المصباح : الجد في الأمر الاجتهاد ، ومنه يقال : فلان محسن جداً أي نهاية ومبالغة

بوضوح من زخارف التحف الفنية التي ترجع إلى هذا العصر ، ومن صور سجاد الأناضول التي رسمها فنانو البندقية في لوحاتهم الزيتية خلال القرن الرابع عشر ، ومن قطع السجاد القديمة المعروفة إلى الآن ، ومن بينها ما عثر عليه في جامع علاء الدين بقونية ، وهذه تؤرخ بسنة ١٢٢٠م وهي محفوظة في متحف الأوقاف باستامبول

فالطريقة الجافة الجامدة في رسم الوحدات الزخرفية بخطوط مستقيمة تنكسر في زوايا محددة ، والعناصر الزخرفية النباتية مثل الزهور والفروع والأوراق التي تهذب عادة بطريقة هندسية حتى تبلغ درجة يصعب معها تمييز هذه الزهور ومعرفة أصولها ، وكذلك تلوين السجاد بألوان باهتة وممزوجة بأخرى ، كل هذا من الميزات الهامة لسجاد الأناضول قبل أن يتأثر بالأسلوب الإيراني

ويختلف رسوم سجاد الأناضول المصنوع قبل سنة ١٣٠٠م عن رسوم السجاد المصنوع بعد هذا التاريخ . فقد كانت ترسم على النوع الأول وحدات زخرفية مأخوذة من الفن الساساني البيزنطي . والمعروف أن العنصر الزخرفي الشائع في الفن الساساني البيزنطي في ذلك الوقت كان في شكل دوائر تضم كل منها طائراً أو اثنين بهيئة رمزية . وقد حوّر فنانو الأناضول الشكل الدائري إلى شكل ذي ثمانية أضلاع ، أي إلى خطوط مستقيمة تنكسر في زوايا لها مظهر فيه الكثير من الجمود وشدة الجفاف ، لأن طبيعتهم تنفر من الأشكال الدائرة المرنة ، وكان إطار السجاجيد في العصر السلجوقي يزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية ، تتفق في مظهرها مع باقي الوحدات الزخرفية ذات الشكل الهندسي . ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الرحالة الشهير « ماركوبولو » ، كان قد ذهب إلى هذه البلاد في سنة ١٢٨٣ وزار السلاجقة في عاصمتهم قونية وكتب عن ذلك يقول إن أحسن وأجود سجاد العالم يصنع في الأناضول

أما بعد سنة ١٣٠٠م فقد قام آل عثمان على إنقاض الدولة السلجوقية في بلاد الأناضول وأسسوا الدولة العثمانية ، وكانوا شديدي التمسك بتعاليم السنة وكره رسوم الكائنات الحية ، فعملوا على إختفاء صور الحيوانات والطيور من التحف الفنية ومن السجاد . ومنذ بدء القرن السادس عشر أخذوا في تقليد رسوم قطع السجاد الممتازة الإيرانية ، فأدخلوا بذلك عناصر جديدة على أنواع الزخارف في الأناضول ، واستطاعوا في أواخر هذا القرن أن يكونوا لأنفسهم أسلوباً فنياً خاصاً بهم ، عني فيه أشد العناية بالزخارف النباتية في تطوراتها المختلفة حتى بلغت أقصى حدود الكمال ، مثال ذلك المراوح النخيلية وأنواع الزهور المهذبة « الأرابسك » والأوراق المسننة التي تشبه سنان الحراب ، وكذلك الزهور المحببة إلى سكان الأناضول كالقرنفل وزهور السوسن ذات السيقان الرفيعة



(شكل ١)

واقتبس فنانو الأناضول من بين العناصر الزخرفية المغولية ما يسمى « السحب الصينية » « تشي » ، وإن كانوا قد تجنبوا تكرار استعمال غيرها من الزخارف المغولية كصور الحيوانات الخرافية التي تتنافر مع شدة تمسكهم بتعاليم السنة . وقد ظهر هذا التأثير المغولي في سجاد الأناضول في القرن الرابع عشر ، ولم يكن ذلك نتيجة لفتوحات المغول وامتدادها إلى العراق

وسوريا ، بل نشأ عن التبادل التجارى الواسع المدى بين الصين وبلاد الشرق الأدنى ، وما كان لأنواع الصناعات الصينية من أثر كبير فى فنون هذه البلاد كما نرى ذلك بوضوح فى زخارف وأنواع الأوانى الخزفية والمنسوجات المصرية وسجاد الأناضول وغير ذلك من صناعات هـذا العصر . وظهر هذا التأثير لأول مرة فى شكل « مصارعة التنين للمنقاء » على سجادة رسمها المصور دومينيكو دى بارتولو فى إحدى لوحاته حوالى سنة ١٤٤٠م

ويحتوى المتر المربع من سجاد الأناضول عادة على ١٥٢٠٠٠ عقدة ، ويصنع من صوف الأغنام الناعم ، وهو أرق وألين من سجاد إيران . والألوان الشائعة فيه هى : الأحمر الباهت والأخضر النباتى الفاتح ، والأزرق المائل للاخضرار ، والأصفر الليمونى ، والأبيض الناصع ، وقد تأخرت صناعة السجاد فى الأناضول فى النصف قرن الماضى واندمجت بها أشياء دخيلة على هذه البلاد ، فتأثرت رسومها بالفنون الأوربية ، واستبدلت الألوان الطبيعية بالألوان الصناعية « الانيلين » الذى أسىء استعماله ، ومزج صوف أغنام الأناضول بالصوف المستورد من استراليا .

أنواع سجاد الاناضول

توجد أنواع كثيرة من سجاد الأناضول ، ينسب بعضها إلى نوع عناصره الزخرفية ، والبعض إلى مكان العثور عليه ، أو إلى مراكز صناعته ، أو إلى أماكن جمعه وإعداده للتصدير ، والشهير منها أنواع : عشاق ، تشتمانى ، الأبسطة ذات الطيور ، هولباين ، سجاد ترانسلفانيا ، ودمشق ، وسجاجيد الصلاة المصنوعة فى بلاد : جورديز ، كولا ، لاذق ، كيرشهر ، ميلاس ، موجور . وسجاد البدو من برغمه وقونية ، وغير ذلك من الأنواع . وسوف نتحدث فيما يلى عن كل من هذه الأنواع على حدة مع التوضيح بالصور .

وفى (شكل ١) سجادة صلاة[1] من نوع « عُشّاق » الفاخر ، من أوائل القرن السادس عشر ، عليها محراب أرضيته باللون الأزرق القاتم ، يحدها من أسفل بالأزرق الفاتح « سحابة صينية » كبيرة تحيط بباقة مرسومة بالألوان على أرضية حمراء . ويعلو السحابة الصينية الكبيرة أخرى صغيرة حمراء ويحيط بها زهور مهذبة . وأرضية خواصر العقد الأعلى بالأحمر وعليها فى الأركان بالأصفر الذهبي فروع وأوراق مسننة ومهذبة (أرابسك) .

وهذه السجادة من مجموعة حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا ، وهى معروضة الآن فى معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . وليس لهذه السجادة نظير فى العالم سوى واحدة مماثلة لها تماما فى متحف الدولة ببرلين .

وسوف نتابع الحديث فى العدد القادم من « الرسالة » عن سجاد « عُشّاق » الفاخر ، ثم عن أنواع سجاد الأناضول الأخرى .[1]

« يتبع » محمد مصطفى

(١) الصور المعروضة فى هذا البحث من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبي مصور دار الآثار العربية

(١) أهم مراجع هذا البحث هى الكتب التى تبحث فى موضوع السجاد ، وهى لمؤلفيها : حسين راشد وجاستون فيت وبوده وكوبل ومارتين وساره وهازنباخ وأورندى وجريفين لويس وغيرهم كثيرون .

النسر ...

للأستاذ عمر أبو ريشة

أصبح السفح ملعباً للنسور فاغضبي ياذُرَى الجبال وثوري
إن للجرح صيحة ، فابعثيها في سماع الدُّنَى فحيح سعير
واطرحي الكبرياء شِلْواً مُدمًّى تحت أقدام دهرك السِّكِّير

لملمي يا ذُرَى الجبال بقايا النسر وارمي بها صدور العصور
إنه لم يعد يكحِّل جفن النـ جم تيهاً بريشه المنثور!
هجر الوكر ذاهلاً وعلى عيـ نيه شيء من الوداع الأخير
تاركاً خلفه مواكب سُحْبٍ تتهادى من أفقها المسحور
كم أكبَّتْ عليه وهي تُندِّى فوقه قُبلة الضحى المخمور!

هبط السفح طاوياً من جنا حيه على كل مطمح مقبور
فتبارت عصائب الطير ما بيـ ن شرود من الأذى ونفور
لا تطيري! جوابة السفح فالنسر إذا ما خبرته لم تطيري
نسل الوهن مخلبيه وأدمت منكبيه عواصف المقدور
والوقار الذي يشيع عليه فضلة الإرث من سحيق الدهور
وقف النسر جائعاً يتلوى فوق شِلْوٍ على الرمال نثير
وعجاف البغاث تدفعه بالمخلب الفض والجناح القصير
فسرت فيه رعشة من جنون الكبر واهتز هزة المقرور
ونزا ساحباً على الأفق الأغـ بر أنقاض هيكل منخور
وإذا ما أتى الغياهب واجتا ز مدى الظن من ضمير الأثير
جلجلت منه زعقة نشَّت الآ فاق حرى من وهجها المستطير
وهوى جثة على الذروة الشما ء في حضن وكره المهجور!

أيها النسر هل أعود كما عد ت، أم السفح قد أمات شعوري

عمر أبو ريشة

بين معبدين

في المعبـــــد المسحور ، سبَّحنا ، وغنينا هوانا
ومشى الهوى ، نشوان ، ننسج من مفاتنه مُنانا
وسعى به قلبان ينتفضان في الدنيا ، حنانا
نسخ الحياة خيالنا ، حلماً ، فكانت من رؤانا

في ظلها النعسان طافت سمحة الأشراق نفسي
ونهلت من ينبوعها ، فملأت بالإلهام كأسي
ونسيت تحت سمائها ، من سكرتي ، يومي ، وأمسي
فكأنني فوق الزمان ، وفوق أعصابي وحسي

عمر كغفوة حالم ، بين المنى ، أو رجع لحن
أو نشوة علوية عبرت . . . ولم تخطر بذهن
مرت صباباتي ، كأوهام ، ونام اليوم فني
يا موكب الأحلام ، في كف الردى ، إياك أعني

من خان لذاتي ... وأطلق من يدي لهوي ، متاعي
ومن الذي جُنَّت ضـــــلالته فمزق لي شراعي
وأذل أيامي ، وأطفأ في متاهتها شـــــعاعي
وأقامني حرماً ، حزين الظل ، فوق غد مضاع

طوفت ثم رجعت ... والذكرى تعربد في ضلوعي
والقلب مخدور المشاعر غال صحوته خشوعي . . .
ولذائذي انحدرت ، تولول ، صارخات ، في دموعي
لغم الخريف المر ، ما حفلت به دنيا الربيع

اليوم أرجع للهـــــوى ، من بعد إيماني وشركي
وأعود أنثر فوقه مترحماً ، زهري . . . وشوكي
وأظل فوق ضريحه . . . ما بين أوهامي وشكي
في المعبد المهجور — بعد إلهه — قد عدت أبكي

محيي الدين صابر

خلود . . .

هذي غلالة إشراق سماوي من علم الحور أسمار الأناسي
يا طين كبر وهلل للإلهي في عالم الفلك الأعلى مواطنه
نهراً تعالى على التصفيق والري تسرب النور من أمواج مسبحه
موسقت همي بلحن منك علوي يا صائت الصمت والأنغام لا غطة



الشعر الجديد

اطلعت في الرسالة (عدد ٥٥٣) على مقال الأستاذ المحقق الثَّبت (***)، عنوانه « طاقات ريحان، هدية إلى شعراء في هذا الزمان »، أودَعَه طرائف مما قاله بعض بلغاء المتقدمين وشعرائهم في صفة الشعر البهرج، والنظم الغث والقريض المهلهل.

فهاجَ هذا المقال الممتع في نفسي ما كنت أضمره من رأي، وأحرص ألا أبوح به، ولو لخلصائي، والمطلعين على دخيلة آرائي؛ خشية أن أرمى « بالرجعية »، والتخلف عن القافلة الجادة المُرْقلة[1]؛ وخشية أن أجاهر - فوق ذلك - بقصور الفهم، وكلالة الذهن؛ وبأنني أعيش في عصر غير عصري، وأتعلق بما لا يتأتى أن يتعلق به مثلي.

وطالما كتبت في هذا الموضوع ثم عدلت عما كتبت. وكنت منذ قريب صنعت فيه مقالة، ثم حملتها إلى « الرسالة ». وإني لفي الطريق إذ تنازعتني عوامل متضاربة، وفكر متماكسة، دفعتني آخر الأمر إلى النكوص.

هذا هو موقفي. وأعتقد أنه موقف كثير من حملة الأقلام.

(١) المرقلة : المسرعة

وإلا فأين النقاد؟ أين من يقول هذا حسن وهذا قبيح؟ وهذا جيد وهذا زائف؟

إنهم يتوقَّون هؤلاء القارضين الذين إذا صاح بهم صائح أو نهرهم ناهر، أو كشف عن مواطن جهلهم كاشف، عَوَوْا عُواء الذئاب، وانتاشوه بألسنة حداد. وتزقوا ولبثوا ليالي ونهرا متأوهين متأففين، يلمنون النقد والناقدين)[1]

وهكذا استشرى شرُّ هؤلاء المتشاعرين، وقويت شوكتهم، وتسنى لهم في مصر وفي غير مصر من البلاد العربية أن يُنعتوا « بالمجددين »، وأن يلجوا أبواب الصحف المحترمة التي تحفل بالأدب، وأن يصلوا منها إلى موضع التشريف والتكريم

فكنت كلما وقفت على شيء من مقصداتهم اندفعت إليه مشوقا؛ لعلي أصيب منه طريفا؛ أو أفيد منه معنى شريفا، أو أظفر بما تهش به النفس[2] وتقر العين

أو لعلي - بعد ذلك - ألمح فيه شيئاً من « التجديد » الذي به يتشدقون، وعليه في تدجيلهم يتوكئون - ذلك التجديد الذي لا أدري ما هو؟ ولا كيف هو؟ وإنما الذي أدريه أنه لفظ لا كته الألسن منذ نحو ثلث قرن. وأدري أيضاً أنه لفظ جَنَى على اللغة والأدب جناية أيَّ جناية.

علم الله لقد كنت جاداً فيما أحاول لا هازلاً، وكنت مستفيدا، وكنت أبحث عن الحق، وكنت متجرداً من الهوى، وكنت أرجو أن يكون لهؤلاء النُّظام ولو بعض ما يدَّعون، أو شيء مما به يتفننون.

ولكني - وا أسفاه! - كنت أرجع من ذلك كله فارغ اليد واجما، أندب من الوقت ما أنفقت، ومن الجهد ما بذلت

يا سبحان الله! كيف أتيح أن يُنشر مثل هذا الهراء في تلك الصحف الكريمة، وأصحابها مَنْ نعلم ذكاء وأصالة رأي ونفاذ حكم؟

(ا. ع)

(١) من مقال الأستاذ الجليل

(٢) هش به : ارتاح إليه

قلبي يتيم هوًى ماتت بخفقته ... مانزة السكر من خمر الأماني

كلمتني فبعثت الحس في بدني ... قد كنت صورة إنسان خيالي

عصرت أزمنة السمار في قدحي ... وجئت أسقيك أفراح النواسي

جبينك الفلق الوضاء كلله ... نور التفرد بالطهر الضيائي

تبارك الشفق الوردي مجتمعا ... في كأس ثغر نديّ الراح مسكي

عيناك علمتاني - والهوى عبر ... رعاية الوحش للظبي الـكناسي

السحر فيك صبابات مطهرة ... وخدعة السحر أن أحظى بلاشي

زكريا الحجاري

زكي مبارك وإعجاز القرآن

ينكر الدكتور زكي مبارك أنه « الكاتب المجهول » وليس في الناس من يصدقه في ذلك ولا زكي مبارك نفسه .

ويقول إني أحاوره بكلام حاورته به في بيت القاياتي منذ عشرين سنة ، وليس يدري أنه بقوله هذا يعترف على نفسه بإنكاره إعجاز القرآن وأتهمه بالتشكيك فيه في كتابه النثر الفني ، ونثره الفني لا يزيد عمره عن بضع سنين ، فلا بد أن يكون غيره مما قال في ذلك العهد كان سبب مواجهتي إياه بتلك التهمة في ذلك الحين . وإذن فالشك في إعجاز القرآن باعتراف زكي مبارك مذهب يذهبه زكي مبارك من قديم

ثم هو لا يدري أنه بقوله ذلك أبطل أيضاً كل ما زعمه من صورية إسلامي لأني لم أستر أخطاءه إن كان من المخطئين ! أليس يكفيه ستر تلك الأخطاء قرابة عشرين سنة حتى كان هو الذي فضح نفسه بما كتب في كتابه وفي مقالاته ؟ فليعلم نفسه إذن وليفهمها إن كان لا يعلم أو متهماً أحداً من الناس .

ثم متى كان ستر الأخطاء من لوازم الإسلام بالحقيقة حتى يكون كاشفها مسلماً بالصورة ، خصوصاً إذا كانت تلك الأخطاء من نوع التشكيك في إعجاز القرآن

لقد أسندت إلى زكي مبارك تهما معينة تحديته بها كما يقول لينكرها إن استطاع ، فلم يفعل ، ولو استطاع لفعل . لكنه يعلم أن مجرد الإنكار لا يغني وكلامه شاهد عليه ؛ ثم عز عليه أن يتبرأ من كلامه ذلك بعد أن طال افتخاره به ، فجمجم يقول إني أتمسح بالدين لأنتصر عليه ، ودمدم يظن أنه يستطيع أن يخدع النـاس عن ضعفه بتظاهره بالقوة . ولست أبغي إلا أن يعرفه الناس فيحذروه . فإذا هو لم يخرج مما دخل فيه بالتبرؤ منه والرجوع عنه ، فسنخرج نحن ممـا دخلنا فيه بإيراد الدليل عليه من كلام زكي مبارك نفسه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

محمد أحمد الغمراوي

إلى الدكتور زكي مبارك

كنت أيها الأستاذ الجليل أسبق الأدباء المصريين إلى رد الظلم والبهتان اللذين حاول كاتب لبناني أن يلصقهما بهم ، وكنت أسرعهم إلى رفع الحيف الذي ما فتىء هذا الكاتب ينالهم به ، بين حين وآخر ، لغاية في نفسه

ولقد حمدنا لك أن تتناول — في مقالات نشرت في « المصري » آراء ذلك الكاتب بالنقد والتجريح وأن تحللها مبيناً ضعف الحجة ووهن المنطق فيها

بيد أن الذي لم نحمده لك أن تخاطب في مقالاتك الأدباء اللبنانيين جميعهم ، كأنك تعتقد أن التهمة التي ألصقها بذلك الكاتب ، جائزة عليهم كلهم ، فكنت تعجب من « الكتاب اللبنانيين » ومن ظلمهم وتعسفهم وإنكارهم لقيمة الأدب المصري ، وما كان يجوز لك أن تجري عليهم جميعاً حكمك على كاتب منهم معين ، أو على مجلة معينة . فلا تحسبن أن الذي تنكره على ذلك الكاتب وعلى تلك المجلة ، نستسيغه نحن ، ونرضى به ، ولئن كنا لم نسارع إلى دفع ذلك الكلام ، ولم نبادر إلى نقده ، فليس ذلك لأننا راضون عنه أو لأننا عاجزون عن رده ، وإنما كان ذلك لأننا لمسنا أن وراء ذلك الكلام غاية معينة ، وغرضاً خاصاً ، تستهدف له كرامتنا الوطنية نفسها

ولما كنا نعتقد أن كرامتنا الوطنية بلغت من تقدير الناس وتقديرنا لهـا حداً لن يتأثر قط بأراجيف مصطنعة ، وادعاءات مغرضة ؛ فإننا طوينا كشحاً عن كلام ذلك الكاتب غير آبهين له خاصة وإننا كنا أو جلنا على مثل اليقين بأن الكاتب المقصود لم يقم يوماً بدراسة أو محاضرة ولم يؤلف كتاباً أو مقالاً خالصاً لوجه الأدب !

ومع ذلك فقد شاء كاتب لبناني كبير أن يطلع الناس على تلك الحجج الواهنة ، والبراهين الضعيفة التي استند إليها المحاضر فكتب مقالاً قيماً في مجلة « الأديب » البيروتية جزء شباط سنة ١٩٤٤

أقول إنه كان من الوجب أن تحترس في توجيه خطابك فتقتصر به على الكاتب المقصود ، ثم إن ممـا أثار عجبنا أن تثير تلك الكلمات هذه الضجة في مصر خاصة بعد أن لمس المصريون أنفسهم عواطف الإخاء والود والعرفان بين مصر ولبنان في هذه الأيام الأخيرة ، وقد كان من الواجب عليهم أن يفطنوا ،

حين يستمعون إلى بعض أنغام جديدة ، إلى أن هذه الأنغام شاذة وناشزة ، فلا يتعبوا أنفسهم وعقولهم فى محاولة إصلاحها ودرجها فى الأنغام المنسجمة الرائعة ، لأنها لا شك ستضمحل ذات يوم وتتلاشى وتجف حين لا تجد الأذن المصغية

وعلى هـذا فنرجو أن يفسر إخواننا الأدباء المصريون سكوتنا بغير ما ينبغى أن يفسّر ، وألا يحملوه على غير محمله ، لنعمل جميعاً على تحقيق ما نصبوا إليه من شئون التعاون بكل أطرافه السياسى والاجتماعى والثقافى وأن يحدّ الدكتور مبارك من غلوائه التى نستهدف لها جميعاً !

(بيروت) سهيل ادريس

معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية

تقيم جمعية محبى الفنون الجميلة فى يوم الإثنين ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . ويضم هذا المعرض مجموعة قيمة تمثل أغلب أنواع السجاد القديم المصنوع فى بلاد الأناضول يندر أن يجمع مثلها فى مكان واحد . وقد ساهم كثيرون من كبار هواة السجاد فى هذا المعرض بقطع فاخرة من مجموعاتهم الخاصة ، كما زينت قاعات المعرض بقطع من قطيفة بروسة واسكوتارى ومن أنواع مختلفة من التطريز ، وألواح القاشانى ، وشمعدانات من النحاس وأدوات جميلة من الفضة ، وأسلحة نقش عليها أسماء بعض سلاطين آل عثمان . وكان لمساهمة حضرتى صاحب السمو الأمير يوسف كمال وصاحب المعالى الدكتور على إبراهيم باشا أثر كبير فى استكمال مظاهر الفن والجمال بهذا المعرض

ولم يفت القائمين على تنظيم هذا المعرض وترتيبه أن ينسقوه على حسب أنواع السجاد وتطورها فى العصور المختلفة حتى صار بمثابة دليل على يستطيع فيه الزائر أن يتتبع دراسة سجاد تركيا

وقد وضع الأستاذان حسين راشد وجاستون فييت بالفرنسية دليلاً لهذا الغرض فيه تفاصيل كثيرة عن أنواع السجاد . وترجم هذا الدليل إلى اللغة العربية الأستاذ محمد راتب والدكتور محمد مصطفى .

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ١٨٢)

على ما كان فى ثنائيه وكأنك لم تحذف شيئاً ! ولعل كثيراً من مزاولى القصص عندنا يفيدهم أن يقرأوا قول ابن الأثير : « جلس إلىّ فى بعض الأيام جماعة من الإخوان وأخذوا فى مفاوضة الأحاديث ، وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التى تقع فى العالم ، فذكر كل من الجماعة شيئاً . فقال شخص منهم : إنى كنت بالجزيرة العمرية فى زمن الملك فلان ، وكنت إذ ذاك صبياً صغيراً ، فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان فى الحارة الفلانية ، وصعدنا إلى سطح طاحون لبنى فلان ، وأخذنا نلعب على السطح فوقع صبىّ منا إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون ، فخفنا أن يكون أذاه ؛ فأسرعنا النزول إليه ، فوجدناه قد وطئه البغل ، فختنه ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها . فقال له شخص من الحاضرين : والله إن هذا عىّ فاحش وتطويل كثير لا حاجة إليه ، فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح طاحون ؛ فوقع صبى منكم إلى أرضهـا ، فوطئه بغل من بغالها فختنه ولم يؤذه . ولا فرق بين أن تـكون هذه الواقعة فى بلد نعرفه أو فى بلد لا نعرفه . ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدْحاً فى غرابتها . وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية فى الحارة الفلانية فى طاحون بنى فلان ، فإن مثل هذا كله تطويل لا حاجة إليه والمعنى المقصود يفهم بدونه »

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

فى « مجموع رسائل الجاحظ »

ومتى أجئه فى الشدائد مرملا ألق الذى فى مزودى لوعائه

والحافظ ابن حجر



12 me Année No. 557 — Lundi - 6 - 3 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

العلم التبشــــيرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدرس العلمي يخدم الحقيقة ويبحث عنها ويرحب بها ولا يكره إظهارها حيث كانت فى مذهب من المذاهب أو إنسان من الناس

أما الدرس الذى يكره إظهار الحقيقة لأنها تخص مذهبا غير مذهبه ، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده ، فليس ذلك بدرس علمى ولا بعلم ، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول .

ومن هـذا القبيل درس كاتب فى مجلة « المقتطف » يستره بدعوى العلم الصرف وما هو بمستور ، ويمزجه بنوازع التعصب الخفى عامداً أو غير عامد وما بها من خفاء

كتبنا عن عائشة كتابنا « الصديقة بنت الصديق » وعقدنا فيه الفصول لنقول إنها رضى الله عنها كانت امرأة تامة الأنوثة فى طبيعتها وخلائقها . فأعجب كاتب المقتطف بهذه الطريقة وقال من عنده : « . . . ومن محاسن هـذه الطريقة أن المترجم مهما يعظم ويخطر ينزّل منزلة الإنسان . فالسيدة عائشـة على فضلها أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط فى الغيرة حتى أنهـا لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به ، وإنها ذات حدة طبيعية ، وإنها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها ،

وأنها مالت إلى ذوى قرباها في أمر الخلافة »

انتهى كلام كاتب المقتطف الذى يصطنع الدراسة العلمية وما هو منها فى غير باب الفهارس والعناوين

ونحن لم نقل إن السيدة عائشة حملت الحقد أو دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته ، فهذه عبارات الكاتب راقه أن يعبر بها عما أراده ، وبينها وبين ما ذكرناه فرق محسوس

إلى هنا نحن علماء ، وطريقتنا فى النقد لها محاسن ؛ ولكننا على ما يظهر لا نكون علماء ولا تعرف لطريقتنا حسنة إلا إذا وقفنا عند هذا الحد فى الكتاب كله من ألفه إلى يائه . فأما إذا أسفر النقد عن محمدة أو عن تبرئة من مذمة فقد كفرنا بالعلم وخرجنا من محاسن الطريقة إلى السيئات

ولهذا عاد كاتب الفهارس والعناوين يقول : « وتلك مزية فى الإنشاء قد تحرف المنشئ إلى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالإحساسات البشرية الصادقة الصافية ... »

إلى أن يقول : « غير أن هذا الضرب من الإنشاء ربما كان مسافة إلى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب إليه المؤلف لما عرض لقصة الإفك ، فاجتهد فى الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول ، وربما لج فى استخراج هذه ، وأبعد فى استنباط تلك ، حتى أنه يمسى فى مدارج المجاذبة والمدافعة مدرها لا باحثاً ... »

ومعنى ذلك أننا أخطأنا لأننا نقضنا حديث الإفك وأسهبنا فى نقضه ، وإننا كنا نوافق العلم إذا رويناه ولم نعقب عليه ، أو كان قصارانا فى التعقيب عليه أن نقول : « إن قصة الإفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد ... »

إذن نكون علماء ولا نكون مدرهين مدافعين ... !

وإذن يقر « العلم التبشيرى » عيناً لأنه يستطيع أن يصيح يومئذ بين من يستمعون إليه : « أيها الناس ! هذا قصارى مايملكه الباحث فى حياة السيدة عائشة من تفنيد لحديث الإفك وإبطال لدعوى المفترين عليها ، ولو كان عندهم مزيد من التفنيد والتصحيح لجاءوا به ولم يسكتوا عنه »

وهذا هو العلم اللذيذ الشهى المعجب المطرب الذى يبرئنا من اللجاجة ولا يؤخذ علينا فيه عيب القدرة على الجدال

أما العلم الذى يسهب فى تصحيح حديث الإفك دفاعاً عن سمعة السيدة عائشة فهو علم كريه بغيض عند المبشرين وأشباه المبشرين

هكذا يريدها كاتب « المقتطف » الذى يصطنع الدراسة العلمية لينفذ منها إلى هذه المآرب الخفية على ظنه ، وما هى بخفية إذ الواقع أن المسألة هنا أظهر من أن يسترها هذا البرقع المزق المشنوء ، وأن العلم الصحيح ، والأدب الصحيح ، براء من هذا العوج البين فى التفكير والتقدير

الواقع أن الإسهاب فى تصحيح حديث الإفك واجب علمى نلام على إهماله أو التقصير فيه ، لأننا نكتب عن « شخصية » السيدة عائشة فلا نكون قد صنعنا شيئاً إذا نحن لم نمحص خلائقها ولم نظهر مقدار الصدق أو البطلان فيما يقال عنها

وكل ما يجب علينا أن نثبت مقال الخصوم فلا نحذف منه شيئاً ، وأن نعرضه على مقاطع الحجج أو مواضع الاحتمال والترجيح فلا نغفل منها شيئاً ، ثم نقابل بين الكفتين لندل على الراجحة منهما والمرجوحة ، دون أن نكره القارئ على التصديق بغير برهان . وهذا ما صنعناه

وهذا الذى يعده الكاتب الذى حرمه الله الذوق والفهم لجاجة وخروجاً من وظيفة البحث العلمى إلى وظيفة الدفاع

ومن الواضح أن الباحث العلمى مطالب بالالتفات إلى البراهين القاطعة والوقائع الحاسمة كما هو مطالب بالالتفات إلى القرائن المرجحة والأدلة المحتملة ، فلا يلام على قرينة لأنها غير قاطعة ، ولا على دليل لأنه غير حاسم ، ولكنه يلام إذا أهمل شيئاً من ذلك أو أثبته ثم أعطاه حظاً من القوة غير حظه الذى يحتويه

ونحن قد أتينا بكل ما يخطر على البال من جانبى المقال ، ولم نبالغ قط فى قيمة ترجيح أو احتمال ، فقيل إنه خروج من البحث إلى الجدال

ولكن ما هو البحث الخالص البرىء الذى لا جدال فيه يا ترى ؟

هو الإسهاب فى متابعة كل حجة وكل قرينة للتشكيك والتوهين ، إذ التشكيك والتوهين هما العلم الذى لا جدال فيه ...

أما التصحيح والتبرئة فهما الجدال الذى يعاب على الباحثين والعلماء ... !

وهذه أمثلة من إسهاب كاتب « المقتطف » الذى برئ من الفهم والذوق وصراحة التفكير واستقامة القياس

قال يعنينا :

« من ذلك أنه أول شكوى امرأة صفوان بن المطل — وهو بطل حديث الأفك عند المرجفين — تأويلاً متزيداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه إلى خبر لا ندرى ما يكون . وتفصيل ذلك أن المؤلف نقل أن امرأة صفوان شكته إلى النبى لأنه ينام ولا يصلى الصبح قبل طلوع الشمس ، ثم زاد : وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النوم كناية عن أمر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا إنه كان حصوراً لا يأتى النساء »

نقل كاتب المقتطف ما تقدم من كتابنا ثم قال : « والذى عندى أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارّة نحو الكناية ، ولو كانت فارة لكان النبي الزكن فطن للأمر ، فما قال لصفوان على جهة التصريح : إذا استيقظت فصلّ ... ! »

فكل ما قلناه نحن أن الباحث يحسن به أن يوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها ، وهو أنها تكنى بنومه إلى ما بعد طلوع الشمس إلى إهماله واجب الزوجية ، ولا تحب أن تصرح بما أرادت ، لأن التصريح قد يخجل المرأة فى مجلس الرجال

لم نقل أن هذا القصد هو كل معانى الكلمة ، بل قلنا إنه بعض معانيها ، ولم نشأ أن نزيد على ذلك كثيراً ولا قليلاً ، ولو شئنا لزدنا وقلنا إن المرأة لم ترد إلا ما أشرنا إليه ، وإلا فما شأنها هى بصلاته بعد طلوع الشمس إذا كان ذلك جائزاً فى الدين ؟

لكننا مع هذا وقفنا عند حد الاحتمال الجائز ولم نزد عليه ، فإذا بهذا الطموس ينكر الكناية هنا كل الإنكار بدليل لا يخطر إلا على خاطر كايل وذهن عليل ، وذلك أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لصفوان بعد أن سمع شكاية امرأته : إذا استيقظت فصل !

فيأيها الطموس مرة أخرى ! بماذا تريد أن يجيبها النبى وهو يخاطب بذلك الكلام على سبيل الكناية ؟

أتريد من النبى الزكن الفطن أن تخاطبه امرأة خجلى كناية وتعريضاً فيجيبها على الملأ بما هربت منه وأبت أن تذكره على سبيل التصريح ؟

أهذا هو البحث الذى لا لجاجة فيه ؟ وهذا هو التدليل الذى لا يحسب من الجدال ؟

ثم أبى هـذا الكاتب الطموس البصيرة أن يكون صفوان حصوراً بالمعنى الذى يرى السيدة عائشة فقال :

« وأما قصة الحصر فليست بالحجة القاطعة . فالذى فى سيرة ابن هشام أن عائشة إنما كانت تقول : لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتى النساء ... ثم أضف إلى هذا الاستدلال الخبرى واللغوى أن الذى ذكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلماً ما انبث حديث الإفك » إلى آخر ما قال

فلماذا يرد هذا على ذهن الكاتب الطموس ولا يرد على ذهنه أن ابن المعطل لو كان أمر حصره باطلاً معروفاً لما شاع عنه أنه حصور ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله ذرية غير مبهمة ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله امرأة نعلم هى على الأقل أن الاتهام باطل وأن هـذا الاتهام الباطل دليل على شىء مخبوء ؟

لماذا خطر له أن أصحاب حديث الإفك لن يشيعوا ما ينقضه البرهان ؟ ولم يخطر له أنهم قد يشيعون ذلك اعتماداً على التباس التهمة التى تحتمل كل التباس ؟

لماذا ؟ ... أللعلم الذى لا جدل فيه ، أم لشهوة النفس التى لا علم فيها ولا أمانة للحق والتاريخ ؟

وخلاصة هذه الأمثلة أن المسألة مكشوفة لا يجدى فى مداراتها اللغط بألفاظ البحث والعلم والاستقراء ، فإنما يكون الاستقراء علمياً عند هذا الكاتب وأمثاله كلما أفضى إلى تشكيك واسترابة ، ولا يكون الاستقراء علمياً ولا محموداً ولا واجباً على الباحث أن يلم به إلماماً فى عرض الطريق كلما أفضى إلى تبرئة وتعظيم

وإذا قلنا إن السيدة عائشة مؤمنة بنبوة محمد عليه السلام

في الرملة البيضاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دعيت حينما حللت بيت المقدس إلى زيارة إخوان كرام في الرملة ويافا ، وقد صادفت الدعوة شوقاً في النفس وحنيناً ، ولبثت أرتقب الفرصة حتى حسِبتها قد أفلتت . وبينما أنا بالمسجد الأقصى يوم الجمعة الذي حدثت عنه في مقاليَّ عن المسجد المبارك، شكوت إلى الصديق الكريم الذي ذكرته قبلا وقلت إن وجهه لا يعيب عن مشهد من مشاهد الخير ، مافاتني من السرور بما أمّلت من زيارة إخوان كرام في مواطن كريمة ، وقلت ضاق الوقت فالرحيل بعد غد . قال : وما عليك إذا زرت المدينتين غداً وركبت الطائرة بعد غد من اللد دون الرجوع إلى بيت المقدس ؟ إن في الوقت سعة لإدراك بغيتك ، وتأدية واجبك ، ونذهب معاً إن شاء الله

فارقنا بيت المقدس ظهر السبت الخامس والعشرين من رمضان نؤم الرملة ، وسارت السيارة في أودية فلسطين وشعابها ، وأفضنا نحن في شعاب من الحديث وأودية نفصلها على ما نرى من مشاهد جميلة ، وما نمر عليه من زروع وأشجار وجبال وقرى ، وما يوحى به أولئك من ذِكَر وعبر بين الماضي والحاضر حتى أوفينا على المدينة الكريمة .

نزلنا في دار البنك ، بنك الأمة العربية . ولهذا البنك دُور في أمهات مدن فلسطين ، فسرني ما رأيت من صور تاريخنا على الجدران ، وما توسمت من صور جهادنا الحاضر في أعمال البنك وحسابه . وكم فرّج هذا المصرف من كرب ، وكم محا من يأس ، وكم عصم من مال وأرض ، وكم جمع الكلمات المتفرقة ، وألّف الأهواء الشتيتة . وإن رجاءنا في مستقبله أعظم من اغتباطنا بماضيه ، وابتهاجنا بحاضره . وجزى الله خيراً كل من ساهم في الذود عن هذه الأمة بعقل مدبر ، أو يد عاملة ، أو لسان ناصح ، أو مال نافع .

ثم سار بنا الشوق والسرور إلى دار الأخ الصديق المجاهد محمد يعقوب الغصين ، فنعمنا حيناً بالجلوس مع الأخ الكريم ، وجماعة من وجوه الرملة أتوا مسلمين . نضر الله هذه الوجوه ورعاها . وكانت مطامعنا قد اتسعت لأن نزور المدينتين ، ونجيب الدعوتين ، ونقضي الفرضين في يوم واحد . فلما لقينا الوجوه الكريمة ، وأفضنا في أفانين الحديث ، عرفنا أن ما بقي من إقامتنا في فلسطين لا يتسع لأداء فرض واحد من فروض كثيرة تلزمنا بنزولنا الرملة ، فأقصرنا عن زيارة يافا أسفين آملين أن تيسر لنا فرصة نزور فيها يافا والرملة أيضاً

خرجت في المشيّ في صحبة الصديق الكريم أحمد حلمي باشا لنجول في الرملة وما حولها على قدر ما تأذن لنا بقية نهار من رمضان فذهبنا إلى أطلال مسجد كبير تدل رسومه وبقايا جُدُره وأسطواناته ، ومكانُ المحراب من هذه البقايا ، أنه كان من أعظم الجوامع الإسلامية وأفسحها كجامع بني أمية في دمشق ، وجامع المعتصم في سامرا ، وجامع ابن طولون في مصر أو أوسع . ولا يبنى مثل هذا الجامع إلا في مدينة كبيرة عامرة . وكذلك كانت الرملة البيضاء . فقد مصّرها سليمان بن عبد الملك وهو وال على فلسطين من قبَل

ظهر في سيرتها جميعاً لم يفهم معنى هذه الدلالة وراح يقول : ألا يخطئُ المؤمنون والمؤمنات ؟ ويفوته أن المسألة هنا ليست مسألة الخطأ بل مسألة الشك في علم النبي بالخطأ من طريق الوحي والإلهام . ومن واجب الباحث أن يستبعد وقوع الخطأ من هذا القبيل ، لأنه لم يحدث قط في حياة الأنبياء ، ولأن الإغراء الذي يقاوم كل هذه الموانع غير موجود ولا مفروض في حديث الإفك السخيف الذي لا برهان عليه

* * *

وبعد ، فإن كنا نأسف لشيء ، فإنما نأسف لمجلة «كالمقتطف» أن تتورط في مثل هذا الإسفاف وقد تنزهت عنه في أيدي كتابها الأفاضل حقبة من الزمان ، وأن تسلم زمامها إلى هازلين يعبثون بكرامتها ويخرجون بها عن سوائها وهم ما هم من قلة الفهم وقلة الذوق وقلة الإنصاف ، وحظهم من حب العلم والحقيقة ما رأيناه ، وهو حظ يلحقهم بدعاة التبشير ويخرجهم من زمرة كتاب المقتطف المعهودين ، وللقائمين على المقتطف أن يختاروا لمجلتهم ما يحلو لهم من مصير ، ولكن القراء أيقاظ لا يغفلون .

عباس محمود العقاد

أخيه الوليد، ثم عنى بعمارتها بعد أن آلت إليه الخلافة، ودعا الناس إلى البناء فيهـا فاتسعت وعظمت . وقد روى ياقوت أن سليمان أراد أن يخلد ذكره بمدينة الرملة ومسجدها كما خلد ذكر أبيه عبد الملك بقبة الصخرة، وذكر أخيه الوليد بجامع دمشق . وحسب جامع الرملة أن يكون صنو جامع دمشق، وبيت المقدس . ما هذه الأساطين والجدر إلا بقية العراك المديد بين الحادثات المدمرة وهذا المسجد العظيم، قامت كما يثبت المجاهدون الصابرون للخطوب الجسيمة، والأرزاء العظيمة

وقد تداولت الرملة أحداث الدهر أيام الحروب الصليبية حتى أنقذها من الفرنج السلطان صلاح الدين عام ثلاث وثمانين وخمسمائة؛ ثم اضطر إلى أن يخربها بعد أربع سنين حذرا أن يستولى عليه الفرنج مرة أخرى . وناهيك بالمحن التى تضطر صلاح الدين إلى إخراب مثل هذه المدينة !

وفى شمالى ساحة الجامع منارة عظيمة عالية مربعة مبنية بالحجارة الضخمة المهندسة بناها الملك الناصر محمد بن قلاون وكأنه أراد أن يجعلها مئذنة ومنارة أو مرقباً لمراقبة السفن القادمة إلى سواحل فلسطين . على المنارة كتابة واضحة فيها اسم الملك الناصر وألقابه، وتاريخ بنائها سنة ثمانى عشرة وسبعمائة . والمنارة قائمة وحدها مفردة، كأنها رمز للتوحيد ثابت على مر الزمان، أو علم للإيمان القوى الذى لا يقهره تقلب الحدثان . كم شهدت هذه المنارة من الغـِيَر، ورأت من أحداث القدر، وتاريخ البشر ! وليت شعرى ماذا تروى من أخبار السلف، وماذا تنقم من أفعال الخلف ؟

فارقت هذه الآثار قائلاً : رحم الله بنى أمية، وهذا أيضاً من آثارهم، منشداً فى هذه الآثار المخذولة، وذاك الحمى المستباح قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مَرْج راهط
ورملة لُدّ أن تباح سهولهـا

ذاكرا الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى ما تزال آثاره فى مصر والشام شاهدة بمآثره، ناطقة بمحامده

ثم جلنا ساعة فى الأودية القريبة من المدينة والمزارع والمشاجر الناضرة الفيحاء، ومررنا بوادى حنين

قال الباشا : هنا بستان للأخ الكريم الأستاذ محمد على الطاهر يقضى علينا الوفاء أن نراه لنعرف كيف تعهده والعناية به . والبستان فى ربوة يؤدى إليه طريق صاعد ضيق . قال الباشا : إن سائقنا يشفق من هذا الطريق، فكلما مررت على مقربة منه أسرع آملاً ألا أذكر البستان إلا بعد أن يبعد عنه فيستريح من مشقة الإصعاد إليه وتخلل المسلك الضيق بالسيارة . وقد أدركت حيلته فهددته أن أخبر الأستاذ الطاهر ليهجوه بمقال أو مقالين . سرنا بين بساتين يانعة كثيفة الشجر، كثيرة الثمر، حتى انتهينا إلى بستان أخينا فدخلناه وتخللناه، فوجدناه حديث عهد برى، وسرنا أن وجدناه مع ما أدركه من حرفة الأدب التى جملته أقل نضارة من جاره، مخضرا تنوء أشجاره بما حملته . أخذنا غصناً من البرتقال فيـه تسع حبات متراكبة كعنقود العنب، وغصناً من الليمون الهندى الذى يسمى جريب فروت[1] فيه خمس حبات كذلك، قلت أنعم بها من بشرى نحملها إلى الصديق فى القاهرة، وهدية نُطرفه بها من بساتينه الناضرة، وقد حرصت عليها وحملتها فى الطائرة متيمناً بها، أراها أغصان نضارة وسلامة، ورمز عناية بالصديق وكرامة، وتنضيراً للصلة بين مصر وفلسطين . وما أحسبنى فرحت بهدية حملتها، ولا الأخ الطاهر سرّ بهدية حملت إليه، سرورنا بهذه الهدية الخضراء الجميلة التى حملتها الرياح من الرملة إلى القاهرة

وعدنا إلى دار ضيافتنا للإفطار وصلينا فى مصلّى فى الدار به ضريح يقال إنه ضريح أبي يزيد البسطامى الصوفى المعروف . وما عرفنا فى تاريخ أبى يزيد أنه جاء إلى الرملة، بل قبره فى بسطام بلده معروف يقصده الزوار من الأرجاء، ولا سـيما الصوفية حتى اليوم ؛ ولعله ضريح بُنى على ذكر أبى يزيد، أو قبر صوفى آخر من البسطامية أتباعه غلبه على قبره صيت شيخه . وقد قرأنا فى تاريخ الصوفية أن أول من عرف منهم بهذا الاسم صوفى اسمه أبو هاشم اتخذ صومعة فى مدينة الرملة وتوفى سنة ١٥٠ فهل هذا قبره ؟ لم يتسع مقالنا للبحث فى هذا الشأن

وبعد العشاء ذهبنا إلى دار الشبان المسلمين فلقينا جمعاً من الشبان حاشداً وعلمنا أنهم لم يجتمعوا منذ سبع سنين ؛ فرحت

(١) grups fruit

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

للأستاذ ساطع الحصرى

للأستاذ دريني خشبة

عندما فرغت فى العام الماضى من قراءة الجزء الأول من كتاب الأستاذ الجليل ساطع الحصرى (أبو خلدون) عن مقدمة (ابن خلدون) أيقنت أننى لم أضع وقتى سدى فى قراءة هذا الكتاب الثمين، وأيقنت أن ابن خلدون جدير بأن يوليه مفكرونا وكتابنا عنايتهم، كما يوليه مفكر والغرب وكتابه عنايتهم على الأقل، وإن كان واجبنا يقتضينا أن نسبقهم إلى ذلك ونبزهم فيه ... فليس كثيراً على ابن خلدون أن يكتب فيه الدكتور طه حسين رسالة يكسرها على فلسفته الاجتماعية، ثم يأتى الأستاذ عبد الله عنان فينقل إلى العربية تلك الرسالة، ويزيد فيضع كتاباً جديداً عن حياة ابن خلدون وتراثه الفكرى، ثم يتفرغ الأستاذ أبو خلدون لوضع مؤلفه الشامل عن مقدمة ابن خلدون فيملأ أيدينا وعينا ببحث عجيب مستفيض عن هذا الرجل العبقرى الذى يعتبر بحق نابغة الأمة العربية فى علم الاجتماع،

وقد أصدر الأستاذ ساطع بك الجزء الثانى من بحثه القيم عن المقدمة هذا العام (١٩٤٤)، وما كدنا نراه حتى أكببنا عليه نتلوه، بل ندرسه، فى شغف وفى شوق وفى إعجاب

تناول المؤلف فى الجزء الأول موقف ابن خلدون من الكهانة والنجامة والسحر ومشيئة الله، والأدوار التى لعبتها هذه الأشياء فى التاريخ؛ ثم نبذة شاملة عن حياة ابن خلدون لم يقتصر فيها على ما كتبه المؤرخ عن نفسه فى الرسالة المحفوظة بدار الكتب المصرية، والتى تنقص تاريخ فترة طويلة من حياته تبلغ إحدى عشرة سنة إلى وفاته؛ ثم تاريخ كتابة المقدمة وشعور ابن خلدون بأنه إنما استحدث فى علم التاريخ حدثاً جديداً لم يسبقه إليه أحد، وانتقل إلى ما حدث من إهمال المؤرخين العرب للأسس التى وضعها ابن خلدون فى مقدمته لعلمى التاريخ والاجتماع وما كان من تنبه المؤرخين العثمانيين إليها آخر الأمر، وانتفاعهم بها فى وضع تواريخهم، وذلك من نعيما صاحب التاريخ المعروف إلى عبد الرحمن شرف المؤرخ الرسمى الأخير، مما أدى إلى ترجمة المقدمة إلى التركية قبل ترجمتها إلى أية لغة أوربية بنحو من قرن كامل، ثم تناول بعد ذلك لغة المقدمة فشرح نظرية النقد التفسيرى شرحاً لم يسبقه إليه أحد فى العربية، وفسر لنا

عقدهم، وباعدت بينهم، ومنعتهم الالتئام فى مثل هذا الجمع، حوادث الحرب وما قبل الحرب من الثورة والجهاد، وممارسة الخطوب الشداد، فما كان أعظم غبطتى، وما كان أسعد جدى أن كانت زورتى المدينة الكريمة مقرونة باجتماع الشمل، وانتظام الجمع. تكلم صديقنا المجاهد محمد يعقوب الغصين وتكلم عدة من كرام الشبان فأفاضوا ما شاء أدبهم وكرمهم محيين المجاهد الكريم، والزعيم الاقتصادى أحمد حلمى باشا والضيف المصرى الذى لا يرى نفسه فى فلسطين ضيفاً، ولا يعد القاهرة أولى به من الرملة. وتكلمت على وجوه يعرفها قلبى وإن لم تشهدها عينى مستمداً من تاريخنا ومآثرنا وأخلاقنا وعزائمنا ما يثبتنا فى هذه المحن، ويربط على قلوبنا فى هذه الفتن، ويجمع الكلمة فى هذه المصائب، ويؤلف العزائم لهذه النوائب، وألقيت إليهم من تاريخنا وأخلاقنا وأواصرنا مقاليد المستقبل الكريم،

الوضاء الذى يبسم فى أعقاب هذه الظلمات، ويتنفس من وراء تلك الكربات. ومن وراء كلامى ما يضيق عنه الكلام، وتتلقفه عن الوجدان الأفهام. لقد كانت ساعة جليلة لا تزال تضىء فى جوانحى، وتشتعل فى سرائرى.

أصبحت إلى مطار اللد فى صحبة إخوانى الكرام أتمثل بقول القائل:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

وأنشد قول أبى الطيب فى طريقه إلى مصر:

إذا السحاب زفته الريح مرتفعاً فلا عدا الرملة البيضاء من بلد

عرجنا على بنك الأمة العربية فى اللد فلبثنا حتى سرنا إلى المطار وقد قصصت قصته من قبل فى حديث عن الطيران من اللد إلى القاهرة

عبد الوهاب عزام

بعض العبارات التى تعيننا على فهم أسلوب ابن خلدون ومقاصده من كثير من العبارات التى خرج بها على المعانى المألوفة لها مما يحدث التباساً فى مسايرته إلى أغراضه إن لم نلم بها قبل قراءة المقدمة ، وهذا فضل لم نر بداً من تسجيله للأستاذ ساطع فى هذه الكلمة السريعة الموجزة . ثم يستطرد بعد هذا فجأة إلى نسب ابن خلدون ، ويناقش الدكتور طه حسين فيما ذهب إليه من شك ابن خلدون نفسه فى نسبه ، كما يناقش الأستاذ عنان أيضاً فى هذه المسئلة . ونرجو أن تكون لنا عودة بصدد هذه المناقشات

وفى القسم الثانى من الجزء الأول يتناول الأستاذ الجليل مكانة المقدمة فى تاريخ « فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع » ويحدثنا عن فيكو وآرائه ، كما يحدثنا عن مونتسكيو ونظرياته ، مقارناً بينهما وبين ابن خلدون ، ومكانة ابن خلدون من علم الاجتماع ونظرة علماء أوربا إلى نابغة العرب . والأستاذ ساطع يثير إعجاب القارىء إلى أقصى حد بسعة إطلاعه وجهوده العميقة الموفقة التى بذلها فى هذا القسم من أقسام الكتاب ، فهو يلفتك إلى عشرات وعشرات من المراجع الهامة التى يضع بين يديك خلاصتها ، ويثير فيك فضول الاطلاع بالرجوع إليها ، فمن أروع ما أثبته هنا خلاصة ما كتبه (روبرت فلنث) عن ابن خلدون وتفضيله على جميع أنداده ممن كتبوا فى فلسفة التاريخ . ولا يفوتنا ونحن نكتب هذه اللمحة ، أن نعارض بشدة ما أورده « فيكو » من أن العبرانيين ، ثم الكلدان ، ثم الأسكيت ، ثم الفينيقيين أقدم جميعاً من المصريين ... لقد بطلت هذه النظرية أتم البطلان ، وأثبتت مجموعة البدارى الأثرية التى يرجع عهدها إلى ما قبل خمسة عشر ألف سنة ، كما أثبتت مئات الشواهد التاريخية الأخرى أن المصريين هم أقدم أمة على وجه الأرض

ويتناول القسم الثالث من الجزء الأول (آراء ابن خلدون ونظرياته) فيحدثنا عن موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ ، وطبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم ، والقسر الاجتماعى والتقليد وطبائع الأمم وسجاياها ، ونظرية العصبية والخط والكتابة . وقد ذكرتنا معظم هذه الفصول برأى لنا قديم نشرناه[1] عن تلمذة ابن خلدون لإخوان الصفا فى رسائلهم المشهورة ، وانتفاعه بما جاء فى هذه الرسائل ، ولا سيما عن تأثر طبائع الأمم وسجاياها ببيئة الإقليم ومناخه وهوائه ومحصولاته وأثر الجوع والخصب فى أخلاق الشعوب ودياناتها ، كما ألمعنا إلى أوجه الشبه بين ما قرره إخوان الصفاء فى رسائلهم عن الزهد ودرجات الناس ، وعلاقات أولياء الله وكيف آتاهم الله القدرة على إدراك الغيب ومعرفة بواطن الأمور ، وما ذهب إليه ابن خلدون فى هذه الأمور جميعاً بما يشبه أن يكون نقلاً أو اقتباساً عن إخوان الصفاء . وكذلك ما كتبه ابن خلدون عن النجامة فهو يشبه ، إن لم يكن هو ، ما قرره إخوان الصفاء من قبل ... وكم كان يسعدنا أن يتنبه إلى هذه الملاحظة الهامة كتابنا الأجلاء الذين ألفوا عن ابن خلدون . وقد تناول الأستاذ الحصرى بالتفنيد ما يذهب إليه بعض العلماء من شعوبية ابن خلدون وحملته على العرب . ولسنا بمعرض مناقشة آرائه الآن ، إلا أننا ننبه هنا إلى أن ابن خلدون كان متأثراً فى هذه الحملة بما قرأ فى رسائل إخوان الصفاء ... وفى الرسالة الحيوانية مصداق لهذا كله

وقبل أن ننتقل إلى الكلام عن الجزء الثانى لا نرى بدا من التنويه بما أفاض فيه الأستاذ الحصرى عن نظرية العصبية واتصالها بالاجتماع السياسى ، ومناقشته لآراء المؤلفين الأجانب الذين عنوا بابن خلدون بصدد هذه النظرية . إنه فصل يستحق الأستاذ عليه ألف تهنئة

* * *

أما الجزء الثانى من هذه الدراسات العميقة القيمة عن ابن خلدون ، فلسنا نعدو الحق إذا قررنا أنه خير ما قرأناه هذا العام (١٩٤٤) فى المكتبة العربية من نوعه ، وإن كنا لا نطيق تأجيل عتبنا على الأستاذ للهجة التى ناقش بها آراء الدكتور طه حسين وخصوصاً تكراره ألفاظ : « ادعى فلان ، وادعاء فلان ، ويدعى فلان ، وحظ أقوال فلان من الحق والصواب ... ثم التعريض بمعلومات الدكتور العلمية حينما كان يكتب رسالته » إن هذا كله يثبت أن الأستاذ الجليل ساطع الحصرى كان متحمساً وهو يكتب مؤلفه الخالد ، فأوقعته حماسته فيما لا يناسب سجايا العلماء ولا سيما إن كانوا من طراز الأستاذ الحصرى ... ولندع ذلك الآن ...

تناول الجزء الثانى الكلام عن التطور التدريجى فى الطبيعة والمجتمعات وسبق ابن خلدون إلى إدراك مذهب النشوء والارتقاء قبل داروين بأحقاب طويلة ، كما تناول الكلام عن المذاهب الأساسية فى علم الاجتماع وما استحدث فى هذا العلم من نظريات شتى ، وما سبق إليه ابن خلدون من الإلماع إلى هذه النظريات ،

(١) المجلة الجديدة السنة الأولى العدد الثامن ١٩٣٠

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

آمال يحققها الهلالي باشا

إن قراء الرسالة عرفوا ما انتهت إليه قضية المدرسين بالمدارس الحرة، فقد نشرت الجرائد اليومية خلاصة الخطب التي ألقاها رفعة النحاس باشا ومعالي الهلالي باشا وسعادة الدكتور طه بك حسين، ونقل المذياع تلك الخطب إلى جميع الأسماع

وأقول إن الذي يجب تسجيله هو تحقيق آمال المدرسين بالمدارس الحرة بعد أن كان تحقيقها من رابع المستحيلات، فهذا الوزير نفسه كان يستصعب حل هذه القضية، بدليل أنه لم يحلها في الوزارة الماضية، ولو لم يوفقه الله في هذه المرة لظلت تلك القضية عقدة العُقد ومشكلة المشكلات إلى آخر الزمان

كان الأمل الذي أطمح إليه هو تعيين المدرسين بالمدارس الأجنبية على وظائف تذكارية، كالذي نصنع في معاملة المدرسين الذين نرسلهم إلى الأقطار العربية، وقد كتبت في تزكية هذا الاقتراح عدة تقارير، منها تقرير نشرته مجلة الرسالة منذ سنين بإمضاء مجهول

كان اقتراحي يبدو وكأنه طيف الخيال، ولم أكن أصدّق أنه سيتحقق، ثم كانت المعجزة الطريفة، وهي جمل المدرسين جميعاً في منزلة واحدة، بلا تفرقة بين المدارس الحرة والمدارس

وأعترف بأني أكاد أكذّب ما قرأت وما سمعت، فهل من الحق أن وزارة المعارف رضيت وهي طائعة مختاره أن تجعل مدرسي المدارس الحرة في منزلة مدرسي المدارس الأميرية؟

أنا لا أصدّق، فالمألوف أن تجود الحكومة بالخير بعد أن تُدمَى إليه ألوف المرات، ومدرسو المدارس الحرة لم يطلبوا يوماً مساواتهم بمدرسي المدارس الأميرية في جميع الحقوق، وإنما طلبوا حقوقاً سهلة هينة لا تزعج وزارة المعارف، وهل طلبوا غير الترفق في تحديد المرتبات، وكانت من الضآلة بمكان؟

لأول مرة في تاريخ الحكومة المصرية يُبذَل الخير لمن لم

ثم ينتقل من هذا إلى الدولة وتطوراتها وعمرها واتساع نطاقها، ثم ما قرره ابن خلدون عن الحروب وأصلها والجيوش ومراتبها ودواعي الانتصار أو الهزيمة وما يتصل بالدفاع عن الدولة ... على أن أبدع فصول هذا الجزء — ولعل ذلك في رأيي — هي هذه التي تناول فيها الأستاذ المؤلف شرح آراء ابن خلدون وتحليله للنفس الإنسانية — وهو ما أؤكد للأستاذ أنه متأثر فيه أيضاً بآراء إخوان الصفاء — ثم هذه اللمحات الفريدة عن التربية والتعليم فيما يرى ابن خلدون وما جمعه الأستاذ المؤلف من المعلومات الطريفة عن أحوال التعليم في عصره، وما كان من حرية التعليم والتدريس وأنواع المساجد، وعدم إشراف الحكومة الرسمي على التعليم إلا في حدود «الحسبة» التي وصفها ابن خلدون بأنها «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وأن من اختصاص موظفي الحسبة «الضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها، في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين!» ... وأن مهنة التعليم في عهد ابن خلدون كانت من مهن المستضعفين؟! (ولا حول ولا قوة إلا بالله يا إخواني المدرسين!)، ومذاهب كل من الأقطار الإسلامية في تعليم الولدان ... إلى آخر ما لا يتسع المجال لذكره هنا مع طرافته وإمتاعه ...

* * *

وبعد ... فلا بد من كلمة عن عدم العناية بمراجعة الكتاب أثناء الطبع. ذلك الأمر الذي أذاع في جوانبه الخطأ المطبعي، ولم يسلمه من وقوع بعض التعبيرات التي انزلقت إلى انحرافات نحوية كان من الممكن تجنبها لأنها تعد من الهنات، بل من الكبائر، التي لا يصح وقوعها من كبار مؤلفينا، وزعماء مفكرينا ... ولسنا نرى داعياً إلى ذكر شيء من هذه الانحرافات، رجاء أن تنتهي الحرب قريباً فيطبع الكتاب طبعة أنيقة تليق بما يحمل من مادة خصبة وعلم غزير ... هذا ... وقد ابتدع الأستاذ المؤلف اشتقاقات، ونحت نِسَباً لا نرى ضيراً في إقرارها، وإن ثقلت في السمع أول الأمر، وذلك كعضواني ونفساني، والنظرة الحياتية — أي البيولوجية، والفلسجة الاجتماعية، ومرفجة المجتمع Morphologie والسير العقلاني Rationaliste ... الخ ... إن لم يضع مجمعنا اللغوي كلمات أجود منها لمرادفاتها الأفرنجية.

دريني خشبة

يطالبوه ، وهذه أريحية جديدة لم نعرف لها مثيلاً فيما سلف من العهود

الهلالى باشا يقول إن النحاس باشا هو صاحب الفكرة ، والنحاس باشا يقول إن الهلالى هو صاحب الفكرة ، والنتيجة معروفة ، وهى أن هذين الرجلين يتسابقان إلى الخير تسابق الجياد ، أعزهما الله و كتب لهما دوام التوفيق

حكومة تثأر للأمة

قال الهلالى باشا فى خطبته إن الأمة كانت أسبق من الحكومة إلى نشر التعليم ، وتحدث عما صنع مصطفى كامل وسعد زغلول ، ولم يفته النص على جهود الجمعيات الخيرية وجهود الأفراد ، وهذه الالتفاتة هى أجمل ما ورد فى خطبة الهلالى باشا ، لأنها صورت هذه الوزارة بصورة الحكومة التى تثأر للأمة ، وهذا معنًى جديد ، فقد كانت الحكومة تنظر إلى الأمة بمنظار يعف قلمى عن وصف مرآه الجميل !

تاريخ الجامعة المصرية

تحدث الهلالى باشا عن الجامعة المصرية الأولى ، الجامعة التى أنشأتها الأمة ، وقال إن حكومة ذلك العهد كانت تحارب الجامعة بحجة أن مصر لا تحتاج إلى جامعات وإنما تحتاج إلى كتاتيب !

فهل يذكر الهلالى باشا قيمة الإعانة التى كانت تقدمها وزارة المعارف إلى الجامعة المصرية بألفين اثنين من الجنيهات ، ومع هذا كانت تماطل فى الدفع ، والشواهد تحت يدى ، وسأقدمها إلى معالى الوزير إن أراد

لا موجب للتذكير بهذا التاريخ ، فما تمثله إلا توجعت مما كانت تصنع الحكومة فى مغايظة الأمة ... على تلك العهود ألف عفاء !

زكى مبارك وإعجاز القرآن

هذا عنوان الكلمة التى نشرها الأستاذ محمد احمد الغمراوى بمجلة الرسالة ، وهى كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات بقلم هذا الكاتب المفضال

هذا الكاتب يتحدانى لأشرح ما غاب عليه من أسرار كتاب « النثر الفنى » ، وهو يرجو أن يجد فرصة جديدة تؤيد غرامه باتهامى فى إسلامى

وأقول مرة ثانية إنى لا أقيم لتحديه أى ميزان ، ولن أعترف بأن من حقه أن يساجل صاحب النثر الفنى ، فقد ظهر أنه لم يفهم كتابى

قال هذا الكاتب إنه لا يبغى إلا أن يعرفنى الناس فيحذرونى ؟ وهذا القول مسروق من كلامى ، فقد نبهت الناس ألف مرة إلى أن يحذَرونى ، لأنى لا أبالى فى الحق أى ملام ، ولا ألتفت إلى أوهام المتزمتين

ثم دعانى هذا الكاتب إلى التبرؤ من كتاب النثر الفنى

لبَّيك ثم لبَّيك ، يا كاتباً يدعو إلى تبرؤ الآباء من نجباء الأبناء

كتاب النثر الفنى كتابى ، وقد استكثره ناسٌ علىّ فزعموا أنه من وحى الجن ، وليس بينى وبين الجِنة نسب حتى أستوحى ما عندهم من آراء وأهواء ، فهو كتابى ، وقد سطرته بيمينى فى فورة شبابى ، ولن أتبرأ منه ولو صرت معه إلى جهنم الحامية ، فسأكون به أشرف مذنب يصطلى نار السعير ، وفى جهنم مكان لأحرار الرجال

الجنة لا تستهوينى ، لأن الحياة فيها تخلو من المتاعب ، وأنا أكره الحياة الخالية من المتاعب

مضيت مرة للبحث عن مكان هادئ فى إحدى ضواحى باريس فوجدت بيتاً كتبت على بابه هاتان الكلمتان : tranquillité absolue فانزعجت ، لأنى أعرف أن الهدوء المطلق لا يكون إلا فى مساكن الأموات

وفى بغداد اخترت داراً يجاورها مصنع حديد ، لأفر من الهدوء المطلق

وبنيت دارى بمصر الجديدة فى مكان يجاور ضجيج الحياة ، ولأسمع اشتجار المعانى فى صدر الوجود

ماذا يقع إن كان مصيرى إلى جهنم ؟

تلك فرصة ثمينة أتذكر بها ذنوبى ، وأعرف أن لى وزناً عند فاطر الأرض والسماء ، وهل تكون جهنم نقمة وهى مكان التطهير من الذنوب ؟

ليس الدين هو الباعث على محاربتك ، إياى ، فهنالك باعث آخر هو غرامك بأن يقرن اسمك باسم الدكتور زكي مبارك

أنا مفطور على التسامح ، ولكنى لن أسامحك ، وسأدعو الله أن يغضب عليك ، إلا أن تتوب ، ولن تكون من التائبين

عند الله جزائى ، فقد أكون أول مؤمن يعلن الكُفر ليصحح عقيدة الإيمان ... الله للمجاهدين ، فلا تصدقوا من زعمون أن الله للمنافقين

الفتنة نائمة

لقينى الأستاذ إميل بك زيدان فى مكتبة المعارف فقال : « الفتنة نائمة » فابتسمت وقلت : « ولعن الله من أيقظها ! » ... فهل فهم جوابى ؟

إنه يشير إلى مقالاتى فى مصاولة بعض أدباء لبنان ، وأنا لم أكتب حرفاً واحداً فى إيذاء الأدباء اللبنانيين ، وإنما يتجنى فريق منهم علينا من يوم إلى يوم ، ويقعون فى أخطاء تنكرها الأذواق ، فهل ثار الأستاذ أميل زيدان على تلك الأخطاء ، وهو يعرف أن إخوانه هنالك هم الموقظون للفتنة والداعون إلى التفريق ؟

لقد تعبت فى معاتبة أولئك الرفاق ، فما استمع مستمع ولا أجاب مجيب ، فهل نلام على تذكيرهم بالواجب ؟ وهل يكون من إيقاظ الفتنة أن نصحح تاريخ الأدب الحديث بعد أن طغى عليه التحريف ؟

سأقول وأقول إن مصر هى باعثة الأدب العربى بعد أن طال عهده بالهجود ، وسأذكر بالتفصيل ما أخذه الأدباء اللبنانيون عن الأدباء المصريين

نحن خلفاء العرب ، والمصحف لا يُطبع إلا فى بلادنا ، وسنرفع راية العروبة فى جميع الميادين

من هؤلاء ؟

جاءت مجلة الأديب البيروتية وفيها اتهام صريح بالدعوة إلى التفريق ، اتهام موجه إلى « عُصبة » تدعو إلى عزل لبنان عن الأمة العربية ، وهى نفسها العصبة التى تتجنى على الأدباء المصريين من حين إلى حين

ولو كنت أعرف أن هذا هو رأى اللبنانيين فى تلك العصبة لكففت قلمى عما جرى فوق صفحات جريدة المصرى

ولهذا أعتذر لحضرة الأستاذ سهيل إدريس وأتلقى عتابه المنشور فى مجلة الرسالة بأحسن القبول

الآن عرفت أن التجنى على مصر لم يكن نزعة لبنانية ، وإنما هو نزوة تطوف برءوس حَرَمها الله نعمة العقل ، وكتب عليها الخذلان

محمد فهيم

اشتركت فى الحفلة التى تقام لتكريم المربى الكبير الأستاذ محمد بك فهيم ، ولكنى لم أستطع الوصول إلى مكان الاحتفال بسبب الزحام ، فلم يبق إلا أن أحييه بهذه الكلمات

إن لهذا الرجل تأثيراً فى حياتى الأدبية ، فهو الذى قهرنى قهراً على السفر لخدمة العلم فى العراق ، وكانت حجته أن وزارة المعارف العراقية طلبتني باسمي ، وأنه لا يجوز أن أرفض هذا التشريف ، وبهذا قضيت فى بغداد عاماً هو أجمل أعوام حياتى

وللأستاذ محمد بك فهيم خصائص يجهلها أكثر الناس ، فهو على تحضره وغناه لا يزال يقيم فى دار أبيه بجوار جامع شيخون ، وهو يتصل بالريف كل أسبوع ، بحيث يجوز أن نعده من أعيان الفلاحين

أما أدب النفس فخصيصة أساسية يمتاز بها هذا الرجل المهذب إلى أبعد حدود التهذيب

ولعل هذه الحفلة تردّه بحرارتها إلى فورة العافية ، فقد سمعت أنه كان مرض بضعة أسابيع

محمد فهيم أحد رجالنا الأماجد ، وأنا أشترك فى تكريمه بهذه السطور ، وهي أقل ما يجب لمن يتحلى بمثل أدبه النفيس

زكي مبارك

صلات علمية

بين مصر والشام

في النصف الاول من القرن الثامن الهجري

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وما مناظرات ابن تيمية في مصر والشام إلا صورة مما كان يحدث في هذا العصر بين العلماء . وكانت الشغل الشاغل لهم، وكان أغلب القائمين بها من علماء السنة الذين وقفوا للمبتدعين بالمرصاد . كما كان بيت ابن تيمية هو البيت الديني الذي يحمل لواء أهل السنة ويتولى الرد على أهل البدعة . ويعاونه في ذلك أخواه شرف الدين وزين الدين . وقد كان لهما مناظرة في مجلس سلار نائب السلطان الناصر . فظهر شرف الدين بالحجة على مناظرهما ابن مخلوف المالكي . وكان الكلام هذه المرة في مسألة العرش وكلام الله وفي مسألة النزول .

ولقد حدثت بسبب هذه المناظرات فتن كثيرة في مصر والشام ، واهتاجت لها الخواطر الساكنة . وانقسم الناس شيعاً كل واحدة تحارب غيرها ، وسجن كثير من العلماء لمجرد التقول عليهم أو إطلاق الألسنة فيهم . وخاصة في دمشق التي وقع فيها خبط كثير وتشويش . فنادى نائب السلطنة المصرية في الشام ألا يتكلم أحد في العقائد . ومن عاد حل ماله ودمه وصودرت داره وحانوته ؛ فهدأت الأحوال وسكنت الأمور

ولم يكن هذا الهدوء إلا لأجل قصير ؛ فقد عادت خصومة العلماء في صورة اتهامات توجه إلى الأبرياء وغير الأبرياء ، وهي اتهامات كان أقل ما عليها من المجازاة أن يعزَّر فيها المتهم تعزيراً عنيفاً ، ويطاف به في البلدة على حال منكرة ؛ كما حدث سنة ٧١٢ لابن زهرة المغربي الذي اتهمه بعض العلماء والصالحين باستهانته بالمصحف وخوضه في أهل العلم ، فطيف به في دمشق وعذب وحبس

والحق أن « تنكز » نائب السلطنة المصرية في الشام كان دائم القلق مما يحدث بين العلماء وأهل المذاهب والعقائد . وكان لا ينظر بعين الرضى إلى أمثال هذه الحركات التي تجمل بأس المسلمين واهيا . كان لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع بين المختلفين ؛ ففيما حدثت الفتنة سنة ٧١٦ بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد أصلح بينهم في مجلس حافل بدار نيابة السلطنة وخرج المتنازعون على خير حال من التفاهم

***

وكانت تقوم إلى جانب العلماء والمدرسين وظيفة الخطيب . وكانت الشهرة في المساجد الصغيرة كفيلة بإيصال الخطباء إلى المساجد الكبيرة ، كالجامع الأموي والأزهر ومساجد المدن الكبرى في الشام ومصر . وكان لكل بلدة خطيب مشهور بجانب عدد آخر من الخطباء المغمورين . فاشتهر بالخطابة في الجامع الأموي بدمشق الشيخ زين الدين الفارقي وتولاها بعد وفاته شرف الدين الفزاري . واشتهر بالخطابة في بعلبك ضياء الدين ابن عقيل وأبوه جمال الدين ، وقد توليا الخطابة في هذه البلدة ستين عاما . واشتهر بالخطابة في مصر بهاء الدين السكري وشمس الدين الجزري خطيب جامع ابن طولون ونور الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو بن العاص

ولم يكن للخطيب أن يقضي بين الناس أو يفصل في الخصومات فذلك شأن القاضي الذي يعينه قاضي القضاة . ولكن حدث أن خطباء انتدبوا لمهمة القضاء ، كما حدث أن بعض القضاة انتدبوا للخطابة . فنرى في حوادث سنة ٧٠٦ هـ في تاريخ ابن كثير أن سليمان بن هلال بن شبل الخطيب انتدب للقضاء بدلاً من القاضي جلال الدين القزويني الذي كلف بالخطابة عوضاً من القضاء

وكان بعض الخطباء يتولون التدريس ، كما أن بعض القضاة يجمعون بين الحكم والتدريس كالقاضي على بن صفي الدين الحنفي الذي تولى قضاء الحنفية في دمشق مع ما بيده من التدريس كان منتصف القرن الثامن الهجري مملوءاً بالأحداث الجسام

كما سلف القول ؛ فالتتار على أسوار دمشق ، وقبائل العرب فى مصر العليا شقت عصا الطاعة على الملك الناصر فى مدة سلطنته الثانية ، والصليبيون قدموا باتفاق أمير قبرص لغزو دمياط . والمماليك منقسمون على أنفسهم ؛ ففريق مع السلطان الناصر المتخلى عن عرشه ، وفريق آخر مع الأمير بيبرس ، وفى وسط هذه التيارات القوية نجد العلماء يحرضون على مقاتلة التتار ، ويدعون لمحاربة الصليبيين ، ويقيمون المناظرات الدينية عوداً إلى عهود الجدل والكلام ؛ ولكنهم مع ذلك كله لا يخوضون فى حديث السياسة الداخلية ، ولا يتكلمون فيمن تولى وفيمن عزل ؛ فذلك ليس من شأنهم ، فإذا نزل أحدهم ميدان السياسة عرض نفسه للعزل كما حدث لسليمان بن حمزة قاضى الحنابلة بدمشق الذى عزل بسبب تكلمه فى نزول الملك الناصر عن عرشه مكرهاً لا مخيراً ، وكما حدث للشيخ كريم الدين بن الحسين الأبكى شيخ الشيوخ بمصر الذى كان على صلة بأمراء المماليك ، وكان له هوى سياسى معين ، فعزل عن منصبه الرفيع وعين بدلاً منه ابن جماعة المشهور

ولم تكن المرأة المصرية أو الشامية جملة بمعزل عن مجالس العلماء فى ذلك العصر ؛ بل كان بعض النساء يترددن على هذه المجالس ويستمعن إلى الدروس ويناقشن فى المسائل . فالسيدة فاطمة بنت عباس البغدادية كانت تحضر مجالس ابن تيمية ، وكان هو يستعد لها بسبب كثرة مسائلها وحسن أسئلتها وسرعة فهمها . ويذكر ابن كثير المؤرخ أنه سمع ابن تيمية - وكان معاصراً له - يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم . والشيخة الصالحة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد كانت تروى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث . وكانت تحدث الرجال بحديث الرسول عليه السلام

ولا شك أن ابن تيمية كان أشهر العلماء بين مصر والشام فى ذلك العصر ، فقد شغل الدنيا كلها بمسائله ومناظراته ومجالسه وقد جمع إلى ذكاء العقل وسرعة الفهم والشجاعة فى الحق وعدم الخشية فى سبيل الله . وله مع قازان ملك التتار مواقف مشهورة ذكرها الشيخ محمد البالسى زميله فى وفد العلماء إلى قازان . فقد قام ابن تيمية يهدر كالسيل لم يخش أحداً ولم يجامل سلطاناً ولم يتملق حاكماً . ولكن الله أجرى الصراحة على لسانه ؛ وأودع الشجاعة فى قلبه ، فإذا به يخاطب ملك التتار قائلاً : أنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت

ولد هذا الإمام بحران ونشأ وتعلم بدمشق ، ودرس بغزة وأوذى أولاً وأكرم أخيراً فى مصر ، وتوفى بقلعة دمشق بالقاعة التى كان محبوساً فيها أيام محنته الأولى بعد أن أكد صلات العلم والدين بين القطرين الشقيقين فى الربع الأول من القرن الثامن الهجرى .

محمد عبد الغنى حسن

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

كانت الخلافة من أهم الأمور التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، ذلك لأن الخليفة هو الذي يتولى أمور المسلمين الدينية والدنيوية . وهذا مقام رفيع دونه كل مقام في الإسلام يطمع فيه القوي . وقد تطاحنت الأسر القرشية في سبيلها منذ صدر الإسلام . وحاول كل حزب أن يجعل له صبغة دينية يقوي مركزه بها بين الأحزاب المعارضة ، فظهر في الإسلام فرق وطوائف عديدة كان الكثير منها دعوة دنيوية ولكنها تسير تحت ستار من الدين . وبعد القضاء على الحركة تبقى صبغتها الدينية بين أتباعها وتستحيل إلى مذهب ديني . وعلى مر الدهور يتطور هذا المذهب ويدخله الأساطير والتعاليم الشاذة . ولربما استحال إلى دعوة هدامة أو مذهب مغال أو فرقة باطنية منفصلة عن الإسلام . والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذا . فحركات الخوارج ، وحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والفاطمية والدروز ، والنصيرية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال

وأصل اليزيدية فرقة إسلامية أموية سارت باسم الدين إلى مناصرة بني أمية في الخلافة والدفاع عنهم وناوأت « آل البيت » - أقوى حزب ناضل الأمويين - وعلى مر العصور تطورت إلى فرقة صوفية « عَدَوية » على يد رجل أموي ، ففرقة مغالية في حب « يزيد بن معاوية » ، ففرقة خارجة عن الإسلام . كل ذلك كان في سبيل الخلافة وإرجاعها إلى بني أمية بعد سقوط دولتهم في الشرق

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة هو النزاع بين العلويين والأمويين . ذلك لأن العداوة بين بني أمية وبني هاشم قديمة . ففي الجاهليـة تنازعوا على زعامة مكة . وفي الإسلام تجدد النزاع على الخلافة بعد مقتل « عثمان » فشق على الحزب الأموي أن تخرج الخلافة منهم بعد أن نالوها . خاصة وأن « الإمام علياً » عزل ولاة « عثمان » فهل يرضى « معاوية » أن يترك « الشام » وما فيها من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد أن حكمها عشرين عاماً ؟ أنكر بيعة « علي » ودعا لنفسه واستعمل دهاءه وكرمه في جلب دهاة العرب إليه فقوى أمره ، وبعد مقتل الإمام « علي » تنازل « الحسن » عن الخلافة وصار الحزب الأموي هو الحاكم المطلق في الدولة

ولم يكن « معاوية » بالخليفة المستضعف ، بل ساس الناس بحلمه وجوده . فعفا عن الذنب وتجاوز عن المسيء وأغدق عطاياه على كل قاصد ، كما سل سيفه على من لم تنفع معه هذه الطرق ، فانقاد له الناس راغبين أو راهبين

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه « يزيد » على كره من أولاد الصحابة فثارت الأحزاب المعارضة ، وأشدها الحزب العلوي فكانت فاجعة « كربلاء » التي أججت الأحقاد ؛ واستمرت الثورات العلوية حتى انقراض الدولة الأموية وكانت هذه الثورات من أهم العوامل التي قوضت أركان الدولة

وبعد سقوط الدولة الأموية أنعكست الآية فانتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات فإنهم لم يخلصوا من التمثيل بهم . وصار الحزب الأموي هو المستضعف في البلاد . وأخذ الأمويون يلجأون إلى الجبال والأماكن النائية عن النفوذ العباسي . ولكنهم لم يعـدموا الأنصار ، كما أنهم لم ييأسوا من الخلافة ، بل أحيوا النعرة الدينية التي كانت لحزبهم وأخذوا يزيدون عليها . ونراهم قد قلدوا العلويين أو من قام باسمهم في ادعاءاتهم هذه . وهذه النعرة الدينية لحزبهم كانت منذ أول عهدهم بالخلافة تسير أثر الدعوة العلوية ؛ ولكن الأمويين خلال حكمهم لم يهتموا بها لاعتمادهم على بطشهم ونفوذهم . وأما بعد سقوط دولتهم فإنهم صاروا مستضعفين في الأرض فتدرعوا بالدين ليستروا تحته دعوتهم للدنيا . وهذا أول ظهور الطائفة اليزيدية .

ومن الأدلة التي تثبت أن أصل العقيدة اليزيدية هي حركة أموية مضادة لآل البيت :

١ — يوم عاشوراء : في هذا اليوم قتل « الحسين » عليه السلام فهو يوم كرب وبلاء على العلويين يظهرون فيه من العزاء والنياحة والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا نشاهد مثله في غيره من الأيام . ونجد الضد من هذا عند الأمويين ، فإن الحجاج سن لأهل « الشام » أن يتخذوا هذا

اليوم يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم وينبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلوى ، ويتخذون الأوانى الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ليرغموا بذلك شيمة « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه . واستمر الأمر على ذلك عند الحزب الأموى بعد سقوط دولتهم ، وهذا ما نراه عند اليزيدية فإنهم يتخذون هذا اليوم يوم سرور يخرجون بزينتهم إلى ظاهر قراهم ويرقصون رقصاتهم الشعبية على ضرب الطبول ونقر الدفوف ، ويمرحون ويلعبون ؛ ويصورون تماثيل من الطين لشهداء كربلاء يهجمون عليها برماحهم ويفتكون بها ويطؤونها بخيولهم . كل ذلك لأن إلههم « يزيد » ظفر بعدوه « الحسين » فى هذا اليوم وقتله .

٢ — المهدى المنتظر والسفياني المنتظر : يعتقد الشيعة أن المهدى المنتظر سيظهر فى آخر الزمان وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وادعى الأمويون مقابل هذا : أنه سيظهر من أولاد أبى سفيان من يكون أمره كأمر « المهدى المنتظر » وهو «السفيانى المنتظر» . وزاد تعلق الأمويين بهذا الادعاء بعد سقوط دولتهم فصاروا يترقبون ظهوره . وقد ذكر «المسعودى» أنه وجد ببلاد « طبرية » من بلاد الأردن فى سنة ٣٢٤ ﻫ أحد علمائهم وقد ألف كتاباً بهذا وأنه ذكر فيه « من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفيانى فى الوادى اليابس من أرض الشام ، وإنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف الخ ... » وهذا ما نجده عند اليزيدية ، فإنهم يعتقدون أن « عدياً » وهو رجل أموى سيظهر فى آخر الزمان وسيكون أمره كما تقدم ، ويسميه بعضهم بالمهدى . وعندهم طبقة دينية يسمون « خدام المهدى »

٣ — يذهب الحزب العلوى أن « علياً » وأولاده أحق بالخلافة وأن الحسين قتل مظلوماً . وبالضد من هذا يدعى الأمويون أنهم أحق بالخلافة وأن الحسين قتل بسيف الحق لأنه خرج على الإمام المبايع . وأخذ كل فريق يعزز مدعاه ويغالى فى تعظيم الذى يدعو إليه ، ويحاول أن ينقص من قيمة الحزب المعارض . وما زال هذا الأمر والمغالاة تزداد عند الفريقين حتى أدى إلى أن تعتقد بعض الفروق المغالية أن علياً أحق بالنبوة من محمد ، وأن البعض الآخر ذهب إلى أعظم من هذا ، فادعى ألوهيته . وكذا الأمر فى « يزيد » فإن مناصريه ادعوا أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة ، وأنه كان من أولياء الله تعالى ، ثم اعتقدوا أنه كان من الأنبياء وقالوا « من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم » ، ثم ذهبوا إلى أعظم من هذا فقالوا بألوهيته . وهذا ما يعتقده اليزيدية أن « يزيد بن معاوية » هو إلههم . ونجد قرى « الشبك » والتركمان ، والصارلية ، والجيجية حول الموصل ، والباوات فى قضاء سنجار ، وهم الذين يغالون فى « الإمام على » على مقربة من مواطن اليزيدية الذين يؤلهون « يزيد بن معاوية »

٤ — اللعن : بعد أن خدع « عمرو بن العاص » « أبا موسى الأشعرى » فى مؤتمر « اذرح » صار « الإمام على » يلعن معاوية وعمراً ومن والاهما بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل . وبعد مقتل « الإمام على » استمر الأمويون يلعنون أبا تراب بعد خطبة صلاة الجمعة . ولما تولى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة رفع هذه السنة السيئة ووضع مكانها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية » ، ولكن بعض أنصار الحزب الأموى المغالين لم ينتهوا عن هذا . فأهل « حرّان » امتنعوا عن الصلاة وقالوا : « لا صلاة إلا بلعن أبى تراب » واستمروا على ذلك ، حتى ظهور الدعوة العباسية . وكان العلويون يقابلون هذا اللعن بأكثر منه ، وزادوا فيه بعد واقعة « كربلاء » ، وصار اللعن يوجه بصورة خاصة إلى « يزيد » . أما الشيخ « عدى » فإنه لما رأى تفاقم الأمر عند الفريقين ، وأن هذا مناف للتعاليم الإسلامية ، وأن من الصعب أن يكف أحد الحزبين عن لعن الآخر ، حرم اللعن مطلقاً . ولكن الفكرة تطورت إلى أبعد من هذا عند اليزيدية ، فإنهم حرموا اللعن حتى على الشيطان . ومع أن اللعن صار من المحرمات عندهم ؛ فإن يزيدية (جبل مقلوب) استمروا على الطعن فى على وأولاده فى أيام الجمعة والعيدين ، كما كانت عليه العادة فى الدولة الأموية . وكان فيهم فرقة مغالية جداً فى اللعن تقف مصلتة السيوف وتلعن « علياً » وأولاده ، ويقال لهم « السيّافة » واستمر الأمر على ذلك إلى القرن الحادى عشر الهجرى

(للحديث صلة)

سعيد الديوه جى
بالموصل

سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

- ٢ -

عشاق

مدينة عُشّاق فى داخل بلاد الأناضول خلف ميناء أزمير ، وهى — وما يحيط بها من البلاد والقرى — مشهورة بصناعة السجاد حتى وقتنا الحاضر ، وإن كانت الصلة قد انقطعت بين السجاد القديم الذى كان ينسج بها منذ بداية القرن السادس عشر حتى سنة ١٧٥٠ ، وبين السجاد المنسوج بعد هذا التاريخ ، إذ أن الأخير تأثر كثيراً بالذوق الأوربى

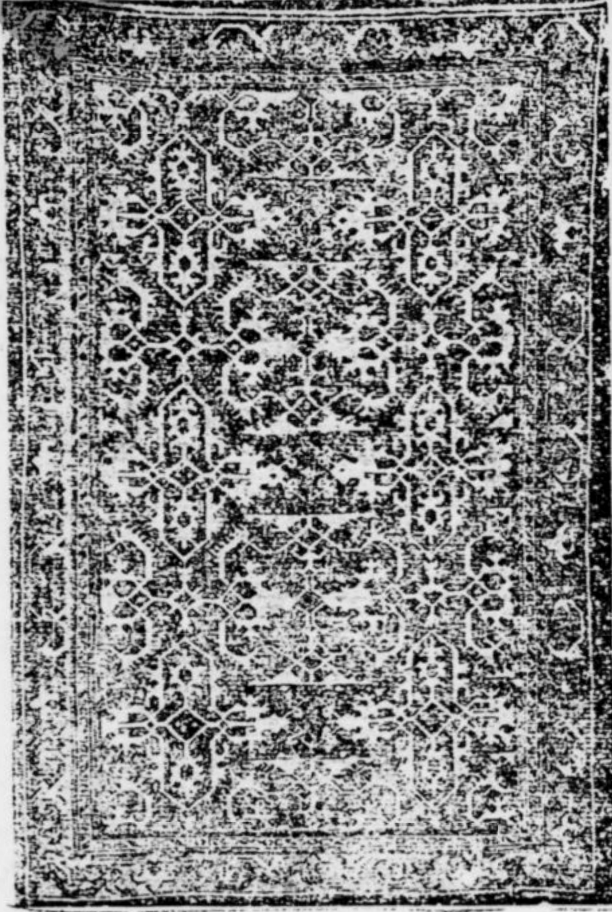
ويشبه سجاد عُشّاق القديم من حيث زخارفه السجاد الإيرانى المنسوج فى أوائل العصر الصفوى . وتتألف زخرفته من أشكال نجمية كبيرة ، أو من جامات بيضاوية مدببة الطرفين ، تذكرنا بالوحدات الزخرفية المستعملة فى تذهيب المصاحف ، وتزين الأركان بأربعة أنصاف جامات ؛ وتنتشر على الأرضية زخارف نباتية دقيقة وفروع مهذبة . ويزخرف إطار السجاد بفروع مزهرة أو بسحب صينية . أما ألوانه فهى أناضولية فى جملتها ، ويمتاز بالألوان الدافئة ، فتلون الأرضية بالأزرق القاتم ، والإطار بالأحمر الباهت أو بالعكس ، والزخارف بالأصفر والأخضر النباتى والأزرق الفاتح والأبيض الناصع

ويختلف سجاد عشاق فى مساحاته فيبلغ أحياناً التسعة أمتار طولاً وما يناسب ذلك فى العرض

وفى المعرض المقام الآن فى دار الآثار العربية عدة نماذج طيبة من سجاد عشاق

هولباين

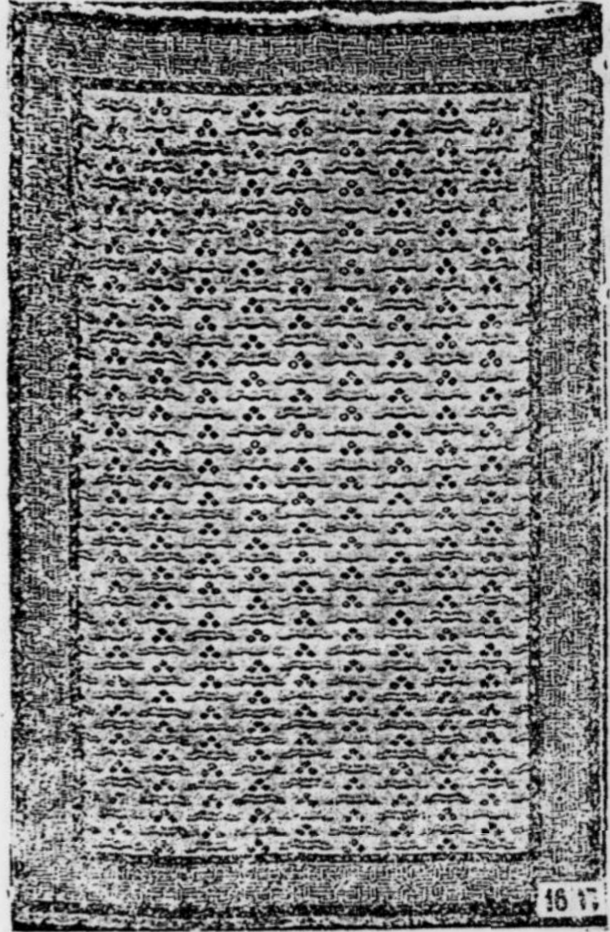
هو اسم لعائلة من مدينة « بال » اشتهر بعض أبنائها فيما بين سنتى ١٤٦٠ و ١٥٤٣ بالرسم والتصوير . ويسمى هذا النوع من السجاد المصنوع فى الأناضول باسم « هولباين » لأننا نراه مرسوماً فى الكثير من لوحات أبناء هذه العائلة ، ولوحات المصورين الإيطاليين المعاصرين لهم . ويظهر أنه كان النوع المحبب لدى الأوربيين فى ذلك الوقت ، والغالب أنه كان يصنع فى بلاد الأناضول للتصدير إلى أوربا ، لأن ما عثر عليه منه فى بلاد الشرق قليل جداً



(شكل ١)

ويمتاز هذا السجاد بعنصر زخرفى خاص به ، يمكن تمييزه بسهولة ، ويتألف من رسوم نباتية ذات مظهر تنقصه المرونة ، مرسومة فى خطوط مستقيمة وزوايا محددة ، بطريقة مهذبة تميل فى شكلها نحو الرسوم الهندسية ، وفى وحدات زخرفية متماثلة يقرب بعضها من بعض . ويزين الإطار فى القديم منه بما يشبه الكتابة الكوفية ، وفى المتأخر — من أوائل القرن السابع عشر — بفروع نباتية أو بسحب صينية مهذبة على طريقة الأناضول . وتلون الأرضية غالباً باللون الأحمر الباهت ، والزخارف باللون الأصفر الذهبى ، والإطار بالأزرق الفاتح

وفى (شكل ١) بساط من أوائل القرن السابع عشر، أرضيته بالأحمر الباهت عليها بالأصفر الذهبي وحدات زخرفية من نوع هولباين، والإطار باللون الأزرق الفاتح، تزينه فروع نباتية مهذبة. وهذا البساط فى مجموعة المسيو كريستيان جراند.



(شكل ٢)

الأبسطة ذات الطيور

تعرف بهذا الاسم لأنها تزين بوحدة زخرفية تتألف من شكل هندسي بطرفين مدببين يشبه كل منها رأس طائر، وتتكرر هذه الوحدة الزخرفية - فى الغالب - على أرضية بيضاء. ويشبه إطارها إطار الأنواع الأخرى القديمة. ويرجع تاريخ هذا النوع إلى ما بين أوائل القرن السادس عشر ومنتصف السابع عشر. وفى مجموعة معالى الدكتور على إبراهيم باشا بساط من هذا النوع معروض الآن فى دار الآثار العربية

تشنتمانى

لهذا النوع من السجاد صلة كبيرة بالنوع السابق ذى الطيور. فكل منهما يماثل الآخر فى شكل زخرفة الإطار الذى يحيط غالباً بأرضية بيضاء عليها نوع من زخرفة رمزية، كما أن كل منهما يصنع فى بلاد الأناضول ومعاصر للآخر

ويمتاز هذا النوع بتكرار الوحدة الزخرفية المعروفة باسم «تشنتمانى» وتتألف من خطين متموجين أو متعرجين، ويعلوهما ثلاث كور فى وضع مثلث الشكل. وهذه الكور الثلاث هى إحدى العلامات المقدسة فى تعاليم ديانة البوذيين، وترى كثيراً على التحف الصينية، وقد كانت كذلك مرسومة على رنك القائد العظيم تيمور لنك عند ما فتح الأناضول فى سنة ١٤٠٢م، وقد يفسر هذا ظهور وحدة «تشنتماني» الزخرفية فى سجاد الأناضول

وفى (شكل ٢) بساط من أواخر القرن السادس عشر، أرضيته بيضاء، تتكرر عليها وحدة «تشنتمانى»، وإطاره مزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية. وهو فى مجموعة معالى الدكتور على ابراهيم باشا.

(يتبع) **محمد مصطفى**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٢٢ — ولا يوم الطين ...

قال لسان الدين بن الخطيب: رأت زوجة المعتمد بن عباد الرميكية الملقبة ب (اعتماد) ذات يوم بأشبيلية، نساء البادية يبعن اللبن في القِرب، وهن رافعات عن سوقهن في الطين. فقالت له: يا سيدي، أشتهي أن أفعل أنا وجواريّ مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طيناً في القصر، وجعل لها قرباً وحبالاً من أبريسم، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين. ولما خلع، وكانت تتكلم معه مرة، جرى بينهما ما يجري بين الزوجين فقالت له: والله ما رأيت منك خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين ...؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله، فاستحيت وسكتت

٥٢٣ — فهات شرابك العطر العجيبا

في (الشرح الكبير للشريشي): كان أبو محمد البصري تاب وحج، فلما قفل راجعاً بدا له في شرب الخمر فقال:

ألا يا هندُ، قد قضّيتُ حجّي
فهاتِ شرابَكِ العَطِرَ العجيبا[1]
فقد ذهبت ذنوبي بالليالي فقوى الآن نقترف الذنوبا ...

٥٢٤ — فإن الحد قد جاوز الحدا ...

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي في سنة (٦٦٧) أمر السلطان (الظاهر بيبرس) بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطئ بالديار المصرية، وكتب بذلك إلى جميع بلاده، وأمسك كاتباً يقال له: ابن الكازروني وهو سكران، فصلبه، وفي عنقه جرة الخمر! فقال الحكيم ابن دانيال:

وقد كان حدُّ السكر من قبل صلبه
خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جَلْدا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبي:
ألا تُبْ؛ فإن (الحدّ) قد جاوزَ الحدا[1]

(١) هات: هاتي، حذف الياء ضرورة

٥٢٥ — الصريح لا يعارضه بالمؤول

قال الصفدي في شرح لامية العجم: أنشدت بعض المولعين بالكيمياء قول القائل:

أعيا الفلاسفةَ الماضين في الحِقَبِ
أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة إلا من الفضة المعروفة النسب
فقل لطالبها من غير معدنها: أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لي: صدق. لو لم يكن الذي يدبره الصانع في أصله ذهباً بالقوة لما صار ذهباً بالفعل. فقلت له: هذا من باب التأويل وإخراج اللفظ الظاهر عن الصريح إلى ما لا يفهم منه إلا بالاحتمال، والصريح لا يعارض بالمُؤَوّل[2]، ولو أراد الإنسان أن يجعل معلقة امرىء القيس مرثية في قِط، أو غزلاً في فيل، لما أعجزه ذلك ...

٥٢٦ — حمى الروح

قال بعض الملوك لطبيب: جس نبضي، فجسه، فقال له: مزاجك معتدل، إلا أني أرى فيه تكديراً. فهل جالسك اليوم ثقيل؟ قال: نعم

قال له: لا تعد تجالس الثقلاء فإنهم حُمّى الروح

٥٢٧ — وذا يقول استرحنا

قال السبكي: أنشدني بعضهم في قاضيين عُزل أحدهما وولي الآخر:

عندي حديث ظريف بمثله يُتغنى
في قاضيين يُعزّى هذا، وهذا يُهنا
هذا يقول: جُبِرْنا وذا يقول استرَحْنا
ويكذبان جميعاً ومن يصدق منا؟

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) (فان الحد) الحد: العقوبة، في (التاج) الحد تأديب المذنب بما يمنعه عن المعاودة، ويمنع غيره من إتيان الذنب، وحددت الرجل أقمت عليه الحد.

(٢) قال الصفدي: حكى لي بعض الفضلاء أن (ابن تيمية) كان كثير الحط على (ابن عربي) فقيل له: إن هنا إنساناً يخرج جميع ما تنكره عليه، ويرده بالتأويل إلى ما يوافق ظاهر الشريعة، فاتفق اجتماعهما في مكان واحد، فقال له: ما الذي تفهم من قول ابن عربي: (دخلت لجة بحر، الأنبياء وقوف بساحله) فقال له: صدق، لأن الأنبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق ...



قنا وأسوان

ما زال السيل الجارف من التبرعات الكريمة ينهال على منكوبي قنا وأسوان ، كما تنهال صبابات الماء على اللاهث المحرور فتنعش من روحه ومن بدنه . وما برحت جهود الحكومة وعلى رأسها مليكنا المعظم تتوالى على القوم بما يكشف ضرهم ويخفف من بلواهم . وإن العوامل التي تحفزنا إلى معونة هؤلاء البائسين لمتعددة ومعروفة ؛ ولكنا قد نضيف إليها عاملاً جديداً بما نحاوله هنا من الإشارة إلى حال هذا الإقليم من الرقي والرفاهة في سابق عهوده .

فقد غبرت قرون كثيرة وتلك المنطقة من صعيد مصر تكاد تبزُّ سائر المناطق خصباً وحضارة وعلماً ورقياً وعمراناً . وكانت أسماء المرج وسمهود وبهجورة وفاو ودشنا وهو وفرجوط وقنا وقفط ونقادة وقوص وقمولا والأقصر وأرمنت وأسفون وإسنا وأدفو وأسوان — تحتل كلها رأس القائمة بين كبريات المدن التي يؤمها أهل الوطن أو النازحون إليه من سائر الأقاليم . فثمت كان العلم والمال والجاه جميعاً . وهنالك كان الهدى والغنى لمن يلتمس أحدهما أو كليهما ، على حد قول قائلهم — في أسوان[1] :

أسوان في الأرض نصف دائرة والخير فيها والشر قد جمعا
تصلح للناسك التقي إذا أقام ، والفاتك الخليع معا !

وكانت خصوبة هذا الإقليم وعذوبة مائه مما يضرب بهما المثل ، ولا تستنكر عند ذكرهما المبالغة . قال السديد الدمياطي : انتهيت في السفر في الوجه القبلي إلى هو ، وبين مائها وماء مصر كما بسكر وماء صرف !

وقد ذكر كمال الدين الأدفوي صاحب كتاب (الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) أن الفدان في هذا الإقليم ينتج ثلاثين إردباً من البرسيم ومن الشعير أربعين ، ومن الذرة أربعة وعشرين أو ما يقارب ذلك

وذكر أيضاً أن منطقة إسنا أنتجت في بعض السنين أربعين ألف إردب تمراً ، واثني عشر ألف إردب من الزبيب . وأنه تحصل من مدينة أسوان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ألف إردب من التمر . قال : « وأخبرت أن نخلة بالقوسة من عمل المرج ، وأخرى بقمولا ، حصل من كل منهما اثنا عشر إردباً من التمر »

وكان عنب هذا الإقليم — كسائر فاكهته — من أعجب ما وقع عليه الناس . وزنوا حبةً منه بمدينة أدفو فبلغت عشرة دراهم ، كما روى الأدفوي في موضع من كتابه المذكور

وقال في موضع آخر إن بطيخ هذه البلاد وافر الحجم « بحيث ما يكاد يستقلُّ بحمل الحبة الواحدة إلا الرجل الشديد القوة »

هذا وقد كان طريق الحج بين قنا وعيذاب مما يزيد في تقدم هذا الإقليم وثراء أهله ؛ ومنه اجتاز أكثر الرحالين المشهورين على فترات من التاريخ متباعدة

وإن الحديث ليطول على من يحاول التنويه ببعض من أنجبت هذه البلاد من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين ، وغير أولئك من ذوي الفضل والجاه . فلنكتف — الآن — بهذه الأثارة من تاريخ القوم وبلادهم ؛ ولنعلم أنها بلاد كانت من العز والنعمة بمكان فشقيت وذلت ؛ وأنه لم يكن عجيباً — في فترة ما — أن يهتف شاعر من أبنائها ضاقت نفسه بإقفار مدائن الشمال ؛ فيقول صادقاً[1] :

لهفي على قوصٍ ولو أنني أكون من حرَّاس أبنائها !

(جرجا) محمود عزت عرفة

مجمع فؤاد الملكي للغة العربية

اجتمع مؤتمر المجمع ستة أسابيع متوالية من ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ عقد خلالها ثماني عشرة جلسة شهدها حضرات الأعضاء المقيمين بمصر والوافدين من الخارج

وقد عرضت خلال هذه الجلسات طائفة من المسائل ، منها :

(١) هو كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

(١) هو تاج الدين محمد بن أحمد الدشناني (المولود في قوص والمتوفى بها سنة ٧٢٣ هـ) تصدر للتدريس فترة ما بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة .

ما يتعلق بالمصطلحات العلمية فى علوم الجراثيم والأمراض والرمد وغير ذلك من فروع الطب ، ثم فى مصطلحات لمقدمة القانون والأموال والالتزامات وغيرها من فروع القانون فأبديت فى بعضها ملاحظات ، وقرر المؤتمر أن يتولى حضرات الأعضاء الممثلين للبلاد العربية عرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختصة فى بلادهم لموافاة المجمع بالرأى فيها ، كما قرر أن يتصل المجمع بالهيئات الرسمية فى البلاد العربية لهذا الغرض

وكذلك نظر المؤتمر فى اقتراحات مختلفة منها ما يتعلق بوضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم على أسلوب ميسر يقتصر فيه على شرح المفردات اللغوية شرحاً دقيقاً وافياً . فوافق المؤتمر عليه وألف لجنة لذلك

ومنها ما يتعلق بقياسية بعض الصيغ الصوفية التى يحتاج إلى استعمالها بكثرة فأقرها المؤتمر معتمداً فى ذلك على أقوال بعض علماء الصرف والاشتقاق

ومنها ما يتعلق بتيسير بعض قواعد اللغة ومثلها فقرر المؤتمر أن يحال هذا الاقتراح وما دار فيه من مناقشات إلى لجنة الأصول لدرسه مفصلاً وتقديم تقرير بما تراه إلى المؤتمر فى اجتماعه المقبل

ومن الاقتراحات كذلك ما يتصل بتيسير الكتابة العربية إما بوصل علامات للحركة والسكون ببنية الحروف ، وإما باتخاذ حروف لاتينية تضم إليها بعض الحروف العربية ، وناقش المؤتمر هذين الموضوعين ورأى أن ينشر ما قيل فيهما من آراء وردود فى مختلف الهيئات العلمية بمصر وغيرها لكى يتيسر للجنة المختصة جمع ما يمكن جمعه من الآراء المختلفة فيهما وما قد يرد إليها من مقترحات أخرى فى هذا الموضوع وذلك تمهيداً لوضع تقرير يعرض على المؤتمر فى اجتماعه المقبل

واقترح أن يطلب وضع جائزة مالية لمن يقترح من غير أعضاء المؤتمر مشروعاً فى ذلك ينال القبول .

١ — الشعر الجديد وطاقات الريحان والورد والنقد

ما عرفتُ أستاذنا الكبير « ا . ع » ورِعاً عند اللقاء هيوباً ؛ ولا عرفته جبان القلب نِكْس اللسان . فهو يستطيع فى عفة قول ، وشرف كلام ، وصواب منطق ، وحسن نية أن يوجه المتخلفين من شعراء هذا الزمان إلى قصد الطريق

وليس بعذر من أستاذنا الكبير — ا . ع — أنه يتهيب ألسنة الشعراء المنقودين أو يخشى عُواءهم . فمن كان مثل الأستاذ فى المكانة والقصد لا يضيره عواء ولا هراء

ومتى كان المعلمون الأفاضل وشيوخ اللغة والأدب يتوقون ما يجره عليهم النقد من اجتراء السفهاء وسلاطة النَّوكى ؟

الحق أن الأستاذ الفلسطينى الجليل ، والأستاذ المصرى الكبير ، هما أجلُّ قدراً من أن يتأثرا بما يتعرضان له من خصومة المغرورين من شعراء زماننا ؛ وهما — فى الوقت نفسه — أكبر من أن يضنا على « الشعر الجديد » بتوجيه سديد ورأى مفيد

أما إرسال الكلام على وجه التعميم ، من غير أن تُبيَّن مواضع النقد ، فذلك ما لا يُرجى معه للشعر صلاح

وإنى لأُعرف من صراحة الأستاذين : « الجليل » و « الكبير » ما يُطمعنى فى الرجاء منهما أن يفصِّلا النقد ، ويبينا القصد . وبذا تكون لهما على الشعر الحديث يدٌ أىُّ يد . والسلام عليهما ورحمة الله

٢ — أقوى من الموت

هذا الكتاب ألفه أيليا أهرنبورغ ، وترجمه قدرى قلعجى ونشرته مجلة الطريق ببيروت

والكتاب قوى العبارة ، كأن كاتبه استمد من نيران الحرب ، ولفح المعارك لفح عبارته . فقد كان فى باريس يوم دخلها الألمان ، وشهد بعض المواقع فى روسيا ، ورأى بعينيه روعة التضامن فى معارك « رجيف »

وأسلوب الكاتب لاذع حاد . وكأن الأستاذ قدرى قلعجى أمين فى نقل تلك السلاطة والحدة إلى اللغة العربية ...

وفى الكتاب تصوير لمواقف رائعة فى سهول روسيا ووديانها . وجميل من المؤلف أن يكون وفياً لوطنه وهو على شفا حفرة من الموت . وجميل من المترجم الفاضل أن يترجم هذه المواقف الرائعة إلى اللسان العربى ؛ ولكن أجمل من ذلك كله أن يتجه المترجم إلى مواقع اليرموك والقادسية وحصن بابليون وذات الصوارى فإنه واجد فيها أمثلة رائعة من البطولة العربية التى تبرز على حال من الروعة فى مثل قلمه البليغ وأسلوبه الطريف .

محمد عبد الغنى

١ – تلاقى الأكفاء

يمتاز الأستاذ الزميل على أدهم بتعمقه فى جميع الدراسات التى يتناولها وحسن هضمه لهذه الدراسات ، فهو من خيرة الكتاب ذوى الاطلاع الواسع فى مصر وفى الشرق العربى . وكتابه الجديد (تلاقى الأكفاء) شاهد على ما نقول . وقد جمع فيه بحوثه القيمة التى نشرت من قبل أو لم تنشر فى الأدب والتاريخ فسد بها فى المكتبة العربية فراغاً ملحوظاً ... ولست أدرى إن كان يحق لى أن أقترح على زميلى العزيز أن يكرس جهوده كلها للتاريخ الإسلامى ؟ وهل يتقبل منى هذا الاقتراح الذى لا ينتقص شيئاً من سعة اطلاعه على التاريخ العام ؟ إن قلم الأستاذ أدهم فى التاريخ الإسلامى هو قلم ممتاز واسع الإحاطة ، جميل العرض وخليق بالقلم الذى أنشأ صقر قريش ، والمنصور بن أبى عامر (إن صح أن أبشر بظهوره قبل أن يصدر قريباً إن شاء الله) ، وهذه الفصول الضافية التى شملها (تلاقى الأكفاء) عن أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى والحكم أمير الأندلس وبطل وقعة الزاب عبد الله بن على ... خليق بهذا القلم أن يفرغ للتاريخ الإسلامى العتيد فيدبج من فصوله كثيراً من الروائع التى أوشكت اليوم أن تنسى . وكم كنا نتمنى لو تذكر الأستاذ المؤلف مصر والمصريين فيترجم فى مجموعته البديعة لزوج أو زوجين من أكفائها الذين لا يقلون عبقرية عمن ترجم لهم وقابل بينهم ... مثل : محمد على والسيد عمر مكرم ، أو محمد على والبرديسى ، أو اسماعيل العظيم واسماعيل المفتش ، أو مصطفى كامل وعلى يوسف ، أو المتنبى وكافور ... إلى آخر ما يزخر به التاريخ المصرى من الأبطال الذين تلاقوا وجهاً لوجه ، وعسى أن يستدرك هذا فى أجزاء الكتاب التالية مع تهنئاتنا الخالصة وإعجابنا الشديد .

٢ – ألوان من الحب

هكذا سمى الأستاذ عبد الرحمن صدقى مجموعة قصصه المترجمة الجديدة . وقراء الرسالة والرواية يذكرون قلم الأستاذ صدقى عزيز الإعجاب ، ويذكرون أنه جيد الاختيار لقصصه إلى حد يثير الدهش ، وغرامه الذى لا يحد بالقصاصين الروس والأسبان والفرنسيين معروف مشهور ، وقد اختار لنا فى هذه المجموعة طائفة لزعماء الأقصوصة وأبطالها وقصرها على موضوع واحد هو ... الحب ... ويدفعنا الفضول إلى سؤال الأستاذ عما أدى به إلى إغفال القصاصين الإيطاليين والإنجليز فلم يضمن مجموعته شيئاً من روائعهم ... فهل هو فاعل فى الأجزاء التالية إن شاء الله ؟ أما أسلوب صدقى الفنى وقدرته على الوصف فسنعرض لها فى غير هذا العدد ... وكم كنا نؤثر لو أنه تناول بالشرح هذا الفيض الكثير من الكلمات المغربة فى ذيل الصحيفة توخياً لمنفعة القراء دون استثناء وتفادياً لانصرافهم عن البحث عن معانيها بالرغم من أنها ثروة لا تقدر بثمن عند من يعنى بكلمات الأوصاف وعباراتها فى اللغة العربية ... ولا غرو أن كل من يقرأ ألواناً من الحب سوف ينتفع بها سواء أكان قارئاً عادياً أو شاباً أو أديباً ، فتى أو فتاة ... إنها دروس فى تطهير القلب وإرهاف الحس وتقويم الخلق ... فلا تبذل فيها ولا إسفاف .

دريني خشبة

في شرح الشمر ذى الرقم (٥٢٠) « فى أنثال الأوب »

يسقيكها من كفه أحور كأنها من خده تعصر



12me Année No. 558 — Lundi - 13 - 3 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٦ ـ دفاع عن البلاغة

٨ ـ الأسـلوب

كان سيد البلغاء محمد بن عبد الله (ص) يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به ؛ فقد تكلم رجل عنده فأطال ، فقال له : « كم دون لسانك من حجاب ؟ قال : شفتاي وأسناني . فقال له الرسول : إن الله يكره الانبعاق[1] في الكلام . فنضَّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته »

وقيل لإياس : « لا عيب فيك إلا أنك تطيل . قال : أخَيرًا تسمعون أم شرا ؟ قالوا : خيراً . قال : فالزيادة في الخير خير . روى ذلك الجاحظ وعقب عليه بقوله : « وليس الأمر كما قال إياس ؛ فإن للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية . وما فضَل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والملال ، فذاك الفاضل هو الهذَر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه »[2]

وكان أمراء النثر العربي من أمثال جعفر بن يحيى وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد ، ويؤثرون طريق الإيجاز ، حتى قال جعفر للكتاب : « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا » . والتوقيعات ما يعلقه الخليفة أو الوزير

(١) الانبعاق في الكلام : الاندفاع فيه (٢) البيان والتبيين ص ١٠٦

أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب فى شكوى حال أو طلب نوال . وهى تجرى مجرى الأمثال فى الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . مثل ذلك ما وقَّع به المأمون إلى الرستمى فى قضية من تظلم منه : « ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ » . وما وقع به جعفر فى كتاب رجل شكا إليه بعض عماله : « قد كثر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت »

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسى من أشباه (شاتبريان) و (فلوبير) يتشددون فى الإيجاز ، ولا يتسمحون فى الإعادة ، حتى حرَّموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين فى صفحة واحدة . وقد أخذ (فلوبير) فى إحدى رسائله على (شاتبريان) أنه كرر لفظاً مرتين فى وصفه قدوم (أودور) إلى روما فى كتابه « الشهداء » . ومن كلام (بوالو) : يجب أن تعرف كيف توجز ، لتعرف كيف تكتب . ونفور نوابغ الكتاب من الإسهاب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية الإلـهية التى تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أخصر طريق . فهم لا يلغون لأنهم يعلمون المعنى الذى يفيد ، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذى يدل ، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذى يُرام . أما الذين لا يقدّرون ما يقولون ، أو لا يدرون أين يقصدون ، فهم كالماء الهائم على وجه المنحدر قصاراه زَبَدٌ وجرجرة ، أو كاللسان المخبول نطقه لغطٌ وثرثرة . وثرثرة اللسان كقرقرة البطن أصوات تذهب مع الريح !

والإيجاز فى بلاغة العربية كما قلنا أصل وروح وطبع ، ولكنه فى البلغاء قوة وروية وعمل . ونريد بالعمل الجهد ، لأن الإيجاز غربلة ونخلٌ ، وتنقية وتصفية ، وتصميد وتركيز . وذلك لا يتهيأ لك إلا بدوام النظر وطول التعهد . ومهما قلبت الجملة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجاً يُعدَّل ، أو نتوءا يسوَّى ، أو فضولاً يُشذَّب . والنثر فى رأى فلوبير لم ينته ، وهو فى رأينا لا يمكن أن ينتهى ، لأن صور الجمال لا تنفد ، وغاية الكمال لا تُدرك .

والمزية الظاهرة للايجاز على الإطناب أنه يزيد فى دلالة الكلام من طريق الإيحاء . ذلك لأنه يترك على أطراف المعانى ظلالاً خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، حتى تبرز وتتلوَّن وتتسع ، ثم تتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل ، والقرآن الكريم معجزة الدهر فى هذا الصدد

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أجنحة الخيال ويطفىء ألوان الحسن ، ويترك أسلوبه كأسلوب التلغراف ، شديد الاقتضاب والجفاف ، على نحو ما يدعو إليه بعض أدبائنا المعاصرين ؛ فإن الإيجاز ، مهما قيل فى جلالة خطره ، صفةٌ من صفات البلاغة الثلاث لا يغنى عنها ولا تغنى عنه

ولقد كان لإطناب الفرس مساغ فى أذواق العرب أوّل ما قطَرت به أقلام عبد الحميد وابن المقفع والحسن بن سهل ومن لفّ لفّهم ، لاقتصارهم منه على ما يصحح الازدواج ويقيم التوازن ، كقول عبد الحميد : « واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويفترص غفلتك ، لأنها خُدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانباً لها ، وتوقّها محترساً منها ... الخ» . فلما اشتد خلاط العرب للفرس تداخلت اللغتان ، وتمازجت العقليتان ، وأصبح تعاقب الجمل على المعنى الواحد سمةَ الأسلوب فى ذلك العصر ، حتى قال ابن قتيبة فى قول يزيد لمروان وقد تلكأ فى بيعته : [أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت] : « إن هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيد ويُبدئ ، ويحذّر وينذر »

وظل الفن الكتابى يتخبط فى ذلك الفضول ، ويتعثر فى تلك الذيول ، لا يسدده توجيه ، ولا يهذبه نقد ، حتى اتصل بالأدب الأوربى فى هذا العصر ، فتحدد لفظه ، وتجدد أسلوبه ، وانبعث شبابه الفنىُّ الغض من القرائح الموهوبة ، صافى الديباجة مشرق البيان ، إلا عقابيلَ مما تركت عصور الضعف والجهالة بقيت على الأقلام المرضوضة تكريراً للّفظ ، وترديداً للمعنى ، وتوليداً لنوع آخر من أنواع الاجترار الأدبى يعبر عنه الأديب زكريا إبراهيم فيما كتب إلىّ بقوله :

« شاع بين أدبائنا اليوم نوع جديد من الأدب ، نستطيع أن نسميه بحق أدب (الدردشة) . وهذا الأدب الجديد يصدر عن نزعات فنية حديثة ، لأنه كلام يقال لمجرد الكلام ،

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٤٠)

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بين الإنسان القديم والإنسان الجديد

تكلمت بعض المجلات السورية واللبنانية عن قلة اهتمام الأدباء المصريين بما يسمونه « أدب الحرب » ورأت في ذلك تضييعاً لإحساسات تستحق التسجيل ، ونصت بالذات على خلوّ أدبي من أحاديث الحرب ، والتفاتي إلى شؤون لا تمس أهوال الحرب من قريب ولا من بعيد

وأقول إن موقفي وموقف سائر الأدباء المصريين من الحرب هو موقف الإنسان الجديد ، وهو يختلف عن الإنسان القديم كل الاختلاف أو بعض الاختلاف

وتفصيل ذلك أن الإنسان اليوم يدرك أكثر مما يشعر ، وكان الإنسان قديماً يشعر أكثر مما يدرك ، والفرق بعيد بين الشعور والإدراك

إن حروب طروادة المشهورة في التاريخ القديم أنطقت اليونان بأعظم القصائد وأعمق الأقاصيص ، وهي حروب تعتبر ألعاب أطفال بالنسبة إلى حروب هذه الأزمان ، ومع ذلك لن يكون في شعراء هذا الجيل من يؤرخ الحروب الحاضرة ، كما أرخ القدماء تلك الحروب

الإنسان القديم كان يحارب وهو مدفوع بعوامل الازدهاء والاختيال ، أما الإنسان الجديد فيحارب وهو مدفوع بعمليات حسابية ترامى فيها الخسائر والأرباح ، فالفرق بين هذين الإنسانين هو الفرق بين الشاعر والحاسب ، وثروة الأول أحلام ، وثروة الثاني أرقام

كانت أعظم موقعة في بداية هذه الحرب هي موقعة دنكرك وقد انسحب منها الإنجليز ، فكيف كان شعورهم عند الانسحاب ؟

أنا لا أظن أنهم حزنوا ، وإنما أرجح أنهم فرحوا ، لأن الغاية من الحرب هي الربح ، الربح الذي يفهمه الإنسان الجديد ، وهو ضمان السلامة في الأموال والأرواح .

شاعر ظريف

إذا تصاول أسدان كان على الأسد المغلوب أن ينسحب إلى أن يتأهب لاستئناف الصيال ، وإذا تقاتل ديكان كان على الديك المغلوب أن يثبت في الميدان إلى أن يموت

وكان ذلك لأن الأسد يدرك أكثر مما يشعر ، وأن الديك يشعر أكثر مما يدرك ، والشعور أحط مرتبة من الإدراك ، فما في الوجود شعور أقوى من شعور الأطفال

وأبو تمام الذي بلغ الغاية في الرثاء بهذا البيت في وصف أحد المستشهدين

وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردَّه ... إليه الحفاظ المرُّ والُخلق الوعر

هو نفسه أبو تمام الذي اختار في ديوان الحماسة أبياتاً في تبرير الهرب من ميدان القتال ، وهي أبيات بعيدة من روح الحماسة ، ولكنها من شواهد العقل ، فقد علل الشاعر هربه من الميدان بأنه يفر من أعدائه « طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد » ، ثم قال :

وعلمت أني إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يضررْ عدوى مشهدى

وعلى هذا يكون إيثار العقل على الشعور في ميادين القتال مما آمن به العرب قبل مئات السنين ، وبهذا كان هـذا الشاعر من تباشير الإنسان الجديد

أدب وأدب

الأدب الأول سبق تسهيل المواصلات ، والأدب الثاني جاء بعد تسهيل المواصلات ، فاختلفت الصور هنا وهناك

جان جاك روسو لن يُخلق بعد اليوم ، فما تسمح الدنيا في أيامنا هذه بأن يتشرد فتى مثل هذا الفتى ، بحيث يقطع مئات الأميال على قدميه ، وبحيث ينفعل بمناظر السهول والجبال ، فيكتب الروائع في وصف ما رأت عيناه وهو ينتقل من مكان إلى مكان في الشهور الطوال

أدب الرحلات سينقرض ، ولعله انقرض ، بسبب ذيوع السفر بالطيارات ، وهو سفر لا يتيح أية فرصة لدرس ما تمرّ عليه من مختلف البلاد

وأدب التشفي والانتقام لن يعود ، وهو الروح الذي أملى

على أبى تمام هذه الأبيات عند ما أحرق المعتصم مدينة عمورية :

ما رَبعُ ميةَ معموراً يطيف به
غيلانُ أبهى ربًى من ربعها الخرب
ولا الخدود ولو أدمين من خجل
أشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منها العيون بها
عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسنُ منقلب تبقى عواقبه جاءت بشاشته من سوء منقلب

فما تقبل اليوم الشماتة بمدينة تحترق ، ولو كان أهلها من أخطر الأعداء

ولأبى تمام عذر فيما صنع ، فقد استطال امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ثم استطال ، وكانت نيته أن يزعزع هيبة الإسلام فى الشرق ، فلم يكن بد لأمير المؤمنين المعتصم بالله من تأديب تيوفيلس بإحراق مدينته التى أعجزت المحاربين من أكابر الملوك

والإنسان الجديد يتمثل فى نابوليون يوم دخل موسكو ، فقد راعه أن يحرقها الروس بأعنف النيران ، وكان يتمنى أن تعيش بعافية ، ليبلغ من تحضيرها ما يريد ، وإن كان فاته أن يفهم أن بداوة الاستقلال ، أفضل من حضارة الاحتلال

والإنسان الجديد يتمثل فى حكومة فرنسا يوم رأت أنها ستنهزم فى هذه الحرب ، فقد طلبت إعفاء باريس من القتال ، لتسلم باريس وهى عصارة أجيال وأجيال

متاعبنا الجديدة

الحرب عندنا ليست بحرب ، ألم أقل لكم إنها عملية حسابية فى نظر الجيل الجديد ؟

والتاريخ ليس عندنا بتاريخ ، وما أضيع من يعيش فى ضيافة التاريخ !

متاعبنا الجديدة هى أن نعرف سرائر نفوسنا معرفة لا يفسدها التزييف

يجب أن نفهم ماذا نريد من الحياة ، وماذا تريد منا الحياة

فإن حددنا الجواب عن هذين السؤالين فسنمضى إلى الغاية المنشودة بلا إبطاء

ندخل حدائق الحيوان بالقاهرة أو بأى مدينة فنرى جميع أصناف الحيوان فى أمان من الانحراف ، لأنها بعيدة من جهالة الناس ، ففى الناس أعور وأعمى وأكمه وأبرص ، والحيوان لا يعانى هذه العاهات ، لأن خلو حياته من التعقيد يضمن لها السلامة والبقاء .

تكريم الدكتور طه حسين

قلت مرة : إن الأدب الحديث يحتاج إلى مؤرخ مثل أبى الفرج الأصبهانى ، ففى حيوات أدباء هذا العصر أشياء تستحق التسجيل ، وإن بدت من توافه الأشياء

وأنا سأحاكى أبا الفرج فى مناهجه الأدبى فأقص قصة يرتاح لها القراء ، لأنهم سيقرأونها مبتسمين ، والابتسام يفوق جميع الأثمان :

نشرتُ فى جريدة المصرى كلمة أدعو بها إلى تكريم الدكتور طه حسين ، بمناسبة ظهور الجزء الثالث من كتابه « على هامش السيرة » ، وأنا موقن بأن الناس سيقولون :

« لأمرٍ ما دعا زكى مبارك إلى تكريم طه حسين »

ولم أتهيب هذا القيل ، فقد علمت من أساتذتى فى باريس أن أخطر مقتل فى شمائل الفرنسيين هو تهيبهم من أن يقال ، عند مواجهة الأعمال

Qu'en dira-t-on ?

وقد وقع ما توقعت ، فقد نشرت مجلة الإثنين كلمة « لطيفة » سجلت بها دعوتى إلى تكريم الدكتور طه بعد أن كنت من خصومه الألداء ، وحدثنى صديق أن ناساً من خلق الله زعموا أنى أحاول استعطاف المستشار الفنى لوزارة المعارف ، لأظفر بدرجة ترفعنى إلى الصف الذى ارتقى إليه بعض النجباء من تلاميذى

ولقد أحزننى ما قرأت وما سمعت ، فما خطر فى بالى أن لى

محاورات المــــوتى

المحاورة الأولى

للكاتب الفرنسى برنار بوفيه دفونتنيل (*)

بقلم الأديب يوسف روشا

اسكندر وفرن

فرين : عاهرة مشهورة عاشت فى أثينا حوالى سنة ٣٢٣ق . م . وكانت حظية لبراكستلس الذى أخذ رسمها . ويقال إن أبلس رسم صورته « فينوس » بعد أن رأى فرين عند ساحل البحر عارية وقد أسدلت شعرها المفدودن . لقد غدت فرين ، بفضل سخاء عشاقها الكثيرين ، غنية إلى حد أنها رغبت فى إعادة بناء طيبة التى دمرها اسكندر على نفقتها ، ولكن رغبتها لم تجب

رودوب : حظية يونانية مشهورة جمت ثروة طائلة ؛ ورغبة منها فى تخليد اسمها شيدت أحد أهرام مصر

اسكندر الثالث : الملقب بالكبير ولد سنة ٣٥٥ق . م . كان تلميذاً لأرسطو لخمس سنوات ، وهو الذى دمر طيبة وأعلن الحرب على الفرس وغزا آسيا الصغرى ، وبسط سلطانه على مصر وسوريا وفارس . توفى فى بابل سنة ٣٢٣ بعد حكم دام اثنتى عشرة سنة أحرز فى أثنائها انتصارات متوالية بارعة

ديموستين : خطيب أثينى شهير قال عنه شيشرون — وقد كان ندا له بين الرومانين — إنه شخصية فذة قلما يجود التاريخ بمثلها

المحاورة :

فرين : لو أنك سألت جميع سكان طيبة الذين عاشوا فى زمانى ، لقالوا لك كيف عرضت عليهم إعادة بناء جدران طيبة التى دمرتها أنت على نفقتى ، بشرط أن يقيموا لى نصباً يكتب عليه هذه العبارة : « لقد دمر أسكندر الكبير هذه الجدران ، ولكن الزانية فرين أعادت بناءها »

اسكندر : إذن أنت خائفة من أن تجهل الأجيال القادمة الحرفة التى كنت تمارسينها ؟

فرين : وماذا علىّ من ذلك ؟ لقد بلغت بها الذروة . وإن لكافة المتازين من الناس ، مهما تكن حرفتهم ، لولعاً جنونياً بالأنصاب

اسكندر : صحيح أن لرودوب نصباً قبلك ؛ فقد عرفت كيف تستغل جمالها لتبنى أحد أهرام مصر الشهيرة ، ولا يزال قائماً حتى الآن . وأذكر أنها كانت أمس تتحدث عنه إلى أطياف بعض الفرنسيات اللاتى كان لهن — على زعمهن — رقة وجمال ، فأخذن ينتحبن قائلات : إن الجمال فى بلدهن ، وفى العصر الذى عشن فيه ، لم يكن ليجلب ثروة كافية لبناء هرم

فرين : ولكنى أمتاز عن رودوب بأنى أعدت بناء جدران طيبة ، وبذلك جعلت نفسى فى صفك أنت الذى كنت أعظم فاتح فى العالم . ألا ترى كيف استطاع جمالى أن يصلح ما أزلته شجاعتك بالبلاد من تخريب وتدمير !

اسكندر : انت تتطرقين إلى شيئين ليس إلى عقد المقارنة بينهما من سبيل . إذن أنت فخورة أن يذاع عنك بأنه كان لك عشاق كثيرون ؟

فرين : وأنت ، ألست فخوراً بتدميرك أكبر قسم من العالم ؟ لو أن فى كل مدينة خربتها (فرين) لما بقى أقل أثر لجنونك

اسكندر : لو قدر لى أن أعيش مرة أخرى لما تمنيت أن أكون إلا فاتحاً عظيما

فرين : وأنا لو رجعت إلى الحياة لما تمنيت إلا أن أكون غازية للقلوب . إن للجمال حقاً طبيعياً فى السيطرة على الرجال على حين أن الشجاعة تفرض حقها على الناس بالقوة والبطش . للنساء الجميلات عرش فى قلوب الناس قاطبة مهما تكن جنسياتهم ؛ ولا كذلك

(*) ولد برنار بوفيه دفونتنيل فى روان فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير ١٦٥٧ وتوفى فى باريس عن مائة سنة . وكان أبوه محامياً مقيما فى روان وأمه أخت بيير كورنى

بدأ حياته محامياً نزولا على رغبة أبيه ، ولكنه لم يلبث أن ترك المحاماة واشتغل بالأدب وألف دفونتنيل عدة مسرحيات أخفقت كلها ، ولكنه لم يكد يخرج « محاورات الموتى » حتى بزغ نجمه وانتشرت شهرته وهذه المحاورات خمس سننشرها تباعاً

مسألة عند الدكتور طه حسين ، ولا أنا أستجيز استغلال النقد الأدبى لمنفعة شخصية ، ولا أنا أقبل عطفاً من أى إنسان فى أى حال . والدكتور طه نفسه يعرف هذا الجانب من أخلاق ، ويعرف أنى لا أقبل منه ولا من غيره أية مساعدة ، لأنى أغنى منه ومن جميع الناس ، بفضل النعم التى يسوقها الله إلىّ بغير حساب ، وأنا أخشى أن تقتلنى هذه النعم ، كما تصنع الأزاهير والرياحين بمن يعانقها فى ليلة صفاء

زكى مبارك

١٥ ـ ٢٢

الملوك والفاتحون . ولأقنعك أكثر من هذا أقول : إن أباك فيليب، الذى كان شجاعاً مقداماً كما كنت أنت، لم يستطع هو وأنت أن تدخلا الرعب فى قلب الخطيب المصقع ديموستين الذى قضى حياته كلها يخطب ضدكما ، على حين أن فرين أخرى كانت ذات مرة على وشك أن تخسر قضية هامة جداً ، وإذا بمحاميها ، وقد بذل لأجلها كل ما يملك من الفصاحة والبلاغة بلا جدوى ، يرفع عن وجهها النقاب فيبهر جمالها الحكام فيحكمون لها أن أوشكوا أن يحكموا عليها . ألا ترى كيف أن صلصلة أسلحتك كل هذه السنين التى حكمتها لم تقو على كم فم خطيب واحد ، على حين أن سحر فتاة جميلة أفسد فى لحظة حكام أراكوس القساة

اسكندر : بالرغم من استنجادك بفرين أخرى فإنى لا أعتقد أن جانب اسكندر قد ضعف كثيراً . ومما يدعو إلى الأسف أنه لو ...

فرين : أعرف ما تريد أن تقوله : اليونان ، آسيا ، فارس ، الهند ... كل ما من شأنه أن يبهر العالم بالطنين والرنين . ومع هذا إذا أنا أسقطت من مجدك كل ما ليس لك ، فأعدت إلى جنودك وقوادك ، وحتى إلى الحظ الذى ساعفك ، نصيبهم من الظفر الذى هم له أهل ، فهل تعتقد أنك لن تخسر بذلك كثيراً ؟ ولكن المرأة الجميلة لا يشاركها أحد فى غزواتها ، فليس لأحد عليها فضل ، بل الفضل كله لها . أقول لك الحق إنه لمركز جميل ... مركز المرأة الحسناء

اسكندر : يظهر أنك جد مقتنعة بما ذهبت إليه من أمر هذه المرأة الحسناء . ولكن أتتصورين حقاً أنها تصل إلى هذا الحد الذى وصفت ؟

فرين : كلا ... كلا ... فسأكون منصفة معك . أنا أعترف بأنى قد أسأت وصف شخصية المرأة الحسناء كل الإساءة . أنا وأنت ... لقد كانت لنا غزوات وغزوات . فلو كنت اكتفيت بعشيقين أو ثلاثة على الأكثر لكان ذلك من طبيعة الأشياء ، وليس ثمة ما يدعو إلى الانتقاد . أما أن يكون لى من العشاق جيش أستطيع معه إعادة بناء طيبة فشطط ما بعده شطط . ولو أنك كذلك لم تغز سوى اليونان والجزر المجاورة وقسم من آسيا الصغرى ، إذا لم يكن من ذلك بد ، وأسست لك منها مملكة لكان ذلك مفهوماً معقولاً . أما أن تخبط خبط عشواء فتأخذ المدن دون أن تعلم لماذا تأخذها ، وتفرغ من غزو إلى غزو من غير أن يكون لك خطة معينة أو هدف معقول ؛ كل ذلك لا تستسيغه العقول النيرة

اسكندر : ليقل أصحاب العقول النيرة ما يشاءون . فلو أنى استعملت شجاعتى وحظى بحكمة لما تحدث عنى أحد

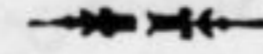
فرين : وأنا أيضاً لو كنت استعملت جمالى بفطنة لما ظفرت بهذه الشهرة الواسعة . على أنه كلما أريد إحداث ضجة فى العالم ، فليس أحصف الناس وأعقلهم هم الذين يصلحون لها .

(بغداد) **يوسف موشا**

مرسلات مع الريح

يا عـــــدوى

للأستاذ إسماعيل مظهر



منذ خمسين سنة ونيف كنّا نقطن حيا من الأحياء الوطنية القديمة لا يزال يسمى الدرب الأحمر. ولعله اكتسب هذه التسمية من دماء المماليك التي انحدرت في مسالكه من باب القلعة إلى باب الوزير، عند ما استأصلهم الكبير محمد علي واستأصل معهم شأفة الفساد والشر. وكان المنزل الذي نقطنه على رحابة أرجائه كأنه سجن له فناء، ولا يطل منه على العالم الخارجي إلا نافذة واحدة طولها أمتار وعرضها شبر واحد، كنا ننصت منها على جلبة الشارع، فكنا إذا سمعنا مصطفى الزرّاب يغني بصوته الرخيم أطلقنا لأرجلنا العنان، واستبق بعضنا البعض إلى السلم ومنه إلى الفناء، ثم من الفناء إلى الدهليز؛ ثم من الدهليز إلى الدركة، فنرى عم جوهر جاثماً فوق السدة فنحييه، ثم نقفز إلى الشارع. وكان الزرّاب منادياً يأجره البعض إذا فقدوا شيئاً، فينادي عليه في الأزقة والحواري والمسالك.

وذات يوم شهدناه ينادى عن معزاة فقدها جلاّد (بائع جلود) بجوار منزلنا. وكان رخيم الصوت يفتن في النغم ويخلق من مناداته شهي اللحن، فرأيناه ينشد المعزاة بلغة عربية تشوبها العامية المقبولة، وأخذ يسير ونحن وراءه، حتى إذا أشرفنا على جامع المرداني وتجاوزنا باب قسم الدرب الأحمر، انفتل يميناً إلى حارة الروم بعد أن صاح (يا عدوى)، وكان يختم بها كل نداء. فترك عربيته وأخذ يقول: «يا خدرات الأروام: يا خواجات الخته: فيه واحد ميزه: أنده اتنين بَلَخَته هينا (ويشير إلى جوزته) الشرّ بتاعه أخمر. البوز بتاعه أبيد. تمسك فلوس كويس لو جبته. يا خريستو» (بدلاً من أن يقول يا عدوى)

تذكرت هذه الحادثة بعد هذه السنين الطوال، وتذكرت مصطفى الزرّاب عندما قرأت في مجلة المصور مشروع كتابة العربية بالحروف اللاتينية الذي خرج علينا به سعادة عبد العزيز فهمي باشا عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية خروج الزراب من عربيته أمام جامع المرداني، ينشد معزاته الضائعة: متوسلاً بالعدوى، إلى لاتينية الأعاجم عند ما انفتل إلى حارة الروم مستنجداً بخريستو، مستمداً منه العون. ولله الأمر من قبل ومن بعد

كذلك اعتقد كثير من الخرافيين في العصور الوسطى أن الشيطان قد تدخل في تصوير كرة الأرض. فقد رأوا أن لبلاد اسكنديناوه شكلاً خاصاً يغاير شكل بقية أجزاء الأرض؛ ذلك بأنها أشبه بذراع ممدودة أخذت من حواشيها المُدى والسيوف فتركت به تلك الخلجان والقطوع المائية، التي صلحت في الأزمان الأولى أن تكون مقراً آمناً للقرصان الذين نشروا الرعب في شمال أوربا، وامتد إرهابهم إلى حوض البحر المتوسط، رأوا ذلك فتخيلوا حادثاً كونياً محصله أن الله القادر على كل شيء بعد أن انتهى من عمل الخليقة، تسلل الشيطان ليرى العمل الذي أتمه في تلك الأيام السبعة التي تخلف فيها عن الظهور منه فوق العرش. فطاف ثم طاف، حتى إذا وقع على سيارنا هذا ورأى ما فيه من جمال وحسن بالرغم من صغر حجمه ضاقت نفسه وساء سلوكه، فاقتلع حجراً عظيماً قذف به كرة الأرض، مقر الإنسان الجديد، فاستقر الحجر في بحر الجمد الشمالي حيث اسكانديناوه الآن

ومن هذه الخرافة نستمد العظة. فكل جميل كامل الجمال، وكل حسن كامل الحسن، يأبى صلف الإنسان إلا أن ينتقصه من أطرافه، لا بد من أن يُرى بحجر يقذفه شيطانه، كذلك الذي قذف كرة الأرض بحجره العظيم، فزاد من جمالها وضاعف من حسنها. أرأيت تمثال فينوس ميلون؟ أفإن انحدر إلينا كاملاً بذراعه الجميلة، أكنا نشهد فيه ذلك الجمال كله؟ كلا فإن جمال الجزء الناقص ندركه من جمال الأجزاء الباقية. أضف إلى ذلك شعور العطف الذي نحسه إزاء ذلك الحجر المنحوت، وذهول السكارنة التي أطارت منه الذراع. إن الجمال فيه

لم ينقصه ، وإدراكنا لقيمة جماله وحسنه وروعته قد شابها العطف عليه بحنو يبعث من وجداننا ما كان ليفوز به لو أن القدر أبقى منه تلك الذراع المفقودة

وما أشبه لغتنا العربية المجيدة بكرة الأرض وحادثها مع الشيطان ! فإن هذه اللغة مافازت بالبقاء دون أخواتها الساميات إلا لأسرار فيها يعجز عن إدراكها الفكر ويضل في بحثها التاريخ . وكل تعليل لهذه الظاهرة إنما هو تعليل ناقص ؛ فإن ذلك التيه الواسع الذى نسميه اللغة العربية إنما هو على اتساعه وحدة كاملة الأطراف متماسكة الجوانب ، إذا اقتلعت منه حجراً واحداً انهارت منه أركان ، وإذا زعزعت منه أساساً تداعت من حوله كثير من الأسس . فلقد تطورت هذه اللغة على مر السنين ، وتكاملت على كر الأعوام ، حتى أصبحت كالبناء المصبوب من الفولاذ ، ناحية النقص الواحدة فيه أنك لا تجد فيه منفذاً واحداً يمكنك من أن تضيف إليه جديداً منه ؛ غير أنه يظهر كالرقعة المهلهلة فى الثوب الجديد الكامل النسق

وما الذى يحملنا على أن نفكر فى الحروف اللاتينية لنكتب بها العربية ؟ ما الذى يحملنا على أن نحمل ذلك الحجر الثقيل على أكتافنا من بلاد اللاتين إلى صميم بلاد العرب ، لتقذف به لغة العرب ، فيلوب فى بحرها الخضم ثم يلوب ، ومن بعدُ تبتلعه ، ولا نكسب من ذلك إلا تعب الحمل ، ووزرَ ذلك الشيطان الذى قذف كرة الأرض بحجره الثقيل ، فلم ينتقصها وإنما ابتلعه جمالها فزادت به جمالاً ، ولم يغير من طبيعتها وإنما زاد إلى تاريخها فصلاً محجوجاً مكروها . إنما يكون مثلنا فى هذه الحال كالشمطاء التى أبت إلا أن تنتقص جمال حسناء ، حقداً وكيداً ، فاجتزّت خصلة من لمتها ، فبدت غرتها أجمل وأفتن

حاول الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا أن يصلح من اللغة العربية بمشروعه ذاك الذى نشره فى المصورَ ، بأن يجد طريقاً يسهل على الناس قراءة العربية صحيحة كما تلقيناها عن الفصحاء . وأشار من طرف خفى إلى حروف الحركة ، كأن اللغة العربية ليس بها حروف حركة ؛ ولكنه نسى أن العربية تمتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية . نسى أن بها حروف مد وحروف حركة . فإن حروف الألف والواو والياء ليست فى الواقع حروف حركة فى اللغة العربية وإنما هي حروف مد . فإذا قلنا مثلاً « كتاب » فالألف هنا ليست حرف حركة وإنما هى حرف مد تطول معه حركة التاء . أما حروف الحركة فهى فى الواقع الحركات الفتح والضم والكسر والسكون ، فصلت عن بقية الكلمة لتدل على حركة حروفها ، وهو نوع من الاختصار لا تجد له مثيلاً فى لغة من لغات الأرض ، ولون من الجمال الواضح والوحدة السليمة تمتاز به هذه اللغة العجيبة دون غيرها من اللغات . وسبحان الله إذ يصبح الكمال فى نظر بعض الناس نقصاً ، والجمال قبحاً ، كأنما نحن نملُّ أن نتعلم لغتنا على أساسها الصحيح ، ومن طريقها الواضح الذى شرحه العلامة الأستاذ عرفة على صفحات الرسالة ، إنما نحن نعبر بمثل هذه الآراء التى يعرضها الباشا الكبير عن ملل واضطراب

وما أريد أن أتكلم عن تراث العرب والعربية ، وما أريد أن أتكلم فى أن هذه اللغة لغة دين ولغة أدب وعلم وفن انحدرت إلينا من خمسة عشر قرناً إلا قليلاً تحمل إلينا فى تضاعيفها مشعل الماضى مضيئاً . لا أريد أن أتكلم فى شىء من هذا فإنه بمثابة القول المعاد ، وإنما أريد أن أقول : إن هذه النزعات نزعات يميتها ضعف فى القومية واستهتار بتراث العرب الموروث ونبذ لكل تقليد قديم تلقيناه عن أصولنا

إننا لا نعلم اللغة العربية فى مدارسنا وإنما نعلّم بعض قواعد منها . ولا يسمع الطالب لغة فيها شىء من العربية الصحيحة إلا من معلم اللغة العربية ، فإذا احتك بعلم الحساب أو الهندسة أو الجبر أو التاريخ الطبيعى أو غير ذلك لم يسمع إلا العامية ، لغة سقيمة مهلهلة . فأين نحن من تعلم اللغة العربية ؟ بل إن بعض طلبتنا فى بعض الكليات يتلقى دروسه من أستاذه باللغة العامية ثم يذاكر الموضوع بالإنجليزية . فهل سمعتم بمثل هذا فى أنحاء كرة الأرض ؟ هل سمعتم بأن مثل هؤلاء الطلبة يستطيعون أن يدركوا شيئاً من أسرار لغتهم وهم على مثل هذا الوضع ؟

يا سعادة الباشا قل معنا يا عدوى ؛ فإننا لن نقول معك يا خريستو أبد الدهر .

اسماعيل مظهر

الجمعية الملكيـــة (*)

للأستاذ خليل السالم

لم تتمتع جمعية علمية بحياة طويلة ثابتة المبدأ متصلة الكفاح باهرة النجاح كما تمتعت الجمعية الملكية فى لندن، مع أنها ليست أقدم[1] الجمعيات العلمية فى العالم؛ فهي تعود فى تاريخ تأسيسها إلى الحرب الأهلية، إذ اجتمع سنة ١٦٤٥ نفر من رجال العلم الذين يفيضون غيرة وحماسة، ويأنفون أن تتخبط البلاد فى المنازعات السياسية والعصبيات الدينية، وأرادوا أن يتوجهوا بالفكر إلى ميادين أسمى وأكثر جدوى، وجعلوا غرضهم المباشر فهم قضايا الفلسفة التجريبية التى ظهرت على مسرح فكرهم حديثاً. وقد عقد الاجتماع الأول فى كلية جريشام Gresham فى مدينة لندن. ونقل مكان الاجتماع إلى كليـة وادهام Wadham College من جامعة أكسفورد عندما انتسب جون ولكنز John Wilkins مدير هذه الجامعة إلى المؤسسة الناشئة، وكان من أوائل منشطيها ومشجعيها

وفى سنة ١٦٦٢ أصدر الملك شارل الثانى مرسوماً بتأسيس الجمعية، واعتبارها هيئة تعاونية رسمية. ويصلح هـذا التاريخ أن يكون بحق فجراً جديداً فى تاريخ العلم، ومبدأ نهضة وهاجة السنا باهرة الإشراق. وكيفما كانت الصورة الماجنة المستهترة التى تقدمها كتب التاريخ عن مؤسس الجمعية الأول شارل الثانى، فلا ريب أنه كان يقدر العلم والعلماء، ويرى ببعيد نظره ما يمكن أن يدر تشجيع العلم على ثروة البلاد من المغانم الكبرى والربح الوفير. وكان سياسياً حاذقاً ومثقفاً واعياً عندما اكتسب لنفسه لقب مؤسس الجمعية الأول. وكان مدركاً لروح العصر الجديد الذى تميز بهدم تعاليم أرسطو على يد نبى العلم « بيكون »، وبنبذ الخرافات والشعوذات، وبالانصراف عن العلم المنقول إلى الطريقة التجريبية والتحقيق العلمى

وكان هدف الجمعية كما ورد فى مرسوم تأسيسها « تحسين المعرفة الطبيعية ». وناضلت الجمعية فى سنيها الأولى نضالاً عنيفاً قاسياً، فلم يمدها مؤسسها الأول بالمال الذى رصده لها، كما لم يتمكن أعضاؤها من دفع رسم الاشتراك، أو لم يرد بعضهم ذلك. إلا أنه لما تبوأ نيوتن كرسى الرياسة (١٧٠٣ — ١٧٢٧) تحسن دخل الجمعية، لأن العلم المنظم وصل مستوى عالياً من النجاح والتطبيق على يد العالم العبقرى الفذ نيوتن الذى فرض احترامه واحترام نظرياته واكتشافاته على الوسط العلمى، واستفاد القرناء Fellows منه، وشعروا بشرف الاشتراك معه فى العمل والبحث. ولم تحظ الجمعية برئيس بعث الدم فيها وأحيا مواتها وجدد حياتها ورفع من قيمتها كنيوتن إلا فى القرن الثامن عشر عندما تولى مقاليدها السر جوزيف بانكس Joseph Banks؛ فقد تحددت مرامى الجمعية فى ذهنه واضحة صريحة، وانتهى إلى أن الفائدة المرجوة والثمرة المنشودة لن تدنو قطوفها إلا بجباية رسمية، فقبل فى عضوية الجمعية أشخاصاً لم يكونوا علماء بكل ما فى الكلمة من معنى. وبالرغم من اتهامه بالتفريط فى حق العلم والعلماء والهجوم الشديد الذى وجهه إليه أعداؤه، فإنه استطاع أن يجعل من أولئك الأعضاء أصدقاء للعلم واستخدمهم لجمع المال الضرورى للبحث العلمى. لم يتسن للحكومة أن تسيطر على الجمعية وتستغلها فى مصالحها الخاصة، ولكن علاقات وثيقة ودية كانت تربط الجمعية بالسلطة. فاستعان بإرشاداتها ملوك وساسة ومديرو مصالح، وعرضت الجمعية خدمتها على الحكومة فى كل مناسبة

(*) عن الانجليزية مع إضافات وتعليقات جمة

(١) انبعث من إيطاليا أولا نور عصر الأحياء فسبقت إلى تأسيس الجمعيات العلمية، فتكونت فى نابلى « مدرسة الأسرار الطبيعية » سنة ١٦٥٠، وتأسست جمعية فلورنسا سنة ١٦٥١، وجمعية فى روما على أيام جاليليو. أما أكاديمية العلوم الفرنسية فقد بدأت عملها سنة ١٦٦٦، وجمعية برلين على يدى ليبنتز سنة ١٧١٠، وجمعية بطرسبورج على عهد بطرس الأكبر سنة ١٧٢٥

كانت مصلحة الوطن فيها تستدعى الجهد العلمي الرسمي . واعترافاً بمثل هـذه الخدمات القيمة رصـد البرلمان الإنجليزى سـنة ١٧٧٨ وما بعـدها مخصصات باهظة لتضخيم ميزانية الجمعية .

ونتعب إن حاولنا تقصى المناسبات التى حلت فيها الجمعية مشاكل رسمية . ولـكننا نرى اليوم عشرات القرناء منهمكين فى الاختبارات العلمية التى تسرع بربح الحرب والتى تختلف بين تأمين الطعام لجميع أفراد الأمة وبين ابتكار أقوى الأسلحة الحربية فتكا وتدميراً .

يبلغ عدد أعضاء الجمعية ٤٥٠ عضواً منهم ٥٠ عضواً أجنبياً . وبينما كانت مقاعد الجمعية تضم فى وقت ما كل علماء انجلترا أصبحت اليوم ضيقة بهم ؛ مما جعل الانتساب إلى الجمعية حلماً عبقرياً يتردد فى ذهن كل عالم ، وشرفاً كبيراً تتجه إليه الهمم ... والواقع أن العضو فى الجمعية يحرز فوائد مادية جمة فضلاً عن مظاهر التكريم والإجلال . سئل أحد القرناء الأطباء عن معنى الأحرف الثلاثة F.R.S.[1] التى تلحق باسمه . فأجاب بأنهـا تعنى : Fees Raised Sinee أى أن أجوره ارتفعت بعد أن أضيفت هذه الأحرف إلى اسمه . ومن هنا كان الانتساب إلى الجمعية يقتضى كفاية نادرة وسبقاً علمياً معترفاً به فى أحد ميادين المعرفة . ولا يرشح أحد العلماء للعضوية إلا بعد أن يزكيه ستة أعضـاء على الأقل بشرط أن يكون بينهم ثلاثة خـبروا معلومات المرشح ومؤهلاته واكتشافاته واتصلوا به اتصالاً شخصياً . وبعد مشاورات طويلة يعرض مجلس الجمعية كشفاً بأسماء المرشحين ويجرى الانتخاب فى آذار من كل عام . وتوزع الجمعية يوم ٣٠ نوفبر دائماً عدداً من الأنواط على السابقين من أعضائها المشهود لهم بالفضل والنبوغ

ويدير شئون الجمعية مجلس يتألف من (٢١) عضواً يجدد انتخابهم كل سنة . أما رئيس الجمعية وسكرتيرها للمراسلات الخارجية فيبقيان فى منصبيهما خمسة أعوام . ويحتفظ أمين الصندوق وسكرتير الجمعية للأبحاث البيلوجية وسكرتيرها للأبحاث الطبيعية بمناصبهم عشرة أعوام . ولا يحق لقرين غير هؤلاء أن يخدم فى مجلس الجمعية أكثر من عامين متتالين

وتساعد لجان خاصة مجلس الجمعية على تنظيم الميزانية وتوجيه البحث العلمي وطبع الكتب . وترصد الجمعية مبالغ طائلة لتمويل الجهود العلمية . ولـكن أهم وظائف الجمعية نشر البحوث التى يتمها القرناء وشرح كشوفهم ، فهى تطبع سجلاً سنوياً يضم أحدث الأبحاث العلمية التى يحرص رجال العلم المنتشرون فى كل بقاع الأرض على درسها وفهمها

ولا تتأثر الجمعية بنزعات الجنس والدين ؛ ولها اليد الطولى فى شيوع النظريات العلمية والدعوة إلى اتحاد علمى عالمى ، والبلوغ « بدولية العلم » مستوى يكاد يقرب من الكمال

وتضم مكتبتها ما يزيد على (١٥٠) ألف مجلد ، وتقتنى أوفى مجموعة لمنشورات الأكاديميات العلمية فى جميع أقطار المعمورة ؛ وقيودها وسجلاتها مصدر تاريخى لا نظير له استفاد منه كثير من طلاب العلم

وكلمة أخيرة ، عن كنوز الجمعية . فى ردهاتها لوحات رسمها أمهر الفنانين البريطانيين لأشهر علمائهم منـذ القرن السابع عشر حتى اليوم . وسجل الجمعية الذى وقع فيه جميع القرناء منذ تأسيس الجمعية كنز لا يثمن . وفيها صولجان أثرى يضعه الرئيس أمامه أثناء انعقاد الاجتماعات . وفيها المرقب العاكس الذى صنعه نيوتن . ومخطوطة كتاب « المبادىء » - ومنها نقلت الطبعة الأولى - وهناك فرجاران من مخلفات كرستوفر رن ، ومفرغة هواء هوكسبى ، وساعتا وقف من عمل أرنولد استعملهما كوك فى رحلتيه الثانية والثالثة حول العالم ؛ ومصباح الأمن الذى اخترعه ديفى ، وغير هذا كثير من الأجهزة العلمية التى كانت ملكا للجمعية ومنحتها لمتاحف العلم .

(السلط — شرق الأردن) **خليل السالم**

(١) تشير الأحرف الثلاثة إلى : Fellow of the Royal Society

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٢ —

٥ — كرسي المختار وتخت يزيد: ثار « المختار الثقفي » على الدولة الأموية باسم محمد بن الحنفية ليجعل لدعوته صبغة دينية وهي الدعوة لآل البيت، وأنكر ابن الحنفية أمره، ولكن (المختار) من دهاة ثقيف، فإنه لما وجد تثاقلاً من جيشه لحرب عبيد الله بن زياد أتى بكرسي وادعى أنه من مخلفات الإمام علي، وأنه بمنزلة التابوت في بني إسرائيل لا يحمله جيش إلا كتب له به النصر. فكساه بالديباج وسلمه إلى إبراهيم بن الأشتر قائد جيشه وانتصر الجيش على (ابن زياد) وقتله ودخل ابن الأشتر الموصل. فحركة المختار ظاهرها لآل البيت وحقيقتها دعوة باطلة له. ووضع اليزيدية مقابل هذا الكرسي تخت يزيد وهو من المشاهد المقدسة عندهم يجلس عليه أميرهم، وأمر التخت عندهم كأمر الكرسي عند أتباع المختار

٦ — وجاء في كتابهم المقدس: (مصحف رش[1]) قصة طريفة تؤيد ما ذهبنا إليه، وهو عداؤهم لآل البيت وتأييدهم للحزب الأموي وهي: « ولنعد الآن إلى محمد بن الاسماعيليين فكان عنده خادم اسمه معاوية؛ فنظر الله إلى محمد فرآه لا يسلك باستقامة فأوجع رأسه. فقال محمد لمعاوية: تعال احلق رأسي لتعاطى معاوية التزيين، فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة فجرحه وجرى منه دم كثير. فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض، فقال له محمد: ما ذا صنعت يا معاوية؟ أجاب: إني لحسته بلساني خوفاً لئلا يقع على الأرض. فقال محمد: لقد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتي. فقال معاوية: لا أتزوج ولا أقع في العالم قط. ثم بعد زمان سلط الله على معاوية عقارب فلدغته ورشت سمها عليه. فلما رآه الأطباء جزموا عليه بالزواج وأتوه بامرأة يربى عمرها على الثمانين كي لا تحبل. فلما عرفها معاوية أصبحت في الغد ابنة خمسة عشرة سنة وذلك بقدرة الإله. فحبلت وولدت إلهنا الذي يسمى « يزيداً » وهذا قول صريح من كتابهم المقدس أنهم أعداء لآل بيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما أن نسب أمرائهم ينتهي إلى « يزيد بن معاوية » فلم يبق شك في أن أصل حركة اليزيدية كانت حركة لمناصرة بني أمية والدفاع عن حقهم في الخلافة ومناوأة « آل البيت » الذين خاصمهم الأمويون على الخلافة منذ صدر الإسلام

والسبب الذي جعل الجبال القريبة من الموصل مركزاً لهذه الطائفة هو: أن الموصل كانت مدينة أموية منذ الحكم الأموي. واهتم بها الأمويون اهتماماً كبيراً، فوسعوها وسكنها جالية منهم وكانوا كثيراً ما يولون عليها أميراً من البيت الأموي. وممن تولاها: «سعيد بن عبد الملك، والحر بن يوسف، ومروان بن محمد» كما سكنها الخليفة « هشام » قبل أن يلي الخلافة وبنى له قصراً فخماً في ربضها الأسفل وغرس بها النخيل والبساتين. « والحر » صاحب « قصر المنقوشة » كان يملك القرى المجاورة لجبل « مقلوب » وهو أحد مراكز اليزيدية اليوم. وأن « ابراهيم الامام » منظم الدعوة العباسية كان يعرف حب أهل الموصل للأمويين ولذلك أوصى « أبا مسلم الخراساني » ألا يعتمد عليهم. وذكر « أبو زكريا الأزدي » مؤرخ الموصل وقاضيها في القرن الرابع الهجري أن الموصل بقيت أموية في الحكم العباسي، ولهذا فتك بها العباسيون وقتلوا من أهلها ثلاثين ألف رجل سنة ١٣٣ هـ. وبعد سقوط الدولة الأموية فر كثير من الأمويين ومواليهم إلى الجبال المجاورة للموصل، ومن هذه الجبال جبلاً « مقلوب، ولالِش » أو « الهكارية » وأثروا على الأكراد الساكنين في هذه الأماكن وجعلوهم يميلون إلى بني أمية. ومما زاد في تأييد هذه الطائفة أن الموصل والجزيرة كانتا من مراكز الخوارج « الحرورية » وهم يحاربون كل حاكم، واستمرت حركتهم إلى القرن الثالث الهجري. وكانوا كلما ضاقت عليهم الأرض لجأوا إلى الجبال المجاورة. ولا شك أنهم كانوا يلاقون ارتياحاً من الحزب

(١) النصوص التي تنقلها من كتابيهم المقدسين « مصحف رش » و « الجلوة » نتركها على علاتها

الأموى الساكن فى هذه الجبال ، ونشروا مذهب الخوارج بين الأكراد ، كما أنه تأسست (الدولة الحمدانية) فى القرن الثالث الهجرى فى الموصل . وكان أمراؤها يميلون إلى آل البيت وحاولوا نشر المذهب الشيعى فى الموصل فلقى قبولاً عند البعض وإعراضاً من الآخرين . وحدثت ثورات فى الموصل بسبب ذلك كانت بلا شك من تأثير الحزب الأموى . ثم جاءت بعدها الدولة العقيلية ، وكان أمراؤها متعصبين للمذهب الشيعى ، ولاقت مقاومة كذلك فى الموصل . كل هذه الأمور كانت تجعل العداوة مستمرة بين الحزبين العلوى والأموى ، واستمرت هذه العداوة فى تزايد حتى القرن السادس الهجرى ومجىء الشيخ عدى إليهم . فتحولت دعوتهم إلى طريقة صوفية عدوية

الدور الثانى

الشيخ عدى وتحول الحركة إلى طريقة « عدوية »

الشيخ عدى بن مسافر الأموى : يرجع نسبه إلى مروان ابن الحكم . ولد فى بيت فار من أعمال بعلبك ، وهاجر إلى الموصل وسكنها . ثم انتقل إلى جبال الهكارية ولزم طريق المجاهدة والخلوة والانقطاع عن الناس ، وكان ينتقل فى البرارى والقفار ويقتات من النبات

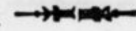
ثم بنى زاويته المشهورة فى جبل « لالش » وعكف عليه أهل تلك الديار لعلمه وصلاحه وانقطاعه إلى الله عز وجل . ولا شك أن صلة النسب بينه وبينهم كانت من أقوى الأسباب التى جعلتهم يرتاحون له . ولكن هذا الشيخ لم يكن من الذين تغرهم الدنيا ، بل نراه سلك بأتباعه طريق الرشد والصلاح وخفف من غلوائهم وعداوتهم لآل البيت . أما زهده فقد قال عنه الشيخ عبد القادر الكيلانى : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدى بن مسافر » ولمدى عدة رسائل فى العقائد والتوحيد وهى مؤيدة بالكتاب والسنة ، منها رسالة خطية فى مكتبة « مدرسة الحجيات » فى الموصل ، وهى من خيرة الرسائل التى ألفت فى هذا الباب ، سلك بها سبيل السلف الصالح ، ونراه يندد بالفرق الإسلامية المغالية كالقدرية والمجسمة ويرد عليهم فيقول فيها : « ونؤمن بما ورد فى الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها ، فإن كل ما تمثل فى الوهم فهو مقدره قطعاً وخالقه . وهذا الذى اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر فى الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا حمل على ظاهر الخ . ويقول فى القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شىء قال تعالى : « واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . وقوله تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك منهم من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين » ، لأنهم فتكوا فى الكفر فجعلوا إرادة إبليس لعنه الله وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى . أراد الملعون إبليس المعصية فوجدت ، وأراد الله ألا تكون فكانت ، فجعلوا إبليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقائل بهذه المقالة تكذيبه بقوله تعالى : إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله .الخ ...

أما اعتقاده بالصحابة الكرام فهو يرى أن الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم فى الخلافة ، ويرد على من يقدم الإمام علياً على الثلاثة السابقين . ويقول عن معاوية : (إن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه خال المؤمنين ، رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحى الله تعالى ، أمين الله على وحيه ، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنه راض)

(للكلام صلة) سعيد الديوه جى

فى «مجموع رسائل الجاحظ»

للأستاذ محمد طه الحاجرى



تفضل الأستاذ الجليل «ناقد» فاستجاب للروح العلمية البريئة ، ولما وجهناه إلى جمهرة الناقدين من دعوة خالصة ، فكتب عن «مجموع رسائل الجاحظ» فصلاً من فصوله الناقدة فى الرسالة ، عرض فيه لحروف تعرضت - فيما يرى - للتصحيف أو التطبيع أو خطأ الرسم ، متهدياً فى ذلك بذوقه الأدبى ومحصوله اللغوى . وما زلنا نرجو منذ ظهر هذا المجموع أن يتاح له حظ النقد البصير ؛ فليس أحق من الجاحظ - كاتب العربية الأول - أن تتضافر القوى وتتعاون الجهود على جلاء آثاره وإبرازها فى صورة أمينة دقيقة جديرة به ، بعد أن تعرضت آثاره مدى الأجيال الطويلة للكثير الوافر من عوامل التحريف والتشويه والمسخ . ومن ذلك كان لعناية الأستاذ العلامة الناقد بالمشاركة فى جلاء هذه الطائفة من آثاره أجمل الأثر فى نفوسنا . وقد تجلت هذه العناية فى هذا الفصل ، وقد وفق خير التوفيق فى بعض ما عرض له ، وأما بعضه الآخر فإنا نرى فيه غير ما يرى

وإذا كنا نرى غير ما يرى فى أكثر ما عرض له ، فرد كثير من ذلك - فيما يظهر - إلى الخلاف بيننا وبينه فى الأصل الأول فى النشر . فالأصل عندنا فى نشر أثر من الآثار العقلية هو إبراز صورة أمينة من ذلك الأثر ، بريئة مما تركته عليها الأجيال المختلفة ، والأيدى الجانية ، من تشويه أو تحريف أو تزوير . وسواء بعد هذا أن تجىء هذه الصورة كما نشتهى وكما نرجوها مثلنا ، أو أن تكون منحرفة عن هذه المثل . ذلك هو الأصل فى النشر ، ومن هذا كان الناشر مقيداً فى عمله بقيود مختلفة ، ومحكوماً باعتبارات كثيرة ، تمسك يده أن تنطلق ، وتكف نفسه أن تتدخل ، ولا تدع لمزاجه الخاص أو محصوله العلمى سبيلاً إلى أن يفرض نفسه ، أو يطبع كلام المؤلف بطابعه ، أو يترك عليه أثراً منه . فأما الأستاذ العلامة «ناقد» فيظهر من اتجاهه فيما كتب عن المجموع أنه يميل قليلاً إلى تحكيم المثل فى تحرير عبارة المؤلف

فمن ذلك تخطئته إيراد المثل : «كل مجر فى الخلاء يسبق» (ص ١٠٢ س ١٩) ، لأن المثل المشهور ، أو الصورة المشهورة له : «كل مجر فى الخلاء يسر» ، وهو نفسه يقرر أن للمثل صورتين أخريين : «كل مجر بخلاء يسبق ، وكل مجر بخلاء مجيد» فكأنما عز عليه أن يسوق الجاحظ المثل فى غير صورته المشهورة ، وهذا ولا ريب نوع من تحكيم المثل الذى ذكرنا . وقد كان من الممكن أن نعتبر هذه الصورة المشهورة للمثل ، لا لأنها الصورة المشهورة ، ولكن لأن الجاحظ قد آثرها فى أكثر من موضع فى كتبه ، كما نرى مثلاً فى الحيوان (١ : ٨٨ ، ٤ : ٢٠٧) وفى البيان والتبيين (١ : ٤٩) الخ ، وهذه إحدى الطرق المقبولة فى تفضيل قراءة على أخرى ، ومع هذا آثرنا ما تعرضه علينا مخطوطتنا الوحيدة فى هذا الموضع ، إذ ليس ما يدعو إلى فرض تحريفه ، ولأن الجملة التى زاوج الجاحظ بها هذا المثل تضعف احتمال الصورة المشهورة له ، فهو يقول : «كل مجر فى الخلاء يسبق ، وكل مناظر متفرد بالنظر مسرور»

وكذلك أخذ الأستاذ الناقد علينا أننا ضبطنا هذا المثل : «لن تعدم الحسناء ذاماً» (ص ١٠٤ س ٨) بحيث تصبح كلمة الذام اسم فاعل من الذم لا اسماً بمعنى العيب ، إذ كان المثل : «لا تعدم الحسناء ذاماً» ، ثم ذهب الأستاذ يفسر كلمة الذام كأن المثل أغرب علينا ، فقاربنا وتصرفنا على ما فهمنا . والمثل بعد مشهور بتخفيف الميم ؛ ولكنا رجحنا أن الجاحظ تصرف فى إيراد المثل على الصورة التى أوردناها ، ليستقيم مع سياق المعنى الذى يريد تقريره عن الحسد ، ودل عليه بكثير من الآثار والأمثال التى لا يستقيم معها ذلك المثل فى صورته المأثورة ، إلا أن يكون الجاحظ ممن يلقى الكلام على عواهنه ، ولا يعبأ أن يستشهد بما لا موضع له ، ولا يتساوق مع غرضه ، ويخالف بين أطراف الكلام مثل هذه المخالفة ! ولكن الأمر الذى

لا يعبأ به الجاحظ حقيقة هو أن يتصرف فى المثل حتى يطوع له، على ذلك النحو الذى لا بأس به

ومن هذا الباب أيضاً تخطئته لنا أن نثبت هذه العبارة: «واستذرأت فى ظلك» مهموزة، لأنه يقال - كما يحكى الأستاذ الناقد - استذرى بفلان أى التجأ إليه، وفلان فى ذرى فلان أى فى ظله. وحسب الأستاذ هذا، لا لتكون الكلمة خطأ، بل ليكون إثباتها منسوبة إلى الجاحظ خطأ. وليست المسألة بهذا اليسر، فيما نرى؛ وإنما الوضع الحقيقى للمسألة هو: هل يمكن القطع بأن هذا الخطأ هو خطأ الناسخ لا خطأ الكاتب، وهل مثل هذا الخطأ مما لا سبيل له إلى قلم الجاحظ، إن كان لا بد من تسميته خطأ؟

أما إنه لو صح لنا هذا لما كان لنا أن نستبقيه، ولوجب علينا أن نستبدل به؛ ولكن الأمر هنا ليس كذلك. وما أكثر ما تتعاقب الياء والهمزة فى اللغة العربية، لا فى باب الإبدال وحده، بل فيما وراء ذلك، فيما لا يندرج تحت تلك القواعد التى عنى بتنسيقها وبسطها علماء التصريف. وقد عقد أبو على القالى فصلاً فى أماليه فى «ما يقال بالياء والهمزة» إلى كثير غير ذلك من الكلمات التى لا تقع فى باب الإبدال الرسمى

ولقد جاء فى بعض الآثار الأدبية ما يدلنا على أن الفرق بين ما أصله الهمزة وما أصله الياء لم يكن من الفروق التى تحسها السليقة اللغوية إحساساً قوياً. من ذلك ما جاء فى شعر الأعشى على رواية يعقوب بن السكيت:

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنها
وخوأها راب كهامة جنبل

ويعلق أبو عبيد البكرى، فى لآليه، على هذا البيت بقوله: «وخوأها مما همز ولا أصل له فى الهمز» ثم يذكر أن الرواية الأصح، لهذا السبب، هى رواية من قال: «وخوّى بها». وهذا، فى أكبر الظن، نوع من تحكيم المثل فى الرواية، كالذى ذكرناه من تحكيم المثل فى النثر

ومثل هذا ما أخذوه على شاعر إسلامى، هو المسعودى، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فى قوله:

شققت القلب ثم ذرأت فيه هواك فليم فالتام الفطور

فقد قالوا إنه أخطأ حين قال «ذرأت»، وكان القياس أن يقول «ذريت» بالياء

وهكذا نرى أن وضع الهمزة موضع الياء ليس من الأخطاء المغلظة التى يجلّ الجاحظ عنها، أو نأنف له أن يقع فيها، فنزعم ما وقع من ذلك خطأ ناسخ يجب استصلاحه. وما دمنا لا نملك الدليل على أن وضع الهمزة موضع الياء من صنع الناسخ؛ وما دمنا لا نبعد أن يكون هذا من عبارة الجاحظ، فإن مايقترحه الأستاذ الناقد من وضع «استذريت» موضع «استذرأت» يعتبر نوعاً من تحكيم المثل فى النثر

فهذا نوع من المآخذ التى أخذها علينا العلامة الناقد. وهناك نوع آخر يرجع إلى العجلة، أو إلى إخطاء الدقة له، كقوله فيما علق به على قول الجاحظ (ص ١١٠ س ١٧): «لا سيما إن كان مع استبطان الحسد الخ» إذ يقول: «قلت جاءت ولا سيما فى هذا الموضع وفى غيره مجردة من ذينك الحرفين، وأستبعد كثيراً هذا التجريد فى كلام المحدثين الأولين، وإن أجاز ذلك نحاة من المولدين المتأخرين. وقد وردت اللفظة ومعها صاحباها فى ص ٢٤، ٦٨» فلم تجئ «لا سيما» فى عبارة الجاحظ مجردة عن لا والواو، بل عن الواو فقط، على الصورة التى أوردناها فى هذه الفقرة

ومثل هذا ما جاء فى التعليق على هذه العبارة (٧١: ١٦-١٧): «وسواء - جعلت فداك - ظلمت بالبطش والغشم، أو ظلمت بالدحس والدس» واقتراحنا وضع الدعس موضع الدس، إذ كان ذلك أشبه، فتوهم أننا إنما نضعها موضع الدحس، ثم اقترح بدلاً من ذلك كلمة «الرس». وهذا نقد قائم على التوهم المحض. وما كان لنا أن نقترح كلمة موضع كلمة نظيرة لها فى المعنى، وليس ما يمنع منها

وهناك نمط ثالث من المآخذ يرجع إلى الخلاف على الرسم، وما نحب أن يطول الجدل حول هذا، إذ كانت قواعد الرسم

لم تتقرر بعد على أصل ثابت . وقد أخذ علينا الأستاذ الناقد أننا رسمنا التواطؤ مرة بالواو وأخرى بالياء ، ولعله حسب ذلك اضطراباً وتهافتاً ، مع أن كلا منهما يخضع لقاعدة من قواعد الهمزة المتطرفة ، على ما تنص عليه بعض المذاهب من أن الهمزة المتطرفة المكسورة ترسم ياء مطلقاً ، والمضمومة ترسم واوا إذا كان ما قبلها مضموماً . وكذلك جاءت كلمة « التواطؤ » مرفوعة في (ص ٢٤ س ١٦) : « لا يمكن في مثله التواطؤ » ومجرورة في (ص ٤٠ س ١٩) : « وقام نجيء الأخبار من غير تواطيء ولا تشاعر مقام العيان » ، فالحالتان كما نرى مختلفتان

ومن هـذا الباب أيضاً تخطئته رسم كلمة « غِنا » بالألف فهي - فيما يقول - مقصورة ترسم بالياء ، وممدودة ترسم بالألف والهمزة ، وهي هنا مقصورة بدليل كسر أولها ، فيجب أن ترسم بالياء ، ولـكن لهذه الـكلمة في عبارة الجاحظ اعتباراً آخر ، فهي ليست مقصورة فقط ، ولـكنها مقصورة منونة ، أثبت التنوين في آخرها كما أثبت الـكسر في أولها ، وهذا هو موضعها (ص ١٨ س ٩) : « والإفراط في جر المنفعة غِناً لمن أفرطت في نفعه عنك » وقياس أبي عثمان المازني أن مثل هذا يرسم بالألف . فإذا علمنا أن من علماء الرسم من يرى أن يكتب الباب كله بالألف على الأصل كان في هـذا ما يعضد رأى المازني في المنون

وإذا كان الخلاف في مثل هـذا يستحق التأمل والوقوف عنده ، فالخلاف في كلمة « السوء » في قوله الجاحظ (ص ٣٠ س ٤) : « فتحرز من دخلاء السوء ومجالسة أهل الريب » أهي بالضم أم بالفتح خلاف لا جدى له ، فرد الـكلمتين في المعنى واللفظ واحد ، وإحداهما اسم والأخرى مصدر ، وما يذكر بينهما من فروق ليس هنالك . وقد قرىء بهما في كثير من آيات القرآن الـكريم ، كآية التوبة : « عليهم دائرة السوء » وآية الفرقان : ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء » ، وآية الفتح : (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) إلى غير ذلك من الآيات

وبعد ، فإن شكرنا للأستاذ الناقد لا ينقضي لهذا التوجه الـكريم إلى (مجموع رسائل الجاحظ) ولما جاء في مقاله من نقد عبقري بصير ، كما في كلمة (المذاييع البذر) (٤٥ : ١) ، ولما نبه عليه من أخطاء مطبعية ، ككلمة (مَصارع) (٦٣ : ٧) وكلمة « السرف » (٦٤ : ١) ، وكلمة (يذب) (١٠٣ : ٧) وإنا لنأسف أشد الأسف لوقوع مثل هذه الأخطاء على شدة حرصنا أن يخلو هذا المجموع منها

ولـكن أشد هذه الأخطاء التي نأسف لهـا أسفاً يعتلج في القلب ورود هذه الـكلمة (نسيسا) (١١٧ : ١٤) على هذه الصورة الممسوخة ، في أبيات مشهورة . رويت في أمهات كتب الأدب العربي لحماسة أبي تمام وذيل الأمالي لأبي علي والأغاني . وقد ظن الأستاذ الناقد أنها مصحفة عن « نفيسا » ، وهذا ولا ريب تصحيح طيب ، ولـكنه مرتجل . وصواب الـكلمة عندنا (قشيبا) ، كما جاءت في رواية أبي علي القالي :

وإذا اكتسى ثوباً قشيباً لم أقل ... يا ليت أن على فضل ردائه

وبعد ، فهذه كلمات نرجو أن نكون قد أنصفنا بها أنفسنا وأنصفنا بها الحقيقة ، وأنصفنا فيها أستاذنا الناقد الجليل ، والسلام عليه ورحمته وبركاته .

محمد طه الحاجري

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٢٨ — فهذا تمام الكتخدانية

فى (تاريخ الطبرى) : قام الدهقان (فى المهرجان فى بلخ سنة ١٢٠) خطيباً فقال : أصلح الله الأمير (يخاطب عامل خراسان أسد بن عبد الله القسرى) : إنا معشر العجم أكلنا الدنيا أربع مئة سنة ، أكلناها بالحلم والعقل والوقار ، ليس فينا كتاب ناطق ، ولا نبى مرسل . وكانت الرجال عندنا ثلاثة : ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يديه ، والذى يليه رجل تمت مروءته فى بيته ، ورجل رحب صدره ، وبسط يده فَرُجى . وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة فيك أيها الأمير ، وما نعلم أحداً هو أتم كتخدانية منك . إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك . فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ، ولا كبير ، ولا غنى ولا فقير ، فهذا تمام الكتخدانية(١) ثم بنيت الإيوانات فى المفاوز فيجىء الجائى من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا : سبحان الله ! ما أحسن ما بنى ! ومن يمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو فى مئة ألف فهزمته وفللته . وأما رحب صدرك وبسط يدك ، فإنا ما ندرى أى المالين أقر لعينك : أمال قدم عليك ، أم مال خرج من عندك ؟ بل أنت بما خرج أقر عيناً . فضحك أسد وقال : أنت خير دهاقين خراسان ، وناوله تفاحة كانت فى يده

٥٢٩ — سبب ذلك التباين تفاضل القرائح

فى (الوساطة) للجرجانى : قدم مكة أيام مُقامى بها شيخ بدوى من بنى عامر بن ربيعة يدعى مُطَرِّف بن سفيان فأنشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسنى ، وجدتها متنافرة الأبيات بين عين نادر ، ومتوسط متقارب ، وضعيف ساقط ، فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها وظهور تفاوتها . وامتحنت الشيخ فوجدت شعره إلى الضعف ما هو . فبينما نحن كذلك إذ أتانا بعض أصحابنا فسألناه عن العامرى فأنبته معرفة ، وذكر أنه حضر الحى وقت تأهبه للوفادة فرآه فى نادى القوم وقد جمع فتيان الحِلّة(١) فقال : إن شيخكم يريد امتداح هذا الشريف بمكة فزوّدوه ، فزوده كل منهم البيتين والثلاثة ، ثم نظمها قصيدة ، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح واختلاف الأفكار والهواجس

٥٣٠ — العامة

قال ابن الجوزى : مر بعضهم بقوم على رجل يضربونه ، فقال لرجل يجيد ضربه : ما حال هذا ؟

فقال : والله ما أدرى ما حاله ، ولكنى رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله وطلباً للثواب(٢) ...

٥٣١ — بيت بثلاث قصائد مختارة

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام قصيدة على ابن جبلة البائية فلما بلغت إلى قوله :

وردّ البيض والبيض إلى الأغماد والحجب

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه ثم قال : أحسن والله ! لوددت أن لى هذا البيت بثلاث قصائد من شعرى يتخيرها وينتحلها مكانه

٥٣٢ — علم والمغنية

فى (الأغانى) : قال ابن المعتز : حدثنى محمد بن موسى قال : اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب(٣) معه على مصلاه . فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغنى ابتداء :

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهم(٤)

تريد بغنائها جواب محمد بأن تقول له : (طعنة) فقال لها المأمون : أمسكى ، ثم أقبل على الندماء فقال : من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدقنى لأضربن عنقه . فقام محمد فقال : (أنا يا أمير المؤمنين) أومأت إليها ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأت صوتاً وهى لا تغنى ابتداء إلا لمعنى ، فعلمت أنها لم تبتدىء بهذا الصوت إلا لشىء أومىء به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة ، فعلمت أنها أجابت بطعنة

---

(١) تمام الكتخدانية : تمام السؤدد . والكتخدانية فارسية . وقد راجعت فى ترجمتها فى هذا المقام العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام ، نوافق على السؤدد

(١) الحلة : القوم النزول ، مئة بيت ج حلال (اللسان)

(٢) قال الصاحب : رأيت يوما جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون : يجب أن يقتل ، فسألتهم ما فعل ؟ فقال كل : لا أدرى

(٣) كانت عريب مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخط والمذهب فى الكلام ، ونهاية فى الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر والأدب (الأغانى)

(٤) يعني بالرامى كليب



بعض رواد الأقصوصة المصرية

١ — أقاصيص من القهوة ٢ — شعاب قلب

للأستاذ دريني خشبة

سعدت هذا الشهر بهديتين من أمتع الهدايا التي أوحت إلى موضوع هذا المقال، وهما مجموعتان من الأقاصيص، أولاها مصرية، والأخرى مصرية سورية، وصاحب المجموعة الأولى وأقاصيص من القهوة، هو شاب من خيرة شباننا العصاميين، ليس أستاذاً في جامعة، ولا مدرساً في مدرسة، ولا محرراً في صحيفة ... إنه شاب ممن آثروا الأعمال الحرة فنجحوا فيها لأنهم لم يستحيوا منها ... إنه صاحب قهوة في مدينة دمنهور. إنه صديقي الأستاذ عبد المعطى المسيري الذي قدمه للقراء في الأمة العربية قاطبة الدكتور طه حسين، منذ عشر سنوات أو نحوها، بمناسبة كتيّبه القصصي الجميل « الظامئون »، الذي أهداه إليّ في ذلك الحين، فكأن القطرة الأولى في كأس إخائنا المتين. والأستاذ المسيري قاص هادئ، يجري على فطرته، غير متأثر بأحد من كتاب القصة أو الأقصوصة في مصر أو في غيرها، وإن خُيل إليه هو أنه صدى لهؤلاء القصاصين، وهذه إحدى النواحي الضعيفة فيه

كذلك من نواحي الضعف الشديد في الأستاذ المسيري أنه يبالغ في الاستخفاف بمنزلته في عالم القصص. فهو يتمنى أن تنشر له إحدى المجلات الممتازة شيئاً من هذه الأقاصيص التي ينشئها، ثم يطويها حتى يأذن الله فينشرها في إحدى مجموعاته. ولست أدري إن لم تنشر مجلاتنا هذا النوع الرفيع من القصص، فماذا عساها أن تنشر؟ أخشى أن يكون الأستاذ المسيري قد ترجم لنا عن مكنونات نفسه في تلك القصة الجميلة الثالثة التي أرسلها إلينا والتي طلبت فيها البطلة إلى البطل أن يكون أديباً ذائع الصيت ملحوظ المكانة في عالم الأدب، لأنها تمنى نفسها بأن تراه كذلك. وأخشى أن تكون القصة « عمتي » التي قلد فيها الأستاذ المازني هي تاريخ قصير لحياة المسيري نفسه. فالطفل الذي توفيت أمه ووكاه أبوه إلى عمة الطفل لتنشئه على هذا التخويف المستمر بالعفاريت و (البعابع) لا بد أن ينشأ على استعظام كل شيء واسترهابه، وإن خيل إلى الأستاذ المسيري أن الوالد اللبق استطاع أن ينقذ ولده من عقابيل ما صنعته العمة المحترمة ...

إن هذه الأخطاء اللغوية التي يعترف الأستاذ بورودها في مجموعته وذلك في المقدمة لا تنقص من قيمة أدبه وفنه مطلقاً، وإن كنت أبغض أشد البغض أن يتهاون أحد من الكتاب أو أن يغض من أمر اللغة. وبالرغم من ذلك، فأقاصيص من القهوة، هي من أمتع ما قرأت من مجموعات القصص المصري الحديث، وهي شيء يبشر بمستقبل باهر ونضج قريب للأقصوصة المصرية التي هي ظاهرة من أقوى ظاهرات الأدب وأحبها إلى القلوب؛ فأقصوصة (حلة العيد) و (الحاج بكار) ثم قصة « الحياة في القهوة » لا تقل عن أبدع ما أنشأه تشيكوف وأندرييف وجوركي من القصص القصيرة. وليس هذا كلاماً نلقيه على عواهنه، فلمن شاء أن يقرأها وأن يرى بعد ذلك رأيه فيما نقول ... وسأذكر دائماً أن ميزة الأستاذ المسيري هي قدرته على تحديد هدف القصة، وخلق موضوعها خلقاً كاملاً طريفاً

* * *

أما المجموعة الثانية « شعاب قلب » فهي للأستاذ الصديق حبيب زحلاوي المعروف بسعة اطلاعه على طرف الأدب الغربي وقدرته على تمييز جيده من رديئه. والأستاذ زحلاوي من أدبائنا العصاميين أيضاً، فهو - كالأستاذ المسيري ليس أستاذاً في في جامعة، ولا مدرساً، ولا محرراً صحفياً ... لكنه من الشباب الذين آثروا الأعمال الحرة، وهم مع ذلك من رجال الأدب، فإلمامهم بالحياة - مصدر الأدب الأول، ومعين المعرفة الذي لا ينضب، ونبع التجارب الذي لا يغيض، هو إلمام الأديب الفيلسوف الناقد الذي يستطيع أن يرد كل شيء إلى أسبابه، وأن ينفذ إلى علل الأشياء فيجلوها ويبسطها تبسيطاً عجيباً ... وشعاب قلب كما قدمنا مجموعة من الأقاصيص التي تشبه

المرآة السحرية، تنظر فيها الحسناء السورية، فترى فى المرآة حسناء مصرية ... وقد يحدث العكس . وإذا صح أن نشكر رذيلة من رذائل الماضي، فنحن نشكر للعسف العثمانى فى أسود عصوره الخالية مطاردته للأدباء اللبنانيين والسوريين لتنال مصر نصيبها الأوفى منهم، فقد ولى معظمهم وجوههم شطر مصر، فأووا منها إلى ركن أمين ... ولله حبيب إذ يقول:

« طوتنى مصر كما طوت الآلاف من الناس الذين وفدوا مثلى عليها، فأقلتنى بإقليمها، ونفخت فى روحها، وألهمتنى وحى بيئتها، فصيرتنى كأحد أبنائها، أقوم بالواجب المفروض بمثل ما يقوم به كل مصرى مخلص حر. ولما كنت أعود بذاكرتى صوب الشآم، مسقط رأسى ومهد حداثتى، كنت أحس بالحرمان يمزقنى ويكبت روحى، وأشعر بالواقع يسترضينى ويتودد إلىّ ... حقاً لقد علمتنى مصر أن أرى فيها وطنى وأهلى، ولقد تعلمت منها كيف أبادلها جميلاً بجميل ووفاء بوفاء. لقد علمتنى كيف أحبها وكيف أحافظ على حبي مسقط رأسى ومهد ذكرياتى، وكنت أصيخ بسمعى داعياً إلى أنات قومى وأوجاعهم وأسعى جهدى إلى مزجها بأنات إخوانى المصريين الموجعين! . »

هذه آيات الوفاء ينبض بها قلب مخلص وفى ... ونحن والله نرد التحية بأحسن منها، ونشكر المقادير التى وحدت آلامنا وأمانينا حتى أثمرت هذا الثمر الجنى ...

ثم ما أجمل بعد هذا شعاب قلب! إنها أرواح صداحة تملأ الكون شعراً وجمالاً وموسيقاً، وإن غسلته بالدموع أحياناً ... إنها صور وافرة تزدحم بها السطور ازدحاماً عجيباً، فهذه الفكرة تدفع فى ظهر تلك، وتلك تأخذ بتلابيب التى بعدها ... فهلا انتظمت جميعاً فى قصيدة رائعة واحدة؟! إنها شعاب قلب حقاً ... بل هى قطع من قلب معذب، ونفس حائرة، تجيد الغناء والبكاء والضحك، كما تجيد النفاذ إلى قلوب المحبين ونفوس الموجعين ومُهج الحزانى ...

ولكن ... وآه من لكن الملعونة هذه!

ما هذا اللغو يا صديقى الذى لغا به صاحبك فى أقصوصة الآباء البيض! ومن زعم له أن لا فائدة من علوم الكهنوت للذين يتهيأون لأن يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كوات الدين، وأن علوم الدين على وجاهتها وقداستها تغل العقول وتضيق الأذهان وتبلد طبيعة الرجولة فى الإنسان؟...

وما هذه الأحلام المزعجة عن خيانات الأزواج والزوجات؟ وفيم كل ذلك العنف وكل تلك الألوان الصارخة ... حيث كانت الألوان الرمادية، والألوان الصافية - الألترامارين! - ألطف وأحرى وأنسب؟ أما النادى الشرقى، فقضيته فى مجموعتك البديعة لا تقام إلا فيه، لأن فيه قضاتك. وأما اللغة وأغلاطها الكثيرة التى نبهك إليها الأستاذ العقاد فى المقدمة فهى سوءة لا تغتفر لك

دريني خشبة

أبطال الإسلام: لمحمود نصير بك

فى هذا الكتاب أربع وعشرون ترجمة لأربعة وعشرين بطلاً من أبطال الإسلام اختارهم المؤلف الفاضل ليعرضهم عرضاً تاريخياً؛ ليكون للأمة الإسلامية فى كل بقعة من الأرض من سيرهم وروائع بطولتهم مثل تدفع الأبناء إلى التأسى بالآباء؛ وتحفزهم إلى العمل على استكمال عدتهم، لتتم لهم كرامة هذه الأمة العربية التى خرجت من ثنيات الوديان وكثبان الرمال ومضارب الصحراء، إلى الممالك العريقة ففتحتها ونشرت عليها راية الإسلام، وبثت فيها تعاليم القرآن.

وهذا القصد الكريم هو الذى دعا محمود بك نصير فى سنة ١٩٢٤ إلى نشر تلك التراجم تباعاً فى جريدة اللواء المصرى؛ وهو الذى دعاه فى سنة ١٩٤٤ إلى جمع تلك التراجم فى كتاب واحد، حتى يكون الرجوع إليها سهلاً؛ والاستئناس بها ميسوراً

لقد عبت فى كلمة سابقة من « الرسالة » وفى هذا الموضع بعينه على من يجدون فى رجال الغرب وفى معارك الغرب مجالاً لأقلامهم وميداناً لكتاباتهم؛ فعندنا فى تاريخ الإسلام والعرب من تفخر بهم البطولة، وتعتز بهم الرجولة، وتُزهى بهم المواقف، وتتباهى بهم المعارك. وفى (القادسية) (واليرموك) (وذات الصوارى) وفى (عمر) (وسعد بن أبى وقاص) (وخالد بن الوليد) (والنعمان بن مقرن) شواهد من الخبر

ولقد أنصف صديقنا محمود بك نصير حين أنصت لدواعى دينه، ودوافع إيمانه، فأرضى ربه وقومه وإسلامه بهذا الكتاب الكريم.

محمد عبد الغنى حسن



٢ الشعر الجديد

لم يذهب عنى ، إذ كتبت مقالى السابق (١) ، أن التجدد من سنن الكون النافذة ، وأنه من طبائعه الدائبة ، وأنه سار فى كل شىء ، حتى المعانى التى فى النفوس ، والفكر التى فى العقول ، بل هو قوام الحياة وسر البقاء

لقد رأينا الشعر العربى يتجدد منذ القدم ويتطور ، ويتغير ويتحول ، ويساير مختلف البيئات ، ويتابع متعاقب العصور

فهل عبر الأعراب الأولون عن أغراضهم وميولهم كما كان يعبر سلائلهم من بعدهم ؟ وهل تصرف شعراؤهم الأقدمون فى فنون القول كما كان يتصرف محدثوهم ؟

ألا ترى إلى الشعر قبيل الإسلام كيف صفت ديباجته ، ونَدَر فيه الحوشىّ من اللفظ ، والمتعقد من التركيب ، والنافر من المعنى ؟

إن العرب إذ ذاك كانوا قد خالطوا مَن جاورهم من الأمم المتمدينة ، بالتجارة والرحلة ؛ فاستعاروا منهم كثيراً من الألفاظ والمعانى ، فتطعم (٢) لسانهم شيئاً جديداً ، وتذوق فنوناً طريفة ، امتزجت كلها ، فخرجت ألواناً عذبة ، وطعوماً سائغة

ثم كان الإسلام ، فقلب أوضاع الحياة العربية ، وكانت متهيئة لهذا الانقلاب ، كما هو شأن الحوادث الجسام فى التاريخ لا تولد فجاءة ؛ وإنما تعمل أسبابها فى الخفاء ، فتمهد للفوْرة .

وكان القرآن الكريم ، فاجتمع هذان العاملان على أن يُجدّدا تجديداً لم يعهد من قبل ـ فى لغة الحديث وفى الخطابة وفى الشعر

وكلنا يعرف ماذا كانت أغراض الشعر الجاهلى ؛ وكلنا يعرف أيضاً كيف عاد كثير منه فى صدر الإسلام أسلحة سياسية ذات مَضاء

وكذلك كانت حال الشعر — أو أبرز أحواله — فى الدولة الأموية أو فى معظمها

ثم تعاقبت العصور بعد ذلك وتتابعت الأحداث فى البلاد الخاضعة للاسلام . وكان الشعر فى خلال تلك الحقب يزدهر تارة ويذبل تارة . وربما أشرق فى ناحية وخبا فى أخرى فى وقت معاً ، متأثراً فى ذلك رقىّ البيئة أو انحطاطها ، وقيام العدل أو فُشُوّ الظلم ، واضمحلال الدولة أو عنفوانها

من هذه المثل الوجيزة ـ التى ما ادعينا أن نُدلى فيها بعلم أو رأى جديد ـ نرى أن الشعر من حيث أنه كائن خاضع لمؤثرات شتى ، فى تجدّد مستمر وتقلّب وتحوّل . فلكل بيئة لونها ونتاجها لا شك فى ذلك . والبيئة ـ كما يقول علماء التربية ـ تشمل كل مؤثر أيا كانت طبيعته

فهكذا يجب أن يفهم — فى لغة الأدب — معنى التجدد ، لا كما يوهمنا هؤلاء الأدعياء الذين أشرت إليهم فى مقالى السابقة ، أولئك الذين سنحاول فيما يلى من حديثنا تصوير مذهبهم فى القول ، وإن كنا قد أخذنا على أنفسنا ألا يتخلل كلامنا ما ينم على أشخاصهم بلفظ أو إشارة ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

لقد تكون هذه المحاولة شاقة جداً ، لالتواء طرقهم ، واعتياص أساليبهم ، وتسترهم فى تجديدهم وراء القعقعة والزخرف والترقيش

ولكنا سنحاول إن شاء الله . (ا . ع)

من الفلك القديم

ساق إلىّ الأستاذ إبراهيم السعيد عجلان فى الرسالة عدد ٥٥٤ بعض أسئلة تتعلق باصطلاحات فلكية وردت فى مقدمة ابن خلدون واستعملها العرب القدماء فى مؤلفاتهم

وقبل الإجابة ألفت النظر إلى أن ابن خلدون لم يكن عالماً فلكياً ولا من الذين اشتغلوا بالرصد . وما جاء فى مقدمته من معلومات وآراء فى الفلك قد اقتبسه من فلكيي زمانه أو من الذين سبقوه من عرب ويونان ، ولم يكن من وضعه أو نتيجة لدرسه وبحثه .

وحين نعرض للآراء التى سأل عنها الأستاذ إبراهيم إنما نعرض للآراء التى كانت معروفة شائعة عند فلاسفة اليونان والعرب ومفكريهم فى القرون المتوسطة وما قبلها

كان القدماء يعتقدون أن الأرض كرة قائمة فى الفضاء

(١) عدد ٥٥٦ من الرسالة (٢) ذاق

على لا شيء ، وإنها مركز الكون تحيط بها الشمس والقمر والكواكب والنجوم دائرة دورة كاملة كل يوم من الشرق إلى الغرب جائمة من فوقها نهاراً ومن تحتها ليلاً

ولكل من الشمس والقمر والكواكب والنجوم فلك حول الأرض أي طريق دائري يسير عليه . وهذه كلها تدور حول (الأرض) في أفلاك ؛ فالقمر — وهو أقرب الأجرام إلى الأرض — يدور حول الأرض في فلك هو أقرب الأفلاك . وفوق فلك القمر فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل، ثم فلك النجوم (١)

هذا ما كان يقول به بطليموس وغيره من علماء اليونان . وقد أخذ كثيرون من علماء العرب ومن قبلهم الرومان بهذا الرأى واعتمدوا عليه . ومن هنا يتبين أن المقصود من الفلك الأعلى هو فلك النجوم الثوابت وهو يسير من الشرق إلى الغرب وتتبعه في ذلك سائر الأفلاك التي تحته أو التي في جوفه

ومع أن كلا من الكواكب السيارة وغير السيارة خاضع لسير آخر خاص به لا محل لتفصيله ؛ فإنها على الرغم من ذلك تتحرك حول الأرض من الشرق إلى الغرب . وهنا يتجلى السبب في استعمال [قهراً] أو [قسراً] كما وردت في بعض الكتب الفلكية القديمة

ولقد عانى العرب ومن قبلهم علماء اليونان كثيراً في تعليل بعض الحركات وفي تفسير بعض الظواهر الطبيعية على أساس ما أخذوا به واعتمدوا عليه في جعل الأرض مركز الكون . وعجبنا كما عجب غيرنا كيف أن بطليموس وأضرابه من حكماء اليونان والرومان وفلكيي العرب والإسلام وفيهم البوزجاني والبتاني والبيروني والصوفي والطوسي وغيرهم — وهم من ذوي الأدمغة الكبيرة — نقول كيف أن هؤلاء تمسكوا بهذا الرأي وكيف أن أفق تفكيرهم لم يصل إلى استجلاء حقيقته وكشف الخطأ فيه ، وأن عقولهم الجبارة لم تستطع أن تقودهم إلى معرفة حقيقة مكان الأرض من الكون

والواقع المقطوع به الآن أن الأرض جرم من الأجرام السماوية يدور حول الشمس ويخضع للنواميس والأنظمة التي تخضع لها موجودات هذا الكون ، وأنها (أي الأرض) سيار كبقية السيارات لا أكثر !

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

(١) البيروني — كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم — مخطوط

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٢٢٢)

أو الفن للفن كما يقولون ! وعلى الرغم من أن عدوى هذا الأدب قد انتشرت بين كثير من الأدباء ، فإنه لم يكتسب عندنا حق الوجود ؛ لأن كل شيء لا بدّ أن يُقْصَد من ورائه إلى غاية ، والكلام إذا لم يكن داع يدعو إليه كان لغواً وهذراً . أما أن يتخذ بعض الكتاب من عبارة (الحديث ذو شجون) ذريعة لأن يسامحوا أنفسهم في الكلام إذا عنّ، ولا يراعوا صحة دواعيه ، وإصابة معانيه ، فهذا ما نأخذه عليهم ، ولا نقبله منهم ، مهما افتنُّوا في اختلاق المعاذير له . ونصيحتنا لهؤلاء هي قول الشاعر :

إذا لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

ونظن الأديب الفاضل يعنى فيمن يعنى صاحب (النثر الفنى) ، ولولا أن صديقنا المبارك يحتكر زعامة الصناعتين ، ويعتقد أن للسانه شعبتين ولقلمه سنَّين ، لاستأنفنا له الحكم ، وتولينا عنه الدفاع !

(الكلام بقية) احمد حسن الزيات



12me Année No. 559 — Lundi - 20 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

بين التخطئة والتصويب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نبهنى فاضل من علماء الأدب والتاريخ عندنا إلى كلمة « الأموية » نسبة إلى الأم فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » وقال لى إن النسبة إلى أم « أمى » على حسب القياس ، فهل عدلت عنها لعلة ؟

وكان تنبيهه هذا تنبيه العالم الذى لا يقطع بالقول قبل أن يسمع مختلف الأقوال ، فكان منبهاً ومصححاً ومستفهماً فى انتظار البيان والجواب فى وقت واحد

والواقع أن « الأمى » نسبة إلى « الأم » هى القياس الشائع الذى لا خلاف فيه ، ولكن الأموى ليست بخطأ ولا هى بخلاف يأتى به مجرد الإغراب وفضول القول ، لأن الحاجة ماسة إلى التفرقة بين معنى الأمى الذي شاع على الألسنة والأقلام للدلالة على الجاهل بالقراءة والكتابة ، ومعنى الأمي الذى يدل على عواطف الأمومة والنسبة إلى أحد الأبوين

ولا خطأ فى ذلك من جانب اللغة والقواعد النحوية ، لأن « الأم » أصلها أمه وأمهة ، وليس هذا الأصل مأخوذاً من تقديرات النحاة والصرفيين التى لا دليل عليها من المتواتر المنقول ، ولكنه مأخوذ من اللغة المستعملة فى الخطاب والشعر

من كلام المذكورين قبيل الإسلام ، ومن ذلك قول قصى ابن كلاب بن مرة جد النبى عليه السلام :

إنى لدى الحرب رخى اللبب معتزم الصولة عالى النسب
أمهتى خندف والياس أبى

فإذا قلبت الهاء واواً كما تقلب فى سنه وسنوى وشفه وشفوى وعضه وعضوى ، فليس فى ذلك خلاف للمأثور ولا المنصوص عليه ، وفيه تيسير للتفرقة بين المعنى المقصود بالأمى والمعنى المقصود بالأموى على الاعتبار الذى قدمناه

يذكرنى مجال التخطئة والتصويب فى اللغة بقول بعض الحكماء : (إن قليلاً من البحث يؤدى إلى الإلحاد ، ولكن الكثير من البحث يرد الملحد إلى الله)

فهذا الكلام بعينه يمكن أن يقال عن التخطئة فى اللغة والأخلاق والتفكير وعن كل تخطئة تحتمل الوجوه المتعددة من الآراء ، لأن التخطئة سهلة ولكن الدلالة على مراجع الصواب هى التى تشق على الأكثرين ، وكذلك يسهل إيجاد الذنب على من شاء ولا يسهل إيجاد العذر إلا على من خبر الدنيا وسبر الأخلاق وعرف طاقة النفوس وأغوار الطبائع والأخلاق

هذه حقيقة لا يحتاج العالم إلى التذكير بها لأنه يذكرها أبداً ولا يزال شعاره بين شبهات الخطأ والصواب : « وفوق كل ذى علم عليم »

ولكن الذين يحتاجون إلى التذكير بها هم أولئك الأدعياء الذين يقحمون أنفسهم فيما ليس لهم ، ويخوضون عباب التخطئة والتصويب وليس عندهم من الزاد إلا محصول الفهارس والعناوين وجزازات اللامين والجامعين

ومن هؤلاء دعى المقتطف الذى يجترىء على التخطئة فى لغة العرب ، وهو يقرأ ما أمامه بهذه اللغة فلا يفهمه ولا يخلص منه إلى ظاهر معناه ، فضلاً عن باطنه الذى تتجه فيه الأذهان كل اتجاه

فهذا الدعى ينكر أن نقول : « آداب العرب النسائية » لأنه قرأ أن سيبويه نبه على أن النسبة إلى نساء نسوى . . . ويفوته أن سيبويه يتحدث بمذهب البصريين وحده ، كما يفوته أن يرجع إلى بنية اللفظ وإلى قواعد اللغة ، فإن حكم نساء هو حكم نسوة ونسوان بغير اختلاف ، أياً كان القول فى نساء سواء أصح أنها للكثرة أم صح أنها جمع نسوة إذا كثرن ، وكلاهما لا يغير الحكم النحوى أقل تغيير

فمن الخطأ « أولاً » أن يقال أن نساء لا تستعمل إلا للكثرة لأن القرآن الكريم يقول : « يا نساء النبى » وهن تسع ولا نزاع فى أن القرآن مرجع لغوى يؤخذ به قبل كل كتاب

وقد جاء فى شعر الربيع بن زياد :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار

فالنساء بمعنى النسوة فى الكثرة أو القلة ، تحل إحدى الكلمتين محل الأخرى وتعطى حكمها بلا اختلاف

على إننا نفرض بعد هذا أن النساء لا تقال إلا للكثرة وهو فرض بعيد ، فما دخل الكثرة فى الحكم النحوى بالغاً ما بلغ الفرق بين عدد النساء القليلات أو النساء الكثيرات

بل نحن نذهب فى الفرض وراء ذلك فنقول أن نسوة جمع امرأة من غير نوع الكلمة ، وأن نساء هى جمع نسوة ، فلماذا تمتنع النسبة إلى الجمع وهى جائزة فى مثل هذا المعنى

ألا يقال الأنصارى والأعرابى إذا أنزل الجمع منزلة القبيلة الواحدة ؟ ألا يقال النسائى إذا أنزل الجمع هنا منزلة الجنس الواحد ، ولم يكن المقصود به نسوة محدودات ؟

إنما أتى صاحبنا هنا من علم الفهارس الذى يتخطف أوائل الكلام ولا يتعداه إلى مواضع التوسع والإفاضة

وإذا كان الفهرس قد دله على تنبيه سيبويه ولم يدله على شىء آخر فالذنب على الفهرس المسكين لا عليه

كذلك قلنا فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، فرجع صاحبنا إلى الجزازات فوجد أن « الإمام اليازجى » يقول إن التراوح غير هذا ويتابعه على قوله بعض الباحثين الفضلاء

لكن المراوحة بين العملين فى جميع معجمات اللغة هى « أن يعمل الرجل هذا مرة وهذا مرة » ، أو يقول هذا مرة وهذا مرة ، والمراوحة بين الرجلين هى أن يقوم على كل مرة ، وبين الجنبين هى أن يتقلب من جنب إلى جنب

فإذا قلنا على هذا أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة وبين السنة السادسة فذلك صحيح ما دام الاختلاف هنا هو

الفاعل الذى يقول مرة بسنة من السنين ومرة بسنة أخرى ، فهو يتراوح بين القولين تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك

ويكون صاحبنا إذن قد عرف الجزازات والفهارس ولم يفهم معنى اليازجى ولا معانى المفرقين بين المراوحة والترجح ، لأن الترجح انتقال دائم ، أما المراوحة فهى ثبوت فى حالة من الحالات ثم ثبوت فى حالة أخرى ، وهذا هو المقصود بما ذكرناه

ولكن هذا الكلام إنما يفهم بدماغ ، ومن أين للفهارس والجزازات دماغ ؟

***

وأعجب من هذه التخطئة وما شابهها فى اللغة تخطئة فى الجمع والطرح يحسبها ذلك الدعى من علم الجامعات ، وهى لا تعدو علوم المدارس الإلزامية وكتاتيب القرى ، إذا كان قصاراها أن « ١٤+٢=١٦ » كما أراد أن يقول بعد مجهود فى الإحصاء والتعديد

فنحن حين عرضنا لسن السيدة عائشة رضى الله عنها عند بناء النبى بها لم نقل إننا حصرنا سنها بشهادة الميلاد ، ولا كان يعنينا أن نحصرها بتلك الشهادة أو بغيرها

وإنما عنانا أن نبطل قول القادحين فى النبى أنه عليه السلام بنى ببنت صغيرة لا تصلح للزواج ، وقد أبطلنا ذلك بالأدلة التى لا نكررها هنا لأننا فى غنى عن هذا التكرير

فإذا جاز مثلاً أن تكون سنها ست عشرة سنة فى أيام غزوة بنى المصطلق ولم يكن ذلك قولاً قاطعاً لا تردد فيه فسبب ذلك أن غزوة بنى المصطلق يتراوح القول فيها بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، ولا ضرورة لتكرير الشك فى عدد السنين كلما عرضت لنا مناسبة لاختلاف التواريخ

إنما هذا هو علم الفهارس والجزازات الذى لا يعنينا ولا نلتفت إليه ، ونحن لم يفتنا تحقيقه لأن جمع « ٢ + ١٤ » عسير علينا أو على جامع أو طارح فى أصغر المدارس الإلزامية ، ولكننا تركناه للتقدير والترجيح إذ كان القطع فيه غير مستطاع ، وإذ كان تكرير الاحتمالات كل مرة عبثاً لا يدعونا إليه داع

ويحسبنا أن نعلم أن عائشة خطبت قبل خطبتها للنبى ، وأن الذى خطبت له كان من المشركين — يحسبنا أن نعلم هذا لنعلم أنها خطبت قبل الدعوة الإسلامية وأن أبا بكر لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه ، وهو البرهان الراجح على أنها حين خطبت لمحمد عليه السلام وبنى بها بعد الخطبة بسنوات قد كانت فى سن صالحة للزواج

تلك هى الحقيقة التاريخية التى تحتاج إلى بحث وتنقيب وموازنة للوقائع والتواريخ . أما (١٤ + ٢ = ١٦) فهى كما أسلفنا من حقائق الكتاتيب الإلزامية لا من حقائق السوربون ولا من حقائق المدارس التى تجاوزت أوائل دروس الهجاء والحساب

***

على أن التخطئة فى المنطق أصعب من التخطئة فى اللغة والحساب ، ولهذا كان فهم هذا الدعى وأمثاله لطريقتنا فى الاستدلال فهماً يشوبه العى والغباء ، كما يشوبه سوء الذوق وسوء التمييز

فنحن لم نقل إن الخطأ بعيد عن السيدة عائشة لأنها مؤمنة بالله ونبيه ، فهذا دليل رخيص لا نتنزل إليه ولا ندين أحداً به ولو كان من المسلمين . وما قال أحد أن المؤمن معصوم من الخطأ وقد طال البحث بين أناس فى عصمة الأنبياء

كلا . نحن لا نعتمد يوماً من الأيام على دليل يقبله المسلم ويرفضه غير المسلم ، ولا على دليل يأخذه من يشاء ويرفضه من يشاء ، ولو أجزنا ذلك لأنفسنا لأثبتنا آيات القرآن الكريم فى تبرئة السيدة عائشة ووقفنا عندها مكتفين بها أو متوسعين فى شرحها ، ولكننا كما يعلم قراء كتابنا قد أشرنا إلى تلك الآيات حين أشارت إليها السيدة عائشة ولم نزد على الإشارة بقليل ولا كثير

إنما دليلنا على براءة السيدة عائشة أنها إن كانت قد أخطأت — وبرأها القرآن — استحال عليها أن تؤمن بالكتاب وأن تصدق بأنه وحى من عند الله ، وأيسر شىء عليها إذن أن تخترع الأحاديث على النبى عند مسيس الحاجة إلى الاختراع ، وأى حاجة إلى الاختراع أمس من لجاج الخصومة بينها وبين على أو بينها وبين عثمان ، بل أى حاجة إلى الاختراع أمس من تشيعها

لطلحة أو الزبير ورغبتها فى تقديم المسلمين إياها وهى قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلى زوجها العظيم ويصدقه الأصدقاء والخصوم !

فإيمانها بالقرآن وبالأحاديث النبوية وتقديسها لحرمة تلك الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التى افتريت عليها . إذ هى لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات ، واستحالة الإيمان هنا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسلم ، ويقبلها عقل المسيحى ، ويقبلها عقل الملحد الذى لا يدين بدين

ومن ثم يخطئ الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ إذ يقول : « إنه استدلال أن صدقه من يرى لأم المؤمنين النزاهة والجلالة من أجل دينه فحسب فقد لا يصدق به من لم يكن كذلك »

لأن التصديق هنا قضية عقلية لا فكاك منها ... هل يقوم الدليل القاطع عند عائشة على أن القرآن برأها من ذنب جاءت به ثم تظل على إيمانها بالقرآن ؟

الجواب هنا من المسلمين وغير المسلمين : كلا . بل هو مستحيل ، وهذا هو الذى قصدنا إليه

وعلى ذكر الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ نرى من الواجب أن نعقب على كلامه ببعض التعليق المفيد

فهو يقول فى كلمته « إنى لم أتشرف بعد بصداقة الأستاذين، ولكنى أعرف لكل منهما حقه من التقدير »

فإن فهم أحد من هذه الكلمة أن الشيخ محمد يوسف لا يعرفنا ولا علاقة له بنا فذلك فهم يحتاج إلى تصحيح

وتصحيحه أن الشيخ قد عرفنا ولقينا وأهدى إلينا كتاباً فى تاريخ الأخلاق وسألنا أن نكتب عنه وعاد إلى هذا الرجاء بوساطة من أصدقائنا ، فاعتذرنا إليه آسفين لأن وقت القراءة عندنا محدود فى هذه الأيام

ولا شك أن هذا التصحيح تعقيب مفيد على ما قال أو على ما يفهمه من كلامه بعض القارئين .

عباس محمود العقاد

فلسطين ... !

للأستاذ عمر الدسوقى

جهاد مجيد

لبيك يا فلسطين لبيك !

إن ما سطرته فى سفر الجهاد والبطولة ، وما ضربته من المُثُل الرائعة الجليلة ، منذ حلت بك المحنة ، ووفد عليك البلاء كان شآبيب الرحمة والغفران على أجداث آبائك الصِّيد الذين شادوا الدولة العربية قديماً ؛ وسيظل رمزاً نبيلاً لأبناء العروبة يثير حميتهم إذا ونت ، ويشحذ عزائمهم إذا فترت . فقد أبيت الضيم فى شمم وكبرياء ، ونهضت تذودين عن الحق المهضوم بقلب باسل ذمِر يعاف الجنف والاستخذاء ، وكلما ظن الدخيل أنها جذوة نار عما قريب تخمد زادتها حرارة إيمانك ضراماً فبذلت النفوس بذل السماح ، فمن مات كان للوطن ضحية وقرباناً ، ومن عاش كان للشرف نموذجاً وعنواناً . لقد هزم صبرك المال وسطوته ، وقهر إيمانك الجيش وعدته . وقفتِ وحدك ردحاً من الزمن تذودين عن الحمى ، وتصونين العربية ، حتى عرف أبناء التاميز صدق جهادك وفقهوا كنه قضيتك ، فأصدروا كتابهم الأبيض ، وبه إقرار لبعض حقك على أن يكون لبنيك الغلبة فى ديارهم ، حكومة وعدداً ، وأن تقف الهجرة الصهيونية فى عامنا هذا

ثم انفجر مِسْعَر الحرب ولف أوارها العالم فى رِبْقته ، وأبينا إلا أن نقف مع خصومنا بالأمس موقفاً يمثل نفسيتنا العربية الكريمة فبسطنا لهم أكف الصداقة فى إخلاص لا تشوبه مداجاة أو رياء ؛ لعلمنا أنهم يدافعون عن الحريات المسلوبة ، ويقفون فى وجه الجبروت والبغى ، وعنجهية العنصر ، والسيطرة الفردية ؛ بل وبذلنا فى سبيل نصرتهم كل ما قدرنا عليه ، لم ندخر وسعاً ، ونألُ جهداً ، ولم نكن يوماً على ذلك بآسفين .

دعوى اليهود

وإن تعجب فعجب لقوم يريدون أن يغتصبوا دياراً يعمرها

أهلها منذ أربعة عشر قرناً بدعوى أنهم كانوا يقيمون بها قبل أن نضرب عليهم الذلة والمسكنة ويشردوا فى الآفاق ؛ مع أن دولتهم بها لم تزد عن قرنين !

وما ذنب العرب فى أن اليهود لا يجدون لهم وطناً يأوون إليه ؟ ولماذا تحل قضيتهم على حساب العرب وهم آمنون وادعون فى ديارهم التى نزحوا إليها فى الجاهلية ، وفتحها أسلافهم بحد السيف وطردوا منها الرومان فى الإسلام ؟

إن الذنب فى الواقع ذنب اليهود فهم لم يندمجوا يوماً ما فى الشعوب التى نزحوا إلى ديارها ، ولم يشاركوهم فى السراء والضراء ، بل ظلوا بمنأى عن ميادين الجهاد والتضحية ، وجل همهم ادخار الثروات والنفوذ ؛ وهـذا ما بغضهم إلى كثير من الأمم فاضطهدوا فى حقب التاريخ المتتابعة . ولو أخلصوا الأوطانهم التى أقاموا بها واتخذوا اليهودية شعاراً دينياً لحسب ما أساء إليهم أحد

سألت كثيراً من اليهود بانجلترا : هل يفضلون الهجرة لفلسطين على أن يسلبوا الجنسية الإنجليزية أو يؤثرون حالتهم الراهنة ؟ فكان جوابهم جميعاً : إنهم لا يرضون بغير انجلترا بديلاً . فإذا سألتهم : لماذا إذاً تعاضدون فكرة الوطن القومى ؟ أجابوا : « حتى إذا أسىء لنا هنا وجدنا بلداً نأوى إليه » . فإذا جادلتهم : إما أن تكونوا إنجليز وإما أن تكونوا يهوداً ؛ لأن الإنجليزى إذا أسىء إليه فى بلده لا ينتصل من جنسيته ولا يرحل عنها ، أرتج عليهم ولم يجدوا جواباً

إن دعوى اليهود فى فلسطين لا يبررها التاريخ ، ولا يؤيدها الواقع ولا يناصرها العدل ؛ وأولى لهم — إذا كانوا حقاً ينفرون من الاضطهاد أن يكونوا مواطنين أوفياء للشعوب التى آثروا الإقامة بينها ، يبذلون من أموالهم وأنفسهم وذكائهم وتجاربهم فى سبيل رفاهيتها وسعادتها ، ولا يبتغون من وراء ذلك مادة أو جاها شأن الوطنيين المضحين المخلصين ، وحينذاك لا يجدون من يجرؤ على قذفهم بالخيانة والجشع ، أو من يحاول التحريض عليهم وإرهابهم

وإن لم يكن فى قدرتهم التغلب على طبيعتهم التى زادتها القرون تمكناً والضرب فى الآفاق إرهافاً ، فالأجدر بهم أن يبحثوا عن بقعة أخرى من الأرض تضم شتاتهم ، وهم نيف وستة عشر مليوناً فى أرجاء المعمورة المتباينة . ولعل هؤلاء الذين يعطفون عليهم ويؤيدون طلبتهم فى إنشاء وطن قومي ، وفى طليعتهم « المرشال سمطس » ، وبعض شيوخ الولايات المتحدة يكونون صادقين فى حدبهم عليهم ورفقهم بهم فيقطعونهم منفسحاً من الأرض فى الدنيا الجديدة أو جنوب أفريقيا ، ويتركون فلسطين الصغيرة الوادعة الغاصة بأهلها الذين لا يريدون التخلى عنها أو يفنوا عن آخرهم

على أن فلسطين لن تحل المشكلة اليهودية فهي أضيق من أن تتسع لهم جميعاً مهما بالغوا فى مقدرة المدن الصناعية على استيعاب السكان . وأين يذهب العرب ؟ ولم يتركون أوطانهم وبيوتهم لغيرهم ؟ ولم يصيرون أقلية مستضعفة فى ظل دولة يهودية غريبة معتدية لهـا الأكثرية والحكم بعد أن كانوا هم أهل البلاد وأصحاب ثروتها منذ الفتح الإسلامى ؟

ثم إن هذه الدولة الصناعية ليست خطراً على فلسطين فحسب ولكنها ستكون نكبة على الشرق العربى كله ؛ لما لليهود فى العالم من رءوس أموال ضخمة وخبرة فنية وصناعية واسعة ستجعل من الشرق العربى سوقاً لسلعهم ، وتميت فيه الصناعات الناشئة ، ولن يكون أهله إلا أجراء أو مستهلكين ، والثمرة والمال لليهود المستغلين

ومن حجج اليهود الواهية المتداعية التى يخدعون بها بعض الساسة فى أوربا ادعاؤهم إنعاش فلسطين اقتصادياً منـذ ابتدءوا ينزحون إليها ، وأن أجور العمال من العرب قد ارتفعت ، ومستوى الحياة قد ارتقى ، وكثيراً من الأرض اليباب القحلة قد

أصلح ، وكانت فلسطين قبلهم معدمة تنض بالمستنقعات ويعانى أهلها الجهل والفقر والغبن

على أن هذه الحجة غير صحيحة ؛ فلم يفد العرب شيئاً من أموال اليهود ونشاطهم وهم دوماً يؤثرون العمال من بنى جنسهم ويحملون مدنهم ومستعمراتهم ، ولا يتبادلون السلع مع العرب بل لا يشترون شيئاً منهم ، واستولوا على كثير من الوديان الخصبة المزروعة ، ولو كان ادعاؤهم هذا صحيحاً فالعرب يرفضون مدنيتهم ورفاهيتهم وأموالهم وصناعاتهم على أن تبقى لهم حريتهم الغالية ، ورحم الله عنترة حين قال :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أكرم منزل

إن صلة اليهود بفلسطين صلة دينية فقط ، وأما طمعهم فى جعلها وطناً قومياً يضم دولة يهودية فيجب ألا يفكروا فيها ، لأن فلسطين جزء من الوطن العربى الكبير ، ووجود دولة غريبة بجنسها ودينها ومشخصات قوميتها وسط هذا الوطن خطر كبير عليه ، ومدعاة للشغب والاضطراب والفتن الدائمة ؛ ولن يرضى العرب بذلك أبداً .

ثم إن فلسطين عزيزة على العرب من مسلمين ومسيحيين ، ولهم فيها ذكريات غاليات ، وحرمات مقدسة ، بل إن المسلمين جميعاً فى كل صقع من الأرض يقدسونها ويعظمونها ، ولن تطيب لهم نفس أو يهدأ لهم بال إن غلب عليها اليهود

الوعى العربى

نحمدك اللهم على أن أفقنا أخيراً من سباتنا العميق ، وأخذنا نتآلف ونتآزر ، ونتشارك فى السراء والضراء بعد أن فرقتنا أيدى المطامع بدداً ، وبعد أن بحت أصوات المخلصين للوحدة العربية .

إننا نيف وخمسون مليوناً من الأنفس فى بقاع متصلة من خير الأرض وأمرعها وأغناها وأحسنها موقعاً ، تربطنا أواصر محكمة من اللغة والتاريخ والعادات والدم والدين والآمال والآلام ؛ وإذا لم تكن هذه الأواصر كفيلة بتكوين أمة متحدة متماسكة اقتصادياً وعلمياً وحربياً وسياسياً ، فلست أدرى أى شىء يكوّن هذه الأمة !!

كانت قضية لبنان اختباراً لمبلغ الوعى القوى عند الشعوب العربية ، والخروج من ميدان الكلام والإعداد إلى ميدان العمل والجهاد ، بيد أن قضية لبنان لم تكن من التعقيد مثل قضية فلسطين . وهنا ، سيتجلى إخلاصنا للقضية العربية ، ومبلغ صدقنا فى الجهاد وثباتنا أمام الصعاب ، وقدرتنا على تذليلها وتمهيدها . فإن وقفنا أمة واحدة تنطق بلسان واحد وكلمة واحدة لا تتغير ، ولا تفتر لنا عزيمة ، أو تلين لنا قناة فسننتصر ونخرج ظافرين من الاختبار بحول الله . وهى خطوة لها ما بعدها ، إن نجحت كانت حجر الزاوية فى بناء الصرح العربى المرموق

ولا يسعنا إلا أن نسجل بالحمد والشكر والفخر والتأييد موقف الحكومات العربية ، وفى طليعتها الحكومة المصرية على احتجاجها الصارخ على معاضدة بعض الشيوخ الأمريكيين لقضية اليهود فى فلسطين . وبقيننا أنهم أيقاظ للأحداث الدولية المنتظرة ، وأنهم سيجعلون نصب أعينهم ، وضمن برامجهم السياسية إنقاذ فلسطين من اليهود واستخلاصها للعرب ، واستنجاز انجلترا ما وعدت به فى الكتاب الأبيض ، وأنهم لن يلينوا أمام الضغط والدعاية اليهودية ، وأنهم والحمد لله عامرة قلوبهم بالإيمان والإخلاص والوطنية

إن فى هذه الحرب عظات ودروساً يجب أن نتلقفها ونفيد منها ، فأقوى الأمم وأمنعها حوزة وأغناها مالاً وأكثرها رجالاً ، وأبرعها سياسة لم تخض غمار هذه الحرب بل اتخذت لها درءاً ونصيراً من الأمم التى تتفق معها فى المشرب والمبدأ والأطماع وإن أمماً صغيرة كثيرة قد ابتلعت وتقوضت عروشها . وإن كل الأمم ينشد الحليف والمؤازر فى هذه الحرب القاسية ؛ ونحن

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

صاحبك من بختك

هذا مثل مصرى ، وهو يمثل متاعبنا فى الحياة أصدق تمثيل ، فما نشكو فى حياتنا غير قلة الصاحب وانعدام الصديق

وأخطر ما يؤذيني فى حياتى هو الشعور بأنى لا أجد روحاً يجاوب روحى ، وأنا لا أتهم أحداً بالغدر ، فما خلق الله روحاً يقدر على مجاوبة روحى

أنا أعيش بلا صاحب وبلا صديق ، لأنى رجل ليس له بخت ، ولأنى رجل أغناه الله عن البخت ، فليشبع أصدقائى بما عندهم من أطايب البخوت !

أنا أجود بالصداقة ولا أنتظر أىّ جزاء ، لأن جودى فوق الجزاء .

وسيبكى ناس على أنفسهم إن فقدونى ، ولن يفقدونى ، فما تطيب نفسى بالصدوف عمن رضيت صحبتهم لحظةً من زمان لن يقول أحدٌ إنه طوّق عنقى بجميل ، فأنا دائماً صاحب الجميل .

تباركتَ وتعاليت ، يا فاطر الأرض والسماء ، فقد أغنيتنى عن مجاملة الصاحب ، وملاطفة الصديق

فى لحظة من لحظات الضيق دعوتك فقلت : « اللهم لا تحوجنى إلى أحد من خلقك »

وقد استجبت لدعائى ، فلم تحوجنى إلى أحد من خلقك

وأنا بعد هذا أشكر لك نعمة لم تجُد بها على أحد من خلقك ، إلا أن يكون فى مثل إيمانى بك ، وأدبى معك ، وهى نعمة الصفح عن الصديق الكافر بالجميل

إن قدرتك على خلق البرية بما فيها من أنهار وبحار وجبال ونجوم وكواكب ، إلى آخر ما تعلم وأجهل ، لا تقاس إلى قدرتك على إغنائى عن خلقك

علّمنى كيف أثنى عليك ، فقد عجزت عن الثناء عليك

ثلاثون سنة ، ثلاثون ، ثلاثون ، وأنا أحارب الناس ، ولم يهزمونى ، لأنهم جهلوا سر قوتى ، وأنا أعتز بك ، وصاحبك من بختك ، وأنت يا إلهى صاحبى وبختى ، ولم يبق إلا أن أرجوك أن تعلمنى كيف أثنى عليك

محرمات النقد الأدبى

تمرّست بالصحافة السياسية والأدبية عدداً من السنين ، ولم أشعر بحرج يماثل الحرج الذى عانيته فى الأسبوع الماضى ، ولكن كيف ؟

كنت أعددت مقالاً لمجلة الرسالة أصاول به بعض المتجنين علينا من أدباء لبنان

ثم صلصل الهتّاف بما معناه : « إن صاحب الدولة رياض بك الصلح أمر بأن لا يُكتب حرف فى صحيفة لبنانية تجنياً على الأدباء المصريين »

وكان فى مقدورى أن أتجاهل هذه الإشارة التليفونية ، وأن أقدم إلى مجلة « الرسالة » مقالى ، وأستريح من تحبير مقال جديد

كما ذكرنا أمة واحدة فرقتها سياسة العصور المظلمة ، والأطماع الغاشمة ؛ أفلا يجدر بنا أن نتعظ ونعتبر ونسير بخطى حثيثة نحو الوحدة أو الاتحاد رائدنا الإخلاص لأنفسنا ولأولادنا

هذا أمل نرجو ألا تعصف به زعازع السياسة ، وأن يبق عليه كبار الساسة ، أو يتعهدوه بالرّى والنماء حتى يؤتى ثمره حلواً جنياً . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وهو ولى التوفيق .

محمد الدسوقى

ولكن الرقيب الأعظم نهاني ، وهو ضميري ، فطويت مقالي ، وكتبت لمجلة الرسالة حديثاً غير ذلك الحديث ، في لحظة محرجة لم أكن أستطيع فيها كتابة أي حديث

وأنا أعتذر عما جرى به قلمي في مصاولة أدباء لبنان ، وأتمنى لهم مثل الذي أتمنى لنفسي ، وهو تصويب النظر إلى استكشاف محاسن الصديق

ثم أرجوهم أن يذكروا أننا نعاني محنة قاسية في حياتنا الأدبية ، فالكاتب اللبناني يستطيع الظهور بمقالة أو مقالتين ، والشاعر اللبناني يستطيع الظهور بقصيدة أو قصيدتين ، ولا كذلك الكاتب المصري أو الشاعر المصري ، فبلادنا لا تسمح بالظهور لكاتب أو شاعر إلا بعد أن يشقى بالنثر والنظم عشرين سنة أو تزيد

الفرق بين متاعبنا ومتاعبكم هو الفرق بين متاعب القاهرة ومتاعب بيروت

نحن في حياتنا الأدبية نشقى شقاء لا يخطر لكم في بال ، ولهذا ننتظر عطفكم علينا ، ونرجو أن تترفقوا بنا ترفق الصديق بالصديق .

وزعامة مصر الأدبية عبء ألقاه القَدَر علينا ، ولولا الحياء لفررنا من حمل ذلك العبء الثقيل

أكرمونا بعطفكم ، أكرمونا ، لنصبر على حمل الراية في ذلك الميدان

إلى معالي الهلالي باشا

إنك تذكر أيها — الوزير الجليل — أني تجشمت السفر إلى الإسكندرية في الصيف الماضي وبيدي مذكرة أزكي بها إنشاء مدرسة ابتدائية في سنتريس ينتفع بها عشرون بلداً هناك ، وتذكر أني أخبرتك منذ أسبوع بما انتهت إليه تحريات مراقبة التعليم الابتدائي ففرحتَ وقلت : سأمضي لافتتاح هذه المدرسة بنفسي في مطلع العام الدراسي المقبل .

ومع أني واثق بأنك ستنجز وعدك ، وبأني أستطيع أن أستهديك ما أريد لخير تلك البلاد المشرين ، فقد جدتْ حالة توجب أن أسارع برفع ما يعترض هذا المشروع من العقبات . والله بالتوفيق كفيل

كانت ميزانية المعارف للعام المقبل تتضمن إنشاء خمس مدارس ابتدائية ، وبهذا كان الأمل قوياً في إنشاء مدرسة سنتريس ، ثم سمعت أن الوزارة عدّلت الميزانية فاكتفت بإنشاء ثلاث مدارس ، وخِفت أن تؤجّل مدرسة سنتريس ، وإنما كان الخوف لأن الوزير نفسه حدثني أنه سينشئ مدرسة في الدرب الأحمر ومدرسة في بولاق ، فهل تكون المدرسة الثالثة هي مدرسة سنتريس ؟ ليت ثم ليت !

أنا أرجو معالي الوزير أن يتذكر أن القاهرة تنهب حقوق الأقاليم ، ثم أرجوه أن يضع حدًّا لهذا الانتهاب ، فما يجوز أن تأخذ القاهرة أكثر مما أخذت ، ولا يجوز أن ننسى أن مواصلات القاهرة تعين القاهريين على الوصول إلى المدارس بأمان ، ولو كانوا من أهل الدرب الأحمر أو بولاق ، ولا كذلك الحال في الأقاليم ، فالمواصلات هنالك في غاية من الصعوبة ، ولا يتيسر الانتقال إلا مع التعب العنيف

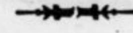
قد يقال إن نائب بولاق يراعي أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وإن نائب الدرب الأحمر يراعي أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وأنا لا أعترض على مساعي هذين النائبين ، فمن واجب كل نائب أن يقدم لأهل دائرته أقصى ما يستطيع من الخدمات

وهنا تظهر خطورة هذه القضية : فقد مضت عشرون سنة وسنتريس مسرح للحفلات الانتخابية ، وكان كل مرشح يمنينا بأنه سينشئ في سنتريس مدرسة ابتدائية ، ثم ينفض السامر وتذهب تلك الأماني !

لم يبق إلا أن استهدى عطف وزير المعارف على عشرين بلداً هي أخصب بلاد المنوفية ، ففي سنتريس وحدها أكثر من ثلاثين شهادة عالية ، وموقع سنتريس الجغرافي أجل من موقع

عبقريات أزهرية مدفونة

للأستاذ دريني خشبة



مئات من الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر في كلياته الثلاث ليحصلوا بها على إجازاته النهائية - على طريقة الجامعات الحديثة - ملقاة في ركن سحيق من أركان الإهمال، وقلة العرفان في مكتبات الكليات، لا ينتفع بها أحد، ولا يلتفت إليها أحد، ولا يفكر أحد في أن ينفع بها الثقافة الإسلامية في الأمم العربية عامة، والنهضة الفكرية الحديثة في مصر الإسلامية بوجه خاص. والعجيب، بل أعجب العجب، ألا يلتفت ولاة الأمور في الأزهر إلى أهمية هذه الرسائل الثمينة في تدعيم شخصية جامعتهم الكبرى، وإثبات وجودها، والمساهمة بها في حياة المسلمين الفكرية، ومحاربة الأفكار الجاهلة التي أخذت تغزو أفهام الناس عن أقدم جامعات الشرق، بل أقدم جامعات العالم وأعظمها

مئات من هذه الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر بإرشاد أساتذته، وأساتذة الجامعة المصرية، وأساتذة النهضة الفكرية في مصر، مهملة مُغْفلة لا ينتفع بها أحد، لأن النظام الذي يرين على الأزهر الشريف يقضي على تلك الجهود الغالية بالدفن، كما يقضي على الآمال المنوطة بتلك الجهود بالضياع

لست أدري ما نصيب الأزهر في مئات الكتب التي غمرت السوق الفكرية في السنوات الخمس الأخيرة في مصر؟ لا شيء؟! فهل معنى هذا أن أبناء الأزهر أقل نشاطاً من سائر أبنائنا المتعلمين؟ كلا... فالحق الذي لا مرية فيه هو أنهم في القدمة من حيث الإنتاج الذهني الرفيع كما وكيفا، لكنهم فقراء، ومتوسط الحال منهم لا يستطيع أن يجازف بما يدخره من قروش في سبيل السَّناء العلمي ولألاء الشهرة، بطبع بعض ما أنتجت قريحته من ثمار ما ألف وما يستطيع أن يؤلف... ولو أن هذه الميزانية الضخمة التي تربط للأزهر كل عام اتسمت قليلاً لطبع شيء من هذه الرسائل النادرة التي أودعها شباب الأزهر جهوده بل أرواحه وآماله لعاد هذا العمل على الأزهر نفسه بالسمعة الطيبة، وعلى الأمة بالنفع الجزيل، وعلى نهضتنا الثقافية بالخير العميم، ثم هو بعد ذلك كله عمل يلفت العالم الإسلامي إلى طابع الأزهر الجديد، وإلى الروح الذي يحدوه إلى السمو وإلى الكمال

وبعد، فما هذه الرسائل التي نشيد بها تلك الإشادة، والتي ندعو جميع الأدباء إلى التفضل بالذهاب إلى كليات الأزهر للاطلاع عليها حيث حُبست عن الخير العام في أركان المكتبات تشبه المتاحف، أو أقبية المتاحف... حتى لتوشك أن تسمع من صفحاتها أنيناً وحسرات شاكية من إهمال أولى الأمر لها على هذا الشكل المزري

كتب بعض هذه الرسائل خريجو قسم التخصص على النظام القديم في الأزهر، ثم كتب معظمها خريجو هذا القسم على النظام الحديث، وقد بذل كل من أبناء النظامين جهوداً شريفة في الإحاطة بالموضوعات التي اختاروها. والذي يثير العجب

شبين وأظهر من موقع أشمون

أيكون من حق النواب أن يصل صوتهم إلى قلب وزير المعارف قبل صوتي؟

هذا مستحيل، فأنا من أمناء وزير المعارف، وأنا سفيره إلى جميع البلاد المصرية، فمن أوضح الواضحات أن أكون سفيره في البلاد التي تجاور بلدي، وأنا أعرفها كما أعرف نفسي

لوزير المعارف أن يتفضل فيطالب التقرير الذي قدمته لمراقبة التعليم الابتدائي ومعه تقرير الرقيب، وأي رقيب؟ هو رجل من أكابر المربين دعاه مراقب التعليم الابتدائي إلى مصاحبتي لمعاينة مدرسة سنتريس، لئلا يطغى عليّ حبي لبلدي فأقول إن اسمها سنتريس!

لمعالي وزير المعارف أن يقرأ هذين التقريرين ثم يفكر فيما يصنع، فأنا واثق بأنه سيكرم تلك البلاد العشرين، وندائي لمعاليه هو نداء تلك البلاد العشرين

زكي مبارك

فى الخطة التى انهجها كل من الفريقين فى وضع رسائلهما هو تجافيهم عن روح الأزهر القديم ، ومحاولتهم فى إخلاص وصدق أن يطبعوا الرسائل بطابع البحث الجامعى المصرى الطريف . ويحسن أن نقصر الكلام الآن على رسائل كلية اللغة العربية تلك الكلية التى تنافس فى شرف وفى نبل معاهد المعلمين فى مصر ، كما تسير على هدى من كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وبتوجيه أساتذتها الأفاضل

لقد اهتم كبار كتابنا فى العصر الأخير بالتاريخ الإسلامى فأخذوا يتبارون فى كتابته فى صور شتى ، وأخذت كتبهم تصدر تباعاً ، وتلقف الناس تلك الكتب فرحين مستبشرين لما تجلو لهم من صفحات المجد التى كانوا يسمعون بها ولا يعرفون منها شيئاً ... ومن هذه الكتب ماطبع أكثر من مرة ، ومنها مالم يبق من طبعاته الأولى شىء ... وقد تألفت أخيراً جماعة أخذت على عاتقها إصدار كتب شهرية عن أبطال المسلمين يتولى الكتابة عن كل منهم إماواحد من هذه الجماعة الفاضلة أو أحد الذين يقع عليهم اختيارها من أرباب الأقلام فى مصر وفى شقيقاتها من الأمم العربية ... ولقد شهدت فى مكتبة كلية اللغة العربية مجموعة كبيرة من الرسائل فى التاريخ الإسلامى تناولت رجاله بالترجمة والنقد والتحليل والتحقيق (وتفلية) الموسوعات التاريخية والمقابلة بين رواياتها ، ومعارضة تلك الروايات بما حققه المستشرقون ، وماوقع فيه هؤلاء من الحيف والتخبط أحياناً ... مما لا يتوفر مثله من التمحيص إلا للدارس المنقطع الذى يرى بين كل سطر من سطوره وجه سائل أو يسمع اعتراض مناقش أو حجة ممتحن . فما راقنى من هذه البحوث المركزة ، وما يحسن التمثيل به لما حوت تلك المكتبة من هذه الرسائل : بحث فى نظام ولاية العهد فى الإسلام ، ورسالة عن دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيه ، وأخرى عن تاريخ الإسلام فى جزيرة صقلية ، ورابعة عن العلاقات السياسية بين الرومان والعرب ، وخامسة عن العلاقة بين العلويين والعباسيين ، ورسالة عن نشأة الدروز وعقائدهم ، وبحث جميل مستفيض عن الأحزاب السياسية فى عصر بنى أمية ، ورسالة عن دولة بنى بويه ... ومن البحوث غير الإسلامية رسالة أنشأها طالب هندى فى تاريخ سوامى ديانند مؤسس الديانة الآرية فى الهند ، وهو أول كتاب من نوعه فى اللغة العربية ، أنفق فيه صاحبه جهوداً تثير الإعجاب ... هذا ، إلى مئات من الرسائل الأخرى التى تغطى التاريخ الإسلامى كله ، وتتناول أبطاله المشهورين وغير المشهورين واحداً واحداً ، فى عرض جميل ، وتبويب جيد ، وتحقيق لم يدع مصدراً فى دور الكتب المصرية ، مخطوطاً أومطبوعاً ، إلا تناوله واستوعب مافيه

أما الرسائل الأدبية فهى بلا شك مفخرة أبناء كلية اللغة العربية ، سواء منهم من تخصص بعد الشهادة العالمية للمهنة - أى لمزاولة التدريس فى المدارس وفى الأزهر ، ومدة هذا التخصص ثلاث سنوات - أو من تخصص منهم للمادة - ويتولى خريجو هذا القسم التدريس فى كلية اللغة العربية نفسها ، ومدته سبع سنوات كاملة (! !) . فمن أبدع ما يستلفت النظر من رسائل الأدب رسالة فى تاريخ القصة فى الأدب العربى ، رأيت لزاماً أن أخص صاحبه فى كلمتى هذه بالتهنئة لما استطاع أن يتناول به فى بحثه القيم أطراف هذا الموضوع المتشعب من الاستقصاء والاستيعاب ، ومنها رسالة فى الكتابة فى العصر العباسى شن فيها صاحبها حرباً شعواء على كثيرين من رجال الأدب فى مصر ، وكال فيها للدكتور زكى مبارك كيلاً شديداً ، ثم رسالة طريفة عن الموشحات - نشأتها وصلتها بالشعر ، وهى رسالة جيدة ما كان أحوج المكتبة العربية إليها ... ثم عشرات من الرسائل عن البحترى والحطيئة والأخطل وابن زيدون والعرجى والأصمعى وغيرهم من ألمع الأسماء فى الأدب العربى ، وممن لم يتناولهم أحد فى بحوث خاصة مستقلة إلا أبناء هذه الكلية الجنود المجهولون ... ومن أطرف رسائل الأدب رسالة أنشأها صاحبها عن الأدب فى عصر المماليك ، وقد تناولت الرسالة هذه الناحية الغامضة من تاريخ الأدب المصرى فى عصر من أغمض عصوره ... أما الرسائل التى وضعها متخصصو المادة فلا تزال قليلة العدد لقلة خريجى هذا القسم ، وهى على قلتها رسائل جيدة عالية القدر شاملة الإحاطة ، رأيت منها رسالتين فى أدب الخوارج وفى أدب الشيعة ، فلا أبالغ إذا سجلت هنا أنهما من أثمن ما كتب فى هذا الموضوع فى العالم العربى . ومن أكبر المآخذ على أزهرنا الشريف المبارك ذى الميزانية

الأنات الحائرة... (*)

للأستاذ راشد رستم

. . . وبعد فلست حائراً معك حيرتك مع الأنات أو حيرة الأنات معك، أو حيرة الناس من هذه الأنات، فلقد رأيتك بالأمس فى الأمر باكياً، وسمعتك اليوم فى هذا الأمر ناعياً، وأشهد أنى أعهدك فى كليهما شاعراً شادياً

إنك عاطفى رفيع، وإنك عاطفى عميق، ولا أقول قد تظهر منك العاطفة وتختفى، ولا أقول هى قد تثور أو قد ترعوى، فإن العاطفة عندك هى منك، وهى قائمة عند المحراب تصلى دائما

***

ولقد حزنت عندما وصلتنى أناتك، ثم « فرحت » بها لذاتها كما فرحت بها لأنها منك

أخذت أهمس لنفسى مترنما، وحيداً صامتاً، وأحيى بها الحزن صباحا ومغرباً، وستبقى معى آمنة فى مكانها الحبيب، كما سيبقى رنينها عالياً داوياً ــ وهكذا فى الوقت الذى تبقى كامنة ساكنة هى فى الحق ثائرة فائرة ...

إن مستودعها عندى، رغم جرمه الصغير، واسع كبير، يملأ الدنيا حباً، وتملؤه الدنيا نعماً ...

***

ولما آنستنى « الأنات الحائرة » غير حائرة، ونزلت عندى قادمة راغبة، أقبلت عليها راضياً شاكراً، ثم رحت معها راشداً شارداً ...

وإذا أنا قد تأخرت فى النداء فلست مقصراً ولا عامداً، ولكنها موجة الأسى تملكت النفس بالهوى والقلب بالجوى، فاستكانت الروح نائمة ثم استيقظت على الصوت الذى أبعث به اليوم إليك مناجياً ...

***

وإن لى من الأصدقاء من هم أهل العاطفة الباكية الشاكية، وحملة القلوب الحائرة الثابتة، فذكرتنى أناتك بهم كما ذكرتهم بها، لأنها إبداع مثل إبداعهم وعواطف من طراز عواطفهم

***

(*) رسالة كان قد بعث بها الكاتب إلى صديقه الشاعر عزيز بك أباظة صاحب ديوان « أنات حائرة »، وبينهما مودة من الصغر

الضخمة والأحباس الخرافية أن يغير هاتين الرسالتين كما يصنع بأشباههما، فلا ينتفع بهما وبأمثالها العالم الاسلامى والمشتغلون بالأدب ... ومن رسائل التخصص فى المادة بحوث قيمة فى البلاغة وتاريخها ...

ومن أروع ما يلفت النظر من رسائل اللغة رسالة فى المبرد لا توجد إلا فى مخطوط ضخم فى دار الكتب العربية، وكان لا بد أن يشهد أعضاء لجنة الامتحان هذا المصدر بأعينهم، فلما رفضت دار الكتب إعارة الطالب هذا المصدر، اضطر إلى نسخه كله . . . فكم من الجهد والعناء تجشم هذا الطالب المسكين فى إنشاء رسالته الطريفة النادرة يا ترى؟!

ذاك ويطول الكلام إذا استعرضنا رسائل التربية وعلم النفس وما تناول به الخريجون تاريخ التعليم الإسلامى في مدارس بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة، وأصول التربية فى القرآن والسنة ... ثم مئات الرسائل فى مختلف أبواب النحو والصرف والبلاغة والبيان والعروض

هذا قل من كثر ... وهذا كله فى كلية اللغة العربية فقط ... وله أشباه ونظائر فى الكليتين الآخريين . . . وهى عبقريات أزهرية مدفونة من التقصير المعيب أن تعمى عنها عيون القائمين بالأمر فى الازهر الشريف المبارك . . . وليذكر الذاكرون أن أعظم رجال النهضة فى مصر الحديثة كانوا ناساً كهؤلاء الناس المغمورين، وأنهم جميعاً، أو أكثرهم، ممن للأزهر فى ثقافتهم أوفر نصيب، عن قرب أو عن بعد . وأنه لو أتيح لكثير من هؤلاء النبغاء المغمورين سبيل الظهور والعمل لنفعوا عالم التأليف العربى بما لا يقدر عليه غيرهم، ولانتفعت بهم نهضتنا الثقافية بما لا تنتفع به إلا منهم، ولمهدنا لطائفة عظيمة منهم القيام بواجبهم الأدبى مكان زعماء تلك النهضة (بعد عمر طويل !)

وبعد ... فهذه ناحية من عبقرياتنا المدفونة توجد لها أشباه فى الجامعة المصرية وفى دوائر ثقافية أخرى نرجو أن نتكلم عنها وننبه إليها قريباً .

دريني خشبة

ذهبت إلى « جوتيه » شاعر الألمان ، فإذا به يعجب ويقول وحيد !! لا . لست أنا وحيداً . . . إنني أعيش مع الذكريات والصور العزيزة المحبوبة ...

ثم التفت إلى كاتب الفرنسيس « أناتول فرانس » ، فإذا به يقول وكأنه يرد على صاحبه ـ مهما حاول المرء فإنه دائماً وحيد في هذا العالم ...

فرجعت إلى صاحب التفكير الواسع السيد جان جاك روسو فإذا هو يُلقي القول الهادئ وقد لاقى من الزمان شدته فيقول ـ كلما كانت الوحدة التي أعيش فيها عميقة شاملة كانت الحاجة أدعى إلى بعض الذكريات لملء هذا الفراغ ...

ثم اتجهت إلى البحر الزاخر والشاعر الحائر والروح الثائر السيد فيكتور هوجو فإذا به يصيغ القول على طريقته فيقول ـ إن المفكر المُنبتّ كالصحراء ، كئيب رغم الاتساع ، مظلم رغم الضياء ...

ثم رأيتني منذ عشرين عاما أستودع يومياتي الفرنسية في الغرب قولاً لم يتغير معي إلى اليوم ، فكنت أقول ـ إن من لا حاضر له ينظر دائما إلى ماضيه ، ومن كان له حاضر فهو لا يرقب إلا مستقبلاً . ولكن أليست الحياة حاضراً قائما يتحول باستمرار إلى ماض يفوت ولا يموت ...!

ثم لقيت في طريقي عجوزاً يناجي نفسه ويقول : الماضي ! الماضي ! هو القوي القدير . هو القوي القدير ! الماضي ! الماضي... فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ...

* * *

ثم ذكرت كلاماً كان عجيباً أن ينشر في « الحديقة والمنزل » وأن تنطوي صفحاتها على هذه العبرات جنب تلك الزهرات مما جعلني اليوم أسأل الأيام هل كان ذلك عن حاجة إلى الذوق ، أم هي تنسيقات الحدائق والبيوت ، أم هي صفحات الحياة ... ؟

وجدتني « أبكي لأني أرى ما يبكيني . وهذا المحزون أقرؤوه عني السلام . كل له حزن يعنيه ، وما عرف الدنيا إلا حزين ..

اسمع التنهدات بعد الضحكات فاسمع ترجيع صدى لحزن مضي ... ورنيناً لأنين سيأتي ... وأشعر في ثنايا الضحكة نذير الدمعة ... وأرى الابتسامة علامة الخوف من قرب الأسى ...

إن دموع الأحزان هي أنقى دموع الإنسان ...

والبكاء أول ميراث الأحياء الكرام من الأموات الكرام »

* * *

ووجدتني في نفس الحديقة أرى في الوقت ذاته الوجه الجميل في إطار من الزهر الجميل ، وأسمع الشعراء يترنمون بأناشيد الربيع ، وكان ربيعاً ، وأرى الغانيات الحسان يمرحن ويسرحن تحت الخمائل وبين الظلال ...

فرجعت مسرعاً إلى شاعر الحب والحياة السيد الفريد دو موسيه ، فإذا به هادئ مطمئن ، يلقاني حزيناً باسماً ويقول في صوته الخافت ولغته السهلة النافذة : جميل أن تبكي وجميل أن تبتسم ...

* * *

وأخيراً ... ذكرت نغمات بكلمات سمعتها من سيدة باسمة الوجه ، صبوح نصوح ، تترنم وتقول : هل في العالم حزن ؟ إنني في عجب ! هل من يبكي وهذه الشمس تسطع في السماء ، وهذه الأرض سندسة خضراء ! لماذا البكاء وهذه الحياة حلم وهي هباء ... ودمت لأخيك

(المعادي) راشد رستم

محاورات الموتى

المحاورة الثانية

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنفيل

بقلم الأديب يوسف روشا

أنكريون وأرسطو

أنكريون : شاعر غنائي إغريقي شهير من بلدة تيوس في يونيا ولد حوالي ٥٦٠ قبل المسيح . كان دأبه التغني بالحب والخمر

أرسطو : من أعظم فلاسفة الاغريق ولد حوالى ٣٨٤ قبل المسيح . فلما بلغ الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا وتلمذ لأفلاطون عشرين عاما وتلقى بعد ذلك دعوة من بلاط مقدونيا ليعلم الاسكندر ، وكان يومئذ في الثالثة عشرة من عمره . ولأرسطو الفضل الأكبر في نشوء الفلسفة والعلوم وازدهارها ، وخاصة في العهود التي سبقت النهضة الفكرية والعلمية الحديثة .

ابتداء المحاورة

أرسطو : لم يخطر ببالي أن يجرؤ شاعر غنائي على أن يقارن نفسه بفيلسوف شهير مثلي

أنكريون : أنت رفعت اسم الفيلسوف ، وأنا أيضاً أسكرت النفوس بأغاريدي ، حتى أصبح الناس يلقبونني بأنكريون « الحكيم » وإنه ليلوح لي أن لقب « الحكيم » لا يقل منزلة عن لقب « الفيلسوف »

أرسطو : إن الذين منحوك هذا اللقب لم يتدبروا ولم يفكروا ؛ وإلا فما الذي عملته حتى تستحق أن تلقب بالحكيم ؟

أنكريون : أنا لم أعمل شيئاً سوى الشرب والغناء والغزل . وإن من أعجب العجب أن ألقب « بالحكيم » بهذا الثمن البخس ، على حين أنك لم تحصل على لقب الفيلسوف إلا بشق النفس . فكم سهرت من ليال محاولاً نظم ما انتثر من علم المنطق الشائك ! وكم ألفت من كتب ضخمة في موضوعات غامضة لعلك لم تفهمها أنت نفسك حق الفهم

أرسطو : أعترف بأنك قد توخيت أسهل الطرق إلى الحكمة . ولو لم تكن على جانب عظيم من الذكاء لما استطعت أن تبلغ بقيثارك وكأسك من المجد ما لم يبلغه أعاظم الرجال بالدرس العميق والجهد المتصل

أنكريون : إني لأشم من كلامك رائحة التهكم ؛ ولكني مازلت أعتقد أن من أصعب الأمور على المرء أن يشرب ويغني كما كنت أشرب وأغني ، وإن من أسهلها عليه أن يفلسف كما تفلسف أنت . إنك لكي تشرب وتغني كما كنت أفعل ، يجب أن تتجرد من العواطف الجائشة ، وألا تطمح إلى شيء ليس إلى حصوله من سبيل ، وأن تكون مستعداً لأخذ الحياة على علاتها . وقصارى القول إن هناك عدداً من المسائل الصغيرة يجب على المرء قبل كل شيء أن يتدبرها مع نفسه ؛ وأن هذه المسائل وإن كانت لا تحتاج إلى براعة فائقة ، لا ينتهي منها المرء إلا بعد عناء طويل . أما أن يفلسف المرء ، كما كنت تفعل ، فلا يحتاج إلى كل هذا العناء ، ذلك لأن الفيلسوف لا يضطر إلى معالجة نفسه من الطموح أو الطمع ، وأن من الفلاسفة من تجمع لديه من المنح خمسمائة ألف ريال ، ولكنه لم ينفقها كلها في سبيل العلم كما أراد مانحها . وجملة الكلام أن في هذا النوع من الفلسفة أشياء كثيرة تنافي الفلسفة

أرسطو : يظهر أنك سمعت عني وشايات كثيرة منذ هبطت إلينا . ومهما يكن من الأمر فإن مقياس الرجل عقله ، وإن أسمى عمل في الوجود هو أن تعين الناس على فهم أسرار هذه الطبيعة واستجلاء غوامضها

أنكريون : إن هناك ما يبرهن على أن الرجال يسيئون استعمال كل شيء . فالفلسفة في ذاتها شيء جميل للغاية ؛ ولو أحسن الناس استعمالها لأفادتهم فوائد جليلة جزيلة ؛ ولكنهم أشفقوا من أن تربكهم إذا هي تدخلت في أمورهم فقذفوا بها في الفضاء

لتبحث عن الكواكب وقياس حركاتها ، فإذا أعادوها إلى أرضهم استعانوا بها على بحث ما يظنونه هناك . وخلاصة القول أنهم حريصون ما استطاعوا على أن تكون الفلسفة مشغولة عنهم . ولما كانوا شديدى الرغبة فى أن يكونوا فلاسفة بأيسر كلفة فقد وسموا بفضل براعتهم ، استعمال هذا اللقب حتى أخذوا يسبغونه فى أكثر الأحيان ، على الذين يبحثون فى قوانين الطبيعة .

أرسطو : وهل ثمة لقب أصلح لهؤلاء من هذا اللقب ؟

أنكريون : الفلسفة يجب أن تعنى بالناس فحسب ، وألا تشغل نفسها بما عداهم ؛ فالفلكى ينظر فى النجوم ، والطبيب يعنى بالأجسام ، والفيلسوف يفكر فى نفسه . ولكن من ذا الذى يرضى أن يوضع فى مثل هذا الموضع الشائك ؟ لا أحد ، واحسرتاه ! ولذلك سمحوا للفلاسفة ألا يكونوا فلاسفة ، واقتنع الجميع بأن يكونوا فلكيين أو أطباء . أما أنا فإنى لم أكن بطبيعتى ميالاً إلى الأمعان فى التفكير ؛ ولكنى واثق بأنه ليس فى أكثر الكتب الفلسفية فلسفة بقدر ما فى بعض قصائدى التى تزدريها هذا الازدراء . وإليك واحدة منها على سبيل المثال :

« لو أن فى إمكان « الأصفر الرنّان » أن يطيل أمد الحياة السريعة الإدبار ، لكلفت به أشد الكلف ، ولملأت منه خزانتى ، حتى إذا ما حانت الساعة ، ولم يبق لى عند أحد شفاعة ، رشوت به الموت ليؤجل حتفى . أما وإنّ ذهب الدنيا كلها لا يستطيع أن يمد فى حياتنا ساعة واحدة ، ولا أن ينير حلكة القبر فلماذا إذن نمنّى أنفسنا ونذرف الدمع السخين ، بلا جدوى ، على مصيرنا المحتوم ؟ لا ... أعط الثروة غيرى ، فليست لى بها حاجة ، ودعنى أرتع فى ملذاتى ، بين أصحابى ولداتى ، وليكن نصيبى مما بقى من حياتى تلك الأفراح التى لا يقدر على منحها إلا الحب »

أرسطو : إذا شئت أن تقصر الفلسفة على علم الأخلاق فإنك واجد فى كتبى عن الأخلاق أشياء لا تقل إبداعاً عن قصائدك . ومهما يكن من أمر هذا الغموض الذى قد تجده فى بعض كتبى ، والذى من أجله وُجّت أعنف توبيخ ، فإنك لن تجده فى كل ما كتبت فى ذاك الموضوع . لقد أقر العالم أجمع بأنه ليس ثمة أوضح ولا أروع مما قلت فى العاطفة

أنكريون : ما أشد خطأك ! ليست المسألة مسألة تحديد العواطف على طريقة من الطرق كالذى زعموا أنك فعلت ، بل المهم التغلب عليها وقهرها . فالرجال يضعون بين أيدى الفلاسفة أخطاءهم عن طيبة خاطر ، للنظر فيها لا لعلاجها . ولقد اكتشف الفلاسفة سر إيجاد قواعد أخلاقية لا تمسهم بقدر ما يمسهم علم الفلك . وكيف نملك ألا نضحك عند ما نرى رجالاً يذمون المال وهم أشد الناس تكالباً على اقتنائه ؟ ثم كيف نمسك نفوسنا عن الضحك عند ما نشاهد أراذل الناس يتشاجرون فيما بينهم على تحديد معنى الشهامة .

(بغداد) يوسف روشا

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

- ٣ -

وأما رأى الشيخ عدى فى النزاع بين « على ومعاوية » فإنه يقول « كانا إمامين مجتهدين، ولكن المصيب منهما على رضى الله عنه، وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين، وقتالهم كان باجتهاد ولطلب الحق لا لحظوظ الدنيا ، ولم يكن أحد منهم حريصاً على قتل أخيه ، وقتلاهم جميعاً فى الجنة . ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وننشر محاسنهم رضى الله عنهم ، وإن الله قد غفر لهم » ، فنرى أنه كان معتدلاً فى رأيه يرى أحقية « الإمام على » ؛ ولكنه مع هذا لا يبخس « معاوية » حقه .

وامتاز عصره بظهور عدة مشايخ كمل « كالشيخ عبد القادر الكيلانى ، والشيخ قضيب البان الموصلى ، والشيخ أحمد الرفاعى ، والشيخ وهب السنجارى » وغيرهم كثير . وكان « الشيخ عدى » أحد هؤلاء الكمل . وأسس طريقته « العـدَوية » فدخل فيها الأكراد والموالون للحزب الأموى ومن هذا الوقت صار يطلق على أنصار الحزب الأموى اسم « الأكراد العـدَوية » فظهرت حركتهم بمظهر صوفى ، ولكن حبهم لبنى أمية لم يطرأ عليه تغيير سوى أنهم خففوا من بغضهم لآل البيت ، وكان ذلك بتأثير شيخهم « عدى » . وعُمِّر الشيخ عدى تسعين سنة . ونال من القبول عند أصحابه مالم ينله سواه . وتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، ودفن فى زاويته التى بناها « بلانش » ، وقبره هناك معروف يزار .

وكان الشيخ قد استخلف ابن أخيه « صخر » قبل موته ، وكان هذا عالماً عاقلاً على جانب كبير من الدين والتقوى ، وصارت منزلته عند العدوية لا تقل عن منزلة عمه . سلك بأتباعه طريق الخير وأبعدهم عن المفاسد والشرور .

وخلفه بعد موته ابنه « أبو المفاخر عدى » ؛ وكان لا يقل عن أبيه فى العلم والورع وسلوك طريق الخير بأتباعه . وصار لهذه الأسرة منزلة عند العدوية دونها منزلة الملوك . ولكن الثلاثة الذين سلفوا لم يتدخلوا فى أمور الدنيا . انقطعوا إلى الله عز وجل فكان الله معهم .

الدور الثالث

الشيخ حسن وابتداء الغلو فى يزيد ومعاوية

وكثيرا ما تغر الدنيا بعض أصحاب المذاهب والطرق الدينية فينحرفون عن الجادة المستقيمة التى سار عليها آباؤهم وأجدادهم ، وذلك استئثاراً بطاعة الأتباع واستغلالهم لمصالحهم الدنيوية . وإن « الشيخ حسن » هو أحد الذين غرتهم الدنيا لأنه وجد ما عليه أسرته من المنزلة الرفيعة وطاعة الأكراد العدوية لهم وشدة بأس هؤلاء الأكراد ؛ وإن إشارة بسيطة منه تسوقهم إلى الموت وهم راغبون ، فسولت له نفسه أن يبدل دينه وأن يظهر فى الأرض الفساد . وهو بلا شك كان يريد أن يستغل الضعف السياسى الذى كان يشمل العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ليعيد تشكيل الدولة الأموية . وربما كان يقدر له هذا لو سار على الطريق المستقيم الذى رسمه « الشيخ عدى الكبير »

انقطع « الشيخ حسن » عن أصحابه ست سنين ثم ظهر لهم وقد ألف « كتاب الجلوة لأرباب الخلوة » زاد أشياء باطلة فى اعتقادهم نظماً ونثراً ، وغالى فى تعظيم « يزيد وعدى » ووجد كلامه قبولاً حسناً عندهم لأنه كان من رجال العالم رأياً ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر فى التصوف يستهوى به أصحابه . وبذلك انقلبت الطريقة « العـــدوية » إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى » ، فتطورت من طريقة دينية إلى حزب ثورى له صبغة دينية باطلة . فكم من دعوة صالحة انقلبت إلى غى وضلال ! وكم من مبدأ سامٍ انعكس إلى جمعية هدامة ! هذا إذا تولى الأمر أصحاب الأهواء والمطامع .

انتقل الشيخ حسن إلى الموصل وسكنها . ولعله كان يريد بهذا أن يكون على اتصال تام بأرباب الحكم « الاتابكى » لينفث سمومه الفتاكة فيهم ويتحين الفرص المناسبة . وصار له مريدون وأتباع فى هـذه المدينة ، كما أنه نشر دعاته فى (هيت)

والكُبيسات . وسنجار . وسامراء . وتكريت . وسورية) ولاقت قبولاً عند البعض لولا مناوأة الحزب العلوى لها . وصار الملوك يخشون أمر هذه الدعوة . وخاصة « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل فإنه كان من أكبر المناوئين لها لأنه يخشى على ملكه لقربه منهم . وفى سنة ٦٤٤هـ قبض على الشيخ حسن وحبسه ثم خنقه بوتر وبدد شمل أصحابه من الموصل وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، ثم أخذ يختلق الحجج على أحفاد الشيخ عدى ، ويكلفهم ما لا يطيقونه ، ويرهقهم بالضرائب الفادحة . وفى سنة ٦٥٢هـ جهز جيشاً كبيراً عليهم وأعمل السيف فيهم ونبش قبر الشيخ « عدى الكبير » وأحرق عظامه . فأضعف أمر هذه الفرقة . ولا ننسى أن الملك « بدر الدين لؤلؤ » كان يميل إلى العلويين كثيراً ، وأنه بنى الأضرحة والمراقد العديدة فى الموصل لأبناء « الإمام على » ولا تزال هذه الأماكن شاهدة على ما نقول

هذا هو تطور هـذه الفئة من حزب سياسى معاد لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى طريقة صوفية عدوية خالصة لله ، إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى »

الدور الرابع

خروجهم عن الإسلام

وفى القرن الثامن الهجرى بدأ انحراف هذه الفرقة يزداد عن الإسلام ، ودخل التجسم فى اعتقادهم . ولا سيما أن رؤساءهم الدينيين حرموا القراءة والكتابة عليهم فأوقعوهم فى ظلمات الجهل ، وسخروهم لمصالحهم ، وقادوهم حيث أرادوا . ودخل عقائدهم عقائد يهودية ومسيحية ووثنيه وصابئية وخارجية . وكانوا يسترون عقائدهم الزائغة عن الإسـلام بكتمانها وعدم إباحتها . وصاروا بذلك فرقة باطنية خارجة عن الإسلام . ولا ندرى متى تم هذا الانفصال ؛ ولـكن بعض النصوص تصرح بأن يزيدية « جبل مقلوب » بقوا محافظين على إسلاميتهم حتى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهم على المذهب الشافعى كبقية الأكراد ، ولا يشوب عقيدتهم إلا بغض « آل البيت » والتطاول عليهم . ولهذا فإننا نرجح أن انفصال اليزيدية عن الإسلام تم فى العصور المتأخرة أى بعد القرن الحادى عشر الهجرى

عقائدهم

تكفيرهم بقية الأديان

يعتقدون أن الأمم الباقية من مسيحيين ويهود ومسلمين على ضلال . ويجب على « اليزيدية » أن يجتنبوهم لأن إلههم «طاووس ملك» لا يحبهم كما يحب اليزيدية . وعليهم أن يكتموا أمر دينهم وكتبهم المقدسة عنهم ، كما يحذرهم من قراءة كتب هذه الملل لأنها مبدلة . جاء فى كتابهم « الجلوة » « لا تقبلوا كتب الأجانب من اليهود والنصارى والإسلام لأنهم غيروها ، ولـكن اقبلوا ما يوافق سنتى » . وقال أيضاً : « جميع الـكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغوا عنها ولو كتبها الأنبياء والرسل المرسلون لأن كل واحد يبطل الآخر وينفى قوله ويضادده الحق والباطل معلوم عندى حتى وقوع البشر فى التجربة » وهو يوصى أتباعه بالتعاضد والتكاتف ومقاومة من يريد أن يتطاول على تعاليم « طاووس ملك » ، وعليهم أن يحتملوا المصائب والمحن بسبب هذا . وهو لا ينسى نصيبهم من المكافأة فى أحد العوالم . قال فى الجلوة : « الذين يحتملون المصائب والضيقات بسببى لا بد لى من مكافأتهم بأحد العوالم . جميع أتباعى أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا يضادوهم الأجانب . أيهـا الذين تبعتم وصاياى وتعاليمى أنكروا تعاليم الأجانب وأقوالهم لأنى لست أنا معلمها لهم وليست من عندى لا تذكروا اسمى وكتابى أمام الخوارج لئلا تندموا ؛ لأنكم لا تعلمون ما يفعل الأجانب » ونرى كـثيراً ما يوصيهم بالـكتمان والمحافظة على أسرار كـتبهم ودينهم لئلا يطلع الأجانب عليها ، ولهذا فأن اليزيدية لا يبيحون بحقيقة اعتقاداتهم لأحد ؛ وإن باحوا بشىء منها فلا شك أنهم يحرفونها امتثالاً لأمر « طاووس ملك » وقد جاء فى مصحف رش بأن طاووس ملك خلق لهم عدة ملوك قبل الأمويين ، وأن ديانتهم كانت قبل المسيح تسمى وثنية « وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضا قاموا ضد ديانتنا ، ولـكن لن يقدروا عليها ولا علينا قط ، لأن إلـهنا يقوينا عليهم ويعلمنا العلم الأول والآخر »

(للكلام صلة) سعيد الديوه جى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٣٣ — لولا الفول لطاروا

قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى فى كتابه (ألف با): كنت أقرأ على الحافظ بالإسكندرية (رحمه الله وحرسها) جزءاً من تآليفه، فررتُ فيه بحديث يَرويه عن أشياخه عن الشافعى (رضى الله عنهم) قال: الفولُ يزيد فى الدماغ، والدماغ يزيد فى العقل. وأهلُ تلك البلاد[1] ينقطون الفاء بواحدة من فوق، وينقطون القاف باثنتين من فوق أيضاً، فلم ألْقِ بالى، وحسبت الفاء قافاً فقرأت (القول يزيد فى الدماغ) فضحك - وكان حلواً ظريفاً، رحمه الله - وقال لى: القولُ يفرّغ الدماغ أو نحو هذه الكلمة. فقلت له: القول عندى فى الكتاب. فقال: إنما هو الفول، فأعلمني بمذهبهم فى النقط، فقلت له: كيف يزيد الفول فى العقل، ونحن نقول فى بلادنا بخلاف ذلك؟ فضحك وقال: سألتُ عن هذه المسئلة شيخي فلانا فقلتُ له كيف هذا وطَبَرِستان أكثر بلاد الله فولاً، وأهلُها أخفُّ الناس عقولاً؟ فقال لى: لولا الفول لطاروا ...

(الرسالة): كان المرحوم الدكتور عباس حلمى طبيب الأزهر فى عهدنا يرى هذا الرأى ويقول: «لولا الفول لجن الأزهريون من طول النظر فى كتبهم المعقدة»

٥٣٤ — تمنيت وكيلا فسميته صديقا

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى: قلت للهائم أبى على: من تُحب أن يكون صديقَك؟

قال: من يطعمنى إذا جعت، ويكسونى إذا عريت، ويحملنى إذا كلَلْت، ويغفر لى إذا زَللت

فقال له على بن الحسين العلوى: أنت إنما تريد إنساناً يكفيك مؤونتك، ويكفُلك[1] فى حالك، كأنك تمنيت وكيلاً فسميته صديقاً ...

فما أحار الهائم جواباً

٥٣٥ — قد ضل عقلى فى تراكيبه

أنشد للمأمون:

أما ترى ذا الفَلكَ الدائرا ... أبيت من همٍّ به ساهرا
مفكراً فيــه وفى أمره ... فما أرى خلْقاً به خابرا
يُخبر عن لطف تدابيره ... وكيف أضحى للورى حاصرا
قد ضلَّ عقلى فى تراكيبه ... وصار قلبى والهاً حائرا
يا ليت شعرى هل أُرى مرة ... أكون فى أبراجه سائرا
أكون معْ طالعها طالعا ... وتارةً معْ غائرٍ غائرا
حتى أرى جملةَ تدبيره ... وأعلم المستورَ والظاهرا

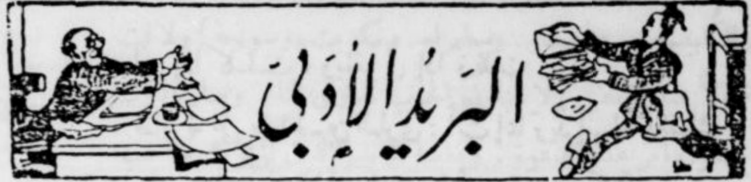
٥٣٦ — الغنى والفقر

سئل أبو محمد الجريرى عن الفقر والغنى أيهما أفضل؟ فقال: لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث: إسقاط المطالبة، وقطع عن المعصية، وتقديم الدخول إلى الجنة، لكفى. فنقل هذا الكلام إلى أبى العباس بن عطاء «أحمد بن محمد» فقال: يا سبحان الله! وأى فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه؟ وأى شىء يكون أعجز من شىء تنافى الله عنه؟ لأن الله أضاف الغنى إلى نفسه، وتنافى عن الفقر، واعتمد على نبيه فقال: (ووجدك عائلاً فأغنى) ولم يقل فأفقر، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر. ثم ذكر عند تشريف أسماء العطاء «إن ترك خيراً»، ولم يقل: إن ترك فقراً. فإن احتج محتج بأنه عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) مفاتيح الدنيا فلم يقبلها وتركها اختياراً؛ فهذه صفة التاركين، والتارك لا يكون إلا غنيا.

---

(١) يعني المشارقة، والمغاربة ينقطون الفاء بواحدة من تحت، والقاف بواحدة من فوق

(١) كفلت الرجل والصغير: علته وقت به (المصباح). «زللت» بفتح اللام وكسرها وقرئ بهما



٣ – الشعر الجديد

إنى أعتبر الحقبة التى نبغ فيها البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ، من أعظم حسنات الدهر على الشعر . فإن هؤلاء الأفذاذ قد أضاءوا لنا الظلمة الحالكة ، بعد أن لبثنا فيها أحقاباً طوالا

فالتفت إليهم العالم العربى – ومصر خاصة – التفات السارى إلى النجم المتألق ، واستمع لهم وأنصت ، وتحلى[1] تغريدهم ، وتدبر معانيهم ، وفقه مراميهم ، واستظهر قصائدهم . ثم لقد ذهبت فينا حِكمهم مذهب الأمثال ، نرددها فى أنديتنا وسوامرنا ، ونستعذبها لقربها من قلوبنا ، وعلوقها بعواطفنا ، وصلتها بأرواحنا

إنهم قد ترجموا لنا حياتنا ، وعبروا عن آلامنا وأمانينا ، وغنوا لنا فى أفراحنا ، ورفهوا عنا فى أتراحنا ، ووصفوا الوصف العُجاب ، وأبدعوا وجددوا ما شاء لهم التجديد والإبداع

لقد نفخوا فى الشعر روحاً ، ونفثوا فى العربية حياة ، وتركوا من ورائهم ثروة زخرت بالنفيس من القول ، والفاتن من التصوير ، والشريف من المعانى

إنهم لم يعنفوا حين عبروا ، ولم يُغربوا إذ فكروا ، ولم يكن الزخرف من صناعتهم ، ولا البديع من مقاصدهم . فجاءت لغتهم صفواً رائقة ، وأساليبهم سائغة شائقة ، وألفاظهم عذبة فائقة

لم تكن ثقافتهم من نوع واحد ، ولا كانت من طبيعة واحدة . ثم لقد اختلفت فى الحياة أعمالهم ، وتشعبت مسالكهم ، وتفاوتت فيها مشاربهم . ولكنهم استقَوْا جميعا من مَعين واحد ، معين الأدب الصافى فى أزهى عصوره ، وأنضر أزمانه . نهلوا منه وعَلُّوا ، ثم نهلوا وعلوا ، حتى استقام لهم القول ، وتَسلسَ منه القياد ، واستحكمت السليقة ، وتمهدت الجادة .

هذا أحدهم حافظ إبراهيم ؛ أخبرنى مرة أنه يكاد يقرأ (كتاب الأغانى) من ظهر القلب ، لطول ما عكف عليه ومارسه .

وكان – رحمه الله – شديد الحافظة ، حاد الذكاء . وكنت أختلف إلى بعض مجالسه التى يذكرها مِن أصفيائه مَن لا يزالون بيننا فى هذه الحياة

فكان يدهشنا حقا بواسع اطلاعه ، وفيض محفوظه ، وعجيب بديهته . وكان له فى تلاوته وقفات حلوة للتعليق والشرح ، والتعقيب والنقد . يتخلل أولئك نوادر من اللغة ، وشوارد من الأدب ، وفكاهات ومقابسات ، وموازنات ومناظرات .

سقى الله مجالسك الغُر يا حافظ ، فقد لا يجود بمثلها الزمان !

فأين هذا – وهو مثال وجيز من عبقرية شاعر – من مُتشاعرى هذا الزمان الذين كلُّ بضاعتهم قشور من هنا ومن هناك ، وثقافة فجة ، وجهل مُطْبِق بالأدب العربى وتاريخه ، وألفاظ ذات بَريق يَلْوُون بها ألسنتهم ، لتحسبها من الشعر ، وما هى منه – لعمرك – فى شىء ؟

أعود إلى تلك الحقبة التى أبرزت شعراءنا الأربعة ، فأزعم أنها لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم فيها من يُعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية .

وقد يكون هذا رأيا خاصاً بى ، لا يَشركنى فيه غيرى ؛ ولكنه رأى هكذا كونته . وقد أعرِض له بشىء من التفصيل ، متى واتت الفرصة .

فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سُدِلت على (المسرح) الستارة . ثم عادت فارتفعت ، فإذا مشهد عَجَب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنُّظَّام ، تلك الفوضى التى يجب أن يتظاهر عليها فضلاء النقاد ، وذوو الرأى من الأدباء ، ليكبحوا من جماحها ، ويفُلُّوا من شِرَّتها .

(للحديث بقية) (ا . ع)

[1] تحلاه : وجد حلاوته

« النقد » بمعنى المال

تناول الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب الأستاذ العقاد « الصديقة بنت الصديق » بالنقد فى جريدة الوفد المصرى فأنكر

البيتين اللذين نسبهما العقاد إلى عروة بن الزبير وأجراهما على لسان عائشة

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

ويقول الأستاذ شاكر : « ولكن العرب لا تعرف « النقد » بالمعنى المفهوم عند المتأخرين بمعنى المال كما يقول العامة « النقد » « النقود » ، وإنما النقد عندهم تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . والنقد عندهم أيضاً خلاف النسيئة ، وله معان أخر ليس منها المال نفسه ، فإن شاء الكاتب الجريء - يريد العقاد - أن يكابر في هذا فليذكر لنا نصاً صريحاً ثابتاً من كلام الفصحاء شعراً أو نثراً يذكر فيه « النقد » بمعنى المال نفسه » [1]

فنحن ندلي بالنصوص التي حضرتنا مؤيدة لهذا المعنى

يقول الزمخشري : « نقد جيد ونقود جياد » [2] ، وابن قتيبة الدينوري يحدثنا في أخباره العيون الغر فيقول : قال إعرابي :

وفي السوق حاجات وفي النقد قلة
وليس يُقضى الحاج غير الدراهم [3]

ويقول : قال دُليم :

الله لَقّي من عرابة بيعة على حين كان النقد يعسر عاجله [4]

ويقول الحريري في مقامته التاسعة والعشرين « الواسطية » : « فقد وُليت العقد، وأُكفلتُ النقد » [5] . قال شارح المقامات أبو العباس أحمد القيسي الشريشي : « النقد هو المال الحاضر » [6]

وقد استعمل هذا المبنى لذلك المعنى المؤرخان الجليلان أبو الحسن المسعودي [7] وابن خلدون [8] .

هذا ما حضرني - والذهن كليل - من تراث العرب ، وهو صريح في جواز استعمال كلمة « النقد » بمعنى المال كما هو معروف اليوم

سعد محمد حسن

(١) الوفد المصري عدد ١٥ فبراير سنة ٤٤
(٢) أساس البلاغة ج ٢ ص ٤٦٩ طبع الدار
(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٢ طبع الدار
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٤
(٥) مقامات الحريري ج ١ ص ٣٣٣ طبع بولاق
(٦) شرح المقامات ج ٢ ص ٩١ طبع بولاق
(٧) التنبيه والأشراف ص ٢٠ طبع الصاوي
(٨) المقدمة ص ١٨٣ وما بعدها طبع عبد الرحمن محمد

إلى الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك

سيدي الأستاذ

سلام عليك في عزلتك بعد ما ملأت الأسماع لطفاً وظرفاً ؛ وبعد : فقد حدثني الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي عنك حديثاً يوزن وزناً . وقد جرَّ إلى الحديث عنك رأيك الذي أبديته في الشعر الحديث ، ونظمك لي مع أستاذنا الكبير خليل مطران في سلك واحد . ولقد شاء فضلك ومحلك في الأدب أن ترى في شعري رأياً أعده كثيراً على جهدي وإسرافاً في مثلي . ولكنك رضيت فارتأيت ! ولولا أن أستاذنا الجليل النشاشيبي عاد إلى فلسطين بعد أن كان تسليمه علينا وداعاً ، ومقامه بيننا غمضة عين ، وخفقة قلب ، وحسوة طير ؛ لولا ذلك لزرتك في صحبته ، وسعيت إليك في بطانته .

ولكنني ألقاك على صفحات « الرسالة » الغراء ؛ فرأيك فيها وفي صاحبها مما يسر أن نُذيع به . فأجعلها اليوم رسولي إليك ، لشكرك والتسليم عليك . والسلام

محمد عبد الغني حسن

في ديوان « حافظ بك ابراهيم »

كتب الأديب رضوان العوادلي بالبريد الأدبي من مجلة الرسالة الغراء العدد (٥٤٣) ما نصه :

« نسي الأستاذان أحمد أمين والزين أن يوردا هذه (القصيدة) في ديوان (حافظ إبراهيم) ؛ فآثرنا نشرها في الرسالة الغراء »

أنا في يأس وهم وأسى حاضر اللوعة موصول الأنين
ستهين بالذي (لاقيته) وهو لا يدري بماذا يستهين
سور عندي له مكتوبة ودّ لو يسرى بها الروح الأمين
إنني لا آمن الرسل ولا آمن الكتب على ما يحتوين

وكم أود أن أظفر بشعر لم يضم بعد إلى ديوان حضرة شاعرنا الكبير - فأشعاره - رحمه الله - هي ذخر فنيّ قيم - وثروة أدبية طائلة يعتز بها كل أبناء العربية - ولكن الأبيات هذه مثبتة بالديوان المذكور لم ينسها جامعوه ، وهي

بالصفحة (٢٤٩) من الجزء الأول في باب النزل تحت عنوان : « رسائل الشوق »

إلا أن ثَمّ اختلافا في ترتيبها — فيه — والأحجى أن يكون الترتيب كما ذكره الأديب ، وكما جاء أيضاً في مجموعة (مختارات الزهور) الصادرة لسنة ١٩١٦ بعنوان (لوعة وأنين)

وبعد ، فلحضرة الباحث الكريم جزيل احترامي .

(مكة المكرمة) حسين عبد الله القرشي

« أبو شوشة والموكب » لمحمود تيمور بك

للأستاذ محمود تيمور بك اختيار لطيف لأبطال مسرحياته وقصصه ، فهو يوائم دائماً بين الاسم وصاحبه حتى لتجد المطابقة بينهما تامة غير منقوصة . ففي مسرحيته الفاتنة (سهاد) ترى (أم سرعرع) علماً على العرّافة ؛ وترى (أقيش وقرطيش) علمين على القَزَمين اللذين يثيران الضحك في كل حركة أو كلمة . وفي مسرحيته (المنقذة) ترى (شلبية) قارئة البخت . وفي مسرحيته (قنابل) ترى القزم (كتكوت) وناظر الزراعة (حواش افندي) . وفي مسرحية (أبو شوشة) ترى شخصية (الشيخ غندور) وهو شيخ أخفق في دراسته فاتخذ من (عطوة باشا) سبيلاً إلى التندُّر والمضاحكة في مجلسه

ومحمود تيمور يختار لمسرحياته الأزمان التي توافق فنّه الرفيع ؛ كما يختار لها الأمكنة الملائمة . فسرحية (سهاد) مثلاً زمانها عصر الخلافة الإسلامية ، ومكانها الصحراء العربية بوديانها وكثبانها ومضارب الخيام فيها . ومسرحية (المنقذة) مكانها مصر وزمانها عصر المماليك . ومسرحية أبو شوشة مكانها مصر وزمانها عصرنا هذا وأشخاصها مصريون أصلاً . وكذلك مسرحية (الموكب) التي طبعها محمود تيمور مع (أبو شوشة) في كتاب واحد

وفي أغلب مسرحيات تيمور طابع من (الفكاهة) المتمثلة في شخصيات مضحكة ؛ وهذه الشخصيات يعرضها المؤلف دائماً في معرض التهريج والعبث . (فالشيخ كروان) مهرّج من المرتزقة الطاعمين من فتات موائد الأغنياء . وهو أضحوكة مسرحية (الموكب) . والشيخ (غندور) مهرج آخر في مسرحية (أبو شوشة) ؛ فهو أزهري متحذلق . وقد اتخذه عطوة باشا سميراً ونديماً ... لا بل اتخذه مضحكاً ومهرجاً ... ! فهو حين يقدّم إلى مؤنس بك ينحني ويقول Enchanté . فيضحك الجمع منه ، والمؤلف هنا بارع ، فهو لا يُنطق الشيخ (غندوراً) إلا بهذه اللفظة الفرنسية ، ويترك القارئُ وحده يضحك لهذا الشيخ المتفرنس !

أما الشيخ (كروان) مهرج مسرحية (الموكب) فهو شيخ متحذلق أيضاً ؛ إلا أنه يزيد على صاحبه « غندور » بالثرثرة والسجع المتكلف والتملق المرذول . اسمعه مثلاً وهو يخاطب (فضل الله باشا) [أقسم برب الكعبة المشرفة ، غير حانث ولا كاذب ، أنك رجل هذا العصر ، ومنارة مصر ، وأوحد الدهر — ص ٨٣] . ولا يكتفي الشيخ بهذا بل ينشد أبياتاً في مدح الباشا يصفق لها السامعون ويشتركون في الضجيج حتى المتوقرون منهم أمثال بديع بك وزهرية هانم

والمؤلف ليس عنيفاً في إدارة الحوار وتجلية الطبائع ، ولكنه يسوقها في هدوء بالغ . ولست تحس وأنت تقرأ « تيمور » عنفاً أو صخباً أو جلبة . ولكنك ترى الهدوء الذي ينطوي في الإلغاز والرمز . وهذا سر أن مسرحيات تيمور لا تختم بما تختم به مسرحيات غيره من المؤلفين . ولعل هذا سبب في أن المسرح المصري لم يحظ من مسرحيات تيمور بتمثيل العدد الكثير . فإن إخراج مثل النوازع النفسية الباطنة في مسرحياته يحتاج إلى مخرج بصير مدرك ، وجمهور أعمق مرامي من جماهير المسرح اليوم .

الحق أن محمود تيمور فنان مخلص لفنه ، فلا تنقطع بينهما صلة على الرغم من أثقال الزمان . وقد أخرج من عهد قريب مسرحيتي (المنقذة وحفلة شاي) ومسرحية (قنابل) وهاهو ذا اليوم يخرج (أبو شوشه والموكب) في اللغة الفصحى التي كان المغفور له والده علماً من أعلامها . ولا شك في أن نشر « مجلة الصباح الدمشقية » لهاتين المسرحيتين بعد مشاركة طيبة من سورية الناهضة في إعلاء شأن المسرح العربي الحديث . وهي مشاركة سبقها فيها (لبنان) الأشمُّ بنشر (نداء المجهول) للمؤلف نفسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12 me Année No. 560

Lundi - 27 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٤٤ » العـــدد ٥٦٠

الفهـرس

أبو العـــلاء المعرى

بمناسبة عيده الألفى



في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ٣٦٣ ، والشمس في الغروب، والقمر في المحاق[1] ، والمعرّة في همود الكلال، والطبيعة في فتور الكرى، وُلد الطفل النبيل الضئيل أحمد أبو العلاء!

كان في ظلام الرحم ، وولد في ظلام المشيمة ، ثم عاش في ظلام البصر ، وانتهى إلى ظلام القبر! ومن هذا الظلام المتصل[2] نسج القدر حياة أبي العلاء وأنشأ عواطفه ، وسود فلسفته ، وأبهم عقيدته ، وأوحش نفسه!

(١) المحاق : ثلاث ليال من آخر الشهر لا يرى فيها القمر

(٢) لم يبصر أبو العلاء الدنيا إلا ثلاثة أعوام قبل أن يصاب بالجدري كانت عليه ظلاماً معنوياً لقلة وعيه وضعف إدراكه

ومن هذا الظلام أيضاً تفجّر النور كله على قلبه وعقله، فكان آية من آيات ربه الكبرى في ذكاء الفهم ولطافة الحس وقوة الحفظ ودقة التخيل. وهو القائل:

سواد العين زار سواد قلبي ليتفقا على فهم الأمور

وإذا كان لكل عاهة من عاهات الحس تعويض من قوى الروح، فإن لها كذلك أثراً شديداً في حياة المَئوف، ترسم له الطريق وتعين له الغاية. فعاهة أبي العلاء فرضت عليه أن يجعل العلم شغل حياته؛ واختارت له من العلم أنواعه النقلية والنظرية مما تغني فيه الحافظة وتعين عليه المخيّلة، كاللغة والدين والشعر، ووسائلها من الرواية والنحو والصرف والعروض؛ فقضى عمره[1] الأول بين أيدي الشيوخ في الشام وبغداد، أو على مقاعد المكتبات في المساجد والأديرة، يسمع ويعي، ويجمع ويستوعب، حتى لم يدع كلمة في معاجم اللغة وكلام العرب إلا علِقها، ولا مسألة من مسائل العلوم الأدبية إلا حذقها. ثم قضى عمره الثاني معتكفاً في داره، يُعسِّل الشهدَ تعسيل النحل امتلأت بطونها برحيق الزهر المختلف، ويُقطّر الزلالَ تقطير المرشّح الضخم أُفعم جوفه بماء السيل المشوب. ولغلبة الأدب على حافظته لم ينضح فؤاده إلا به؛ وكتبه التي أملاها وهي تربى على المائتين لم تخرج عن فنون الأدب المختلفة. أما علمه بالفلسفة وسائر العلوم فقد كان علم الأديب، يأخذ منها ولا يعطيها، ويشارك فيها ولا يختص بها. وأروع مظاهر النبوغ في ثقافته الأدبية إحاطته باللغة إحاطة المستوعب، حتى كانوا إذا عدوا من رُزقوا السعادة في شيء لم يؤته الله غيرَهم، عدوا أبا العلاء ممن تفرد بالاطلاع الواسع على لسان العرب. ومن هنا طغى الغريب على نظمه ونثره؛ إذ كان همه مصروفاً إلى تقييد الأوابد اللغوية مما جمع عليه وعاء قلبه. وما كان في نية أبي العلاء أن يكتب لدهماء الناس، إنما كان يكتب لنفسه ولتلاميذه. فهو ينظم ليرتاض، ويؤلف ليسجل، ويملي ليعلم. ومن قوله في مقدمة سقط الزند: «لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، ولا مدحت طلباً للثواب، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس[2]» فإذا كتب للعامة أشرق لفظه وسهل أسلوبه، كما صنع في كتابه (سيف الخطيب)، وهو مجموعة من الخطب المنبرية ألفها على حروف من حروف المعجم، ثم قال: «وتركت الجيم والخاء وما يجري مجراهما، لأن الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سجسجاً سهلاً»

وعاهة أبي العلاء هي التي جذبت إليه العيون وشغلت به الألسن؛ لأن الضرير الذي يجيد النرد والشطرنج، ويدخل في كل باب من أبواب الجد والهزل، ويحفظ من مرة واحدة ما يرد على سمعه مما يفهم وما لا يفهم، عجيبة من العجائب التي يجب أن تُرى، وتستحق أن تُروى. وا كتظاظ مجلسه بالناس سبيل إلى الفضول والتزيد منهم، وإلى مقابلة الحال بالحال وموازنة الحظ بالحظ منه. وأبو العلاء الذي خُلق بحكم منبته الكريم عزيز النفس رفيع الهوى ظاهر المزية، كان يستشعر العجز والنقص بما يعلم من انطفاء بصره ودمامة وجهه وضآلة بدنه وقصر قامته، فكان لذلك شديد التيقظ لحركات الجالس وكلمات المتكلم. وربما أساء الظن ببريء، وتوهم الإساءة من محسن. وهو في طعامه وهندامه وسلامه وقيامه عُرضة للخطأ ومظنة للمؤاخذة؛ فكان لا ينفك متزايلاً ضجِراً يديم الحذر ويؤثر العزلة

صاحب أبو العلاء الزمان ولابس الناس وراود السعادة حتى استحار شبابه، فلم تزده الأيام إلا يقيناً بعجزه الطبيعي عن مجاراة الأنداد في سباق الحياة، وعن مرضاة النفس بلذات العيش، وعن منازلة الخصوم بسلاح الإفك، فانقلب إلى داره نافضاً كفيه من دهر لا رجيّة له فيه، وعالَم لا صديق له به، ونعيم لا نصيب له منه. وساعد على إمضائه نية الاعتزال لجيمته في أمه وهي الظل الذي يأوي إليه، والسبب الذي يتعلق به؛ فزهد في الدنيا وصدف عن الناس، وأخذ نفسه بالخشونة والحرمان خمساً وأربعين سنة لا يلبس غير القطن، ولا يفترش غير اللبد، ولا يأكل غير العدس، ولا يتفكه إلا بالتين. وهو في أثناء ذلك الدهر الطويل منطو على نفسه، متحامل على ذهنه، يحوك القوافي ويصوغ الأسجاع في التسبيح لله، والتزهيد في العيش، والترغيب عن الزواج، والزراية على أم دَفر[1]، والتنديد بأبي البشر، والتشنيع على رياء أهل الدين وجور أصحاب الحكم، والتشكيك في صلاح الأنظمة والشرائع.

كان أبو العلاء في شبيبته نسيم رحمة، ثم صار في كهولته عاصفة دمار! ولعله لو كان بصيراً متفائلاً كالجاحظ، أو ضريراً شهوان كبشار، لتبدل حكمه على الدنيا، وتغير رأيه في الناس!

أحمد حسن الزيات

(١) العمر أربعون سنة، وناهز فلان العمرين إذا قارب الثمانين
(٢) السوس: الطبيعة، تقول: الفصاحة من سوسه أي من طبعه

(١) أم دفر: هي الدنيا في شعر أبي العلاء

على هامش العيد الألفي

لأبي العلاء

بقلم صديقه الأستاذ كامل كيلاني

[وهي صفحة من مقدمته التحليلية لرسالة الهناء ، إحدى رسائل المعري المخطوطة . وستظهر للناس مشروحة مضبوطة بقلم الأستاذ عما قليل]

القدرة الالهية

يرى أستاذنا الجليل « أبو العلاء » — فيما يراه — أن قدرة الله ، سبحانه ، لا يعجزها شيء ؛ فاليَبيس مستعيدٌ — بمشيئته — بعد اصفراره ، شبابه وخضرته ، مسترد — بعد مواته — حياته ونضرته

والنيران الملتهبة متفجر لهيبها — بأمره — مياهاً سائلة ، والطبيعة الإنسانية متحولة — بإذنه — من الغَدْر إلى الوفاء . والأغنام متغيرة طبائعها — بحكمه — مستبدلة بضعفها قوة ، وباستخذائها إقداماً وعزيمة ، متخيرة من عرين السباع سكناً تأوي إليه وتقر فيه

وهكذا يسترسل أبو العلاء في خياله البارع ، وأسلوبه الساحر الفياض بالدعابة القاسية والتهكم اللاذع ، والسخط المرير ، فيثبت لنا عما ألفناه من طرائق إثباته المبدعة أن الطبيعة الإنسانية لا سبيل إلى استقامتها واستوائها ، إلا إذا تغيرت طبائع الأشياء كلها ، وانقلبت حقائق الكون الثابتة ، فدبت الحياة في الهشيم ، وتحولت النار ماء ، والأغنام المستضعفة سباعاً ضارية

وإلى القارئ النص العلائي الذي فصلناه :

« إذا أذن ربنا اخضر الدرين (اليبيس)

وتبجست — بالماء الإرين[1] (النيران)

ووفى لقرينه ، القرين ، وراحت الساجسية (وهي ضرب من الغنم) ومأواها العرين ...

وذلك — من القدرة — ليس ببديع ! »

(١) جمع إرة ، وجمعها على وجهين — كما يقول المعري — إن شئت أن تجعله مثل الزيدين (بواو في الرفع وياء في النصب والخفض) . وإن شئت أن تجعل نونه مثل نون مسكين ، فتجرى عليها الاعراب

وفي رسالة الهناء هذه التي نجلوها لرواد الأدب العلائي في عيده الألفي[1] يقرر لنا شيخ المعرة كيف يتحول الطبع الإنساني من الكذب إلى الصدق ، ويسلك في تقريره مثل ذلك النسق الفريد المبتدع الذي سلكه في فصوله وغاياته ، فيتمثل صاحبه وقد انشقت له لجج البحار بإذن الله ، كما انشقت من قبل لموسى الكليم ، ثم يتمثل دهشة الأسماك — حينئذ — مما حدث ، ويتخيل حيتان البحر وهي تتحدث متعجبة متطلعة إلى تعرف اسم ذلك الشيخ العظيم الذي تمت على يديه المعجزة ، مضاعفة لصاحبه الثناء ، داعية له بطول البقاء ، وموصول السعادة والهناء ، مبتهلة إلى الله أن يجزل له في عطائه ومكافأته ، في دنياه وآخرته ، جزاء ما أسلف للناس من مكرمات ، وأسدى إليهم من حسنات

فإذا انتهى شيخ المعرة من هذا التمهيد ، راح يصف في براعته النادرة ، وألمعيته الساخرة ، كيف تأذن القدرة الإلهية أن تخمد نيران الكذب ، ومتى تريح العالم من لهيبه المستعر ، الذي لا يُبقي ولا يَذَر

ولكنه يبني آماله البعيدة على مقدمات تسبقها ، وهي في قدرة الله هينة ، وإن كانت في طاقة البشر مستحيلة التحقيق

فهو إذا شاء — سبحانه — أمر اللجج الملاح ، فأصبحت عذباً سائغاً حلو المذاق ، وانقلبت ملوحتها المفرطة في المرارة شهداً مفرطاً في اللذاذة والحلاوة

وهو إذا شاء — سبحانه — جعل السفينة تمشي على اليابسة ، وتصبح قبساً متوهجاً من السنا والنور ، كأنما قُبِس لتوه من شعلة من النار ملتهبة . وليس هذا بالمطلب البعيد المنال ، متى أذن من أبدع الأكوان على غير مثال

وهو إذا شاء — سبحانه — أمر الريح أن تحمل السفينة وأن تطير بها في أجواز الفضاء ، كما حملت عرش « بلقيس » في غابر الزمان ، فإن القياس يجوِّز وقوعه ورضاه ، والقدرة تُقر حدوثه ولا تأباه

ولو شاء ـ سبحانه ـ لجعل أسماك البحر وحيتانه آمنات ممتعات ، في رغد من العيش هانئات ، يتهادين في ذرا الجبال الشامخات ، ويمرحن في أرجائها الفسيحة منطلقات ، ويجرين

(١) ولد أبو العلاء يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ بمعرة النعمان ، وتوفي ليلة الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ .

فى جنباتها مسرعات ، كما تجرى أسراب النعام فى واسع الفلوات ، زرافات وجماعات .

***

وهنا يتمثل « أبو العلاء » صاحبه ـ وقد تم له المراد ، وبلغ من غايته ما أراد ـ ويتمثل القدرة الإلهية التى لا يعجزها شيء ممتنع فى العقول ، وقد أذنت لمياه البحر أن تعود إليه ، وأعلنت كلها بأن ينصلح ما فسد من الزمان ، ويستقيم ما اعوج من طبع الإنسان ، وتنطفيء نيران الإفك والبهتان

ومتى تحققت هـذه الخوارق والمعجزات ، انتصر الصدق على الأكاذيب والترهات ، فلنرتقب مع شيخنا المعرى هذه النتائج الباهرات ، فلسنا بائسين من الفوز والظفر ، والعاقبة لمن تأنى وصبر

لعل الكثيرين من قراء « ابن الرومى » يذكرون ـ بهذه المناسبة ـ أسلوبه البارع فى سخريته من الوزير « أبى الصقر » حين ولى الديوان ، وعجب خصومه من تلك الطفرة ، وكيف تظاهر « ابن الرومى » باستنكار ما تخيله من دهشتهم فقرر لهم معابثاً ساخطاً أن ظفره بذلك المنصب ليس أعجب من ظفره بالانتساب إلى أسرة « شيبان » العربية الكريمة مع أنه من الأعجام ، ولكن الحظ السعيد يصنع الأعاجيب ، والقدرة الإلهية تفعل ما تشاء من الغرائب ، ثم ختم دعابته القاسية بقوله :

إن للحظ كيمياء ، إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء ، كما شا ء ، متى شاء كائناً ما كانا

وللمعرى فى هـذه الرسالة مثل ما له فى غيرها من منثوره ومنظومه : فنون معجبة فى وصف ما تبدعه القدرة من تصوير الأمانى والأحلام ، وبعث الهواجس والأوهام ، شخوصاً بادية للعيان ، ماثلة فى الخلد والجنان

وهو لا يفتأ يتمثل جميع الكائنات ، من جماد وحيوان ونبات ، وكواكب وسيارات ، وحروف هجائية وكلمات ، وقواف وحركات ، وأصفار وأعداد وأرقام مضروبات ومقسومات ، كأنما هى أناسى مثلنا ، موفورة الإحساس بالحياة ، تألم مثل ما نألم ، وتتناجى كما نتناجى ، وبعرض لها كما تعرض لنا ـ ألوان من الأمانى والرغبات ، وتستحر بينها ضروب الفتن والعدوات وتعلن فى منطق ـ هو على خفائه عنا ـ بليغ فصيح ، رائع التقديس والتسبيح ، تبتهل بصادق الدعوات ، فى الغدوات والآصال والروحات ، لخالق الأرضين ومبدع السموات

فلا غرو إذا رأيناه يتمثل ـ فى هـذه الرسالة ـ طريقاً ضيقاً يبتهل إلى خالقه أن يجزى صاحب « المعرى » أحسن الجزاء مكافأة له على ما بذل من صالح المسعى ، ويتجه الدرب إلى الله أن يبدل من شعابه الضيقة ، مسالك وطرقاً فسيحة الرحاب ، تغدو ـ لفرط سعتها ـ كأنها الصحارى والسباسب ، لا تضيق بالعدد الأوفر من الجيوش الحاشدة والمواكب . وأن تتبدل أحجار الأكمة الخشنة ، فتصبح بعد خشونتها ناعمة ، كأنها لملاستها رق نعام

ثم يتمادى فى خياله فيتمثل القدرة الإلهية قد بدلت لصاحبه أحجار التلال موائد حافلة بلذائذ الأطعمة والأشربة ، يصيب منها الجائع ويرتوى الظمآن كما شاء ، لا يتكبد فى ذلك مشقة ولا عناء

وللمعرى ـ فى غير هذه الرسالة أيضاً ـ من روائع الصور الفنية التى يتمثل فيها من عجائب القدرة الإلهية ، ما لا تتسع له هذه الإلمامة الموجزة ، فلنجتزىء من ذلك بوجازة خاطفة ، تاركين التفصيل لفرصة أخرى ، فهو يقول فى فصوله :

« يقدر الله على المستحيلات : رد الفائت ، وجمع الجسمين فى مكان ، وما لا تحتمله الألباب ، إذ كان لا ينسب إلى عجز أو انتقاص . فإذا مررت بعود بال ، فاعلم أن الله يستطيع أن يكسوه أخضر كخضرة الحسام ، حتى يورق ورقاً ، كعدد الرمال ، ويقف على كل ورقة ورقاء (حمامة) تعبده بألحان معبديات (منسوبة إلى « معبد » المغنى المعروف) » أو يقول :

وفى قدرة الخالق أن يجعل الراحة (بطن اليد) ذات ذوائب ، والهامة (الرأس) كفاثور اللجين (خوان الفضة) وأن يجرى الفضة من الفجاج » أو يقول : « والله ـ بقدرته ـ يطير ذوات الأخفاف »

ثم يسبح الخيال بأبى العلاء . فيستبق الأجيال ، حتى ليتمثل عصرنا الحاضر : عصر السرعة الخاطفة وما يتلوه من عصور ، متنبئاً بما كشفه العلم وما لم يزح الستر عنه إلى اليوم ، فيقول :

« إن شاء المليك قرب النازح وطواه ، حتى يطوف الرجل ـ فى الليلة الدانية بياضُ الشفق من حمرة الفجر(١) طوفه بالكعبة حول « قاف » (وهو ـ فيما تقول الأساطير جبل محيط بالأرض) ، ثم يؤوب إلى فراشه والليلة ما همت بالإسحار »

(١) يعني فى الليلة القصيرة التى يقترب نهاية شفقها من بداية فجرها

الأدب والأخلاق (*)

للأستاذ عمر الدسوقى

تقديم:

ربِّ ! إلى أين نحن سائرون ؟ وما هذه العواصف التى تعصف بنا من كل صوب ؟ وما هذا الفيض المنهمر الذى ترمينا به المطابع فى هذه الأيام ؟ أبلغنا حدَّ الترف العقلى والعمرانى ، وأخذنا نصيبنا كاملاً من ضروريات الحياة ، والغذاء الصحيح للعقول ، ومقومات الأخلاق والشخصية ، ولم يبق أمامنا إلاَّ أن نعكف على مخلفات الحضارة الأوربية نلتقط منها الغث والسمين ، والنافع والضار ، والجميل والدميم ، وما يلائمنا وما لا نستسيغه ، وما لا يوافق طباعنا وعاداتنا وجوهر شخصيتنا ؟

أهو اتجار بعقلية الجماهير ، واستغلال لرغبتها الملحة فى القراءة ، وحُمَّى من حميات كسب المال التى ملكت على بعض الناس عقولهم وألبابهم فى هذه الأيام العصيبة ؟ أم هو افتتان بما أوقع أوربا فى التهلكة ، وفكك فيها الأسرة والشعب ، وطوح بالأخلاق والفضيلة والإيمان ، وجعلها تنبذ المثل العليا ، ولا ترى إلاَّ المادة المزرية هدفاً يذلف إليه ويتناحر الناس فى سبيل الوصول إليه حتى أرداهم حرصهم عليه فى ذلك الأتون المستعر الذى كاد يودى بالطارف والتليد؟

وإلاَّ فما هذا القصص الخليع الذى يثير الشهوة ويقتل الحياء ، ويلطم وجه الفضيلة والشرف ، ويوحى بالإجرام والفسق ؟ وما هذا الأدب الموبوء الذى يزلزل العقيدة ويخدش العفاف ؟ إنه ورد آسِنٌ وغذاء عفنٌ وايم الحق ، وأحرى به أن يصادَر ، ويؤاخذ المتجرون به أخذاً عنيفاً على ما أجرموا فى سبيل أمتهم الشادية فى العلم والحضارة ! إنهم يريدون مسخها وتشويهها حتى تتناسى ماضيها ، وتفقد ما كمَنَ فيها من عزة وأنفة ، وتنسى أن لها ديناً يعصمها من الزلل والعثار ، وتاريخاً يزخر بالبطولة والمثل العليا ، وأدباً هو وحى الفطر السليمة

ولقد أعدت الحمى كثيرين فأخذوا يقلدون هذه السِّلع الدخيلة من غير وعى ، ويصورون أسوأ ما فى مجتمعاتنا مرة باسم « الأدب الواقعى » وتارة باسم « الأدب الحُر » ، وأخرى باسم « الفن للفن » ... إلى غير ذلك من هذه العلامات التى رأوها ملصقة على الآداب الواردة من الخارج ، دون أن يدركوا ما فى انتحالهم هذا من عبث وهَذَر وتزييف وتقليد غث

إن تملق النزعات الوضيعة عند الجمهور ، وبعث الغرائز الدُّنيا لدى الإنسان من معقلها ـ وقد حاولت الأديان والأخلاق والعلم الصحيح كبتها وتهذيبها ـ تحت هذه الأسماء الزيفة التى جئت على الغرب من غير أن نتعظ بمأساته جُرم لا يغتفر

ليس للأدب الواقعى قيمة لا من جهة الفن ولا من جهة المغزى ؛ لأنه محاكاة لما فى الطبيعة أو لما فى البيئة الإنسانية محاكاة لا تصرُّف فيها ، فلا تظهر شخصية المؤلف أو إحساسه الخاص ، أو ما يضفيه خياله على الصورة المنقولة ، وكل ما له من جهد أنه جرد الصورة مما يحيط بها وحاول إبرازها بأداة تعبيره ، على قدر استطاعته ، طبق ما فى الخارج

ففن المؤلف هنا سلبى محض ، وأما المغزى ، فالأصل دائماً أروع وأبلغ وأكبر أثراً فى النفس من التقليد . ولم أجد رداً على هذا المذهب أشفى من رد أرسطو حين يعرف الأدب فى كتابه الشعر « بأنه تقليد الناس بصورة خير مما فى الحياة أو شر مما فى الحياة » مهملاً مطابقته لما فى الحياة ؛ « لأن الأصل أمامنا أبداً وهو أبلغ وأقوى » وبدهى أن أرسطو قصر الأدب

(*) هذا المقال رد على من علقوا على مقالى « المرأة » المنشور بالرسالة فى العدد ٥٥٠

وثمة يطفر به خياله الوثاب ، فيتمثل فى عالم الامانى والأحلام ما بلغه العلم بعد عصره بألف عام ، فيتخيل الإذاعة اللاسلكية التى أصبحت الآن حقيقة راهنة بعد أن كانت وهماً من الأوهام فيقول : « ويسلم بمكة ، فيسمعه أخوه بالشام » ؛

ثم يتمادى فى خياله فيتمثل الإنسان وقد استطاع أن ينقل النار فى لحظات من مكان قصى إلى آخر ، أو يتخيله يغص باللقمة وهو فى « خراسان » فيسرع إلى ماء « زمزم » ليستقى منه ويزيل غصته به . أو بغيره من المياه البعيدة النائية ، فيقول : « ويأخذ النار من تهامة ، فيوقد بها النار فى يبرين وقاصية الرمال . ويجاز بأكيلته (يغص بلقمته) فى قصور فرغان (فى خراسان) فيعتصر بماء المضنونة (زمزم) أو جراب (موضع بعيد ، فيه ماء)

أمل كبهوتى

بتعريفه هذا على المأساة والمهزلة ، ولا يعنينا تبيان رأيه هذا إلا بالقدر الذى سقناه إليه ؛ إذ يريد إثارة العواطف والمشاعر فى الناس ، ولذا فهو يبالغ فى مُثل الخير حتى يحمل الناس على احتذائها ، ويبالغ فى تصوير مثل الشر حتى ينفر الناس منها

ثم لماذا لا يقلد هؤلاء باسم « الأدب الواقعى » إلا الصور الدميمة التى تدفع إلى الرذائل ذوى القلوب الخاوية والأخلاق الرقيقة ، ومن ليس عندهم مبادئ تعصمهم أو إيمان يردعهم ، ومن تسهل غوايتهم وإضلالهم ؟

أما « الفن للفن » أو الفن المقصود لذاته فعبارة يريدون بها أن ليس للفن وظيفة يؤديها فى الحياة ، وأنه لا يحكم عليه بأمور خارجة عنه فلا يقال : إنه صادق أو صحيح أو نافع أو مهذب أو ضار أو كذب ، وإنما هو التعبير لمجرد التعبير دون أن نتوقع منه أن يخبرنا بشىء أو يقنعنا برأى

إما أن يكون للكلام معنى أو خالياً من المعانى ، فإن كان له معنى ، فإما أن يكون المؤلف قد عناه وحاول التعبير عنه أو يكون قد جاء عفواً دون أن يدرى به أو يقصده ، فإن كان قد عناه ورمى إليه بعبارته فليس أدبه من الفن للفن ؛ وإن كان رمية من غير رام وشيئاً صدر عنه من غير أن يشعر به أو يعمل فيه فكره — فلو سلمنا بهذا — لم يؤاخذ عليه صاحبه لأنه أشبه بهذيان المحموم وعبارات المعتوه لا يعنيها ولا يريدها ولا يسأل عنها أو يحاسب عليها . ومثل هذا حرى بنا ألا نشغل به عقولنا أو نسميه أدباً . وأما إن كان الكلام خلواً من المعانى فحسبنا أنه كذلك ، فهو لغو وهراء فهل هذا هو « الفن للفن » ؟

إنى أفهم « العبارة » على أنها وسيلة لنقل معنى فى نفس المؤلف يريد أن يفضى به للقارئ ، لا غاية فى ذاتها ؛ وهذا المعنى سيؤدى وظيفته من تأثير فى نفس القارئ بالخير أو الشر ، وسيصدر عليه القارئ حكمه حتماً حسب استعداده وحسب قوة وصوله إليه أو ضعفها — تبعاً لمهارة المؤلف الفنية — سواء أراد المؤلف ذلك أم لم يرده . أما ألا نوجه للفن حكماً خارجاً عن طبيعته ، فأغلب الظن أن هذه نظرية أرادوا بها التخلص من التبعات والهرب من النقد ، والتستر وراء الفن حتى لا يهاجموا أو يحاكموا إن ندّ فكرهم أو شردت أغراضهم عن المألوف ، أو طعنوا الفضائل واستخفوا بالأخلاق

مهمة الأدب

الأدب صورة لما يتجاوب فى النفس الإنسانية الملهمة الفنانة من فكر وإحساس ورغبة ، فنفس الأديب تتأثر تارة بما فى الحياة من تجارب ومناظر وحقائق وإحساسات فتنفعل لتلك المؤثرات وتتحد معها وتضفي عليها من إلهامها وخيالها ومشاعرها ثم يبرزها بعد ذلك الانصهار ليتأثر بها غيرها ، وتارة تنبع تلك الصورة من النفس ذاتها وما اختزنته من تجارب وما أدته من علم وخيال . وفى كلتا الحالتين هنـاك صورة تختمر فى نفس الأديب تظهر في عبارة لتنتقل إلى القارىء ، وكلما كان تأثر الأديب بالصورة عظيما ، وتعبيره عنها قوياً ، كان تأثيرها فى القارئ لا يقل عن أثرها فى نفس مبدعها .

وما دام الأدب لا بد أن يمر على النفس الإنسانية ويصـدر عنها ، فمظاهر هذه النفس تحدد لنا الغاية من الأدب والمهمة التى يضطلع بها فى الحياة .

نعلم أن للنفس الإنسانية ثلاثة مظاهر : تفـكير ووجدان وإرادة . فالتفكير يبحث عما في الحياة والكون من حقائق ، ويتفهم ما فى هذا العالم تفهماً صحيحاً عارياً عن اللبس والغموض ، فغاية هذا المظهر الحق

والوجدان يتأثر بالجمال والجلال والقوة ، والألم والأمل ، وينفعل بكل ما يثير العاطفة ويغذيها ويرهفها ، فغايته الاهتداء لمواطن الروعة والجمال ، سيان فى ذلك ما يوجد فى الكون والطبيعة ، وما يُرى فى الحياة الإنسانية من تصرفات ومآسٍ وخلق ، فما كان منه منسجما رائعاً شع فى نفس الأديب الإعجاب والارتياح ، وما كان منه متنافراً رديئاً أثار فى نفسـه الألم والاشمئزاز

والإرادة تصبو إلى تنفيذ ما يرجوه الإنسان وما يرغب فيه ، وما يراه أنه خير له ، وأن فى تحقيقه سعادته ، والإنسان دوماً حريص على أن يحقق عظائم الأمور ، ويتوق إلى الـكمال ؛ ولهذا كان مظهر الإرادة فى نفس الإنسان السليم هو الخير

فالنفس الإنسانية بمظاهرها الثلاثة تجرى وراء الحق والجمال والخير ، وما دام الأدب صورة لنفس إنسانية ممتازة بالإلهام والقدرة على التعبير فلا بد أن يحقق واحداً من هذه الثلاثة

وإذا كان هنــاك أدب لا يُعنى بهذه الأمور أو يفصح عنها فهو أدب نفس مريضة شاذة تهيم بالضــلال والدمامة والشر ، وهو أدب يترضى النزعات الحقيرة في الإنسان ، ويتادى الأجزاء الدنيا من النفس الإنسانية لتستجيب له ، ويعمل على شل سيطرة العقل أو إضعاف سلطانه على بقية أجزاء النفس من قوى شهوانية وغضبية ، وفى هذا ما فيه من شر مبين على نفس الفرد وانسجام المجتمع .

ثم إن نفس القارئ تهتز وتطرب وتأذن بيسر وسهولة لمن يحدثها عن الحق والجمال والخير إلا النفوس الوضيعة الملتاثة .

ولا ريب أن الموضوعات النفسية تختلف أنواعها فى نظر الإنسان بين الجميل والقبيح والجليل والحقير والشريف والوضيع ، وهي تهتز وتعجب بمن يصور لها الجمال والمجد والشرف ، وتصغى لهذه الحقائق فى نهم وشوق لأنه يسمو بها ويحلق فى أجواء المثل العليا التى تطمح فى الوصول إليها ، وبنبه فيها مشاعر الجمال والجلال . قد يجيد بعض من يتحدثون عن الأشـياء التافهة الحقيرة؛ بيد أن جودة فنهم قد تذهب فى تفاهة الموضوع . والأدب لا ينظر فيه إلى الإجادة فحسب ، ولـكن يراد مع هذا الموضوع الذى ينفث فى النفس الإنسانية من قوته وسحره وروعته . فيشد من عزيمتها وينمي مشاعر الخير والجمال منها ، وبهـذا يؤدى الأدب رسالته السامية ، وفى هـذا يتفاوت الأدباء فى ميدان الخلود والشهرة ، وكلما حققوا فى كتبهم وجعلوا غايتهم تلك المثل الرفيعة ، كان حظهم من المجد والعبقرية أوفى

أما هؤلاء الذين يتشدقون بأنه ليس من شأن الأديب أن يكون واعظاً أو مرشـداً وإلا ثقل على النفس وسمج فأقول : إن هناك طرقاً شتى للتأثير فى نفس القارىء وتحقيق الغاية من الأدب ، فالإيحاء والتعريض ، والصورة والرمز وضرب المثل ، وإبراز المآسى ، والتهكم والتندر بالأسـلوب الطريف الشائق ؛ كل هـذه وسائل تعبد أمام الأديب سبيله . أما أن يكون أدبه مجرد عبارة تقال لا غاية لها ولا معنى تفصح عنه ، فهو هراء ترباً بأنفسنا وبكم أن نشغل به

وبعـد فنحن أمة لا يزال نصيبها من الرقى ضئيلاً ، وفينا عيوب خلقية واجتماعية كثيرة ، ونحن أحوج إلى من يرينـا الحق ويهذب نفوسنا ، ويكبح جماح شهواتنا ، ويرشدنا إلى طريق السعادة والخير . إن بيتاً من الشعر قد يصلح نفساً ضالة أو يرد النكس الجبان إلى الثبات والشجاعة . ولقد قتل بيت من الشعر أبا الطيب المتنبى حين هاجه أعداؤه وهو عائد من لدن عضد الدولة ، فلما رآهم كثراً وأنه ليس لهم نداً ، هم بالفرار فنادوه : ألست القائل :

الخيل والليـــل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فثبت فى مكانه وقاتلهم بصبر وشجاعة حتى قتل

ورحم الله معاوية حين قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتنى ليلة الهدير بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملتنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صـالحات ... وأحمى ، بعد ، عن عرض صحيح

محمد الدسوقى

محاورات المـــوتى

المحاورة الثالثة

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

هوميروس وإيزوب

هوميروس : صاحب الملحمتين الخالدتين الالياذة والأوديسة ، عاش حوالى ٨٥٠ قبل المسيح ، ومن أغرب ما يحكى أن الرسام أغانون قد دفعه تعصبه لهوميروس إلى أن يصوره وهو يقيء وسائر الشعراء يزدردون قيئه

إيزوب : مؤلف وفيلسوف إغريقي ، صاحب القصص الخرافية المشهورة ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح ، وكان عبداً ثم أعتق لنبوغه .

المحاورة

هوميروس : ليس من الممكن حقاً أن تظفر كل هذه القصص الخرافية التى قرأتها علىّ بإعجاب الناس كثيراً . على أنك لو لم تكن على جانب عظيم من الفن ما استطعت أن تضمن قصصك القصيرة هذه العظات البالغات ، وأن تذيع أفكارك القيمة على ألسنة البهائم .

إيزوب : ما أجمل المديح لهذا الفن يصدر عنك أنت الذى تجيده كل الإجادة !

هوميروس : أنا ؟ أنا لم أحاوله قط .

إيزوب : ما ذا ؟ ألم تزعم أنك ضمنت مؤلفاتك عظات بالغات ؟

هوميروس : مع الأسف لم يخطر ذلك على بالى

إيزوب : ولكن العلماء فى زمانى قالوا كلهم ذلك ، وقد أقبلوا على الإلياذة والأوديسة فاستعاروا صورها ، وصاغوا منها أجمل المعانى الرمزية ، مؤكدين أن جميع أسرار اللاهوت والطبيعيات والأدب ، حتى الرياضيات مبثوثة في ما كتبت ، على أن نشرهم لتلك الروائع لم يكن سهلاً هيناً ؛ فبينما كان أحدهم يجد ممنى أخلاقياً إذا بالآخر يراه طبيعياً . ولكن ما عدا ذلك لم يكن هناك اختلاف فى أنك كنت محيطاً بكل شيء ، ولقد قلت كل شيء للذين يفهمون ما كنت تقول

هوميروس : أقول لك الحق ، لقد وقع فى نفسى أن بعض الناس لا يعجزون عن استنباط أروع المعانى وأبلغ العبر مما كتبت ، مع أنى لم أقصد إلى شيء من ذلك . ما أسهل على المرء أن يتنبأ عن حوادث بعيدة ثم ينتظر وقوعها ، أو أن يقص حكايات خرافية ثم ينتظر من يطبق عليها المجازات !

إيزوب : لا شك أنك كنت جريئاً بعض الشيء فى إلقائك عبء إدخال المجازات فى شعرك على كواهل قرائك . أين كنت تكون لو أنهم فهموها على معناها الحرفي ؟

هوميروس : هدىء من روعك ، فإن ذلك لو حدث لما نشأ عنه نكبة عظمى كما تتصور

إيزوب : كيف ! وهؤلاء الآلهة الذين شوه بعضهم بعضاً ! أما ترى إلى كبير الآلهة « جوبيتر » كيف يتوعد زوجه البارعة « جونو » فى أحد اجتماعات الآلهة بضربها ؛ وإلى مارس إله الحرب وقد جرحه « ديوميدس » جرحا بليغاً كيف يصرخ كما تقول بقوة تسعة آلاف أو عشرة آلاف رجل ، ومع ذلك لا يعمل ما يعمله رجل واحد ! فبدلاً من أن يمزق اليونانيين شر ممزق لا يرى غضاضة فى أن يذهب إلى كبير الآلهة يشكو له جراحه ! كان فى الإمكان أن تبلغ هذا الغرض من غير حاجة إلى استعمال المجازات

هوميروس : وما ذا على من ذلك ؟ أتتصور أن الطبيعة البشرية لا تتوخى غير الحقيقة ؟ إذن ما أضلك ! إن هناك عطفاً متبادلاً واتصالاً وثيقاً بين الذكاء البشرى والكذب . فإذا أردت أن يستسيغ الناس الحقيقة فلا بد أن تكسوها بالأساطير ، على حين أن الأساطير لا تحتاج إلى الحقيقة ليستسيغها الناس ! فالحقيقة إذن مضطرة إلى أن تستعير وجه الكذب ليتقبلها ضمير الإنسان قبولا حسناً ، ولكن الكذب ينفذ إلى قلب الإنسان

بغير استئذان ولا شفيع ، ذلك لأن هناك مولده وفيه مقامه . أما الحقيقة فهى وحدها الغريبة . والحق الذى لا شك فيه ولا يحسن بك أن تجهله هو أن آلهتى على علاتهم لم يستسخفهم الناس .

إزوب : إن الذى تقوله يفزعنى ، فأنا شديد الخوف من أن يعتقد الناس أن الحيوانات تتكلم حقيقة كما جعلتها تتكلم فى أساطيرى

هوميروس : ذلك خوف لا حقيقة له

إزوب : كيف ؟ إذا كان الناس يعتقدون أن فى إمكان الآلهة أن يتحدثوا فيما بينهم على الصورة التى قصصت ، فماذا يمنعهم من أن يعتقدوا أن الحيوانات تتكلم كما أردت لها أن تتكلم ؟

هوميروس : تلك مسألة أخرى . إن الرجال يسرهم أن تنخفض الآلهة إلى دنياهم ، ولكنهم لا يرغبون أن ترتفع الحيوانات إلى مستواهم !

يوسف رشا

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جى

— ٤ —

(ا) الاعتقاد بآلهة سبعة

يعتقد اليزيديون أن الله خلق سبعة آلهة من نوره ، وكان عمله هذا كمن أوقد سراجاً من سراج . وهؤلاء الآلهة السبعة هم :

الملاك عزازيل وهو « طاووس ملك » رئيس الجميع خلقه يوم الأحد

الملاك دردائل وهو الشيخ حسن خلقه يوم الإثنين

« إسرافيل « « شمس الدين خلقه يوم الثلاثاء

« ميخائيل « « « أبو بكر « « الأربعاء

« عزرائيل وهو السجادين خلقه يوم الخميس

« شمنائل « ناصر الدين « « الجمعة

« نورائل « بدين « « السبت

وقال لهم الله إنى خلقت السماء فليصعد كل منكم وليخلق شيئاً . فصعد الأول وخلق الأرض ، وصعد الثانى وخلق الشمس ، والثالث القمر ، والرابع الفلك ، والخامس « الصرفرع » أى نجمة الصبح « والسادس الفردوس ، ثم جهنم . ثم صعد الله إلى محله وتناوب هؤلاء الآلهة السبعة إدارة العالم منذ طوفان نوح إلى الآن ، وكل منهم تولاه ألف سنة دون أن يتدخل أحدهم فى شأن الآخر . والحكم الآن والتدبير « بين طاووس » وهو رئيسهم . والتأمل فى آلهتهم يجد أنهم — ماعدا طاووس ملك — مشايخهم الذين أضلوهم عن الطريق ، وأولهم الشيخ حسن ، وهو أول من بدل دينهم . وهذا نتج عن الغلو فى حب هؤلاء المشايخ حتى أدى إلى تأليههم . والاعتقاد بآلهة سبعة هو اعتقاد الصابئة ؛ ولعل هذا الاعتقاد سرى إليهم من صابئة « حران » ، وقد علمنا أن هذه المدينة كانت منذ العهد الأموى من أشد الناس تعصباً للأمويين وأنها كانت كذلك مركز الصابئة فى صدر الإسلام

(ب) الشيطان « طاووس ملك »

ويعتقدون أن الشيطان — ويسمونه « طاووس ملك » — أشد هذه الآلهة بطشاً ، وأنه أقربهم إلى الله تعالى ؛ بل إن سلطانه فى بعض الأحيان لا يقل عن سلطان الله جل وعلا ، وأنه مختص بالملة اليزيدية . وقد جاء عندهم ورأوه ، وينكرون أمر طرده من الجنة . جاء فى مصحف رش : « إن الأمم لا تعرف ذلك فتقول إن إلهنا نزل من السماء مطرودا محتقراً ولذا يجدفون[1] عليه ، فقد غلطوا بذلك وضلوا ، أما عندنا نحن اليزيدية فلا نقبل ذلك ، لأننا نعرفه وحدنا وهو واحد من السبعة الآلهة المذكورة آنفاً ونعرف صورته وشخصه وهى صورة الديك[2] ، فلا يجوز

---

(١) يكفرون (٢) واليزيدية يرمزون للشيطان بديك أعور العين مصنوع من النحاس وزيارته عندهم فرض ، وهم يدورون به فى القرى اليزيدية ويتولى أمره « القوالون »

لأحد أن يلفظ اسمه أو ما يشابه اسمه كالشيطان والقيطان وشروشط وما شا كل ذلك، ولا لفظة ملعون أو لعنة أو نعلبند أو ما أشبه، فكلها حرام علينا لفظها احتراماً له. وإذا جدف عليه أحد أو نطق بما شابه ذلك أمام يزيدي يجب على اليزيدي أن يقتله أو يقتل نفسه. أما بقية الطوائف فلا تعرف هذه الأشياء كلها، لأنها لا تعرف طاووس ملك ولا يعرفها ولا ينزل عن حدها. أما نحن معشر اليزيدية فأتى عندنا وسلم لنا الآيات والحقائق والقوانين، فصارت كلها بالتناسل وراثة من الوالد إلى ابنه ثم صعد إلى السماء». وفي (مصحف رش) ما يستفاد أن (طاووس) هو المتسلط على العالم الفعال بلا منازع ولا يسمح لغيره من الآلهة أن يتدخل في أمره. قال (طاووس ملك) «أنا موجود ولبس لي نهاية. أنا رتبت منذ القدم تدابير العالم وانقلاب الأجيال وتعرف مديريهم. لي تسلط على كل الخلائق، وإليّ تدبير مصالح كل الذين تحت حوزتي وقبضة يدي. أنا حاضر سريعاً عند الذين يثقون بي ويدعونني وقت الحاجة، ولا يخلو مني مكان في الدنيا كلها. أنا مشترك في كل الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً لأنها ليست بحسب مرامهم» وهو فوق هذا متسلط على بقية الآلهة وهم قاموا بوظائفهم حسب إرادة هذا الرئيس. ومن لم يفعل ما يأمره به «طاووس ملك»، فإنه يندم. جاء في الجلوة: «لكل زمان مدبر مشورتي. ويندم ويحزن الذي يقاومني. جميع الآلهة ليس لها مداخلة في شغلي. بيدي قوة وسلطة على جميع ما في الأرض فوقاً وأسفل» وطاووس ملك يوصي أتباعه أن يخلصوا لتعاليمه ويدافعوا عنها فإن فعلوا هذا، فإنهم يجدون في أنفسهم لذة وفرحاً وينالون خيراً منه. وأما الذين يقاومونه فإنه يسلط عليهم الأوجاع والأسقام. وهو الذي يعطي. ويمنع والعظمة والثروة بيده يعطيها لمن يختاره من بني آدم، ويمنعها عمن يسخط عليه. ويروون حكايات كثيرة تدل على تسلطه على بقية الآلهة، وإنه يفعل ما لا يقدر غيره من الآلهة أن يفعله حتى ولو كانت هذه الأفعال خلافاً لأمر الله عز وجل. ومن ذلك: أن الله غضب على عيسى بن مريم مرة فأخذه ونزل به الأرض وألقاه في جب ووضع طبقاً كبيراً من الحجارة على فوهة الجب لئلا يخرج،

وبقي هذا المسكين يعاني آلام الوحدة والوحشة والجوع والعطش، وأخذ يستغيث بالآلهة واحداً بعد آخر فلم يجبه أحد خوفاً من الله. وأخيراً خطر بباله طاووس ملك فاستغاث به فما كاد يسمع صوته حتى هرع إلى الأرض وأخرجه من الجب وصعد به إلى السماء. ولما رآه الله جل جلاله سأله من أخرجك؟ قال له: طاووس ملك. فقال له الإله: لا بأس بذلك، لأن طاووس ملك عزيز عليّ ولا أرد له عملاً وأن غيره لا يقدر على إخراجك من محبسك إلا بأمري

أما عدم سجوده لآدم فيعتقدون أنه كان محقاً في ذلك، وكان بفعله هذا ممتثلاً لأمر الله تعالى ولم يخالفه، وإنما نال القربى منه بعد أن حاجّه في فعله، وذلك «أن الله عند ماخلق السموات والأرض سلم مفاتيح الخزائن إلى طاووس ملك وأوصاه أن يفتح هذه المخازن كلها إلا مخزناً واحداً. ولكن طاووس ملك فتح المخزن الذي نهاه الله عن فتحه فوجد فيه ورقة مكتوباً عليها: (لله إلهك تسجد، وله وحده تعبد) فأخذ الورقة واحتفظ بها. ولما خلق الله آدم وأمره بالسجود له أبى، فألح عليه، وأصر طاووس ملك على عدم السجود، وأراه الورقة. فقال له الله تعالى: أفتحت البيت الذي نهيتك عنه؟ قال: نعم. قال له الله: «هَرْطوق» باللغة الكردية ومعناها (إذهب إلى الطوق) وهو طوق حديدي يضعه الله في رقبة من يغضب عليه. ولكن الله تعالى لما وجد حجة طاووس ملك قوية وأنه محق بفعله ممتثل لأمره رضي عنه وأرجعه إلى السماء. ويقولون: «هل يمكن أن أحداً يغضب عليه أبوه ويطرده إلى الأبد؟ كلا. إنما غضب عليه ثم رده حالاً احتراماً له»

وأما إغواء آدم وطرده من الجنة، فكان بأمر «طاووس ملك» جاء في الفصل الثاني من مصحف رش: «وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس، ويأمره بأن يأكل من كل الشجر ما عدا الحنطة. وبقي آدم مئة سنة. فقال «طاووس ملك» لله كيف يكثر آدم وأين نسله إن لم يأكل من شجرة الحنطة؟ فقال له الله تولّ أنت، سلمت الأمر والتدبير بيدك. فجاء (طاووس ملك)، وقال لآدم هل أكلت من الحنطة؟ أجاب

آدم كلا ، لأن الله قد نهانى . قال (طاووس ملك) كل من الحنطة فتغدو أحسن ، ثم أكل آدم من الحنطة وللوقت انتفخت بطنه وأخرجه من الفردوس وصعد إلى السماء . وكان آدم حزيناً كئيب الخاطر يبكى وينوح . ويعتقدون أن سبب الطوفان الأول هو من استهزاء الجنس البشرى الذى تناسل من آدم وحواء « أى اليهود والنصارى والإسلام » بالههم . ولهذا سلط عليهم « طاووس ملك » المياه وأغرقهم . ثم أعقبه الطوفان الثانى الذى مضى عليه سبعة آلاف سنة حكم به كل إله ألف سنة ينزل فى أرض « اليزيدية » لأن كل الأماكن المقدسة عندهم . وفى هذا الزمان قد أقام عندهم « طاووس ملك » وهو يكلمهم باللسان الكردى من عهد آدم إلى الآن وجميع وصاياه وتعاليمه أملاها عليهم بهذه اللغة لقدمها

وإن سبب مقاطعتهم للعن وما أشبه هذه اللفظة فإنه بدأ فى زمن « الشيخ عدى الكبير » وذلك لأنه عندما وجد تفاقم أمر اللعن عند الحزبين الأموى والعلوى — كما مر آنفاً — حرم عليهم كل لعن ليجتث هذه السنة السيئة من أساسها . ثم تطورت هذه الفكرة بعده على يد أحفاده الضالين المضلين فحرموا اللعن حتى على الشيطان والنطق باسمه واستعاضوا عنه « بطاووس ملك » وإنى أرجح أن يكون لفظ « طاووس ملك » محرفاً عن « طاغوت » وقد ورد هذا اللفظ فى عدة أماكن فى القرآن الكريم بمعنى الشيطان ، منها قوله عز وجل : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » واليزيدية ينطقونه « طاغوس ملك » والتقارب قوى بين اللفظين

والخلاصة أن عقيدة اليزيدية فى الشيطان مرتبكة جداً ، ومن الصعب أن نقف على أول دخولها عندهم وعلى تطورها حتى آلت إلى ما هى عليه من الارتباك . وأعتقد أن هذا الارتباك فى أمره نتج عن أمية هذه الطائفة ، وخاصة أن كتبهم المقدسة كتبت فى عهد قريب على ما يظهر من سقم عباراتها وابتذال ألفاظها وارتباك معانيها . كما أن القراءة والكتابة محرمة على كافة اليزيدية ما عدا طبقة الملالى وهم الذين يدعون أنهم من نسل « حسن البصرى »

وهم يذكرون متناقضات عنه : تارة بأنه خلق العالم منذ الأزل وأنه متصرف فيه ، وأن كل صغيرة وكبيرة لا تكون إلا بأمره ، وأن جميع الآلهة قاموا بإدارة العالم بمشورته ، وإن الله لا يرد له عملاً . ومن جهة أخرى إن الله خلقه كما خلق بقية الآلهة ، وإنه غضب عليه وطرده من الجنة ثم أعاده وغير ذلك . ولا شك فى أن عقيدتهم فيه متأثرة بالديانة « الزردشتية » فهو إله الشر « وأعماله التى يقوم بها خير بخلاف ما يظنه أهل الملل الباقية إنها شرور ، فهى شرور عليهم لأنهم لا يعرفون حقيقتها ولا يعرفون « طاووس ملك » ، ولكنها بالنسبة إلى الأمة اليزيدية التى تعترف به والتى يحبها هو ، وقد اختارها من دون الخلق ، خير وسرور وسعادة »

(البقية فى العدد القادم)

سعيد الديوه جى

سجاد الأناضـــول

للدكتور محمد مصطفى

- ٣ -

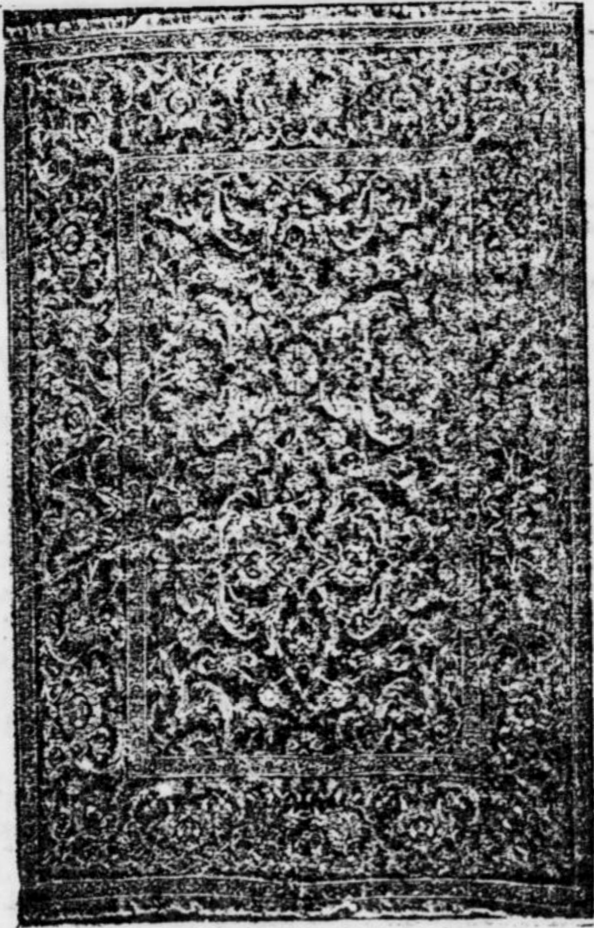
سجاد « دمشق »

اشتهر هذا النوع من السجاد باسم tappeti damacini ، أى « سجاد دمشق » ، لأن زخارفه تماثل زخارف ألواح القاشانى المشهورة باسم « دمشق » . ولكن علماء الفن الإسلامى يقولون إن دمشق لم تشتهر بصناعة السجاد ، وهم لذلك يرجحون أنه كان يجمع فى هذه المدينة لشهرتها كمركز تجارى ، ويعدّ بها للتصدير إلى أوربا . والرأى السائد هو أنه كان ينسج فى مناسج خاصة بالبلاط العثمانى أنشأها السلطان سليمان القانونى بجهة قريبة من القسطنطينية مثل مدينة بورصا ، وأحضر إليها صناع السجاد من مصر وإيران . ويتضح مما نراه فى طريقة نسج زخارفه النباتية من الدقة التامة والعناية أنها منقولة عن رسوم وتصميمات وضعت لها من قبل .

ونلاحظ فى هذا السجاد أن الزخارف النباتية الإيرانية التى استعملت فيه قد تطوّرت إلى درجة كبيرة ، ودخلت عليها عناصر جديدة جعلتها كثيفة وغنية ، فتبدو كأنها تحاكي الطبيعة إذا نظر إلى كل وحدة منها على حدة ، ولكنها تظهر فى مجموعها مهذبة وشديدة الكثافة . ويتبين هذا فى أشكال المراوح النخيلية الكبيرة ، وفى تموجات الأوراق الملتوية ذات الأسنان ، وفى الأغصان والفروع المثقلة بالزهور ، وفى الطريقة الزخرفية التى ترسم بها زهور النرجس والسوسن والقرنفل . وتنسج هذه الزخارف باللون الأصفر أو الأبيض على أرضية بالأحمر أو الأزرق ، والألوان الأخرى المستعملة فيه هي الأخضر والأسود

وينسج سجاد دمشق من صوف ماعز الأناضول اللامع ، أو من الحرير . وللسجاد المنسوج من الحرير خصائص أنواع سجاد الأناضول الأخرى المنسوجة من هذه المادة ، أى أن لحمته تصبغ باللون الأخضر ، وكذلك السداة إذا كانت من الحرير أيضاً

وفى « شكل ١ » بساط من سجاد دمشق أرضيته باللون الأحمر عليها بالأصفر والأبيض والأزرق المائل إلى الاخضرار زخارف نباتية وفروع متشابكة وكثيفة بأوراق مسننة كبيرة مرسومة فى أوضاع متناظرة « سيمترية » . وهذا البساط من أواخر القرن السادس عشر ، وهو فى مجموعة دار الآثار العربية



(شكل ١)

سجاد « ترانسلفانيا »

عثر هواة السجاد فى أواخر القرن الماضى على عدد كبير من نوع خاص من سجاد الأناضول كان محفوظاً فى خزائن كنائس مدينة كرونستاد بمقاطعة ترانسلفانيا ، فعرف هـذا النوع باسم « سجاد ترانسلفانيا » ، ويعلل وجود عدد كبير منه فى مدينة كرونستاد أن رجال الكنيسة فى هذا البلد كانوا يتقاضونه بمثابة مكس من تجار السجاد القادمين من الأناضول كى يسمحوا لهم

بالمرور إلى غرب أوربا . وكان هذا السجاد يستعمل فى الكنائس البروتستانتية بترانسلفانيا لتغطية كراسى الصلاة ، وكان أفراد العائلات يتوارثونه جيلاً بعد جيل .

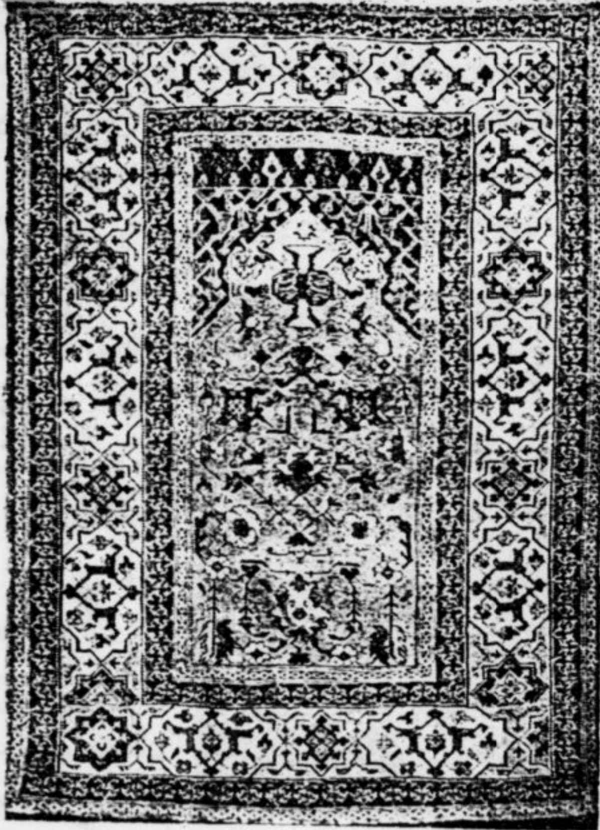
ونجد سجاد ترانسلفانيا مصوراً فى اللوحات الأوربية المرسومة فيما بين سنتى ١٥٢٠ و ١٧٠٠ . والغالب أنه كان ينسج فى جهات قونية أو لاذق كما يتبين من متانة نسيجه وكثافته ، وقد انقطعت صناعته منذ منتصف القرن الثامن عشر

وهذا السجاد متشابه فى رسومه ، فى وسط أرضيته نرى عقد محراب أو عقدين متقابلين ، وتواشيح العقود مزينة بفروع متشابكة بسيطة مرسومة بطريقة هندسية يمتاز بها نوع ترانسلفانيا ، أو زهور فى شكل تروس وأوراق بسيطة مسننة . ويزخرف الإطار زهور كبيرة غريبة النظر يتدلى من جانبى كل منها ورقتان مسننتان يجعلانها تشبه شكل الجعران ، أو بمناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية يتفرع من جانبى كل وحدة ما يشبه الخطاف

وألوان سجاد ترانسلفانيا زاهية ويغلب فيه اللون الأحمر الأحمر الزاهى والأزرق الفاتح والأزرق القاتم والأصفر السمنى والبنى المائل إلى اللون الأسود الذى يحصلون عليه باستعمال مرارة الحيوانات فى الصباغة

واللحمة والسداة من الصوف ، ولا تزيد مقاساته عن عن ١٫٢٠ × ٢٫٠٠ متراً

وفى « شكل ٢ » سجادة صلاة من نوع ترانسلفانيا ، عليها محراب بعقد مدبب تتدلى منه مشكاة ، وأرضية المحراب باللون الأصفر السمنى ، عليها بالأبيض والأحمر الفاتح والأزرق الزاهى فروع مزهرة متشابكة فى وضع هندسى متناظر سيمترى . وخاصرتا عقد المحراب باللون الأزرق القاتم وعليها بالأحمر فروع متشابكة مرسومة بشكل هندسي تظهر كأنها متشجرة . وإطار هذه السجادة يتألف من شريطين على شكل شرفات متجاورة بالأحمر والبنى الأسود ، بينهما شريط عريض عليه مناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية هندسية يتفرع من جانبى كل وحدة ما يشبه الخطاف من النوع الذى يمتاز به سجاد ترانسلفانيا . وزخارف الإطار مقطوعة وغير متصلة كما يتبين ذلك فى الركن الأعلى الأيمن وفى الجانب الأسفل من الإطار ، وهذا النقص يمتاز به سجاد الأناضول ، لأن الصناع الأناضوليين — بعكس الصناع الإيرانيين — لم يتقنوا نسج الإطار المتصل الزخارف . وهذه السجادة من أواخر القرن السادس عشر ، وهى فى مجموعة المسيو بنسيلوم



(شكل ٢)

سجاجيد الصلاة

تميز سجاجيد الصلاة بالمحراب الذى يحدد عليها بخطوط واضحة وبألوان تتباين مع الألوان المحيطة به . وعقود هذه المحاريب لها أشكال كثيرة ، فهي ترسم بخطوط مستقيمة أو مدرجة أو متموجة ، وتكون مدببة الشكل أو مفرطحة أو على شكل حدوة الحصان . وقد يكون المحراب عقد واحد أو عقدان أو ثلاثة عقود . ولكل بلد ينسج فيها السجاد طراز خاص بها لعقد المحراب ، حتى أنه يمكن غالباً الاستدلال على مكان نسج السجاد من شكل عقود محاريبه .

وقد تزخرف أرضية المحراب فتتدلى من العقد مشكاة

أو أبريق أو باقة من الزهور أو فرع طويل مزهر ، وأحياناً تنتشر عليها زهيرات صغيرة فيسميها تجار السجاد « سينكلي » أي بالذباب

وترتكز بعض عقود المحاريب على أعمدة تكون فى السجاد القديم مطابقة للشكل المعماري ، ثم تتطور هذه الأعمدة حتى تصبح فى شكل فروع مزهرة تتدلى من العقد بدلاً من أن تكون دعامة له يرتكز عليها

وتزخرف تواشيح خواصر هذه العقود بفروع نباتية شديدة التهذيب ، أو بزهور مرصوصة فى صفوف منتظمة

أما إطار هذه السجاجيد فإنه يتألف من ثلاثة أشرطة يكون الأوسط منها عريضاً ، أو من عدة أشرطة رفيعة بيضاء وسوداء عليها نقط فى مسافات متساوية فتسمى (شبُكلى) لأنها تشبه غاية « الشبُك »

ومن بين أنواع سجاجيد الصلاة نوع يسمى (صف) ينسج فى جهات متعددة من مراكز نسج السجاد بالأناضول ، ويرسم عليه (صف) واحد أو أكثر من صف من المحاريب المتجاورة ، لتأدية الصلاة جماعة . وهذا النوع ينسج غالباً فى الأناضول وفى بلاد التركستان الصينية . ومحاريب القديم منه متماثلة فى السجادة الواحدة ، ولكنها تختلف من حيث اللون والزخارف فى كل سجادة من السجاد المنسوج بعد أواخر القرن الثامن عشر

وثمت نوع آخر من سجاجيد الصلاة يسمى (تربه لك) أو (مزار لك) ترسم على أرضية محرابه شواهد قبور أو مدافن بها أشجار سرو . ويستعمل هذا السجاد لفرش المقابر أو لتغطية نعش الموتى

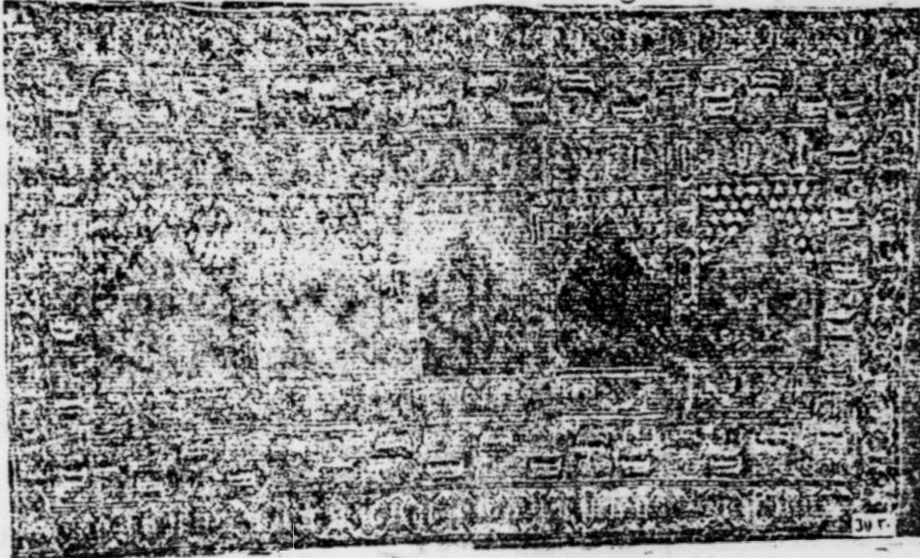
جوردز

تقع مدينة جوردز فى الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من أزمير ، وإليها ينسب السجاد المعروف بهذا الاسم

ويرسم محراب هذا النوع عادة فى وسط السجادة تماماً ، فتصير مقاساته بذلك أقصر منها فى الأنواع الأخرى . وتعلو المحراب حشوة عليها زخارف قائمة بذاتها تختلف عن الزخارف الأخرى فى السجادة ، وترسم فى أسفله حشوة أخرى مماثلة لهذه

وتلون أرضية المحراب غالباً بلون واحد أحمر أو أخضر أو أزرق أو أصفر وأحياناً باللون العاجي . وهذه الألوان تكون دائماً خفيفة وباهتة

وتنسج سجاجيد الجوردز من نسج ضيق محكم يزيد فى دقة الرسم . واللحمة والسداة فى السجاد القديم من الصوف ، وفى بعض السجاد المتأخر تكون السداة من القطن



(شكل ٣)

وتعرف بعض سجاجيد هذا النوع باسم « قيز جوردز » أي جوردز الفتاة . ويقال إن هذا السجاد كان ينسجه البنات ويعنون بنسجه عناية كبيرة بقصد إهدائه إلى أزواجهن عند ما يتزوجن . وتتألف زخرفة الإطار من مثلثات فى وضع مختلف ، ترتكز على قاعدتها أو على إحدى زواياها وتزخرف بزهور مهذبة ويفصل بين هذه المثلثات أشرطة عريضة بيضاء عليها نقط سوداء موزعة بنظام وتنسيق . ويوجد نوع آخر من سجاد قيز جوردز ينسب إلى كبير من العظماء اسمه « قرا عثمان أوغلو » تكون أرضيته دائماً بالأبيض وهو دقيق في رسومه

ويرجع إلى عصر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) سجاجيد أرضيتها باللون الأبيض عليها شجرة سرو أو شجيرات مورقة ، وزخارفها متأثرة بالزخارف الأوربية

وفى (شكل ٣) سجادة صلاة « صف » من نوع جوردز عليها خمسة محاريب بجانب بعضها ، أرضيتها بالتوالى من اليمين إلى اليسار باللون الأصفر السمنى الغامق والأحمر الباهت والأزرق

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٣٨ — ما أراد به النصيحة

قال معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جواداً والأموي حليما والعوامي شجاعاً والمخزومي تياهاً لم يشبهوا آباءهم

فقال الحسن بن علي : والله ما أراد معاوية بقوله النصيحة ، ولكن أراد أن يفنى بنو هاشم ما في أيديهم فيحتاجوا إليه ، ويشجع بنو العوام فيُقتلوا ، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتوا ، وأن يحلم بنو أمية فتحبهم الناس

٥٣٩ — فرحم الله ذلك المفتي

في البدر الطالع للشوكاني : لما أسلم غازان بن أركون (سلطان التتار) قيل له إن دين الإسلام يحرم نكاح نساء الآباء ، وقد كان استضاف نساء أبيه إلى نسائه وكان أحبهن إليه خاتون وهي أكبر نساء أبيه . فهم أن يرتد عن الإسلام ، فقال له بعض خواصه : إن أباك كان كافراً ، ولم تكن خاتون معه في عقد صحيح ، إنما كان مسامحاً بها ، فاعقد أنت عليها ، فإنها تحل لك ، ففعل . ولولا ذلك لارتد عن الإسلام . واستحسن ذلك من الذي أفتاه به لهذه المصلحة ، بل هو حسن ولو كان تحته ألف امرأة على سفاح . فإن مثل هذا السلطان المتولي على أكثر بلاد الإسلام في إسلامه من المصلحة ما يسوغ ما هو أكبر من ذلك حيث يؤدي التحرج عليه ، والمشي معه على أمر الحق إلى ردته . فرحم الله ذلك المفتي !

٥٤٠ — صائر إلى مالك

في وفيات الأعيان :

كان الفقيه أبو بكر المبارك الملقب بالوجيه والمعروف بابن الدهان ـ حنبليا ، ثم تفقه على مذهب أبي حنيفة ، ثم شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وشروط الواقف ألا يفوض إلا إلى شافعي المذهب ، فانتقل الوجيه إلى مذهب الشافعي ، وتولاه ، فقال المؤيد أبو البركات التكريتي :

من مبلغ عني الوجيه رسالة
وإن كان لا تجدي عليه الرسائل (١)

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك ، فافطن لما أنا قائل (٢)

٥٤١ — تحط ولكن فوقهم في جهنم

من القول بالموجب لبعض الحنابلة :

يحجون بالمال الذي يجمعونه ... حراماً إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم ، ... تحط ولكن فوقهم في جهنم

٥٤٢ — حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

ابن خلكان : لما انتقل سيف الدين الآمدي إلى الديار المصرية وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي وتصدر بالجامع الظافري بالقاهرة واشتهر بها فضله ، واشتغل عليه الناس — حسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم . وبلغني عن رجل منهم فيه عقل ومعرفة لما رأى تحاملهم عليه ، وإفراط التعصب ، كتب في المحضر وقد حمل إليه ليكتب فيه مثلما كتبوا فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كتبه فلان بن فلان

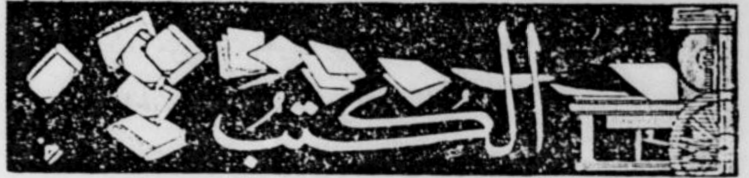
(١) في البيت خرم وهو سقوط حركة من أول بيت الشعر

(٢) مالك : هو مالك بن أنس صاحب المذهب ، ومالك هو خازن النار وهذه مغالطة لطيفة (المثل السائر لابن الأثير ، وقد روى الأبيات في كتابه

الزاهي والأخضر النباتي والأصفر السمني الفاتح . وتواشيح العقود محلاة بزهور متجاورة مرتبة في صفوف . ويحد المحراب من أعلى وأسفل منطقة مستطيلة على شكل خشوة بها زخرفة نباتية . وإطار السجادة به شريط من وحدات زخرفية لها أسنان تشبه المشط ، وهي لذلك تسمى « دركلي » أي ذات المشط ، ويتفرع من جانب كل الشط تفاحتان . وهذه السجادة من أواخر القرن الثامن عشر وهي في مجموعة السيد صلاح الدين رفيق صير مالي .

(يتبع)

محمد مصطفى



«سـلامة القس»

للأستاذ دريني خشبة

مَهاة من مَهَى مكة ، ذات عينين خُلقتا للحب ، وفم براه الله للغزل ، وصوت رقَّقه للغناء ، وقلب صغير إلا أنه فتيّ قويّ زاخر ، لأنه استطاع أن ينجو من إبليس ، وأن يقاسم على مرضاة الله !

نشأت سلامةُ في كنف رجل تقي ورع محافظ ، فكانت ترعى له البُهمْ في بطائح مكة تذهب بها خِماصاً وتعود بها بطاناً ، ثم تحلب وتطهى وتخدم ، فإذا أوت إلى فراشها أخذت تُرَجِّع بصوتها الخَتِيّ ملء صدرها وحلقها وطى لسانها ، وتجد فى ذلك الترجيع وهذا التسجيع لذة وراحة ... حتى إذا زارت مكة جميلة المغنية ، ونزلت فى بيت ابن سهيل القريب من دار سلامة ، وأخذت تملأ الدنيا كلها فى هذا البلد الآمن غناء ، وتذيب قلوب أهله شدْواً ، كان قلب سلاّمة أول ناهل على ظمأ ، وكان سمعها أول مستجيب على طول اصطبار ، وكان لسانها أول مردد لألحان البلبل الغريد . وسمعها سيدها تجدف بهذا الغناء فنهاها عنه ، ووكل إلى زوجته أمر مراقبتها ، وإغرائها بترتيل القرآن ؛ فأطاعت سلامة ، لكنها كانت تطبق على آى الذكر الحكيم أصوات جميلة وألحانها ، فلما سمعها مولاها جن جنونه واشتد فى أمرها ؛ وكانت سلامة ترعى البهم يوماً ، فتركتها تتخير من رطب الكلأ ما تشاء ، وجلست هى تملأ الهواء بما ملأ صدرها من غناء ، فما تنبهت إلا على صوت رقيق حلو ذى رنين يُكمل لها اللحن ويضبط لها النغم ، وإذا صاحب الصوت راع صغير يبتسم لها فتبتسم ، وإذا هما يتعاهدان على أن يكون أحدهما معلماً والثانية متعلمة ... بأجر زهيد ... قبلة لقاء كل لحن !!

ويضيق بها سيدها لأنها لم ترعو عن هذا الغناء فيبيعها ابنَ سهيل صاحب القصر الذى نفذ منه إلى سمعها وقلبها غناء جميلة ، والذى كان ندى الشعراء والمغنين فى مكة ، يغشاه ابن ربيعة والأحوص والغريض والعرجى ومعبد وكثيرون غيرهم ... ويُسلم ابن سهيل سلامة إلى زعماء الغناء ، فتثقف عنهم ألحانه ، وتصبح فتنة الفتن وريحانة القلوب ... وإلى هنا لا تكون المأساة قد بدأت بعد ! لأنها لا تبدأ إلا منذ هذه المصادفة التى تبدأ العاصفة فى حياة قديس !

لقد كان فى مكة تقى من أتقياء المسلمين وأشدهم ورعا ، وكان يُدعى عبد الرحمن بن عمار ، وكان يدعوه قومه القَسّ ، لصفاء نفسه وانصرافه عن الدنيا وإكبابه على الصلاة ، ولزومه المسجد ، وزهده فى مباهج الحياة ، واحترازه من شراك الشيطان . وكان عبد الرحمن يوماً ماراً بقصر ابن سهيل فى طريقه إلى المسجد ، فما شدهه إلا أن سمع شدواً ينسكب فى روحه وينساب فى دمه ، ثم يستقر فى قلبه ليكتب فى صفحته مأساة هذا الحب الخالد والهوى الحلال والعشق المسكين

أبطأ عبد الرحمن فى سيره ... لكنه عاد فاستعاذ بالله ؛ وقبل أن يسرع إلى المسجد سمع منادياً يناديه ... فإذا هو ابن سهيل يدعوه إلى جلسة فى قصره يشرفه بها ... وكان ابن سهيل قد رأى عبد الرحمن إذ وقف ساهما مسبوهاً منصتاً للغناء ، فسره أن يسحر صوت سلامة أتقى أتقياء مكة وأصفى أصفيائها ، فأقسم ليأتمرن بهذه النفس التى تجردت من الدنيا ، ليرى كيف يكون عبد الرحيم بين تقواها وبين مفاتن سلامة ... وتأبى عبد الرحمن أول الأمر ، ثم وعد أن يزور ابن سهيل وأن يستمع إلى سلامة من وراء حجاب . وقد أجابه الرجل إلى هذا الشرط ، ثم رآه مرة وقد نفذ سحر الغناء إلى أغوار نفسه وأخذ يعصف بها عصفاً شديداً ، فسأله إن كان يسمح بدعوة سلامة لتجلس إليهما وتغنى فى حضرتهما من دون ما حجاب ... وقبل أن يجيب عبد الرحمن دعا ابن سهيل جاريته فأقبلت ... ولم تقبل لتغنى فحسب بل أقبلت لتغزو من نفس عبد الرحمن ما لم يغزه غناؤها ... فقد كانت جمالاً منورًا وحسناً مزهرا وبهجة سارية ، فما هى إلا نظرة واستقرت من قلبه فى قرار مكين !

ومضت الأيام . . . ولم يبال عبد الرحمن بما شرع أهل مكة يلوكونه عنه ويحيكونه عن هيامه بسلامة ... وخلا بها مرة في قصر مولاها فصرّح الحبُّ ، وباح الغرام ، وقالت له وقال لها ، ثم كانت سلامة أجرأ منه فتشهت أن تضع فمها على فمه ... لكن الله القدير آثر لهما العفة ، واختار لغرامهما الطهر ، فصرف الشيطان عن نفس عبد الرحمن حفظاً لعرض صديقه ، وإبقاء على الخيط الذي يربطه بأسباب السماء ، وكان حسبه أن يترفق بصاحبته ، وأن يفيء بسورتها إلى الله ... ساقيا هذا الهوى الملح ، والغرام المسرف بعض ما أسمدت عيناه من دموع ... ثم عاهدها على أن يعمل كما يعمل الناس ، حتى إذا اكتمل له ثمنها دفعه إلى ابن سهيل ثم أعتقها ، ثم تكون له بعد هذا زوجة !

وكان ابن سهيل رفيقاً بعبد الرحمن حين لحظ ما كان يعصف به من رياح هذا الحب . . . فلم يلبث أن عرض عليه سلاّمة هدية خالصة ... إلا أن عبد الرحمن أبى ، وزاده إباء أن ابن سهيل كان إذ ذاك في عسرة من أحواله المالية ، فإذا اشتراها عبد الرحمن ببعض المال كان أصلح لابن سهيل وأوفق لظرفه الخاص ، ثم كان ذلك أكرم لهوى عبد الرحمن وأصوَن لحبه ... ولم يبال ، وقد فكر هذا التفكير أن يبيع بعض عقاره ليشترى سلامة ... فلما فعل ، وذهب بالمال إلى ابن سهيل ، كان السيف قد سبق ... فقد باع القاضي جميع ما يملك ابن سهيل ، وسلامة في كل مايملك ... لقد اشتراها ابن رمّانة تاجر الجوارى بالمدينة ، ولقد دفع فيها غالياً

وكانت صدمةً أي صدمة لعبد الرحمن ! لقد ضاقت به الدنيا ... وبكي أحر البكاء وأعنفه ، وكانت دموعه تمتح من أعماق قلبه لا من أغوار عينيه ... لكنه احتمل ... وانتوى أن يعمل أضعاف ماعمل ليرضى شهوة المالك الجديد الذى اشترى سلامة تجارة رابحة وصيداً ليس مثله صيد !

ثم مضت الأيام كما مضت من قبل ... أو أشد مما مضت من قبل ، وربح عبد الرحمن مالاً جماً ، وكان هذه المرة يعمل مع ابن سهيل ؛ فلما بارك الله لهما ، شدا رحلهما إلى المدينة بعد أن تجهزا ... من أجل سلامة ... وكان قلب عبد الرحمن يحدثه عند كل ثنيّة ، وكانت مشاعره تهيج عند كل مقام ... لأن سلامة مرت من قبل بتلك الثنية أو قامت بهذا المقام ... ثم نزلا ضيفين عند أحد الأصدقاء بالمدينة ، قبل أن يتوجها إلى دار ابن رمانة ... وعلما من صديقهما أنباء سلامة ففرحا واطمأنا ، وكان الرجل قد ذكر لهما أشياء وأخفى عنهما أشياء ... ثم توجها إلى ابن رمانة ، وحضرا مجلس غناء شدت فيه سلامة ، وأغمى على عبد الرحمن عند بيت من قصيدة له كانت تغنيها ، وكانا قد تلاحظا وتعارفا قبل الإغماء . فتولت سلامة العناية به حتى عاد إليه صوابه ، فما سلّما حتى استخرطا في بكاء شديد

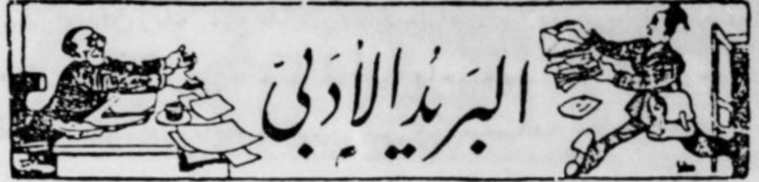
وخلا الرجلان بابن رمانة وعرضا عليه ما قدما من أجله ، فأوشك التاجر الذى لا يعرف إلا عواطف المال ولغة المكسب أن يبكي من التأثر ، ثم ألقى إليهما بالنبأ الفاجع : « لقد اشتراها رسل الخليفة بعشرين ألفاً ، فهى منذ اليوم ملك يزيد بن عبد الملك ... وغداً يذهبون بها إلى دمشق ! »

وإذا كانت الدنيا قد أصبحت ظلمات بعضها فوق بعض في عين عبد الرحمن حين اشترى ابن رمانة سلامة ، فيا ترى ؟ ! ماذا تكون حاله الآن ! ...

وترفق ابن رمانة فأذن للعاشقين بخلوة ، تعاهدا فيها بالصبر والصلاة . الصبر إلى يوم الدين إذ يلتقيان ... في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . . . والصلاة التي تهدى إلى هذه الجنات بإذن الله

هذه أيها القارىء قصة سلاّمة القس التي أنشأها الأخ الصديق الأستاذ على أحمد باكثير ، والتي كان قد نشرها من قبل فصولاً في إحدى المجلات ، والتي تنشرها له اليوم « لجنة النشر للجامعيين » ضمن ما تنشره من كتب قيمة ، فتملأ بها في عالم القصة المصرية فراغاً كبيراً ، إن لم يكن فراغاً مخيفاً .

والأستاذ باكثير أديب حضرمى كسبته مصر التي نشأ فيها وتخرج في الجامعة المصرية ، فهو يدين لمصر بتعلمه ، كما يدين لها بهذا الأدب الناضج المتشعب ، المتعدد النواحى ، فهو شاعر رقيق الشعر جيد المعانى ثائر على التقاليد ، وقد كنت على أن أتكلم عن طريقته في الشعر المرسل لولا أشياء صرفتني عن ذلك إلى حين . وباكثير شاعر مسرحى أيضاً ، وله درامتان بالشعر المرسل هما إخناتون ونفرتيتى ثم إبراهيم باشا بطل مصر الخالد ، وتصور الأولى صفحة ناصعة من تاريخ مصر الروحى القديم ، كما تصور الثانية صفحة ناصعة من تاريخ مصر الحديث في سبيل العروبة التي تنادى اليوم بوحدتها ، وكان باكثير في المقدمة من دعاتها بدرامته هذه ... ولولا أن اختار باكثير لهاتين الدرامتين



٤ – الشعر الجديد

زرت ليلة مجلس النواب فى عهـد سعد العظيم . فقام نائب فخطب وأطال . فلما فرغ قام سعد – رحمه الله – فقال ما معناه : « إنى أعدّ نفسى متوسط الذكاء ، وأزعم أنى قادر على فهم ما يدور فى هذا المجلس من كلام . ولكنى أؤكد لكم أنى أخفقت فى تتبّع ما قاله حضرة النائب المحترم » .

فوقفنا تجاهَ (الشعر الجديد) قد يشبه من بعض الوجوه موقف سعد تجاه هذا الخطيب .

فنحن أيضاً نزعم أننا وَسَط فى الذكاء ، ونزعم أننا نتذوّق الشعر ، وأننا نميز غَثّه من سمينه ، وخبيثه من طيّبه ، وأننا قرأناه فى جميع عصوره ، فوجدناه كله – بما لنا من سليقة تكونت على الزمن – نَسْجاً حِيكَ على منوال واحد ، هو منوال العربية وحدها . وإنما تختلف الأساليب ، وتتعدّد مناهج القول ؛ فتقوى تارة ، وتَرِكّ تارة أخرى ، وتسمو حيناً حتى تبلغ الذروة من البيان .

ولقد عبّر الشعراء فى خلال تلك الأجيال عن معان يكاد يُخطئها العدّ ، وعن أغراض تجِلّ عن الحصر . وتناولوا المعنوىّ والحسّىّ ، والفلسفىّ والدينىّ ، والعميق والضحضاح ؛ حتى التافه وما قد يَدُور فى أخلاد الأطفال – تناولوا كل ذلك فنسجوه على هذا المِنْسج العتيد .

نظرنا فى كل هذا وأمعنّا فيه ، فلم نلمح فى شىء منه عجمة ، ولم ننكر فيه رطانة .

حتى فجأنا (الشعر الجديد) منذ نحو ثلث قرن – كما أشرت فى كلمتى الأولى – فإذا نحن – إذ نقرؤه – ننكر من أنفسنا ما قد عهدناه فيها من نَفَاذ فى الفهم ومَضاء فى المعانى ؛ وإذا نحن نحار فيما نقرأ : أعربىٌّ هذا أم أعجمىّ ؟ أم قد ارتقى هؤلاء الشعراء حتى بلغوا مستوىً تخلّفنا نحن وراءه ؛ لمكان ثقافتهم ، وسعة أفقهم ، وجديد تربيتهم .

ثم نعرض أسماءهم – وهى كثيرة – فلا نرى بينها اسماً باهراً ، أو اسماً نابهاً ، أو اسماً ذا تاريخ

ولكنهم كلهم – أو جلهم – أحداث أو أشباه أحداث ، أحدق بهم شرذمة من المصفقين ، والمعجبين المخدوعين ، عملوا على نشر منظوماتهم وإذاعتها . تخلبت أفئدة الأغرار ببريقها . وراح طلبة المدارس ومن إليهم يقلدون هـذه الفقاقيع – وما أيسر ما تقلد ! ووجدوا هم أيضاً منفذاً إلى الصحافة ، فنفذوا وظن كل أنه شاعر ، وأنه يشار إليه بالبنان !

أمامى الآن مجلة فيها منظومة من ذلك الطراز ، عنوانها (زفرة فى التيه) إنه لعنوان خداع ، يسترعى الانتباه ، ويحفز على الاطلاع[1]

قرأتها أول مرة ، وأنا أبحث عن (الزفرة) وعن (التيه) ، وكيف كانت تلك الزفرة ؟ وما مبعثها ؟ أو – على الإجمال – قرأتها وأنا مشوق إلى القصة كلها . فهنا موضوع طريف فى شعر جديد !

لم أحْلَ من التلاوة الأولى بطائل[2] . فأعدتها ثم أعدتها ، فانجلى المثير عن اضطراب عام

(١) وهكذا بعض عنواناتهم (٢) حلى « كرضى » منه بكذا : أصاب منه كذا

طريقة من الشعر المرسل لا يستقيم ميزانها ولا يجمل فى السمع وقعها لكان لها شأن أى شأن ، فهما فى القمة من الفن المسرحى موضوعاً وحركة وتوزيعاً ، وروحه فيهما هى هـذه الروح التى أملت تلك القصة العجيبة الجيدة ، سلامة القس ، التى تمتاز بقوة تماسكها وجمال موضوعها وتناسق عاطفتها ، ومسحتها الشعرية الغامرة ... وإن كنتُ لا أوافق الأستاذ على نهايتها على هذا النحو الصوفى ... وقد ذكرت كلمة من قال : أين هذا الموسيقى الذى لم يكمل لحنه ، عند ما فرغت من قراءتها ؛ فالقصة لم تنته بعد ، لأن العاشقين لا يزالان حيين يرزقان ، ولعل الصديق العزيز يضع لنا الجزء الثانى منها بأن يخلق لنا من عنده ما كان من أمر سلامة فى قصر يزيد ، وما كان من أمر عبد الرحمن فى مكة ، وسواء انتهى أمرهما إلى مأساة أو غيرها ، فالذى نطلبه هو ألا يدعنا الكاتب على هذا النحو من التشوف والألم الذى لم يقر بنا إلى قرار

ووصيتى أن يقرأ الأستاذ باب الاعتكاف فى كتب الفقه ، وأن يتقبل تهنئات الأدب المصرى الحديث وشكر قرائه المعجبين

دريني خشبة

فنى أوائل النظم كلام يشبه الشكوى . ثم تَفَلْسُف معقد لا غاية له ، ثم أبيات لم أتبين لها معنى ، وأبيات قد تفهم على نحو ما ، ثم تأوهات صاخبة ، ثم سخط وضجر ، ثم معان أخرى متغايرة ، متداخلة أو متنافرة

حاولت أن أربط فى ذهنى هذه العناصر ، لأكوِّن وحدة الموضوع – على حد تعبيرهم الآن فجهدت على غير جَدا

دع عنك التقعُّر والتشدُّق ؛ فنى المنظومة منه كثير . وهناك ما شئت من ترقيم ، وما شئت من علامات ، وما شئت من ضبط بالشكل .

أما الزفرة فى التيه فقد تاهت !

هذا وصف مجمل للمنظومة التى بين يدىَّ . وهو وصف غير شاف كما ترى ؛ دفعنى إليه أنى أتوخَّى ألا ينمَّ حديثى هذا على الأشخاص ، كما وعدت من قبل . ولكنه وصف يكشف عن الطابَع العام للشعر الجديد . ولدينا من هذا الكشف مزيد فيما يلى من حديثنا ، إن شاء الله . (ع . ا)

هل الموت مشكلة ؟

من دأب الإنسان أن يتمرد على الوجود وخالقه ، كلما أعيته مشكلة من مشاكل الحياة المعقدة . ولعل من هذا القبيل ما ساقه الأستاذ اسماعيل مظهر فى الرسالة على لسان شيخه عُمران الذى استأثر القدر بابنه (أسامة) . أما المشكلة التى تكمن من وراء ثورة هذا الشيخ على الحياة ، فهى مشكلة (الموت) ؛ والموت هو الحقيقة القاسية التى يتحطم على صخرتها كل تفاؤل الانسان . ولكن الموت – مع ذلك – ليس هو المشكلة التى يجب أن تستثير دهشة المرء ، وإنما المشكلة هى (الولادة) : naissance . فكما يقول الفيلسوف سان مارتان Saint-Martin : (لقد رأيت أن البشر يعجبون لأنهم يموتون ، ولكنهم لا يعجبون مطلقاً لأنهم يولدون ؛ مع أن هذا هو فى الواقع ما يستحق الدهشة والإعجاب)[1]

وعلى الرغم من أن (الموت) كثيراً ما يُنظر إليه باعتباره لغز الحياة المعقَّد ، إلا أنه فى حقيقة الأمر ليس مشكلة تستبهم على الباحث المتدبر . وقد فطن إلى ذلك ابن سينا فكتب رسالة سماها (الشفاء من خوف الموت) وفيها يحل مشكلة الموت بأن يقول : (كل كائن لا محالة فاسد ، فمن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ، ومن أحب أن لا يكون فقد أحب فساد نفسه ، وكأنه يحب أن يفسد ويحب أن لا يفسد ، ويحب أن يكون ويحب أن لا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل . وأيضاً فلو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من كان قبلنا ، ولو بقى الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا ، لما وسعتهم الأرض ، وأنت تتبيَّن ذلك مما نقول : قدِّر أن رجلاً واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة موجود الآن ، وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن تحصى أولاده الموجودون ، كأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، وله أولاده ولأولاده أولاد ، وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد ، ثم احسب مقدار من يجتمع منهم فى وقتنا هذا ، فإنك تجده أكثر من عشرة آلاف رجل . واحسب كل من فى ذلك العصر عائشاً على بسيط الأرض شرقها وغربها ، مثل هذا الحساب ، فإنهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً ؛ ثم امسح بسيط الأرض فإنه محدود معروف المساحة ، لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قياماً ومتراصين ، فكيف قعوداً متصرِّفين ، ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ، ولا مكان لزراعة ، ولا مسير لأحد ، ولا حركة فضلاً عن غيرها ؛ وهذا فى مدة يسيرة من الزمان فكيف إذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة . وهذه حالة من يشتهى الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن أن ذلك ممكن من الجهل والغباوة . فإذا الحكمة الإلهية البالغة والعدل المبسوط بالتدبير المحكم هو الصواب الذى لا معدل عنه ، وهو غاية الجود الذى ليس وراءه غاية » ا هـ

فالموت إذن ليس مشكلة إلا إذا حكمنا عقلنا الفردى ؛ ولكننا إذا وسَّعنا أفق نظرنا ، فإننا نرى أن الموت ضرورة تقتضيها سنَّة الحياة نفسها ، وإذا ارتضى الإنسان الحياة ، فلا بد أن يرتضى الموت أيضاً ... وهكذا تتحول المشكلة من مشكلة خاصة بالموت ، إلى مشكلة خاصة بالحياة ، وهنا يحق المرء أن يتساءل : هل لمشكلة الحياة من حل ؟ !

زكريا ابراهيم

(١) المشكلة الخلقية : Le Problème morale ، الفصل الرابع ، ص ٢٠٠

« الحكيم وليلى » للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

قصة تحليلية تعالج كثيراً من المشكلات الاجتماعية . وإذا كان صاحبها الأستاذ توفيق حسن الشرتوني مجهولاً في مصر فإن أسرته خدمت العربية في المعجم النفيس « أقرب الموارد » الذي جمعه الشيخ سعيد الشرتوني

وعجيب جداً أن يكون للأستاذ توفيق الشرتوني أربعة كتب لم تذكرها صفحات النقد في مصر بكلمة واحدة . أو لعلها ذكرتها وغاب عنا زمانها ومكانها . ولكن هذه الظروف السعيدة بين لبنان ومصر قدمت إلينا الأستاذ «توفيقاً» وحملت معه كتبه

في نظرات هذا الكاتب المفكر وميض قوى الشماع ؛ ولذا تجد أفكاره دائماً مومضة مشعة . وتفكيره العميق يبدو في حديثه كما يبدو في كتابته . فهو لا يرى الكلمة عفواً ، ولا يرسلها كما تكون ؛ ولكنه يزنها ويقدر لها مكانها بجانب أختها . ولهذا لا تجد في عباراته تزويقاً أو تنميقاً ؛ ولكنها عبارات تمتاز بالوضوح وعدم الإسراف في القول والمغالاة فيه . وهو حكيم في نظراته إلى الأمور ، يبصرها من زوايا متعددة لا من زاوية واحدة . ولهذا تجد الحوار في هذه القصة حوار الحكيم لا حوار القاصّ . والمؤلف نفسه « حكيم » هذه القصة المؤثرة ؛ فهو يمشي إلى بيت البطلتين ليلى وسلمى ؛ ويخلو إليهما خلوة الحكيم لا خلوة العاشق . وتراه يغشى كل ناد ، ويرتاد كل مرتاد ، ويخالط الناس في كل ضرب من الأرض . وفي خلال ذلك يبث آراءه وينشر تعاليمه ، لا ييأس من إصلاح ، ولا يقنط من موعظة ؛ لأنه يريد أن ينتشل « ليلى » مما تورطت فيه . و « ليلى » فتاة تزوجت من شاب غني انحرف عن الجادّة ، وجار عن السبيل ، وأفسده القمار والخمار ... فأهمل حق زوجته وواجب أولاده . فرأت الزوجة البائسة أن تنتقم منه فانتقمت من نفسها ... فأهملت بيتها وتركت أولادها ، وشغلت بشاب آخر على نصيب من المال والجمال وقوة العضلات ... !

وهنا تزور « سلمى » جارة « ليلى » الحكيمَ وتقص عليه من حوادث جارتها المنحرفة ما يكوّنُ سلسلة من الفجائع ... فقد مات ولداها ومات زوجها أشنع ميتة ... وهي لا تزال ممعنة في نوازع هواها ونزغات شيطانها ... ولا تزال الأيام ترميها بكل داهية حتى جونت في عقلها

والأستاذ توفيق « الحكيم » ... اللبناني لا « توفيق الحكيم المصري » مخلص للأدب ، مخلص للإنسانية . ففي كتابته نزعات نبيلة تطفر من بين سطوره طفراً . وهو صادق في فنه لأنه يعتقد (أن الصدق في القول والعمل هو جوهر الأدب الصافي في هذا الكون) وهو فوق ذلك كثير العطف على الإنسانية ؛ كثير الإشفاق عليها ؛ كثير الرجاء في صلاحها . وقصة « الحكيم وليلى » محاولة في سبيل هذا الإصلاح .

محمد عبد الغني حسن

من الشعر المنسي لحافظ

في سنة ١٩٠٢ أصدرت مطبعة هندية كتاباً ألفه محمد حافظ صبري من رجال القضاء المصري ـ ولا أدري أين هو الآن ـ وهذا الكتاب تحت عنوان : « المقارنات والمقابلات بين الأحكام والمعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ، ومن القانون المصري والقوانين الوضعية الأخرى » . وقد قرظ هذا الكتاب شاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم بقصيدة أُثبتت في آخره ، ومع ذلك لم تُذكر هذه القصيدة في ديوان حافظ الذي طبعته وزارة المعارف ، بينما ذكرت فيه (التقريظات) في الجزء الأول من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥٨ ؛ وها هي ذي القصيدة :

أشرع العقل أم شرع الكليم ... أرى في ذلك السفر العظيم ؟
قرأت سطوره فمحت فيها ... برغم القوم تنزيل الحكيم
همو وضعوا لهم شرعاً جديداً ... فعاد بهم إلى الشرع القويم
ولولا هَدْيُ أحمد بعد موسى ... لما ساروا على النهج القديم
كذاك إذا النهى بلغت مداها ... هدتك إلى الصراط المستقيم
أحافظ قد وضعت لنا كتاباً ... جمعت بصلبه شمل العلوم
وأودعت النصوص به فكانت ... نصوص الدر في العقد النظيم
وأبرزت الشرائع في حلاها ... فمن آي ، ومن قول كريم
ومن نص إلى « التمود » يعزى ... ومن قول لـ« صولون » الحكيم
جُزيت عن النهى والدين خيراً ... ووقيت العداء من الخصوم

فلعل الذين قاموا على جمع هذا الديوان وطبعه يلتفتون إلى إثبات هذه القطعة في الطبعة الجديدة للديوان .

(كلية اللغة العربية) *أحمد الشرباصي*



12me Année No. 561 — Lundi - 3 - 4 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٦١ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

شر ولا سر ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« ... أرجوكم أن تتكرموا ... بشرح هذا الموضوع على صفحات الرسالة الغراء ... وهو (المرأة سر غامض)

« ... هي الجميلة وهي القبيحة ، هي الجنة وهي الجحيم ، هي الخادعة الفاتنة وهي المخدوعة المفتونة ، هي الكريمة المحسنة وهي الشريرة الظالمة ، هي الضاحكة الباسمة وهي الباكية القاتمة ، هي الوفية المخلصة وهي الخائنة الغادرة ... كل هذا وأكثر من هذا عند المرأة ، وهو عندها في زمان واحد ، وعندها في عقل واحد وقلب واحد ... فهل لكم أن تتفضلوا بكشف الغطاء عن هـذا السر العويص ، وعن خفايا هذا القلب وهـذا العقل الغامضين ... »

(بيت المقدس) داود العابودي

* * *

كتاب جاءني من الأديب صاحب التوقيع واكتفيت منه بما نشرته لأنه هو المقصود بالإجابة ، ورأيت حقاً أنه موضـوع قديم حديث لا يزال الآن ، ولن يزال إلى آخر الزمان ، صالحا للعودة إليه وزيادة القول فيه

فالمرأة كما قال الأديب شتيت من النقائض والصفات .

ولا غرابة عندى فى ذلك ، لأن الغرابة إنما هى فى الصورة التى نتلقاها وليست فى الحقيقة التى تأتى تلك الصورة على أبصارنا

فمن شاء عجب واستغرب ، ومن شاء نظر إلى السبب فبطل عنده العجب ، وعلم أن النقائض فى الظواهر إنما تفضى إلى باطن لا تناقض فيه ، لأنه مفهوم معقول على الوجه الذى ننتهى إليه ، وليس هو فى منتهاه ببعيد

إذا عرف السبب بطل العجب كما قيل

وإنما نعرف السبب فى تناقض المرأة كلما اقتربنا أولاً من التفاهم على الشخصية الإنسانية ، واقتربنا « ثانياً » من التفاهم على جوانب طبع المرأة ، واقتربنا « ثالثاً » من فهم الأنوثة فى جملتها

فمصدر الخطأ كله فى تصور « الشخصية الإنسانية » أننا نتصورها شيئاً واحداً لأنها تنطوى فى اللغة تحت عنوان واحد .

ولكن الواقع أن « الشخصية الإنسانية » سواء فى الرجل أو المرأة هي أشياء لا تحصى تنطوى تحت كلمة معدودة الحروف مجهولة الحدود

فهى تختلف بين حالة وحالة ، وتختلف بين سن وسن ، وتختلف على حسب العلاقة بينها وبين هذا الإنسان أو ذاك الإنسان ، وتختلف على حسب العلل والبواعث التى تحركها إلى الأعمال

فهى فى حالة الرضى والنعيم غيرها فى حالة السخط والبأساء ، وهى فى الشباب الباكر غيرها فى الكهولة أو الشيخوخة ، وهى فى معاملتها لفريق من الناس غيرها فى معاملة أناس آخرين ، وهى إذ تنبعث عن الطمع والخوف غيرها حين تنبعث عن النخوة والشجاعة

فإذا صدرت عنها الأعمال مختلفات فلا عجب فى ذلك ، لأنها لا تأتى من مصدر واحد ، ولا تزال لها مصادر متعددات

ويقال هذا عن النساء كما يقال عن الرجال أو الأطفال ، بل كما يقال عن الأشياء التى ليس لها حس ولا مشيئة

إن « الشواء » مثلاً هو قوة وضعف ، وهو دواء نافع وسم ناقع ، وهو لذيذ وكريه ، وهو غال ورخيص

وسبب ذلك أنه قد يأكله الطفل كما يأكله الرجل ، وقد يأكله المريض كما يأكله الصحيح ، وقد يجود صنعه وقد يسوء فى يد الطاهى الواحد على حسب اختلاف الأوقات والأدوات ، وقد يؤكل من السفود أو يؤكل بارداً بعد أيام

وإذا جاز اختلاف الأثر إلى هذا المدى فى صنف من الطعام فهو جائز إلى أبعد من هذا المدى فى الخلائق الحية التى تتقلب بين الدوافع والطبائع كل حين

***

أما التفاهم على جوانب طبع المرأة فنحن نقترب منه كلما أحضرنا فى أخلادنا هذه الجوانب المتعددة وذكرنا أنها تجتمع فى وقت واحد وتعمل فى وقت واحد ، فتأتى أعمالها متفقات أو متناقضات على حسب الدواعى والغايات

فالمرأة من جهة فردٌ من أفراد نوع تستقل بوجودها الخاص بين جميع أفراد ذلك النوع ، فهى هنا فى مقام المناضلة عن استقلالها ، أو مقام التضامن بالغريزة النوعية على تباين الأحوال والعلاقات

والمرأة من جهة ثانية هى عضو فى بنية اجتماعية هى الأمة أو المدينة أو القبيلة ، وهى من ثم زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل تجمعها بتلك البنية الاجتماعية صلة العرف أو القانون ، وتلك صلة أخرى غير صلة الغريزة النوعية أو صلة الفرد بسائر الأفراد الذين يشاركونه فى نوع واحد

والمرأة من جهة غير هذه وتلك أنثى لها تركيب حيوى يربطها بمخلوق آخر تنظر إليه نظرة غير نظرتها إلى الفرد أو إلى الشريك فى البنية الاجتماعية

وهى من جهة أخرى أم تحب أبناءها بالغريزة والألفة ، وهى كائن حى من حيث هى وليدة الحياة فى جملتها أياً كان النوع الذى تنتمى إليه والأمة التى تعيش بينها والعلاقات التى تجمعها بالزوج أو القرابة أو البنين

هى كل أولئك معاً لا فكاك لبعضهم من بعض ولا افتراق

وليس من الضرورى أن يتفق كل أولئك فى الوقت الواحد على اتجاه واحد ، لأن مطالب الفرد والزوجة والأم والحبيبة والكائن الحي قد تتعارض فى مذاهبها وهى مجتمعة فى بنية واحدة

وليس من الضروري كذلك أن تكون المرأة أماً بالفعل لتشعر بحنو الأمومة ، لأنها مخلوقة للأمومة قبل أن يولد لها الأبناء ، وقد تكون الأم الوالدة أقل في حنوها من الفتاة العذراء ، إذا طرأ للأم الوالدة ما يحجب فيها شعور الأمهات إلى حين

لدينا إذن فرد يريد بفطرته الفردية أن يستقل عن جميع الأفراد الآخرين سواء كانوا من الآباء أو الأمهات أو الأزواج ؛ فلا يلبث أن يستقر فيه هذا الشعور الطبيعي حتى ينازعه فيه شعور الأنثى التي تريد أن تنضوي إلى رجل تهواه ، وقد ينازعها شعوران بل أكثر من شعورين إذا تعددت الصفات التي تستهويها من الرجال وتفرقت بينهم على نحو يضلل الإرادة ويشتت الأهواء

ولا تلبث أن تغالب استقلالها الفردي وتطاوع نزعتها الأنثوية حتى يبرز لها المجتمع بحكمه الذي قد يخالف حكمها في الاختيار والترجيح ، فيقودها إلى الجاه والمال وهي تنقاد إلى الفتوة والجمال ، أو يلزمها الوفاء للزوج وهي تنظر إلى رجل آخر نظرة الأنثى التي سبقت بفطرتها قوانين الأمم وقواعد الآداب

ولا تلبث أن تحتال على هذه البواعث حتى يغلبها حنو الأمومة فيربطها بمكان لا تود البقاء فيه ، أو ينهض الكائن الحي في نفسها نهضة لا تطيع باعثاً غير بواعث الحياة بمعزل عن نزوة الأنثى وقانون المجتمع وغرائز الأمهات

تناقض كهذا لا عجب فيه ولا مباينة للمعقول ؛ لأن كل دافع من دوافعه مرجعه إلى سبب مفهوم موافق لسنة الأحياء

ثم يضاف إليه تناقض آخر يرجع إلى تعدد الدواعي في كل صفة من هذه الصفات

ونكتفي بصفة واحدة لأن توضيح الصفات جميعاً شرح يطول بنا في هذا المقام

فالمرأة في صفة الأنوثة ، وهي تنضوي إلى الذكورة ، تحب الرجل الكريم لأنه يغمرها بالنعمة ويريحها من شدائد العيش ويخصها بالزينة التي تزهيها وترضي كبرياءها بين النظيرات والمنافسات ، فضلاً عما في الكرم من معنى العظمة والاقتدار

ولكنك قد ترى هذه المرأة بعينها تتعلق ببخيل لا ينفق ماله على زينة ولا متاع ، فهل هي مناقضة لطبيعتها في هذا الانحراف العجيب ؟

كلا : بل هي لا تناقض طبيعة الكبرياء نفسها التي ترضيها عن كرم الكريم ؛ لأن المرأة يجرح كبرياءها أن ترى رجلاً يستكثر المال في سبيل مرضاتها ، ومتى جُرحت المرأة في كبريائها أقبلت باهتمامها وحيلتها وغوايتها من حيث أصابها ذلك الجرح المثير ، وليس أقرب من تحول الاهتمام إلى التعلق في طبائع النساء

فالنزعة الواحدة قد تكون سبيلاً إلى النقيضين في ظاهر الأعمال ، ولكنهما نقيضان لا يلبثان أن يتفقا ويتوحدا عند المنبع الأصيل ، متى عرفنا كيف تنتهي الردة إليه

* * *

أما فهم الأنوثة على جملتها فمن الحق أن نذكر أن الأنوثة درجات ، وأن لها أطواراً كثيرة بين الظهور والضمور . فليست كل امرأة أنثى من فرع رأسها إلى أخمص قدمها كما يقال قديماً في معنى التعميم والشمول ، أو ليست كل امرأة أنثى مائة في المائة كما يقول الأوربيون اليوم ؛ بل ربما كانت فيها نوازع إلى الأنوثة ونوازع أخرى إلى الرجولة ، وربما كانت أنوثتها رهناً بقوة في الرجل الذي يظهرها لا يتشابه فيها جميع الرجال ، وربما كانت في بعض عوارضها الشهرية وما شابهها من عوارض الحمل والولادة أقرب إلى الأنوثة الغالبة أو أقرب إلى الذكورة الغالبة ، وهي العوارض التي كانت تحسب فيما مضى كلاماً من كلام المجاز ، فأصبحت اليوم حقيقة علمية من حقائق الخلايا وفصلاً مدروساً من فصول علم الأجنة ووظائف الأعضاء

* * *

وبعد فالمرأة شخصية إنسانية لا تنحصر في لون واحد ولا يستغرقها الحس في علاقة واحدة

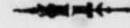
والمرأة صفات متعددة أو أدوار كثيرة تتمثل على مسرح النوع ومسرح المجتمع ومسرح الطبيعة والحياة

والمرأة أنوثة لا تستقر على حال بين الحدة والفتور وبين الظهور والضمور

فأي عجب أن تختلف وتتناقض في لحظة واحدة؟ إنما

الحكم على الشعر
وأساليب النقد والتحليل

للدكتور محمد صبرى



الشعر أعلى وأدق تعبير للحياة وقد وصفه أحد شعراء الإفرنج بأنه « لآلئ الفكر » ، وهو يتصل بخياله وأوزانه بالتصوير والموسيقى اتصالاً وثيقاً ، فلا بد من الحس الرهف للحكم عليه ، ولا بد من « الذوق » ، وقليلون جداً من يتذوقون الشعر و « يحسون نبو الوتر » ، وهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد فى كل عصر وفى كل جيل . ومهما كان من الأمر فإن التذوق درجات تتفاوت وتختلف باختلاف الأمزجة ، والتمرس بالآداب المختلفة ، والخبرة والاستعداد الشخصى . فالشاب المنعم الذى لا يعرف متاعب الحياة ويجهل حب البنين ، ليس فى مقدوره أن يحس لواعج الحزن وعولة الحياة فى رثاء ابن الرومى أو الهذلى لبنيه ، ولا يفرق بين غناء العود وأنينه ، وهو لا يستمع إلا بأذن صماء إلى بكاء الطير فى الدوح ، ونحيب البلبل فى الغاب ، وحنين الجمال فى البيداء

حنينهما وما اشتكت لغوبا ... يشهد أن قد فارقت حبيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

والشعر فى اعتقادى كالحبة التى أودعها الخالق قوة هائلة مركزة تركيزاً عجيباً مادياً وروحانياً ؛ فمن الحبة تخرج الحياة ، ومن حدودها الضئيلة تنبت وتتفرع وتنتشر الشجرة بظلالها وجناها ، فليس فى مقدور كل أديب الإحساس بتلك « الهيولى » الساحرة الماثلة فى بيت من الشعر ... فى غضون كلمات معدودات ... وليس فى مقدور كل إنسان أن يرى جمال الحقيقة وبهاءها ، وفتنة الحياة وجحيمها ، وقوافل الإنسانية البائسة الصامتة المنكسة الرءوس والأعلام ، وهى تطل من البيت والبيتين ...

وقد بكى شعراء العرب أطلال المنازل التى كانت شاهد حبهم وحياتهم فى عصر من عصورها ، فى لحظة من لحظات السعادة الزائلة ، فلم يبك أحدهم الحياة فى أوسع آفاقها وجنباتها الخاوية مثلما بكاها البحترى وهو واقف « بين يدى الإيوان » وبين يدى الله . ولم يندب أحد بعد امرىء القيس الطلل البالى وسكونه ووحشته بعد الأنس والحياة والحركة والضوضاء وبهجة الألوان ، والوجوه والظلال والأشباح ، كما ندبها البحترى فى قوله :

تلك المنازل ما تمتـــع واقفا
بزها الشخوص ولا وغى الأصوات

ولأبى تمام بيت رائع من هذا القبيل كان يتغنى به المرحوم حافظ إبراهيم فى غاب بولون ، وقد صحبته إليها حين زار باريس :

لا أنت أنت ولا الديار ديار ... خف الهوى وتقضت الأوطار

فهذا الشعر يمثل الحقيقة لأنه صادر عن وجدان صادق ، وعاطفة وتجارب مرة ، وقوة ملاحظة وتصوير ناطق ، وقد امتاز امرؤ القيس بحب الحقيقة وتصويرها فى أبهتها وجلالها وروعتها فأصبح عاهل الشعر حقاً

ولا ريب أن أروع شعر أبى تمام هو الشعر الذى ترسم فيه الحقيقة ، لا الشعر الذى ملأه بديعاً وتكلفاً ، وإذا كانت أشهر مراثيه قصيدة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

العجب أن تختلف البواعث والأسباب ولا تختلف الأعمال والآثار

ومع هذا كم يقول النساء عن تناقض الرجال ولا يخطئن المقال ؟ كم يقلن إن الرجل « كالبحر المالح » لا يعرف له صفاء من هياج ؟ وكم يقلن إن فلاناً كشهر أمشير لا تدرى متى تهب فيه الأعاصير ؟ وكم تقول إحداهن للأخرى : « حبيبك فى ليلك ، عقرب فى ذيلك ؟ » وكم لهن من أمثال هذه الأمثال مما لا يحفل به الرجال ؟

إنهن لا يعنين بمقاربة الرجل من طريق الفهم كما يعنين بمقاربته من طريق التأثير . ولو حاولن فهمه كما يحاولن التأثير فيه لخرجن به لغزاً من الألغاز وأعجوبة من أعاجيب البحار فى قديم الأسفار .

عباس محمود العقاد

وفيها يقول :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فإن هنالك قصيدة أخرى هي في اعتقادي أروع منهما وأجل ، وهي القصيدة التي رثى فيها ابنه ، ووصفه وهو يتقلب على فراش الموت ويعاني آلامه :

آخر عهدي به صويبا … للموت بالداء مستكينا
إذا شكا غصة وكرباً … لاحظ أو راجع الأنينا
يدير في رجعه لساناً … يمنعه الموت أن يبينا
يشخص طوراً بناظريه … وتارة يطبق الجفونا
بُنَيَّ يا واحد البنينا … غادرتني مفرداً حزينا

وقد ذكر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين الطبيعة في شعرهم ، ولكن الجاهليين الذين كانوا يعيشون في البادية والفضاء الرحب ، والماء والغاب والوهاد والنجاد والصخور والكثبان والسيول والأنهار ، كانوا أصدق عاطفة في تصويرها من المولدين ، لأن الآخرين ولعوا بالرياض والزهور ومظاهر الطبيعة «السطحية» المنمقة «كالوشي» و «التطريز» ، أكثر من ولعهم بالرياح التي تهب ، وقوى الطبيعة التي تزخر وتصخب ، وتئن في أحنائها وأفيائها ...

ولعل أكبر صلة تربط امرأ القيس بالإفرنج وتميزه على شعراء العرب كافة هي إحساسه العميق بالطبيعة ، وإني وإن كنت قد بينت الصلات الأخرى نصاً وتصريحاً ، فإني تركت هذه الصلة (صلة الطبيعة) تبدو « من تلقاء نفسها » شرحاً وتحليلاً ، والواقع أن امرأ القيس موهبة من مواهب الطبيعة ، يجب أن ندرسها ونتعلق بها تعلق الإنجليز بشكسبير وتراثه الخالد

وقد حصرنا إلى اليوم همنا في تنفير الناس من امرىء القيس ، وحصر عبقريته في الاستعارات بين (بيضة الخدر) و (قيد الأوابد) و (السجنجل) و (المقنقل) ، وتركنا جوهر الشعر اللامع الوضاء دفيناً تحت الرماد

وقد أبدع العقاد في تحليل شعر ابن الرومي ، وكتب صفحات رائعات ، وقد يكون لغيره في النقد والتحليل نفثات ، وكل ما نرجوه أن نعمل جميعاً على إظهار مكنونات وكنوز الشعر العربي . وأحب هنا أن أذكر أن « كتابة » النقد والتحليل قد ترتفع إلى أعلى مراتب الكتابة والبيان ، لأن شخصية الكاتب تتجلى فيها ، وهذه الشخصية تبدو في غضون الكتاب لا في العنوان . والشخصية تشمل المزاج وقوة التصوير والقدرة البيانية وتجارب الحياة ، وهي كلها ذات أوشاج وصلات مع شعر الشاعر وحياته

وهذا (سانت بيف) أكبر ناقد فرنسي بدأ حياته بالشعر ثم أرصدها للنقد ، فساعده خياله وأدبه وسعة اطلاعه على فهم الشعر والمجتمع ، وصار الناقد في عبقريته لا يقل عن أكبر شاعر ، كما أن (بول بورجيه) ، وهو من خيرة الروائيين الذين حللوا الحب والحياة ، ساعدته قوة تحليله وفلسفته على كتابة صفحات في نقد الشعراء المعاصرين هي آية في الفلسفة التحليلية ، واختراق الستار الذي يحجب الحياة والمجتمع في شعر الشاعر ، وقد تمكن كل منهما من إظهار تلك الأشعة الدقيقة التي تحيط بجوهر الشعر والفكر والخيال

محمد صبري

اللغـــــة... والوطن...

للأستـــاذ دريني خشبة

يوشـك الداء الوبيل الذى تفشى فى إفريقيا الشمالية ، ولا سيما فى تونس والجزائر ، أن يتفشى على الصورة نفسها فى سوريا ولبنان . وها نحن أولاء نرى جراثيمه فى دور الحضانة فى مصر ...

يوشك هذا الداء الوبيل الذى زعزع أركان اللغة العربية فى تونس والجزائر ، أن يزعزع أركان هذه اللغة فى سوريا ولبنان ، لأن العلية من إخواننا السوريين واللبنانيين يعدون اللغة الأصلية التى يأخذون بها أنفسهم وأبناءهم منذ الطفولة هى اللغه الفرنسية ، فهم يحلونها محل العربيـة فى مدارسهم ومعاملاتهم وأحاديثهم ، وبالتالى فهم يفـكرون بها ، ويمزجون بها دماءهم ، ويملأون بها أحلامهم ، ويقومون بهـا ألسنة أطفالهم ، حتى ليستطيع الطفل السورى أو اللبنانى أن يحاورك بالفرنسية فى سهولة ويسر ، فى حين أنه يعجز عن فهمك ومبادلتك الحديث إذا قصرت المخاطبة على اللغة العربية

ويجب قبل كل شىء أن تشغلنا هذه القضية عن كل تأويل يصح أن يؤول به الدافع الذى حدا بنا إلى الـكتابة فى هذا الموضوع الذى عزمنا على الخوض فيه عقب دعوة جمعت بين أسرتنا المصرية وبين أسرة سورية كريمة عرف اثنان منها على الأقل ، فى العالم العربى كله برسوخ القدم فى الفـكر والأدب والاجتماع ومنهما إحدى زعيمات النهضة النسائية العربية فى الشرق الأدنى . فلقد هالنى أن أرى السيدة النبيلة تخاطب أطفالها بالفرنسية فيجيبوها فى انطلاق عجيب أكد لى أن هؤلاء الأطفال قد تفقوا الفرنسية قبل أن يشدوا العربيـة ... وهـذه هى القضية التى أطرحها أمام القراء اليوم ، وأمام الرأى العربى العام فى جميع الشعوب العربية ، لما فيها من الخطر الجسيم الذى نستهين به أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يجتاح كل مقوماتنا من لغة ودين وعادات ووطنية ، ثم يؤدى آخر الأمر إلى الانسلاخ من الشرق ، والضياع بين الأمم ؛ لأننا مهما أتقنا الفرنسية فلن نصبح فرنسيين ، ومهما استبدلنـا الإنجليزية بالعربية فلن نـكون من الإنجليز ولا كالإنجليز ، ولن نجنى على أنفسنا إلا شراً مستطيراً وبلاء كبيراً كهذا الشر وذاك البلاء اللذين تغص بهما تونس والجزائر اليوم

وأنا إن كنت أخص سوريا ولبنان بالذكر فلست أصدر فى ذلك إلا عن هذه المحبة التى أكنها ويكنها كل شرقي مخلص لهذين القطرين الشقيقين اللذين كانا فى عصر مجيد من عصور هذا التاريخ العربى ، كعبة اللغة العربية ومحور الثقافة العربية ، وقطب الرحى فى الشعر العربى ، عنهما تأخذ كل الأقطار العربية ، وإليهما تهفو قلوب العرب ، وفيهما يخفق القلب العربى بالحـكمة والسياسة والشعر والنثر والرواية والقصة وعلوم الشريعة وما إلى ذلك كله من الأمجاد العربية ...

١ — وبعد ... فما الدافع يا ترى إلى تمسك الآباء والأمهات فى هذين القطرين العزيزين بتعليم أطفالهم الفرنسية قبل أن يثقفوا العربية ؟ هل هو هذا الاستعلاء السخيف الذى تأخذ به أسر مصرية كثيرة ، والذى مظهره عدول هذه الأسر بأطفالها عن المدارس المصرية إلى المدارس الأجنبية التى ما فتحت أبوابهـا فى مصر والشرق إلا للاعتداء الصريح على قومياتنا وأدياننا ولغتنا واستقلالنا وكراماتنا ؟ أو هو سبب اقتصادى يتعلق بمستقبل هؤلاء الأطفال في أوطاننا التى يغزوها الاقتصاد الأجنبى غزواً يريد اليوم أن يتحكم فى وسائل التعليم كما حاول من قبل أن يتحكم فى كل شىء آخر ؟ ! أو هو قصر نظر منا نحن الشرقيين حين تبهرنا بهـارج الغرب الزائفة ، فنقع كالفراشة فى نارها دون وعى ولا تدبر ولا تفـكير ؟

الهم إن كان السبب هو هذا الاستعلاء الذميم عن أن يبدأ أطفالنا التعلم باللغة العربية لا لشىء إلا أنها لغة عربية ... وما يتصوره التعساء منا من أنها لغة الفقراء ، أو لغة الطبقة الثالثة ، فلشد ما نرتـكب بهذا التصرف الخيانة الوطنية العظمى ضد وطننا وضد الشرق وضد العروبة

أما إن كان هو السبب الاقتصادى فيما يتعلق بمستقبل

الأطفال فى ذاك الوسط الذى يغزوه الاقتصاد الأجنبى ، فعلاجه شىء آخر ليس هو البدء بتعليمهم اللغة الأجنبية قبل أن يثقفوا لغة بلادهم الأصلية

أما إن كان قصر نظر منا معاشر الشرقيين ، فعلاج ذلك إعلان الحرب عليه ، والأخذ بسياسة جديدة فى تعلم اللغات الأجنبية

٢ — ولعل انتشار مدارس البعثات الدينية هو أكبر الوسائل التى أدت إلى إهمال اللغة العربية كأداة أساسية من أدوات التعليم ، إذ تُعلّم معظم المواد ، بل كلها ، فى تلك المدارس بلغة أجنبية ، ومن هنا تنقطع الصلة بين الطفل وبين لغة بلاده ، بل بينه وبين بلاده ، ووطنيته ، ودينه ؛ ومن هنا أيضاً استخفاف الطفل ، حين يصبح رجلاً ، والفتاة ، حين تصبح أمًّا ، بالشرق ، وباللغة العربية ، وبما يتصل بالشرق وباللغة العربية من ثقافة وعادات ودين . ومن هنا أيضاً نظرة المتعلمين من هذا الطراز إلى إخوانهم الشرقيين على أنهم برابرة متوحشون . ومن هنا أيضاً عداؤهم المر للغة العربية وثقافة اللغة العربية ولكل ما له صلة بالعرب . والعجيب فى أمرنا أننا نقبل على التعلم فى تلك المدارس إقبالاً شديداً ، ونحن نقبل ذلك الإقبال الشديد لسببين ، أولهما أننا لا نجد من المدارس الوطنية ما يقوم بمهمة تعليم أطفالنا ، والسبب الثانى هو هذا اللألاء الكاذب الذى نضفيه على تلك المدارس الأجنبية ، والذى لا تستحق منه إلا ما يعدل أغراض تأسيسها التى أشرنا إليها

٣ — وقد كانت النتيجة الأولى لهذا البلاء أن نشأ أبناؤنا الذين تعلموا فى هذه المدارس وهم أضعف ما يكونون فى اللغة العربية ، فهم يخطئون فى نحوها ، ويخطئون فى التعبير بها ، وإذا كتبوا بها رأيتهم يكتبون كلاماً عربياً فى مظهره سبقه تفكير بلغة أجنبية ؛ وهنا يبدو الشذوذ فى التراكيب ، وتشيع الركاكة فى الأساليب ، ويلتوى الفهم ، وتمتاص على القارئ متابعة الكاتب ، فيزور عنه ، ويضيق به ، ثم يطويه وفى نفسه من الهم والحسرة على اللغة العربية ما فيها

وإذا قلت إن آثار ذلك بادية مع الأسف الشديد فى كثير من أقلام الصحافة اللبنانية والسورية فإنما أقوله ولا أقصد مطلقاً أن أعيد إلى الأذهان هذا الحديث السخيف عن الزعامة الأدبية بين لبنان ومصر ... إنما أقوله وبنفسى من المحبة للبنان ولسوريا ما لا يقل عن محبة اللبنانيين والسوريين بلادهم التى نفتديها بالمهج ، وأقوله لأن قضية اللغة العربية هى قضيتنا جميعاً ، وقد قدمت أن هذا الداء الذى يوشك أن يزعزع أركان اللغة العربية فى لبنان وفى سوريا قد بدأت جراثيمه دور حضانتها فى مصر ، فكثير من الأسر المصرية تتخاطب فيما بينها بالفرنسية من غير ما ضرورة تلجئهم إلى ذلك إلا الاستعلاء الذميم على أشرف لغات الأرض والسموات ! وقد تعلم أبناء هذه الأسر فى مدارس تشبه المدارس المنتشرة فى سورية وفى لبنان

٤ — ولعل جريرة ذلك تقع على كاهل الحكومات العربية بقدر ما تقع على كاهل الشعوب العربية نفسها ، فتقصير الحكومات فى فتح المدارس الوطنية ، ولا سيما للبنات ، هو الذى ألجأ الأهالى إلى إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس الأجنبية ، وقد زاد الطين بلة ترك الحرية لهذه المدارس كاملة فى اختيار طرق التدريس ووضع المناهج وتكييف التلاميذ فيها حسب ما تشتهى ! ولعل الذى كان يحدث فى هذه المدارس فى مصر إلى عهد قريب جداً من تدريس جغرافية فرنسا وتاريخها لصغار الأطفال المصريين ، وإهمال التاريخ المصرى والجغرافية المصرية هو نفسه الذى كان يحدث فى مثل تلك المدارس بلبنان وسوريا ، بل لعله لا يزال قائماً فيها إلى اليوم !

أما نصيب الأهالى من تلك الجريرة فهو انخداعهم فى أمر تلك المدارس وإقبالهم عليها ذلك الإقبال الشديد بدافع من العوامل التى أشرنا إليها . ولعل نصيب العهد التركى من هذه الجريرة ، والامتيازات الجنونية التى كان يمنحها فى سفه هو أسود الأنصبة الثلاثة جميعاً

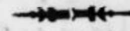
٥ — على أننا خليقون ألا نفقد الأمل فى علاج هذا الشر وحسمه قبل أن يستشرى بالصورة التى استشرى بها فى تونس والجزائر ، فعلى الحكومات العربية واجب إنشاء المدارس التى تضارع تلك المدارس الأجنبية عظمة بناء وفخامة مظهر ، وعليها أن تنشئ المدارس الراقية فى كل مدينة وقرية لتعليم الفتاة ، وعليها أن تتولى هى أمر تعليم اللغات الأجنبية التى لا غناء عنها لنهضة الشرق ، على أن تتفق فيما بينها على ألا يتعلم الطفل أية لغة أجنبية إلا إذا تجاوز العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ،

أطوار الوحدة العربية

القضية العربيـــــة
في المرحلة الحاسمة

فضل مصر على بلاد العرب

للأستاذ نسيب سعيد



لقد مضى زمن غير يسير انقطعنا فيه عن التحدث إلى القراء عن أطوار الوحدة العربيـة ، وتركنا ذلك البحث القوى الذى بدأناه فى العـام المنصرم لأسباب قاهرة وهي سفرنا إلى الجزيرة فى أقصي تخوم بلاد العرب مما سنتحدث عنه فى المستقبل

ولا بد لى من القول قبل مواصلة حديثى الماضى عن تاريخ الوحدة العربية من أن أستعرض فى هذا المقال التطور الرائع والخطوات السريعة التى خطتها القضية العربية فى هذه الأيام القليلة ممـــا يبشر بمستقبل لامع لبلاد العرب ، وبأمل باسم لأبناء العروبة ، يعيدون به مجدهم التالد ، وعزهم الخالد ، وأرى لزاماً على أيضاً أن أسجل هنا بكل فخر وإعجاب للذكرى والتاريخ ، فضل مصر العظيم على هذا التطور السريع الذى تجتازه القضية العربية فى هذا الدور الخطير ، فكما كان لعزيز مصر محمد على باشا الكبير الأثر البـارز فى بعث الفكرة العربية ، والوعى القومى العربى ، واليقظة الوطنية فى بلاد العرب حينما حلم بتأسيس امبراطورية كبرى تضم شتات هـذا الشرق العربى ، فكذلك قام اليوم رئيس حكومة مصر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يدعو لهذه الوحدة ، ويعمل لها ، ويسعى فى سبيل تحقيقها ليل نهار ، بدون كلل ولا ملل ليخرجها من الفكرة إلى الواقع ، ومن الحلم إلى الحقيقة ، بل قل من الظلمات إلى النور

وقد قام لأجل ذلك بمشاورات الوحدة العربية مع سائر دول العرب المستقلة واجتمع إلى أقطاب هذه الدول ورجال حكوماتها المسئولين ، واستمع إلى آرائهم فى جمع شمل العرب ، ولم شعثهم ، وضمهم فى منظومة دولية واحدة . وكان أول من دعى إلى هـذه المشاورات رئيس الحكومة العراقية نورى باشا السعيد فى أول مايو عام ١٩٤٣ ثم دعى رئيس الحكومة الأردنية واستقبل بعد ذلك الوفد السعودى ، ثم الوفد السورى ، وتلاه الوفد اللبنانى ، ثم اليمانى . مما سنتحدث عنه مفصلاً

وإنى لمن المؤمنين بأن التاريخ العربى ، سيسجل بأحرف من نور على صحائف غر ، هـذه اليد البيضاء التى تسديها مصر المطيمة إلى القضية العربية ، وهذا السعى الحثيث فى سبيل وحدة العرب ، تلك الوحدة التى فيها سعادتهم ورفع شأنهم بين الدول فتعيد مجدهم وعزهم ، وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة ، وأبواباً واسعة للتقدم والرقى ، فيد الله مع الجماعة وفى الاتحاد قوة ، وفى التفرق ضعف ووهن

وليس أدل على عمل مصر وجهادها فى هـذا السبيل ، من ذلك البيان الخطير الذى أذاعه رفعة النحاس باشـا رئيس الحكومة المصرية على العالم فى شهر فبراير سنة ١٩٤٣ قبل البدء بمشاورات الوحدة على الدول العربية ، وألقاه فى مجلس الشيوخ المصرى وزير العدل الأستاذ محمد صبرى أبو علم باشا باسم رفعته رداً على سؤالين وجها إليـه بشأن موقف مصر من

أى بعد أن يدرس لغته ويثقفها ويمرن لسانه بها ، وليستطيع أن يفهم بها شئون الحياة . وإلى أن يتم ذلك فواجب الحكومات العربيـة الإشراف على التعليم فى تلك المدارس الأجنبية ، فلا تسمح بتدريس أية مادة بها بغير اللغة العربية لصغار التلاميذ ، أى قبل الثانية عشرة ، وجواز تدريس مادة واحدة بلغة أجنبية بعـد ذلك ، بقصد تمكين التلاميذ من تلك اللغة ، كما يجب ألا تقل الحصص المقررة للغة العربية عن حصص اللغة الأجنبية . أما واجب الشعوب العربية فهى أكرم من أن تنبه إليه

تلك كلمة مخلصة بريئة فى تلك القضية أدعها تحت أنظار ولاة الأمور فى البلاد العربية راجياً أن تشترك فيها أقلام كثيرة

وديع ضبية

الوحدة العربية . وإنى لناشر هذا للبيان الخطير فى مجلة الرسالة اليوم بكامله ، لأنه ولا شك صفحة لامعة لمصر الخالدة ، فى التاريخ العربى . قال رفعة الرئيس الجليل : « إننى معنى من قديم بأحوال الأمم العربية ، والمعاونة على تحقق آمالها فى الحرية والاستقلال ، سواء فى ذلك أكنت فى الحكم أم خارج الحكم ، وقد خطوت إلى ذلك خطوات واسعة صادفها التوفيق ، فاتجه نظام الحكم فى بعض الأقطار العربية الاتجاه الشعبى الصحيح

ومنذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلاً ، ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية هى أن تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هـذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال ، كل على حدتها ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ثم تدعوهم بعد ذلك إلى مصر معاً فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية لوجهة متحدة بالفعل ، فإذا ما تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمم العربية

هذه خير السبل للسير بالموضوع سيراً يكفل له النجاح ويضمن التوفيق

والواقع أن رفعته قام بعد ذلك بمشاورات الوحدة مع سائر الدول العربية المستقلة لأجل خير العرب وتحقيق أمانيهم .

ولا يسعنا فى هـذا المقام إلا القول أن مصر تولت بحق زعامة القضية العربية فرعتها باهتمام وقوة ، وأن هذه المشاورات للوحدة التى قام بها زعيم العرب الأكبر رفعة النحاس باشا الذى تخطت جهوده الآفاق الإقليمية الضيقة إلى الوطن العربى الكبير هى خير وسيلة للوحدة ، والنحاس باشا بما يكنه قلبه من الإخلاص لفكرة العروبة والإيمان بالقضية العربية ، يعتبر خير من يقوم بتوجيهها الوجهة الصحيحة التى ستنمو وتزدهر وتتطور مع الزمن تطوراً يؤدى إلى تحقيق الأمل المنشود والأمانى العذبة التى ينتظرها العالم العربى بأجمعه

على أن هذا الدور الذى يقوم به رفعة الرئيس المصرى كجندى أمين فى تطور الوحدة العربية واتجاهاتها ، وانتقالها من الطور التجريبى الذى سارت فيه متعثرة بمتلكئة مدة ربع قرن ، إلى الدور الإنشائى الإيجابى الصحيح المثمر المستند إلى حقائق التاريخ والواقع والمنطق ، والذى يمكن أن تقبله عقول الأجانب ويستقر فى أعماق نفوسهم ويشعرون معه بالسرور بالتسليم بحق العرب فى التضامن والتآزر والتكتل والتعاون ، نقول إن هذا الدور الذى يقوم به الرئيس المصرى له أثره لا فى بلاد العرب فحسب بل فى العالم الشرق بأجمعه . ولمصر الفضل الكبير بالدعوة إلى الوحدة العربية دعوة عملية . وقد نشر النحاس باشا بعمله هذا صفحة جديدة لامعة ستجعل البلاد العربيـة فى وقت قريب بلاداً واحدة تخضع لنظام واحد ، وتشريع واحد ، وتنسجم فيها المناهج الثقافية ، والأساليب الاقتصـادية ، وقد خلقتها الطبيعة موحـدة فيأبى العقل والتفكير أن تكون هذه الحواجز الضيقة الوهمية التى فصلت بين أجزائها

وليس من شك فى أن مصر الخالدة ستقود العالم العربى فى تطوره السياسى العتيد ، خلال المرحلة الجديدة فتسير فى طليعة الشعوب العربية وتكون واسطة عقدها ، وقطب رحاها ، فتؤلف بينها وتقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها فى الجامعة العربية ، ولا غرو فإن مركز مصر الجغرافى ، ومقامها الثقافى والاقتصادى ومكانتها العلمية الممتازة تضمن لهـا هذا التفوق وهذه الزعامة الصحيحة ، فهى من الناحية الواحدة واقعة فى وسط بلاد العرب ، فالشام والحجاز واليمن والعراق ونجد وجميع هذه الأقطار تقع فى شرق مصر ، كما تقع برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش فى غربها ، والسودان يقع

محاورات المـــوتى

المحاورة الرابعة

للكاتب الفرنسى برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

سقراط ومونتين

سقراط : ولد فى أثينا حوالى ٤٧٠ قبل المسيح وأشهر تلاميذه أفلاطون وإكزانفوف وألسيبيادس . ولقد هاجمه أرسطوفان هجوما عنيفا وسخر منه فى قصته « السحاب » . اتهم ظلماً فى سنة ٣٩٩ ق م بإفساد الشبيبة بتعاليمه وقدم للمحاكمة فدافع عن نفسه بخطبة شهيرة أحنقت القضاة فحكموا عليه بالموت

مونتين : أديب فرنسى شهير ولد سنة ١٥٣٣ ميلادية ، وقد اشتهر بمقالاته التى تناول فيها رجالات المجتمع فى عصره بالدرس والتمحيص . وإنك لتجد آراءه وتأثيره بأدبه فى أغلب كتاب فرنسا فى العصرين السابع عشر والثامن عشر . على أن تأثيره لم يقتصر على فرنسا بل تعداها إلى انجلترا ، حيث تأثر به الكاتبان الانجليزيان « شكسبير » و « بيكن »

المحاورة

مونتين : أأنت سقراط النبيل ؟ ما أسرنى بلقائك ! لم يمض على قدومى هذه المدينة غير يسير ، ومنذ قدمت ما برحت أبحث عنك . وأخيراً ، وبعد أن ملأت كتابى باسمك وبالثناء عليك أستطيع أن أتكلم الآن معك وجهاً لوجه لأعرف شيئاً من تلك الفضيلة الساذجة التى اتصفت بها والتى لا نظير لها حتى فى ذلك العصر السعيد الذى عشت أنا فيه

سقراط : يسرنى جداً أن أرى شبحاً كان فيما يظهر فيلسوفاً . ولما كنت قد هبطت إلينا منذ قريب ولم أجتمع بأحد هنا منذ بعيد ، لأنى أعيش فى عزلة تقريباً ؛ فهل تسمح لى أن أسألك. كيف حال العالم ؟ وهل تغير ؟

مونتين : لقد تغير العالم إلى حد أنك لا تعرفه إذا عدت إليه

سقراط : أنا مغتبط بهذا جداً . لقد كنت على يقين دائم بأن من الحتم أن يصبح عالمكم أحسن وأعقل من عالمى الذى عشت فيه

مونتين : ماذا تعنى ؟ لقد أصبح العالم أحمق وأفسد مما كان عليه من قبل . ذلك هو التغير الذى إياه عنيت وإليه قصدت . وإنى كنت منتظراً أن أسمع منك وصف العالم الذى عشت فيه وعاصرته وكان يسود فيه العدل والاستقامة

سقراط : وأنا أيضاً كنت منتظراً منك أن تصف لى عجائب العصر الذى عشت فيه وصفاً شاملاً . يا للداهية الدهياء ! أحق أن الناس لم يقلعوا حتى الآن عن تلك الحماقات التى كانت سائدة فى قديم الزمان ؟

مونتين : يغلب على ظنى أن انتسابك لذلك العهد هو السبب

فى جنوبها ؛ وتقوم سواحلها على البحرين الأحمر والأبيض، وللعرب فيهما أوسع المصالح وأكبرها ، ثم إن لها مقاماً علمياً وثقافياً وأدبياً لا يجارى ولا ينافس ، كل ذلك يجعل مصر زعيمة العرب ، فتقود شعوب الشرق العربى إلى المثل العليا

وأجد نفسى قد أطلت القول ، لذلك أرى أن خير ما أختم به حديثى اليوم هو أن أنقل إلى القراء خلاصة وجيزة عن مقال لجريدة التيمس الكبرى عن أطوار الوحدة العربية قالت : « إن تجدد المساعى لتحقيق الوحدة العربية بما يجرى فى هذه الآونة من مباحثات جدية بين حكومات الشرق العربى ليس فى الواقع إلا ترديداً لصدى التصريح الذى أدلى به المستر إيدن فى (مانشان هاوس) بشهر مايو عام ١٩٤١ وقطع فيه عهداً تأييد أى مشروع يظفر بالاتفاق التام ويرمى إلى تعزيز الروابط الاقتصادية والثقافية والسياسية بين الدول العربية

وليس هنالك ما يحول دون تحقق مشروع الاتحاد العربى إذا استطاع العرب تسوية المسائل التى تعترض سبيلهم ، ولا سيما وإن المشروع يتألف من أقطار تجمع بينها روابط تاريخية وجغرافية وجنسية ولغوية ، ولم تفقد هذه الأقطار فى الماضى روابطها واتصالها برغم الصحارى البعيدة التى تفصل بينها . وقد زاد تقاربها وقويت صلاتها بعد ظهور السيارة ، وأصبحت الصحراء كالبحر تجتازها السيارات دون مخاطرة » هذا ما يقوله الأجانب عنا ، وسنتحدث فى الأسبوع القبل عن مشاورات الوحدة العربية مع العراق

(دمشق) نسيب سعيد المحامى

فى احتقارك إياه وتصغيرك من شأنه . ولكنى أعلمك أن ضياع تلك العادات والأخلاق لما يبعث الأسى والأسف ، ذلك أن الأمور تزداد سوءاً يوما بعد يوم

سقراط : أممكن هذا ؟ إن الأمور فى زمانى كانت تبدو لى سيئة جداً ؛ ولكن لم يساورنى شك فى أنها ستتحسن على تعاقب الأجيال ، وأن الناس سينتفعون من تجاريب هذه السنين الطويلة

مونتين : أينتفع الناس حقاً من تجاريبهم ؟ إنهم لا يختلفون عن الطيور التى تقع دائماً فى الأشراك التى وقع فيها مئات الألوف من جنسهم قبلهم . كل امرئ يدخل الحياة مستقلاً ، فلا يستفيد الأبناء من حماقات الآباء

سقراط : ماذا ! لم يكن هناك من تجارب يستفيد منها الناس . وكنت أظن أن سيكون للعالم شيخوخة أقل سخفاً وعناداً من شبيبته

مونتين : الناس فى أى زمان شئت تحفزهم نفس الميول والأهواء التى لا سلطان للعقل عليها ، وحيثما كان الناس كان الطيش والحمق اللذان لا يتغيران أبدا

سقراط : إذا كان الأمر كذلك فلماذا تتصور أن الأقدمين كانوا خيراً من المحدثين ؟

مونتين : تلك طريقتك التى انفردت بها يا سقراط والتى أعرفها جيداً ... طريقة فى المحاورة والمداورة بارعة تشوش بها مناظريك وتقودهم إلى حيث شئت . وإنى لأعترف بأنى قد رأيت هنا رأياً يخالف ما كنت رأيت من قبل ولكنى مع هذا لن أسلم لك لأن رجالاً ذوى حزم وعزم وثبات كأرستيد وفوسيون وبركليس ولا سيما سقراط لا تجد لهم نظراء اليوم

سقراط : ولماذا ؟ وهل استنفدت الطبيعة قواها ولم يعد فى إمكانها أن تخرج رجالاً عظاماً ؟ ولماذا يصيبها العقم فيما عدا ذلك ؟ لم ينحط عمل من سائر أعمال الطبيعة فلماذا قدّر للرجال وحدهم أن ينحطوا ؟

مونتين : يبدو لى أن الطبيعة فى بداية أمرها أخرجت لنا نماذج من الرجال الممتازين لتقنعنا بأنها تعرف جيداً كيف تخلقهم إن هى أرادت ذلك ثم أهملت فيما بعد شأن الباقين فانحطوا وتدهوروا

سقراط : كن على حذر من هذه الناحية فلا تشتط . إن القديم فى ذاته شئ فريد ؛ وإن تقادم العهد يضفى عليه شيئاً من الروعة . ولو قدر لك أن تعرف أرستيد وفوسيون وبركليس وتعرفنى ، ما دمت تحب أن تعدنى منهم ، لوجدت فى زمانك رجالاً يماثلوننا . ولكننا عادة نميل إلى القديم ونتعصب له لأننا نكره زماننا ونمقته . فنحن نعظم القدماء لنحط من قدر المحدثين . ولقد كنا فى زماننا نذهب فى تقدير أسلافنا إلى أبعد حدود الغلو والإسراف ، واليوم يمجدنا أحفادنا أكثر مما نستحق ولهم كل الحق . وأكبر ظنى أن النظر إلى العالم من ناحية واحدة خليق أن يبعث فى نفوسنا السأم ؛ لأن العالم لا يتغير ولا يتبدل

مونتين : لقد كان يخيل إلىّ أن كل شئ فى العالم يتغير وأن لكل جيل طابعه الخاص الذى يتميز به ، وذلك كالناس ، فهناك أجيال اشتهرت بالعلم وأخرى بالجهل . أفلا يوجد ثمة أجيال كان طابعها الجد وأخرى كان طابعها الهزل ؟

سقراط : بلى

مونتين : إذن ما هو المانع من أن يكون هناك أجيال أكثر صلاحاً وأخرى أكثر طلاحاً من غيرها ؟

سقراط : ذلك لا يطرد ولا يستقيم مع ما نحن بصدده . فالملابس تتغير بتغير الأزياء ولكن ذلك لا يعنى أن شكل الجسم يتغير أيضاً . فالدماثة أو الخشونة ، والعلم أو الجهل ، والجد أو العبث ، ليست إلا مظاهر خارجية للرجل وكلها تتغير ، ولكن القلب لا يتغير ، وما الرجل إلا قلبه . فقد يشيع الجهل فى جيل ما ثم تعقبه نهضة علمية فتحل محله . ولكن الأنانية لن تزول من العالم مهما بذلنا فى سبيلها من جهد ، ذلك لأنها تصدر عن القلب . وإن من بين ملايين الرجال الضعاف القلوب لا تجود الطبيعة فى كل مائة عام إلا بعشرين أو ثلاثين من الرجال الواسعى العقول ، الكبيرى القلوب ، فتضطر إلى توزيعهم على جميع أنحاء العالم . ومن هذا نستطيع أن نحكم بأنه لا يمكن أن يوجد منهم فى أى مكان عدد كاف لنشر بذور الفضيلة والعدالة

مونتين : ولكن هل روعى العدل فى توزيع هؤلاء الرجال العقلاء النوابغ ؟ ألم يكن نصيب بعض الأجيال منهم أوفر من نصيب البعض الآخر ؟

سقراط : قد يكون هناك بعض الاختلاف ؛ ولكن الطبيعة على العموم تبدو منتظمة متسقة .

(بغداد) **يوسف روشا**

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

(تتمة)

(ج) الاعتقاد بيزيد وعدى

ولليزيدية آلهة أخرى غير الآلهة السبعة لذين ذكرناهم ؛ فهم يؤلهون « يزيد بن معاوية » ويعتقدون أن معاوية تزوج من امرأة ولدت إلههم (يزيد) وهذا نتج عن الغلو في حب يزيد كما مر الكلام عن هذا ، ولكننا لا نجد عملاً لهذه الإله في الدنيا والآخرة سوى أنه تسلم السناجق (الأعلام) السبعة من سليمان الحكيم وسلمها للأمة اليزيدية ، وهذه السناجق محفوظة عندهم . وفي مصحف رش يسميه « يزيد البربرى » في موضع واحد

والإله الثاني هو « الشيخ عدى » ويسمونه « الشيخ عادى » وتأليهه كان من نتيجة المغالاة في حبه حتى صار إلهاً يعبد . ويدعون أنه ذهب إلى مكة مع « الشيخ عبد القادر الكيلاني » ومكث هناك أربع سنين ظهر لهم خلالها « طاووس ملك » وادعى أنه « الشيخ عدى » علمهم بعض الأمور الدينية وحذرهم إذا جاء غيره وادعى أنه (الشيخ عدى) أن يرفضوه . فلما رجع الشيخ عدى رفضوه ورذلوه فمات حزيناً

ثم ظهر لهم « طاووس ملك » وأخبرهم بحقيقة الأمر فندموا على ما فعلوا ودفنوه في زاويته « بجبل لالش » وجعلوا قبره حجاً لهم

وبعضهم يدعى أن « عدياً » وزيراً لله أو مشيراً أو هو مشارك له أو أن حكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد (الشيخ عدى) . وربما كان ما يملكه (عدى) أكثر مما يملكه الله جل وعلا ، ومن ذلك أن الله زار الشيخ (عدياً) في (لالش) ؛ فقام بحق ضيافته خير قيام . ثم زار (الشيخ عدى) الله في السماء فذهب هو وأتباعه ومريدوه ؛ ولما حلوا في السماء لم يكن عند الله علف لخيولهم ، فأمر الشيخ أتباعه أن يذهبوا إلى بيادره في (لالش) ويأتوا منها بالعلف ، ففعلوا وسقط التبن في السماء ، فكان منه (المجرة) ، ويسمونها (درب التبانة) إلى غير ذلك من الحكايات . وبينما يدعون أن (الشيخ عدياً) هو مشارك لله في الحكم لا نجد له تصرفاً في هذا العالم أو نفوذاً أو سلطة سوى : أنه في الآخرة يضع الأمة اليزيدية في طبق ويحملهم على رأسه ويدخل بهم الجنة ، بينما تعانى بقية الطوائف أهوال الموقف والحساب . وزيارة قبره فرض على كل يزيدى . وجبل «لالش» الذي به قبره أفضل من مكة والقدس . وزمن حجهم إلى هذا الجبل وزيارة قبر « الشيخ عدى » هو من اليوم الخامس عشر من شهر أيلول إلى اليوم العشرين منه . ومن تمكن من زيارته ولم يزره فهو كافر

٣ — ويعتقد اليزيدية أنه سيظهر نبي من العجم في آخر الزمان ينسخ الأديان جميعها ويؤيد عقائد اليزيدية . وهذه العقيدة تسربت إليهم من إحدى فرق الخوارج وهم « اليزيدية » أتباع (يزيد بن أبي أنيسة الخارجي) فإنه كان يدعى هذا

٤ — واليزيدية يقرأون القرآن ، ولكنهم لا يصومون ولا يصلون ولا يرون أنفسهم مكلفين بهذه القيود ؛ فهم يصومون ثلاثة أيام من الصباح إلى المساء من شهر كانون الأول الشرقي . جاء في مصحف رش : « أما الصوم والصلاة فإن الله لا يشابههما لكن يريد الخير وفعل الصدقة » ، وهم يعتقدون أن الشيخ « عدياً » أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء ؛ بل هو وزير لله أو شريكه — كما مر — وهذه العقائد مشابهة لعقائد (البابكية) الذين يزعمون أن (شرون) أفضل من « محمد» ومن سائر الأنبياء . وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن . لا يصلون في السر ولا يصومون شهر رمضان

٥ — الحلول : مذهب الحلول وتناسخ الأرواح قديم اعتنقه كثير من الأقوام الوثنية ، وكان منتشراً في فارس بكثرة . واليزيدية يعتقدون به . وقد جاء في الفصل الثاني من كتابهم (الجلوة) : « لا أسمح لأحد بأن يسكن في هذه الدنيا أكثر من الزمن الذي حددته له وإن شئت أرسلته مرة أخرى ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو إلى غيره بتناسخ الأرواح »

وهم يعتقدون أن روح (منصور الحلاج) حلت في أخته . وذلك أنه بعد أن قتله الخليفة «المقتدر» وأحرق جثته ورماها في النهر جاءت أخته لتملأ جرتها فدخلت الروح فيها . ولما شربت أخته حلت روحه بها فحملت وولدت ولداً كان أخاها وابنها . ولما رمى رأس « منصور الحلاج » في النهر سمع له صوت كالهدير ، ولهذا فإن اليزيدية لا يشربون الماء من الأكواز الضيقة الأفواه ، لأن صوت الماء أثناء خروجه منها يشبه هدير الماء عند رمى رأس منصور الحلاج في النهر

ومنصور الحلاج فارسي رحل إلى بغداد وأظهر الزهد والعبادة ، والناس في أمره مختلفون ؛ فمنهم من ادعى كفره ومنهم من رأى أن لكلامه ظاهراً وباطناً

وقد ثبت كفره في مجلس عقده الخليفة وحوكم واعترف بذلك ، فحكم عليه بالإعدام . وأثناء تنفيذ الإعدام صرح بأن روحه ستحل في غيره ولذلك يدعى أتباعه بأنه لم يمت وأن روحه تنتقل بالتناسخ . وانتقلت هذه الفكرة من أتباع منصور الحلاج » إلى اليزيدية

٦ — ويعتقدون أن الله خلق جهنم على عهد آدم الأول في الوقت الذي ولد ابنه (إبريق شموتا) وابتلى الله هذا الولد بالدمامل الكثيرة في جميع جسده فأخذ يبكي ويجمع دموعه سبع سنين حتى امتلأ الإبريق فصبه على نار جهنم وطفأها وخلص الأمة (اليزيدية) . وهذه العقيدة مبنية على أساس العقيدة المسيحية وهي أن « المسيح » تحمل آلام الصلب ليكفر عن خطيئة البشر . وكذا « إبريق شموتا » تحمل آلام الدمامل ليطفئ نار جهنم ويخلص اليزيدية منها

وهم يعمدون أولادهم كالمسيحيين ، ويختنونهم كالمسلمين ، ويسجدون للشمس والقمر كالوثنيين وغير ذلك

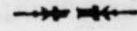
هذه هي أهم عقائد اليزيدية وقفنا عليها من الكتب الإسلامية ومن كتابيهم المقدسين «الجلوة» و (مصحف رش) . ولهم معتقدات أخرى كثيرة مبنية على أساطير وخرافات أكثرها إسرائيلية سنعرض لها في بحث آخر

(الموصل) سعيد الديوه جي

القضايا الكبرى في الإسلام

قدامة بن مظعون

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



هذه القضية تبين أصلاً مهماً من أصول التشريع ، اشتبه أمره على قدامة بن مظعون رضى الله عنه ، فأقيم عليه بسبب هذا حد الخمر ، وهو صحابى بَدْرِيٌّ من السابقين إلى الإسلام ، وممن حاز شرف الهجرتين ، وكان زوج صفية بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه ، وهو خال حفصة وعبد الله ابنى عمر ، فإذا اشتبه عليه ذلك الأصل التشريعى وهذا أمره فغيره أجدر بذلك الاشتباه ، وإذا لم ينجه ذلك الاشتباه من حد الخمر لم ينج أحداً منه ولا من غيره من أنواع الحدود والتعازير

لما ولى عمر الخلافة استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، وكان فى قدامة نزعة إلى الشذوذ فى الاجتهاد ، ومن ذلك أن أخاه عثمان بن مظعون لما تُوُفى أوصى إليه بعد موته ، وكان لعثمان بنت من خولة بنت حكيم ، فخطبها إلى قدامة عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، فأجاب خطبته ورأى أن يزوجها له ، ولكن أمها خالفته فى ذلك ، ودخل عليها المغيرة بن شُعْبَةَ فأرغبها فى المال ، فرغبت فيه زوجاً لبنتها ، وكان رأى الجارية مع أمها ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى قدامة فسأله ، فقال : يا رسول الله ، هى ابنة أخى ولم آلُ أن أختار لها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هى يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها . ثم انتزعها من قدامة وزوجها المغيرة بن شعبة

وقد أوقع قدامة شذوذه فى الاجتهاد فى مخالفة ظاهرة للشرع ، فشرب الخمر بعد استعماله على البحرين ، وقد رآه الجارُودُ سيد عبد القيس ، فقدم من البحرين على عمر بالمدينة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قدامة شرب فسكر ، وإنى رأيت حداً من حدود الله حقاً علىَّ أن أرفعه إليك . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هُرَيْرَةَ . فدعا عمر أبا هريرة وسأله : بِمَ تشهد ؟ قال : لم أره شرب ، ولكنى رأيته سكران يقىء . فقال له عمر : لقد تنطعت فى الشهادة . يعنى أنه تأنق فيها وأظهر أنه يتحرى الحق ، ولكنه أتى فى ذلك بضد ما يقصد ، لأن رؤيته إياه سكران لا يقطع فى إقامة الحد عليه ، ولهذا اختلف الأئمة فى هذه الشهادة ، فذهب بعضهم إلى أن من تقيأ الخمر يحد حدَّ شارب الخمر . وذهب بعضهم إلى أنه لا يحد بذلك ، لأنه يجوز أن يكون شربها جاهلاً أنها خمر أو مكرهاً على شربها ، إلى غير هذا من الأعذار المسقطة للحدود

وقد رأى عمر مع هذا أن يستقدم قدامة من البحرين ، فكتب إليه أن يقدم عليه فقدم ، فلم يلبث الجارُودُ أن رآه حتى ذهب إلى عمر فقال له : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله . فقال عمر : ما أراك إلا خصما ، وما شهد معك إلا رجل واحد . فقال الجارود : أنشدك الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسُوأنّك . فقال الجارود : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءنى . وقال أبو هريرة : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تشك فى شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها ، وهى امرأة قدامة . فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها ، فأقامت الشهادة على زوجها ، وثبت عليه بذلك شرب الخمر ، ولا شك أن فى موقف عمر مع الجارود أكبر دلالة على أن الغيرة على الدين يجب أن تكون فى اعتدال واتزان ، وألا يكون معها تحامل ولا شهوة انتقام ، فإذا لم تكن الغيرة الدينية بهذا الشكل لم يكن لها قيمة فى الدين ، واستحق صاحبها أن يردع بما ردع به عمر الجارود . وما أحوج كثيراً ممن يصيحون بالغيرة على الدين فى عصرنا إلى من يردعهم ذلك الردع ، ليقفوا عند حد الاعتدال فى غيرتهم على الدين ، ولا يصلوا فى ذلك إلى حد التهور الذى يضر الدين ولا ينفعه ،

ويجعلهم كالصديق الجاهل الذى يضر صـديقه من حيث يريد النفع له ، وقد آثر القدماء فى ذلك العدو على الصـديق ، وذهبت فيه حكمتهم المشهورة : عدو عاقل خير من صديق جاهل

وإنما سقطت شهادة الجارود بطلبه إقامة الحد بعد تأدية الشهادة ، لأن طلب الحـكم من حق المدعى لا الشاهد ، فإذا طلبه الشاهد بعد تأدية شهادته وأصر عليه كما أصر الجارود بطلت به شهادته ، وكان ذلك مما يدعو إلى الشك فى أمره

ولما ثبت شرب الخمر على قدامة دعاه عمر وقال له : إنى حادُّكَ . فقال قدامة : لو شربت كما تقول ما كان لـكم أن تحدونى . فقال عمر : لِمَ . قال قدامة : قال الله عز وجل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين) فقال عمر : أخطأت التأويل ، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله

ثم أقبل عمر على الناس فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً . فسكت على ذلك أياماً ثم أصبح وقد عزم على جلده فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام وَجِعاً . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحبُّ إلىَّ من أن ألقاه وهو فى عنق . ائتونى بسوط تام . فأمر به فجلد

وهكذا لم يُنج قدامة من حد الخمر ذلك التأويل الذى استحل به شربها ، فقد فهم أن الله تعالى حرم الخمر بقوله : (يا أيها الذين آمنوا إنمـا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلـكم تفلحون) ولـكنه قال بعد ذلك (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ، فقيد حرمتها بذلك تقييداً ، ولم يجعل تحريمها مطلقاً كالزنا ونحوه . ولا شك أنه أخطأ فى ذلك خطأ ظاهراً ، وقد بين له عمر خطأه فى ذلك التأويل . ولم يمنعه من إقامة الحد عليه أنه تأول فأخطأ ، وقد أتى الإسلام برفع القلم عن الخطأ ، لأن رفع القلم عن الخطأ لا يصل إلى إبطال أحكام القضاء ، فلا يصح للناس أن يتأولوها على خلاف ظاهرها ، ثم يستبيحوا لأنفسهم مخالفة الظاهر منها ، بل يجب أن يكون القضاء شرعة واحدة بين الناس ، لتشملهم جميعاً عدالته ، وينفذ حكمه فى كل واحد منهم ، وهو كما قال عمر رضى الله عنه : فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فلا يجوز تشويهه بالتأويلات الخاطئة ، ولا يصح أن تتخذ وسـيلة للتخلص منه

ولـكن ذلك التأويل الخاطئ إذا لم ينفع قدامة فى إسقاط الحد عنه ، فإنه لم يتخذ وسيلة للتشهير به وقد أخطأ فيه خطأ ظاهراً ، ولم يطعن به أحد عليه فى دينه وقد خالف فيه إجماع أهل عصره . وما كان لمثله أن يخفى عليه ذلك النص المحكم فى تحريم الخمر ، بل بقى له دينه صحيح الأديم ، وبقى له شرف هجرته وبدريته وسبقه إلى الإسلام . وقد غاضب عمر لأنه أقام الحد عليه ولم يسقطه عنه ، وهجره إلى أن أتى موسم الحج فحج عمر وحج قدامة وهو مغاضب له ، فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام ، فلما استيقظ من نومه قال : عجلوا بقدامة ، فوالله لقد أتانى آت فى منامى فقال لى سالم قدامة فإنه أخوك ، فعجلوا علىَّ به . فلما أتوه أبى أن يأتى ، فأمر به عمر إن أبى أن يجروه إليه ، فـكلمه واستغفر له

فرحم الله ذلك السلف الصالح الذى كان يزن أموره بالحـكمة ولا يأخذ فيها بتفريط أو إفراط ، فيأخذ قدامة بالحد الذى يستحقه من غير تفريط ، ولا يضيق صدره بتأويله الخاطئ الذى خالف الإجماع ، وأنـكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، لأنه لم يكن فى ذلك سيئ القصد ، ولم يقصد به إلى عناد أو كفر . وإنه ليجب الأخذ بالتسامح فى خطأ الرأى وإن وصل إلى ذلك الحد ، لأن الخطأ من طبيعة الإنسان ، وما من أحد وإن علا قدره إلا وهو عرضة لأن يقع فى مثل ذلك الخطأ الظاهر ، فلو ضيقنا الأمر فى خطأ الرأى ولم نتسامح مع من يصل فيه إلى ذلك الحد لتهيبه كل من هو أهل له ، وآثر عليه

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٤٣ — فى بيت واحد

لما ادعى إبراهيم بن المهدى الخلافة أتى إليه المعتصم بابنه الواثق فقال : هذا عبدُك هرون . ولما استخلِف المعتصمُ قبض إبرهيم بيد ابنه ودخل عليه وقال : هذا عبدك هبة الله

قال أصحاب التواريخ : وكانت الوقعة فى بيت واحد !

٥٤٤ — إلا جعلك سببا لردها عليه

فى « المحاسن والأضداد » : قالت حُرَقَة[1] بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص : لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ! ولا زالت لكريم إليك حاجة ! وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ! ولا أزال بك عن كريم نعمة ! ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبباً لردها عليه !!

(١) حرقة : هذا اسم مرتجل غير منقول (التبريزى) . ومن قولها وهو فى (حماسة أبى تمام) :

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فى البيت الأول خرم وهو كثير فى شعرهم . (نتنصف) : نخدم ، الناصف الخادم

السلامة لدينه وعرضه ، فيسود الجمود بين الناس ، وتحرم الأمة من الآراء النافعة لأصحاب الرأى فيها

فليتعظ بهذا الذين أصبحوا حرباً على أصحاب الرأى فى عصرنا وضاقت صدورهم بكل جديد ولو كان صواباً ، وليس لهم سند فى ذلك إلا الصخب واستفزاز العامة باسم الدين ، والسعى فى إيذاء أصحاب الآراء فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ولم يجن المسلمون من صخبهم إلا ذلك الجمود الذى خيم على الأفكار ، ووقف عقبة فى سبيل الإصلاح ، فتقدمت الأمم وتأخرنا ، وضعف الدين وفشا الإلحاد فى بلادنا ، وقد استعصى الداء ، وعز العلاج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عبد المتعال الصعيدى

---

٥٤٥ — لا يبصر الكلب فى أرجائها الطنبا

ابن حجة الحموى : حكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير أنهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه (الطنبا) فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه : ياطنبا ، فقال له : نعم ولم يأته ، وكانت ليلة ممطرة مظلمة ، فأخرج فخر الدين بن لقمان رأسه من الخيمة فقال : تقول : نعم ولم أرك . فقال القاضى تاج الدين :

فى ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب فى أرجائها الطنبا[1]

٥٤٦ — أسد متعلم غراب متكلم

فى نفح الطيب :

قال عبد الله بن عمر السرخسى : بلغنى أن قوماً من الغرباء قصدوا السلطان يعقوب المنصور ومعهم حيوانات معلمة ، منها أسد وغراب ، أما الأسد فيقصده من دون[2] أهل المجلس ، ويربض بين يديه ، وربما أومأ بالسجود ومد ذراعيه . وأما الغراب فكان يقول : (النصر والتمكين ، لسيدنا أمير المؤمنين)

وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد ورأى شبه أبيه فقصد
انطق الخالق مخلوقاته شهدوا والكل بالحق شهد[3]
أنك الخيرة من صفوته بعد ما طال على الناس الأمد

فأعطاهم وكساهم ، وأحسن حباءهم . وبلغنى أن قوماً أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم . وقال : نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل

(١) للحماسى (مرة بن محكان التميمى) وقبله :

يا ربة البيت قومى غير صاغرة ضمى إليك رحال القوم والقربا

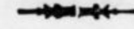
(أندية) جمع ندى على غير قياس أو شاذ أو تكسير نادر ، ذلك بعض أقوالهم فى هذا الجمع ... (الطنب) حبل البيت (القرب) مثل كتب جمع قراب السيف

(٢) أستعير (دون) للتفاوت فى الأحوال والرتب فقيل : زيد دون عمرو فى الشرف والعلم . واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد وتخطى حكم إلى حكم . قال الله : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين (الكشاف)

(٣) أجاز النحويون إدخال الألف واللام على بعض وكل إلا الأصمعى فإنه امتنع من ذلك . قال أبو حاتم : قال الأصمعى : رأيت فى كلام ابن المقفع : (العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل) فأنكره أشد الانكار ، وقال : كل وبعض معرفتان فلا تدخلهما الألف واللام لأنهما فى نية الاضافة (المصباح) كل وبعض معرفتان ، ولم يجىء عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الاضافة أضفت أو لم تضف (اللسان)

العـــزلة ...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل



فى روضة مِعْطارْ تَخْضَلُّ بالتّذكارْ
هاجت بهاالأفكارْ ناراً على قلبى !

فيها جَناحٌ طارْ وعطرُ أَيْكٍ ثارْ
وجدول هدّارْ يجري بلا سَكْبِ

صَلّتْ بها عيدانْ لا تعرف الأديانْ
واسْتَغْفَرَتْ أغصانْ لكن بلا ذنبِ

خَمِيلُها حرّانْ ونبعها ظمـآنْ
وصمتها ولهانْ شوقاً إلى الغيبِ

تفجرت أنهارْ فيها من الأسرارْ
يجرى بها إعصارْ فى عالمى الرّحْبِ

دارت سواقيها تبكى لتسقيها
من دمع ماضيها ما فاض من هُدْبِى

مشى بها الماضى يدوس أنقاضى
كرهف ماضٍ يُغْمَدُ فى جنبى

ولاحت الأيامْ مشلولة الأقدامْ
كأنهـا أوهامْ مصلوبة الرُّكْبِ !

من أين لاأغصانْ فيها ، ولا كُثْبانْ
حطت بهاالأحزانْ سرباً إلى سربِ ؟!

وكيف لاحاناتْ فيها ولا كاساتْ
طافت بهاالآهاتْ سكرى بلا شربِ

وهـــذه أفواجْ من خاطرى الوهاجْ
تجيش كالأمواجْ جنباً إلى جنب ..

وهـذه أنفاسْ فى صمتها الوسواسْ
تدق كالأجراسْ فى معبد القلبِ

وهـــذه أنغامْ مغلولة الإلهامْ
كأنها أنسامْ قُيّدْنَ بالعُشْبِ ...

وهـــذه أصفادْ لِلّحْنِ والأعوادْ
تضج كالأجنادْ فى غمرة الحربِ

وهـــذه أشواقْ مجهولة الآفاقْ
مقتولة الإشراقْ مسدولة الْحُجْبِ

وهذه رُكْبانْ للغدر والبُهتانْ
تنسلُّ كالثعبانْ فى المَزْحَفِ الرطْبِ

وهذه أكوابْ مما سقى الأحبابْ
بالسُّمِّ والأوصابْ تدور فى قلبى ...

وهـــذه رنّاتْ ممدودة الراحاتْ
كأنها قُبلاتْ ظمآى إلى الحبِّ

تنهيدة من عودْ فى مهجتى مشدودْ
معذَّبٍ مكدودْ من قسوة الضربِ

أم نغمة خرساءْ مسحورة الأصداءْ
أشهى من الإغضاءْ فى ساعة العتْبِ ؟!

وهـــذه صحراءْ فى وحدتى السوداءْ
مرت بها الأنواءْ تبكى من الرعبِ

وهـــذه حيات تسعى من الساعات
كأنما الأوقات غابٌ نما قُرْبى ..

وهـذه جنّاتْ رفّتْ بحوريّاتْ
ينثُرن بالهالاتْ زهراً على جَدْبى

سربٌ من الآمال يدب كالمحتال
مُرَقّشَ الأسمالْ بالزيف والكِذْبِ

أكعبَةٌ أم حانْ ؟ أم مخدع للنسيانْ ؟
أم موئل الإيمانْ ؟ أم مَعْقِلُ الريبِ ؟

وهـذه أطيارْ يا نفس أم أوكارْ
لاذت بها الأسرارْ من روعة الخطْبِ ؟

وهذه أكوانْ للروح أم أكفانْ
يا حادى الأزمان تهنا عن الدربِ ..

يا عُزْلة الأرواحْ لا تظمئى ! فالراحْ
وهاجة الأقداحْ من دمعى العَذْبِ !

أبكى كما أبكى من ظُلمة الشك
فدمع عينيك أهمى من السُّحْب

ربيعك الرفرافْ خريف حبٍّ طاف
مُلأْلأ الأنوافْ كأدمع الصب

أطلقت فيكِ الروحْ كطائر مجروح !
فعاد كالمذبوحْ مُلْقى على التُّرْب

عمرى غريبٌ تاهْ ضلت به دنياه ...
من سجنه الأوّاهْ أطلقه يا ربى ! !

جـــراح ! !

تعالى هنا نحيا سعيدين لا نرى على الكون إلا ما يسر ويُفرح
تعالى نعش فوق الحياة فإننا خلقنا كهذا الطير نشدو ونمرح
تركت فؤادى نهبـــة لشجونه وإن كان عن أشجانه ليس يفصح
هنا فى فؤادى ... آهة كم حبستها فظلت به مجنونةَ العصف تلفح



شعراء الشباب والأستاذ الجليل «١. ع»

لست أدرى ما علة هذه الحملة التأديبية المفاجئة التي يأبى أستاذنا الجليل (ا. ع) إلا أن يشنها على شعرائنا الشباب الذين يضطلعون بمهمة تجديد الشعر العربي والنهوض به ونفض هذا الثرى المتراكم عليه والذي يوشك أن يخمد أنفاسه ... لقد تذرع أستاذنا الجليل بكلمة نشرها الوالد الأعز والأستاذ الأكبر إسعاف النشاشيبي عما سماه (الشعر الخذروفي !) فشمر عن ساعد الجد، وانطلق يوسع شعراءنا الشباب غمزاً ولمزاً وتجريحاً ... وكل ذلك من وراء حجاب كان الخير في كشفه ما دام الأستاذ يريدها حرباً وليس يريدها سلاماً ! لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربي بعد البارودي وشوقي وحافظ ... وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة. والذين يعتز بهم الشعر العربي، والذين لا ينكر إلا ظالم أن منهم من لا يقل مرتبة عن البارودي وشوقي وحافظ، فرأى أن يشملهم بإشارة عطف ورحمة ورثاء وهو يحسب أنه بهذا قد اتقى سخطهم، ثم خلص من إشارة العطف والرحمة والرثاء إلى صب جام سخطه على الشعراء الشباب الذين ثاروا على المذهب القديم، وراحوا يواكبون قافلة الحياة، ويوسعون آفاق الشعر مطرحين نظم المناسبات، جاعلين لعواطفهم وقلوبهم ودموعهم وآلامهم وقضايا جيلهم الحق الأول في كل ما ينظمون، هازئين بالهودج والعيس والريم الواقف على القاع بين البان والعلم، تتشوف أرواحهم إلى المستقبل ولا يتباكون على الماضي، يبتدعون ويفتنون ولا ينبشون قبور الموتى ويسرقون أكفان النائمين تحت التراب. يمشون في جنات الفكر ويتغنون ألحانهم الخاصة غير مقلدين ولا متأثرين بأشباح الماضي السحيق

ماذا ينقم أستاذنا الجليل من شعراء الشباب ؟! أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً أو ليس من الحق في شيء ؟ وهل من العدل أن يجحد أستاذنا الجليل شعر الشباب عامة لأن تلك القصيدة المجهولة لم ترقه ؟ وهل من العدل أن ينكر الأستاذ هذه العشرات من شعراء الشباب وهم أثمن قلادة يتحلى بها جيد مصر الحديثة والشعر المصري الحديث ؟ هل من العدل أن يجحد علي محمود طه وناجي والخفيف ومحمود حسن إسماعيل ورامي وجودت وغنيم وعبد الغني حسن وعبد الغني سلامة ونجا والعجمي والنشار وشيبوب والبشبيشي وقطب وغيرهم ممن لا تحضرني الآن أسماؤهم اللامعة في سماء شعرنا الحديث ؟ أمن العدل هذا يا أستاذنا الجليل والذين تنكرهم هم تلاميذك وأبناؤك ؟ فماذا تقول ؟ هل فشلتم في إنشاء هذا الجيل الجديد ؟ أليس من الخير أن ندفع العربة إلى الأمام لا أن نقف في سبيلها فتحطمنا أو ندفعها إلى الوراء ؟

دريني خشبة

النسب إلى أم وأمهة

اطلعت في عدد الرسالة (٥٥٩) على رد للكاتب الكبير الأستاذ العقاد يرديه على من انتقده في استعمال لفظ «الأموية» نسبة إلى الأم. وخلاصة الرد أن النسبة صحيحة، وأن أصل أم أمة وأمهة، فقلبت الهاء واواً، كما تقلب في سنة وسنوى وشفة وشفوى وعضة وعضوى للدلالة على عواطف الأمومة والنسبة إلى أحد الأبوين فرقاً بين هذا المعنى وبين معنى أميّ،

كئيب ... أجل ! لكنني من كآبتي

أغني ألاحين الحياة وأصدح

وصوتك لحن صاغه الله فتنة　　لقلب مع الآلام يمسي ويصبح

إذا سمعت أذناي ترجيعه انطوى　　زماني ... وظلت مهجتي تترنح

ترف على كون من النور ساحر　　وتسبح في دنيا بعطرك تنفح

على وجهك الفتان تسبيح راهب

وألحان أيك بالصبابة ينضح

دعيني فلي في ظله السمح سجدة　　أظل بها في باحة النور أسبح

حييت على الدنيا شجياً معذباً　　وأنت بكفيك الصفاء المجنح

وما ضرني أن كنت وحدك فرحتي

وغيرك إعصار لنفسي ومذبح

سخرت بأفعال البريات كلها　　نسيان عندي من يذم ويمدح

فهيا بنا يا أخت نلهو فإننا　　خلقنا كهذا الطير نشدو ونمرح

عبد العليم عيسى

للدلالة على الجاهل بالقراءة والكتابة

وأقول : ورد فى اللغة عن الأثبات الثقات ، أن فى لفظ الأم أربع لغات ، هى : أم بضم الهمزة وكسرها ، وأمة وأمهة . وجمع الكل أمات وأمهات . قال :

إذا الأمهات قبحن الوجوه ٭ فرجت الظلام بأماتكا

والنسبة إلى أم « أمى » وإلى أمهة (أمهى) وهذا هو القياس الصرفى

ثم إن قياس أم من أمهة على سنة ونحوها فى النسب ليس بصحيح لوجهين :

الأول : أن الهاء من سنة لم تقلب واوا فى النسب – كما قد يتوهم – لأن هذه الهاء مبدلة من تاء التعويض المشوب بالتأنيث وهى تحذف من المنسوب إليه ألبتة ، والواو فى سنوى ونحوه أصل من أصول الكلمة كانت حذفت وعوض عنها التاء (الهاء) ؛ ولما كان النسب يرد المحذوف فى مثل هذا الموضع حتما رُدت الواو كما ردت فى الجمع فقيل سنوات . ويقال فى النسب سَنَهِى بالهاء ، لأن (لام سنة) المحذوفة ذات وجهين عند العرب ، كما هو مبين فى متن اللغة . وإذا ثبت بالدليل أن الواو فى سنوى غير مبدلة من الهاء فى سنة ثبت أن الهاء فى أمهة لا يصح قلبها واوا ؛ إذ لا يعرف هذا النوع من الإبدال فى لغة العرب

الثانى : أن الداعى إلى عودة الواو فى النسب هو تكميل اللفظ برد ما حذف من أصوله إليه ؛ ليكون ذلك جبراً لما فاته من تاء التعويض التى تحذف وجوباً عند النسب . فكان — لولا الرد — يبقى من الكلمة حرفان فقط ، وهذا إجحاف ببنيتها من غير داع إليه . وكلمة (أمّ) ليست كذلك ؛ لأنها لفظ ثلاثى تام غير محتاج فى النسب إلى تكميل . فكما يقال فى النسب إلى دُرّ دُرىّ ، يقال فى النسب إلى أم أمىّ ، ولا التباس حينئذ ؛ لأن التمييز بين المعانى المختلفة يكون بقرائن الأحوال .

عبد الحميد عنتر

أغلاط فى الأعلام

كتاب الأعلام للأستاذ الزركلى هو عند الباحث كأقرب الموارد . وكثرة أغلاطه اضطرت مؤلفه المخلص إلى أن يقول فى مقدمته (فما على لتكون الخدمة خالصة للعلم إلا أن ألتمس ممن حذقوا التاريخ ومازوا لبابه من قشوره وكان لهم من الغيرة عليه ما يحفزهم إلى الأخذ بيده أن يتناولوا الكتاب منمين مفضلين بنقد خطأه وعدل عوجه وبيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه ، وقديماً قال إبراهيم الصولى : المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه)

وقد مضى على طبعه ست عشرة سنة ولم أر من عرض لنقده ، فأمسى من الواجب أن أذكر القوم بالتنبيه على النزر من أخطائه :

فى ص ١٧ لم يذكر المؤلف فى ترجمة البقاعى أعظم آثاره وهو تفسير المناسبات

وفى ص ٣٧ لم يشر فى ترجمة البيهقى إلى أن كتابه « الأسماء والصفات » مطبوع كما شرط على نفسه ، ومثل هذا كثير لا تتسع الرسالة لتقصيه . وفى ص ١٠٥ نص على أن الجوهرى توفى سنة ٣٩٣ مع أن فى ذلك اختلافاً ، لأنه وجد بخطه أثر بعد هذا التاريخ . وفى ص ١٤٢ فى ترجمة برقوق (ولى سلطنتها سنة ٨٨٤) ، والصواب ٧٨٤ على ما فى الضوء اللامع للسخاوى . وفى ص ١٥٤ فى ترجمة الكاشانى « بدائع الصنائع أربع مجلدات » والصواب سبعة مجلدات

وفى ص ٤٨٢ « ابن العماد العَكرى » بفتح العين ، والصواب ضمها ، وهو مؤلف « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » . وفى ص٤٨٨ فى ترجمة السيوطى « لب الألباب » صوابه « لب اللباب » وهو مختصر « اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير » وفى ص٥٨٢ « البطليوسى » بضم الباء ، صوابها بفتح الباء وإسكان الواو

وفى ص ٦٢٥ من مؤلفات ابن جنى « المنهج » صوابه « المبهج » فى تفسير شعراء الحماسة ، وهو مطبوع

وفى ص ٦٥٢ ترجم لعلوان بن على بن عطية الحموى ، ثم ترجم له أيضاً فى ص ٦٨٢ باسم على بن عطية

وفى ص ٦٦١ (الهيتمى) والصواب « الهيثمي » بالثاء المثلثة . وذكر من مؤلفاته : غاية المقصد فى روايه أحمد . والصواب غاية المقصد فى زوائد أحمد ، على ما فى ذيول تذكرة الحفاظ وغيرها

وفى ص ٨٤٩ قال إن وفاة الأبيوردى سنة ٥٥٧ مغتراً بما فى وفيات الأعيان . والصواب ٥٠٧ كما فى شذرات الذهب وغيره . وفى ص ٨٧٣ ذكر فى ترجمة ابن زريق أن من مؤلفاته (الأعلام بما فى مشتبه الذهبى من الأعلام) و « عقود الدرر فى علوم الأثر » و « تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم » و « التبيين لأسماء الأندلسيين » والصحيح أن الكتابين الأولين هما لابن ناصر الدين ، والثالث والرابع هما لسبط

ابن العجمى . وقد طبعا ، و « الأندلسيين » محرفة عن (المدلسين) لأنه يذكر فيه من عرف بالتدليس . وفى ص ٩١٦ قال إن السخاوى توفى بمكة ؛ والصواب أن وفاته كانت بالمدينة على ما فصله ابن العماد فى (شذرات الذهب) . وعد الزركلى فى مؤلفات شمس الدين السخاوى « الذيل على طبقات القراء لابن حجر » والصواب (الذيل على طبقات القراء لابن الجزرى) و (تحفة الأحباب) والصحيح أنها لسخاوى آخر

وفى ص ١٠٨٨ وهم فى متابعة ابن خلكان فى تأريخ وفاة أبى منصور الجواليقى فى سنة ٥٣٩ ، والتحقيق أنها فى سنة ٥٤٠ على ما فى (شذرات الذهب) وغيرها

وفى ص ١١٥٦ قال إن (الإفصاح عن شرح معانى الصحاح) مطبوع ، والمطبوع جزء واحد منه .

محمد غسان

معوه ومعيه

يقول الأستاذ أحمد عنبر : « قد ورد فى كتب اللغة : (عيه الزرع : أصابته العاهة فهو معيوه) . ويظن أن الأفضل أن تكون الكلمة (المعيه) بدل المعوه »

ونقول : جاء فى أقرب الموارد فى مادة (عوه) « عيه الزرع والمال مجهولاً أصابته العاهة فهو معيوه ومعيه ومعوه » والفعل واوى العين ويائيها

ف ٥٣ : إنما كان ماسحاً بها . والصواب : ماسخاً بها



12 me Année No. 562

Lundi - 10 - 4 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

في الأدب والفن

للأستاذ توفيق الحكيم

قرأت في هذا الأسبوع رأيين في الأدب والفن أحدهما يعنى والآخر يهمني . فأما الأول فهو رأى صديقنا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في تقريظه لقصتي السينمائية « رصاصة في القلب » الذي نشره في جريدة البلاغ تحت عنوان « بين الأدب والسينما » ، وقد تحدث فيه عني حديثاً مستفيضاً ، ورحب بالتفاتي إلى الفن السينمائي ترحيباً نم عن نفس نبيلة وزمالة شريفة . ثم تطرق من ذلك إلى الإسهاب في صلتي بالأدب العربي قائلاً : « وليس لصديقي الحكيم عيب فيما أرى سوى قلة عنايته بالأدب العربي . ولست أزعم أنه لا يقرأ من الأدب العربي شيئاً ، والعياذ بالله ، فإن هذا يكون شططاً لا يغتفر ولا يقبل ولا يعقل ، وإنما أقول إنه لا يعنى به كعنايته بالأدب الغربي من فرنسي على الخصوص ، وإنجليزي وألماني وروسي على العموم ... وهنا موضع التحرز من خطأ قد يقع فيه القارئ أو وهم يركبه ، فلست أقول إن صديق الحكيم لا يحسن العربية ، أو أن لغته ركيكة أو واهية البناء ، فما إلى شيء من هذا أقصد ... فإن لأسلوبه العربي لجمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة ... » الخ

الفهـــرس

هكذا قال صديقي المازني . وإذا تأملنا هذا القول ومثله لتكشف لنا عن نتيجة عجيبة : هي أن أمثال تلك الروايات التي تشاع عن إغفالي للأدب العربي ليس فيها ما يضيرني بقدر ما فيها من إساءة إلى الأدب العربي نفسه . فإن القارئين لأسلوبي الذي تكرم المازني فأسبغ عليه تلك الصفات لا ريب قائلون : « ها هو ذا كاتب قد استطاع أن يحمل لأسلوبه « جمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة » دون أن يحتاج في ذلك إلى الأدب العربي . ففيم الاهتمام بهذا الأدب ، وما نفعه إذن ؟ ! » ماذا يكون الحال إذا قالها الناس أيها الصديق المازني بينما الحقيقة غير ذلك ؟ فالحق الذي يجب أن يقال هو أني ما وصلت إلى هذا إلا بعد اطلاع على الأدب العربي وتأمل له ونظر فيه . وكل ما في الأمر أني أتناول هذا الأدب تناول رجل الفن لا رجل العلم ولا رجل البحث . وإني آخذ منه ما ينفعني وأمضي به صامتاً إلى فني الذي أمارسه . والفنان يحتاج من مادة اللغة إلى قدر غير القدر الذي يحتاج إليه العالم المحقق للنصوص المفسر للمتون المستخرج للوثائق . وإن الفنان ليعرف بغريزته الفنية ما يلزم لفنه وما لا يلزم ، كالدوحة تدرك جذورها بالفطرة طريقها إلى موارد الماء ومواطن الغذاء . أما ذلك الذي يقال ويحكى عن الجلد والصبر على مشقة أدبنا العربي ، فهو توهم ساذج ، أو مفاخرة نعرفها ممن لا محصول عندهم غير هذا ، فما أظن الغوص في كتب الأدب العربي أشق من الغوص في بحار العلوم والفلسفة والآداب والفنون لمختلف الأمم والحضارات . وأنا الذي طالب الأديب بأن يكون « موسوعياً » على قدر الإمكان ، يلم بكل علم وبكل أدب وبكل فن (راجع كتاب زهرة العمر) لا ينتظر مني أن أستهول تلك المشقة المزعومة في مطالعة أدبنا العربي ! !

على أن الصديق المازني خليق بالشكر على كل حال ؛ فقد رأى من واجب الزمالة أن يكون مخلصاً في الرأي . وما أجمل هذا الموقف منه ! وما أحرى بي أن أبادله إخلاصاً بإخلاص ونصحاً بنصح ، فأكشف له عن مخاوف طالما ساورتني وساورت اليقظين من محبيه . فهو قد أراد التقريب بين العامية والفصحى فتبسط في أسلوبه ومعانيه ، وهذا ما يحمد عليه ؛ ولكن الذي نخشاه هو أن يكون جريه في طريق التبسيط داعياً إلى أن يجر معه الفكر من عليائه إلى مستوى غير المستوى الذي ينبغي له . ولعلنا واهمون ! ولعلها مخاوف الصداقة ! فالمحبة خوف ورجاء . وكلنا نرجو للمازني أن يحلق إلى جلال الفكرة كما برع في جمال العبارة . وليس هذا بعزيز على الصديق العزيز .

* * *

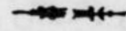
وأما الرأي الآخر فهو رأي أخي أحمد أمين بك في الأدب الأمريكي الذي تحدث عنه في العدد الماضي من مجلة « الثقافة » قائلاً : « وهذا هو الأدب الأمريكي يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية في شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا في خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون في مشكلاتهم الحالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية ؛ وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان ، وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه . فللأديب العربي أن يستوحي امرأ القيس أو « شهرزاد » ! ولكن يجب أن يكون ذلك نوعاً من الأدب لا كل نوع ، ولا هو النوع الغالب ولا هو الأرقى ... »

مع الأسف أراني مضطراً أن أقول للصديق المبجل أن استيحاء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس و « شهرزاد » هو النوع الأرقى في الأدب ... في كل أدب ... لا في الماضي وحده ولا في الحاضر ... بل في الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ، ما دام الإنسان إنساناً ، وما دام رقيه الذهني بخير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذي يصون « الجمال الفني » عن الاستغلال الأرضي في أي صورة من صوره ؛ ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية . وإن اليوم الذي نرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعايات الاجتماعية ، و « التصوير » استغل في معارض الإعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لإثارة الجماهير في الانتخابات السياسية ، لهو اليوم الذي نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلاً يضع في فمه تحف الذهن

وطرف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر . والأدب الأمريكي الذى يعجب به أحمد أمين بك هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيقى . والأدب الحقيقى فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع . فالخلاف بينى وبين صديقى الأستاذ أحمد أمين هو على معنى « الرقى » ؛ فأنا لا أسلم أبداً بأن رقي الإنسان هو فى تقدم أسباب معاشه المادية . هذا حقاً هو الرقى بالمعنى الأمريكى ، ولكن الرقى بالمعنى الإنسانى المثالى شىء غير ذلك . إن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شىء فى فمه . . . ولكنه ذلك الذى يشعر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجثمانية . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان . فالحيوان لا يحتاج إلى أن يطرب لبيت من الشعر أو لصوت من الغناء أو لتمثال من الرخام ، ولا يمكن أن يخطر له على بال وجود عالم آخر غير عالم الأكل والشرب والمأوى . ولو نشأ أدب بين فصيلة من الحيوان لكان هذا الأدب فى رأيى قائماً فى جملته على مشكلات العراك على صيد الفريسة ... ولاقتصر خياله على الحلم بأن فى بطن كل سبع غزالاً سميناً ، وفي فم كل حيوان فى الغاب صغير أو عظم غذاء موفوراً بغير وثب ولا بحث ولا تربص . بل فلنأخذ مثلاً جماعة النحل أو النمل وقد بلغت من الدقة والتناسق وروح التضامن فى نظامها الاجتماعى ما أثار الدهشة . . . هذا المجتمع الذى شيده النحل على هذا الأساس من « الوعى الاجتماعى » لا « الوعى الفردى » لو قامت فيه نحلة شاعرة أو أديبة ، أو ظهر فيه أدب وشعر ، فما يكون نوعه واتجاهه ومراميه ؟ لا شك عندى أن هذا الأدب أو الشعر سيكون له عين المرامى التى ينزع إليها الأمريكان ويتمناها لنا أخى أحمد أمين . سيتحدث أدب النحل وشعره عن الأزهار من حيث كمية عسلها ، ونصيب كل عامل من عمال النحل فى نقله وإعداده والانتفاع به فى الخلية ، وعن حقوق الطوائف العاملة وواجباتها ، ومشكلاتها اليومية وشئونها الحيوية . أما الذى لن يحدث أبداً فهو التفات النحل فى أدبه أو شعره إلى حسن الأزهار فى ذاتها ، وإلى بهائها فى ألوانها ، وإلى تمايلها اللطيف مع النسيم كأنها تراقصه ، وإلى تفتحها ابتساماً للفجر وهى تعانقه ، وإلى نداها بدموع الليل وهى تفارقه ... لن يفطن النحل إلى هذا أبداً .. ولو فعل لانقلب إنساناً فى لحظة واحدة . كل فضل الإنسان على غيره من المخلوقات أنه ارتفع إلى العناية بأشياء معنوية لا تتصل مباشرة بطعامه وشرابه ومقومات حياته المادية . وهذه الأشياء سمّاها فيما سماه : الفن والأدب . وحرص على أن تبقى على قدر المستطاع بعيدة عن تفاهاته الأرضية ، لتذكره من حين إلى حين أنه ليس حيواناً . وهنا عظمة الفن والأدب . ولكن مطامع الناس شاءت أن تمد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ؛ فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ؛ فاستخدم الشعر أحياناً لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة فى الدين أو السياسة من أجل الثواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هى العليا دائماً ؛ وحكمه هو النافذ وحده . وها هو ذا قد حكم لامرىء القيس الجاهلى فرفعه وقدمه على داعية الإسلام حسان . وفى هذا الدليل على أن الفن الخالص لوجه الجمال الفنى هو الأرقى والأبقى . وذلك ما لا يسلم به الأستاذ أحمد أمين . فهو يعتقد أن الفن المسخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى ، متأثراً ولا ريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترمى كلها إلى تملق الجماهير ومداهنة الدهماء ومصانعة الجماعات والنقابات والهيئات ومسايرة الكتل والسواد من الناس والشعوب ، موهمة إياهم بجعل كل شىء فى خدمتهم . وخدمة الجموع معناها خدمة مصالحهم الأرضية المادية من مأكل ومشرب ومأوى ؛ لأن السواد والكتل لن يطلبوا أبداً ولن يقبلوا ولن يعرفوا غير هذا النوع المادى من المطالب . فإذا أردنا تسخير الفن فى هذه الأغراض فمعنى ذلك الهبوط به إلى ذلك اللون من أدب النحل ... أو على الأقل إلى

برناردشو والحروف اللاتينية

لأستاذ جليل



قالت مجلة (المستمع العربي) منذ نحو من حولين فى الجزء (١٧) من سنتها الثانية[1] — وهى مجلة القسم العربي فى دار الإذاعة البريطانية — فى حديثها عن كتاب (معجزة نشأة اللغة) للأستاذ ويلسون

THE MIRACULOUS BIRTH OF LANGUAGE
By Prof. R.A. Wilson. (Guild Books, 1s.)

[... وتمتاز الطبعة الجديدة من هذا الكتاب بمقدمة ضافية كتبها (برناردشو) الأديب الإنكليزى المعروف عالج فيها موضوعاً لا يخلو من أهمية لقراء الشرق الأدنى . إذ يرى هذا الكاتب الألمعي أن حروف الهجاء الإنكليزية لا تناسب اللغة الإنكليزية نظراً لأنها وضعت فى الأصل من أجل اللغة اللاتينية التى تختلف فى مخارج ألفاظها عن لغة أبناء التاميز . وعلى ذلك فهجاؤها يبعد كل البعد عن وقعها على السمع . ولا شك أن هؤلاء الذين يرغبون فى حذق الهجاء الإنكليزى يقرون نقده هذا . وهو نقد لا شك سيهم القارئ العربى أيضاً لاتصاله بالتغيير الذى يقترحه بعضهم بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية[1] . إذ يحق لنا أن نتساءل بعد ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التى تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية واستبدال حروف بها ، وإن كانت شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التى دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة]

ذلكم قول المجلة العربية الإنكليزية ، وأغلب ظنى أن الكاتب هو الأستاذ (باربار) العرباني المعروف فى المغرب الأقصى (مراكُش) ومصر وفلسطين وغيرها ، وهو رجل

(١) هى اليوم فى سنتها الرابعة

(١) قلت : يعنى الكاتب حسب ظني بعض الأفرنج مثل ماسينيون الفرنسى الذى كان اقترح ذلك . وإنما يريد من يدعو الأمم العربية من هؤلاء الأفرنج إلى تغيير حروفها — دفنها وهى حية ، دفن الله أمته دفناً قوياً !

ضرب من أدب الدعاية والوعظ والهداية

أما إذا كان فى الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإنى أرحب به وأسلم من الفور بأنه الأرقى . ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون فى كل زمان . فمن أين لنا فى شعرنا بأمثال « المتنبي » ؟ لقد أعدت قراءة ديوانه منذ أسابيع لأنظر كيف بقى ذلك الشعر الذي خرج من وحى الدنانير . الحق أن المال كان باعثه ولكن الفن كان غايته . ذلك الذهن الذى أبدع صوراً ترى لها أحياناً حركة ويبصر لها بريق ويسمع لها رنين كما في قوله :

وأمواه تصلّ بها حصاها صليل الحلى فى أيد الغواني

ماذا يعنينا منه أن يكون حافزه استجداء مال أو مدح ذى سلطان أو خدمة مجتمع أو تملق شعب ؟ المهم أن يكون هنالك فن قبل كل شيء . بغير هذا ما عاش لنا المتنبي حتى اليوم ؛ فالسلطان يذهب والدولة تدول والشعوب تتغير ؛ ولكن الفن باق ...

أما بعد ، فليتجه الأدب العربى حيث شاء له أخى المبجل أحمد أمين بك . وليخدم الجماعات ومشكلاتها الحالية ومسائلها اليومية ومطالبها المادية ، وليبتعد عن « الفردية » التى هى أساس كل فن ، والتى بغيرها لا يقوم فن ؛ وليتجنب « تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه أو تحليل الأديب لبعض الشخصيات أو روايات الغرام » أو نحو ذلك مما يراه صديقى من قبيل النزعات الفردية ؛ ولننكر الحقيقة القائلة إن « الفنان إذا لم يقل « أنا » فهو ليس بفنان ، كما أن العالم الذى يقول « أنا » ليس بعالم » لننكر ذلك مؤقتاً ولننتظر ... عسى أن يخرج لنا أثر فيه الفن وفيه منفعة السواد ... والله لا يخيب رجاء المصلحين .

توفيق الحكيم

مثقف مهذب طيب ، عرف العربية ونقل إلى لغته كتباً منها .

والحروف اللاتينية التي نقدها كاتب القوم العبقرى (برنارد شو) وأيدت تلك المجلة نقده إياها – إنما هي الحروف العربية غير المهذبة كتبها كاتبوها من الشمال مكثرين من حروف المد فيها – والبركات في تلك الحركات قد خفت وسهل النطق بأحرفها[1] – مطيلين الكلمة بتسطير حروفها جميعها – والعربية قد أبدعت حين اختزلت – متعبين عيون القارئين بما صوروا وطوّلوا . وشتان ما حرفان أحدهما يريح البصر وآخر يرهقه ، فسمّ الحرف اللاتيني بالحرف المتعب تنصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك في الإساءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير وتفضيل الشمال على اليمين . وفي مقالتي (الحرف العربي والإفرنجي) في الرسالة[2] الغراء قد نعيت عليهم ضلالهم هذا ، وبينت في تلك المقالة ما بينت . وإني لموقن اليوم أن القوم سيستيقظون من سنتهم بعد سنين ، وسيندمون وسيرجعون إلى حروف لسانهم عاملين بالقول الحكيم : « الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل » . وفي الأتراك – يا أخا العرب – عقلاء حكماء مخلصون ، فلا تيأس من عودتهم

وأما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذي أشارت إليه مجلة (المستمع العربي) فهو كمقترح استعمال تيك العامية – ولكل إقليم عربي عامية بل بلية – والاقتراحان هما من بنات ليل المرء[3] في وقت المرض . والأمم العربية قد أجمعت على أن تكون في هذه الدنيا في الكائنين لا أن تبيد مع البائدين . وإن وعوعة الباطل متلاشية ، ودعوة الحق هي الباقية . وكتاب الدهر كتاب العربية يقول :

« . . . فأما الزبدُ فيذهبُ جُفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكثُ في الأرض . . . »

***

ما أشقى أولئك الإنكليز المساكين بحروف تهجيهم ! إنهم إذا قصدوا التلفظ بالحرف الذي يحاكي (الذال) أو (الزاي) عندنا اضطروا أن يجلبوا حرفين وهما الحرف T والحرف H ، وإذا أرادوا أن ينطقوا بالحرف الذي يشاكل (الشين) في العربية جلبوا كذلك حرفين الحرف S والحرف H . وقس على ما ذكر ما لم يذكر . إن بلايا الإنكليز في حرف لغتهم لكثيرة . مساكين !

أيها الإنكليز ، اتركوا الحروف اللاتينية أو اللاطينية – كما يقول الأقدمون وابن خلدون – وخذوا الحروف العربية كما فعلت الأسبان في وقت من الأوقات . إنهم « خطوا ألسانهم الأسباني بالحرف العربي[1] » وما كانوا مخطئين . ولولا سلطان الدين أو الكنيسة ، لولا القسيسون والرهبان ما انفكوا يكتبون به حتى يوم الناس هذا

« * »

(١) تراجع مقالة العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر في الرسالة (٥٥٨) ص٢٢٧ . وإني أقول في هذا المقام مقسما : والمرسلات عرفا أن (مرسلات الأستاذ مع الريح) لتعصف بالباطل عصفا

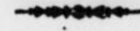
(٢) الرسالة (٢٢٦) ص (١٣٥٦) السنة (٥)

(٣) بنات ليله : أحلامه

(١) استحدثنا هذا الخبر من العالم الدكتور باول كراوس الأستاذ في جامعة فؤاد الأول

معهد التمثيل المصرى

للأستاذ دريني خشبة



١ — بعد أيام قليلة يُفتتح معهد التمثيل المصرى فتتحقق إحدى أمانينا التى لم نيأس من الدعوة لها والكتابة فيها ، صادرين فى ذلك كله عن إيمان لا يتزعزع بأن التمثيل هو ركن من أقوى الأركان فى ثقافة أمة تفهم معنى الثقافة الحقة ، وتدرك روح العصر الجديد ، فيجب أن تتخذ وسائل هذا العصر الجديد

بعد أيام قليلة تأخذ مصر الحديثة فى تعليم عدد متواضع من أبنائها أصول هذا الفن الرفيع ليأخذوا على عواتقهم حين يتخرجون تلك المهمة الخالدة ... مهمة خلق المسرح المصرى بكل دعائمه ... من ممثلين ومخرجين ومؤلفين وناقدين ، ومن إلى الممثلين والمخرجين والمؤلفين والناقدين من مهندسين ومصورين وإداريين وعمال وصانعى ملابس وعلماء أزياء ، وكل من يستطيع أن يضع مشكوراً لبنة فى صرح هذا المسرح الذى نريده مسرحاً مستنيراً لا يعرف الشعبذة ويأنف أن يتخذ التهريج وسيلة إلى قلوب الجماهير ، مسرحاً يسمو بجمهوره ولا يهوى بنهضتنا إلى حضيض الممجية ... نريد أن يكون لنا مسرح يخدم سمعتنا ويسوّى خُلُقنا ويجدد أدبنا ويهدى الشباب المصرى إلى أرفع المُثُل ، فيجافى بينهم وبين تلك الرخاوة التى توشك أن تسمم رجولتهم ، ويسلك بهم إلى الفضيلة والفكر الحر تلك السبل التى سلكها شباب أوربا فى عصر إليزبث ولويس الرابع عشر . . . ونحن حين نريد هذا نشكر الله الذى هيأ للمسرح المصرى هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يجاهدون من أجله لأنهم يفهمون وسائله وأغراضه على وجهها الصحيح ... فأولهم وكيل وزارة عظيم لا يمنعه مركزه الكبير من أن يتزعم حركة الإصلاح المسرحى فى مصر ، بل هو يرى فى تزعمه هذه الحركة ما يزيد مركزه الكبير رفعة لأنها جهاد شريف فى سبيل حركة شريفة لخدمة البلاد وخدمة الفكر واللغة والأدب ، فهو لا يرى بأساً فى أن يحاضر الناس عن طريق الراديو فى تاريخ المسرح المصرى ، وضرورة خلق الدرامة المصرية وجعلها هدفاً من أهداف الأدب المصرى . وهو يشجع الفرق المصرية التى تعمل لرفعة الفن فيلخص للناس رواياتها ويزكى مؤلفى هذه الروايات ويظهرهم على عبقرياتنا المسرحية الجديدة بالعطف ... وثانيهم مراقب للفنون الجميلة قد أشرب قلبه محبة هذه الفنون ، فهو يضحى راحته ويسهر الليالى الطوال ليشرف بنفسه على تلك الفرقة الناهضة المتواضعة التى نرجو أن تكون نواة طيبة للمسرح المصرى الذى نصبو إليه . وثالثهم بطل من أبطال المسرح القومى مولع بفنه ، قد وهبه قلبه ولسانه وبيانه ودمه ، قرأنا له منذ أكثر من ربع قرن شهدناه ممثلاً وشهدناه مخرجاً وشهدناه عالماً فما شهدنا فى أية ناحية من نواحيه ضعفاً يزرى به ، وها هو ذا يعمل مديراً لهذه الفرقة الناهضة المتواضعة فلا يدعى أنه عاهل لمملكة فى الخيال ، بل ينادى بأعلى صوته أن مسرحنا يفتقر إلى أشياء كثيرة وأن لا بد من إدراك هذه الأشياء الكثيرة أو إدراك بعضها ليكون لمصر الحديثة الناهضة مسرحها ولتكون لهذا المسرح شخصيته ... هؤلاء الأبطال الثلاثة هم الجنود الأوفياء الذين تدور حولهم اليوم آمالنا فى خلق مسرحنا المصرى ، عن طريق هذا المعهد الذى هو آية من آيات الإصلاح التى تنشط اليوم فى حياتنا العامة

ولن تمر فرصة إنشاء هذا المعهد ، أو إعادة إنشائه ، دون أن نسجل هذه الملاحظة الجديرة بالالتفات ، فما كاد الإعلان عنه يذاع فى الصحف حتى توالت عليه طلبات الالتحاق ، ولم تزل تتوالى حتى زادت على الألف ... وأكثر من نصف هذه الطلبات من حملة الشهادات الراقية ، ومن بينها عدد كبير من حملة الشهادات العالية ... وقد تقدمت أكثر من ستين فتاة من أرقى الأسر المصرية للالتحاق بالمعهد

٣ — ولكن المعهد بطبيعة الحال لن يتسع لهذا العدد الضخم ، والقائمون بالأمر فيه لا يريدون قبول أكثر من أربعين طالباً وعشرين طالبة ، وهو عدد نستقله على المعهد

الناشيء الذى نطمع أن يضطلع بخلق نهضة تمثيلية فى مصر وفى الأقطار العربية تكون سبيلاً إلى تجديد ناحية مظلمة فى الأدب العربى المفتقر إلى الأدب المسرحى . لهذا نرى لزاماً علينا أن نشغب على القائمين بأمر المعهد ، وأن نصيح بملء قوتنا أن اقبلوا مائة أو مائتين ليكونوا طلاباً أصليين ، واسمحوا الثلثمائة أو أربعمائة ليكونوا طلاباً منتسبين ، واشرطوا عليهم أن يحضروا نسبة معينة من الحصص لا يصح أن يتقدموا إلى الامتحان النهائي إن لم يحضروها ؛ فإذا احتججتم بضيق المكان وبقلة المدرسين الصالحين فلا ضير أن تستنجدوا بحضرتى صاحب المعالى وزير الشئون ليهيىء لكم المكان الفسيح الصالح ، ووزير المعارف ليسر لكم المعلمين الصالحين المقتدرين ... وليذكر صديق الأستاذ مدير المعهد أن له زميلين قديرين تخرجا مثله فى أوربا ، وأنهما يستطيعان مشاركته فى تعليم الفنون المسرحية بأنواعها وبذلك يسهلان عليه دروس الإلقاء وما إليها ... أما الدروس الأخرى فحسبها المحاضرات التى تتسع لمئات الطلاب ، أصليين ومنتسبين وزائرين !

٤ — وليذكر القائمون بأمر المعهد أنهم أملنا الذى نرجو ألا يخيب فى خلق المسرح المصرى ، وليذكروا أننا لا ننشئ المعهد لإمداد فرقة واحداة أو فرقتين اثنتين بالممثل الصالح والمخرج الصالح والناقد الصالح والمؤلف الصالح وغير هؤلاء من المسرحيين الصالحين ... كلا ، كلا ... إننا نريد فرقاً كثيرة إقليمية ومدرسية غير فرقة العاصمة ... لقد أنشأت معظم البلديات المصرية دوراً فخمة للتمثيل ، فواجبكم أنتم أن تعمروها بالفرق التى تبعث فيها الحياة ... واذكروا تلك الحرب التى كانت تنشب بين فرق لندن التمثيلية وفرق الأقاليم ، أيها يكون لها الشرف فى النهوض بالمسرح الإنجليزى ، وما كانت تبذله مسارح لندن من العون للمسارح الإقليمية مما تناولناه فى عشرات المقالات على صفحات هذه المجلة

٥ — ولا بد من التذكير هنا بأن المسرح المصرى لا يحسن النظر إليه باعتباره مورداً من موارد الدولة الاقتصادية ، بل يجب اعتباره منشأة ثقافية لا تستغنى عنها نهضتنا ، فهو لا يقل قيمة عن مجمع اللغة ودار الكتب والمتحف الزراعى وإحدى كليات الجامعة ، ولهذا وجب على الدولة أن تسخو عليه وأن تدبر له فى ميزانيتها كل ما هو خليق به من مال . . . وخليق بنا ألا نقدر نجاحه بمقدار إقبال الطبقات على شهود رواياته ، فقد فسد مزاج كثير من هذه الطبقات بسبب عوامل شتى تسربت إليها عن طريق السينما وعن طريق التمثيل الوضيع الذى راجت سوقه بيننا مع الأسف الشديد . . . ولهذا لم نر بداً من التذكير بأنه لا يحسن النظر إلى المسرح الذى سوف ننشئه باعتباره مورداً اقتصادياً . ورأيى أن يكون شهود رواياته فى أول أمره بالمجان ، ورأيى أن تتنقل فرقه فى المدارس الثانوية والعالية لتمثل بالمجان أمام الطلبة وأمام الأهالى — على أساس الدعوة المحدودة — كى نطب لهذا المزاج السقيم الذى أمرضته السينما الوضيعة والتمثيل الوضيع .

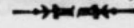
٦ — ويجب أن نُواكب الدراسة فى المعهد دراسات فى مدرسة الفنون الجيلة وفى معهد الموسيقا الشرقى ، فينشأ فى مدرسة الفنون الجميلة قسم خاص لتصوير المناظر المسرحية ولهندسة المسرح ، على أن يدرس فى هذا القسم علم تاريخ الأزياء والإضاءة المسرحية ... أما فى معهد الموسيقا الشرقية فتنشأ مادة خاصة بالموسيقا المسرحية ، على أن يتولى تدريسها الإخصائيون المصريون ممن درسوا الموسيقا الأوربية وتفقهوا علماً وعملاً

٧ — هذا . . . ولا ينبغي أن نختم هذه الكلمة دون أن نرجو الحكومة أن تعمل شيئاً لضمان مستقبل رجال المسرح على نحو ما أصلحت به حال المعلمين والمحامين ومستقبلهم ، فالمسرحيون بطبيعة حياتهم الفنية قوم مسرفون يبسطون أيديهم ولا يستطيعون أن يغلوها ، وقل منهم من يستطيع أن يدخر لغده المظلم الباكى ، قرشاً من يومه المشرق الضاحك ، وتيسير العيش لهذه الطائفة المجاهدة هو تيسير لقيام المسرح المصرى على أسس قوية قويمة ، ثم هو واجب على الدولة لا يسعها إلا أن تقوم به فى صدق وإخلاص .

دريني خشبة

الحرف اللاتيني والعربية

للأستاذ محمود محمد شاكر



ربَّ رجلٍ واسع العلم، بحرٍ لا يزاحم، وهو على ذلك قصر العقل مضلَّل النابة، وإنما يعرض له ذلك من قِبَل جُرْأته على ما ليس له فيه خبرة، ثم تهوُّره من غير روية ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل. وإن أحدنا ليقدمُ على ما يُحسِن، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء، كان العقل يوجبُ عليه فيها أن يتثبت، فإذا هو يعود إلى ما أقدمَ عليه فينقضه نقض الغَـزْل.

ومن آفة العلم في فن من فنونه، أن يحملَ صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المتنزِّه، ثم لا يلبثُ أن يفسده طول التمادي في إعجابه بمـا يحسنُ من العلم، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرأي فيما لا يُحسِن، ثم لا تزال تغريه عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن، ثم يُصِرّ ثم يغالي ثم يعنِّف ثم يستكبر . . . ثم إذا هو عند الناس قصيرُ الرأي والعقل على فضله وعلمه.

فمن ذلك أني قرأت في عدد مجلة «المصور» ١٠١٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ حديثاً لصاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا عن «الإسلام والحروف العربية» فرأيته يفتتح حديثه بهذه الكلمة، إذ يقول لسائله:

«إني لا أُعنِّي نفسي ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال من هذا الهراء الذي هو أهونُ عليَّ من الغبار الذي يمس ردائي وحذائي، فما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له؟»

وعبد العزيز فهمي رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع في القانون، وكنا نظنه رجلاً محكم العقل من جميع نواحيه، لا يتدهور إلى ما ليس له به عهد، ولا يرى بنفسه في غمرات الرأي إلا على بصيرة وهدى. فلما قال ما قال عن الحروف العربية في المجمع، ونشرت الصحف قوله ورأيه، قلنا: عسى أن يستفيق الرجل ويعودَ إلى سالفٍ ما عهد فيه من الحكمة والمنطق، وأن يكون ما قال خالصاً لخدمة العربية، فإن يكن في رأيه شيء من الصواب فسيحقق الجدل الذي يدور بينه وبين الناس فضيلة رأيه على الآراء، وإن يكن أخطأ فهو خليق أن يرجع إلى صواب الناس غير معاند ولا لجوج.

كان هـذا ظننا فيه، فلما قرأت فاتحة حديثه التي رويتها قبل، علمتُ أن الرجل لن يستفيق، ولن يعودَ، ولن يعقلَ ما يقول الناس — وما ظنك برجل من رجال القضاء — رجلٍ مارس العقلَ والفهم وتقليب الرأي، والتثبت من الحجج المتضاربة الموهمة، والحرصَ على أدق الصغائر لا تخدَعُه عن عَدْله وإنصافه؟ ما ظنك برجل هذه صفته يزعم أنه لا يطَّلع، بل لا يعنِّي نفسه بأن يطلع على آراء خصمه! ثم ماذا؟ ثم ترى هذا القاضي العادل، بعد أن شهد على نفسه وأقر أنه «لا يعنِّي نفسه ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال»، يصف هـذا الذي لم يطلع عليه ولم يقرأه ولم يتعب فيه، بأنه «هراء»!؟ فمن أين علم؟ وكيف حكم على شيء لم يقرأه؟ ثم يزيد فيقول إن هـذا الهراء الذي لم يقرأه، أهون عليه من الغبار الذي يمس رداءه وحذاءه! ثم يبالغ فيعنف سائله ويتعجب له ويسخر منه، ويقول له: ما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له؟

وهـذا التسلسل العجيب الذي كنا لا نظنه مما ترضى عنه بصيرة رجل مفكر، فضلاً عن قاض حريص، فضلاً عن رأس من رءوس القانون، فضلاً عن نابغة من نوابغ مصر، قد كان، ورضي عنه عبد العزيز فهمي باشا، وجعله حجته ومنطقه في حومة الرأي والجدال. ولعلَّ الغضبَ هو الذي احتمله حتى أضـلَّه عن مواطىء حجته، ثم تركه يتضرَّبُ في كلامه، حتى اقترف من اللفظ والمنطق ما لا يليق به

ونحن سنرضى أن نـكونَ في الغبار الذي يمسُّ رداء الباشا، وفي الغبار الذي يمس حذاءه! ونسأل الله أن يجعله بركة للناس وخيراً، وأن يسبغ عليه من نعمه ما هو له أهل، وأن يسدد خطاه حيث ذهب، فحيثما اهتدى الباشا كنا من الغبار الذي يهتدي بهدى حذائه! وسواء علينا بعد ذلك أقرأ هـذا الهراء أم لم يقرأه!

نحن نسلم للأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربي المكتوب، وبأنه يعوق القراءة، وأنه يجعل العربية أبعد متناولاً عن عامة الناس، نسلم له بهذا، ثم ننظر كيف يكون الرأي الذي اعتسفه مظنة للتسهيل، ومدعاة لنشر العربية!

وكيف يكون هو الذى يخرج الحرف العربى الغامض إلى البيان والوضوح ، فلا يكون مضللاً ولا معوقاً ، فإنه زعم أن : « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! هذا هو محصول رأيه

فما هذا التضليل الذى زعم ؟ لقد قال من قبل إن الذى دفعه إلى هذا الرأى هو تيسير الكتابة العربية ، « لأن حروف هذه اللغة ليس بينها حروف حركات ! وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص . فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطىء فى قراءتها ، وقد عالج الأقدمون هذا المشكل الكبير بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أخلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف »

ودليل الاضطراب لم يزل يظهر فى هذا المنطق كما ظهر فى حديث محرر المصور ، وهو سؤال وجواب لا عنت فيهما ، فأول الوهن وأول الفساد فى هذا المنطق أننا رأيناه فى اقتراحه قد أبقى الحروف المعجمة (المنقوطة) ، وقصر ما ادعاه من التضليل والعسر على (حروف الحركات) . وهذا عجب . فالإعجام (النقط) هو فى التصحيف والتحريف بمنزلة الشكل أو أقل منه قليلاً ، فكان لزاماً عليه أن يبحث مسألة الحروف المعجمة ، ويخلص العربية منها ليدرأ عنها التصحيف والتحريف ! ولكنه لم يفعل ، ولم ؟ لا ندرى !

ومع ذلك ، فلنفرض أننا أدخلنا ما سماه (حروف الحركات) فى كلام عربى مكتوب باللاتينية ، ثم لنفرض بعد ذلك أنه قد أجدى ونفى التضليل من هذا الوجه . ولكن يبقى أن ننظر : أينتفى التضليل البتة ، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل ؟ وأى التضليلين أهون شأناً ؟ فإذا تساويا بطلت الحجة المرجحة ، وإذا غلب أحدهما كان الانصراف إلى أخفهما ضرراً هو الوجه الذى لا معدل عنه . أليس هذا هو منطق الناس يا صاحب الحروف اللاتينية ، أم تراه ينبغى أن نسير على هدى منطقك ؟!

فخذ إليك مادة من العربية مثل « قام » ، ثم اجعلها فعلاً ، ماضياً ومضارعاً وأمراً ، وألحق به ما يلحقه من الضمائر ، وأدخل عليه ما يدخله من قبل أوله وآخره مثل « فليقيمنّ » وفى التثنية والجمع ، والخطاب والغيبة ، ثم أخرج جميع مشتقاته من الأسماء ، وألحق بها ما يلحقها ، وضعها فى حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر والضمائر ، فى التثنية والجمع أيضاً ، ثم اجمع الأسماء على اختلاف صور الجموع الممكنة فيها ، ثم افعل ذلك بالمادة حين يزاد فيها ما يزاد مثل « أقام وقوّم واستقام » ، وصرّفها فى الوجوه التى ذكرناها ، وتبين حركات الإعراب فى سياق الكلام ، وضع كل ذلك أمامك مكتوباً بالحرف العربى ، ثم بالحرف اللاتينى ذى الحركات التى تجعل الكلمة مرسومة كمنطوقة . ثم انظر إليهما ، فهل تستطيع ، غير معاند ولا لجوج ، أن تميز بين كلمة وكلمة ، وأن تتبين الشبه بين هذه المتقاربات من مادة واحدة فى اللغة ؟ ونحن قد جربنا على أسلوب صاحب اللاتينية ، فجربنا ذلك بأنفسنا فما اهتدينا ولا أدركنا ، وصارت الكلمة الواحدة التى لا تخطئها العين فى العربية ، ولا تخطىء الشبه بينها وبين صواحباتها ، كلمات لا يُدرَى ما هى ! وهذا شىء قائم على الحس والتجربة والعيان(١)

فإذا عرف ، من لا يستكبر عناداً ولجاجاً ، أن ذلك مما يُضِلّ ويعمى ، نظر فإذا هو يرى أن أول التضليل فى رسم العربية باللاتينية ، أن يضيع على القارىء تبيّن اشتقاق اللفظ الذى يقرؤه ، فإذا عَسُر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذى لا نسب له ، وصار فرضاً عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة فى جميع صُورها التى تكون فى السياق العربى ، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية ، ثم عليه أن يحفظ معانى ذلك كله . فإذا كان هذا شأنه فى المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها ؟ يومئذ تصبح العربية أجهدَ لطالبها من اللغة الصينية . نعم ، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها ، لأنها لم تُبْنَ إلا عليهما . وهى من هذا الوجه مخالفة لجميع اللغات التى تكتب بالحرف اللاتينى ، لأن الاشتقاق والتصريف يعرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها ، حتى تختلف الحركات على كل حرف فى كل بناء مشتقٍ أو مصرّف ، ثم نزيد على ذلك ما يدخل على الكلمة من جميع ضروب الحروف العاملة وغير العاملة ، ثم عِلل الإعراب والبناء والحذف ... إلى آخر ما يعرفه كل مبتدىء فى العربية

فإذا كان هذا هكذا ، وكان التضليل كائناً فيه ، وكان هذا

---

(١) لقد تجنبنا أن نرسم الكلام العربى فى هذه المادة ، ووجوه التصريف واللواحق ، لأنها عسيرة على القرىء . فهو يستطيع أن يستخرجها جميعاً ويرسمها لنفسه وينظر أى مخرقة يرى !

التضليل واقعاً فى أصول الاشتقاق والتصريف ، الذى يردّ القارئ إلى أصل المادة اللغوية ، وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها ، فأى السبيلين أغمض وأضل : سبيل عُسر القراءة لعدم (حروف الحركات) ، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتداء إلى أصل الاشتقاق ؟ ونحن لا نشك فى أن كل رجل ذى بصيرة حسن المنطق ، سيجد فى هذا وحده من المشقة والعسر ، ما لا يدع اختياراً فى الاعتراف بالضلال المطبق الذى تجلبه الكتابة بالحرف اللاتينى ، وأن التصحيف والتحريف الذى يدخل الحرف العربى أهون بكثير من الاختلال والفساد والمضلة والعبث التى يجرها الحرف اللاتينى

وإذن فغاية المشروع الذى انتحله ، أن ييسّر نطق الكلمة المكتوبة فى حال إفرادها ، غير ناظر إلى سهولة الاهتداء إلى الاشتقاق الذى هو أصل العربية ، وأراد أن يأمن الخطأ فى الإعراب ، والتحريف فى ضبط الكلمة ، فنسى كل شىء ، ولم ينظر ماذا يجلب مشروعه من التضليل والتشويه والتعسير والاستحالة ، والغموض الأعمى الذى لا يهدى إلى شىء فى هذه اللغة العربية ! وهذا وحده عجب أى عجب

هذه واحدة ، ثم زعم الباشا أن الحروف العربية تعوق القراءة ، فهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطىء ! وأن هذا المشكل قد عالجه الأقدمون بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف !

هما علتان ، ثم علتان ملفقتان قد غلغل فيهما البطلان ، وتخرتهما المغالطة فى الصميم وفى المنطق . ونحن لن نناقش اليوم هاتين العلتين إلا من وجه واحد يظهر به فسادهما ، أما سائر الوجوه فندعها حتى يحين وقتها ومكانها من الكلام . فالخطأ عندنا لا يعود إلى صعوبة الحرف المكتوب ، وإنما يعود إلى القارىء المخطىء نفسه ، وهذا هو وضع القضية عندنا : إذا كان المتكلم حين يتكلم يستطيع أن يسوق كلامه على العربية الصحيحة غير مخطىء ، فمحال أن يخطئ فيها عند القراءة مهما اختلف الخط عليه سهولة وصعوبة ، لأن النطق سابق للقراءة ، فالذى لا يخطئ وهو يتكلم (أى كأنه يقرأ من حرف غير مكتوب) ، لا يتأتى له أن يخطئ وهو يقرأ حرفاً مكتوباً ظاهراً مميزاً ببعض الدلالات . وإذا عولج بعض العسر بوضع الشكل على الحروف ، فالخطأ عندئذ أشد استحالة لوجود دلالات صريحة لا تقل فى إفصاحها وبيانها عن حروف الحركات التى أرادها صاحب هذا المشروع اللاتينى ، ومن ثم فهى ليست مجلبة لزيادة التصحيف والتحريف كما زعم . أما قوله ، فى خلال ذلك ، إن الشكل قد أفلس ، فهذا حكم باطل فى قضية باطلة بطبيعتها ، وما دامت القضية فى أصلها لا تصح على الوضع الذى لفقه ، فالحكم نفسه لم يدخل إلا زيادة فى التلفيق . لقد نسى صاحب الحروف اللاتينية أن الإعراب فى العربية شىء يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية ، وأن الخطأ فيه لن يكون من قبل الكتابة سهلة أو صعبة ، بل هو راجع إلى المتكلم أو القارئ من قبل الضعف والقوة والعلم والجهل ليس غير

وأما ثالثة الأثافى ، كما يقولون ، فهو زعمه أن « ليس لدى المسلمين ، وغيرهم من أهل البلاد العربية ، وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! فأى طلاسم ؟ أهى الطلاسم التى تدخل على كل حرف من الحروف فى المادة الواحدة ، ألواناً من الحركات تكتب بين كل حرف وحرف ، وفى أواخر كل كلمة ، وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بنيت على الاشتقاق وعلى الاختصار ، وجاء فيها الجموع المختلفة ، والصفات والأبنية ذوات المعانى ، والبناء للمجهول ، وأحكامُ المعتلّ فى التصريف ، واختلاف المصادر وأسماء الزمان والآلات ، والترخيم والنسبة ، والإضافة والتقاء الساكنين ، وأحكام الإعلال والإبدال والإدغام ، إلى آخر هذا كله ، مما يغيّر الأبنية والأطراف والأوساط ، هذا إلى كثير من أحكام النحو الأخرى التى تفزع من يتتبعها إذا هو أراد جدال صاحب الحرف اللاتينى ! أهذه هى الطلاسم أم تلك ؟ وأيهما أفسد لوقت المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية ؟ بل أيهما أضرى وأشنع فتكاً وشراسة ؟ بل أيهما الذى يغول العقل لا الوقت وحده !

ولكنها فتنة ! فتنة اغتر بها شيخ صالح ، فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حُرْمة ، ولولا بعض حسن الظن لقلنا :

لا تأمنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم ... بين القوابِل بالعداوة يُنشعُ
فضِلَت عداوتهم على أحلامهم ... وأبت ضِباب صدورهم لا تنزع
إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفى غليل صدورهم أن تُصرعوا

وأى مصرع يا صاحب المعالى ! علمك الله الخير وهداك إليه وسددك وحفظك .

محمود محمد شاكر

كتاب نفيس

آراء وأحاديث في التربية والتعليم

للأستاذ ساطع الحصري

بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن أسرة « الرسالة » ، ولا غريباً عن رجال التفكير والثقافة فى الشرق العربى عامة ، أو فى مصر خاصة ، وهو نفسه لا يعدُّ نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته الصائبة فى التربية والتعليم لا تضيق فى حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل فى مساحة بقعة واحدة ؛ ولكنها تمتد إلى ما وراء التخوم السياسية فتتسع لسورية والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية

وبهذا الاعتبار يمكن أن يفسر اهتمامه البليغ بأمور التربية والتعليم فى مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرمى به من الكلام فى أمور لا تتصل بوطنه ؛ فيقول فى عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو أن لا يعتبرنى أحد متطفلاً على مصر بهذه الملاحظات ؛ فإنى عربى صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحى ، وأهتم بمصر بقدر ما أهتم بسورية والعراق) . وهذا دفاع بليغ بقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنما نسكر من أموالنا فسلوا الشرطى ما هذا الغضب!

لأن غضبة الأستاذ الجليل ساطع الحصرى ليست غضبة « الشرطى » ولكنها غضبة المُضَرى التى يجب أن يحسب لها حساب ...

ولهذا لا نظن أحداً من الناس فى مصر أو فى غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصرى فى التربية والتعليم ، لأنه مخلص فى إبدائها ، ولأنه عربى قبل أن يكون مصرياً ، والعروبة تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة فى هذه الأوقات التى نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعى القومى . ولأنه هو نفسه قد أبان فى كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربى بأجمعه)

لا نظن أن أحداً من المفكرين والمثقفين والمربين فى مصر يغضب لأن مفكراً عراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً فى التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم فى مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتغدق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب ولكن ساطع الحصرى زار مدارس مصر - قادماً لا مستقدماً - فى سنتى ١٩٢١ ، ١٩٣٦ ، وكشفت له الزيارتان عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربى الأول أن لا يكتمها ، ورأى من الخير أن ينشرها

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خبء . أو يذيعون آراء لها خواف . ولكن الأستاذ ساطع واضح المقصد بيِّن الغاية حسن النية . ونرجو أن تكون تلك حاله التى ينطق بها لسان المقال

ليس هذا الكتاب كتاباً « فنياً » فى أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » فى « الدرس » وأجزائه « والمقدمة » وشروطها . « وملخص السبورة » « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التى يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يبتسم لها . ولو كان كتاباً كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن نعرضه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات فى التربية والتعليم جمعها المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهداه إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لكل جديد من الرأى فى آفاق التربية والتعليم

والقسم الأول من الكتاب فيه مشاهدات وملاحظات فى فى التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربيبة طرافة الأسلوب وحسن العرض، والخلوص من المثال أو المشاهدة

إلى القاعدة التي يقررها . ولهذا لا تحس وأنت تقرؤه الجفاف الذى يصادفه من يقرأ كتب التربية البحت ، و « الطفل المماكس » « وإثبات الذات » « والتربية بالثقة » « والحرية » وغيرها نصيب فى هذا القسم من الكتاب

أما القسم الثانى فهو محاضرات ومقالات فى التربية والتعليم ألقى بعضها فى نادى التضامن وبعضها فى نادى المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنية وعرض النظريات التربيبية عرْض المربى الفنّى لا عرْض الشاهد المتنقل كما فى القسم الأول

وفى هذا القسم فصل ممتع عن التربية الاجتماعية . وقد نجح المؤلف فى محاولة ردّ تربيتنا الاجتماعية أو بالأجدر مشاكلنا الاجتماعية فى الشرق العربى إلى تغلب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نتعود التفكير فى غيرنا تفكيراً اجتماعياً ، كما أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً مشترياً Collectif

وهذا كله كلام جميل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شيء آخر لم يشر إليه الأستاذ ساطع ؛ ولكن أوضحه البروفسور كامبانياك الأستاذ بجامعة ليفربول فى كتابه النفيس :

Education in Its Relation to the Common Purposes of Humanity.

المطبوع فى إنجلترا سنة ١٩٢٥

يقول هذا الأستاذ الإنجليزى فى كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هى الشروط التى يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنها شروط يمكن التعبير عنها فى سهولة ويسر فى جملة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يُطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بعضويته فيها)

وهذا التوضيح يفسر لنا كثيراً مما يحدث فى مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فكثيرون منا لا يفعلون ما تطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ؛ كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع فى مقصورات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ؛ فلما نبههم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار ، لا حق لأحد أن يتدخل فى أمرنا ...

لقد ردّ الأستاذ الحصرى هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً « مشترياً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن نرده إلى طبيعة العصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فسّره الأستاذ كامبانياك

أما الفصل الذى كتبه الأستاذ الحصرى عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنىٌّ به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التى أثرت فيها ؛ والمراحل التى مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف فى حسن العرض العلمى عرضاً متسلسلاً يدل على الفكر المتسق ... ولقد أشار فى خلال هذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التى طغت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . وللبروفسور كامبانياك فى كتابه المشار إليه سابقاً فصل رائع « عنوانه العودة إلى الطبيعة »

كما أن الأستاذ « نيومان » عالج هذا الموضوع معالجة علمية فى كتابه القيم « فكرة الجامعة » : Idea of a University ص ١٣٣ ، ١٤٣

ومن عبارات كامبانياك الرائعة فى ذلك الفصل قوله فى صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لانعاشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربيبياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجالها ، لهو مشروع حكيم الخطة)

أما الفصل الذى عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر فى تاريخنا العربى بنزعة تربيوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمى إلى « التربية القومية » قبل كل شىء . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ الحصرى بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التى تنشد الوحدة فى عالم اتحدت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والعادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شىء) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونبخسها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح فى إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ؛ وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد ... وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين ...

وقد ينفعنا التاريخ فى العمل على تحسين حالتنا الصحية التى أصبحت مرضاً عضالاً وداء قتالاً . فلو اعتنى فى مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحميات والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحية تقوم إلى تربيتهم القومية

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ فى إنجلترا بناء على الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان : (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن — ص ٦٤)

أما الفصل الممتع الذى كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالاً لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ؛ فيحملك على الاقتناع بكلامه وقد أثار فى نفسى شهوة إلى قراءة « التحقيق البرلمانى الفرنسى » الذى يذكره أستاذنا وصديقنا توحيد السلحدار بك

بقى أن فى الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفردانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا . (والقبمدرسية) نسبة إلى « قبل مدرسى » وهى طريقة فى هذا الكتاب وأطرف منها المصادر التى يستعملها . وهى صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا فى مصر « كالتمديد » « والترفيع » « والاقتياس » بدلاً من المد والترقية والقياس التى نستعملها هنا

***

وبعد فإن كتاب الأديب المربى الأستاذ ساطع الحصرى يعد محاولة ناجحة فى عرض الاتجاهات التربيبية عرضاً يرتاح إليه الأديب ، قبل أن يرتاح إليه المربى . وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه المربون والمعلمون

وكفاه قيمة أنه — فيما نعلم — أول كتاب عربى غير مصرى يتناول مسائل التربية والتعليم فى مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب .

محمد عبد الغنى حسن

القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

تمهيد

شكا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٥٥٧ من الرسالة من أنى كتبت فيه كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات ، وزعم أنى أبحث عن فرصة جديدة تؤيد غرامى باتهامه فى إسلامه ، وأن الباعث على محاربتى إياه ليس هو الدين ، ولكن غرامى بأن يقرن اسمى باسم الدكتور زكى مبارك

وتأذى الدكتور زكى مبارك بما كتبت ليس لى فيه من فضل ، فالفضل - أو الذنب - فيه راجع كله إلى الدكتور الفضال . فهو الذى لا يفتأ يتعرض للدين بما لا يمكن أن يقره عليه عقل ولا دين ، وبما يخالف الكتاب والسنة والإجماع عند المسلمين . يتعرض لا لجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف ، ولكن للأصول التى يقوم الدين بقيامها ، ويتهدم بانهدامها ، كأصل إعجاز القرآن ، وأن القرآن كتاب الله لا كتاب محمد ابن عبد الله

والخصومة التى بيننا ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور زكى مبارك ، ولكن ما يعلن الدكتور ويدعو إليه . فاعتقاده ودينه أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن ويكتب فأمر بينه وبين الناس . هو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد ما اقتصر ذلك على ذات نفسه ، أو ظل سراً بينه وبين خلصائه . لكنه يفقد تلك الحرية فى اللحظة التى يحاول فيها أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه ومعتقداته بين الناس . إنه فى تلك اللحظة يصطدم بما يعتقد الناس ، إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون ، خصوصاً إذا كان ما يعتقدونه هو الحق وما يدعو إليه هو الباطل . أفيعجب الدكتور عندئذ أن يرتد عليه الاصطدام فيتأذى به كما آذى به الناس ؟ أم هو يظن أن الحرية له فى الهجوم ، وأن ليس لغيره حرية فى الدفاع ؟

وللدكتور فى الخصام حيل كتلك التى تكون فى القتال ، منها أن يلقى إلى خصومه أقوالاً يرجو أن يشغلهم بها وأن يشكك الناس فيهم . ولا بأس من أن ننخدع له هذه المرة فننظر فيما ألقى

يقول إننا نحاربه لا للدين ، ولكن ليكون لاسمنا ذكر مع اسمه الكريم . ولو وجد الدكتور شيئاً غير هذا يقوله لقاله ، ولكنه نظر فوجد أننا لا نتخذ الأدب صناعة فيأتينا من ناحية المنافسة ، ولا يجوز عنده أن تكون محاربتنا له لوجه الله ، فلم يبق إلا أن يقول أننا نلتمس الشهرة عن طريق التعرض له والطعن فيه

إن كان ذلك كذلك ، فلماذا تركنا الدكتور كل هذه السنين يبدئ ويعيد فى الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين اتصالاً وثيقاً أو غير وثيق ، من غير أن نتعرض له إلا مرتين يفصلهما خمس سنين : الأولى حين ختم كلمة له فى نعيم الجنة بذلك الدعاء الماجن : « اشغلنى عنك يا رباه بأطايب نعيم الجنة ، فإن نظرى لا يقوى على نور وجهك الوهاج » . والثانية حين كتب مقاله : « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » الذى أنكره ابتداء ، حين حوسب على بعض ما فيه ، ثم أقر به لما أيقن أن لن يصدقه أحد فى الإنكار ، كالرجل الذى يتبرأ من ولده الجانى وينكره ثم يستاحقه إذا وجد عار الإنكار أكبر من عار الإقرار ... مناسبتان اثنتان بينهما خمس سنوات لم نتعرض للدكتور إلا فيهما فى عمر الدكتور المملوء بما يؤاخذ عليه فى الأدب والأخلاق والدين . فهل لم يكن بنا حاجة إلى الشهرة طوال تلك الأعوام لنلتمس التحليق فى جوها على جناحه المتين ؟

وقد وقع الرجل على حيلة أخذها عن صديقه الشيطان (١) هى أن يسمى المسميات ضد أسمائها ليدخل على بعض النفوس عن طريق الإيحاء . فستر الإنسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج فى الضمير (٢) ؛ والدعوة إلى تعريته دعوة إلى الحياة (٣) ؛ واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل (٤) ؛ وهجوم الفتاة على الفتى طاعة لغريزة كريمة (٥) ؛ وانتهاب الجمال هو فى ذاته شكران لواهب الجمال (٦) ؛ والشيطان مخلوق شريف (٧) ؛

(١) العدد ٢٣٠ من الرسالة صفحة ١٩٣٤
(٢) و (٣) العدد ٥٢٩ من الرسالة صفحة ٦٦٨
(٤) و (٥) العدد ٤٤٦ من الرسالة صفحة ٦٢
(٦) العدد ٤٥٥ من الرسالة صفحة ٣٤٦
(٧) العدد ٢٥٧ من الرسالة صفحة ٩٤٤

والأديب الحق يستبيح في عتاب الأقدار ما لا يباح[1] ؛ وبعض الكفر إيمان ولكن أكثر الناس لا يفقهون[2] ؛ إلى آخر ما هنالك

ولست في شيء مما كتبت أو أكتب عن هذا الرجل متجنياً عليه أو مبالغاً ، فتلك المعاني التي نسبتها إليه آنفاً ليست من عندي ولكن من عنده . هي بعض عباراته تشهد عليه ، وبعض بضاعته ترد إليه

وحيلة أخرى لهذا الرجل أن يلقي إليك المعنى الذي يعرف أنك تأباه مقروناً بمعنى يعرف أنك ترضاه ليسهل عليك بهذا قبول ذاك ، أو على الأقل ليوقفك موقف المرتاب . فتراه مثلاً يقول لك : « انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دين يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء . وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه في الجوهر غاية الإيمان »[3] !

فانظر كيف رتب على المعنى الذي يعرف أنك ترضاه معنى يعرف أنه لو ألقاه إليك مجرداً لأبيت عليه ، ولنبذت إليه . والمعنى الذي ألقاه معنى ذو نتوء كرأس إبليس . ظاهره أن الصوفية يضعون أنفسهم فوق مرتبة النبوة ، لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الأنبياء ، وباطنه أن ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم إلى الأنبياء حاجة ، وإلا كان بينك وبين الله وسطاء ، والإسلام يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ؟ فتلك هي في رأي زكي مبارك سماحة الإسلام وبها انتفع الصوفية ! والرجل يكذب في الحالين على الصوفية وعلى الإسلام . فلا الإسلام يهدم نفسه بسماحة حمقاء كالتي نسبها إليه زكي مبارك ، ولا الصوفية بلغ بهم الغرور أن يروا أنفسهم فوق الأنبياء

ومثل آخر من نفس الباب قوله[4] : (وفي طلب السلامة من أذى السفهاء . قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » ... والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء ميراثاً حلالاً لأبنائهم ، ولكن الحرص على قطع ألسنة المتزيدين هو الذي أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث . وذلك ظلم جميل !) هكذا يقول زكي مبارك ، وهكذا يقدم لقرائه في هذا الكلام قنبلة ملفوفة تكفي لنسف أي إيمان

دعك مما في كلامه هذا من مثل « جميل » و « رسول » (وأنبياء) و « قطع ألسنة المتزيدين » وتأمل ما وراء ذلك تجده يريد أن يدخل في نفسك أن ترك الأنبياء أموالهم كلها صدقة شيء فعلوه من عند أنفسهم لا بأمر ربهم ، وأنهم بذلك خالفوا العدل ووقعوا في أقبح الظلم ، ظلم الأبناء . ومن أجل ماذا ؟ من أجل السلامة من أذى السفهاء ، وقطع ألسنة المتزيدين ، أي من خوف الناس ! وماذا يبقى من مبدأ عصمة الأنبياء بعد هذا ؟ لا شيء عند من يقبل من زكي مبارك هذا الكلام ، وعلى دينه العفاء !

*

وإذا رجعت إلى حديث الرسول صلوات الله عليه - وزكي مبارك حرف المعنى ولم يحرف اللفظ - تجده يحتوي على الحجة المبطلة لكل ما ذهب زكي مبارك إليه ، وهي قول الرسول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) بصيغة التعميم لا بصيغة التخصيص . فلو صدق ذلك على بعض الأنبياء دون بعض لما كان من سنن النبوة ، ولكن من رأي ذلك البعض ، ولجاز ولو من بعيد ما زعمه زكي مبارك . أما وهو صادق على الأنبياء أجمعين فلا بد أن يكونوا فعلوه عن أمر الله لا أمر أنفسهم ، لاطراده فيهم على اختلاف الأزمان — والاطراد على اختلاف الزمن هو طابع الفطرة التي هي دين الله — ثم لاستحالة معرفة الرسول صلوات الله عليه أن الأنبياء أجمعين كانوا يفعلون ذلك إلا بإخبار وتوقيف من الله

لكن زكي مبارك لا يلتفت إلى مثل هذه الدلالات في كلام النبوة ، لأنه مشغول بترويج ما له من مذهب ورأي ؛ يتلطف للدخول به على الناس حيناً ، ويتقحم به عليهم حيناً ؛ تارة يلمح وتارة يصرح ، وطوراً يجمع لهم الأضداد ويرميهم بالمتناقضات تلهياً وتشفياً ، كأن بينه وبين الناس ثأراً لا يشفي نفسه منه إلا أن يبلبل منهم الفكر[1] ويزلزل منهم العقيدة ليكون أدبه قوة تقتل الخصوم وتزلزل الزمان[2]

محمد أحمد الغمراوي

---

(١) و (٢) العدد ٣٥٥ من الرسالة صفحة ٥٠٧
(٣) العدد ٤٩٣ من الرسالة صفحة ١١٣٨
(٤) العدد ٤٠٩ من الرسالة صفحة ٦٢٨

(١) العدد ٣٨٢ صفحة ١٦٢١
(٢) « ٤٩٨ « ٤٥

من نداء القلب

الإنــاء...

للأستاذ إلياس أبو شبكة

أصدر الشاعر اللبناني المطبوع الأستاذ إلياس أبو شبكة ديواناً لطيف الحجم سماه «نداء القلب» ، وهو - ما عدا القصيدة الافتتاحية - مجموعة من الشعر الفنانى الرقيق ؛ يقرأه الخلى فى ساعة إذا شاء ، ولكن الرجل ذا القلب الشاعر لا يستطيع أن يفرغ منه ولا أن ينفصل عنه ؛ فهو فى كل بيت من أبياته لا ينفك بين ذكرى تعاوده ، أو أمل يراوده ، أو شعور لذيذ يحس انبثاقه فيه ، أو وجد أليم يجد أبلغ العبارة عنه . وكان الأشبه بما قلنا أن نسمعك لحناً من ألحان هذا الغزل المشبوب ، لهذا الشاعر الموهوب ، ولكننا آثرنا أن نسمعك القصيدة الأولى منه ، لأنها أبلغ ما يصور حال الأدب الرفيع ، فى هذا الزمن الرقيع

عصرت فؤادى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــهُ من مرشـــف الفقراء
فقالوا : « خمور ما تبرد غـــلة »
فتمتمتُ : « واهـــاً أكبد الشعراء !
أينكر حـــتى البؤس ما فيك من غنى
وأىّ غـــذاء أنت للبؤساء ؟! »

***

وذوّبتُ قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الرؤساء
وقلت لهم : « هذا هو العدل فاشربوا
لعلكمُ تصـــغون للضعفـــاء ! »
فقالوا جميعـــاً عن إنائى وغمغموا :
« إناؤك محظـــور على الزعماء »

***

وذوّبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف السجناء
وقلت لهم : « هـــذا عزاء قلوبكم
فللأبرياء التاعسين دمائى »
فقالوا : « دماء ما تحـــلّ قيودنا
فهـــاتِ قوانيناً لغـــير قضاء »

***

وذوبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الحكماء
وقلت لهم : « هـذا هو النور فاشربوا
فآراؤكم فى حاجـــة لضيـــاء »
فقالوا ، وقد هزوا الرؤوس شمـــاتةً :
« ضياؤك هـــذا خدعة الجهلاء »

***

وذوبت قلبى فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الأمراء
وقلت لهم : « هذا هو النبل فاشربوا
وطـــوفوا بأقداحى على النبـــلاء »
فقالوا : « أتحقـــير لطغراء جَـــدّنا
وما تنسل الأصـــلاب من شرفاء ؟ »

***

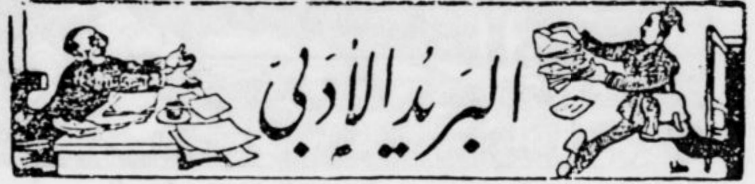
وذوبت قلـــبي فى إناء من الهـــوى
وأدنيتـــه من مرشـــف الشعراء
وقلت لهم : « هذا هو الحب فاشربوا
فأزياؤكم مرهـــونة لفنـــاء
إذا الحب لم يضرم لهيب قلوبكم
بَشِعتم ولو جئتم بألف رداء »

***

وما زلت فى الدنيا أطـــوف بخمرتى
وحـــولىَ شـــعبٌ هازئٌ بوفائى
إلى أن دهانى اليأس فاخـــترت عزلة
أفتش فيهـــا عن حُطـــام رجائى
وذوبت خمـــرى فى إناء من الهـــوى
لأشربهـــا ممزوجـــةً ببكائى

***

فشاهدت قلـــبي فى إنائىَ ضاحكاً
به دعـــة عذراء فى خُيَـــلاء
فأدنيته من مرشـــفى وشربته
وما زال ماء الحبّ مـــلء إنائى



٥ – الشعر الجديد

وضعنا أمام القارىء فى كلمتنا السابقة[1] وصفاً إجمالياً لمنظومة من (الشعر الجديد) حاولنا أن نكشف به عن الطابع العام لهذا الشعر. فإذا هو – كما يمكن أن يتخيل القارىء – مجموعة من التفكك والاضطراب، والبرقشة[2] والإغراب. ولولا خشية الإملال لوصفنا غيرها وغيرها، فلدينا من هذا الشعر أكداس. وقد وعدنا أن نزيد فى هذا الكشف فى أثناء حديثنا كلما عنت مناسبة. ونجد الآن الفرصة سانحة للاشارة إلى مظهر آخر من مظاهره البارزة: ذلك هو الإسراف فى بث المجاز والاستعارة فى تضاعيفه، وتحميل الكلام منهما أحمالاً ثقيلة، والغلو فى ذلك غلوّا شديداً. ولا تحسبنّ أن هذا عن بَصَر بهما، أو علم بأصولهما، أو إحاطة بأساليبهما، فذلك مطلب جِدّ عسير عليهم؛ فقد أزحنا بعض الستار عن ماهيتهم، وأبنّا شيئاً من طرائق تزييفهم، ووسائل تمويههم. وإنما الذى يصنعون صور منهما افتُعِلت افتعالاً، وصيغت على أمثلة صاخبة متراكبة، وصُبَّت فى قوالب غثّة، مما نراه فى الأدب الرخيص الشائع الآن بين العامة وأشباه العامة

ويضطرنى هذا المقام أن أقول – والأسف يملأ نفسى – إن بلية هذا (الأدب) ليست مقصورة على هؤلاء الشعراء وغيرهم من صغار الكتاب، بل تجاوزتهم إلى الطلاب ممن لم يُزايلوا بعد مقاعد الدراسة الثانوية. فعملت فيهم عمل السوس، وأفسدت من سلائقهم، وشلت من ملكاتهم، ولوثت من نفوسهم.

وطالما جَهَرت – بقلمى وبلسانى – بأن هذا الضعف الملحوظ فى مُنشآت الطلبة الآن إنما مَبعثه قلة ما يقرءون من مُستجاد الكلام وشريف الأفكار، ثم ذيوع هذا (الأدب) بينهم، وتهافتهم عليه؛ لما به من مغريات الشباب وعوامل استمالته ومخادعته. (والفتى آلِف لما يستميدُ). فضع ما شئت من مادة بين يدى الحدث، وخذه بها، وأدمه عليها، يُطبع عليها لا محالة.

ولقد كنت أرى ممن خالطتهم من الإنجليز فى بلادهم، أن الوالدَيْن يحرصان كل الحرص على انتقاء ما يطالعه الأبناء فى أوقات فراغهم، ويحولان بينهم وبين ما يمس أخلاقهم، أو يضعف لغتهم، ويبذلان فى ذلك أعظم الجهد

فللولد هناك مكتبة، وللبنت مكتبتها، حافلة بما يقوّى العقل، ويقوّم الخلق، ويغذى اللسان.

والنشء من أبنائنا محرومون كل هذا، مهملون إهمالاً يكاد يكون شاملاً. وقد انصرف أدباؤنا وشعراؤنا عنهم، وأمعنوا فى نسيانهم، وكتبوا وألفوا للكبار وحدهم؛ اللهم إلا محاولات لا تنقع غُلّة، ولا تبل صدى

أعود – وقد استطردت مرغماً – إلى ما كنت بسبيله من الكلام فى المجاز والاستعارة، فأقول: إن الأساليب العربية النقية قد اقتصدت فيهما اقتصاداً، فلا تلجأ إليهما، ولا إلى التشبيه أو غيره من طرق البلاغة إلا لغرض حافز، لا للزينة وحدها أو التهويل. يستبين ذلك فى كلام الأبيناء من أئمة الترسل قديماً وحديثاً، لا الذين احتفلوا بالتنميق والتزويق، وتمحّلوا وتكلفوا، وجعلوا الكلام بضاعة تزخرف كما تزخرف السلع المعروضة للأنظار

وهذا كتاب الله، وهو فى الذروة من البيان، لا ترى فيه – إذا تجوّز – إلا السهل الممتنع الذى حِيكت مادته من المألوف السائغ، والبسيط المستعذب

وللعربية مناهجها فى التعبير، وروحها فى التصوير، ومَراميها فى التفكير. ويفهم عنها هذا من تمرس بها وكابدها وتوفر عليها – ولها فوق ذلك – مرانتها ولينها وسلاستها

فعبّروا – فى هذا النطاق – عما تدّعون من غريب مبتكراتكم، وبديع تجديداتكم، ثم دعونا نفهم عنكم، إن استطعتم

(١) عدد ٥٦٠ من الرسالة (٢) البرقشة خلط الكلام

ولقد كنت عمدت إلى طائفة من هذا « الشعر » فنثرت ما أمكنني أن ألم شعثه منها ، بعد جهد وعناء ، فحصل لدىّ صفحات كنت أبني عرضها في كلمة من كلماتي ابتغاء التمثيل

فلما عدت إليها بعد ذلك ألفيتها تمثيلاً غير صادق لمذهبهم ؛ إذ أن ألفاظهم وحدها هي — في الحقيقة — التي تكشف عما أوضحت من خصائصهم . ومتى بدت الألفاظ ، تكشفت عنها الأشخاص . وقد آثرنا — كما قلنا من قبل — أن نكون عن هذا بعنأى

* * *

حاشية : بعد أن فرغت من مقالي هذا ، جاءتني الرسالة (عدد ٥٦١) وفيها كلة موجزة للكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة ، ينقد بها آرائي في (الشعر الجديد) ، وسأجيب عنها إن شاء الله

(للحديث بقية) (ا . ع)

حول شعراء الشباب

الأستاذ « دريني خشبة » رائد لهذا الجيل ، في جميع فنون الأدب بلا استثناء ، ومن ذلك فن الشعر بلا مراء !

وهو يحمل المشعل لشعراء الشباب ؛ فآناً يجندهم تجنيداً للتمثيلية الشعرية ، وآناً ينافح عنهم منافحة الراعي الذي يشملهم بالعطف والحماية ، إذا عنّ لأحد من الشيوخ أن يهاجمهم ، كالأستاذ « ا . ع »

ولأن الأستاذ رائد من رواد الجيل ، ولأنه راع للشباب بوجه خاص ، فإن عطفه يتسع ويتسع حتى ليشمل الكثيرين ، فيسلكهم في عداد الشعراء

والحمد لله والمنة على أنني كنت في مرتين أو أكثر ممن وسعهم عطف الأستاذ الذي وسع كل شيء ... حتى لقد وسع شعراء بحكم الوظيفة ، وشعراء بحكم الأقدمية ، وشعراء بحكم النظم ، وشعراء بحكم محاولة النظم ، وشعراء بحكم برقشة النظم ؛ وسلك هذه الكثرة الكثيرة مع تلك القلة القليلة التي تستحق لقب الشعراء . وهذا عطف سابغ ولا شك . ولكن ما رأى الأستاذ الفضال ، لو رجوته في ألا يشملني بعطفه الوسيع ؟ ولو أنهيت إليه كذلك أن بعض من حشدهم في كلته يرجونه مثل هذا الرجاء في خاصة أنفسهم ... مع خالص الشكر ، وموفور التحية

سيد قطب

فلم « رصاصة في القلب »

طغى على الأفلام المصرية — وهي في طور النشأة — نوع من الفن الغليظ يعمد إلى استدرار الدموع بتلفيق الحوادث المروعة ، وافتعال المواقف المثيرة ، أو إلى إثارة الضحك بالحركات المبتذلة والنكات المكشوفة . وكان هذا الأسى المنيف ، أو هذا اللهو السخيف ، طبيعياً أول الأمر لعجز الكتاب والممثلين والمخرجين عن إدراك الفن الصحيح ، فكانوا يتوخون التأثير من جوانبه السهلة وطرقه القريبة ، كتمثيل ما يؤثر بطبيعته من نكبات الفاقة والبؤس والمرض والموت ، أو تصوير مايضحك بذاته من شخصيات الحشاشين والفلاحين و(البرابرة) ، وكل ذلك في إخراج ينسجم في قبحه واضطرابه مع سخف الرواية وضعف التمثيل

أما فلم « رصاصة في القلب » لواضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وممثله الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ومخرجه الأستاذ محمد كريم ، فشيء آخر يختلف في لهوه وجوه وفنه . هو قطعة من المرح الرقيق الرفيق العذب ، فيه الفكاهة وليس فيه الإسفاف ، وفيه النشوة وليس فيه العربدة . رواية طريفة الموضوع فنية الوضع مطردة الحوادث هادئة السياق ؛ وتمثيل طبيعي الحركات منسجم الأشخاص بارع المواقف ؛ وإخراج قام على فهم روح المؤلف وإدراك طبائع الممثلين ، فرتب المشاهد ، وحرك الأشخاص ، وسلسل العمل ، على نظام عجيب من الفن جعل كل شخص وكل شيء في هذا الفلم قائماً بعمله المطلوب ، وموضوعاً في موضعه الحق

ولعل أعجب ما في هذا الفلم أن عبد الوهاب الممثل كاد يطغى على عبد الوهاب الموسيقار ! فقد كان الجمهور مفتوناً برشاقة حركاته وعذوبة كلماته وصدق تمثيله ، حتى كان انتظاره للقطع الغنائية على روعتها وجمالها في هذا الفلم أقل منه في الأفلام السابقة . وربما كان مرجع ذلك أيضاً إلى أن روح الفنان التمثيلية غلبت على روحه الموسيقية ، فذهبه الحديث في التلحين يغلب فيه تمثيل العواطف والمواقف بالنغم المعبر ، دون أن يكون للقرار تلك النغمة الخاصة التي كانت تشق الحناجر بالهتاف وتدمى الأكف بالتصفيق .

وجملة القول أن (رصاصة في القلب) فصل جديد في تاريخ النهضة السينمائية المصرية يسمح للذين قاموا على إنتاجه وإخراجه أن يضعوه يوم المنافسة بجانب الأفلام الأمريكية من غير تهيب ولا تردد .



الأدب يمرضه التاريخ

عمـــرو بن العاص

للسيدة وداد سكاكيني

كان لي عجب أن رأيت الأستاذ عباس محمود العقاد ، على غير ما خُيل إليَّ ونعت ، فلما لقيته تهيبت جانبه وتحيرت في تحيته فوجدتني أدير على لساني كلاماً أستل به ملامة وقرت في نفسه يوم دفعت عن المرأة ما شاء الأستاذ الجليل أن يصمها به من الفتانة في الفن والضآلة في العبقريات ، وقد كنت في سوالف الخيال أحسبه قد بسط على منكبيه من أدبه التين بردين من المنجهية والخيلاء ؛ ولكن حين أتيت مصر سألت عنه من يعرفه فوصف لي بغير ما حسبت ، ولما سمعته صغَّر الخَـبَرَ الخُبرُ

رجل جبار القامة ، رفيع الهامة ، وديع الطلعة ، يفيض حديثه من علم عقله وشعور قلبه ووحي ضميره ، ويعد ببصره إلى أغوار الكلام فيتناول لآلىء المعاني ، ويجول في آفاق الفكر بجوال الأديب المكين . قلت له لا تثريب على أن يكون أول ما أرى من مآثر مصر أديبها الحي ووثبتها المرموقة في نوابغها وقادة الفكر فيها ، ونحن وإن اختلفنا في الرأي والمقالة ؛ فإننا نرجع إلى الحرية . فتبسم عن رضى وتألقت فيه نفس الأديب الكريم

وسرعان ما عكفت بعد لقياه على كتابه الجديد (عمرو بن العاص) فقرأته بإعجاب نسيت فيه ما كنت أحسه من كآبة الاغتراب في نفسي ، وألفيتني أستمع للتاريخ وأتدبر الأحداث ؛ فإذا أنا بين دفتي كتاب على نسق العبقريات ، وسمه ناشروه بأعلام الإسلام ، فكان فاتحة لجهدهم المحمود . جلا فيه العقاد عمراً في شخص فذ عظيم من شخوص العرب الذين صمدوا للدهر وتركوا في الدنيا دوياً ، فقرب المؤلف بلباقته وبراعته ما تناءى من التاريخ على القارئين . ومن للناس في كل حين بالطبري والدميري والطبقات والسير وكتب التراجم والأخبار ، فهم إن عركوا أوراقها ومزقوا جلودها من طول البحث فيها والتنقير ماحصلوا منها على طائل ولا نالوا من نائل ، حتى كانت منالة الأدب الحديث ، فأورد القراء بكرام الكاتبين موارد السهولة في التاريخ والسير ، إذ سكبوا بيانهم على الحادثات النوابر ، فردوها نواضر وبعثوا أمجادها للأجيال لتكون لهم فيها أسوة ومنفعة

وكذلك فعل العقاد في كتابه الجديد ، فارتديت رداء امرأة من نساء العرب وخلطت نفسي بنسوة من قريش يعجبن بصنع عمرو وخليقته ، ويرين إلى أبيه العاص بن وائل وهو في الذروة من بني سهم فيشفقن مما يخوض به الرجال من ملامز عمرو بن العاص وضعة نسبه لأمه السبية ، وأنها كانت كبرى المغنيات في مكة وآخذهن لأجرة . فقلت لله هؤلاء العرب الأشداء الذين عبدوا أنسابهم فتنافسوا فيها وناشدوا بها الرجال والنساء ، وأرادوها في الخيل والسيوف ! ثم رأيت عمراً وقد أقضت مضجعه هذه القرحة الدامية ، وأنداده في صحة منها وعافية ، صليبتهم نقية وحسبهم معروف ، فكانت مغامز الحساد لابن العاص حوافز مرهفة لتعاليه ونشدانه البسطة في الوجاهة والثروة . وقد أعدته المواهب والشمائل لبلوغ ما صبا إليه في زهو الشباب ، وكان يرى بلحظ الغيب نصيباً من المجد والسلطان أدركه في عنفوان الرجولة وفي عهد الفتح المبين

لقد عرض الأستاذ العقاد عمراً في معاريض الدهاء المبكر ؛ إذ كان يحل خلافاً قد استحكم بين طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام . وإذا بالإسلام يظل العرب فيندبه الرسول عليه السلام ليحكم بين جماعة من قومه يهددون المسلمين فيكسر ابن العاص شوكة الظالم ويفل جمع الباغين بدهائه وفطنته ، فتتطامن له الشجاعة والحيلة ، ويزكو ذكاؤه مع الأيام القابلة وهو ما يزال يحس بين جنبيه هذه الشوكة الناخزة في نسبه لأمه التي يجهر بخبرها الناس إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ويسرونها كلما رأوه فيزداد طموحه وتفريه وثبات هذا الطموح بالتماس

الأسباب للغلاب بالأمارة والرئاسة على من يفاخرونه بشرف الأمومة

ويموت أبو عمرو ، وكان من سراة السهميين ، فأخو عمرو يرث أباه ويكون ذا مال ، وعمرو مقل فقير ، فأين ماله من أبيه ؟ ها هنا يقلب الأستاذ العقاد وجوه الرأى ومدار البحث حول هذه المسألة ، فيرينا عمراً وقد بقى محافظاً على رضى أبيه . ولم يسلم حتى مات أبوه الذى رغب عن الإسلام ، وأنه لا يبعد أن يكون عمرو قد أصاب شيئاً من الميراث فأنفق منه ما أنفق بعـد يأسه من تجارة الحبشة والشام ، ولم يبق له عند ولايته على مصر إلا اليسير . على أنى أجد تعليلاً لفقر عمرو سهلاً هيناً ، أفلم تقل أمه : أنظروا من يشبه فألحقوه به . وكأن عمرو فى صغره يرعى غنما لأبيه ، ثم صار جزاراً . وما ظنك بشيخ من أقرام العرب كالعاص بن وائل أبى عمرو يبلغه هذا المطعن فى نسب ولد يُعزى إليه ولم يكن للعرب يومئذ حكومة يدفعون بها عن أنفسهم ما لحقهم من سـوء الأنساب بأولاد يعزون إليهم كرهاً ، وكيف حاول أبو سفيان إخفاء نسب ابنه زياد ، فلا يبعد أن يلجأ العـاص بن وائل إلى حرمان عمرو من ماله وهو عنده شىء مادى مقدر ومقوم بالدينار والدرهم . وكان من خصال بنى سهم المطال فى الدين وكم كانوا له يلوون ! ولعله قال يكفى عمراً أن ينتمى ويدعى إلى العاص

ولا جرم أن مثل هذا الخاطر مر ببال الأستاذ العقاد ، ولـكن ما كشفت عنه نصوص الرواية . وكان جهده فى حقائق التاريخ أسد الآراء وأبلغ الحجج ، فإذا علل الأستاذ المؤلف سر طموح ابن العاص وتعاليه بفقدان نسبه الطيب لأمه ، فما أحرى التعليل بميله للمال وتكالبه عليه لحرمانه الميراث

أما نفس ابن العاص فقد حلل العقاد تفاريقها وألوانها من وجهات عدة ؛ فآونة عرضها فى نفس متهالك على الثراء ، وجاء بالبرهان على ذلك فى أقوال عمرو وأفعاله منذ عهد الرسول إلى وفاته بمصر بعد فتحها الثـانى . وآونة يشرح بديهته ودرايته واضطلاعه بالحـكم والولاية ، وظفره بالثقة والخبرة اللتين مكنتاه من الفتح والنضال ، فهو فى حضرة البطريق ينجو من مكيدة ، وهو فى مبارزته للامام على ينجو بالحيلة والدهاء

وهذا عمرو كهلاً يدلف إلى أعز العمر بأساً وحصافة ، فهو فاتح فلسطين ثم فاتح مصر مرتين . وهذا عمرو شيخاً منهوماً يتلهف شوقاً إلى المال وله ضيعة وحشم ، ويكون من همه بعـد أن عزت عليه الخلافة أن تـكون له مصر ولاية جامعة ، فينال ما يبتغى ويموت فيها ويدفن فى ثراها

قلت ما أحسن كتباً يطرف بها الناس أديب الـكنانة الأستاذ العقاد ، فهو بعد أن طوف طويلاً فى آفاق فنه بالأدب الصرف ، تلفت صوب الماضى الأغر واتصل بمآثره الخالدة ، فعاد منها بما غاب عن القارئين وزودهم بعبقريات وهاجة فى تاريخ الإسلام تضىء فى محمد بن عبد الله وصحبه وأبطاله ، وهذا لعمرى أجل فضل يؤديه الأديب للسيرة والتاريخ .

وما انتهيت من كتاب العقاد (عمرو بن العاص) حتى قلت : يا لله لمصر الخيرة ، ويا لمجد العرب فيها ! لقد ملكوها ردحاً من زمان فى عهد الفراعنة ، وكانوا رعاة إبل وغنم يسمون « الهيكسوس » ؛ وفتحوها فى عهد الإسلام ، وهم أهل دين وحضر ، وكانوا يسمون صحابة رسول الله !

(القاهرة) — وداد سكاكينى



12me Année No. 563 — Lundi - 17 - 4 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

بين التخطئة والتصويب

في اللغة وغيرها

للأستاذ عباس محمود العقاد

عاد بنا الأستاذ « عبد الحميد عنتر » إلى قواعد الصرف في النسبة إلى أم وأمه وأمهة التي تحدثنا عنها في مقال سابق

فالأستاذ يقول « إن الهاء في سنة لم تقلب واواً في النسب كما قد يتوهم ، لأن هذه الواو مبدلة من تاء التعويض المشوب بالتأنيث ... والواو في سنوى ونحوه أصل من أصول الكلمة كانت حذفت وعوض عنها التاء ... »

إلى أن يقول : « وإذا ثبت بالدليل أن الواو في سنوى غير مبدلة من الهاء في سنة ثبت أن الهاء في أمهة لا يصح قلبها واواً ... » إلى آخر ما جاء في مقاله تخطئة « للأموية » في النسبة إلى أمه وأمهة

ورأينا أنه لم يثبت بالدليل أن الواو في سنوى أصل من أصول الكلمة محذوف ، وإلا لجاز على وجه من الوجوه أن يقال سنة وسناء وشفة وشفاء وعضة وعضاء ، كما يقال فرو وفراء ودلو ودلاء وجرو وجراء وحقو وحقاء ، إلى آخر هذا الباب

ومن الطريف في إضعاف الدليل الذي يعتمد عليه الأستاذ

عنتر أن بعض العلماء بالعبرية يردون سنه إلى أصلها العبرى وهو « شنه » المؤلفة من ثلاثة حروف مجموعها بحساب الجمل ٣٥٥ وهو عدد الأيام فى السنة القمرية . فالشين فى هذا الحساب تساوى ثلثمائة والنون تساوى خمسين والهاء تساوى خمسة ، ولا محل هنا للواو ولا للتاء

فقول الأستاذ « ثبت بالدليل أن الواو فى سنوى غير مبدلة من الهاء » لا يؤيده شىء ، وتنفيه أشياء ، وفى تعليلات النسب التى يعتمد عليها الصرفيون ما هو أضعف جداً من التعليل الذى اخترناه للنسبة إلى أمه وأمهة على اختلاف القول فى أصل حروفها

بل نحن لو ذهبنا إلى القول بأن الأموية والأبوية جائزة على الجوار لما كنا فى قولنا أغرب عن المألوف من القول بالغدايا والعشايا لهذا الجوار بعينه ، أو للاتباع الذى هو أغرب من الجوار

* * *

لكن الخطر على اللغة فى هذه الكلمة هين — بالغ فى الهون — إلى جانب الخطر الأكبر الذى نحن متهمون بتعريض الإسلام له فى كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

أيدرى القارئ ما هو هذا الخطر الأكبر الذى يقوم له بعض الأناسى من أبناء آدم ويقعدون ؟

خطر لا يخطر على بال ، ولا نظنه بعد ذلك يثبت فى بال

ذلك الخطر هو اجتهادنا فى إثبات سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي عليه السلام ، لاستبعادنا أن تكون خطبتها فى السادسة والبناء بها فى التاسعة كما جاء فى بعض الروايات ، فقلنا إنها ربما تجاوزت الثانية عشرة عند البناء بها ، معتمدين على الأسباب التى سردناها فى الكتاب

والظاهر أن بناء النبى بفتاة تتجاوز التاسعة خطر لا تنام عنه بعض العيون التى تنام عن كل شىء

فلهذا يقوم بعض الأناسى من أبناء آدم ويقعدون ليدرأوا هذا الخطر الأكبر ويثبتوا جهدهم أن عائشة لم تتجاوز السادسة وهى مخطوبة ، ولم تتجاوز التاسعة وهى زوجة فى بيت محمد عليه السلام

والبديع حقاً أن الغاضبين — أو الغاضب — لارتفاعنا بسن السيدة عائشة إلى ما فوق الثانية عشرة عند زواجها هو قاض شرعى ، فهو لا يقبل من مسلم من عامة الناس أن يتزوج بمن لم تبلغ السادسة عشرة ثم يثور ليؤكد أن محمداً عليه السلام بنى بزوجة فى التاسعة أو ما دونها ، مع قيام القرائن التاريخية التى تدحض هذا التقدير

إن حقدك علينا لا يغض منا لأنه مقياس نعمة الله التى خصنا بها على رغم أنفك ، وإذا كان حقدك علينا فوق غيرتك على واجبك فأى مقياس لنعمة الله أبلغ فى الدلالة من هذا القياس ، وأحق بالشكران منا فوق هذا الشكران ؟

فالحمد لله . وزادنا الله ، وزادك ، مما أوجب هذه الهيجة التى لا تنام عنها عيناك

وقد كانت السيدة عائشة فى الثانية عشرة على أقل تقدير ، ولم تكن قط فى السادسة أو التاسعة كما تقول

واصرخ فى واديك بعد هذا كما تشاء[1]

* * *

ويظهر أن هناك معركة أخرى تشملنى فى حومتها خلال هذا الأسبوع ، كما نمى إلىّ من أسئلة بعض الأدباء

فهؤلاء الأدباء على ذكر مما كتبت أخيراً عن غرض الأدب وعلاقة الفنون بالمشكلات الاجتماعية ، وهو موضوع يختلف فيه اليوم كاتبان كبيران كلاهما له حق الرأى والتوجيه فى هذه الشئون ، وهما الأستاذ أحمد أمين والأستاذ توفيق الحكيم

فالأستاذ أحمد أمين يقول : « إن الأدب العربى إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية ، فالغزل والمديح والعتاب والرثاء والفخر والهجاء ونحوها كلها فى الأدب القديم نزعات فردية طغت على الأدب العربى ولونته اللون الذى نراه ... وأرى أن العربى يجب أن يتجه من جديد إلى النزعة الاجتماعية ... أعنى نظر الأدباء إلى مجتمعهم الحاضر يشتقون منه رواياتهم

(١) فى مقالنا التالى بحث عن الأعمار والتواريخ فى الجاهلية مفصل لنا أجلناه فى هذا المقال .

وأقاصيصهم وشعرهم ومقالاتهم الأدبية . . . وهـذا النوع من الأدب يجب أن يكون أسلوبه سهلاً واضحاً جميلاً جهد الطاقة ، لأنه لا يؤدى رسالته حتى يصل إلى آذان أكبر عدد ممكن فى الحقيقة الاجتماعية »

والأستاذ توفيق الحكيم يقول : « إن استيحاء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس وشهرزاد هو النوع الأرق فى الأدب . . . فى كل أدب . . . لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر ... بل فى الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ... وإن اليوم الذى نرى فيه الأدب قد استخدم للدعايات الاجتماعية والتصوير استغل فى معارض الإعلان عن السلع التجارية ، والشعر جعل أداة لإثارة الجماهير فى الانتخابات السياسية — لهو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلاً يضع فى فمه تحف الذهن وطرف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر . . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان » . . .

وقد سألنى أدباء فضلاء من قراء الرسالة : ما الرأى بين المذهبين ؟ وأى القولين فيه الخطأ وأيهما فيه الصواب ؟

وأقرب الوسائل عندى إلى الوجهة القصوى من هـذا الاختلاف أن نعود إلى الماضى البعيد لنرى على التحقيق الذى لا تردد فيه — على ما نعتقد — إن وجهة الأدب والأخلاق والشريعة جميعاً إنمـا تتقدم من الاجتماعية إلى الفردية ، لا من الفردية إلى الاجتماعية ، كما يؤخذ من مقال الأستاذ أحمد أمين

ولهذا كانت أغراض الأدب العربى فيما مضى هى الأغراض التى تعنى القبيلة ولا تعنى أفرادها على استقلال ، وهى الفخر والحماسة والمديح والهجاء والغزل والرثاء

فالفخر بالأنساب والأحساب سنة من سنن القبائل البدوية التى تتفاضل بعراقة الأجداد والآباء

والحماسة مطلب لا غنى عنه فى حالة الصراع بين القبائل التى تتقاتل أبداً على المرعى والماء ومظاهر الجاه والغلب

والمديح والهجاء سلاح للقبيلة يرتبط به العز والهوان ، وتنظر إليه القبائل نظرتها إلى السلاح ؛ فتحتفل بظهور الشاعر كما تحتفل بالفرس الكريم والغارة الموفقة

وليس الغزل من المسائل الفردية التى تنفصل عن النوع والأمة والقبيلة ، وليس الرثاء كما عرفه العرب مطلباً فردياً ، لأنهم قلما نظموه فى غير السادة الذين ترثيهم القبيلة قبل أن يرثيهم الأقربون ، وليس ما نظم فى رثاء أخ أو صديق أو زوجة ببالغ عشر ما نظم فى الرثاء القبلى الذى يهم من الوجهة الاجتماعية مرات ، قبل أن يهم مرة واحدة من الوجهة الفردية

هذا فى الأدب جملة

أما فى الأخلاق والشريعة فحسبنا أن نذكر أن الرجل كان يقتل فى الترات لأنه فرد من أفراد القبيلة ، لا لأنه هو القاتل بيديه ، وحسبنا أن نذكر سنة الخلع لنعلم أن الخروج على حظيرة القبيلة هو بمثابة الخروج على حظيرة الشريعة والأخلاق

فاتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية ، أو من التبعات والحقوق العامة إلى التبعات والحقوق الخاصة ، ومناط التقدم عندنا هو قدرة المجتمع على إخراج أكبر عدد من الأفراد لهم استقلال فى الحق والتبعة يعترف به العرف والقانون

كذلك نرى من جانب آخر أن الاهتمام بالحاجة المادية هو أقدم المطالب التى شعر بها الناس ، وليس هو بأحدثها وألزمها للانسان فى عصور التقدم والارتقاء

وأن أمل الإنسانية الأكبر لهو أن تصبح على توالى الأيام أقل اشتغالاً بالطعام والكساء ، وليس أكثر اشتغالا بهما كلما ارتفعت فى معارج الحياة ، وأن تنتقل من الشيوع إلى التخصص الذى يجعل بعض الناس مشغولين بعمل لا يشتغل به الآخرون ، ولا يجعلهم من كتاب وشعراء وفلاسفة واقتصاديين وتجار وزراع مشغولين بشؤون المعيشة فى عالم الواقع وعالم الفكر وعالم الخيال وعالم الأحلام

ومناط الفن الأعلى أن يتذوقه أرفع الناس ذوقاً وأدقهم حساً وأغزرهم علماً ، وليس أن تشترط فيه الملاءمة لأقل الناس فى جميع هذه الصفات

وقد أحسن الأستاذ الحكيم حين شبه المجتمع الذى يستخدم الفن للرغيف بالطفل الذى يضع الحلية فى فمه ، لأنه لا يحسن أن يتملاها بنظره

فلا بد من شىء فى الفن لا ينتهى إلى المعدة ولا يتوقف على الذين يعيشون للمعدات

لكن هل يفهم من ذلك أننا خطأنا الأستاذ أحمد أمين في حرصه على المصالح الاجتماعية والمطالب المعيشية ؟

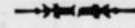
كلا . بل نحن مثله في حرصنا على تلك المصالح والمطالب ، ولكننا نقول إن ظهور الفنون الخالصة في بنية الأمة ضرورة حيوية لسلامة تلك البنية ، فإذا وجدت الفنون الخالصة في الجو الذي يلائمها كان ذلك دليلاً على استكمال المطالب التي دونها في مراتب الكمال ، كأنما هي الزهرة التي لا تؤكل ولا تشرب ، ولكنها إذا غابت عن الشجرة كان ذلك دليلاً على مصاب أحاط بالثمرات والقشور والأوراق والأحطاب

فالفنون الخالصة زهرة الأمة التي تنم على حياتها ، ولن تحيا أمة يكون فيها اختلال يعوق مصالح الأكثرين ومطالب المعدات والأجسام .

وعلى هذا نتفق جميعاً إذا اتفقنا على أن الفنون علامة صحة ونماء ، وليس من الضروري بعد ذلك أن نطالب حمرة الخدين بفائدة مادية غير الدلالة على الجسم الصحيح

عباس محمود العقاد

الميل إلى الهدم
وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين
للأستاذ دريني خشبة



يحيا الأدباء والنقاد ورجال الفكر والموسيقيون وسائر الفنانين في مصر كما تحيا الديكة ... يعدو بعضها على بعض ، ويحاول أحدها أن يمزق جلد الآخر إن لم يستطع أن يقتله ... والناس مغرمون بهذا بالرغم مما ينطوي عليه من شر ، وما يفسر ما في غرائزنا من نقص ، بل نكسة إلى الحيوانية ... فهم يقفون ليلتذوا صراع الديكة التي يدمي بعضها بعضاً ، وكلما ازداد هذا الإدماء ازداد التذاذ المتفرجين على حساب الآلام القتالة التي يألمها الطائر المسكين ، وقلّ في الناس من يحمل قلباً يأنف أن يلتذ آلام الغير

ويلذ الناس في مصر أن يشهدوا هذا الضرب من صراع الديكة بين الكتاب والنقاد ورجال الفكر والموسيقيين وأبطال المسرح وسائر الفنانين ... ثم بين المشتغلين بسياسة البلد العليا من رجال الأحزاب بوجه خاص . على إنه إن جاز شيء من صراع الديكة بين رجال الأحزاب السياسية ، فلست أدري لماذا يشتد هذا النوع من الصراع بين رجال الفكر والفنون ؟ هل قال أحد إن الحكومة ستنشئ وزارة للأدب ، فالأدباء يصطرعون عليها ؟ أم زعم زاعم أن الدولة سوف تنشئ للنقد المناصب العوالي فالنقاد يستمدون ويستمدون ويشرعون الأسنة والرماح ؟

١ — كتبت مرة كلاماً في المسرح المصري أدعو فيه إلى الوحدة والتعاون من أجل الخير العام ، ثم جعلت أشيد بالجهود الكبيرة التي بذلها فلان وفلان من أبطالنا المسرحيين ، فما أصبحت حتى زارني بعض رجال أحد المعسكرات المسرحية ، ثم شرعوا يعاتبونني معاتبة شديدة لأني عددت هؤلاء الأبطال المسرحيين أبطالاً حقيقيين جديرين بأن تذكر أسماؤهم في صفحات الرسالة ، بَله أن يشاد بجهودهم فيها ؟! ... ولقد كانوا يتدفقون حماسة وهم يقذفون في وجهي بهذا العتب ، حتى كدت أركن إليهم شيئاً قليلاً لو لم يعجلوا بالانصراف . فلما انصرفوا ، لم يزد دهشي إلا إقبال نفر من المعسكر المسرحي الآخر ، جاءوا للسبب نفسه الذي جاء من أجله إخوانهم السابقون ! وبالطبع لم يكن قدح هؤلاء في أولئك أهون من قدح أولئك في هؤلاء ! وبالطبع ، كدت أركن إلى هؤلاء كما أوشكت أن أركن إلى أولئك . . . وقلت في نفسي : هذا سبب أليم من أسباب انحطاط المسرح المصري !

٢ — وكتبت مرة كلاماً أدافع به عن الموسيقيين المصريين مما رماهم به الأستاذ توفيق الحكيم من جمود وعقم ، ثم ذكرت بعض أسماء هؤلاء الموسيقيين ، ولاحظت أن تمثل هذه الأسماء المدارس أو المذاهب الموسيقية المختلفة في مصر ... فما أصبحت حتى زارني بعض الأساتذة الأفاضل المشتغلين بالموسيقا ليخبرني أنه يوشك أن يغير رأيه فيّ ، لأني أعد فلاناً وفلاناً وفلاناً من الموسيقيين أو الذين يعرفون شيئاً في الموسيقا ؟! ... ثم انطلق ،

حفظه الله ، يبرهن لى على جهل هؤلاء الزملاء ، إن صح أن يتشرفوا بزمالة الأستاذ المظيم ، ثم انتهى إلى التصريح بأن الذين ذكرت هم سبب نكبة الموسيقا المصرية ، وأن فلاناً هذا صفته كيت ، وأن فلاناً ذاك نعته كيت وكيت ، وأن فلاناً الثالث دعى ولا وزن له ولا ... ولا ...

وقد كدت أيضاً أن أركن إلى الأستاذ المتحمس شيئاً قليلاً أو شيئاً كثيراً . وذهبت فى المساء إلى بعض من ذكرت فى كلامى الذى أثار صاحبى ، وانطلقت أعدد له الكثير من المآخذ التى حفظتها من زورة الصباح دون أن أذكر له أننى عرفتها من أحد ؛ لكنه ابتسم ابتسامة عريضة هادئة ، ثم قال : كلا يا صديقى ، عهدى بك جاهلاً بالموسيقى من حيث هى فن وعلم وتطبيق ؛ ولكنه كلام أحد غيرك قذفه فى أذنيك فأتيت تغيظنا به ... فمن ذا الذى زارك اليوم ؟ واعترفت له أن كلاماً ألقى فى أذنى عن الموسيقا وأننى ربما لم أفهمه . فلما ضاق بى لأننى لم أبح له باسم الصديق الكريم ، انطلق يسفه آراء القائلين بالغاء الموسيقا الشرقية جملة ، وإحلال الموسيقا الغربية محلها ، ثم انتقل من التسفيه إلى التجهيل ، ومن التجهيل إلى السب ... يوجهه إلى أسماء بعينها . كان ظريفاً أن يجيء اسم الصديق الجليل بينها ، وأن يناله من غضبة الموسيقى المنفعل قدراً طيباً

فعجبت فى نفسى وقلت : وهذا أيضاً سبب أليم من أسباب انحطاط موسيقانا !

٣ — ويؤلف السادة من رجال الفكر فينا كتباً قيمة يسدون بها فى المكتبة العربية أركاناً خاوية فى كل علم وفن وأدب ، وهى كتب ثمينة قضى فى تأليفها هؤلاء السادة الكتاب أخصب ما ينفق المؤلفون من أعمارهم ... فهم مؤرقون والناس نيام ؛ يحبسون أنفسهم فى مكتباتهم أو فى دور الكتب يبحثون ويقرأون ويكتبون وينفقون المال والجهد فى سبيل حقيقة علمية أو طرفة أدبية ؛ بينما الناس يملأون الحدائق ودور اللهو البريء وغير البريء ، حتى إذا صدرت مؤلفاتهم تلقفها السادة النقاد أو بعض السادة النقاد ، وأقبلوا عليها ، كما يقبل الغريم على غريمه ، واقتعدوا منها مقاعد الأستاذية والمعرفة المتبجحة التى تدعى علم كل شيء والإحاطة بكل شيء ، حتى إذا تصفحوها عجلين شمروا عن سواعدهم المفتولة ، وشرعوا أقلامهم المسنونة ، ثم أخذوا فى الحط من أقدار المؤلفين والتأليف ، وبكوا أو تباكوا على هذا الزمن اليائس التعس الذى رخصت فيه أقدار العلم ، وهانت منازل الأدب . وذهبوا فى المبالغة إلى حد أن يتمنوا إن لم يكونوا قد شهدوا هذا الزمان العابث الذى يجسر فيه سادتنا الكتاب المؤلفون على إصدار ثمار قرائحهم ، غير عاملين حساباً لهؤلاء السادة النقاد المحترمين . وقد شهدنا فى الشهرين المنصرمين غير مأساة من مآسى النقد ، اضطر فيها المؤلفون إلى صراع الديكة إزاء النقاد الجائرين الذين جعلوا وكدهم كشف العورات وغض النظر عن الحسنات

ولا شك أن هذا السلوك من النقاد سبب أليم فى تأخر فن النقد فى مصر

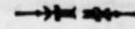
٤ — وأطلعنى الأستاذ صاحب « الرسالة » على كتب يحملها إليه البريد من مصر ومن الشرق العربى فيها قدح شديد فى بعض كتاب هذه المجلة ـ والله المحمود على أن كان نصيبى من هذا نصيباً طيباً ـ وقد هالنى ما تناول به أحد القراء أحدنا نحن الكتاب المظلومين من ثلب وانتقاص وتجريح ، لأنه غفل عن محاربة كذا وكذا من أفكار المؤلفين الغربيين التى يبشرون بها فى كتب وضيعة تقدح فى الشرق وفى أديان وعادات الشرق ، ثم ذكر حضرة القارئ المتحمس طائفة من أسماء هذه الكتب ، وأخذ على الكاتب المسكين عدم اطلاعه عليها . . . كأنما يظن أن لنا وكالات لتسقط أخبار هذه الكتب فى البلاد الأوربية فهى تصلنا بانتظام لكننا كسالى أو سيئو النية لأننا نعلم ما فى هذه الكتب ولا نأخذ أصحابها بالرد العنيف الذى يؤدبهم ويردهم إلى محجة الصواب

ألا ما أظلم الكثيرين من القراء ! حقاً إن القراءة فن لا يحسنه إلا الأقلون !

٥ — وخامسة الأثافى ، أو داهية الدواهى ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع ... فقد ذكرت فى كلمتى إلى أستاذنا الجليل (ا . ع) طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب فى مصر على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث ، وكان هذا الخطأ سبباً فى إثارة بعض هؤلاء الشعراء الشباب أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزرى فى ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء

التفـــاؤل ...!

للأستاذ عمر الدسوقي



واحسرتاه على هؤلاء الذين حرموا سعادة التمتع بالوجود ، ورأوا الدنيا دار شقوة وعذاب ، وأن العالم يغص بالشر يكمن لهم فى كل ثنية ، ويطالعهم فى وجه كل إنسان ، ويرددون مع ابن الرومى قوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأفسح مما كان فيه وأرغد

ويتندمون على أنهم تنسموا هواء هذه الحياة فما فيها إلا إفك وبهتان ، وخب وخداع ، وأمراض وآلام ، لا يحقق فيها رجاء ، أو تصفو فيها مسرة ، ويقولون مع أبى الطيب أولاً :

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حيـاة وأن يشتاق فيه إلى النسل

ومع أبى العتاهية ثانياً :

ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى

إن أصابهم خير قالوا : ضحك القدر الساخر ، يعد فى أسباب النعمة الزائلة ، لتكون جراحاته أشد إيلاماً وأنكى وقعاً ، وأمض للنفوس لا تؤمن غوائله ، ولا تكف عواديه .

وإن مسهم شر ظاهر برموا بالحياة وودوا لو عجلتهم المنية ؛ وطفقت ألسنتهم تقذف بالسباب للدهر ، والسخط على القدر والنـاس طراً ، وتنم عن قلوب مشحونة بالغيظ والحسد واليأس ، والناس عندهم أحلاس مكر ونفاق ، فليس الحديث إلا أحبولة طامع وشرك منـافق ، والاقتصاد فى زخرف القول خشونة ممقد واعتداد قوى

إذا ما الناس جربهم لبيب فإنى قد أكلتهم وذاقاً
فلم أر فيهم إلا خـــداعاً ولم أر بينهم إلا نفـــاقاً

هكذا يقول المتنبى فى بعض سخطاته على العالم لأنه لم ينله طِلبته ويبلغه أمنيته ، بل نراه يحرص على الانتقام من البشرية :

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

والأرض وما فيها من زهر فواح ، وبحر رقراق ، ونسيم عليل ، وسماء صافية ، وشمس ضاحكة ، وطبيعة متبرجة ، لا تدخل على نفوسهم مسرة ، أو تقلل من نكدهم وعبوسهم ، بل إنهم ينكرون هذا الجمال ، فالسماء شوهاء ، والأرض جرداء

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مُرًّا به الماء الزلالا

إذا بدا لهم أن يقدموا على عمل تملكتهم الرهبة ، وتوقعوا الخيبة ، وأوجسوا خيفة من كل شىء فيقدمون وقلوبهم مزعزعة وعقولهم مضطربة ، وقلما يصيب النُّجح من يمشى وتمثال الإخفاق والشر نصب عينيه

وما زالت عند رأيى من استجادة شعر هؤلاء الشباب ، وربما كنت أعرف بهم من حضرات زملائهم الناقمين ، لأن كثيرين منهم يتفضلون علىّ فيرسلون إلى طُرَفاً رفيعة من أشعارهم تدل على ما سيكون لهم من أثر فى الأدب المصرى عامة والشعر المصرى الحديث على وجه التخصيص ... ولكن المضحك فى هذا الأمر غلو بعض من نقموا منى ذكر أسمائهم فى ثَبَت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة و (نكش) شعر رأسه (نكشةً) أفزعتنى ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمنى بأننى أناقض نفسى حين أعلن استجادتى لشعر هؤلاء (الـ ...) — على قرب عهدى بالدعوة إلى تجديد الشعر العربى ، وما أطلت فى الكتابة عن وجوه هذا التجديد

فانظر أيها القارئ كيف انصرف هؤلاء الشعراء الشباب الأفاضل عن أستاذنا الجليل (ا . ع) الذى شوى جلودهم فلم ينبس منهم أحد بحرف ، إلى هذا القلم الضعيف الذى شرع نفسه للدفاع عنهم فرفضوا هذا الدفاع أو جحدوه لأنه أخطأ فذكر أسماءهم بين أسماء متواضعة ، غير لامعة ...

والظريف أن الذين أنكر عليهم صديقى (العاصفة) شاعريتهم كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إلىّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... وقد حرت والله فى أمر هؤلاء الشعراء الشباب ، كما حرت من قبل فى أمر المسرحيين والموسيقيين والفنانين والكتاب والنقاد والقراء ... وأخشى أن أحار أخيراً فى أمر نفسى ...

يا رجال الفكر والفنونِ فى مصر ، بَعْضَ هذا الهدم ، ولا تكونوا : كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله !

دريني خشبة

وما أدرى إذا يممت أمراً أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغيني

ولذا تراهم يلجأون إلى الخرافات والتطير يتخذون منها نُذراً لما عساه يصيبهم من مخبآت القدر الذى ضعف إيمانهم به وثقتهم فيه ، وهذا عنوان العقول التعبة والنفوس الخوارة العيابة

أحقاً أن الحياة نقمة لا نعمة ، وأن نظام العالم مختل ، وقانون الطبيعة معتل ، وأن ليس فى هذا الوجود ما يحببنا فى الحياة ؟ إن العالم بنظامه الحاضر — بشموسه وأقماره ، وأرضه وبحاره ، وما فيه من انسجام ونظام ، أبدع عالم يمكن أن يوجد ما فى ذلك ريب . وحسبنا أنه هيّ ليعيش فيه الإنسان ويسخر كل ما يحيط به من بحار وشموس وجبال وحيوان ، وأنه الحى المفكر يلمسها ويستخدمها ويتغلب بما أودع فيه من ذلك النور الربانى على الطبيعة العاتية ، ويجتلى به أسرارها ليبرهن بحق على أنه خليفة الله فى الأرض ، وأنه أهل لأن يحمل الأمانة التى أشفق غيره من حملها

ألا يرى هؤلاء المتشائمون أن صغار الأحياء من حَمَل فى الحقل ، وطائر على الفنن ، وطفل فى الملعب ، تنهل كلها وتعل من نبع الوجود الصافى ، وتغدو طربة وتروح مَرِحة ، وأنها لا تشعر بأن الحياة شقوة بل تراها نعمة سابغة جديرة بأن يُستمتع بها ، ويُحرص عليها ؟

وإذا كان هناك من الكبار من لا يرى وجهها الفتان إلا نكداً مشوهاً ، فذلك لأنهم لم يحيوا الحياة الطبيعية ، أو أنهم حرموا فى طفولتهم الحب والعطف والحنان ، فتأصل فى نفوسهم سوء الظن بالعالم ، أو أنهم أخفقوا فى نيل مآربهم فخارت منهم العزائم وألقوا السلاح مفلولاً ، وضجروا بمن حولهم وضاقوا بالدنيا ذرعاً ، لما فى قلوبهم من أثرة مكينة رانت عليها ، فأفسدت هناءتها وطوحت بطمأنينتها وجمالها لا ترى العالم إلا ظلاماً دامساً

ألا يحمد هؤلاء الله على أنهم لم يخلقوا حجارة على قارعة الطريق تحطم وتقذف وتداس ، أو حيواناً أعجم يتألم ولا يستطيع الشكوى ، كل أمله فى الحياة أن ينال ما يشبع بطنه ، محروماً نعمة التفكير . إننا نبصر ونسمع ، ونجرى ونتكلم ، ونفكر ونضحك ، ونمثل دورنا فى مأساة العالم التاريخية ، وهذه نعمة خليقة بالشكران إلى الله واهب النعم ، ولكن صدق الله حيث يقول : (وقليلٌ من عبادى الشكور) ، ورحم الله المتنبى حيث قال فى ساعة رضاه :

ولذيذ الحياة أنفس فى النفس وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أفٍّ فما ملّ (م) حياة وإنما الضعف ملا

ألا يعلم هؤلاء أن الحياة يجب أن تلبس على علاتها ، وأنها كفاح وجهاد ، وصراع وجلاد ، يفوز فيها من قويت منفسته وعظمت عدته ، ومن لا تطير نفسه شعاعاً ساعة الإخفاق ، بل يجمع الهمة ، ويشحذ العزيمة ليعاود الكرة ، حتى تسير الدنيا إلى غايتها ، فتثمر وتؤتى أكلها ، وتسير حثيثاً فى سبيل الكمال

دون الحلاوة فى الزمان مرارة لا تختطى إلا على أهواله

وأولى بهم أن يقولوا مع الأخطل :

وكان قوى الهموم إذا اعترتنى زَمَاعاً لا أريد به بدالا

إن المتفائل هو الذى يبسم للحياة فى سخطها ورضاها ، وهو الذى يرى فى الظلمة المطبقة عليه شعاعاً من الأمل ينير جنبات فؤاده ، ويغمره بالثقة والإيمان . وليس من التفاؤل ادعاء أن كل شىء يسير على خير ما نرجوه بينما المصائب متحفزة أو غاشية ، فتلك بلاهة لا تفاؤل ، ومثل من يفعل ذلك مثل النعامة تخفى رأسها حتى لا ترى الخطر المحدق بها ، ولكن المتفائل حين يرى الكارثة مقبلة بقدرها كالمتشائم تماماً ويحذرها حذره ، بيد أنه يختلف عنه بشجاعته ، وابتسامته ، وتفكيره السريع المنتظم لتفاديها أو التغلب عليها ، أما المتشائم فيجزع من هولها ، وينكص على عقبيه فراراً منها وهيهات

يقول روبرت براوننج Robert Browing :

« إن المتفائل من لا يولى ظهره للحياة بل يسير فى شرعتها قُدُما

هو من لا يرتاب فى أن السماء ستمطر بعد جدب

ومن لا يحكم بانتصار الباطل وإن رأى الحق منهزما

ومن يعتقد أننا نكبو لنقال من عثرتنا ، وننام لنستيقظ »

إن الإنسان يخلق نفسه بنفسه ، فإذا اعتقد أن الحياة شقاء وتعس فهى كذلك ؛ والفقير يعزى نفسه بالجنة ، والغنى ربما اعتقد أن الله ساخط عليه فنغص ذلك عيشه . ويقول الدكتور جونسون : « إن نظرتك إلى الجانب المشرق من الحياة تساوى ألف جنيه فى العام »

إننا لا نجيد عمل شىء نرغم عليه ، بل نتقن ما تحفزنا إليه الرغبة والشوق والحب ، وما دمنا نعتقد أننا دفعنا إلى هذه الحياة

دفعاً لا حيلة لنا فيه ، وأنها فرضت علينا فرضاً ونحن لها كارهون ، وأننا نسير فيها على الرغم منا فلن نكون أبداً سعداء فى الحياة ، ولن يصيبنا منها إلا الخيبة والإخفاق والشر

إذا اعتقد الإنسان أن الحياة مغامرة تتطلب العزم الثابت ، والإرادة الصارمة ، والرأى الحصيف ، والثقة الحافزة — دع جانباً جمال الأرض الطبيعى ، وما تفيض علينا به الأسرة والأصدقاء من سعادة — نجح الإنسان فى فن الحياة وجنى أحلى ثمارها .

أما النكس الرعديد الذى يفرق منها ، ويعتصم بالاستكانة والخنوع فلن ينال إلا فتاتها

أرى كانا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا
فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

إن واجبنا نحو أنفسنا ونحو غيرنا أن نكون متفائلين . إنك إذا طردت الوساوس والأوهام ، واقتحمت طريقك فى الحياة متذرعاً بالحب والشجاعة والإيمان سائراً وفق قانون الطبيعة السمح ، جليت لنفسك السعادة . وإذا أفضت من بشر نفسك وتفاؤلك على غيرك كنت ملاك الرحمة . يقول سدنى Sidney Smith : يشعر بعض الناس بالسعادة لأنه ذاقها مرة ، فإذا استطعت أن تجعل من حولك سعداء اليوم فسيشعرون بالسعادة عشرين عاماً ، إذ تغذيهم بها الذكرى الطيبة) . فعلى المتفائلين ألا يضنوا بالبشر والمرح الذى تفيض به نفوسهم على من يتصل بهم . ويقول : إن فرح الإنسان لا يكمل إلا إذا شاركه فيه سواه

لقد أصبح التفاؤل نظرية فلسفية خلاصتها : « اعتقاد أن الحياة خير ، ومن الممكن جعلها أحسن مما كانت ، وأن طريق ذلك هو الإيمان والأمل والحب » . أما المتشائم فيعتقد أن العالم يسير نحو الانحلال والشر ، وأن الحياة مقبرة الآمال والسعادة ؛ والمتشائم الذى ينشر آراءه هذه بين الناس يساعد إبليس فى إضلاله .

إن هؤلاء الذين يخافون المستقبل ، ويتأسفون على الماضى يخلقون جواً فاسداً لغيرهم من الناس ، جواً خانقاً لهم قاتلاً لصحتهم مطوحاً بطمأنينتهم إلى الهاوية

ومن الممكن أن نصير متفائلين بالعادة والمران ؛ فالتفاؤل عادة السعادة والشكر . لماذا نكره الحياة وهى كما يقول ستيفنسن : « الحياة تغص بكثير من الأشياء التى تجعل الناس كلهم سعداء » . لو فكر الإنسان أنه دون غيره فى هذا الوجود يجد متعته فى القراءة والموسيقى وفى الصور وفى الفنون ، وأن حديثه ليس عن الطعام والشراب فحسب ، ولكن حول الطبيعة والعلم والدين والفلسفة والتاريخ ، وأنه طلعة لمعرفة الماضى ، والكشف عن المستقبل ، وأنه مهتم بالحاضر ، وجب عليه أن يقول :

مهما كنتُ فعندى من أسباب السرور والفرح ما يوجب علىَّ الشكران لله . من أنا حتى أغمر بفضل الوجود ؟ وما الذى جعلنى أستحق هذه النعمة أن أنظر الشمس فى الربيع الطلق أو السماء فى الليلة الصافية ، أو البحر العريض ، أو الجبال تكسوها الغابات الخضر وتحلى قممها الثلوج ، أو أتمتع بوجه أمى وطلعة أولادى ؟ لا شىء !

إن المتشائم لا يعتمد على العقل فى حل مشاكله ، بل يعتمد على الغرائز البهيمية ، لأن العقل مشلول من الجزع والرعب وسوء الظن والنظرة الحالكة إلى العالم . إن اليأس يملك عليه لبه ، والحطيئة يقول : « ولا ترى طارداً للحر كاليأس » إن المتفائل لا يعتقد أن حياته تنتهى بالموت ، ولكن هناك حياة أخرى ، وما الموت إلا باب الخلود ، وإن النفس خلقت لتعرض يوماً على الله ، ولهذا لا يجزع المتفائلون من الموت بل هو حادث طبيعى ، وإذا كان ثمت ألم فلفراق ما ألفناه ، ولكنه لا يوجب اليأس ، ورحم الله أبا الطيب حيث يقول :

إلف هذا الهواء أوقع فى النفـ ـس أن الحمام مُرُّ المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون بعد الفراق

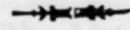
ما أحوجنا فى هذه السنين المدلهمة ، وقد طغت الخطوب ، وفاضت الكوارث على العالم ، أن نستعصم بالإيمان والأمل والحب ، فنخفف عن أنفسنا ومن حولنا آلام المحنة العالمية ، حتى تنجلى الغمة ويشرق وجه الحياة فى ظل السلام والدَّعة !

محمد الدسوقى

وظيفة المرأة

للأستاذ حسين غنام

تلخيص بعض آراء الكونتيس أف أكسفورد فى كتابها « من السجلات »



من أقوى غرائز المرأة طموحها ...

ومن أقوى غرائزها كذلك حبها الإطراء والإغراء والتملق والرياء ...

وكثيراً ما كان التقرب إلى المرأة بالكذب والتغرير سبباً فى سقوطها أو حيدتها - على الأقل - عن طريق الصواب

وفى مصر بعض المجلات الأسبوعية لا تفتأ تدعى المرأة وتضرب على ذلك النغم الذى يحبه النساء ويغرمن به ، وهو محاولة دفعهن فى طريق الرجال ، وإن تكن تلك المحاولات فاشلة من بداءتها ، إلا أن المرأة لا تلبث أن يأخذ منها الغرور مأخذه . . .

وأكثر هذه المجلات دعوة إلى تملق النساء ، هى مجلة أسبوعية تخرج كل أسبوع بجديد من هذا النوع

وآخر محاولة لها فى هذا السبيل طلبها للمرأة المصرية ما لم تفكر فيه المرأة فى أرقى الأمم الغربية ، بل ما تخجل من التفكير فيه ، بله المطالبة به !

وكأن هؤلاء الكتاب لم يكفهم مزاحمة المرأة للرجل فى كل عمل ، حتى كانت سبباً فى بطالة الآلاف بل الملايين من الرجال ، وحتى خلقت مشكلة لبحاث السياسة والاقتصاد يحاولون حلها بعد هذه الحرب ؛ لأن المرأة سترفض أن تنكمش فى بيتها الذى خلقت للعمل فيه ، والانصراف إلى العناية به . وستطالب بما اكتسبت فى هذه السنين وما ظنته حقاً من حقوقها !

وطالب هؤلاء الكتاب عن طريق خفى ، وهو طريق الإغراء فى أسلوب مستور أن يكون للمرأة نصيب فى حكم البلد عن طريق الوزارة !

وقد كان من نتائج مثل هذه الدعوات أن أسست بعض سيدات مصريات حزباً سياسياً نسائياً فى مصر . وكأنما لم يكفهن ما فى مصر من أحزاب الرجال السياسية العديدة ، التى حاول الكثيرون حلها أو الإقلال منها ، فقمن أيضاً بهذا العمل الجرئ ، ولكنى لا أرده إلا إلى دعوة هؤلاء الكتاب وأمثالهم

ويبدو أن هؤلاء الكتاب لم يعرفوا واجبهم . . . وفى مصر تكاد أغلبية الشعب لا تعرف واجبها ، ما لها وما عليها ، وعذرها فى ذلك الجهل . أما هؤلاء الكتاب فليسوا جاهلين وإن تجاهلوا . . . فنحن المصريين - مهما كابرنا - لا يمكننا إلا أن نعترف بأننا متخلفون عن غيرنا من الشعوب الراقية ، وخاصة الشمالية منها . . . فإذا قامت المرأة المصرية فى هذا الوقت تطالب بما تسميه حقها فى الانتخاب ، وفى مجلس النواب ، وفى الوزارة ، أضحكنا الشعوب الراقية منا ...

سيضحك بعض هؤلاء الكتاب من كلامنا هذا ، وسيرموننا بالرجعية ولا شك ، وقد لا يفهمون أن ما يدعون إليه هو الرجعية بعينها ، لأنه لا يتفق وناموس الطبيعة ، ولا يساير أى عصر من العصور ، ولا نهضة من النهضات ، اللهم إلا فى حالات نادرة جداً . . . فهل يمكن أن نقيس حضارتنا الراهنة بحضارة الإنجليز اليوم ؟ لا أظننا نكابر فى هذا ؛ ولكن الإنجليز - رجالاً ونساء - يفهمون واجبهم على وجهه الصحيح

وقد قامت إحدى كبيرات السيدات فى المجتمع البريطانى ، وهى الكونتس أوف أكسفورد واسكويث ، بوضع كتاب سمته « من السجلات »[1] ، رسمت فيه دستوراً للمرأة الإنجليزية الحديثة ؛ بعد أن رأت انصرافها بالتدريج عن شئون منزلها وسعيها وراء الوظيفة ومزاحمتها الرجال ، حتى فى كبار الوظائف

فهى فى كتابها هذا تقول إن واجب المرأة هو أن تتفرغ لشئونها التى خلقت لها ، ولوظيفتها الطبيعية ، وهى الزوجية

فالزوجية فن ؛ وفاتحة هذا الفن هى ممارسة الحب بين الزوجين . فالحب ، وإن لم يوجد بين الزوجين ، لاختلاف بينهما فى الميول والعادات والمشارب والطباع ، تستطيع الزوجة الذكية

---

(١) هى Countess Of Oxford and Asquith فى كتابها المسمى Off The Record ، وناشره هو فردريك مولر

العاقلة أن تخالفه ، وأن تمارسه ، وأن تجمل بينها وبين زوجها رابطة متينة إن لم تكن حباً حقاً كانت صداقة عظيمة وعشرة صادقة وألفة متبادلة ؛ لا تقوم على الرياء ، ولكن على صفاء ، لأن الحب يتولد مع الزمن ما دامت الرغبة فيه موجودة

وهذه الزوجة تستطيع أن تجعل من بيتها جنة . مهندسها هذا الفن الجميل العظيم ، فن الزوجية

والمرأة لم تخلق للوظيفة أو لعضوية البرلمان أو لرآسة الوزارة ولكنها خلقت لما أهلتها له الطبيعة

وقد شرحت هذه الآراء في كتابها ، ونحن نلخص بعضها فيما يلي :

« لقد كتب الكثير من الهراء حول جنس النسوى ، وعند ما ادعى النساء مساواتهن بالرجال لم أبايعهن فى رأى كهذا الرأى ؛ فالنساء لا يختلفن عن الرجال فى تكوين الجسم فحسب ، ولكن فى عقولهن كذلك ، وأكاد أضيف إلى هذا أخلاقهن أيضاً . ولعل هذا القول يبدو غريباً على القراء ، ولعلهم يقولون إنه بينما يرون معظم النساء مهذبات ، فإن أغلبية الرجال على النقيض من ذلك ، ولكني أعجب من هذا ، ولا أظنه حقاً

إن الرجال وحشيون ، ولكن النساء أغلظ قلباً من الرجال وأقسى ، وإنى لأعرف كثيرات من النساء جعلن من بيوتهن جحيما لا يطيقه أزواجهن ، وذلك بثرثرتهن وتفيهقهن الذى لا يكاد ينتهى . فإذا عاشرت زوجة لا تفتأ تفحمك بمثل هذه الأسئلة دائماً : أين كنت ؟ ماذا صنعت ؟ من رأيت ؟ وغيرها من آلاف الأسئلة الجافة العجيبة ، فإن حياتكما ستنتهى بالطلاق الحتم

ولكن إذا فطنت سيدة إلى أن زوجها على وشك أن يحب امرأة أصغر منها ، وربما كانت أكثر جاذبية منها ، فيجب أن تختلف أسئلة الزوجة وتتغير حتى لا تشعر زوجها بمثل ما يشعر به عند إلقائها الأسئلة السابقة ، كأن تقول له مثلاً : لقد أخبرتنى أنك ربما خرجت من عملك اليوم مبكراً ، فسررت لهذا كل السرور ، فقد كنت تبدو هذه الأيام منهوكا تعباً ، والرجال المرهقون فى أعمالهم لا يسرون بها ولا يحبونها

فيرد الزوج : هذا حق ؛ إنهم لا يحبونها

الزوجة : لقد أملت أن تكون بصحبة (السيدة أو الآنسة فلانة) وقضيت معها أصيلاً سعيداً . إنى لم أرها إلا لماماً ، ولكنك عند ما قدمتنى إليها رأيتها ساحرة جميلة ! وظنى أن من حقك أن تراها كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً . لماذا لا تدعوها لتقضى معنا بعض الوقت فى الريف عندما نترك لندن أيام عطلتنا ؟ أليست هذه فكرة جميلة ؟

الزوج : أمتأكدة أنك ستحبين ذلك ؟

الزوجة : طبعاً سأحب ذلك . فإذا أحببت أن تكون سعيداً ، فهذه أمنيتى كذلك . إن زواجنا لم يكن ما يسميه الفرنسيون زواجاً نفعياً ، ولكن زواجنا بنى على الحب

وسيؤخذ الزوج بهذه الفكرة ، وعندئذ يدعو صديقته لقضاء عطلاتها فى الريف معهم ، والزوجة العاقلة ستتركهما ولا شك معاً فى أغلب الأحيان ، وكلما وجدت فرصة لذلك . فإذا مر بعض الوقت عليهم هكذا بدأ الزوج يمل هذه الخلوات وأخذ يحن إلى الانفراد بزوجته فقط

(البقية فى العدد القادم) صبحى غنام

---

٢ – القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ألف زكى مبارك كتابه النثر الفنى كأنما أراد أن يزلزل به الزمان فخرج فيه على الإجماع فى أمر القرآن

وعلماء العربية – والأئمة المجتهدون منهم – مجمعون طوال تلك القرون على أن القرآن معجز . وأول شرائط الإعجاز التنزه عن كل ما يمكن أن يعد عيباً فى الكلام ، وإلا لأمكن لبليغ أن يستدرك على القرآن . من أجل ذلك لم يؤثر عن عالم من علماء العربية الذين تعرضوا لنقد الكلام الفصيح أن ذكر شيئاً يمكن أن يعد عيباً حين تكلم عن القرآن ؛ لكنك حين تأخذ فى أول فصل من فصول كتاب زكى مبارك ، فصل نقد النثر الفنى ، تجده فى أول صفحة منه يعيب على علماء العربية أنهم حين تعرضوا لنقد القرآن لم يذكروا إلا المحاسن ، فنقدهم من أجل ذلك ليس فى رأيه بالنقد الصحيح ! اقرأ له إن شئت قوله من صفحة ١٧ :

« وليس فى اللغة العربية كتاب منثور شغل به النقاد غير القرآن . على أن شغل النقاد لم يكن عملاً فنياً بالمعنى الصحيح للنقد الأدبى ؛ فقد كان مفروضاً فى كل من يكتب عن القرآن أن يظهر عبقريته هو فى إظهار ما خفى من أسرار ذلك الكتاب المجيد ، وليس هذا من النقد فى شىء . وإنما النقد أن يقف الباحث أمام الأثر الأدبى موقف الممتحن للمحاسن والعيوب . من أجل ذلك وسم أكثر ما كتب عن القرآن باسم الإعجاز لأن النقاد اطمأنوا إلى أن القرآن هو المثل الأعلى الذى تقف عنده حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان »

فما رأيك فى مذهب صاحب هذا الكلام فى القرآن ؟ أتراه يطمئن إلى ما اطمأن إليه النقاد ، أم تراه مخالفاً لهم يرى فى القرآن عيوباً لم يروها ولا يمكن أن يراها بصير منصف لأنها غير موجودة فى القرآن ، فعابهم بأنهم لم يذكروا إلا المحاسن ، وأن نقدهم من أجل ذلك غير فنى ولا صحيح ؟

وعبارته تلك فيها أكثر من مأخذ من ناحية الدقة ومن ناحية الخروج . فهو غير دقيق فى حكاية مذهب النقاد فى تقدير بلاغة القرآن ، فإن مذهبهم أعلى كثيراً مما نسب إليهم وحكى عنهم ، لأنهم يجعلون القرآن فوق طاقة البشر ووراء حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان ، وهو يجعله فى مذهبهم عند حدود الطبيعة الإنسانية ، وما كان عند الحدود أمكن بلوغه وإن احتاجت الطبيعة الإنسانية إلى أقصى غايتها وأقصى مداها كى تبلغه . وهو معنى لم يقصد إليه النقاد طبعاً ، كما لم يقصد زكى مبارك بنسبته إليهم أن يظلمهم ، وإنما هى قلة دقة منه فى التعبير عنهم ، فالقرآن عندهم هو المثل الأعلى الذى تقف دونه – لا عنده – حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان

كذلك هو غير دقيق فى قوله إن أكثر ما كتب عن القرآن وسم باسم الإعجاز ، ولو قال باسم إعجاز القرآن لأصاب الدقة والصحة التاريخية معاً ، لأن إعجاز القرآن عندهم من الثابت المسلم ، فمن المعقول إذا كتبوا فى بلاغة القرآن أن يبينوا ذلك الاعجاز ودلائله ، وأن يطلقوا على ما يؤلفون فى ذلك فى الكثير الغالب اسم إعجاز القرآن

أما خروجه فى تلك العبارة على علماء العربية وعلى الإجماع فكما رأيت . فالنقد عنده أن يقف الباحث أمام الأثر الأدبى موقف الممتحن للمحاسن والعيوب . وهذا صحيح ولكن فى نقد كلام الناس لا كلام الله : لو كان القرآن كلام بشر لكان أثراً أدبياً لصاحبه ، ولجاز أن يكون بإزاء المحاسن عيوب يبحث عنها النقد . أما وهو من كلام خالق البشر أنزله سبحانه معجزة لرسوله وتحدى به كل شاك فيه من العرب وغير العرب ، بل تحدى به الجن والإنس على اختلاف العصور ، فكيف يمكن أن يقف الناقد أمامه إلا كما يقف العالم أمام آية من آيات الله فى الأرض أو فى السماء ؟

إن العلم حين يقترب من آيات الله فى الخلق يقترب اقتراب المنقب عن سر مودع ، لا الباحث عن عيب . يقترب اقتراب العابد لا اقتراب الناقد ، فإذا وقف على ما يعقل ويفهم عد ذلك

من التوفيق واتخذه نبراساً ودليلاً فى بحثه عن سر ما لا يفهم ، ولا يخطر له مطلقاً أن يحسن الظن بنفسه ويسيء الظن بالفطرة إذا تعارض رأى له مع شيء من الواقع فى الفطرة ، فهو يأخذ الواقع كما يجده ، وينبذ من الرأى ما لا يتفق معه وإن عز . ومن هنا ينتقل العلم من ظفر إلى ظفر ويكشف عن سر بعد سر ويزداد قوة على قوة . ولو فعل غير ذلك واقترب من الفطرة يفترض عيوباً فيها يتطلبها لوقف ولفسد ولضل ، ولأصبح فصلاً من فصول الأدب الذى يريد الدكتور زكى مبارك . والفطرة هى الفطرة فى عالم المادة أو فى عالم الروح ، وفاطرها هو هو سبحانه ، يتقرب إليه عباده بدراسة آياته ، أينما وكيفما تكون ، بروح الخاشع الملتمس الهدى المبتغى الوصول . فإذا كانت حكمة الله ورحمته قد اقتضت أن يجعل للانسان بإزاء الآيات التى لا نهاية لها فى عالم المادة والعلم آية واحدة عظمى فى عالم الروح والأدب ، ألا وهى كتابه المنزل على خاتم رسله وصفوتهم ، أفيكون من المعقول أن يقترب الإنسان من آية الله هذه بغير الروح التى يقترب بها من آيات الله تلك ، وينظر فى كلمات الله المودعة فى قرآنه بغير روح الخشوع والإجلال وطلب الهدى التى ينظر بها فى كلمات الله المودعة فى خلقه؟

إن القرآن كلام الله كما أن النبات والحيوان والكواكب من كلماته ، وإن اختلف فى كلٍّ الخطاب . بكلٍّ خاطب الله عباده ، وعن كلٍّ أعجز الله خلقه أن يأتوا بمثله ، بعضه أو كله ، ليكون عجزهم دليلاً لهم وحجة عليهم ، وعن كل عجزوا . أفيدرس الناس آيات الله فى النبات والحيوان والكواكب لا يتوقعون عيباً ولا يرون إلا كمالاً يتفاقم ويزداد فلا يجد زكى مبارك فى ذلك ما يلمزهم به ، ولا يعد علمهم لذلك علماً غير صحيح ، حتى إذا درسوا آيات الله فى القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم يتوقعوا نقصاً ولم يروا عيباً ولم يجدوا إلا كمالاً وجلالاً وإعجازاً ، لمزهم وهمزهم وقال لم يذكروا إلا المحاسن كأن هناك بجنب المحاسن عيوباً كان عليهم أن يذكروها وإلا كانوا غير نقاد ؟

إن العهد الذى كان ينظر فيه فى القرآن نظر تطلب للعيوب قد مر بالفعل ، مر إلى غير رجعة . والذين نظروا فى القرآن تلك النظرة التى يدعو إليها الآن الدكتور زكى مبارك كانوا أقدر من منه ألف مرة على إدراك عيب لو وجدوه ، وأبصر بنقد الكلام ، لأنهم كانوا أهل العربية الفصحى رضعوها ودرجوا عليها و نُشِّئوا فيها وأحكموها شباناً وشيباً رجالاً ونساء ، فكانوا يصدرون فيها عن بصيرة وفطرة ، كما لا يمكن أن يصدر الدكتور زكى مبارك أو يبصر مهما تكلف واجتهد واحتفل . وما منهم من أحد إلا ونظر – قبل أن يسلم – فى ما بلغه من القرآن نظرة ناقد خبير فاحص يلتمس الوهن والعيب ، فلما لم يجد عيباً ولم ير إلا كمالا باهراً وإعجازاً ظاهراً سلَّم وأسلم . فكل عربى كان مشركاً ثم أسلم شاهد صدق على أن القرآن فوق القوى والقدر ، مبرأ منزه فى جملته وتفصيله عن النقص والعيب . فأى كتاب أو أى كلام اتى من النقد ما اتى القرآن ، وعُرض من أهل العلم والفن على مثل من عرض عليهم القرآن كثرة ومقدرة وخبرة ، وفاز ببعض ما فاز به القرآن من التسليم له والإيمان به والجهاد بين يديه ؟ أفيقال بعد ذلك إذا أقبل علماء العربية عليه يتطلبون أسرار كماله كما يتطلب علماء الفطرة أسرارها ، أن فنهم لم يكن بالفن ونقدهم لم يكن بالنقد ، لأن كلا منهم كان يظاهر عبقريته فى إظهار ما خفى من أسرار ذلك الكتاب المجيد ؟

أظن النص الذى قدمته من صدر أول فصل فى النثر الفنى كافياً فى إثبات دعواى على صاحب النثر الفنى أنه يدعو إلى نقد القرآن . وليس هو بالنص الواحد الذى فى الكتاب فى هذا الباب ؛ فهناك فى الجزء الثانى فى ترجمة القاضى أبى بكر الباقلانى نصوص لا تقل دلالة عن النص السابق . فى صدر ذلك الفصل يقول مؤلف النثر الفنى (ص ٦١) :

« إن الباقلانى ومعاصريه رأوا أن فى الإمكان أن يوازنوا بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن وإن لم يتحد الموضوع » وهم لم يفعلوا ولم يوازنوا بين قصيدة وسورة ، لأنهم كانوا أبصر بالنقد وأرعى لحرمة القرآن من هذا ، ولكنهم تعرضوا للشعر ونقدوا بعض عيون قصائده ، مبينين عيوبها غير مغفلين محاسنها ، كما فعل القاضى رحمه الله ، وكما ينبغى أن يفعل الناقد البصير حين يتعرض لما فيه محاسن وعيوب . أما القرآن فقد كانوا يعلمون عن بصيرة ويقين أن محاسنه فوق أن يحيط بها علم عالم أو نقد ناقد ، فكانوا يكتفون بالبحث العام فى وجوه الإعجاز موضحين آراءهم بالأمثلة يضربونها من بعض الآيات وبعض السور من غير قصد إلى مقارنة أو موازنة حيث الفرق هائل والبون شاسع بعيد

ثم يقول صاحب النثر الفنى فى نقد الباقلانى وأمثاله :

من روائع « دكنز »

مطاردة ...

للأستاذ محمود عزت عرفة

تقديم :

عاش تشارلز دكنز فى انجلترا بين عامى ١٨١٢ و ١٨٧٠م . وكان كاتباً روائياً مبدعاً ؛ ومصلحاً اجتماعياً ثابت القدم فى ميادين الإصلاح ، شديد العارضة فى التنديد بمساوئ المجتمع ، وكشف مواطن الشر والرذيلة فيه

قصر أعظم جهوده على كفاح الفقر والبؤس والتشرد والجهالة وما إليهن ، وحمّل المجتمع ونظمه الجائرة وِزْرَ تفشّي هذه الأدواء الموبقة على عهده

وروايته : مغامرات أوليفر تويست « Oliver Twist » — وقد نُشرت عام ١٨٣٨ — تعد نموذجاً كاملاً لحلته فى هذا الاتجاه[1] ، ففيها يعالج مشكلة الأطفال المتشردين علاج الطّب الخبير . وأوليفر — فى نظرنا — هو النموذج التام للانسان البائس ، الذى تلفظه الحياة ويأبى عليه المجتمع إلا حياة التشرد والذلة . ولكنه — على حد قول بعض النقاد الإنجليز — « يجتاز هذه العوالم من الرذائل والشرور دون أن يقع فريسة لها ، أو يروح ضحية لمغرياتها وتجاربها »

وهذا الفاصل شبه المستقل الذى نترجمه من الرواية ، يربنا أوليفر أولَ مقدمه إلى لندن (وهو غلام فى مبدأ العقد الثانى من عمره) وقد وقع فى شرك عصابة من اللصوص يحرك أفرادَها من الفِـلمة الطرّادين ، يهودى عجوز يُدعى فاجين Fagin

ونأمل كثيراً أن يلحظ القارئ مبلغ الشبه بين حوادث هذا الفصل ونظائره مما يمثل حتى اليوم على مسارح الشوارع فى بعض مدائننا الكبرى !

وإذا كنا نعالج الآن بقايا مشكلات كتلك التى عالجها الغربيون منذ مائة عام ، فأملنا وطيد فى أن نحلها كأحسن ما حلوا ، وأن نغير من أثرها فينا كأفضل ما غيروا ، والله يتولانا بهديه وتوفيقه ...

الترجمـة

انطلق الفتيان الثلاثة مهطعين : المراوغ « The Dodger » فى إزاره الكميش وقبعته مثلثة الإطار ، كما هو شأنه دائماً .

(١) أنظر مقالتينا عن : (تشارلز دكنز . مواهبه وخصائص فنه) المنشورتين فى العددين ٥٢٠ و ٥٢٢ من هذه المجلة . بتاريخ يونية ويولية عام ١٩٤٣ م

« وهذا النحو من النقد يعد من المحاولات البارعة فى الأدب العربى ولا عيب فيه إلا التحامل والإسراف » ! ثم يحاول أن يوهم القارئ أنه هو يصدر عن غير تحامل وإسراف وأنه يحكم بالعدل بين فريقين ، فيمضى يقول : « فإن خصوم القرآن كانوا يأبون إلا الوصول إلى شواهد يحكمون لها بالفضل ، والباقلانى كان يعمد إلى القصائد التى يعرف فيها الضعف ليصل دائماً إلى الحكم للقرآن بالفضل » ص ٦٢

وهو لم يأت بمثل لما كان يفعل خصوم القرآن ، كما أنه يعلم أن الباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن لم يتعرض إلا لما أجمع أهل الأدب أنه من عيون الشعر كمعلقة امرئ القيس ، لكن صاحب النثر الفنى فى سبيل مذهبه لا يبالى أن يفترى على الباقلانى ، ولعله افترى على من سماهم خصوم القرآن

ثم يمضى الدكتور زكى مبارك فيقول : « إن الذى يوازن بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن يجب أن يكون مستعداً للحكم بالعدل . وهذا لا يتيسر لناقد يرى من همه أن يبحث عن مساوئ القصيدة ويطمس محاسنها أو يتجاهلها أو يغض من قيمتها ، وهو فى مقابل ذلك يجد فى البحث عن محاسن السورة القرآنية وإبراز مزاياها ، ولا يستبيح لنفسه التفكير فى وضع ألفاظها أو معانيها أو أغراضها أو أسلوبها موضع النقد . وهذا كاف فى تجريح ما هموا به قديماً من الموازنة بين أثرين أحدهما من الشعر وثانيهما من القرآن »

وهذا أيضاً كاف فى إثبات ما ادعيناه على الدكتور زكى مبارك من دعوته إلى نقد القرآن ، وهو أول أدلتنا على ما اتهمناه به فى أمر القرآن

محمد أحمد الغمراوى

ومستر باتس يسير الهوينا وقد دس يديه في جيوبه . ثم أوليفر يتوسط الفتيين وهو يسائل نفسه في عجب عن وجهتهما

وكان الثلاثة يدلفون من طريق ضيق إلى الميدان الرحيب المسمّى (ذي جْرِين) — قرب كاِر كنْويل — عند ما توقف المراوغ فجأة ، معترضاً بسبابته فمه ، مجتذباً إليه رفيقيه في حرص وحذر

وهتف أوليفر : ما ذا جرى ؟ ! ...

فأجاب المراوغ : صه ، أما ترى هذا العجوز الواقف لدى المكتبة ؟

قال أوليفر : آلسيدُ الهرم الذي هنالك ؟ ... نعم أراه

— إنه طلبتنا !

فقال مستر تشارلي باتس : يا لها من ثمرة مبكرة !

وأدار أوليفر نظره بين الفتيين في عجب بالغ ، ولكن لم يُتح له أن يشفي غليله بسؤال ؛ إذ سرعان ما رآهما يعبران الطريق فيتسللان خلف الرجل مقتربيْن منه . وتبعهما أوليفر عن كثب وهو موزع القلب بين إقدام وإحجام

كان السيد شيخاً وقور الهيئة أشيب الرأس ذا منظار ذهبي ، يرتدي سراويل بيضاء وسترة دكناء الخضرة موشاةً بنيقتها بالمخمل الأسود ، وقد تأبط عصاً أنيقة من الخيزران الهندي

وكان قد ابتاع كتاباً من الحانوت ثم توقف منهمكا في قراءته كما لو كان مستقراً على مقعده الوثير في قاعة مطالعته الخاصّة !

ومن المحتمل كثيراً أن يكون قد توهم نفسه كذلك ؛ إذ كان من الواضح أنه لم يعُد يعير الحانوت ولا الشارع ولا الصبية التفاتاً . وبالجملة لم يكن يحس وجود شيء إلا الكتاب نفسه ؛ وقد أقبل على مواصلة النظر فيه ، فما يفرُغ من صفحة إلا ليستأنف القراءة في أخرى ... وعلى وجهه سمات واضحة من الشغف والاهتمام

وبدت رهبة أوليفر وذعره بالغين حدهما — وهو واقف على مدى خطوات منه دوه العينين — حينما أبصر المراوغ يدس يده في جيب السيد فيستل منه منديلاً يدفعه إلى تشارلي باتس ، ثم ينطلق الغلامان صوبَ أول منعطف من الطريق في سرعة هائلة

وفي لحظة واحدة تكشف أمام عينيه سر هذه المناديل والساعات والجواهر التي طالما شهد الصبية يقدمون بها على « فاجينَ » في مسكنه

ووقف برهة وقد تنزى الدم في عروقه رعباً وفزعاً ، حتى أحسَّ كما لو أن ناراً تلتهمه . ثم استدار على عقبيه في ارتباك ووهَل ، وراح يطلق ساقيه للريح حتى ما تكادان تلمسان الأرض ، دون أن يعرف حقيقة ما يأتي أو يتبين عاقبته

جرى كل هذا في آونة قصيرة . وفي اللحظة التي بدأ فيها أوليفر يجري ، كان السيد قد دس يده في جيبه فافتقد منديله . وأدار فيما حوله نظرة ثاقبة ، وما إن رأى الغلام يركض في هذه السرعة حتى وقر في نفسه أنه السارق فصاح بملء حنجرته : « أوقفوا اللص ! » ثم انطلق خلفه مهرولاً والكتاب في يده

ولم يكن السيد وحده مثيرَّ هذه المطاردة : ذلك أن المراوغ ومستر تشارلي باتس كانا قد توقفا لدى مدخل أول بيت بعد المنحنى ، كيلا يلفتا إليهما الأنظار وهما يجريان عبر الشارع العريض ؛ فما إن سمعا الصيحة وأبصرا أوليفر يجري راكضاً حتّى تصورا ما حدث تماماً . فبرزا من مكمنهما في تأهب وإعجال وأقبلا يصيحان : « أوقفوا اللص » مشتركين في المطاردة كسادة كرماء ذوي أريحية ...

ولم يكنِ أوليفر متأهباً لتطور الموقف على هذا الوجه ، فرَهِب واستطير ، ومضى في جريته كالريح العاصف ، ومن خلفه السيد العجوز يقفوه الغلامان ، وهم يتصايحون جميعاً في صرخات تشبه الزئير

« أوقفوا اللص ... أوقفوا اللص » شد ما يسحر الناسَ هذا النداء !

لقد ترك له البائع حانوته والحوذي مركبته ؛ وطرح القصاب والخباز واللبان أوعيتهم التي يحملون ؛ وتخلى الشيال عن حمله ، والتلميذ عن دفتره ، وممهد الطرق عن معْوله ، والطفل الصغير عن لعبته ... وجرى أولئك جميعاً في هرج ومرج ، متدافعين متصايحين ؛ يصدمون السابلة عند كل منعطف طريق ... ويهيجون الكلاب ... ويفزّعون الدواجن ... وقد دوّت الشوارع والميادين والرحبات مرددة صدى صيحاتهم : أوقفوا اللص ، أوقفوا اللص ... كانت الصيحة تنطلق من أفواه مائة ، والحشد يزداد كثافة عند كل مفترق طريق ، وقد ثارت الهبوات والأوحال تحت أقدامهم ، وارتفع لنعالهم فوق الأرصفة خفق شديد

وانفتحت النوافذ على مصاريعها ، وهرع الناس من مساكنهم

وتدفَّقت الغوغاء فى طريقها لا تربع على شىء ، وانطلق رواد مسرح (بنش) برمتهم ـ والرواية فى أدق مواقفها ـ فالتحقوا بالجموع المتدفقة ، وضاعفوا من صدى الصيحات المتصاعدة ، وأمدوا الصرخة الرهيبة : (أوقفوا اللص!) بقوى ناشطة جديدة

أوقفوا اللص ، أوقفوا اللص ! يبدوا أن هنالك رغبة فى (مطاردة شىء ما) متغلغلة فى نفس كل إنسان ! وها هو ذا طفل بائس مبهور الأنفاس يلهث من فرط الإعياء ، قد ارتسم الجزع فى نظراته ، وبانت سكرة الموت فى عينيه ، وسالت قطرات من العرق كبيرة على وجهه ـ يرهق كل عصب من أعصابه ويستدر كل وتر من أوتار قوته ، لينجو بحياته من براثن مطارديه

ولكنهم ، فى تعقبهم إياه وازدلافهم نحوه فى كل لحظة ، كانوا يتتبعون بصياحهم مذخور نشاطه ويستنهضون بهتافاتهم مخذول قواه وهم يصيحون من خلفه فى حماسة وصرح : أوقفوا اللص!

أجل أوقفوه — نستحلفكم بالله — فذلك عين العطف عليه والرحمة به

وأخيراً وقف ! وبالها من لطمة بارعة ! لقد انكفأ على الإفريز ساكناً لا يختلج ، وأحاطت به الجموع فى لهفة وتطلع ؛ وكان كل قادم جديد يزاحم الآخرين ويدفعهم كيما يحظى بنظرة « تنحوا جانباً » ... « دعوه يتنفس قليلاً » ... «هذيان ! ما هو بجدير أن يشم هذا الهواء » ... « ألا أين السيد ؟ » ... « ها هو ذا قادم من أقصى الطريق » ... « أفسحوا الطريق يا مَن هنالك للسيد ! » ... « أهذا هو الغلام يا سيدى؟ » « نعم »

وكان أوليفر مطروحاً على الأرض وقد لطخه العثير والطين وانبثق الدم من فمه غزيراً . وراح يجيل عينيه فزعاً مرعوباً فى كتلة الوجوه التى أحدقت به من كل صوب . وتقدم رؤساء الطاردين بالسيد شاقِّين له دائرة الجمع الحاشد ، حتى أوقفوه فى المقدمة ، فعاد يقول : نعم ، أخشى أن يكون هو

وهمهم الواقفون : تخشى ؟ عجيب منك هذا القول ...

وعاد السيد يقول : ياللطفل المسكين ، لقد أصاب نفسه !

فقال شاب ضخم متبلد — وهو يخطو إلى الأمام قليلاً — بل أنا الذى أصبته يا سيدى ، لقد تحطمت بنانى من عظم ما ارتطمت بفمه . أنا أوقفته يا سيدى

ولمس الشاب قبعته وهو يبتسم ، مترقباً الجزاء على ما تعرض له من ألم . ولكن السيد حدجه بنظرة قاسية وأدار بصره فيما حوله حيران قلقاً ، كما لو كان يراود نفسه على الفرار . ولم يكن من المستبعد أن يحاول ذلك فيكلف القوم مطاردة أخرى ، لولا أن قدم الشرطى فى هذه اللحظة (وإنه لآخر شخص يظهر عادة فى مثل هذه المناسبات) فشق طريقه بين المجتمعين وجذب أوليفر من طوقه وهو يصيح به فى جفاء وغلظة : تعال ... قم ...!

وأطبق أوليفر راحتيه فى توسل ، وشرد ببصره فيما حوله وهو يقول :

لست أنا بالحقيقة ياسيدى ! الحق ؛ أنهما غلامان آخران ، وهما هنا من غير شك فى مكان ما ...

فقال رجل الشرطة : آه ... كلا ، ما من أحد هنا ...

حاول الرجل أن يتهكم بهذا الجواب ، ولكنه كان يقرر الحقيقة دون أن يعرف ؛ ذلك أن المراوغ ومستر تشارلى باتس كانا قد استدارا عند أول منعطف مرّا به وذهبا ناجيين

وكرر الشرطى صيحته : هيا ... انهض ! فقال السيد وقد استشعر الرأفة : لا تحاول إيذاءه

وأجاب الشرطى — وهو يقدُّ سترة الغلام من فوق ظهره ليبرهن على صدق قوله — :

كلا لست أوذيه . انهض ! إنى لأعرفك فلا تجوز علىَّ ألاعيبك . أما تنهض على قدميك بعد أيها الحرامى الصغير ؟!

وجهد أوليفر فى النهوض حتى استوى على قدميه ، ثم اقتيد من طوقه خلال الشوارع فى خطوات سريعة ، وكان السيد يمشى إلى جانب الشرطى ؛ أما المتفرجون فلم يغب عن أكثرهم أن يقوم بهذه المناورة البارعة : كانوا يوجفون إلى الأمام فى خطوات قليلات سراع ، ثم يديرون وجوههم ليحدقوا النظر إلى أوليفر بين حين وحين !

وكان الصبية يتصايحون فى نشوة عارمة من الظفر والانتصار وهكذا انطلق الجميع ميممين ديوان الشرطة[1]

(جرجا) محمود عزت عرفة

---

(١) اتضحت هنالك براءة أوليفر بشهادة صاحب المكتبة الذى أبصر الحادث على حقيقته . وكان من نتيجة ذلك أن ضم مستر برانلو — ضحية الحادث — أوليفر إلى نفسه ، وكان بسبيل أن يكفله ويقوم على تربيته لولا أن زج به سوء الطالع مرة أخرى فى أيدى عصابة اللصوص .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٤٧ — المسلم لا يحارب المسلم

فى (مروج الذهب) للمسعودى :

الغالب فى هذا البلد — آمل : دار مملكة الخزر — هم المسلمون لأنهم جند الملك ، وهم يعرفون فى هذا البلد باللارشية ، وهم ناقلة[1] من نحو بلاد خوارزم ، وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا إلى ملك الخزر . وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه ، وأقاموا فى بلاده على شروط بينهم :

أحدها إظهار الدين والمساجد والأذان . وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير فى وقتنا هذا — سنة ٣٣٢ — أحمد ابن كويه . وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين لا يحاربون أهل ملتهم ، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار

ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن[2] والدروع والخوذ ، ومنهم رامحة أيضاً على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ، ولهم قضاة مسلمون[3]

(١) ناقلة : طراء ، جالية . فى القاموس المحيط : الناقلة ضد القاطنين . وفى الأساس : رجل نقيل : غريب . وهو ابن نقيلة : غريبة

(٢) فى التاج : الجوشن الدرع ، وفى المحكم زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٣) يقول المسعودى : ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية ، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية ، وهى قضايا عقلية ، فاذا ورد عليهم مالا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم ، وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الاسلام

٥٤٨ — تقبيل المصحف

قال عبد الوهاب السبكى صاحب (طبقات الشافعية) : سمعت الوالد (تقى الدين السبكى) — رحمه الله — فى درس الغزالية يقول — وقد سُئل عن الدليل على تقبيل المصحف — : دليله القياس على تقبيل الحجر الأسود ويد العالم والوالد والصالح ، ومن المعلوم أن المصحف أفضل منهم

٥٤٩ — القصة فى الكتاب فاقرأها

مرض الأعمش (سليمان بن مهران) فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته فى كتاب ، وجعله عند رأسه ؛ فإذا سأله أحد قال : عندك القصة فاقرأها[1] ...

٥٥٠ — إنا قصدنا ذلك

فى (النفح) : كان إبراهيم بن الفخار اليهودى قد تمكن عند الأذفنش ملك طليطلة النصرانى ، وصيره سفيراً بينه وبين ملوك المغرب ، وكان عارفاً بالمنطق والشعر . قال إبراهيم : أدخلونى إلى بستان الخليفة المستنصر ، فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنة ، ورأيت على بابه بواباً فى غاية القبح . فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى[2] قلت : رأيت الجنة إلا أنى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان ، وهذه على بابها مالك[3] ... فضحك وأخبر الخليفة بما جرى ، فقال : قل له : إنا قصدنا ذلك ، فلو كان رضوان عليها بواباً لخشينا أن يرده عنها ، ويقول له ليس هذا موضعك ، ولما كان هناك مالك أدخله فيها ، وهو لا يدرى ما وراءه ، ويُخيَّل إليه أنها جهنم ...

فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت «الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته»!

(١) الثعالبى : كان الأعمش إذا فقد من يحدثه من أصحابه أقبل على عنز له يحدثها كراهة للفراغ ، وخوفاً من النسيان ، وحرصاً على الدراسة والرواية ...

فى «العقد» : أتت ليلة الشك من رمضان فكثر الناس عند الأعمش يسألونه عن الصوم ، فضجر ثم بعث إلى بيته فجئ إليه برمانة ، فشقها ووضعها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله تناول حبة فأكلها ، فيكفى الرجل السؤال ونفسه الرد

(٢) الفرجة : مثلثة ، مولدة . فى (الشفاء) : الفرجة الذهاب للتنزه قال الأرجانى : رياض لعين الناظر المتفرج

(٣) أبو الفتح البستى يلوم وزيراً ويهجو حاجبه :

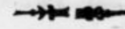
قل للوزير الكريم قولا ... يفض من ناظر الكريم
دارك لى جنة ولكن ... بوابها مالك الجحيم

ما رأى الأستاذ الكبير (ا . ع) فى هذا الطراز من شعر الشباب ؟

أين الطريق ؟

[إلى أبى وأمى أسوق الحديث]

للأستاذ على شرف الدين



ملَّ الرَّحيلَ معفَّرٌ أودى به حظُّ الأديبِ
لم يبلغ الأملَ البعيدَ ، فمالَ لليأس القريبِ
سيَّانِ ياشمسى ، أنيرى لى حياتى أو فغيبى
وخذِى من الأفلاك بُرْجَ السَّعدِ أو بُرْجَ الخطوب
لن تشهدينى السرورَ على الشروق ، ولا البكاءَ على الغروب
وترفَّقِى كبدِى — إذا أخفقتُ يوماً — أو فذوبى
نفضتُ كفِّى من حياةٍ — بعد تجربتى — كذوبِ
وعدتْ ، وما برَّتْ ، فكانَ الوعدُ كالبرق الخلوبِ
وسئمتُ من ليلِ الشَّبيبةِ ، وانتظرتُ سنَا المشيب
وتمرَّدتْ نفسى زماناً ، ثمَّ ثابتْ من لغوب
مات الشُّعورُ بها ، فما أنا بالحزينِ ، ولا الطَّروب
لا يلمحُ الرائى بها سخط المشيحِ ، ولا القطوب
إلاَّ بقايا مأتمٍ فى الوجْهِ يُبديه شُحوبى
أشلاءُ آمال تلوحُ كأنها صرعى الحروب
وجِراحُ أنَّاتٍ تلاشتْ ، واندمَلْنَ على ندوب
ورفات آهات تضمَّن قبرَها صدرُ الغيوب
وقناةُ دمعٍ ، لم تزلْ بالخدِّ من عهدِ النحيب
وحنين قلبٍ مُلجَمِ الدقَّاتِ ، مكبوح الوجيب
نزَّاعِ شجوٍ ، دونه فى ناره شجوُ الغريب
وقصيدُ عمْرٍ ، دامى الأوزانِ مجروحَ الضُّروب
سِفرٌ من الحِكم الغوالى ، هُنَّ فلسفةُ الكروب

***

أمِّى ، أبى ، أدْعو ، وعند كليكما خير المجيب
اشكو أساى ، وإنها شكوى الحبيب إلى الحبيب

مالِى تهبُّ صَبَا الشمال علىَّ من صوب الجنوب ؟
مالى فنيت ، وأقفرَ الخضِلُ من قلبى الخصيب
لا البشر يدعونى ، ولا أهتز للمرح اللعوب
لا الكأس تُغرينى ، ولا البسمات من ثغر شنيب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس ، والصمتِ الرَّهيب
وبلغت — من زهدى — الثمانين التى هدت جنوبى
أغضبتما فكبا جوادى ، أمْ ترى كثرت ذنوبى ؟

***

مَنْ لى بأيام الطفولةِ فى حِمى الصَّدرِ الرَّحيبِ
ومَلاعبِ الأولادِ فى كنفِ المنازلِ والدُّروب
كانتْ أرقَّ من الصَّبا ، وأحبَّ من نجوى القلوبِ
رفَّافة كالرُّوح ، أو كالنُّور ، أو طيْفِ الحبيبِ
ريَّا كنُّوارِ المُروجِ يضوع فى أرَجٍ وطيب
مرَّتْ ولم تتركْ سِوى جفْنٍ على الذكرى سكوبِ

***

ومُتوَّج بالثَّلجِ (١) مرْهوبِ المفاوِرِ والجيوب
أمْلَى الشَّباب علىَّ أنْ أرقاهُ فى الزمن العصيبِ
زمنٌ به حِفظُ الكرامة والإباءِ من العيوبِ
فصعدت لا زادٌ سوى الأعصابِ والفصحى العروبِ
فتمزَّقتْ كفِّى ، وأدْمَى صخرُهُ العاتى كعوبى
والشمس تلفح جبْهة تنفضُّ عن ماء صبيب
وأدور حولى ، لا أرى غير الموامى والسهوب
وتكشفت لى محنَةُ الأكفاء فى البلد العجيب
فرجعتُ مكلومَ الفؤاد بحظٍّ منسىٍّ سليب
وكأنما للقمْطِ والحرمان — من أبنائها — حظُّ الأديب

على شرف الدين

(١) الجبل

حكم فى الجنحة ٤٦ عسكرية الجمالية سنة ١٩٤٣ بحبس السيد مصطفى السعداوى أربعة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه للبيع خبزاً بأزيد من السعر المحدد

٢٢ . ٢٢



إلى الأستاذ سيد قطب

ألا تستطيع يا أخي أن تكتب دون أن تغمز أو تلمز؟ أكلما كتبت شيئاً فأنت تفهمه أسوأ الفهم، وتؤوله أفسد التأويل؟ بعض هذا العُجب وبعض تلك الكبرياء يا نابغة الزمان! وماذا تعني بقولك إن بعض من ذكرت من الشعراء هم شعراء الوظيفة؟ أخشى أن أكون قد أضعفت جبهة شعراء الشباب بذكرك، وأن أكون بذلك قد مهدت لانتصار أستاذنا الجليل على أمثالك ... ثم هل هذا هو الذي يجب أن نهتم له؟ ألا تعرف من هو أستاذنا الجليل! إنه رجل يستطيع أن يقضي على الجهود التي بذلتموها يا معشر الشعراء الشباب في سبيل تجديد الشعر العربي ... وها هو ذا قد أخذ يأتيكم من نواحيكم الضعيفة التي تجلت إحداها في كلمتك المتهافتة ... عنك هذا الغرور إذن ... وأقنع الأستاذ بنماذج من شعرك أو شعر غيرك لنكون إيجابيين في ردودنا ... ولأ كن قد أسأت التمثيل، وهذا ما لا يدور في خلدي أنني وقعت فيه، فماذا لم تتول أنت الرد؟ أو لماذا لم تشترك فيه؟ لقد كان في وسعي أن أقول إن ميدان الشعر لم يقفر بعد البارودي وشوقي وحافظ، لأنه لا يزال يزخر بمطران والجارم والعقاد وشكري ومحرم، وقد يكونون خيراً ممن توفوا إلى رحمة الله . . . ولكني آثرت التباهي بكم لأن المستقبل لكم، فكيف تضل عن اللباب وتأبه بالسفساف؟ تفضل أنت فكن رائد الجيل واملأ شدقيك بما شئت؛ فإذا أصبت شيئاً من التوفيق فلن يكون أحب إلى من أن أصفق لك

دريني خشبة

إلى الناقد الأستاذ دريني خشبة

أحسست يا صديقي، من الكلمة التي نشرتها في عدد (٥٦١) من الرسالة، وعنوانها شعراء الشباب والأستاذ الجليل ا . ع » أنه لا يطيب لك سماع رأي يخالف رأيك، سواء أكانت المخالفة كلية أو جزئية، بدليل تسميتك الكلمة البريئة التي وجهها الأستاذ (ا . ع) إلى شعراء الشباب « حملة تأديبية »

الحق أولى، يا صديقي، أن يقال، أنه صار من اللازم اللازب أن تجرد حملات نقدية على الناقدين الذين يأخذون بناصر المعجزة المهازيل من النظامين

فإنك تعرف يا صديقي، أن الشعر روح، وأن الحياة الشعرية التي لا تفيض بالنعمة، ولا تشيع السرور بالنفوس والفرحة بالوجود ليست بحياة . هل شعرت بشيء من ذلك حين قرأت ما نظم أكثر من ذكرت من أصدقائك شعراء الشباب؟ ليس بين معظم الشعراء الذين ذكرت من يطير بجناحين، بل فيهم من يمشي ويتسكع ولكن أكثرهم يزحف

لا فارق، يا صديقي، بين ما قلته عن شعراء الشباب أنهم « أثمن قلادة يتحلى بها جيد مصر الحديثة، والشعر المصري الحديث »، وبين ما كان يقوله كتاب مقدمات الكتب قبل عشرين أو عشرة سنين

وفي الختام، أحيي باحترام الأستاذ الجليل (ا . ع) الذي أثار هذه المسألة وأطالبه المزيد، لا حباً في النقد لذاته، بل حرصاً على نقاء تاريخ أدب هذا الجيل .

حبيب الزحلاوي

شعراء الشباب

أشكر الأستاذ دريني خشبة ويشكره معي شعراء الشباب - والمتواضعون منهم خاصة - على وقوفه دونهم في كل مسألة تثار أو قضية تقام

وأقل ما يملكه شعراء الشباب له اعترافاً بالجميل وحفاظاً على الصنيع - أن يتفقوا جميعاً على الثناء عليه في مجلة « الرسالة » التي نعرف من صاحبها ومن كاتبيها الجليلين « ا . ع »، « ن » حسن النية، وشرف الأمنية للشعر العربي الحديث .

ومهما يكن بين الأستاذ خشبة وبين الأستاذ الجليل (ا . ع) من خلاف فنحن الشعراء نعدُّ من الخير لقضية الشعر المعاصر أن يكثر الناقدون له، المتبرمون به، المتكلمون فيه، حتى يمضي إلى الغاية التي يرجوها له كل غيور عليه

وأنا سعيد كل السعادة لأن الأستاذ دريني سلكني مع طائفة من الشعراء أرجو أن أسمو إلى نباهة شأنهم، على الرغم من أنه نبه شأني بذكري في عدادهم . وهي طائفة اختص الله كل

واحد منها بجزية لم تتح لغيره : ـ ما بين إشراق فكرة ، وسريان فرحة ، وحلاوة تعبير ، وأصالة طبع ، ورقة عاطفة ، وحسن تصوير ، وغزارة شعور ، وصدق إحساس ، وتسجيل لأحداث العصر ومناسباته الكبرى

وموضع التباين بين مذاهب شعرائنا اليوم هو بعينه موضع الجمال فى اختلاف الأزهار التى تتألف منها الطاقة الجميلة

فلا يحق للوردة الناضرة أن تغضب ، لأن البستانى الأنيق وضع بجانبها النرجسة الغضة ، ولا يحق للنرجسة الغضة الفوّاحة أن (تتأفف) ، لأن الزهّار المتذوق وضع بجانبها الأقحوانة التى لا تفوح بالعبير ... فلكل زهرة جمالها ... حتى الزهرة المتسلقة على الجدران وكذلك لكل شاعر جماله . وعلى الأستاذ منى السلام

محمد عبد الغنى حسن

الدرزى لا الطرزى

ينشر الدكتور « زكى مبارك » فى جريدة المصرى خواطر وهواتف مما توحى به « حياته اليومية » سمى فيها « خائط الثياب » طرزى — بدل ترزى — حاسباً أن تحريف النطق هو الذى حول الكلمة — وكثيراً ما يكون ذلك فى الكلمات التى تتحد أو تتقارب مخارجها — وغاب عن الكاتب الفاضل أن الأصل والتحريف كليهما خطأ ، وأن الصواب أنها « الدَّرْزى » ودرز الثوب خياطته . وأولاد درزة السفلة والخياطون والحاكة والغوغاء ... أما الطراز أو الطرز أو التطرز التى يراد إرجاع الكلمة إليها فبعيدة كل البعد ، لأن الطراز عَلَم الثوب والهيأة والنمط . والطرز بإسكان الراء الشكل . وفى اللسان أن أم المؤمنين « صفية » قالت لزوجات النبى : من منكنَّ مثلى ؟ أبى نبى ، وعمى نبى ، وزوجى نبى ... فقالت لها عائشة رضى الله عنها : ليس هذا من طرازك . تقصد من نفسك ... لأنه تعليم النبى صلى الله عليه وسلم إياها ...

ابراهيم على أبو الخشب

إن الغناء زاد الراكب

أورد الأستاذ الجليل « محمد إسعاف النشاشيبى » فى العدد (٥٥٥) من الرسالة تحت عنوان « إن الغناء زاد الراكب » من « نقل الأديب » هذه الفقرة :

« قال رجل للحسن البصرى : ما تقول فى الغناء يا سعيد ؟ فقال : نعم العون الغناء على طاعة الله ؛ يصل الرجل به رحمه ويؤاسى صديقه »

فكيف يكون الغناء عوناً على طاعة الرب ، وكيف يصل الرجل به رحمه ، ويؤاسى صديقه ؟ وهل هذا الوصف ينطبق على الغناء بالمد ، أم على الغنى بالقصر كما فهمت ؟

(مكة المكرمة) عبد العزيز الرفاعى

كتب

١ — الفلاحون

كتاب عن الفلاح المصرى ألفه الدكتور الأب عيروط اليسوعى ، ووصف فيه مصر البلد الزراعى وحياة الفلاحين فيها وأعمالهم ومواسمهم وعاداتهم وصفاً دقيقاً صادقاً وإن جار أحياناً ... وقد نقل الكتاب إلى العربية الدكتور الفاضل محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالأزهر ... ولسنا ندرى ما نقول عن هذه الترجمة التى كنا نجل صديقنا الدكتور غلاب عن وضع اسمه عليها ... إنها ترجمة ركيكة كثيرة الأخطاء اللغوية ، يميل أسلوبها إلى العامية ويجافى العربية السليمة ، بله العربية الفصحى ، ونأمل أن يتدارك الأستاذ غلاب هذا كله فى الطبعة الثانية

٢ — روح التربية والتعليم

الأستاذ محمد عطية الأبراشى من خيرة المشتغلين بالتربية علماً وعملاً فى مصر ، وهو رجل منتج ، وإنتاجه مثمر قيم دائماً ، وقد ألف ، أو اشترك فى تأليف كتب كثيرة فى التربية وعلم النفس وفى اللغة العبرية ، وهو يؤلف للكبار وللصغار على السواء ، وقد انتفع بكتبه التى ألفها للصغار آلاف التلاميذ فى مصر وفى الشرق العربى ، وكتبه التى ألفها للكبار لا تقل عن كتبه الأخرى انتشاراً وذيوعاً . وكتابه ـ روح التربية والتعليم ـ هو من خيرة الكتب فى موضوعه وقد كسره على أربعة عشر فصلاً ، يصلح كل فصل منها أن يكون كتاباً مستقلاً ؛ فهو يتناول الطفل والمدرسة والمنزل ولعب الأطفال والمدرسين وإعداد الدروس ومهمة المدرس الحديث ، وكيفية تدريس المواد المختلفة والعيوب الشائعة فى التدريس وآفة الامتحانات ومصيبة مدرسينا

فى قلة إطلاعهم ... الخ ؛ ولعل هـذا الشمول وحده هو نقطة نقدنا لهذا الكتاب القيم ، إذ لو صدر فى أربعة أجزاء مثلاً مستقلة بعضها عن بعض لأمكن أن تنتفع به طوائف مختلفة ممن يهمهم تنشئة الطفل والعناية به سواء فى ذلك رجال التربية والآباء والأمهات . على أن من الصعب جداً فى هذه اللمحة الخاطفة عن الكتاب الإحاطة بحسناته ، وإن أتخمت بينها فى الوقت نفسه بحوث كان الأفضل أن تستقل بكتاب خاص . . . مثل ذلك ما جاء فى الكتاب عن تاريخ التربية عند بعض الأمم التى لا تربطها بعصر رابطة تربيوية تاريخية ، كالصين مثلاً ... مع غض النظر عن التربية فى فرنسا التى ننغمس في تقليدها إلى أذقاننا

وبعد فالمدرس أو رجل التربية الذى يهمل قراءة هـذا الكتاب ومناقشة آرائه يخسر ولا شك خسارة ذهنية

٣ – حدائق الأمثال العامية

هذا كتاب من أمتع الكتب التى توفرت على تأليفها السيدة فائقة حسين راغب ، وقد جمت فى جزأيه الأول والثانى الأمثال العامية الشائعة فى مصر ، والمناسبة التى يضرب كل منها فيها ، ثم المثل العربي أو بيت الشعر الذى يطابق المثل العامي روحاً ومعنى . وقد دل الكتاب على ما لقيت مؤلفته الفاضلة من عناء وجهد ، كما دل على اطلاع واسع وذوق دقيق وملاحظة عميقة . وسينتفع بحدائق الأمثال العامية العلماء المشتغلون بعلم الأساطير والأمثال الشعبية أو ما يسمى علم (الفولكلور) . والرسالة تهنىء السيدة الأديبة الفاضلة بهذا السفر النفيس وترجو أن يقدره عارفو فضلها

٤ – من مبونخ إلى وارسو

هذا كتاب أذاع فصوله من فلسطين أحد أشبال أسرة النشاشيبى ، بيت العلم والأدب فى القطر الشقيق ، وتتناول موضوعات الكتاب أدق سنة فى تاريخ الإنسانية . السنة التى سبقت الحرب المشئومة الحاضرة . السنة التى سبقت العاصفة واضطرب فيها الجو الدولى ، وتتابعت الحوادث الجسام التى أدت إلى كارثة بولندة ، ثم إلى كارثة الدنيا بأجمعها من بعد ... قد كنا ننتظر أحاديث الأستاذ أنور النشاشيبى المذاعة من فلسطين لنسير معه فى دورة الفلك ولنتحسس يد المقادير متى تبطش بهذا الكوكب السيء الطالع . واليوم ، وهذه الأحاديث مجموعة فى كتاب مطبوع ، وبعد إذ أوشكت الحرب أن تضع أوزارها ، نرى من واجب المؤرخ ألا ينسى سجله الأول من مؤلف الأستاذ أنور النشاشيبى ، هذا المؤلف الشامل الذى حققت الحرب الحالية كثيراً جداً مما هب إليه من آراء .

(د . غ)

جريدة الإصلاح فى عامها الثامن

دخلت زميلتنا الإصلاح فى عامها الثامن وهى على عهدها المعهود من اطراد الرق وسمو التحرير ونبل الغاية ، وستصدر فى خلال هذا الشهر لهذه المناسبة عدداً خاصاً محلى بصور أبناء الدقهلية البررة البارزين من الأدباء والشعراء والفنانين لتكون صلة تعارف بينهم وأداة تعريف بهم . وسيشترك فى تحريره صفوة من كبار الكتاب

استدراك

سقط من المقال الذى نشر فى العدد ٥٦٢ من الرسالة عن كتاب « آراء وأحاديث فى التربية والتعليم – للأستاذ ساطع الحصرى » اسم الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان :

Hand Book of Suggestions on Health Education

عبد الغنى



12me Année No. 564 — Lundi - 24 - 4 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهرس

الفن والاصلاح

للأستاذ توفيق الحكيم

لم يزل موضوع الأدب العربى ومستقبله فى حاجة إلى كلام، على الرغم من الأدلة القوية التى ساقها أخى أحمد أمين بك فى رده على كلمتى السابقة . وأخشى أن يتبادر إلى الذهن أننا نتجادل فى قضية لنا فيها مصلحة . فالواقع المعروف أن أكثر مؤلفات أحمد أمين مثل « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » و « قصة الفلسفة » الخ. بعيدة عن الاتجاه القومى أو الاجتماعى الذى يرجوه لأدبنا العربى ؛ كما أن بعض كتبى مثل « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » قد رمت بالفعل إلى هذا الهدف منذ زمن . فالقصة الأولى (عندما نشرت بالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧) كتب عنها ناقد يقول : « لو كان بريس Barrès[1] حياً واطلع عليها لنعتها بقصة النشاط القومى » . كما أن الكتاب الآخر يرمى كما هو معلوم إلى نقد المجتمع الريفى بحكامه ومحكوميه ؛ فأنا إذن أقرب إلى تلك الدعوة ولى فى نجاحها مصلحة أكبر مما للصديق أحمد أمين . ولكن العقيدة الأدبية والإيمان الفنى أقوى فيما يبدو عند كل منا وأرفع من المصالح الخاصة والغايات

(١) الكاتب والسياسي المشهور صاحب المؤلفات القومية النزعة

الشخصية . فمناقشتنا اليوم تقوم فى جوهرها إذن على الرغبة المجردة فى الوصول إلى غرض واحد : هو كيف نبلغ بأدبنا العربى قمة الكمال ؟ الغاية واحدة ولا ريب ولكن السبل مختلفة ؛ فأحمد أمين يرى أن أدبنا لن يصل إلى مرتبة الآداب الأوربية إلا إذا خاض مثلها فى طريق الحياة العامة ، فنقد الفاسد من أوضاع المجتمع ، وقوّم المعوّج واقترح وسائل الإصلاح ، ونادى بالنافع من العلاج ، والمستحدث من النظم . وكان له من أعلامه قادة للرأى العام يبصرونه بمواقع خطاه فى طريق التقدم الأجتماعى . واتخذ من أناتول فرانس وبرنارد شو وتولستوى مثلاً يحتذى

وهنا يجدر بنا أن نسأل : هل من الحق أن الأدب الأوربى بلغ مبلغه هذا بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية ، أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الأدبية ؟ وهل نزعات الإصلاح الاجتماعى هى اللون الغالب فى الآثار الأوربية ، أو إنها لون ليس بالغالب حتى فى آثار المؤلف الواحد ؟

الذى أعلمه هو أن أناتول فرانس أديب ، وأن برنارد شو مؤلف مسرحى ، وأن تولستوى قصصى . وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجد . أما ميول فرانس وشو الاشتراكية ونزعات تولستوى الإصلاحية ، فهى نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال ، وتارة أخرى على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية وآثارهم الفنية

إن الآداب الأوربية لم تحترم يوماً فناناً أو أديباً لأنه مصلح ؛ ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديباً أو فناناً . ولعل أبرز مثل لذلك هو « إبسن » ؛ فقد هزته أحداث بلاده السياسية والاجتماعية فكتب تمثيليات مفعمة بروح الإصلاح مثل « براند » و « عدو الشعب » و « بيت العروس » الخ . ومات إبسن وتغير مجتمعه ونظر الناس فى أعماله ... وكاد يهزأ النقد به وبآرائه فى السياسة والمجتمع ، لولا فنه . وهكذا مات المصلح فى إبسن وبقى الفنان

نحن الشرقيين تبهر عيوننا دائماً كلمة « مصلح » بقدر ما نستهين بكلمة « فنان » . وإنى لا أنسى دهشتى يوم قرأت فى مجلة « ماريان » الباريسية نقداً للطبعة الفرنسية من « يوميات نائب فى الأرياف » للناقد المعروف « رامون فرناندز » يقول فيه : « إن القارئ لهذا الكتاب ينسى فى أغلب الأحيان المقاصد الإصلاحية التى حركت المؤلف لوضع كتابه ، بل إن القارئ يتمنى ألا يتغير شيء فى عالم هذه المخلوقات الإنسانية » صدمنى هذا القول لأنى كنت أعتقد أن مقاصد الإصلاح لها الاعتبار الأول فى مثل هذا النوع من الكتب ، وأن صفة المصلح هى التى يجب أن توضع موضع التقدير

لقد تحدث الأستاذ احمد أمين فى أكثر من موضع عن الروايات الغرامية وعرامة الحب بما ينم عن الازدراء ... فذكرنى ذلك من فورى برواية شكسبير « روميو وجوليت » ؛ وقلت فى نفسى : ها هى ذى قصة ليس فيها إصلاح لمجتمع ولا نهوض بشعب ، وكل ما فيها عرامة الحب . ومع ذلك فقد خلدتها الإنسانية حيث طرحت ومزقت كثيراً من صفحات المصلحين وكتابات الهادين والمرشدين . إن الإنسانية لأدرى بما يسرها وأعلم بما يسعدها منى أنا ومن أخى احمد أمين . كم من المؤلفات المملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان ... ولكنها احتفظت بقصة غرام وقصيدة غزل ورواية حب عارم ... وإذا كان حقاً أن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث فى الأرض ، فماذا نقول فى بقاء « روميو وجوليت » وفناء الكثير من القصص الإنكليزى الذى قصد به إصلاح المجتمع ؟ بل ماذا نقول فى خلود قصة « غادة الكامليا » لدوماس الصغير وموت أكثر رواياته الأخرى التى عالج فيها موضوعات اجتماعية كلها جد وحسن قصد . . .

كلا ... لا ينبغى أن نملى على الفن اتجاهاً بعينه . ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الإصلاح الوقور ... إلا أن يشاء هو ويرضى ... لأننا إذا أرغمناه سخر منا وجعل من أردية رزانتنا ووقارنا أثواب مساخر ، وقلب بسحره أثواب الهزل خلوداً تنحنى أمامه الجباه على الرغم منا . لقد أصاب « أندريه جيد » إذ قال إن الفن لا ينبغى له أن يثبت

شيئاً ولا أن ينفى شيئاً . إن الفن العالى ليس أداة للجدل . إنما هو شىء كالسحر ينفذ إلى النفوس فيحدث فيها أشياء . إن الفنان ليس مصلحاً ولكنه هو صانع المصلح . كل أولئك المصلحين من ملوك وزعماء وساسة ما كونهم وهيأهم لرسالات الإصلاح غير أدب الأدباء وشعر الشعراء وفن الفنانين . إن الفنان هو مصلح المصلح ولا شىء غير ذلك . أما أن ينزل الفنان بفنه إلى الميدان يناقش ويدافع ويهاجم وينافح . . . فهذا ما لم نره حتى الآن فى فن استحق البقاء فى أى أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات . من الحق أن بعض أهل الفكر والفن قادوا الرأى العام فى بلادهم وبلاد العالم ، ولكنهم كانوا فى الواقع يفعلون ذلك باعتبارهم شخصيات عظيمة مفكرة من واجبها أن تبدى آراءها فى المسائل الكبرى . لا باعتبارهم فنانين يقحمون فنهم فى ميادين الشئون اليومية . لطالما تحدث الشاعر « فاليرى » عن المشكلات الإنسانية التى تمس المجتمع العالمى الحاضر ، ولكن هل رأيناه وضع ذلك فى قصيدة واحدة من قصائده ؟ إن قيادة الرأى العام واجبة على الأديب . ولا ينسى أحمد أمين ندائى إلى الأدباء أن يتسلموا القيادة الروحية والفكرية فى أول هذه الحرب وما قام حول هذا النداء من جدل ؛ ولكن الذى أراه خطراً على الأدب هو قهر الأديب على أن يتجه اتجاهاً بعينه فى صميم فنه . وحسبنا أن نتأمل حال الأدب فى البلاد الدكتاتورية التى كبلت وحى الأدباء بالقيود فلم تخرج من قلوبهم إلا كتابات مفتعلة تفوح برائحة واحدة كأنها خارجة من مطبخ واحد . إن الفن هو الحرية . حرية الفكر والشعور . ولا منبع له إلا فكر الفنان وقلبه . هما وحدهما الهاديان له . إن الوعى الفردى هو روح الفن . فإذا أردنا إبادة الفن واستئصاله من الأرض فلنقتل فيه ذلك الوعى الفردى . ولقد أصاب صديق الطرفين الكاتب الكبير العقاد إذ قال فى تعليقه على مناقشاتنا هذه : « إن اتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية » . وهذا حق ؛ إذ الفردية هى عنوان الكرامة الإنسانية . هى شعور الإنسان بقيمة فكره وإحساسه لا بفكر الجماعة وإحساسها . إن الحيوان لا يفكر بفكره ولا يحس بإحساسه . إنما هو يفكر ويحس بغريزة الجماعة كلها والنوع كله . ولن يرقى الحيوان إلى مرتبة الإنسان إلا إذا استقل فى تفكيره وإحساسه . إن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعل الحيوان حيواناً ، والفردية أى الحرية هى التى جعلت الإنسان إنساناً . على أنه لا ينبغى الخلط بين الفردية والأنانية . فإنى حينما قلت إن « الفنان الذى لا يقول أنا ليس بفنان ، كما أن العالم إذا قال أنا ليس بعالم » . إنما قصدت إلى المعنى الفنى لا المعنى الخلقى . قصدت أن الفنان هو الذى يقول « إن الطبيعة جميلة لأنى أراها جميلة » . أما العالم فلا ينبغى له أن يقول ذلك . ولكن عليه أن يقول : « الطبيعة جميلة أو قبيحة ، ساكنة أو متحركة ، لأن البحث والتحليل والبرهان والدليل تؤدى إلى هذه النتيجة » . الفنان هو الذى يكشف عن الطبيعة من خلال نفسه . والعالم هو الذى يكشف عن الطبيعة من خلال المجهر . وكلاهما يكمل الآخر فى بناء المعارف الإنسانية . ولا ينبغى لأحدهما أن يلجأ إلى وسائل الآخر فى استجلاء الحقائق واستكناه الطبائع . إن الفن مصدره الشخص ، والعلم مصدره الموضوع . الفن شخصى والعلم موضوعى . الفن يقول « أنا » أى « نفسى » ؛ والعلم يقول « هو » أى « الشىء » .

أما أن يخدم الفنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداهة والضرورة ، لأن آثار الفن والعلم لا تبقى ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى الناس فى بقائها منفعة . فلا ينبغى أن نقول للفنان والعالم : « اصنعا شيئاً نافعاً للناس » بل يجب أن نقول لهما فقط : «اصنعا فناً وعلماً» .

وبعد فإنى قد أثقلت على القراء بوعى أخى الجليل أحمد أمين بك ، وإنى لأشكره إذ أتاح لى هذه النزهة التى تريح النفس أحياناً ، كما أحمد له ويحمد له القراء هذه الموضوعات التى يقع عليها بعين بصيرته النافذة ويعالجها بما عرف عنه من إشراق ذهنى ينير للناس غوامض الأشياء . وله من أخيه المعجب بفكره وأدبه أخلص التحية .

نونية أبي تمام في رثاء ولده

للأستاذ جليل

للدكتور محمد صبري أن يرى في مقالته « الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل » في الرسالة الغراء (٥٦١) أن نونية أبي تمام في رثاء ولده[1] قد فاتت رائيته في محمد بن حميد الطوسي التي يقول فيها :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ... ولكن كبرا أن يقال به كبر

والأستاذ عبد الرحمن شكري أن يستعجب في إحدى مقالاته في الرسالة كيف أن حبيباً – وهو في الرثاء ما هو – لم يجد في النونية إجادة ابن الرومي في الدالية التي رثى بها ولده . غير أن تلك القصيدة فائقة كانت أو مقاربة[2] ليست لأبي تمام وإن جاءت في ديوانه المطبوع وفي المخطوط في دار الكتب المصرية (عمّرها الله) ؛ فإن أبا بكر الصولي يقول في مصنفه (كتاب الأوراق) في سيرة (أبي محمد القاسم بن يوسف) : « وقال – يعني القاسم هذا – يرثي ابنه أبا علي محمداً » وأورد القصيدة بتمامها ، وروى بعدها دالية للقاسم في رثاء ابنه محمد وبنين آخرين له تجانسها كل المجانسة . والصولي هو المشغوف بحبيب . وهو صاحب أخباره وجامع أشعاره فيستبعد أن يأخذ منه ليعطي غيره كما يستبعد أن يضل في الرواية ، وهو الراوية العظيم . وما حدثتنا (أخبار أبي تمام) له ولا (هبة الأيام) للبديعي ولا مؤلفات كتبت سيرة حبيب أن له ابناً ، كنيته أبو علي ، فجع به فرثاه بشيء ، ولا أن له ابنا اسمه محمد درج وأخوة[3] لأبي تمام في عام واحد فبكاهم بمقطوعة (أربعة أبيات فقط) ختامها :

تتابع في عام بنيّ وإخوتي ... فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً

ولا نعرف لحبيب ولداً إلا « تماما » ذكره الأنباري في « نزهة الألباء » في سيرة أبيه ، والصولي في كتابه « أخبار أبي تمام » وأورد له هذه الحكاية : « لما ولى محمد بن طاهر خراسان دخل الناس لتهنئته ، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده (وروى الصولي ثلاثة أبيات ركيكات) فاستضعفت الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال محمد لعبد الله ابن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على أمره : قل لبعض شعرائنا أجبه ، فغمز رجلاً في المجلس ، فأقبل على تمام فقال وروي ثلاثة أبيات ثالثها :

فهاك إن شئت بها مدحة ... مثل الذي أعطيت أعطاكا

فقال تمام : أعز الله الأمير ! إن الشعر بالشعر رباء ؛ فاجعل بينهما رضخاً من دراهم حتى يحل لي ولك . فضحك محمد وقال : إن لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرف أبيه . أعطوه ثلاثة آلاف درهم . فقال عبد الله بن إسحاق : ولقول أبيه في الأمير عبد الله ابن طاهر :

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت: كلا ولكن مطلع الجود

ثلاثة آلاف أخرى ، قال : ويعطى ذلك »

وأما صاحب النونية التي وهبها الوراقون أو غير الوراقين لغنيّ ، عنده قناطير – هو القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح القبطي ، وهو أخو أحمد بن يوسف وزير المأمون . قال الصولي : « لما ولي أخاه القاسم خراج السواد ، فجباه فضلاً مما جباه غيره في سائر أيام المأمون ، وكان أحمد بن يوسف إذا عرض على المأمون النفقات قال : يا أحمد ، القاسم يجمع ، ونحن نفرق... »

وقد اشتهر القاسم بمدح البهائم (أعني الحيوانات) ومراثيها . قال المرزباني في (معجم الشعراء) : القاسم شاعر ، حسن الافتنان في القول ، وهو أشعر من أخيه احمد وأكثر شعراً ، وهو أرثى الناس للبهائم

وقال أبو الفرج في الأغاني في أخبار أخيه احمد : شاعر مليح الشعر ، وكان قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها ، فاستغرق أكثر شعره

وقال الصولي في كتاب الأوراق : القاسم أسن من أحمد ، وأحسن شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم – من جميع المحدثين حتى إنه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي أن يسقط شيء من شعره ، لأنه كله مختار ، وللناس فيه فائدة » ثم روى له طائفة كبيرة من مراثيه في الجماعة ...

***

---

(١) مطلعها :

كان الذي خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

(٢) شيء مقارب : وسط

(٣) كان لحبيب أخ اسمه سهم ، ذكره البديعي في (هبة الأيام) وكان قصده في « سر من رأى » المدينة ، ثم عاد إلى دمشق

رأى الأستاذ توحيد السلحدار

فى كتابى : «الوعى القومى» و«دراسات عن مقدمة ابن خلدون»

أهدى أحد الفضلاء فى لبنان هذين الكتابين القيمين إلى صديقنا الأستاذ الكبير محمد توحيد السلحدار ، فلما قرأهما كتب إليه كتاباً جاء فيه :

ذكرتُ فى بعض ما كتبت « للرسالة » أن من أصحاب الفكر والذوق للمعانى مَن قال : إن الثقافة وعى أطراف صالحة من أثمار العقول ، العلمية والفنية والأدبية ، بها يلتفت المثقف إلى المبادىء والأسباب والقوانين ، ويرشد قومه إلى الأصلح الحالهم ، والأنفع لترقيتهم ، والأخلق بالإنسانية

وكتاب « الوعى القومي » لبادعه الفاضل ، الدكتور قسطنطين ذريق ، أستاذ تاريخ الشرق بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثمرة شهية من أثمار الثقافة الجدية ، ومثال رائع يتجلى فيه معناها

هو كتاب يبيّن حال الشرق العربى الحاضرة بعُجرها وبجرها ، ويعرف وسائل التخلص منها ، ويهديه – إذا هو أراد أن يهتدى – سبل الأهداف والمثل العليا والحياة بين الأحياء ، ويحثه على سلوكها

ولقد جمعت أجزاءه ووحّدت توجيهاته الحكيمة فكرته الأساسية مركّزة فى عنوانه المحكَم البليغ ، مرفرفة على كلامه السهل الممتنع الرفيع من أول البحث إلى آخره ، حيث هدأ القلم ، وحيث تفجّرت من سنّه حرارة وطنية وعاطفة إنسانية

قوّاه صاحبه بروحه العلمي ووضوح حجته ، وجمّله بنور بصيرته وبراعته الكتابية الفنية وبكياسته فى التمهيد للنقد وبيان العلل ، ولطف مدخله فى النصيحة . وقد شف كلامه عن عمق إيمانه بحقائق دعوته ، وحبه البين لأثمار العقول ، حبّاً يُكسب تلك الثقافة التى وصف ، وكلما أحرزنا حظاً منها تكشّفت لنا الأهداف القومية والمثل العليا التى لم يتورط فى تعريفها الآن ، لحكمة لم يرد بعض النقاد أن يدركها

أضف إلى ذلك فضل أخلاقه الكريمة من عفة لسانه فى صراحته ، ومن نزاهته عن التعصب والتحزب ، وصدقه وإخلاصه فى الدعوة للوعى القومى ، وكرامته وتواضعه تواضعاً يهبه العلم والأدب والتربية

استقصى واستوعب ، وشخّص الداء ووصف الدواء ، شارحاً دعوته فى إيجاز نير ، حتى يرى مَن لا يرى ، ويعلم مَن لم يعلم ، ويفهم من لم يفهم ، ويعمل من لا يعمل على مصلحة قومه

« فى الوعى القومى » آية للزمان ومدعاة إلى الاطمئنان على مستقبل نتمناه ، سواء أكان بعيداً كل البعد أم قريباً كل القرب

من أجل ذلك كله قد لا أكون مبالغاً إذا أنا زعمت أن هذا الصنيع الأساسى النفيس ، المبتكر بوحدته ومميزاته ومرماه وظهوره فى الشرق العربى فى إبان الحاجة إليه ، هو أجل كتاب بين الكتب العربية التى وضعت منذ أطفأ الدهر نور هذا الشرق

***

أما الأستاذ الكبير ، ساطع بك الحصرى ، فقد أبدع كذلك فى « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » إذ جاءت مصداقاً لتقريره « أن الطرافة فى الدراسات لا تتأتى من جدة الموضوع وحده ، بل قد تتولد من طرافة الطريقة والاتجاه أيضاً » ، فإنه خدم قومه باتجاهه العلمى ، وعرف الأصول التى اهتدى بنورها فى دراسة المقدمة ، وكان البادىء فى العربية بدراستها على الطريقة العلمية فيما أعلم

ذكر ، مثلاً ، أن كل عالم ومفكر يشاطر بوجه عام معاصريه أكثر أخطائهم ، ولذا فإن منزلته « لا تتعين بملاحظة جميع الآراء الصائبة والخاطئة المبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة ، بل تتقرر بملاحظة الآراء المبتكرة التى يسمو بها على معاصريه ، والحقائق الجديدة التى يضيفها إلى المكتسبات الفكرية البشرية ، والخدمات التى يقوم بها بهذه الصورة فى سبيل تقدم الأفكار والعلوم » ؛ وعرّف طرائق النقد الداخلى والنقد الخارجى والنقد التفسيرى ؛ ولاحظ أن مباحث المقدمة قسمان : « المباحث الأساسية ... تحوم حول علم العمران وأسس التاريخ مباشرة » ، و « المباحث الاستطرادية التى تأتى تمهيداً للأبحاث الأصلية أو إتماماً لها » : وأن عمل ابن خلدون فى هذه « لا يتعدى حدود النقل والجمع ، والعرض والتلخيص ، والترجيح والتسجيل ؛

شعر ناجي

للأستاذ دريني خشبة

لا يلبث الإنسان حين يقرأ شعر ناجي أن يستمع إلى نبضات قلب كبير ، ولا يلبث حين يفتح ديوانه أن يرى حوله جنات معروشات كلهن ألوان وكلهن صور وكلهن حياة ، وفيهن جمال وفيهن حب وفيهن دعة ؛ وبين أولئك جميعاً قلب ناجي الفنان ينبض ويُلوِّن ويبتسم ، ويُنبت في فردوسه الأعاجيب

وقلب ناجي هو باب شعره العذب ، بل هو معينه الذي لا ينضب . . . وقليل من الشعراء من يودعون شعرهم قلوبهم ، وقليل منهم من تحس أن لهم قلوباً تقول هذا الشعر المنمق الذي ينظمون أو تدين به . . . لأنهم ينظمون الشعر صنعةً ولا يمزجون به طبيعة ، والشعر إن لم يكن في الدم فلن يكون في الألسن إلا كما يكون الصفير في فم البيغاء

وقلب ناجي قلب وادع نبغ في الحب ، وفاض بالرحمة ، ومَسَّه الألم ، وانطبعت في صفحته الحياة بصورها المختلفة . فالحب والرحمة والألم تفيض صوراً حية في شعر ناجي ، والعجيب أنه أكثر شعرائنا ترديداً لقلبه في شعره ، حتى ليوشك أن يذكره في كل قصائده ، ولعله لا يعلم ذلك ، بل لعله لم يعرفه إلا الآن ، لأنه لا يتعمد شيئاً في شعره ، إذ كل هذا الشعر أو أكثره غناء ردده ذلك القلب ، وهتف به ذاك اللسان ، ودوَّنه هذا القلم . وأعجب من ذلك كله أن الصداقة بين ناجي وبين قلبه قد أنتجت لنا تلك الصور الخالدة في وصف هذا القلب الوادع .

فحب ناجي :

يشهد الليـل عليـه والنهارْ والشهيد المتوارى في الضلوعْ

وناجي :

يشرب من روعة السماء شعراً ويسـقى الفؤاد وحياً

ويقول مناجياً :

وحرقت قلبي من سـنا ك على جمـال يضطرمْ
كفراشة حامت عليـ ك وأى قلب لم يحُمْ !

ويذكر قلبه وهو يصف مغرب الشمس عند شاطىء البحر فيقول:

أما تلك فتظهر فيها قدرته الابتكارية وعبقريته الحقيقية »

وضع الأستاذ « أبو خلدون » دراساته على أصول الطريقة التي ذكر أسسها في شرح نظراته في آراء ابن خلدون ونظرياته . فنبه ، مثلاً ، إلى أن صاحب المقدمة استعمل كلمة العصبية « لغير معناها في المعاجم والاستعمالات الحالية » ؛ واستعمل كلمة العرب « بمعنى البدو والأعراب » ، فأدى ذلك إلى « أخطاء عظيمة » في فهم مقاصده ، وأظهره « بمظهر المتحامل على العرب ، وحمل بعض الشعوبيين على الاستشهاد به ، كما دفع بعض القوميين إلى الهجوم عليه »

وكشف الأستاذ الفضال خطأ الذين « ظنوا أن ابن خلدون يعزو أهمية كبيرة إلى البيئة الجغرافية ، كما زعموا أنه يعتبر الدين أهم عوامل الاجتماع » ؛ وأيد بالبحث والموازنة أن ابن خلدون أحق من الغربيين « باسم مؤسس فلسفة التاريخ أو علم التاريخ » و « بلقب مؤسس علم الاجتماع » ؛ وأظهر مكانة هذا العالم العربي في نظر علماء الغرب

جمع المؤلف المحرر أشتات كل رأى لابن خلدون من أبواب المقدمة وفصولها بعد أن نظر في الفصول المنسية في الطبعات المصرية والبيروتية للمقدمة ، وهي موجودة في الترجمتين التركية والفرنسية المطبوعة في باريس ؛ وقابل هذه الآراء والمبتكر منها بما سبقها وبما جاء بعدها من آراء تتعلق بفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وعيَّن ابتكارات ابن خلدون وبيَّن « كنه نظريته في العصبية ، وآراءه الأساسية في الحياة الاجتماعية البدوية والحضرية » ؛ فجاءت نظرته في المقدمة نظرة ناقد مثقف بصير

ألا إن فضل ساطع بك الحصرى هو ، على الخصوص ، في الطريقة العلمية التي اتبعها في دراساته ، وفي اتجاهه وأسلوبه الفني في الإحياء الثقافي ، وفي قدرته على القيام بهذا العمل الدقيق النافع الذي توخاه ، وصنيعه النفيس دليل على تقديره وإجلاله لتراثنا العربي العظيم ، وعلى تحقيقه النظر فيه واجتهاده في تفهيمنا إياه ونحن في حاجة ماسة ، ليست تنتهي في زمن قريب المدى ، إلى مثل هذا النوع من الكتابة والتأليف . وذلك وجه من أوجه الإحياء الذي يدعو إليه « الوعي القومي » لإيقاظنا من سباتنا العميق .

محمد توحيد السلحدار

تقول: هل الشمس قد خضّبته ... وخات به دمها المهْرَقا
أم الغرب كالقلب، دامى الجراح ... له طلبة عز أن تُلحقا
لنا الله من صورة فى الضمير ... يراها الفتى كلما أطرقا
يرى صورة الجرح طىّ الفؤا ... د ما زال ملتهباً محرقاً!

ويخاطب حبيبه ساعة الغروب فيقول:

قد جعلت النسيم زاداً لروحى ... وشربت الظلال والأضواء
مرّ بى عطرها فأسكر نفسى ... وسرى فى جوانحى كيف شاء
نشوة لم تطل، صحا القلب منها ... مثل ما كان أو أشد عناء!

ويناجى حبيبه الهاجر قائلاً:

أيُحرَم حتى وهم حبك من رمى ... بمهجته فى ناره دون إحجامِ
وأنفق فيه قلبه وشبابه ... فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامى
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألنى قلبى: متى يرجع الرامى؟

وأسرى بوهمه ينشد الآمال فلم يصحب إلا قلبه، فهو يقول:

انفردنا، أنا والقلب عشيّا ... ننسج الآمال والنجوى سويّا
فركبنا الوهم، نبغى دارها ... وطوينا الدهر والعالم طيّا
فبلغناها، وهلّلنا لها ... ونزلنا الخلد فينانا نديّا
ولقينا الحسن غضّا والصبا ... وتملّينا الجلال الأبديّا

***

قال لى القلب: أحقاً ما بلغنا؟ ... كيف نام القدر الساهر عنا؟
أتراها خدعة حاقت بنا؟ ... أتراها ظنّة مما ظنّنا؟
قلت لا تجزع فكم من منزل ... عزّ حتى صار فوق التمنى
أذن الله به بعد النوى ... فثوينا، واسترحنا، وأمنّا!

وينتظر حبيبه مرة فى ظلام وريح وبرد فيصف هذا ويشرك فى الوصف قلبه قائلاً:

ولما لم تفز بلقاك عينى ... لمحتك آتياً بضمير قلبى
فأسمع وقع أقدام دوان ... وأنصت مصغياً لحفيف ثوب
وأخلق مثلما أهوى خيالاً ... وأستدنى الأمانى والحبيبا
وأبدع مثلما أهوى حديثاً ... لقاء صار من قلبى قريبا
أمد يدىّ فى لهف إليه ... أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقنى إلى لقياه قلبى ... وثوباً... ثم يرتد فى ضلوعى...

ويزكيه حبه ويطهره، ويدنيه من منازل الملائكة:

سموت كأنما أمضى ... إلى رب يُناديني
فلا قلبى من الأرض ... ولا جسدى من الطين!

ويقول وقد نعم بلقاء:

نحن أرواح حيارى افترقت ... ثم عادت فتلاقت فى شجاها
سوف ينسى القلب إلا ساعة ... من رضاك وكرك الحانى قضاها
هتف القلب وقد حدثنى ... أى ماض كشفت لى شفتاها
همست فى خاطرى فاستيقظت ... روحىَ الحيرى وأصغت لنداها
فأنا إن لم أكن توأمها ... فكأنى كنت فى الغيب أخاها
نحن أرواح حيارى ثملت ... وانتشت سكرى على لحن أساها

ويقول معاتباً على طول الهجر:

لقد أسرفت فيه وجُرتِ حتى ... على الرمق الذى أبقيتِ فينا
كأن قلوبنا خلقت لأمرٍ ... فمذ أبصرن من نهوى نسينا
شُغلن عن الحياة ونحن عنها ... وبتن بمن نحب موكلينا (!)
فإن ملئت عروق من دماء ... فإنا قد ملأناها حنينا

وتؤلمه الوحدة فيقول:

تلفت القلب مطعوناً لوحدته ... وأين وحدته؟ بانت كما بانا
حتى إذا لم يجد ريّا ولا شبها ... أفضى إلى الأمل المعطوب فاقتاتا

ومن شعره وهو يافع:

عجباً لقلب هيض منك جناحُه ... وجرى به نصل الندامة يذبح
ومضى الحمام يدب فيه، فإن جرت ... ذكراك طار إليك وهو مجنح
لهفى على الناقوس بين جوانحى ... وعلى بقية هيكل لا تصلح!

وهكذا نسرف هذا الإسراف فى عرض تلك النماذج العالية من أشعار ناجى فى القلب عامدين... لأننا مهما قصدنا فى إطراء هذا القلب النابض الذى أبدع لنا ذلك الشعر دون أن نعرض تلك النماذج القليلة، فربما ظن ظان أننا نغلو فيما نذهب إليه من أحكام...

والعظيم فى هذا الشعر أن أكثره مما سبق إليه ناجى

وابتدعه ابتداعاً ... فالشهيد المتوارى فى الضلوع ، والقلب الذى يحرقه الشاعر من سنا حبيبه على جماله المضطرم ، فهو كالفراشة تحوم على هـذا الحبيب ؛ وهذه الشمس الغاربة فى اليم بين السحب شبه الجرح فى القلب الوامق ؛ ثم هذا البيت الفريد :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى !

هو ما يعدل ألف بيت من جيد الشعر عنـد من يقدرون الشعر ؛ ثم هنا المحب الذى ينتظر حبيبه فيلمحه آتياً بضمير قلبه ؛ ثم هذه الأحاديث التى يتحدثها القلب ، ثم هذا القلب الذى يسبق صاحبه للقاء الحبيب :

أمد يدىّ فى لهف إلـيـه أشـاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقنى إلى لقياه قلـبى وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى !

ثم هـذا القلب الذى يطهره الحب حتى لا يكون من هذه الأرض ؛ وامتلاء العروق بالحنين بدل الدماء التى تتدفق من القلب ؛ واقتيات القلب بالأمل المطعون وقد خاب رجاؤه ... ثم هذا الفؤاد الذى هيض جناحه ومضى الِحمام يدب فيه حتى إذا جرت ذكرى الحبيب طار إليه بجناحين قويين فتيين !

كل هذا وذاك من ثروة الشعر التى ينطوى عليها قلب ناجى والتى يجود بها سهلة هيّنة ليّنة فى غير تـكلف ولا تعقيد وللدم من حب ناجى ومن خياله وشعره نصيب عظيم . ألم نقل إن الشعر إن لم يكن فى دم الشاعر فلن يكون فى لسانه إلا كما يكون الصفير فى فم الببغاء؟

إسمع إليه يقول وقد صافح حبيباً :

أهاب بنـا قلبـينا منـاد ضمّ روحينا

كأنا إذ تصافحنـا تعانقنـا بكفيّنـا

كأن الحب تيـار سرى ما بين جسمينا

يؤجج فى نواظرنا ويشعل فى دماءينا !

ويخاطب القمر فيقول :

قمر الأمانى يا قمـرْ إنى بهـمّ مستقم

أنت الشفاء المدّخرْ فاسكب ضياءك فى دمى !

ويخاطب الجمال الضنين :

كأنك النسّم النشوان منطلقاً أظل كالنفس الحيران أتبعه

تمال وادنُ بيوم لا نحس به أجسادنا ، فى صفاء لا نضيّعه

لـكن أحـبـك تجرى فى صميم دمى

أنت الحياة ، وأنت الـكون أجمعه !

ويسائل حبيبه متى يلتقى ؟

متى يرقّ الحظ يا قاسى ؟ ويلتقى المندىّ والناسى ؟

متى ! وهل من حيلة فى متى ؟ وفى خيـالات وأجداس

هدّ قرارى جريهـا فى دمى وهمسها فى كر أنفاسى !

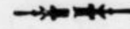
وهكذا يتدفق شعر ناجى من قلبه فى دمه ، وهكذا تروى به روحه وحواسه ، فيكون فيها حباً ورحمة وألماً ، وسترى كيف ينطبع هذا الشعر الجميل الوادع فى قلب ناجى صوراً تشمل الحياة كلها ...

(يتبع) **درينى خشبة**

٣ - القرآن الكريم
في كتاب النثر الفنى

انظاره إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



الإعجاز إعجازان ، إعجاز معنى وإعجاز أسلوب . والإجماع منعقد عليهما كليهما فى القرآن ، لكنه إذا أطلق لا ينفك عن إعجاز الأسلوب ، لأن الأدب أسلوب قبل أن يكون معنى ، إذ المعنى للعقل والقلب ، فهو مشترك أو يمكن أن يكون مشتركاً بين اللغات . أما الأسلوب فخاص غير عام ، لكل لغة أساليبها ، بل لكل أديب أسلوبه . فمن ينكر الأسلوب فقد أنكر الأدب فى الواقع

وموقف الدكتور زكى مبارك من قيمة الأسلوب موقف عجب . فهو يجمل الأسلوب فصلاً بين لغة ولغة ، ولكنه لا يجمله فصلاً بين أديب وأديب أو بين بليغ وبليغ . فالفصاحة والبلاغة عنده للمعنى ، لا للفظ ولا للأسلوب . اقرأ له إن شئت فى صفحة ٦٨ من الجزء الثانى قوله : « ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما فى المعنى من قوة وروح » . وبعد أن أورد القطعة المعروفة التى أولها : لو كنت من مازن لم تستبح أبلى بنو اللقيطة . عقب عليها بقوله « وهذه القطعة من بدائع الشعر العربى . وهى قطعة خالدة ستظل قوية بارعة ما بقى فى العالم ناس يفهمون سر العربية . ومع هذا لا تستطيع أن تجد فيها ألفاظاً يعز على غير قائلها الوصول إليها ، أو أسلوباً فى التعبير يتميز عن غيره من الأساليب . وجمالها كله يرجع إلى دقة المعنى وطرافته وتخير الألفاظ تخيراً يجعلها تتمثل مع المعنى كتلة واحدة »

ثم اقرأ له بعد ذلك « وقد نجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى غايات الإبداع . ومثال ذلك قول حطان بن المعلى يشكو فقره وما وضع القدر فى رجليه من قيود الأهل والذرية :

أنزلنى الدهر على حكمه من شامخ عال إلى خفض

وبعد أن استوفى القطعة المعروفة قال : « وقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ولا إلى الأسلوب » . وهو فى تفريقه هذا بين الشاعر وأسلوبه كمن يفرق بين المرء ووجهه أو بين الوجه وقسماته ، فالأسلوب هو الشاعر والكاتب ، والشاعر والكاتب هو الأسلوب . أو بعبارة أدق ، الأسلوب هو مظهر الأديب ومعبره سواء عبر عن كل ما فى نفسه أو عن بعضه ، فهو كل ما يعرفه الناس من الشاعر أو الكاتب ، ولعل التفاوت فى الأدب هو بقدر التفاوت فى تعبير الأسلوب عن صاحبه ، فأقدر الأدباء هو أكثرهم تمثلاً فى أسلوبه . لكننا نترك هذه المسألة للمشتغلين بالأدب يتنازعونها بينهم ، يوافقون الدكتور أو يخالفونه ، لكن الذى يهم فيما نحن بسبيله هو إنكار الدكتور فى الظاهر كل قيمة للأسلوب ، واضطراره فى النهاية إلى الإقرار له بكل قيمة حين جعله هو والمعنى كتلة واحدة كما رأيت فى تعليقه على القطعة الأولى ، وكما ترى له فيما يأتى :

« ولا جدال فى أن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التى تسيطر عليها . وعلى هذا الأساس وجد الأسلوب الجزل والأسلوب الرقيق . فالرقة والجزالة من مقتضيات المعانى لا الألفاظ . فالمعنى الجزل له لفظ جزل ، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق . فإذا غلبت الرقة على شاعر مثل البها زهير فرجعها إلى الفكرة لأنه شاعر وديع يعبر عن معان وديعة يلهم أمثالها أصحاب الوداعة والرقة من الشعراء المترفين . وإذا غلبت الجزالة على شاعر مثل المتنبى فرجعها أيضاً إلى الفكرة لأنه شاعر طامع فى أسمى ما يطمح إليه فحول الرجال... » ص ٧١ وهو فى هذه القطعة يجعل المسألة مسألة ألفاظ ولا يجعل للتركيب شيئاً ، ثم يجعل اللفظ هو والمعنى شيئاً واحداً ، كأن المعنى إذا قام بالذهن ، والشعور إذا قام بالنفس ، جاء اللفظ طائعاً ، جزلاً أو رقيقاً حسب المعنى أو الشعور . وهو لا يلتفت إلى ما يستلزمه هذا الرأى من وجوب اتحاد الأساليب باتحاد المعانى عند الأدباء ، مما هو باطل بالبداهة ، بل يزداد إغراقاً وإغراباً إذ يقول : « ثم تقرر أن الألفاظ ملك للجميع يحذونها حيث أرادوا فى المعاجم والدواوين ! (والتعجب من عندنا) ولا يبقى موضعاً

للجهد والعنت أو العبقرية إلا المعاني والأغراض

... إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية . ولكن معناه أننا نقرر أن الفكرة تجيء أولاً ويجيء الورق ثانياً كما يقول الفرنسيون » . وهو يريد بالورق فيما يبدو الألفاظ والأسلوب الذي سيبدو على الورق ، فإذا كان ذلك كذلك فقد رجع بعد طول الحوار والخلاف إلى ما عليه جمهرة الأدباء من أن المعنى أهم من الصناعة الفنية ولكن الصناعة الفنية لها قيمتها ووزنها . والأمر إليك الآن في أن تجد إسماً لهذه الظاهرة في كلام صاحب النثر الفني : سمها تناقضاً ، أو سمها اضطراباً وتبلبلاً ، أو سمها رجوعاً عن مذهب ظن أنه ابتكره إلى مذهب الناس ، وإن شئت فسمها رجوعاً إلى الحق إن كنت ممن يحسنون به الظن

ولكن — وهذا هو لب الموضوع وروحه — هل تظنه حكم للقرآن بشيء من ناحية الأسلوب ؟ سأترك صاحب النثر الفني يعبر عن نفسه بقدر الإمكان . قال متمماً لكلامه السابق :

« وقد رأى ناس قول الباقلاني (ليس القرآن من جنس كلام العرب) فقرروا خاطئين أن القرآن يخالف ما درجت عليه البلاغة العربية من حيث الأسلوب . ولو سألتهم عن تحديد معنى الأسلوب لعجزوا عجزاً مبيناً ، لأن الأسلوب في رأينا هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه » — ولا يخطر لصاحب هذا الكلام أنه قد هدم كل ما قاله من قبل ، وجعل الأسلوب هو كل شيء ما دام هو الصورة الظاهرة للعقل والروح والفكرة والغرض ، وهذه عنده هي كل شيء ، فمعه يحكم للأسلوب القرآني بشيء — « وليس في مقدور أحد من المتفوقين في علوم البلاغة أن يحدد الأسلوب تحديداً منطقياً يجمع خصائصه ويمنع ما يتطرق إليه من غريب الأوصاف ، أو أن يدلنا على خواص أسلوب القرآن دلالة واضحة بريئة من عوارض اللبس والغموض ، فإن ألفاظ القرآن كألفاظ كل كلام عربي مبين لا تمتاز باللفظ ولا بالأداء وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح » !

أترى صاحب هذا الكلام يعقل ما يقول ؟ إنه يطالب غيره بتحديد الأسلوب تحديداً منطقياً . ألا يتعلم أولاً من المنطق كيف يكون التفكير ؟ ألفاظ القرآن لا تمتاز باللفظ ! طيب ! ولا بالأداء ! طيب أيضاً ! فهذا هو مذهب الدكتور . وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح ! ألم يقل هذا الرجل قبل ذلك بأسطر إن الأسلوب في رأيه هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه ؟ أليس معنى ذلك أن الأسلوب يمتاز بامتياز ما يمثله من روح وفكرة ومرمى ؟ فكيف استقام عنده أن يمتاز القرآن بالمعنى والغرض والروح ولا يمتاز باللفظ ولا بالأداء ؟ ألم يقرر من قبل أن المعنى الجزل له لفظ جزل ، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق ، وأن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التي تسيطر عليها ؟ فكيف جاز في تفكيره أن يكون للمعنى القرآني امتياز لا يكون مثله للفظ القرآني والأسلوب ؟ إن هذا الرجل لا يدري أنه بقوله هذا يجمع على نفسه إنكار إعجاز المعنى إلى إنكار إعجاز الأسلوب !

والعجيب من أمره أنه يمضي على وجهه بضرب الأمثال لرأيه ذلك من القرآن إذ يقول : « فإن أراد أحد شاهداً على ما نقول فإنا نفتح المصحف عرضاً بدون تخير ، ثم ننقل آيات لنسأله أن يعين ما جاء فيه غريباً عن الأساليب العربية . ولنختر خمس آيات من مطلع سورة الأنبياء : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةً قلوبُهم ، وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) »

ومن قبل أن يستتم المعنى بالآية السادسة على الأقل (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ، أفَهُم يؤمنون) جعل يسأل القارىء « فأين تكون غرابة الأسلوب في هذه الآيات الخمس ؟ وأين يكون السياق الفني الغريب عن الأعراب ؟ أليس مرجع الروعة في هذه الآيات إلى المعنى والروح ؟ أترونها تمتاز بالسجع ؟ وكيف والسجع كان معروفاً قبل القرآن ؟ أترون ألفاظها متخيرة منتقاة ؟ هو ذلك ، ولكن كيف يدور اختيار

الألفاظ ؟ أترون لاختيار الألفاظ مداراً غير موجبات المعانى والأغراض ؟ » أسئلة يرسلها على القارىء كأن القارىء حكم فى الموضوع ، وليس كل قارىء يستطيع الحكم فيه . ومع ذلك فإن صاحب النثر الفنى قد دل بتلك الأسئلة على أنه ليس من الأدب ولا من صحة التفكير فى شىء ، وإلا فأين فى اللغة العربية كلها يجد خارج القرآن أسلوباً كأسلوب تلك الآيات الخمس ؟ ليدل قراء العربية عليه إن كان يستطيع . وأمامه الآيات قد عرف معناها — إن كان قد عرفه — فليعبر عن المعنى ، وليحتفل ، ولينظر أين يصل به الجهد . بل ليختر آية منها ، أيها شاء ، وليقصر محاولاته عليها ولو بتغيير لفظ ، أو تغيير حرف ، أو تغيير ترتيب ، ثم لينظر هل يمكن أن يأتى بشىء يقبله منه أهل العربية أنه عدل الآية ، أو قريب منها ، أو يمكن أن يوضع وإياها فى ميزان . إنه التحدى القديم أطرحه فى أبسط صورة عليه الآن من جديد

ويزعم زكى مبارك أن السياق الفنى فى تلك الآيات ليس غريباً عن الأعراب . فمن أين له ذلك وهو يقول أن : « ما نقله الرواة من النصوص لا يكفى لتعيين أساليب النثر فى العصر الجاهلى . وهو على قلته مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية »[1] ؛ فمن أين له تعيين أسلوب الحواضر فضلا عن أسلوب البوادى حتى استطاع الحكم ؟

ويقول الدكتور زكى مبارك إن السجع كان معروفا قبل القرآن ، جواباً على ما افترض على لسان القارىء من امتياز الآيات بالسجع ، كأنه يظن أن مجرد وجود السجع هو الامتياز . فإن كان هـذا هو المراد فقد أنطق القارىء بجواب غير معقول ليأتى عليه برد معقول ! أم هو يرى أن ما سماه فى الآيات سجعاً هو سجع من السجع لا فضل له على ما سواه . هذا هو لازم رده على ما أنطق به القارىء من جواب ، إن كان يرى أنه أحسن الرد . وإذن يكون رده ذلك دليلا على تسويته فى التقدير بين سجع القرآن وسجع غير القرآن

ثم يمضى الدكتور زكى مبارك فى استشهاداته يقول :

« فإن كانت هذه الآيات الخمس لا تكفى فإلى القارىء شواهد أخرى من القرآن المجيد . يقول الله عز شأنه (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) وأنا أشهد صادقاً أنى ما فكرت فى هذه الآية إلا دهشت من سمو هذا النصح النبيل . فأين يكون جمال هذه الآية ؟ أترونها من جنس غير جنس كلام العرب كما زعم الباقلانى ؟ هيهات ! إن ألفاظها تشبه جميع الألفاظ وتركيبها لا يتميز بشىء عن غيره من التراكيب » . ثم يستكمل الاستشهاد بقوله : « على أنه من الخير أن نسوق الآية كاملة لنتبين كيف يمكن أن تكون بعض أجزاء الآية الواحدة أقوى من بعض : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » . ألا ترون إن أنصفتم أن كلمة « اعدلوا هو أقرب للتقوى » تقل فى قوتها عن كلمة « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » . فما هو سبب التفاوت ؟ لا يظن أحد أن مرجع التفاوت هو الأسلوب ؛ فإن القرآن تفرد فى رأى مخالفينا بوحدة الأداء والتعبير . فلم يبق من فرق بين صدر الآية وعجزها غير تفاوت المعنى . والتفاوت هنا جاء من أن صدر الآية معنى بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء ، على حين نرى عجز الآية يؤدى معنى مفهوماً لدى جميع الناس » !

فهل ترى هذا الرجل يفهم قوله تعالى « اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » ؟ لو كان يفهمه ما قال أنه مفهوم لدى جميع الناس . وأى ناس يا ترى ؟ الناس الآن الذين ألفوا القرآن ، أم الناس فى الجاهلية ، أم الناس فى صدر الإسلام ؟ وبأى ميزان يا ترى تبين له التفاوت بين جزءى الآية ؟ إنه لا يفهمهما رغم تحمسه لأولها ، وإلا ما افترض أن الإنصاف يقضى بالاعتراف بأن ثانى الجزءين دون الأول ؛ بهتاناً يلقيه بغير دليل . إنه يرمى الكلام جزافا ، وإلا ما قال إن المعنى الأول بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء والثانى غير بكر ، مع أنه هو الذى لا يمكن أن يجرى إلا بوحى على ألسنة الأنبياء

ثم إن الرجل يكذب حين يزعم لك أنه أورد الآية كاملة . فهو لم يورد إلا نحو ثلث الآية ، على جلال ما أورد . فالآية هى من سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ،

(١) الجزء الأول صفحة ٣٥

دجلة فى الليـــل

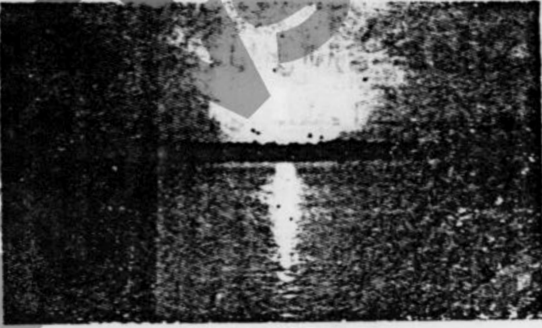
« تهـدى إلى أخي الأسـتاذ على الطنطاوى
شقيق القلب والروح ، والرفيق فى الغربة والسفر »

للأســتاذ أنور العطار

الليـل فى بغـداد لا يـنام
سهران تصبى روحه الأنغام
ويـــتيه الوجـد والهيـام
واللهو والايناس والمدام
والشعر والأوهام والأحلام

أنور العطار

أسكُبِ النــورَ ياقمـرْ   واغمُـرِ النهـرَ بالصـورْ
وأذِعْ فرحـــةَ الهوى   وأَشِـعْ لذةَ السـمر
واتركِ القلبَ حالمـاً   ناسـياً روعةَ الغِيَر
يجمَـعُ النفسَ كلَّـها   مِنْ تَشَهِّيهِ فى النظر
هاهنـــا الليـل شاعر   مُلْـهَمٌ خَيِّرُ الفِكَر
مُستطارٌ إذا انتشى   مُستثارٌ إذا اذَّكَر
مِــلْءُ أفيائِهِ السنا   مِـلْءُ أعطافِهِ الدُّرَر
فى وشـــاحٍ مُنَمْنَمٍ   ساحرٍ فتنـةِ البصر



دجلة فى ضوء القمر

والنســيمُ الذى يطَـوِّ   فُ بِشـعرٍ لِمنْ شَعَر
ونشــيدٌ مُسلســلٌ   فى العَشيَّاتِ والبُكَر
ما أُحَيْلاهُ ساجياً   ما أُحَيْلاهُ إنْ فَتَر
طافَ بالأعينِ الرُّقادُ   وما شفَّنى السهـر
يتصبَّانىَ النخيـلُ   ويغـريني النَّهَـر
فى ثنـاياهُ صـورةٌ   حُلْوَةٌ كلُّها سِيَر
بأبى أنتَ مَـوْرِداً   ليسَ فى وِرْدِهِ كَدَر
يتشهَّـاك خاطـرى   وتـلَى بكَ الذِّكَر
إن تثَنَّيتَ فالنـدى   أو تأوَّدْتَ فالطـرر
أو تَسلسلتَ صـافياً   فأخـو الدَّلِّ والخَفَرْ
مرَّ بى طيْفُـكَ الحبيبُ   وكم طائف سَحَر
فى أساريره فتـونٌ   وفى طَرْفِهِ حَوَر
المنى طَـوْعُ أمره   ما تمَنَّى وما أمَر
والشَّذا منـه عابِقٌ   فَاغِمُ العطـر منتشر
فعلى الشمسِ عرشُـهُ   وعلى هامِها استقر
هوِ ريحـانةُ العُـلى   فيه مِنْ عبْقَرٍ أثر

* * *

عدتُ للغـابر البعيدِ   أُناجى الذى غبر
أتأسَّى بمـا انطـوى   أتعزى بمـا استتر
هاهنـا تخشع القلوب   وتصـبو وتنفطـر
ها هنا سيرة الزمان   وعاهـا الذى ذكر
ها هنـا الكونُ سابحٌ   فى خِضَمٍّ من العِبَر
أنتَ لى الحبُّ والمنى   أنت لى القصدُ والوطر
ليسَ لى عنكَ مُبتغًى   ليس لى عنك مُصطَبَر
أتنـاسى بكَ الأسى   غَمَرَ النفسَ ما غمر

هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون »

بقى شاهد من عدة شواهد لا يتسع لها المقال : « ثم لننظر قوله جل ثناؤه : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » هـذه من غرر الآيات القرآنية فأن يقع منها الحسن ؟ أترونه فى اللفظ ؟ أترونه فى الأسلوب ؟ وكيف وهى ألفاظ يجدها من يريد ، فى أسلوب واضح يدركه جميع المخاطبين ويستطيعه جميع الكاتبين ؟ إن الجمال هنا فى الروح العالى ، حيث يخاطب الله الآثمين وقد ألقى بهم فى نار الجحيم » . ولو كانوا فى نار الجحيم لجاز أن يشغلهم العذاب عن سماع الخطاب ، ولكنهم فى موقف الحساب قبل أن يحكم عليهم بالنار ، وشتان بين وقعى الكلام فى المقامين . ولكن صاحب النثر الفنى لا يدرك من دقيق الإعجاز ولا جليله شيئاً ، لا فى المعنى ولا فى الأسلوب ، ولا فى مقتضى الحال . فسيان منه الإنكار والإقرار . فإقراره — لو أقر — إقرار مخطئ ، وإنكاره إنكار مغرور

محمد أحمد الغمراوى

وآحنيني إلى الضفاف تزاحمن بالشجر
وتسابقن بالرؤى وتساجلن بالصور
وتلامسن بالهوى وتهامسن بالسير
ورون الذى انقضى وأذعن الذى استتر
أنت يا نهر عاشق من صباباتك القمر
مر بالماء صورة فتنت كل من نظر
وينابيع حفلا باللآلى وبالدرر
والنجوم التي ترف إطار من الزهر
وربيع من المنى ورياض من الثمر
يتوهجن كاللظى يتراقصن كالشرر
فيك ما يملأ النهى فيك ما يبهر البشر
آية أنت للعلى راية أنت للظفر
يتثنى بك الزمان ويزهى بك العصر
ويباهى بك الجلال ويندى ويزدهر
رب ماض بمشتهى مثلما يجمع النشر
رف كالحلم خاطفا وتوارى وما انتظر
لم ينل منك غابر لم يعب حسنك القصر
أنت كالحب سارب أنت كالعمر مختصر
أنت كون من الشمو س سنا ضوئها بهر

***

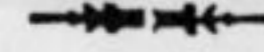
بت أستلهم الرؤى بت أستقرئ الذكر
والهوى طائف يجد وكم يركب الغرر
لا يخاف الردى الرهيب ولا يعرف الحذر
مرن الخوض والدجى ألف الشدو والسحر
ليس تثنيه غمرة طال ذا العمر أو قصر
هو ترب المدى الخفى أخو الدهر والقدر
طاف بالغابر القصى لياليه والنهر
فى تضاعيفه النعيم وفى طيه سقر
يا له من متيم يعشق النأى والسفر

***

أيها الهاجر الذى عذب القلب مذ نفر
أنت وحى أحبه ورد الفكر أو صدر
كل ذنب جنيته هو فى الحب مغتفر
لا تكلنى إلى الأسى لا تكلنى إلى الضجر
حسب روحى الذى مضى حسب قلبى الذى عبر
قم نعد سكرة الهوى فالهوى كله سكر
ونحوم على الخلود ودارانه الأخر
فهنا الكون عابق أرج زهره عطر
سامح الحب إن هفا واعف عنه إذا هجر
المنى طوع من رثى والهوى حظ من صبر
والهوى سلوة النفوس وبحبوحة العمر
كل من ذاقه استعا د صباه الذى غبر
وتروى من الحياة ومن روضها النضر
لذة العيش فى الصبا راحة البال فى الصغر
كل أحلامه سنا كل أطيافه غرر
وأراجيح طفح بالألاعيب والأكر
وأساطير عكف يتمرغن بالسرر
نذر القلب أن يحن ويا صدق ما نذر
بعث الشعر سلسلا كالينابيع تنفجر
أو كما يحفل الغمام وينهل بالمطر
فإذا اهتاج فالحمام وإن حن فالوتر
فامرحى يا خواطرى وغنى لأنس إن حضر
وسلى « دجلة » الرضا عن محب بها فكر
خيرتى أنت فى الدنيا ليتها تصدق الخير
وهواى الذى طغى والهوى طامع أشر
قد تفردت بالجمال وبالمجد والخطر
حبذا منك رشفة كل من عبها سكر
خطرت فامحى الأسى وبدت فانجلى الكدر
ومشى الحب بى إلى عالم كله سمر
جن شوق إلى الحمى فهمى الدمع وانتثر
يالقلب موله شفه الوجد فاستعر
ذكريات هى الحياة وماض هو العمر
من رعاه فقد وفى من قلاه فقد كفر
ليس فى شرعة الهوى هائم إن نأى غدر

مستقبل العلم

للأستاذ خليل السالم



إن التطلع إلى الأمام ، وبحث المستقبل وتصويره ميزات يتسم بها الرجل الحصيف أو الدولة الواعية أو الحضارة العاقلة . ومهما يتضمن هذا البحث من سمة الخيال ، وأحلام الشعراء ، وظوبيات الفلاسفة فإنه دون ريب يجعل من المستقبل صورة مثالية حية فى فكر الإنسان ، تتكيف حسب آماله ورغباته وتفرض على الواقع أن يقترب منها ويسمو إليها

والعلم اليوم يجتاز مرحلة قاسية عصيبة من مراحل تطوره تدخل إلى نفسه شيئاً غير قليل من الحيرة والقلق على . مصيره ؛ فبعض المفكرين يصبون عليه نقمة السماء ولعنة الأرض ، ويدعون أنه علة الشقاء والويلات التى تحيق بالبشر وتفسد حياتهم . لقد سخر الأرض لتدب عليها جبال الحديد ملؤها الموت والدمار ، وسخر الهواء لتركب متنه نافثات اللهب وقاذفات القنابل وحاملات الجراثيم والغازات ، وسخر الماء لتمخر عبابه مدن النار وألغام المغنطيس التى تأتى فى اليم بملايين الأرواح دون أن تقيم للحياة أى وزن ؛ وأتاح لنار الحرب أن تمتد وتأكل اليابس والرطب لا يسلم من أخطارها وفظائعها قطر أينما كان موقعه على وجه الأرض . وبوجه عام لقد وضع العلم فى يد الشر والعدوان معاول الهدم التى تدك صرح الحضارة وتطمس معالمها

وفشل العلم فى أيام السلم أيضاً ، فالآلة التى قدمها لتعزز الصناعة وتضاعف الإنتاج وسعت نطاق البطالة وتركت ملايين العائلات تتضور جوعاً وترتجف عرياً وتعمى جهلاً . وحرم العلم ملايين العمال أى متعة وأى هناء بينما كدّس لأصحاب العمل المال الطائل والربح الوافر . فالنظام الاقتصادى الذى تمخضت عنه الصناعة العلمية جائر سيئ لا ييسر لجميع الطبقات أن تستفيد من الإنتاج وتأخذ قسطها العادل من الثروة ، فكان الفقر المدقع وكانت الأزمات المروعة ، وكانت الثورات الدامية

ومن جهة أخرى ينظر رجال السلطة الذين استفادوا من العلم أولاً إليه كلغم خطر يضعه الفكر تحت مناصبهم وعروشهم ، فإنه إن قوى وامتد وعم جميع الطبقات كما تبشر الحركات العلمية الناشطة فإن هذا اللغم سيشتعل بالاحتكاك المباشر وينسف تلك الكراسى ، وينزع السلطة من أيديهم ، ويقلب النظام القائم فتتغير القيم الأخلاقية ، وتتعدد أنماط الحياة وتتعقد

وفشل العلم فى دراسة طبائع الناس ، فبينما العلم الفنى التطبيقى يعدو ويطفر ، إذا العلم النفسى الاجتماعى يتسكع ويدور حول نفسه ؛ فالقوانين المسنونة لا تمنع الجريمة ، ونوازع الشر والإثم تساور الأخيلة ، والنفس البشرية لا تزال متخلفة إلى الوراء تحمل فى طياتها بقايا الوحشية التى تشحذ أظفارها وتكشر عن أنيابها كل عقد من السنين فى الحرب الضروس . وها هى ذى الإنسانية تتجرع غصص حرب طاحنة شاملة ، وإذا تساوت الأمور سيبقى شبح الحرب المرعب مهدداً حلم الأمن والطمأنينة فى نفوس الناس

وأخو الحبِّ ثابتٌ ليس يلويه   مُزْدَجَرْ
رُبمـا عاش بالمُنى   ربما عاش بالفِكَرْ
هو ذا الزَّوْرَقُ الحبيبُ   على مائِـكِ انحَدَرْ
حمل الأُنس والرِّضـا   والمسرَّاتِ والبُشَرْ
واستفاضت لُحونه   تغمر البدْوَ والحَضَرْ
ها هنا يَطربُ الثَّرى   ها هنا يشعر الحجرْ
ها هنا تُسلس الطِّباع   وتستأنسُ الفِطَرْ
غَنِّنِى أطيب الغناء   وناجِ الذى خطرْ
فلقد يثملُ الهوى   ولقد يَسْكَرُ الوَتَرْ

* * *

إيه (بَغْدادُ) هل يعودُ   الجلالُ الذى اندثرْ
فأرى تاجكِ النَّضيرَ   على الكون يَنضفرْ
وأرى الأرض كلها   وهى مهدٌ ومستقرْ
آيةٌ أنتِ فَذَّةٌ   كل ما فيكِ مُبتكرْ
مَنْ تلاها فقد تلا   مصحف المجدِ والسُّوَرْ
حفِظَ الدهرُ ذكْرَها   وروى للغدِ الخبرْ

(دمشق)   أنور العطار

قال رئيس معهد تقدم العلوم البريطاني في فرصة سابقة : « إن سعادة البشر ورفاهته لا يتأثران بكبت جذوة العلم ، وإغلاق جميع المختبرات الكيميائية والطبيعية ولو لمدة عشر سنوات » ترى أيأخذ العالم بهذا الاقتراح ويعمل بموجبه في المستقبل ؟

لعل أسئلة كثيرة تتردد على شفة القارئ الآن ، واعتراضات عنيفة تدور في خلده ، وهي لو انطلقت بحرية لصاحت قائلة : والآلة البخارية ، والمحرك ، والمولد ، والتلغراف ، والنور الكهربائي ، والسينما ، والطائرة ، والأسمدة ، والأصبغة ، والراديو ، والتلفاز ، وأشعة إكس ، والبنيسيلين ، وغيرها ... كيف تنسى ؟ أليست هذه دعائم المدنية الإنسانية التي نعتز بها ونسعى للمحافظة عليها ؟ ألم يقدم العلم كل هذه لترفه عن الإنسانية وتسمو بها إلى السعادة والكمال ؟

حقاً إن الحضارة ما كانت لتزدهر ، وإن الطبيعة البشرية ما كانت لتبلغ بعض تطوراتها لولا إرشاد العلم وقيادته الحازمة . إن شجرة العلم الباسقة تُؤتى ثماراً يانعة حلوة طوراً ، وتُؤتى حنظلاً وعلقماً في طور آخر . ترعى العلم ملائكة الرحمة حيناً وتستغله مردة الأبالسة حيناً آخر . أفلا يستحق هذا المخلوق الفكرى العجيب وقفة قصيرة نتأمل فيها مصيره ؟ أينبذه العالم ويعود إلى الخرافات المرقعة القديمة ، أو يعتمد عليه في حل مشاكل الحضارة الراهنة ؟ وكيف يتسنى بناء عالم سعيد يشعر الأفراد فيه بالحرية والرخاء ؟

علمنا التاريخ أن ندرس المستقبل على ضوء الماضي ، فتيار النشاط البشرى واتجاه الحوادث العام يوحيان باتجاه المستقبل وحوادثه . وأصلح السبل للنجاح في المستقبل ستكون هي السبل التي نجحت في الماضي مع أي تعديل يفرضه الوضع الجديد . والنتائج القادمة المتوقعة تبنى على المقدمات المعلومة المفروضة . وبناء على هذا يمكننا رسم صورة لمستقبل العلم لها حظ غير يسير من الصدق والحقيقة والقرب من واقع الحياة . ولعل القارئ لا ينتظر منى أن أتنبأ بالاكتشافات الجديدة في لباب العلم ، أو النظريات التي ستوضع في المستقبل ، فهذا يكون اكتشافاً لها أو وضعاً وأنا أعجز عن مثل هذا . ويطول بي البحث إن عرضت كل مجالى التقدم في علم الطبيعة مثلاً بفضل المكرسكوب الألكتروني (الكهربي) أو تلسكوب الأشعة تحت الحمراء ، أو التلفزة أو الكهرباء المتموجة ، أو حاولت التعليق على آفاق الكيمياء التي سيفتقها علم الطيف وتحليل الأشعة السينية وعلم البلورات الجديد ، أو ذكرت ما يتوقعه العلماء نتيجة درس الأفعال الكهرطيسية في الأجسام الحية وانقسام الكروموسومات في الخلية ، ومدى تأثير ذلك على الوراثة والعمر أعنى تطور الإنسان وخلوده . فبحسبي إذن أن أشرح التفاعل بين العلم المنظم والمجتمع ، وعلى أي وجه ستكون العلاقة بينهما

لقد كشف العلم كثيراً من أسرار الكون والحياة ، وبرع في استخراج الطاقة من مكامنها الطبيعية . تدخل في الصناعة فتضاعف الإنتاج ، وتدخل في الزراعة فارتفعت الغلة في روسيا والولايات المتحدة إلى عشرة أمثال ما كانت عليه . وتدخل في الطب فقمع معظم الأمراض السارية وأتقن سبل الوقاية فارتفع معدل العمر في الأوساط الراقية علمياً ارتفاعاً بيناً (متوسط عمر الإنسان في الهند ٢٦ سنة وفي انجلترا ٥٥ سنة) . وتدخل في مسائل الفكر فحرر العقل من قيوده وعبوديته للخرافات والشعوذات العامية . والإنسان لم يشتمل ذكاء وحيلة في المائتي سنة الأخيرة ، مع أن منحنى التقدم في كل ناحية من نواحي الحياة خلالها قد أسرع في الارتفاع . ولكن الطريقة العلمية الحديثة وراء هذا التقدم السريع ما تمكننا من أن نحكم ببساطة أن العلم وحده يستطيع أن يضمن للبشرية حياة رغدة هنيئة ، وإن شلل العالم لا يشفيه أي نظام لا تسوده نواميس العلم ومخترعاته . وهو بالإضافة إلى أنه يضمن التقدم الآلي الذي يضمن التقدم العقلي ، فالإنسان الذي لا بد أن يؤمن بشيء يركن إليه في حل مشاكله وابتداع أسلوبه في الحياة ، يجد من الأسس العلمية الثابتة المنطقية المتسقة ما يرتكز عليه ويطمئن له ويحيا به . ولو عدنا إلى تلك الجرائم التي ألصقناها بالعلم لوجدنا أنه لم يكن سبباً مباشراً لها ، فسدنة العلم وخدامه لم يتطوعوا لخلق المشاكل ولم يقصدوا في نضالهم التخريب والتدمير . ولكن النواميس التي تجلت لهم في لحظات الإلهام والعبقرية تطبق على وجه فاسد . وهذا التطبيق هو الذي أفسد الأرض . ولذا أعتقد أن العلم في المستقبل سيبدأ من هذه النقطة إصلاحه للمجتمع ، فإن يسمح

بعد الآن لرجال غرباء عنه تسوقهم الإثرة والجشع والنهم المادى أن يشوهوا وجهه باستغلال مبتكراته على وجه فاسد لئيم ، بينما يقصد بها أن تكون نافعة مجدية ، يتبعها العلماء بالملاحظة اليقظة فلا تستغل إلا فى سبل الخير العام .

وكى يتسنى للعلماء تنفيذ هذا القصد النبيل يجب أن تلق إليهم مقاليد السلطة ومقدرات الحكومة . قد يذكر الآن فشل أفلاطون فى نقل جمهوريته الفاضلة من حيز المثل إلى حيز العمل ، ولكن فرقاً واحداً سيجمل من العلماء حكاماً صالحين لإدارة دفة المجتمع . وأحب أن أحترس أولا خشية أن يساء فهمى . بأنى لا أقصد وضع (أينشتين) و (بلانك) و (بندهام) و (ادنقتن) و (مشرفة) وغيرهم ممن الف لفهم فى مناصب الحكم والسلطة ، وإنما أرى أن مقاليد الأمور لن تسلم بعد الآن لأشخاص لا تكفى مؤهلاتهم العلمية الاختصاصية لجعلهم فى الطليعة . وقد رأينا بوادر هذا فى روسيا حيث يدير كل مصلحة رجلها الفذ المختص . وفى انكلترا عند تدبير اقتصاديات الحكومة المتحدة والإشراف عليها ، أو عند وضع مشروع خطير كمشروع (بفردج) ، وفى أمريكا حيث يطبق هذا المبدأ على نطاق واسع ، فالاعتقاد بأن المشاكل لا تحل إلا بالاختصاص العلمى والتفكير العلمى أصبح جازما أكيداً

وسبب آخر يجعلنا نؤمن بأن العلماء سينجحون فى مهمتهم هذه هو أن جميع الأفراد فى المجتمع سيتثقفون بالثقافة العلمية الصحيحة ، ويتبينون وجهة النظر العلمية فى تدبرهم الآراء والأشياء . وهم بهذا سيرتفعون إلى مستوى ينظرون منه إلى المتفوقين نظرة التشريف والاحترام والاعتراف بالسبق والفضل . ومن هنا نستنتج أن الخطوة التالية هى نشر الثقافة وشيوع العلم بشتى الوسائل كالمدارس والجامعات وقاعات المحاضرات المجانية والصحف والمجلات والأفلام السينمائية . ففائدة المجتمع تتطلب إتاحة الفرصة ليتعلم كل الأفراد ، وتتطلب استخدام النابغين بنسبة مواهبهم ، وتوزيع المناصب على الشعب دون أن تقتصر على فئة محدودة لها مصالحها ورغباتها المحصورة فيها

وستضبط هذه الحكومة نوعية منتجات الإنتاج والاستهلاك فيقوم العلم بالشق الثانى من واجبه فى خدمة المجتمع ، فقد نوع الإنتاج أولاً وضاعفه ، ولكنه سينشد فى المستقبل المثل كل العدل فى توزيع المصنوعات . ولن يكون استغلال رأس المال فى المشاريع التى تدر أوفر الأرباح ، وإنما يكون فى المشاريع التى تدر المغنم على أكبر عدد من الناس . ولذا توحى الحكومة أو تأمر بتنفيذ بعض المشاريع بينما تحرم غيرها . ولن يسرف فى استنفاد المواد الخام الضرورية . وعندما تجدب مناجمها رغم التدبير ؛ فسيسعى العلم فى أن يعوضها بما يسد مسدها فتحل الأغذية والألبسة والزيوت الصناعية محل ما تقدمه لنا الطبيعة منها . وربما تضطر الحكومة لتحديد النسل أو إكثاره ، لأن عدد السكان إن زاد أو نقص عن معدل معلوم سيزعزع اقتصاديات البلاد وينغص عيش الأفراد . وهى فى محاولاتها هذه ستحسن النسل ، فتكون الأجيال القادمة أصح جسما وعقلاً . وربما لا تحتاج الحكومة إلى أن تضع يدها على المصانع والمنشئات ولكنها بأى طريقة مناسبة ستقمع الاحتكار والمضاربة واللعب بالأسعار والتضخم المالى وتوزيع الثروة السيىء ؛ وسترفه عن العمال ، لأن الآلة تقوم بالعمل الرتيب الممل ، وتراقب هذه الآلة العين الكهربائية ، وتحس بها الأنسجة التركيبية بدل اليد ، وتستخدم الأذن الصناعية فيما تستخدم فيه الأذن الطبيعية ، فتقل بذلك ساعات العمل ويتسع الفراغ . وأوقات العمل نفسها ستكون شيقة لذيذة . أنا أصعد للمدرسة مبكراً عندما يصلح الراديو فيها للاستعمال ، وأتركها متأخراً عندما ألعب كرة الطاولة ؛ وعلى هذا القياس سيولع العامل بمصنعه لزيادة وسائل التسلية والترفيه وتنوعها ، وسينتظر الذهاب إلى المعمل بفراغ صبر أو برغبة عادية ؛ ويخرج منه لإزجاء الفراغ فى تنمية مداركه وتوسيع اختباراته وتبليغ رسالة خاصة نبيلة للمجتمع . فالفرد لا يعيش فى المجتمع على الهامش ويموت كنلطة فى حضن الأبدية ، وإنما يكسب المجتمع من الصفات التى تشعره بعزة الانتساب إليه ، فتتجه الحيوية الكامنة فى الشباب نحو غايات مخصوصة يرسمها أعلام العلم . فالمجتمع لن يتطور اعتباطاً وبدون قصد

وسيكون للدين والفن مقام كبير فى نفس الرجل العلمى . وسيعتنق فلسفة الدولة ويؤمن بها غير مكره كما هو الحال فى

بعض الحركات الفكرية السياسية المعاصرة ، بل لأنها فلسفة صادقة قيمة مستقاة من وحى العصر والبيئة . وستلغى المعتقدات الموروثة التى لا تقوم على أسس علمية واضحة بنفسها ، فيفتر الشعور بالعائلة والقربى مثلاً ، ويتضاءل أمام الشعور بالدولة ، وقد يتطور هذا فيصبح إيماناً بخير الإنسانية جمعاء ، فلا أكتم هنا أننى أومن أعمق الإيمان بأن وحدة العالم ستكون الهدف الأبعد الذى تتجه إليه جهود الشباب فى المجتمعات العلمية . وسياتى النور الجديد على غرائز النفس ونزواتها فيهذبها ويشذبها وينشط الصالح ويخفى الطالح منها ، فحب السيطرة والحيازة سيفنى ويمحى ، وعند ما يترفع الناس عن مغريات المادة ، وزول تكالبهم عليها ينزاح كابوس الحرب الجاثم على الصدور وتأمن النفوس ، وترصد الأموال التى كانت تستنفدها الاستعدادات الحربية لبناء المدارس والمعاهد والمستشفيات المجانية . وتجعل دوائر الصحة والبريد وشركات الكهرباء والمادة والغاز والسكك الحديدية وغيرها مصالح عمومية تديرها الحكومة لخدمة مجانية للشعب

سيطول هذا البحث ويتشعب إن وصفت أسلوب الحياة فى العالم الجديد من حيث الغذاء والملبس والمسكن والعلاقات الجنسية والاجتماعية ووسائط النقل والمواصلات ، فأكتفى بما فات عن علاقة العلم بمقبتين كؤودتين تعترضان سبيل الحضارة والتقدم أعنى الحرب والتوزيع الاقتصادى . ولا أشك أن معظم أحلام هذا المستقبل ستحقق بالضرورة بعد الحرب ، وقسم آخر سيؤجل تحقيقه عاملان : أولها قوة الاستمرار فى عقليات الناس ، ومحافظتهم على القديم ؛ ولكن تاريخ العلم يقطع بأن العلم لم يستنفد طاقة وجهداً كبيرين فى تحويل الرأى العام عن المذاهب الفاسدة التى تنطوى في تضاعيفها عوامل هدمها واضمحلالها . والعامل الآخر مقاومة العناصر المنتفعة التى ترى فى بقاء النظام القائم بقاء لسلطتها واستئثارها بأطايب الأرض ، وهذه فئة قليلة ضئيلة فى المجتمعات لن تستطيع تحويل التيار الجارف أو الوقوف فى وجهه وهو ينحدر من عليائه

وقبل أن أنتهي أحب أن أقول كلمة قصيرة عن مستقبل العلم فى البلاد العربية خاصة . فلا يدرى أحد متى يكون هذا المستقبل الذى صورته حقيقة واقعة واضحة المعالم شاملة التفاصيل فى العالم أجمع ؛ ولذا يكون من واجب العالم العربى أن يستعد فى فترة الانتقال هذه ، ويعى كل الأوضاع والنظريات العلمية الحديثة التى سيبنى عليها العالم الجديد . إن البلاد المتأخرة علمياً لا تنال تقدماً ذاتياً سريعاً ، فلا بد للحكومات أن تبذل الجهود فى هذا السبيل وتشرف على نشر الثقافة العلمية ، وخلق البيئة الصالحة لأن يسمو العلم فيها ويترعرع . وقد نشرت فى (الرسالة) سابقاً بحثين أجملت فى أحدهما خصائص البيئة العلمية ، وفى الآخر شرحت كيف عممت روسيا الثقافة العلمية وبنت المختبرات ونظمت ميادين البحث والتحقيق فبلغت فى غضون عشرين عاماً مستوى علمياً مشرفاً . ولعلنا نحن صنعاً إن درسنا تلك السبل القويمة ووضعنا خطط التقدم التى تناسبنا . والواقع أن أغلب الحكومات العربية بما تولى العلم من بعض التشجيع والتنشيط تشعر بضرورته لبلوغ التحرر الفكرى والتحرر الاقتصادى والتحرر السياسى . ولكنها في المستقبل القريب ستضاعف هذا الاهتمام وتعز العلم وتنيله حقه الكامل من الرعاية والتشجيع .

خليل السالم

(ثانوية السلط) ب . ع . الدرجة الأولى فى الرياضيات



٦ – الشعر الجديد

قد يكون مما يدخل فى أحاديثنا هذه ويتعلق بأطرافها، أن أعرض لبعض ما يدور من آراء حول (الشعر الجديد). فالناس لا بد متحدثون فيما تطالعهم به الصحف، ولا سيما حديث الشعر والشعراء، والكتابة والكتاب، فهذا ميدان يجول فيه كل جائل، ويصول كل صائل.

ولقد سمعت كثيراً فى موضوع هذا الشعر، وقرأت كثيراً. ولكن الكثرة الغالبة ممن قرأت لهم، أو سمعت منهم، يرمون الكلام على عواهنه، غير داعمين قولاً، أو قاطعين بحجة؛ وإنما هى أحكام تسرد سرداً وتلقى جزافاً. وكثيراً ما تكون غير مستندة مطلقاً إلى قراءة، أو راجعة إلى دراسة ... وما أكثر الثناء والإطراء بيننا! وما أعظم ما يتحكم الهوى، ويستبد الغرض! وتقارض المديح داء عياء فى بيئتنا الأدبية؛ فاضمحل النقد وصوّح، بعد أن كان يوماً مزدهراً مُونعا. وخلا الجو للبغاث فاستنسر، وللباطل فرانَ على الحق؛ فإن رأيت نقداً فقِـوامه همز ولمز، وتعريض وتجريح

وإنى مكتف هنا برأيين اثنين علقا بذاكرتى لغرابتهما، ولكثرة ما يتداولها ناس من الناس

فقد قالوا إن هؤلاء المجدّدين – سواء أكانوا شعراء أم كتابا – إنما ينهجون مناهج الإفرنج فى أخيلتهم وتصوراتهم، ويحتذون فهم، ويستميرون منهم، ويحاكونهم فى تشبيهم ومجازهم؛ فقد طال عهدنا بالقديم، ونالنا منه السأم... وما ضرّ لو أرسلنا فى شعرنا من شعرهم دما جديداً، وبعثنا فى نثرنا من نثرهم حياة جديدة، فنجارى الزمن فى حركته، ونساير العصر فى تطوره؟

هكذا قالوا

وإن تعجب فعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عمن يعقلون؛ فهم بلا شك مقلدون، يردّدون ما لا يفهمون. أيجوزُ ملمّ بلغة أجنبية راقية أن يلغو هذا اللغو؟ أمامنا الأدب الرفيع من أدب الغرب، وهذا شعرهم، وهذا نثرهم، فليقرءوا وليحكموا

فهل مما يعقل أن يكون ثمة صلة أو شبه صلة بين لغط هؤلاء المتشاعرين وأشباه الكتاب، وذلك الأدب الغض، والبيان الرائع، والقول المبين؟ إنهم لأعجز من أن يردُوا هذا المورد، أو ينهلوا من ذلك المنهل، وإنهم لأقصر باعاً من أن ينالوا ذاك المنال

ولا عليكم – إذا أعوزتكم لغة الإفرنج – أن ترجعوا إلى ما ترجمه أعلام أدبائنا عنهم. فهذا حافظ فى «بؤسائه»، ومطران فى شكسبيرياته، والزيات فى «آلام فرتر»، والمنفلوطى فى رواياته، وغير هؤلاء ممن نقلوا فأجادوا النقل وفهموا فأحسنوا الفهم

فارجعوا إلى هذه التآليف البارعة، تروا كيف يفكر الإفرنج، وكيف يتخيلون ويتصورون، وكيف ينقشون ويصورون؛ وتروا أيضاً نصاعة العربية فى أقلام هؤلاء الأفذاذ وصفاءها ونقاءها؛ وتميزوا القدرة الفائقة من العجز الفاضح، والديباجة المشرقة من العِى الواضح

والرأى الثانى أصوره فى حوار وجيز فى مجلس من أصحابنا، وقد تذاكرنا (الشعر الجديد) فقد اندفع من بيننا رجل فقال: إن ما ترونه ياقوم فى بعض هذا الشعر من التعمية والخفاء إنما هو قصد إلى الرمز والإشارة. ألا ترون إلى بعض المتصوِّفة كيف يُعمى فى شعره، أو يُغمِّى[1] فى حديثه، وهو يشير من طرف خفى إلى ما لا يتبين من ظاهر ألفاظه؟ فهكذا الحال هنا. فقلت له: وإلام يرمز شعراؤنا هؤلاء يا سيدى؟ فقال: إنهم يختلفون فى نزعاتهم وأغراضهم، فيتغايرون – تبعاً لذلك – فى مراميهم البعيدة. فقلت: أمؤمن أنت بما تقول؟ وهل اكتنهت شيئاً من هذه الرموز؟ هات – رحمك الله – فأطرفنا بعضها[2]، وفُك لنا مستغلقه

فسلك يده فى جيبه فأخرج دفتراً، فتلا منه أبياتاً لأحدهم ثم أخرى لغيره، ثم مقطوعة لثالث، ثم كر راجعاً، وطفق يشرح. فلا وربك ما وعى مما قال شيئاً وما وعينا، وما فقه وما فقهنا!

فقمت عن المجلس وأنا أقول فى نفسى: لقد خِهنا بالأمس فى حل طلاسم (الكاتب المجهول) فإذا نحن فى حل هذه الطلاسم أخيب!

(للحديث بقية) (ا. ع)

(١) يغمى: يستر (٢) أطرفه شيئاً أتحفه به

خصومة لا عداوة النقاد والشعراء

صديق صاحب « الرسالة »

مهدت السبيل لصديقنا ناقد الرسالة أن يصول فى موضوع « الميل إلى الهدم وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين » ومنحت نفسك سلطة الدفاع المستتر عن ناقد الرسالة بحذفك شطراً من كلمتى التى وجهتها إلى صديقى ناقد (الرسالة)

فعلت ذلك ، ياصديق ، إرضاء لطبيعتك الهادئة ، وتحيزتك التى تأبى الخصومة ، لا اندفاعاً مع غرض أنزهك عنه . وكم أتمنى أن يحزبك الغرض النبيل فتسمع قراء الرسالة غضبة كتلك التى أطلقتك على سجيتك يوم كتبت (فلاحون وأمراء) ، فعرفوا فيك منها ، كيف يكون الكفاح الحق عن الحرية ، وكيف تكون تنقية الطبقات وتمييز البر منها من الزوان ، وكيف تكون صولات النقد فى حلبة الخصومة ، ولا فرق عندى بين النقد الاجتماعى والنقد الأدبى إلا فى الصيغة

إذن لامحيد لنا ياصديق فى كل بناء للحياة ، من خصومة هادئة كانت أم صاخبة ، لا تبلغ فى حال من الأحوال حدود المداوة . أقول لا محيص لنا من خصومة تكون الرسالة منبرها العام ، وتكون أهدافها كتابها ومن يتصلو بهم وبها من العاملين فى حلبة الحياة

يريدنا صديقنا ناقد الرسالة ، تمشياً مع خطة الرسالة المستمدة من طبيعة صاحبها أن يتخذ من اللين أداة يستحث بها الشعراء على شحذ قرائحهم ، وجلاء بصائرهم ، وصقل شعورهم وأحاسيسهم ليرسموا بأقلامهم صوراً واضحة الخطوط والمعالم لطبيعة ما يصورون ويرسمون . فإذا ما أنف أستاذ كبير كالأستاذ (ا . ع) وتأفف من سماع أصوات هؤلاء الشعراء قيل له إنك تجرد عليهم « حملة تأديبية » وإذا ما قلت لصديقى ناقد الرسالة ، إننا فى حاجة إلى القذف بطائفة من شعراء الشباب إلى النار ، نار النقد .تنقيهم وتطهرهم ، وإلى (تجريدة) تأديبية نشنها على النقاد ، وقفت أنت يا صاحب الرسالة تصد عنهم الهجمات شفقة بهم ورثاء لحالهم بسلاح قاطع من اللطف والذوق والروح الإنسانى النبيل

وبعد هذا ، أزعم أن الفرق بينى وبين ناقد الرسالة ، وبينى وبينك يا صاحب الرسالة يتلخص فى أن القسوة فى النقد — فى اعتقادى — أجدى وأنفع للشاعر الناشئ وللشاعر الذى أدركته الكهولة ولم ينضج بعد ، لأن الصراحة فى النقد — فى اعتقادى أيضاً — هى الحد الفاصل بين الإقدام على الحياة بروح المتوثب المتحدى ، وبين الإحجام عنها . أما أنت ياصديق وناقد الرسالة أيضاً ترياني عكس رأيى فى القسوة فى النقد وصراحته ، وبذلك يتوهم المهازيل من شعراء الشباب أنهم عباقرة سبقوا جيلهم ، وأن الواحد منهم هو إله الشعر وحده وسواه العدم وهذه هى الطامة الكبرى .

حبيب الزحلاوى

لقد ظلموا شعراء الشباب !

أكاد ألمح فى أكثر ما قرأت غمطاً لحق شعرائنا الشبان ، وتثبيطاً لعزائمهم ؛ فأكثر ما أقرأ يدور حول الزراية بأسلوبهم ، والنفض من أخيلتهم ، ورمى كثير منهم بالغموض تارة ، وبالمروق من مألوف العرب تارة أخرى ؛ وما انصرف كاتب منصف لبيان فضل أولئك الشباب فى شق طريقهم إلى المجد بين مختلف العثرات ، ومسايرتهم النهضة الحديثة فى طرائق التفكير ، وتساميهم بأساليبهم بين أمواج الدخيل وعواصف العجمة وظلمات العامية الطبقة التى تأخذ على العربى سبيله فى المسارح والمجالس وكثير من المجلات المغرمة بإرضاء العامة ؛ وأستاذنا الكبير (ا . ع) قادر بما له من واسع الثقافة ، وطويل الخبرة ، وأسلوب الحليم على أن يجمل من بحثه الرائق ممهد نقد (بمعناه الأعم) يصف الداء ، ويتبعه الدواء ، والأستاذ دريني خشبة فى استطاعته وهو الدُّوَاكِبُ لنهضة الشباب أن يجلو محاسن شعرهم ، ويبرز للقراء لمات العبقرية فى أشعارهم ، ومواطن الرجاء عند أكثرهم ؛ وإذاً يجد القارئ قضية الشباب محوطة جلية ويستمع لأنصارهم كما يستمع للزارين عليهم . أما أن نبسط فى أمر هؤلاء الشباب صحيفة السيئات ونطوى ما عداها وهم خلفاؤنا — رضينا أو سخطنا — على تراث الأدب فإن ذلك ليس فى شرعة الإنصاف ، وقد يكون له عواقب بعيدة المدى فى تثبيط العزائم

إذا كان فى أسلوبهم ضعف فأين مواطنه ؟ وكيف يستطيع بعضهم أن يرضى قراء البحترى والمتنبى وأبى فراس وابن هانئ وأمثالهم ؟ كيف يستطيع بعضهم — ممن لم تُيسر لهم دراسة أدبية خالصة — أن يظفروا بإعجاب أولئك السادة وما وجدوا أمام أعينهم فى أكثر مراحل التعليم إلا مختارات ضئيلة وتراجم قليلة تُعنى بفلسفة البحث أكثر من عنايتها بطرائف الأدب ؟

عدّلوا أساليب الدراسة الأدبية ، ويسروا على شبابنا سبل الوصول إلى كنوزها ، وزودوهم بمراجع الشعر مجلوّةً مسفرة ، ثم وجهوا درس الأدب إلى تذوق الجمال الفنى قبل غيره من بحوث فلسفية قليلة الجدوى ؛ وإذاً لا يكون للشعراء الناشئين إلا أن يُجوّدوا أو يتعرضوا للنقد اللاذع الصريح

وإن كان فى أخيلة بعضهم شىء من الغموض وجنوح إلى التهاويل فهل خلا شعر هؤلاء من نفحات الشاعرية ، وومضات العبقرية ؟ وهل خلا شعر أبى تمام والمتنبى والمعرى وابن هانىء وشوق والزهاوى من عُقد فى الخيال ، ودقة فى التصور حيرت الباحثين أزماناً ؟ أليس الزمن وحده والنقد الرفيق الموجه أجدى على شعر الشباب من هذه القسوة التى لا يبررها نبل أصحابها وشرف مقاصدهم ؟

(الأسكندرية) م . ع الشبينى

حول شعراء الشباب

أخونا الأستاذ « دريني خشبة » رجل طيب ما فى ذلك شك . وآية ذلك أن يفهم أنه يمنح أحداً من الناس شيئاً ، أو يسلب أحداً من الناس شيئاً ، بشىء يكتبه على نسق ما يكتب فى هذه الأيام . وسبحان من أودع فى كل قلب ما أشغله !

وآية ذلك كذلك ، أن يشفق على الشبان من الأستاذ الجليل « ا . ع » هذا الإشفاق ، وأن يأرق منه هذا الأرق . وأن يفهم « أنه رجل يستطيع أن يقضى على الجهود التى بذلتموها يا معشر الشعراء الشباب فى سبيل تجديد الشعر العربي » ...

وإنه ليعز علىّ أن يساور الأستاذ « درينى » كل هـذا القلق على « شبانه ! » الذين يشملهم برعايته ، ويجد من بعضهم — المتواضع — البر والشكران ، ومن بعضهم — المتكبر — العقوق والكفران . فأحب أن أرد إلى قلبه الطمأنينة ، وإلى عينه الكرى . فلا — وحق طيبته علينا — فما الأستاذ الجليل « ا . ع » بصانع شيئاً فى شعراء الشباب ، بمثل هذا الكلام (العايم) الذى قصاراه أن يندب شعراء الجيل الماضى ، وأن يزرى بشعراء هذا الزمان . وما الأستاذ الجليل أيضاً « درينى خشبة » بصانع شيئاً لشعراء الشباب بمثل هذا الذى يكتبه

ونحن — مع كل هـذا — أميل إلى « مفهوم » رأى الأستاذ الجليل (ا . ع) فى معظم ذلك البهرج الزائف الذى يفتن به الكثيرون من الشبان . وإذا احتجنا يوماً إلى توسيع آفاق الشعر عن مدى ما يستطيع أن يفهمه الأستاذ الجليل منه ، فإننا سنكون أحوج إلى إنقاذ الشعر من مثل هذا البهرج

وإنى لأرجو فى النهاية ألا أكون قد أزعجت طيبة مولانا الأستاذ (درينى) وإننى لصادق حين أقسم له أن لا شىء أعز علىّ من طمأنينة هذه الطيبة المبروكة .

سيد قطب

الصراحة والأدب والنقد

قرأت فى إحدى المجلات ما كتبه الدكتور زكى مبارك عن تأثره البالغ مما كتبه أحد الأدباء عن كتابه (النثر الفنى) فى مجلة (الرسالة) ، وكنت أظن الدكتور المبارك أكثر احتمالاً لهجمات النقد أكثر مما رأيت اليوم ، لأن الاحتمال والمرابطة من شأن من يصاولون وينازلون ، وما أكثر ما صاول ونازل الدكتور لمناسبة ولغير مناسبة ! أما مأخذه على صاحب (الرسالة) من العقوق للأصدقاء ، فهو حجة على الدكتور لا له ، لأن مَن يخدم الأدب الرفيع يجب أن يكون على هذه الرفعة من الأخلاق العالية لا يحابى صديقاً ، ولا يناصر فريقاً ، إنما العيب كل العيب أن ينشر الناشر نقد الدكتور (مبارك) وهو أمشاج وأخلاط من الإغلاظ والإفحاش . ومثل الرجل (الزيات) كمثل ذلك الأبى العربى الذى يقول : (إن قولة الحق لم تدع لى صديقا)

أكتب هذا بمناسبة طلب إحدى المكتبات إلىّ أن تنفرد بنشر كتاب لى فى النقد الذى يعمل برسالته الزيات جاهداً ؛ فعند ما مثل الكتاب بين يدى مديرها قال : ألا تظن أن نشر هذا الكتاب يغضب كثيراً من كبار الكتاب ؟ قلت : وما يهمك من غضب الناس ما دمت تريد خدمة الأدب بنشر كتاب للنقد ؟ ! قال يحرمون نشر كتبهم علينا ! قلت : إن الأدب لا يخدمه « التجار » وإنما يخدمه أبناؤه الأبرار ، واعتزمت طبع كتابى ثم بدأت

هذه يا دكتور قصة (كتاب وتاجر) . فهل كنت تأمل أن تخلق من الزيات تاجراً يعقُّ الأدب ولا يعقك ، أو تمنع عنه كتبك ؟ ! هذا ما أرجو أن تتدبره ويتدبره الكتاب والقراء جميعاً ، فليست العبرة فى أن يفقد الإنسان أصدقاءه فى سبيل رسالة الحق ، وإنما العبرة فى أن يصبح الأديب بعد حياة حافلة أداةً للارضاء والإبقاء على الأصدقاء

(ع . س)



12 me Année No. 565 — Lundi - 1 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق أول مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الأعمار والتواريخ في الجاهلية

للأستاذ عباس محمود العقاد

روى صاحب الطبقات الكبرى روايات كثيرة عن سن النبي عليه السلام يوم وفاته . فروى عن أنس بن مالك أنه عليه السلام توفى وهو ابن ستين سنة

وروى عن الأسود بن عامر بسنده أنه عليه السلام بعث وهو ابن أربعين ومات وهو ابن ستين

وتعددت الروايات التي تقول بهذه السن كما تعددت الروايات التي تقول بثلاث وستين سنة . وجاء في رواية عن ابن عباس أنه توفى في الخامسة والستين

وعرض المؤرخون لسن عمر بن الخطاب فذكر ابن قتيبة أنه رضي الله عنه مات في الخامسة والخمسين . وروى عامر بن سعد أنه مات في الثالثة والستين

وعرضوا لسن عمرو بن العاص فقال النواوي إنه مات في السبعين ، وقال الليث بن سعد والهيثم بن عدى والواقدى وابن بكير أنه مات وسنه مائة سنة . وقال أحمد العجلي وغيره تسع وتسعون سنة . وقال السيوطي وغيره تسعون !

هذه روايات المؤرخين التفت لتواريخ الميلاد في الجاهلية ، وأي ميلاد ؟

ميلاد صاحب الدعوة الإسلامية التي بدلت وجه الدنيا بعد أن بدلت وجه البلاد العربية ؛ وميلاد خليفة من أشهر خلفاء الإسلام وأشهر حكام العالم كله على إطلاقه ؛ وميلاد قائد كبير وسياسي خطير فتح مصر وفلسطين وأقام مع بني أمية أول دولة ذات عرش في تاريخ الإسلام

وذلك هو مبلغ اليقين من تواريخ ميلاد هؤلاء الأعلام ، ومن تقدير أعمارهم جميعاً في يوم الوفاة : فرق خمس سنوات في عمر النبي ! وفرق ثماني سنوات في عمر الخليفة ! وفرق ثلاثين سنة في عمر القائد الكبير

* * *

ونقترب من وجهتنا فنروي أقوال المؤرخين عن سن السيدة أم رومان زوج أبي بكر الصديق وأم السيدة عائشة رضي الله عنهما

جاء في الإصابة : « قال أبو عمر كانت وفاتها فيما زعموا في ذي الحجة سنة أربع أو خمس عام الخندق . وقال ابن الأثير ست . . . . والخبر الذي ذكر ابن سعد وأخرجه البخاري في تاريخه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة . . . . عن علي ابن زيد بن جدعان عن القاسم بن محمد قال : لما دليت أم رومان في قبرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى هذه . . . وقال أبو نعيم الأصبهاني قيل إنها ماتت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو وهم . . . وقال إبراهيم الحربي سمع مسروق عن أم رومان وله خمس عشرة سنة ، ومقتضاه أن يكون سمع منها في خلافة عمر ، لأن مولده سنة إحدى من الهجرة ، إلى آخر ما جاء في ترجمة أم رومان »

وذلك هو مبلغ المؤرخين من تحقيق سن سيدة أصبحت زوج الخليفة الأول وحماة النبي عليه السلام

ونقترب أيضاً من وجهتنا فنروي ما جاء في الاستيعاب عن سن السيدة فاطمة الزهراء إذ يقول : « كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في الصغرى منهما . وقد قيل إن رقية أصغر منها ، وليس ذلك عندي بصحيح . وقد ذكرنا في باب رقية ما نبين به صحة ما ذهبنا إليه في ذلك ، ومضى في باب زينب وباب خديجة من ذلك ما فيه كفاية . وقد اضطرب مصعب والزبير في بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيتهن أكبر وأصغر اضطراباً يوجب أن لا يلتفت إليها . . . »

ونروي ماجاء في الإصابة حيث يقول : « واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي من طريق ابن جعفر الباقر قال العباس : ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني . ونقل أبو عمر بن عبيد الله ابن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين »

ومعنى هذا أننا إذا أخذنا بقول العباس ، وهو أولى الناس أن يؤخذ بقوله في ذرية النبي عليه السلام ، فهناك فرق يبلغ ست سنوات بين سن عائشة كما يرويها بعضهم وسنها كما تخلص لنا من هذا الحساب

وجاء في ترجمة زينب رضي الله عنها كما رواها صاحب الإصابة : « هي أكبر بناته وأول من تزوج منهن ، ولدت قبل البعثة بمدة قيل إنها عشر سنين . واختلف هل القاسم قبلها أو بعدها . وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن ربيع العبشمي . . . »

فقد بلغ الاختلاف إذن في ترتيب الأعمار أن لا يعلم على التحقيق من السابق ومن التالي من البنين والبنات ، وفي ذلك ما يأذن بفرق سنتين أو ثلاث سنوات

* * *

رأينا هذا التفاوت البعيد في رواية أعمار النابهين والنابهات فوقفنا موقف الحذر من كل رواية تخالف المعقول والمألوف ولا داعي للجزم بها دون سائر الروايات

ورأينا أن التفاوت على هذا النحو في سن السيدة عائشة غير بعيد بل هو أقرب من ذلك إلى الاحتمال ، لأن مولد السيدة عائشة ليس أولى بالتحقق من مولد النبي أو مولد عمر أو مولد أبناء النبي وبناته ، ولأن الرواة هنا لا يفضلون الرواة هناك ، ولأن الاختلاف واقع فعلاً بين سبع وتسع سنوات عند الخطبة . وجاء ابن هشام فقال : « وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر »

واخترنا رواية العباس التي يضاف فرقها إلى هذه السن فترتفع إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة

وقابلنا بين الأعمار وبين مناسبات الزواج فعلمنا أن السيدة خولة بنت حكيم اقترحت الزواج على النبي صلوات الله عليه بعد وفاة السيدة خديجة لأنها رأته في بيته على حال وحشة فقالت: « أي رسول الله! ألا تزوج؟ فسألها من؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً » ... وهي بالبداهة لا تقترح عليه في تلك الحالة خطبة بنت في السادسة أو ما دونها ليتم الزواج بعد حين

وعلمنا أيضاً أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل ذلك لجبير بن مطعم وهو مشرك، فلما خطبها النبي عليه السلام قالت أم رومان زوج أبي بكر: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم ابن عدي وعنده امرأته أم الصبي فقالت:

يا ابن أبي قحافة! لعلك مصبيء صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ » فانفسخت الخطبة على أثر هذا الحديث

علمنا هذا فأضفناه إلى ما تقدم وخلصنا منه إلى أن السيدة عائشة كانت أكبر من سنها المروية يومذاك « لأنها إما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم بعد أن بلغت سن الخطبة وهي قرابة التاسعة أو العاشرة، وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين، وإما أن تكون وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق أحياناً بين الأسر المتآلفة، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك، ويستبعد جداً أن يعد بها فتى على دين الجاهلية ... »

قلنا ذلك ولم يخف علينا حين قلناه إن الزواج قد جمع بين المسلمات والمشركين في أوائل عهد الدعوة المحمدية

ولكننا كنا نعلم مع هذا أنه الاستثناء وليس بالقاعدة الشائعة المحمودة، وأنه حصل في أحوال خاصة لا يقاس عليها. وسرعان ما تبدل الموقف فيها حين تبدلت تلك الأحوال. فزينب بنت النبي عليه السلام قد تزوجت ابن خالتها وكانت أول من تزوج من بناته؛ ولعلها تزوجت قبل الدعوة قياساً على الخلاف المتقدم في الأعمار والتواريخ، وما هو إلا أن تيسر للنبي أن يفرق بينها وبين زوجها حتى بادر إلى التفرقة بينهما بعد جهد جهيد

والظاهر الواضح من المناسبة التي نزلت في صددها آيات التحريم القاطع لنكاح المشركين والمشركات أن هذا الزواج كان بغيضاً إلى نفوس المسلمين ولما تنزل بعد هذه الآيات. فقد جاء في رواية أنها نزلت في أبي مرثد الغنوي وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً. فسمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق كانت خليلته في الجاهلية، فأتته فقالت: ألا تخلو؟ فقال: ويحك يا عناق! إن الإسلام حال بيني وبين ذلك؟ فقالت له: هل لك أن تتزوج بي؟ قال: نعم. ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره... فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله أعلمه بما كان من أمره ومن أمر عناق وسأله: أيحل لي أن أتزوجها؟ فنزلت هذه الآية »

وورد في قول آخر أنها نزلت لأن عبد الله بن رواحة تزوج أمة له وفضلها على المشركات ذوات الأحساب، فلغط بزواجه من الأمة بعض أصحابه فنزل القرآن ينصفه من لائميه « ... ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »

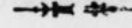
وظاهر واضح من كلتا المناسبتين أن زواج المسلم بالمشركة كان موضع تردد وتساؤل قبل نزول الآيات فضلاً عن زواج المسلمة بالمشرك، وفضلاً عن السعي إلى زواج المسلمة بالمشرك قبل بلوغ السن بسنوات كأنه غنيمة يخشى أن تفوت!

ومع هذا لو كانت خطبة جبير بن مطعم قد تمت بعد ظهور الدعوة المحمدية فما الذي جد حتى عادت أمه تخاف من دين أبي بكر على دين ولدها؟ ألم يكن أبو بكر مسلماً وكان الخوف على الخطيب أولى وأحرى وهو طفل صغير؟ أليس هذا وحده كافياً لترجيح الخطبة قبل الدعوة كما قلنا في كتاب « الصديقة بنت الصديق » ...؟

لذلك كله رجحنا أن السيدة عائشة تجاوزت الثانية عشرة ولم تنقص عنها يوم زفت إلى النبي عليه السلام

وكان في وسعنا أن نقف عند الأرقام المترددة ونريح أنفسنا فلا نفند شيئاً من المزاعم التي بناها بعض المبشرين والمستشرقين على تقدير السن عند الزواج بالتاسعة أو ما دونها، وقد كان لها

الحكم على الشعر
وأساليب النقد والتحليل
للدكتور محمد صبرى



كتب « أستاذ جليل » فى الأسبوع الفائت يقول :

« للدكتور محمد صبرى » أن يرى فى مقالته ... أن نونية أبى تمام فى رثاء ولده قد فاتت رائيته فى محمد بن حميد الطوسى التى يقول فيها :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبراً أن يقال به كبر

« وللأستاذ عبد الرحمن شكرى أن يستعجب فى إحدى مقالاته كيف أن حبيباً — وهو فى الرثاء ما هو — لم يجد فى النونية إجادة ابن الرومى فى الدالية التى رثى بها ولده . غير أن تلك القصيدة فائقة كانت أو مقاربة ليست لأبى تمام وإن جاءت فى ديوانه المطبوع ، وفى المخطوط فى دار الكتب ... »

ودليل حضرة الكاتب على أن النونية ليست لأبى تمام هو « أن أبا بكر الصولى روى القصيدة بتمامها فى (كتاب الأوراق) لأبى محمد القاسم بن يوسف ، وروى بعدها « دالية للقاسم فى رثاء ابنه محمد وبنين آخرين له تجانسها كل المجانسة » والصولى مشغوف بحبيب ، وهو الراوية العظيم ... وما حدثتنا (أخبار أبى تمام) ولا المؤلفات التى كتبت سيرة حبيب أن له ابناً ، كنيته أبو على ... ولا أن له ابناً اسمه محمد ولا نعرف لحبيب ولداً إلا « تماما » كان هنأ محمد بن طاهر حين ولى خراسان الخ »

قد يكون الصولى راوية عظيما فى عصره ؛ ولكن كتبه فى اعتقادى ينقصها التحقيق العلمى وكلها حلقات من روى فلان عن فلان ، وحدثنا ... هذا من ناحية الرواية ؛ أما ناحية الأدب فيه فلا أظنها كاملة من حيث الذوق والصقل ، ولذلك فإن كتبه وكتب غيره لم تستوعب أخبار أبى تمام ولم تدقق فيها . وإننا لا نعرف إلا القليل من حياة حبيب ومعاصريه بل من حياة العصر العباسى نفسه ، فالطبرى وابن الأثير والمسعودى يكررون نفس الروايات ، والنساخ يمسخون أسماء الأعلام ، فترى الاسم الواحد يختلف باختلاف المؤلف والناسخ . ومن الصعب أن نهتدى إلى تاريخ قصيدة أو إلى تاريخ موت وزير كبير رثاه الشاعر بقصيدة معروفة . بل إن البحترى تكلم عن حوادث حربية هامة لا تتفق مع رواية تواريخنا الكبرى إذا ذكرت فيها ... بينما تذكر الحوادث التافهة بإسهاب وفى غضونها الشعر السقيم ...

ولو دقق حضرة الأستاذ الفاضل النظر لتبين له أن الصولى لم يكن من المدققين لأنه روى دالية للقاسم « فى رثاء ابنه محمد وبنين آخرين » ولتبين له أن هذه القصيدة الدالية لا تجانس النونية كل المجانسة !

روى الصولى فى كلامه عن شعر القاسم (وقال يرثى أولاده) فلم يذكر لنا أسماء أولئك البنين ، بل إن المتأمل فى القصيدة يرى عجباً ، يرى أن البنين ، إذا كان هناك بنون ، هم : محمد ومحمد ومحمد !

هلك البنون محمد ومحمد ومحمد

من الأثر فى عقول أبناء هذا الجيل ما يعلمه كل ذكى لبيب

كان ذلك فى وسعنا ولا جهد فيه علينا ، ولكننا وصلنا بالقرائن المعقولة والمقابلة السائغة إلى تصحيح السن على وجه لا يأذن لأحد بالتمحل والانتقاد ، ولم نتوسل إلى ذلك بإنكار آية أو حديث أو أصل من أصول الدين ، ولكننا تناولنا السنوات والتواريخ بالشك الذى تستحقه ، وهى تتسع فى أشيع الروايات لفرق السنة والسنتين والعشر والثلاثين ... فماذا فى هذا كله من دواعى التهويل والصريخ ؟ وما سر الاستماتة فى تخطئة هذا التصحيح والإصرار على أن السيدة عائشة تزوجت فى السابعة أو التاسعة ولم تتجاوزها ، مع أن النص المكتوب — ولا نذكر القياس والاستنتاج — قد زادها إلى عشر سنين ؟

أما دواعينا نحن فهى تلك الأسباب وتلك القرائن وكلها مما يوافق التنزيه الواجب لمقام الرسول

وأما دواعى المنكرين التى دعتهم إلى تسجيل تلك السن دون غيرها فعليهم هم أن يبينوها وينظروا أينا أقرب إلى البر بالإسلام ، وأحرص على تعظيم نبيه عليه السلام .

عباس محمود العقاد

واستأثرت بهم المنيـ ـة والمنية موعد

وبعد أن استطرد الشاعر إلى ذكر الأحبة والقرناء الذين بطويهم الموت فى أبيات معدودات عاد إلى رثاء ابنه محمد الذى يكنى بأبى على :

أسفاً عليك أبا علـ ـي والمنـايا رُصَّد

أسفاً عليك أبا علـ ـى يوم ضمك ملحد

كالبدر فارقه النحو س وقارنته الأسعد

والقسم الأكبر والأخير من القصيدة لم يذكر فيه الشاعر إلا ابنه محمداً ، وظاهر أنه كان ابنه الوحيد :

هل لى على الحزن الطويـ ـل سوى (لبابة) مسعد

تبكى بواحـــدها فليـ ـس لهـا عليه تجلد

أُلباب إن الصبر أد ـفى للالـه وأرشـــد

والواقع أنه لا تجانس بين هذه الدالية وبين نونية أبى تمام ؛ فالدالية قصيدة فقيه زاهد ، والنونية قصيدة شاعر . والواقع أنه لم يكن هناك بنون بل ابن واحد هو أبو على محمد ، والقاسم حين يقول فى بدء القصيدة :

هلك البنون محمد ومحمد ومحمـــد

فإنما أراد التهويل من شأن مصابه بطريقة أقل ما يقال فيها إنها لا تدل على (شاعرية) كبيرة

والواقع أن أبا تمام كان له ابن اسمه محمد وكان للشاعر اخوة ؛ وقد رثى الجميع بأربعة أبيات من الشعر الذى تتجلى فيه شخصيته :

فلا يشمت الأعداء بالموت إننا سنخلى لهم عن عرصة الموت موردا

ولا يحسـبُن الموت عاراً فإننا رأينا المنايا لم يدعن (محمدا)

ولا يحسب الأعداء أن مصيبتى أكات لهم منى لساناً ولا يدا

تتابع فى عام بُنَىَّ وإخوتى فأصبحت إن لم يخلف الله مفردا

ففى نونيته يقول أبو تمام :

بنى يا واحد البنينا غادرتنى مفرداً حزينا

وفى هذه الأبيات يقول :(فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً)

وقد أخلف الله عليه فرزقه (تماما) الذى ورد ذكره فى تهنئة محمد بن طاهر عند ولايته خراسان ، فمعلوم أن أبا تمام ولد سنة ١٩٢ هـ ومات سنة ٢٣١ . ويمكننا أن نفرض أنه تزوج في سن العشرين تقريباً أى فى سنة ٢١٢ أو ٢١٥ وأن ابنه محمداً مات صغيراً قبل العاشرة أو حوالها أى فى سنة ٢٢٢ أو ٢٢٥ ، وفى هذه السنة عينها مات إخوته (تتابع فى عام بُنىَّ وإخوتى)

وإنى أكرر أن نونية أبى تمام من رائع الشعر . وإنى أدع جانباً الأبيات التى ذكرتها من قبل والتى صور فيها ابنه وهو على فراش الموت ، وأجتزىء هنا بذكر أربعة أبيات أخرى من آخر القصيدة تطل من أسلوبها وكلماتها روح حبيب :

تصرف الدهر بى صروفا وعاد لى شأنه شـــؤونا

وحز فى اللحم بل براه واجتث من طلحتى فنـونا

أصاب منى صميم قلـبى وخفت أن يقطع الوتينا

فالمرء رهن بحالتيــــه فشدةً مرة ولينـــا

ولم يرو الصولى البيت الثانى

وقد نظم أبو تمام الأبيات الدالية التى رثى بها إخوته وابنه محمداً بعد النونية ، ويظهر أنه عند نظمها كانت امرأته « تحمل » تماما ... الذى مات عنه صغيراً ، وقد ولى محمد بن طاهر خراسان فى سنة ٢٤٨ هـ فتكون سن تمام وقت تهنئته ابن طاهر ٢٥ سنة تقريباً ، ولا أظن تماما روى عن أبيه شيئاً ، لأنه لم يكن يتجاوز الثامنة أو التاسعة عند موته

ولعل فقدان حلقات كثيرة فى حياة الشعراء وعدم وجود ملكة التمحيص والتحقيق هما اللذان دفعا الصولى إلى نسبة نونية أبى تمام إلى القاسم لاشتراك ابنيهما فى الاسم والكنية

ولنعد الآن إلى الأبيات التى صور فيها الطائى ابنه وهو صريع الموت والداء :

آخر عهدى به صريعاً للموت بالداء مستكينا

إذا شكا غصـــة وكربا لاحظ أو راجع الأنينا

يدير فى رجعه لسانا يمنعه المــوت أن يبينا

يشخص طــوراً بناظريه وتارة يطبق الجفـونا

ثم قضى نحبـــه فأمسى فى جدث للثرى دفينا

وقد جاء فى الديوان بعد ذكر القصيدة النونية ما يأتى :

وقال فى أخ له وحضر وفاته

لله مقلته والموت يكسرها كأن أجفانه سكرى من الوسن

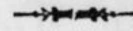
رد أنفاسه كرهاً وتعطفها يد المنية عطف الريح للغصُن

فلكة التصوير واحدة فى القطعتين ؛ وملكة التصوير هذه لا تجدها إلا عند فحول الجاهليين والإسلاميين ، وهي خاتم الجلال العتيق الذى يزين ملامح الشعر العربى وميسم الحسن والروعة والجمال .

محمد صبرى

٢ - شعر ناجى

للأستاذ دريني خشبة



وميزة ناجي الثانية هي قدرته على التصوير . . . وهو يصور في يُسر ورخاء وخصب ؛ وهو يصور الصورة الكاملة التامة بالكلمة الواحدة أحياناً يضعها في مكانها من البيت فتحار إذ ترى أنها لا تصلح إلا فيه ... وقد يصور الصورة الرائعة بالكلمتين أو بالشطرة أو بالبيت الكامل أو بالبيتين أو بالمقطوعة أو بالمنظومة كلها ، فيضع بين يديك ألواناً جيدة حسنة المزج ، خالية من الصنعة والتكلف . ويحافظ ناجي على طبيعة ألوانه هذه ، ويحافظ على ألا يجعلها صارخة مبتذلة ، وقد يؤثر اللمس الخفيف على الخطوط القاطعة القوية ، وكثيراً ما يكتفي بالرمز ، بل كثيراً ما يصور بالوهم ، فيجعلك تتوهم مثله لتخلق معه الصورة التي يريد

ومما يزيد في بهاء صور ناجي جودة الأداء ، أقصد جودة انتقاء الألفاظ التي تحمل الصورة ، وحسن سبكها ، في غير مشقة ولا عسر ... ومما يجمل الالتفات إليه أن جودة الأداء وحسن السبك لم يبلغا أوجهما في الشعر العربي إلا بعد ابتداع الموشحات ، ومما نحمد الله عليه أن شعراءنا الشباب قد استغلوا نظام الموشحة استغلالاً حسناً ساعدهم في الثورة على القصيدة المطردة القافية فافتنوا في معانيهم وأبدعوا ... والطريف من ناجي أنه يطبق ذلك في صمت تطبيقاً عملياً ... فمنذ أخذنا نقرأ ناجي لم نره قط يطيل في قصائده ، بل كان يؤثر لها البساطة والبحر الساذج القصير دائماً ؛ فإذا كانت منظومته من طراز الموشحات رأيناه يطيل إطالة عجيبة ، ورأينا مقطوعاته تحمل من الصور والبراعات ما يفتن به القلوب ويخلب الألباب

ولعل من أجمل صور ناجي تلك التي حمل إلينا فيها قلبه ، والتي قدمنا منها النماذج الكثيرة في الكلمة السابقة ... فقلبه : الشهيد المتوارى في الضلوع ... صورة رائعة فيها سحر وفيها فتنة وفيها حب وأنين وألم ... وكلمة الشهيد وحدها حين تصف القلب تحمل إلى أذهان المحبين صور تلك الساعات الحلوة التي التذوا فيها آلام الصبر والتشوف والحنين والانتظار وخُلف المواعيد ، وهي آلام إذا أحست الجوارح الإنسانية منها شيئاً ، أحس منها القلب الإنساني كل شيء ... فما أبدع كلمة الشهيد في تصوير القلب يدمى ويألم ويتوجع

فهذه صورة رائعة من صور ناجي في كلمة واحدة !

ويقول ناجي :

رفرف القلب بجنبي كالذبيح ... وأنا أهتف : يا قلب اتئدْ !

رفرف القلب ! كلمتان جميلتان تصوران القلب في صورة الطائر الذي يحرك جناحيه حول الشيء كما يقول القاموس ... ورب قائل يعترض بأن هذه صورة قديمة مأخوذة من قول من قال مثلاً : كما انتفض العصفور بلله القطر ... وهو اعتراض لا يكاد يقف على قدميه ، فرفرفة القلب رمز جميل وتلميح ، وانتفاض العصفور بلله القطر إفاضة وتصريح ، ولكل من الصورتين بعد ذلك بهاؤها وروعتها ، فإذا أخذنا الصورة الثانية التي يرفرف القلب فيها بجنب الشاعر كالذبيح ، رأينا لوحة شاملة فيها كثير من التفاصيل الفنية ... ثم تتغير هذه اللوحة حينما نقرأ البيت كاملاً ... لأننا نرى الشاعر ، أو روح الشاعر ، تقف في جانب من الصورة الرائعة وهي تخاطب القلب هذا الخطاب الرفيق ، وتهتف به مشفقة عاتبة : يا قلب اتئد !

فرفرف القلب صورة ، ورفرف القلب كالذبيح صورة ثانية ، والبيت كله صورة ثالثة . . . وهنا قوة ناجي المصور الفنان الذي يجيد مزج ألوانه ...

وانظر إلى الصور الكثيرة المتتالية في المقطوعة التالية :

هل رأى الحب سكارى مثلنا ؟ ... كم بنينا من خيال حولنا !

ومشينا في طريق مقمر ... تثب الفرحة فيه قبلنا !

وتطلعنا إلى أنجمه فتهاوين وأصبحن لنا !

وضحكنا ضحك طفلين معاً وعدونا ... فسبقنا ظلنا !

فيا للفرحة التى تثب فى هذا الطريق المقمر قبل المحبين ؟ ويا لهذه الأنجم التى يتطلع إليها المحبون فترنو لهم وتترفق بهم فتتهاوى وتصبح لهم ! ويا للمحبين حين يسمدون فيضحكون ويعدون ... ويسبقون ظلالهم ! أما كيف يسبق الإنسان ظله فصورة روحية قد لا يفهمها إلا من صحب دانتى الليجييرى فى مطهره ، وفرجيل يقوده وسط أشباح وأرواح !

ويودع حبيبه فيقول :

حان حرمانى فدعنى يا حبيبى   هذه الجنة ليست من نصيبى

آه من دار نعيم كلما   جئتها أجتاز جسراً من لهيب

وأنا إلفك فى ظل الصبا   والشباب النضر والعمر القشيب

أنزل الربوة ضيفاً عابراً   ثم أمضى عنك كالطير الغريب!

وفى أول هذا الوداع يقول :

حان حرمانى ونادانى النذيرْ   ما الذى أعددت لى قبل المسيرْ

زمنى ضاع وما أنصفتنى   زادىَ الأول كالزاد الأخير

رِى عمرى من أكاذيب المنى   وطعامى من عفاف وضمير

وعلى كفك قلب ودم   وعلى بابك قيد وأسير !

والصورتان اللتان يحملهما البيت الأخير من أخلد الصور فى الشعر العربى !

وإليك هذه الصورة :

يا مناجاتى وسرى   وخيالى وابتداعى

ومتاعاً لعيونى   وشميمى وسماعى

تبعث السلوى وتنسى الموت مهتوك القناع :

دمعة الحزن التى تسكبها فوق ذراعى !!

فما أبدع هذا التصوير الرمزى فى البيت الأخير أيضاً

ويصور الحنين فيقول :

أبغى الهدوء ولا هدوء وفى   صدرى عباب غير مأمونِ

يهتاج إن لج الحنين به   ويئن فيه أنين مطعون

ويظل يضرب فى أضالعه   وكأنها قضبان مسجون !

ويقول فيه أيضاً :

ويح الحنين وما يجرعنى   من مُرِّه ويبيت يسقينى

ربيته طفلاً بذلت له   ماشاء من خفض ومن لين

فاليوم لما اشتد ساعده   وربا كنوار البساتين

لم يرض غير شبيبتى ودمى   زاداً ، يعيش به ويفنينى !

كم ليلة ليلاء لازمنى   لا يرتضى خلاً له دونى

ألفى له همساً يخاطبنى   وأرى له ظلاً يماشينى

ويستطيع القارىء أن يعد صوراً شتى فى هذه الأبيات التسعة وهاك صورتين عجيبتين صوّر بهما ناجى حبيبته : أما الأولى فهذه :

وأنت مثل النجم فى المنتأى   وفى السنا الخاطف كالماسِ

يرنو له الناس ويبغونه   وما يبالى النجم بالناس

وهى صورة مركبة فى البيت الأول ، أما الثانية فهى :

وأنت كأس الحسن لكننا   مثل حباب حام بالكاس

طفا وقد قبَّل أنوارها   ورف مثل الطائر الحاسى

وجف أو ذاب على نورها   كما يذوب الطلُّ بالآس

وهذه صورة مركبة أيضاً ، لأنها تتألف من صور خلابة شتى ، تذكرنا بصور ابن المعتز وذى الرمة والبحترى ... ولست أبالى أن أذكر أن صور ناجى هذه تفوق صور هؤلاء بالرقة واللمس الدقيق !

وانظر كيف يحيى لنا ناجى سنة الأولين فى الوقوف بالأطلال :

آه مما صنع الدهر بنا   أو هذا الطلل العابس أنتِ !؟

والخيال المطرق الرأس أنا ؟!   شد ما بتنا على الضنك وبتِّ !

أين ناديك وأين السمَرُ !   أين أهلوكِ بساطاً وندامى ؟

كلما أرسلت عينى تنظر   وثب الدمع إلى عينى وغاما !

موطن الحسن ثوى فيه السأمْ   وسرت أنفاسه فى جوّهِ

وأناخ الليل فيه وجثم وجرت أشباحه في بهوه

ولا بأس من نقل الصور التالية من تلك المنظومة الخالدة من شعر ناجي :

والبلى ! أبصرته رأى العيان ويداه تنسجان المنكبوت
صحت: يا ويحك تبدو في مكان كل شيء فيه حي لا يموت ؟

كل شيء من سرور وحزن والليالي من بهيج وشجي
وأنا أسمع أقدام الزمن وخطى الوحدة فوق الدرج

فمن من الشعراء القدامى أو الشعراء المحدثين وقف على طلل حبه فبكاه هذا البكاء واستطاع أن يصوره هذا التصوير ؟ أنظر إلى هذا الخيال المطرق كلما أرسل عينيه في دمنة حبه وثب إليهما الدمع . . . وغاما ! . . . وانظر إلى الليل كيف يُنيخ في هذا الطلل ويجثم ، وكيف تجرى أشباحه في عرصاته وتهوّم ! وانظر إلى البلى كيف تنسج يداه العنكبوت في هذا الرسم الدارس ، والمحب الباكي واقف يسمع إلى أقدام الزمن تدب في أركان هذا المكان الذي كان نادى حبه وجنة قلبه ، وإلى خطى الوحدة الموحشة نازلة صاعدة فوق الدرج ...

وإليك هذه الصورة من منظومة في حبيبه المريض الذاوي :

ذهب الصبا الغالي ، وزالت دوحة
مدت لنا ظل الوفاء ظليلا
أيام يخذلني أمامك منطقي فإذا سكت ، فكل شيء قيلا !
ويثور بي حبي فإن لفظ جرى بفمي ، تعثر بالشفاه خجولا !

فهذه صورة عادية رددها الشعراء في شعرهم طويلا ، إلا أن موضع السحر فيها كامن في عجز البيت الثاني : فإذا سكت فكل شيء قيلا ! كما يكمن الكثير من هذا السحر في ذاك اللفظ الذي إن جرى بفم المحب تعثر بالشفاه خجولاً !

ومن تصور ناجي بالوهم الذي رأينا منه صورة قوية في وقوفه بطلل حبيبه ، الصورة التالية :

يا طالما أدنتك أوها م كواذب كالحلم
فلمحت صبحك في السوا د وخلت روحك في النسم
وشفيت وهمي من رضا ك ورُبَّ ذي بأس وهمْ
ورويت أذني من حديثـ ـك وهو معبود النغم
وحرقت قلبي من سنا ك على جمال يضطرم
كفراشة حامت عليـ ـك وأي قلب لم يحم !
لك حُسْنُ نوار الخميلة طل صبحاً فابتسم
لك نضرة الفجر الجميـ ـل على الذوائب والقمم
لك طلعة البرء المرجى بعد مستعصى السقم
وسؤال دمعك حين يسـ ـألني ، ومن لي بالكلم
لم يا أنيس خواطري غفت العيون ونحن لم !؟

أكاد أنقل الديوان كله ، لأنه يفيض بتلك الصور ، بتلك الغرر !...

(يتبع) دريني خشبة

وظيفة المـــرأة

للأستاذ حسين غنام

« تلخيص لبعض آراء الكونتس أف أكسفورد في كتابها (في السجلات) »
(تتمة ما نشر في العدد ٥٦٣)

ولماذا أنشئت المنتديات ؟

إن النساء لا يقصدن المنتديات إلا نادراً ، وأظن — وقد أكون على خطأ في هذا الظن — أن هـذا السبب يرجع إلى تفضيل متوسط الرجال صحبة الرجال على صحبة النساء ، أو لأنه يريد فترة راحة يقضيها بعيداً عن زوجته . وإذا سألت عن أحد الرجال في منتدى « بالتليفون » قيل لك هذا الجواب : إنه لم يترك عنواناً . أو نحن لا نبعث بمراسلات لأعضاء هذا النادى .

وقبل أن تمنح المرأة هذه الحرية كانت حياتنا مهددة ليلاً ونهاراً ، حتى اضطرت إدارة « بوليس سكوتلانديارد » إلى استخدام رجلين من رجال الحفظ السريين ليبسطا حمايتهما علينا حيثما كنا في لندن أو في الريف[1]

ولقد حصلت المرأة على ما أرادت ، فماذا صنعت به ؟ لعلك قائل إنها حتى الآن لم تتعلم السياسة تعلما كافياً حتى تبرز في مجلس النواب . وأقرر أنه لن يكفي المرأة أكبر مقدار من التعليم حتى يجعلها سياسية في المنزلة الأولى .

وهل تستطيع أن ترى امرأة صائرة إلى منصب رئيس وزارة ؟ إنى لن أستطيع أن أتصور نكبة أعظم من وضع هذه « الجزر البريطانية » تحت قيادة إحدى النساء في « شارع داوننج رقم ١٠ »

إن النساء لا يحسن حتى الكلام ! وإذا استثنيت ابنة زوجي « ڤيوليت بنهام كارتر » ، فإني لم أسمع مطلقاً سيدة يمكن أن تقول عنها إنها خطيبة ![1]

لقد وجد الكثيرون من رؤساء الوزارات الرجال لم يكونوا خطباء ممتازين ، ولكن كانت لهم صفات أخرى ارتفعت بهم إلى هذا المنصب

وليس من الضرورى لكى تصير رئيس وزارة عظيما أن تكون خطيباً عظيما ، ولكن الخصائص الأخرى التى يجب أن تتحلى بها ، يجب أن تعدل تلك الخصيصة أو ترجحها ، وأهمها : العدل والروية والتبصر بالأمور ، ورحابة الصدر ، والقدرة على المناقشات والجدال . وقبل كل شىء التزام العدالة ؛ فهل تستطيع امرأة ماهرة حاذقة أن تفعل شيئاً من هذه الأشياء ؟

إنها بالتأكيد لا تستطيع إذا كانت ماهرة ، بل على النقيض ، فكلما كانت المرأة أحذق أو أمهر ، فهى لا تلتزم العدل

وهل كانت المناقشة والحجة من أقوى خصائص المرأة العقلية ؟ ربما . . . ومنها كذلك الإجحاف والميل في جانب دون الآخر ؟ غالباً .. والشجاعة أيضاً ؟ دائماً ...

لست حكَماً جيداً على جنسي النسوى ، لأنى لم أقابل امرأة تستحق الاعتبار إلا نادراً . على أننى صادفت كثيراً من الرجال الخليقين بالاعتبار والتبجيل . وقد أكون سيئة الحظ في هـذه الناحية ، فيجب أن يكون هناك كثيرات من هذا النوع من النساء ، ولكنى أكتب عن تجاربى الخاصة ، فإذا كانت هناك نساء مبرزات فإنى لم أقابلهن

كتب بليك عن « زواج الجنة والجحيم » فقال : (إن

---

(١) لعل المؤلفة تقصد أن المرأة كان يخشى عليها من خروجها وحدها حتى اضطرت إدارة الحفظ إلى بسط حمايتها عليها ، وذلك قبل حرية المرأة المطلقة هكذا ...

(١) وإليك النص من كلام المؤلفة :

No amount of education will make women first rate politicians. Can you see a woman becoming a Prime Minister ? I connot imagine a Greater Calamity for these islands were they to by put under the guidance of a woman in 10, Dowaing-street. They are not even good speakers. With the exception of my step-daughter, Violet Bonham-Carter, I have never heard one woman of whom you could say, "She is an orator".

الفطنة عذراء غنية شوهاء عجوز ، يتودد إليها العجز والقعود)
وقد تكون الفطنة حكيمة . ولكنها آخر شيء يمكن أن يسترعى نظرى لو أننى كنت رجلاً !

ولماذا أوصى شيكسبير بفراشه الثمين الثانى لزوجته ؟

إن هناك نساء كثيرات كان حبهن وحياً لرجالهن مدى حياتهم ؛ ولكي تكون محبوباً يجب أن تكون إنساناً . ولكن هذه الإنسانية هى الشيء الذى أفتقده فى النساء ، فلا أجده . إنهن أقل إنسانية من الرجال ، وقد فشلت زيجات عديدة ، لأن الزوجة كانت تأخذ حب زوجها كفرض عليه حيالها أو قضية مفروغ من أمرها

على أن ممارسة الحب هى فن آخر من أهم الفنون وأعظمها ؛ وحسبك أن سعادتك وشبابك يتوقفان عليه

فلماذا ينقطع هذا الحب بانقطاع صلصلة أجراس الخطبة ، أو بانقضاء شهر العسل ؟

فإذا تزوجت امرأة زيجة فى غير محلها ، أى تزوجت رجلاً لم يوائمها ، فهذا شأنها وحدها ، ولكن إذا حدث هذا ، وكانت الزوجة صاحبة هذا الحظ قوية الملاحظة والتخيل ، بعيدة النظر ، فباستطاعتها أن تجعل عشرتها لذلك الزوج أبهج وأمتع مما تستطيع امرأة أخرى قد توافقه مزاجاً وروحاً

ولست هنا بصدد الكتابة عن الزيجات الشقية ، ولكنى أكتب عن السعيدة منها ...

أنظر إلى زوجين فى مطعم ، فهل تراهما يحادث بعضهما بعضاً حديثاً نابضاً بالحب والحياة ؟

لم أجد شيئاً يصدمنى فى مثل هذا كرؤيتى ما يبدو على وجهى مثل هذين الزوجين عند ما يجالسهما شخص آخر ممتلئ حركة وحياة ؛ فهو يغير جلستهما الرتيبة الثقيلة

وعند ما يعود زوج من عمله مكدوداً ، هل تلبس زوجته أبهى ثيابها وأبهجها ؟

إنها لن تفعل ذلك إذا كانت مع زوجها لا ثالث لهما !

وإذا لم يلاحظ الزوج ثوب زوجته ، فهل تعيب عليه ذلك ؟

وهل هى تقرأ الكتب التى يقرأها زوجها ؟ أو هل هى تحاول طرقاً جديدة قد تبهجه وتدخل السرور إلى نفسه ؟

إنى أشك فى ذلك ...

وربما قيل فى تعليل هذا ، وانتحال عذر له ، أن النساء ، وخاصة من لهن تجارب سابقة فى الحب وأسراره ، لا ينظر إليهن المجتمع نظرة راضية عنهن

وفى اعتقادى أن « المجتمع » كلمة يجب أن تبعدها الزوجة من تفكيرها إذا كانت ستؤثر فى حياتها الزوجية أو توجهها توجيهاً آخر ...

إن البيت هو الكلمة المقدسة — ولا تترجم هذه الكلمة إلى أية لغة أخرى مما أعرف — وإذا كان البيت مبهاجاً ، فباستطاعة المرأة حينئذ أن تطفئ الأنوار ...

(الاسماعيلية) حسين غنام

رسائل الأصدقاء

من بركات الأدب

... عُدتُ أمس صديقاً أنهكه رسُّ المرض حتى أذواه. فما ترى إذا رأيتَ، سوى أعظُم ناتئة تهم أن تخرج، ولا تسمع إذا سمعتَ غير أنين خافت موجع كأنه ودع الجسم للروح. فتلقاني بابتسامة كأنها الزهرة الذابلة، وبدمعة كأنها اللؤلؤة اللمّوع، وأدناني من سريره وبكى، فواسيتُه بالأحاديث، وخففت عنه بالأهازيل، فلم يسكن اضطرابُه، ولا خفت آلامُه:

ثم رأيته يتململ فى فراشه حيران، ويشير إلى صدره أسوان، ويقول: « إنى لأحسّ ههنا سكيناً تمزّق وتخرّق. أفلا ترقيني؟... »

فقلت لنفسى: « هـذا أول الهذيان ثم يتبعه الجنون! » وقلت له: « ومتى عهدتنى، عافاك الله، صاحب رقية، أرقى بها الناس لتسألنى ما سألت، وتسترقينى؟ »

قال: « سألتُك بالله وبودّك بى أن ترقيني. لقد كان أبوك شيخ القرنين، وكان رجلاً مباركاً كأنه مَلك كريم؛ وجدُّك كان شيخاً صالحاً، لم تشغله تجارته الواسعة عن التقوى. ثم إن الولد سر جدّه وأبيه! »

وارتبكتُ، ورأيته يمسك بيدى فيذرف دمعة، فتتساقط عليها فتلذعنى، ثم يضمها على صدره ويغمض عينيه

وتكلّفتُ الجد والوقار، وهممتُ أن أقرأ له، ولكن مرّت على خاطرى خطرة بارعة، فوجدتُنى أردّد على مهل قطعة لصديق « الزيات » عن الربيع، كنتُ حفظت فقراً منها:

« ... هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة، ويا طفلتى الجميلة: صفاء من سلام النفس يفيض بشراً فى العين وطلاقة فى الوجه؛ ورواء من ألق الشباب يشعّ نوراً فى السماء وسروراً فى الأرض؛ ورخاء من نعيم الطبيعة ينشر عطوراً فى الجو وزهوراً فى الروض؛ وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة فى الحس وبهجة فى القلب؛ وهدهدةٌ على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد؛ واتحاد الجمال البشرى بالجمال الإلهى الماثل فى وِشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة. فأين بالله وبكما أجد الفرق بينكما وبين مَلكين يمتنقان فى نشوة الخلد ويأتلقان فى وَضاءة الفردوس؟ أفى النظرة الساهمة، أم فى البسمة الحالمة، أم فى الفتنة النائمة، أم فى الحنوّ الخليق بالأمومة، أم فى الصبا الذى يضوع بريح الجنة... »

وإنى لماض فى ترداد ما أذكره، أهمهم تارة، وأبين مرة، وأخفى أخرى، وأغمض عينى تارة، وأحدّق فى صاحبى طوراً، حتى رأيته قد فتح عينيه وصحا؛ وإذا بالبسمة ترفّ على ثغره الذابل، وبالرضى يشيع فى وجهه الجاهم، وبالهدوء يسرى فى جسمه النحيل، وإذا به يقول بنبرة حنون: ما أبرع رقيتك! أخبرنى بربّك ما ذا قرأت لى، وأى رقية هذى؟ كان قلبى خافقاً فهدأ، وكان جسمى مضطرباً فسكن، وكان عقلى ساهماً فثاب. ألم أقل إنك صالح وفيك صلاح؟ علّمنيها أرقِ بها نفسى!...

وانفجرت ضاحكا ضحكاً يدوّى، وحرت فما أدرى ما أقول. فنظر إلى دَهِشاً وسألنى: ما ذا يضحكك؟ ولم لا تضنّ علىّ بها؟...

قلتُ هذى رقية لا يعلم سرها أحد، ولا يرقى بها أحد، ولا أعلمها أحداً!

وأخذتُ أعتذر، وأخذ يُلحّ، وأنا أضحك فى نفسى، وأضحك منه. فلما رأيته قد ضاق صدره قلت: اكتب رقيتى: « هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة، ويا طفلتى... »

فحدّق بى وقال: « فتاتك وطفلتك! ما ذا أصابك؟ لكأنى أنا المعافى وأنتَ المريض، أبهذا رقيتنى؟ »

قلتُ: « نعم! ألححتَ علىّ فلم أجد ما أرقيك به غير رقية من رُقى (الزيات) جرت على لسانى... »

فضحك ضحكا متواصلاً، ونهض من فراشه واثباً، وأخذ يقول: « ارقنى... فما أحبّ هذه الرقية إلىّ. إن فيها سحراً... وإن من البيان لسحراً! »

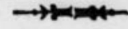
وكانت رقيتى مبدأ شفائه، فلعل الله أن يُمنّ عليه بالصحة والعافية... ببركات (الزيات)!

(دمشق) « الربيع »

القضايا الكبرى في الإسلام

نسب زيــــاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



كان من أنكحة الجاهلية أن الجماعة يباشرون البغيّ ، فإذا ولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه ، وكانت سُميّةُ أم زياد لدُهْقانٍ فارسي ، فرض فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفيّ فعالجه فبرىء فوهبه سمية ، وقد ولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه نفيع ، فلم يقربه ، ثم ولدت نافعاً فلم يقربه أيضاً ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين حاصر الطائف قال الحارث لنافع أنت ولدي ، وكان قد زوج سمية من غلامه عبيد الرومي ، فولدت زياداً بعد زواجه بها ، فكان يدعى له إلى أن استلحقه معاوية في ملكه بنسب أبيه

وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان قد سار في الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على خمّارٍ يقال له أبو مريم السّلولي ، وقد أسلم بعد هذا وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو سفيان : التمس لي بغيًّا . فدله على سميــــة فجاءت بزياد في السنة الأولى من الهجرة

فلما كبر زياد ونشأ كان امرءاً حازماً خطيباً فصيحاً ، فاتخذه أبو موسى الأشعري كاتباً له في ولايته على البصرة ، ثم إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً ، فقام به على أحسن وجه فلما عاد إليه حضره عنده وجوه المهاجرين والأنصار ، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها ، فقال عمرو بن العاص : لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . فقال أبو سفيان : والله إني لأعرف أباه . فقال علي : يا أبا سفيان اسكت ، فإنك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً

وقد كان هذا من أبي سفيان أول خطوة في استلحاق زياد به وإنما تأخر بها إلى هذا العهد لأنهم كانوا يكرهون استلحاق أولاد الإماء بأنسابهم ، ولا سيما إذا كان على ذلك النوع من الأنكحة فإذا أنجب ولد الأمة لم يروا بأساً في استلحاقه بأنسابهم ، ولكن أبا سفيان حين فكر في ذلك وجد أن أمره قد نسخ بالإسلام ، لأنه حرم ذلك النوع من النكاح ، وقضى بأن الولد للفراش وللعاهر الحجَرُ ، ولكنه أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ، ولم يفرق بين شيء منها ، لأن كل تشريع لا يجرى إلا على الحاضر . ولا يجرى على الماضي إلا في رفع ظلم قائم ، أو نحو ذلك مما يجوز الأخذ به فيه ، فسكت أبو سفيان على مضض ، لأنه لم يكن له من الشأن في الإسلام ما يمكنه من التصرف في ذلك الأمر ، وكان شأنه في ذلك شأن كل من تأخر في الإسلام من أشراف الجاهلية

وقد نبه شأن زياد في خلافة علي ، وتولى له فارس فضبطها وحمى قلاعها ؛ فلما اتصل خبره بمعاوية ساءه وكتب إليه يتهدده ويُعرّض له بولادة أبي سفيان ، فجمع الناس وقام فيهم خطيباً فقال : العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق ، يخوفني بقصده إياي وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر . مخشياً ضراباً بالسيف

ولما بلغ ذلك علياً كتب إليه : إني وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً ، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس ، لا توجب له ميراثاً ، ولا تحل له نسباً ، وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذر ، ثم احذر ، والسلام

وكان بعد هذا أن استتبّ الأمر لمعاوية بعد قتل علي وتنازل الحسن له ، فأبقى زياداً في فارس وصالحه على ألْفَيْ ألْفِ درهم ، وسكت عن استلحاقه بنسب أبيه لأنه لم يبق له حاجة فيه فصار زياد هو الذي يسعى في أمر ذلك النسب ، ويجتهد في استمالة معاوية إليه ، حتى جعل لمصقلة بن هُبَيْرَةَ الشيباني عشرين ألف درهم على أن يذهب إلى معاوية ويقول له : إن زياداً قد أكل فارس براً ، وبحراً ، وصالحك على ألفيْ ألف درهم ، والله ما أرى الذي يقال إلا حقاً . فإذا قال : وما يقال ؟ قال له : يقال إنه ابن أبي سفيان . ففعل مصقلة ذلك ، ورأى معاوية أن

يستميل زياداً ويستصفي مودته باستلحاقه ، فاتفق معاوية وزياد على ذلك الاستلحاق ، ثم أحضر معاوية الناس ، وحضر من يشهد لزياد بذلك النسب ، وكان فيمن حضر للشهادة أبو مريم السلولي ، فقال له معاوية : بما تشهد يا أبا مريم ؟ فقال أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيًّا ، فقلت له : ليس عندي إلا سمية . فقال : ائتني بها على قذرها ووضرها ، فأتيته بها فخلا معها ، ثم خرجت من عنده وإن أسكتيها ليقطران مَنِيًّا . فقال له زياد : مهلاً أبا مريم ، إنما بعثت شاهداً ، ولم تبعث شاتماً

فاستلحقه معاوية بعد هذا بنسب أبيه ، وصار يدعى زياد بن أبي سفيان ، وكان يدعى زياد بن عبيد . وقد اختلف الناس في هذا الحكم اختلافاً كبيراً ، فرأى كثير منهم أنه أول ما رُدت به أحكام الشريعة علانية ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للولد للفراش وللعاهر بالحجر ، وقد عظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة ، وكانت عائشة ممن لم يرض عن هذا الحكم ، فكتب زياد إليها : من زياد بن أبي سفيان . وهو يريد أن تكتب له : إلى زياد بن أبي سفيان . فيحتج بذلك ، فكتبت إليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد

وكان عبد الله بن عامر من بني أمية ممن أنكر أيضاً ذلك الحكم ، وهو عامل لمعاوية على البصرة ، فلما وفد زياد على معاوية كان معه رجل من عبد القيس ، فقال لزياد : إن لابن عامر عندي يداً ، فإن أذنت لي أتيته . فأذن له على أن يحدثه بما يجري بينهما ، فلما أتى ابن عامر قال له : هيه هيه ، وابن سمية يقبح آثاري ، ويعترض لعمالي ، لقد هممت أن آتي بقسامة من قريش يحلفون بالله أن أبا سفيان لم ير سمية . فلما رجع إلى زياد سأله فلم يخبره ، فألح عليه حتى أخبره ، فأخبر زياد معاوية بذلك فقال لحاجبه : إذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الأبواب . ففعل ذلك به ، فأتى ابن عامر يزيد فشكى ذلك إليه فركب معه حتى أدخله ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر : إجلس ، فكم عسى أن يقعد في البيت عن غير مجلسه . فلما أطالا خرج معاوية وهو يتمثل :

لنا سياقٌ ولكم سياقُ   قد علمت ذلكم الرِّفاقُ

ثم قعد فقال : يا ابن عامر ، أنت القائل في زياد ما قلت ، أما والله لقد علمت العرب أني كنت أعزها في الجاهلية ، وأن الإسلام لم يزدني إلا عزا ، وأني لم أتكثر بزياد من قلة ، ولم أتعزز به من ذلة ، ولكن عرفت حقاً له فوضعته موضعه

فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين ، نرجع إلى ما يحب زياد

فقال : إذن ترجع إلى ما نحب . فخرج ابن عامر إلى زياد فترضاه

وقد دخل الشعر والسياسة في هذا الحكم فغلوا فيه غلواً فاحشاً ، وكانت هناك خصومة بين بني زياد ويزيد بن مُفَرِّغ الشاعر الحميري ، فقال في ذلك شعراً كثيراً مُقذِعاً ، هجا به زياداً وبنيه ، من ذلك قوله :

ألا أبلغ معاوية بن حرب   مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ   وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد   كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً   وصخر من سُمَيَّة غير دان

ومنه أيضاً :

إذ أودى معاوية بن حرب   فبشر شعب قلبك بانصداع
فأشهد أن أمك لم تباشر   أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لَبْسٌ   على وجل شديد وارتياع

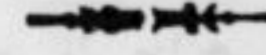
وذكر ابن الأثير أن من اعتذر لمعاوية قال : إنما استلحق معاوية زياداً لأن أنكحة الجاهلية كانت أنواعاً لا حاجة إلى ذكر جميعها ، وكان منها أن الجماعة يباشرون البَغِيّ ، فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه ، فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح ، إلا أنه أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ، ولم يفرق بين شيء منها ، فرأى معاوية أن ذلك جائز له ، ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والإسلام

ثم ذكر أن هذا مردود لاتفاق المسلمين على إنكاره ، ولأنه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجة

وإني أرى أن هذا الحكم كان أهون مما ظن أولئك القوم ، وأن معاوية كان أكبر من أن يكون استلحاقه لزياد أول ما رُدَّت به الشريعة علانية ، فهو من أكابر أصحاب رسول الله

٤ – القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



وكتاب النثر الفنى — أو النثر الفنى فى القرن الرابع إذا لم يختصر اسمه — بحث قدمه الدكتور زكي مبارك لينال به الدكتوراه من جامعة باريس، ولم يجد سبيلاً إلى جديد يقدمه فى بحثه إلا أن يبدىء ويعيد وينقص ويزيد فى تاريخ اللغة العربية وآدابها، وتاريخ الأمة العربية فى جاهليتها وإسلامها، ليثبت أن نشأة النثر الفنى جاهلية لا إسلامية. والنثر الفنى الذى يريد ليس هو نثر الخطب والأمثال والمحادثة، ولكن نثر الرسائل والكتب. فهو يزعم أن العرب فى جاهليتهم كانوا يكتبون الرسائل ويؤلفون الكتب[1]، ودليله فى هذا «أن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبى عليه السلام حتى يتهم بأنه لفق القرآن مما نقل إليه من علوم الأولين» ذاكراً آية سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذن لارتاب المبطلون) التى جعلها من سورة القصص. واحتج عليه المسيو مرسيه، فيما حكى فى كتابه عنه وعن نفسه، بأنه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها كما هو الشأن فى آثار الهند والفرس والروم، فأجابه «بأن فقدان تلك الآثار لا يكفى لإنكار أنه كان لها نصيب من الوجود[1]»، ثم زاد زكى مبارك بعد ذلك «على أن فى القرآن الكفاية وهو أثر جاهلى كما سنبينه بعد قليل»

وقد أنفق هذا القليل فى إنكار أن تكون النصوص النثرية المروية عن العصر الجاهلى صحيحة زاعماً أنها «مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية»

(١) الجزء الأول صفحة ٣٤

(١) الجز لأول صفحة ٣٤

صلى الله عليه وسلم، وكان ممن اختاره لكتابة الوحى فائتمنه على أمر السماء، فبعيد على مثله أن يقصد إلى أمر يخالف الشريعة علانية كما زعم أولئك القوم، وقد كان له فى ذلك اجتهاد مقبول سنبينه، ولا يهمنا بعد ذلك أن يكون أخطأ فيه أو أصاب، لأن مثله إذا اجتهد فأخطأ عذر في خطئه، ولم يكن لذلك مطعن فى حكمه، لأن مسائل الاجتهاد يرجع أمرها إلى الظن، ولا يعلم الخطأ فيها بيقين

ولو رجعنا إلى ما ذكره أولئك القوم لوجدنا أن منهم من ينكر ذلك الحكم لأنه يرى أن أبا سفيان لم يجتمع بسمية، وهذا تعنت ظاهر، لأنه لم يكن ما يدعو أبا سفيان إلى أن يكذب فى دعوى اجتماعه بسمية، وفى دعوى أنها علقت بزياد من اجتماعه بها، وقد كان زياد فى عهد عمر فتى ناشئاً لا خطر له، وكان لأبى سفيان من الأولاد من هو أجل منه خطراً، ولو لم يكن له منهم غير معاوية لكفى، وقد صدقه علىّ فى اجتماعه بسمية وأن زياداً من نطفته، ولكنه رأى أن ذلك كان فلتة لا توجب ميراثاً ولا تحل نسباً. والحق أن رأيه فى ذلك صحيح فيما كان منه فى الإسلام، لا فيما كان منه فى الجاهلية

ومنهم من ينكر ذلك الحكم لأنه يخالف قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وللعاهر بالحجر. وهذا خطأ ظاهر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك فى زنا الإسلام لا فى زنا الجاهلية، ولهذا أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أى نكاح من أنكحتهم على نسبه، ولم يفرق بين شيء منها. وقد ولد عمرو بن العاص بمثل ما ولد به زياد، فألحقته أمه بالعاص، ثم جاء الإسلام فأقر ذلك الإلحاق. ومنهم من ينكره لاتفاق المسلمين على إنكاره، ولأنه لم يستلحق أحد فى الإسلام مثله ليكون به حجة. ودعوى الاتفاق فى ذلك ظاهرة البطلان، وعمل معاوية مما يحتج به ولو لم يسبق إلى مثله، ولا يبقى بعد هذا إلا أن يقال إن حق زياد فى ذلك قد سقط بطول المدة، وبنسخ الإسلام لذلك النكاح الذى قام الاستلحاق على أساسه. ويمكن أن يجاب عن هذا بأن طول المدة قد اختلفت الشرائع فى تحديده وبأن الإسلام حين نسخ ذلك النكاح لم ينسخ آثاره

عبد المتعال الصعيدي

فأنكر مثلاً خطبة قس بن ساعدة الإيادى فى قوله : « وهى الخطبة التى زعم الرواة أنه تنبأ فيها بظهور الرسول ، وهى بلا شك خطبة وضعت لإيهام الجمهور أن نبوة محمد كانت مما يجرى على ألسنة الخطباء الموفقين من أصحاب الحكمة فى عهد الجاهلية »

وبعد أن مضى ينكر وينفى ويتهم بغير دليل قال « فكيف يستقيم مع ذلك ما نراه من أنه كان للعرب نثر فنى قبل الإسلام ؟ فليعلم القارىء أن لدينا شاهداً من شواهد النثر الجاهلى يصح الاعتماد عليه وهو القرآن » ص ٣٨ ، ثم عقب على ذلك بقوله : « ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثراً جاهلياً ، فإنه من صور العصر الجاهلى ، إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره وهو — بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب — يعطينا صورة للنثر الجاهلى ، وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء » . تأمل كلامه هذا جيداً وافهمه فى ضوء ما قدمنا لك فى المقالين السابقين وفي التمهيد قبلهما ، ثم تأمل قوله « وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء» فإن لازم هذا الكلام أنها كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند النبى . وهذا تلميح كتصريح فى الوضوح . ثم مضى يتمم حكايته عن نفسه فقال :

« وقد قدمت هذا الشاهد للمسيو مرسيه الذى يرى أن النثر الفنى يبتدئ بابن المقفع ، فأخذ يبحث عن مخرج ولكنه لم يهتد إلى الآن . أما الدكتور طه حسين فقد اهتدى إلى مخرج لطيف وذلك إعلانه أخيراً فى دروسه بالجامعة المصرية[1] أن القرآن لا هو شعر ولا هو نثر ، وإنما هو قرآن » ، وأنت ترى فى كلامه هذا مثلاً من شروده وعوج تفكيره ، لأنه كان يتكلم عن القرآن كنثر جاهلى فى زعمه ، فانتقل إلى الكلام عن القرآن هل هو نثر أو غير نثر ، كأنه لا يرى الفرق الهائل بين الأمرين . ثم استمر يتحدث عن رأى الدكتور طه فقال : « وقد بلغتنى عنه هذه الكلمة وأنا فى باريس فحسبته يمزح ... فلما عدت راجعته فوجدته يصر على أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام : شعر ونثر وقرآن . وقد حسب الدكتور طه أنه ينجو بهذا التأويل ! وكان الظن به أن يؤيدنا فيما رأيناه من قدم النثر الفنى عند العرب ، وأن لا يستكثر علينا أن ننقض بعض ما يرى المستشرقون ، وهم يرون بلا حق أن العرب لم تكن لهم ذاتية أدبية ، وإنما أخذوا طرائق النثر الفنى عن الفرس واليونان » !

فهل رأيت أو سمعت بحمق كهذا الحمق الذى يريد أن ينفى عن العرب تهمة أخذ النثر الفنى عن الفرس واليونان فلا يرى سبيلاً إلى هذا إلا أن يسلبهم القرآن كتاباً من عند الله ليرده أثراً جاهلياً يثبت لهم به ذاتية أدبية ؟ ! أفترى هذا الرجل يرى القرآن من عند الله أم من عند العرب ؟ إذا كان من عند الله فكيف يمكن أن يثبت به للعرب ذاتية أدبية كالتى أراد وليس فيه لعربى منهم حرف ؟ وإن كان أثراً جاهلياً يثبت قدم النثر الفنى أى نثر الرسائل والكتب ، عند العرب ، فكيف يمكن أن يكون من عند الله ؟ إن هذا الرجل بين أن ينكر القرآن أو أن ينكر (نظريته) فى نشأة النثر الفنى ، كما يسمى فرضه الذى افترض ، ليس له عن أحدهما محيص

وإن أردت مثلاً آخر فاقرأ له قوله بعد ذلك : « القرآن شاهد من شواهد النثر الفنى ولو كره المكابرون . فأين نضعه من عهود النثر فى اللغة العربية ؟ أنضعه فى العهد الإسلامى ؟ وكيف والإسلام لم يكن موجوداً قبل القرآن حتى يغير أوضاع التعابير والأساليب ! » أرأيت استدلال الدكتور البحاثة على وجوب وضع القرآن فى العهد الجاهلى ؟ الإسلام لم يكن موجوداً قبل القرآن حتى يمكن أن ينسب القرآن إلى العهد الإسلامى ، وإذن فالقرآن كان موجوداً قبل الإسلام ما دامت نسبة القرآن إلى العهد الإسلامى غير ممكنة ! هذه هى نتيجة منطق الدكتور . وهذا طبعاً يستلزم أنه يفرق بين القرآن وبين الإسلام ، إذ لو كان القرآن والإسلام شيئاً واحداً عند الدكتور لكان القياس الذى بنى عليه حجته السابقة هو أن القرآن لم يكن موجوداً قبل القرآن ، وإذن فلا يمكن أن ينسب إلى العهد القرآنى ! وهو قياس كما ترى لا يليق أن ينسب إلى دكتور

(١) الكتاب المنقود طبع سنة ١٩٣٤

وللدكتور دليل آخر على أنه « لا مفر إذن من الاعتراف بأن القرآن يعطى صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية » ذكره فى قوله عقب ذلك « وفى القرآن نص صريح على أن الرسول لا يرسل (إلا بلسان قومه ليبين لهم) وتلك إشارة نلوح بها لمن لا يكفيهم المنطق ، وإلا فكيف يعقل أن يحدث النبى قومه بما ينبو عن أذواقهم وأفهامهم ، وهو رجل مسئول لا يستطيع أن يقصد إلى الإغراب فى الألفاظ والتعابير ، أو قهر اللغة على الالتواء عما ألف العرب من طرائق البيان » ص ٣٩

وملخص هذا الدليل أن القرآن صورة صحيحة لنثر الجاهلية الفنى لأن المشركين كانوا يفهمونه ويستسيغونه . ولازم هذا إن صح ، أن الجاهليين لم يكونوا ليفهموا ولا ليستسيغوا نثر ابن سلام والجاحظ ، ولا نثر سهل بن هارون وعبد الحميد وابن المقفع ، ولا نثر الخوارزمى وابن عباد وابن العميد ؛ بل ولا شعر جرير والفرزدق والأخطل وبشار وابن الرومى والبحترى ، لأن شعر هؤلاء ونثر أولئك إسلامى لا جاهلى ، فإذا هم فهموه واستساغوه كان فى منطق الدكتور جاهلياً لا إسلامياً ، كأن تعريف الأدب الإسلامى عند الدكتور هو ما لا يمكن أن يفهمه أو يستسيغه الجاهليون !

لكن عدِّ عن هذا وارجع إلى تلك القطعة من كلام صاحب النثر الفنى ففيها ما هو أهم من هذا كله فى ما نحن بصدده . اقرأ قوله : « وإلا فكيف يعقل أن يحدث النبى قومه بما ينبو عن أذواقهم وأفهامهم » ، وامض إلى آخر القطعة ، ولاحظ استبعاده أن يقصد النبى إلى الإغراب أو قهر اللغة على الالتواء عما ألف العرب ، واذكر أن هذا كله قاله صاحب النثر الفنى فى مقام الكلام عن القرآن وموافقته لغة العرب . ألا ترى أن ذلك القول منه أقرب ما يكون إلى التصريح بأن القرآن من كلام النبى ، حدث قومه به وتجنب فيه الإغراب عليهم فى الألفاظ والتعابير ولم يقهرها عما يألفون ؟ إن الرجل صاحب رأى فى القرآن ، ويأبى هذا الرأى إلا أن يظهر فيما يكتب وما يسوق من استدلال

ويمضى الرجل إلى آخر الشوط فى استنتاجه من فرضه الذى افترض من أن القرآن (أثر جاهلى) فيزعم للعرب فى الجاهلية (نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية) كان الإسلام تاجاً لها[1] ، أى أن الإسلام كان نتيجة وتماماً لتلك النهضة لا سبباً لها . اقرأ تعليله بعد إن شئت : « لأنه لا يمكن رجلاً فرداً مثل النبى محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم إلى الوجود ومن الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون تلك الأمة قد استعدت فى أعماقها وفى ضمائرها وفى عقولها بحيث استطاع رجل واحد أن يكون منها أمة متحدة وكانت قبائل متفرقة ، وأن ينظم علومها وآدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوربا فى زمن وجيز . ولو كان يكفى أن يكون الإنسان نبياً ليفعل ما فعله النبى محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا ، لأن أممهم لم تكن صالحة للبعث والنهوض » ! فانظر إلى صاحب هذا الكلام كيف يسوى بين الأنبياء فى كل شىء وبين الأديان ، وكيف يرد نهضة العرب بعد الإسلام لا إلى النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ، ولكن إلى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب كل ما فعله النبى هو أن نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا فى القارات الثلاث فى زمن وجيز ! وتاريخ نشأة العلوم والآداب فى الأمة العربية بعد الإسلام معروف ، كما أن مقاومة العرب للنبى ودعوته ومحاربتهم له ولها معروفة ، لكن الرجل ينكر التاريخ ، ويفترى تاريخاً آخر ، ويزعم زعماً لا يجوز ولا يستقيم فى منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبى ، كلام محمد العربى لا كلام الله . عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور زكي مبارك من نهضة وعلم وأدب ، لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ؛ ولا يعقل إن كان كلام بشر أن يأتى به صاحبه فى أمة جاهلة كالتى أجمع على وجودها قبل الإسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومستشرقين ، ومؤرخو الإسلام .

(يتبع)

محمد أحمد الغمراوى

(١) الجزء الأول صفحة ٤٨

من ربيع قديم

بقايا نغم . . .

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

. . . ظَلَلْتُ أطوفُ بالألحان
على أرضٍ من النِّسْيان
أُغَنِّيها ولا آذان ولا عُشٌّ ، ولا أغصانْ
ولا طَيْرٌ يُسَلِّيني !

وإذ بخميلةٍ خضراء تراعَشُ فوقها الأضواءْ
كأنْ سُقِيَتْ من الصَّهْباءْ
ومنْ غزَلٍ ، وسِحْرِ غناءْ
وإلهامٍ ، وتلقين

وفيها أنتِ يا لَيْلايْ
سُلوٌّ يانعٌ لِبُكايْ
وفجرٌ رائعٌ لِدُجايْ وخُلْدٌ سامعٌ لِغِنايْ
يُعَلِّلني ، ويُوحيني !

خطَرْتِ على ضفاف النيلْ كرُؤْيا تطلُبُ التأويلْ
خُطاكِ بِمَسْمَعي ترتيلْ
وصوتُكِ في دَمي تنزيلْ
بلا شرعٍ ، ولا دين !

وكان الأفْقُ كالمحرابِ
وركْبُ الرِّيحِ كالأوّابْ
يطوفُ مُدَنْدنَ الأسرابْ كصوفيٍّ يَدُقُّ البابْ
على سِرِّ النَّبِيِّين

وكانتْ غُنوةُ الملاحْ صلاةَ جَنَاحَ الأرواحْ
كأن لها صدًى وجَناحْ
تَرِفُّ بهِ على الأرْواحْ
وتهتفُ للمساكين

وكان الموقِدُ الحيران
يَؤجُّ لِبُؤْسِهِ النيران
ولاذ شِراعُهُ النعسان بسارية من الأكفان
تَلَفَّعَ كالشياطين !

محمود حسن اسماعيل



الشعر القديم بين الفطرة والفن الجميل

[كتاب من الأستاذ خليل بك مطران إلى الدكتور محمد صبرى بمناسبة ظهور كتابه «الشوامخ»]

حضرة الصديق الكريم . . .

الداء الذى ساورنى فى هذه الأيام عاقنى عن أداء واجب الشكر لما أتحفتنى به من التحفة الغالية ، أعنى بها النسخة من كتابك «الشوامخ»

وما زلت إلى هذا اليوم غير قادر على بذل مجهود فكرى يمتدّ به . غير أننى بوجه إجمالى موجز أرى أن الشعر كلما اتصل بالفطرة كان من الفن الأصيل ، وكلما بعد عنها أفضى إلى التعمل ، وهو فن آخر ، أى فن الصناعة . وشتان بين الأصل والنقل وبين الإبداء والمحاكاة

ألم تر إلى شعر هوميروس كيف بقي عند الفرنجة بمنزلة الينبوع الصافى الذى استقى منه جميع أدبائهم على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم وأهوائهم ونزعاتهم

ولقد تكلف الفرنجة ما تكلفوا ليفهموا هوميروس وليقتبسوا من لغته القديمة المجهولة ما اقتبسوا ، ونحن لم نتكلف ولا نتكلف شيئاً لنفهم امرأ القيس وأضرابه من أيام الجاهلية ، فيغيبون عنا فنحكم عليهم لا لهم

ولولا أنك جئت تفهمنا معانى امرئ القيس ، ولولا الدكتور طه حسين بك وما جهد ليشرح آيات الشعر الجاهلى الصادق النسب ، ولولا آخر كتاب للأستاذ عباس محمود العقاد فى «جميل بثينة» لبقيت كنوز الشعر الجاهلى بعيدة عنا نأخذ منها عن الأجانب ما نأخذ ولا نفقه أن لها عندنا أصلاً كريماً جديراً بأن نعنى به

بعد كتابة ما تقدم على علاته أوجه إليك بعض أبيات جرت على قلمى وهى :

بعد ألف وبعد بضع مئات
أنصفت عبقرية الضليل
نضي السِتر عن جلال امرئ ال
قيس بسفر من البيان جليل
رد صبرى ألواحه فتجلت من خفاءِ آيات فن جميل
وإذا الحسن ندّ عنه حديث طُلب الحسن فى العتيق الأصيل
آفة الفن جهله ، كيف والأ علام تُطوى ما بين جيل لجيل
إنما الرأى ما أبنت وهل أبـ لغ مما أقمته من دليل

خليل مطران

فى الفصول والغايات وفى اللزوميات

لأبى العلاء فى (الفصول والغايات) وفى (اللزوميات) رميات — من رام — علميات مقرطسات . منها ما ذكرته فى كلمتى (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) فى (الرسالة الغراء) ٢٥٠ ص٦٥٥ س٦ وأعاده مفرقاً الأستاذ كامل كيلانى فى مقالته (على هامش العيد الألفى لأبى العلاء) فى الرسالة ٥٦٠ ص ٢٦٣ س ١٢

ومن رمياته أو آياته قوله فى تلك العبقرية النثرية :

« أحْجِ وأحرِ أن تمود لجة البحر كساحة اليد لا ماء بها ولا حال إذا قضى ذلك خالق البحار »

ومنها قوله في (اللزوميات) عبقريته الشعرية :

يجوز أن تُطفأ الشمس التى وقدت
من عهد عاد وأذكي نارها الملك
فإن خبت فى طوال الدهر جمرتها
فلا محالة من أن يُنقض الفلك[1]

قلت : لا حياة يومئذ لأحياء فى هذه الكرة الأرضية ولا فى تابعة للشمس من أخوات دارنا هذه وإن لم ينقض الفلك . والذى جوزه أبو العلاء فإنه سوف يكون « إنا لله وإنا إليه راجعون » !

---

(١) فى طبعة اللزوميات (حمرتها) وقد ضمت الحاء ، وذلك تصحيف

والشمس ذات الضياء والوهيج واللهب وحياة هذه الأرض هي كما قال الشيخ في (اللزوميات) :

والشمس تثمر أهل الأرض مصلحة
ربّت جسوماً ، وفيها للعيون سنا
طهت لك الشمس ما يغني أخادعة
عن أن يكون له في الأرض طاهونا

وقد ذكرني مقال أبي العلاء في البحر والشمس بقول للضعيف كاتب هذه الأسطر في تضاعيف كلام ، أرويه في هذا المقام :

... وإن من يتلو كتب الأستاذ الأكبر (أرنست هيكل) يدهش ويستعظم روايته وتبحره في العلوم والفنون . وعلمه (لله هو) علم إحاطة[1] . وإنه ينس قطين الأرض أكابر العلماء بعد أحقاب . فأمثال ذلك (الأستاذ) في نعيم الذكر خالدون ما كرّ الفتيان[2] ، وما دام في البحر ماء ، وفي الشمس ذكاء[3] ، لأنه إن رسخت أمواه البحر[4] ، وسوف ترسخ ، وهمدت نيران الشمس ، ولا بد أن تهمد ، هلك الناس ، ففقدت الأرض ذلك الفكر المدرك المضيء في ظلمات لياليها ، وهو (لعمرابيك) خير ما فيها ، لا بل هو كل ما فيها كما يقول العلامة (بوانكاريه) . وإنه ليعزي الحكماء (يا فتى) أن الأجل بعيد جد بعيد ، وأن حياة تستمر في غير الكرة الأرضية في سيارة من هذه السابحات في الفلك . ولكل قطين سيارة أجل ، والدنيا دول .

* * *

الفلاحون

قرأنا في عدد ١٧ ابريل من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان كلمة نقد جد مقتضبة وجهها الأديب « د . خ » إلى كتاب « الفلاحون » الذي ألفه حضرة الأب المحترم الدكتور هنري عيروط ونقلناه نحن أخيراً إلى العربية . وقد رمى هذا الناقد مؤلف الكتاب بأنه يجور أحياناً ووصف الترجمة بأنها ركيكة وأن أسلوبها يميل إلى العامية ويجافي العربية السليمة ، بله العربية الفصحى

فأما عن المؤلف فقد كنا نحب أن ينبئنا كاتب الكلمة بمواضع جوره وعلى من وقع هذا الجور ، أعلى الفلاح وقد بذل قصارى جهده في الدفاع عنه ؟ أم على بقية الطبقات الأخرى التي تشقى الفلاح أو لا تنقذه من شقائه وهو في الحقيقة لم يوفها ما تستحقه من لوم وتعنيف ؟

على أنه قد قرظ هذا الكتاب أربعة وثمانون من أفاضل العلماء والكتاب في أربع وثمانين مجلة وصحيفة محترمة في أوروبا وأمريكا والشرق فلم يلاحظ عليه أي واحد منهم أنه كان جائراً على أحد . ولسنا في هذا نغالي أو نلقي الكلام على عواهنه ، بل لدينا جميع هذه المقالات ، وهي تحت تصرف من يريد الاطلاع عليها

وأما عن الترجمة والتجائنا فيها أحياناً إلى استعمال بعض الكلمات العامية مما قد يبدو أمام بعض القراء أنه انعطاف نحو الأسلوب العامي أو مجافاة للغة السليمة ، بله الفصحى كما يعبر حضرة الكاتب ، فهذا مسلك فرضته علينا طبيعة الموضوع الذي عالجه كتاب « الفلاحون » على نحو ما كان موليير يفعل في مسرحياته إذا روى أحاديث الخدم والعوام . وليعلم حضرة الكاتب أن هذه الطريقة كانت إحدى دعائم مجد ذلك الشاعر الفرنسي العظيم كما أنه ينبغي أن يعلم أيضاً أن ذلك الأسلوب الذي صغنا فيه ترجمة ذلك السفر هو ما يدعى بروح الانسجام أو مطابقة مقتضى الحال

ومن آيات صحة هذه الدعوى أننا لم نسلك هذا النهج في أي كتاب من كتبنا الأخرى ، لأن موضوعاتها لا تمت إلى العامة بأية صلة

نحن إذاً ، قد استعملنا الجلبية واللبدة والطاقية والملاية والبلغة وما شاكل ذلك عامدين ونزلنا إلى مستوى الفلاح وجارينا أسلوبه قاصدين . ولهذا لم تكن تلك العبارات أخطاء لغوية ولا مجافاة للغة السليمة كما خيل إلى الكاتب

على أننا نعود فنصرح بأن إطلاقنا على تلك السطور لفظة نقد فيه شيء يسير من التجوز ، لأن النقد يجب أن يكون مدعماً بالبراهين والحجج . أما أن يسمع حضرة الكاتب أن المؤلفين الذين يكتبون باللغات الأجنبية عن مصر أو عن الشرق يجورون في كتاباتهم فيرمي مؤلف كتاب (الفلاحون) بأنه جائر ، وإما أن يقرأ الولولة التي ترجمناها بالعامية قصداً في آخر ذلك

(١) علم الشيء علم إحاطة إذا علمه من جميع وجوهه
(٢) الليل والنهار
(٣) ذكت النار : اشتد لهيبها
(٤) نشت ونضبت

السفر ، ويلمح بعض العبارات التي تعمدنا أن تكون كذلك فيحكم بأن الأسلوب متجاف عن العربية السليمة ، فهذا نسق لا يسير بالنقد إلى الأمام ولا ينتج فى الحركة الأدبية خيراً يرجى .

محمد غلاب

أدب ثالث

إن صح أن فى مصر أدباً للشيوخ الذين رسخت مكانتهم فى النفوس واستفاضت شهرتهم فى الآفاق حتى جثموا كالقشاعم فى القنن الشواهق ، وأن فيها أدباً للشباب وقد هبوا إلى مجانى الأدب ومغانيه كالفراش على الأزاهير حالمين ببعد الصيت مرفرفين على الأغصان كالعصافير — فإنى لأرى بين هؤلاء وأولئك أدباً طريفاً قد توسط فلم يشب فوداه كالشيوخ ، ولا لان عوده كالشباب ، وعند هذا الضرب من الأدب ينبغى أن تتألق نهضة وتقوم للفن مدرسة بعيدة عن الشطط وسليمة من الغلط لأنها من خير الأمور

والأستاذ عبد الرحمن صدقى يمثل اليوم هذا الأدب المستحب . عرفت قلمه من عهد بعيد ، يجول بلا صخب وينساب بغير تحبس . لقد استهواه أدب الغرب فتانقن إلى صحفه وأسفاره ونهل من موارده العذاب ، ثم أخذ يمتاح منها طرفاً جلاها فى معارض عربية ، لم يتكلف فى ترجمتها أسلوباً ولا تصنع لفظاً ، بل انطلق فيها على نسق من السهولة والسلاسة فاستطاع بما أوتى من تضلع فى اللغتين العربيــة والفرنسية أن يعرب عن الدقائق فيهما . قرب «أزهار الشر» إلى شميم العرب وقد استعصى بودلير على أبناء جلدته فكيف حاله عند أهل الضاد ؟ لقد جاءهم الأستاذ عبد الرحمن بمآخذ شاعر الرمز فى فرنسة ، لكنه نعته بالرجيم وحق له هذا ؛ فهو شاعر بالزهر وراجم بالشوك . عقد معانيه وضيق مبانيه ، حتى خرج على المألوف ، وكانت أشعاره كجوز الهند لا يوصل إلى ذوب مائه وحلاوة طعمه إلا بعد كسر قشره .

وبعد أزهار الشر طلع الأستاذ صدقى على قرائه بألوان من الحب ترجم فيها إحدى عشرة أقصوصة لأعلام هــذا الفن فى الغرب مما يستهوى خيالنا الشرقى ولا تنبو عنه أذواقنا . وقد كشف فيها عن اختــلاف المزاج والخصائص بين قوم وآخرين ؛ فكانت ترجمته المختارة ناهضة على بصيرة نفاذة إلى ما وراء السطور فى هذه التلاوين التى أعرب عنها

لقد وسم الأستاذ صدقى كتابه الجديد من اسم الأقصوصة الأولى . ولا جرم أنها على إيجازها تبين فن بلاسكو إيبانيز الذى يطبيه زهو الشباب وأناقة الجمال ، ويبدو اللون الأول من الحب فى نفس أوديت التى روعت وجمت حين رد إليها زوجها من ساحة الوغى مبتور اليدين والرجلين مفقود العين ، وكأنه شق أنمار الذى حدثتنا عنه أساطير الجاهلية ، فتولى عنه جزعة فزعة ويشر كلها بهذه النفرة الكلب الذى وصفه الفلاسفة والشعراء بالمحبة وصدق المودة ، وينكشف فى أعقاب هذه الأقصوصة لون آخر يمثل أشرف ألوان الحب وأبقاها ، ذلك هو حب الأم التى جنت على ابنها الجريح فضمته بروحها وواسته بعينيها

أما قصة « الصمت » فكأن زينون الإيليانى فيلسوف الحركة والسكون أفرغ عليها من روح سكونه صمتاً رهيباً سادراً فى عمقه ، وقد نجم هــذا الصمت من بنت كانمت أباها القسيس وأمها سراً فى نفسها حتى انتحرت فات معها هذا السر ، ولم يحاول القصصى أندرييف الروسى اكتناه السر وإنما تركه لحيرة القارىء الذى يشفق على ذلك الكاهن الشيخ وقد فتحت له على كرسى الاعتراف مغالق النفوس ولكنه عجز عن استجلاء السر فى نفس بنته حتى زار قبرها فى ليلة ساجية وأخذ يناديها : — فيروتشكا . بوحى بسرك ...

فسمع الكاهن صوتاً رهيباً بغير كلام هو صوت الصمت العميق الذى بقى يملو مرهفاً مستدقاً ، حتى ملأ سمعه

وكانت أقصوصة بلقيس خاتمة المطاف فى هذه الألوان جعلها كأنها فاتحة قصصية تبشر بموهبة كانت كمينة فى أدبه

أما وقد أفلحت تجربة الأستاذ صدق فى فن القصة ، فإن موهبته لتربده على أن تظهر وتظفر فى هــذا الفن عندنا فينتزع أقاصيصه من الحياة المصرية وليس ببعيد أن يكون مطلع القاص الجديد فى سماء القصص بين النجوم اللوامع .

(القاهرة) **وداد سكاكينى**

قيس ولبنى

أصدرت الفرقة المصرية هذه الطرفة الأدبية الشعرية النادرة للأستاذ عزيز أباظة بك فى طبع أنيق وخصصت المتحصل من ثمنها « للمشروعات الخيرية » وقد تفضل الأستاذ عزيز أباظة بك فأهدى إلينا نسخة من مسرحيته البارعة التى هيأت لنا ساعات من القراءة كانت متعة لأرواحنا لا تعد لها متعة . . . حقاً لقد كسب الأدب العربى شيئاً عظيماً ... ونحن نكتفى الآن بتهنئة الشاعر الكريم على أن نكون لنا عودة .

(م)



12 me Année No. 566

Lundi - 8 - 5 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٧ ـ دفاع عن البلاغة

٩ ـــ التلاؤم في الأسلوب

بقي الكلام في الصفة الأخيرة من صفات الأسلوب الجامعة وهي : التلاؤم أو الموسيقية أو (الهرمونية) . وإذا بلغنا هذه الصفحة من قضية البلاغة ، فقد بلغنا موضع التهمة التي تريب المتهِم ، وتعتسف الدليل ، وتنكر الذوق ، وتُنزل القيم الفنية منزلة العبث . تلك هي تُهمة اللفظ بالأناقة ، والتركيب بالموسيقى ، والأسلوب بالرفعة . ولو كانت هذه التهمة الجريئة تقصد الجمال المزيف والحسن المجتلب لما حكّ في الصدور من ناحيتها شيء ؛ ولكنها تقصد التعبير الجميل الذي يتميز به كلام الأديب عن كلام الناس ، وصوت المغني عن صوت الحمار ، ورسم المصور عن تناشير الطفل . والزراية على الجمال اللفظي بهذا التعميم وهذا الإطلاق بدعة من بدع هذا العصر الذي اعتلت به الأذواق واختلت فيه المقاييس . وليس لأكثر البدع مسوّغ من الفطر السليمة والفِكَر الصالحة . إنما هي نزوات في بعض الرءوس ، أو نزغات في بعض النفوس ، تصدر عن شذوذ في الفكر أو حَتَر في الذوق أو عجز عن الكمال . وإلا فكيف تعلل إنكارهم تجميل الأسلوب وهم لا يفتأون كسائر الناس يطلبون الجمال في شتى ضروبه ومختلف صوَره ؛ لماذا يثورون على تنميق الكلام بدعوى أن الغرض منه الفهم

والملح ، ولا يثورون على تزيين الطعام وتحلية الهندام وتزويق المسكن ، والغرض الأصيل منها الغذاء والوقاء ؟ لِمَ لا يقفون موقف الحيوان عند حدود الضرورة من مآرب العيش ومطالب الجسد ، فلا يتفننوا في تلاؤم الأجزاء في اللباس المهندم ، ولا يتأنقوا في تنضيد الألوان على الخوان الموَشَّى ، ولا يتنافسوا في تنجيد الأثاث للبيت المزخرف ؟ وإذا كان أحدهم لا يحب أن يلبس الثوب المرقع ، ولا أن يسكن الكوخ النابي ، ولا أن يتزوج المرأة المسيخة ، ولا أن يسلك الطريق الوعر ، ولا أن يركب المركب الخشن ، فلماذا يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفِقر المتسقة والجمل الموزونة والأصوات المؤتلفة ، والنظر والسمع في هذا المقام سواء « فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب »[1] « وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ؛ والأنف يرتاح للطيب وينفر للمنتن ؛ والفم يتلذذ بالحلو ويمج المر ؛ والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن للمألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة »[2]

الحق الصريح أن الذين يدعوننا أن نكتب كما نتكلم إنما يزوّرون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ، بدليل أنهم يجدون في أنفسهم حلاوة الرضا إن وقعت في كلامهم عفوا كلمة أنيقة أو جملة رشيقة أو سجعة محكمة . ذلك لأن الإنسان يتميز من سائر الحيوان بأن أحاسيسه التي تصل إليه عن طريق المشاعر ، وعواطفه التي تنشأ فيه من فعل الغرائز ، إنما تتوالد في ذهنه وتتكاثر في خياله حتى تزيد على ما تقتضيه طبيعة وجوده أضعافاً مضاعفة . هذا القدر الموفور المذخور من العواطف والأحاسيس لم يزل يطلب متنفَّساً ينبثق منه ومفيضاً ينسرب فيه حتى وجد الفنون الجميلة الأربعة فاستفاض مخزونه واستمان مكنونه بتسجيع القلم وترجيع القيثار وتلوين الريشة وتمثيل المِنحت . فالإنسان كما قال طاغور فنان في الكثير الغالب من أمور دنياه ؛ فهو يجمّل الهيئة ويحسّن الشارة وينمق العبارة ويهندس الدار ويرقّش الغرف ويزخرف الأثاث وينظم الحديقة إعلاناً لشعوره وإبرازاً لشخصه وإثباتاً لوجوده

وهو يشيد المعابد الفخمة ، وينصب فيها التماثيل الرائعة ، ويرسم عليها الصور البارعة ، تعبيراً عن مكنون عواطفه لربه ودينه

وهو كذلك يخطط المدائن الجميلة ، ويعبّد الشوارع الطايلة ، وينسق الحدائق العامة ، تنفيساً عن مكظوم عواطفه لأمته ووطنه

من ذلك نعلم أن جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة في جميع الناس ، تتفق في الوجود والمظهر ، وتختلف في الطاقة والدرجة . فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت في صدورهم عاطفة أو جرت على ألسنتهم حكمة ، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة ، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجّعة . وكلما سمت الطبقة واتسعت الثقافة وصدق الشعور وصفا الذوق وأرهفت الأذن سما الأسلوب من الجميل إلى الأجمل ، ومن الجليل إلى الأجل ، حتى يبلغ الأوج عند كلام الله . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع ، لا فرق في ذلك بين أدب العامة وأدب الخاصة ؛ فلغة القضاء بين البدو لا تزال إلى اليوم في بوادى العروبة تجرى على سَنَنها المتبع في الفصاحة وإن كانت عامية ؛ فالمتهِم يتهم بالسجع ، والمدافع يدافع بالسجع ، والقاضي يحكم بالسجع . والأصل في سجع الكهان الجاهليين ذلك السمو الذي كان يحسه الكاهن في نفسه وفي مقامه ؛ فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجياء الأرباب ، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد ، ويستلهمونهم بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة

أريد أن أقول إن توخى الجمال المطبوع في الأسلوب أصل في طبائع الناس امتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب . فإذا سلمت في المنشىء الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع ، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة ، صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ص ٥٦ (٢) الصناعتين ص ٤١

السلك السياسى

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلا لصورة عن جانب من جوانب التفكير فى المجتمع الحديث)
الكاتب

أ – ما هذا الحذاء ؟

ب – ما ذا ... ألا يعجبك ؟ إنه من الصنف العالى ، دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...

– لا . لا أقصد ذلك

– ماذا تقصد ؟

– أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذى الرقبة ؟

– ولِمَ لا !

– إنها « مُودة » قديمة

– ولماذا إذن يعرضونها الآن للبيع ؟

– ليشتريها أهل « المُودة » القديمة ... ثم ...

– ثم ماذا ؟

– ثم ليشتريها أولئك الذين يلبسون الجوارب التى من الصنف الرخيص ...

– وما دخل هذا فى ذاك ؟

– كيف ! ألا تدرى ؟ أتقول حقاً ؟

– نعم . لا أدرى . لأنى ألبس أجود أنواع الجوارب

– ولكن ألا تدرى أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب عن الأنظار ...

– وماذا فى ذلك !

– لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة يراها كل من بمجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

– أو ترك الحذاء بالمرة ...

– لا تهزأ ... فهذه ملاحظة فى محلها ...

– حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خُطورتها فأرجو أن تدلنى على طريقة لإظهار جميع ملابسى الداخلية ، فإنها فى الواقع من أجود الأصناف ...

أ – هذا له ظرفه الخاص ، ويلوح لى أنك تقتنيها من أجود الأصناف لهذا الظرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد العارفين ...

ب – إن هذه الملاحظات جديدة فى نظرى ، برغم أنى نشأت على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم منى فى ذلك لأن سلككم يقضى عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون الآخرون كما ظهر لى الآن ...

– هذا حقيق ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال السلك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ، وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين فى اللبس ...

– أشكرك . ولكن رجال السلك بدون شك هم النموذج الذى يحتذى فى كل المناسبات وكل البلاد

– بهذه المناسبة أتعرف ما هى أحسن طريقة لإظهار القميص الأفرنكى إذا كان من أجود الأصناف ؟

– لا ...

– هى أن تلعب البلياردو . .

– البلياردو ... ! وما هى الصلة بين القميص والبلياردو ...؟

– ... تدخل صالة اللعب ، وهى عادة كبيرة وفيها ناس كثيرون ، وتأخذ فى الاستعداد للعب مع زملائك ، وتتظاهر بعدم تحملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة فيظهر القميص فيراه الجميع ...

– عظيم . والجهل باللعب ؟ !

– أمر ثانوى . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة . وكذلك « الفشومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطى بالا لهذه الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلفت جوخ الخوان ، وهو كما تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون فى سبيل إظهار القميص ...

– أمازح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من سلككم ؟!

– حاشا لى أن أقول غير ما أقصد

– أو تقصد غير ما تقول ...

– وما الفرق ؟

ب — فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بالا . كمّل . كمّل ...

أ — نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعانى وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذى أريد أن أقرره من كل الذى جرنا إليه الحديث الآن هو أن المظهرية ، نعم المظهرية ، مسألة هامة جداً

* * *

ب — هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل المظهرية على الحقيقة ؟

— إسمع يا صديق . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهى موجودة . ولكن المظهرية لا بد لها ممن يخدمها ويعمل لها وفى سبيلها ، وإلا ضعت يا أستاذ بين الحقيقة والناس : . .

— ولكن ألا ترى أنه خير للعاقل أن يفنى فى سبيل الحقيقة من أنه يعيش فى رداء المظهرية !

— إسمع كلامى واعمل بفلسفتى ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذى كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة فى خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهي ظاهرة ...

— وأما المظهرية فهى لا شك فى حاجة إلى من يعمل لها أمثالكم ... أليس كذلك ؟

— هو كذلك لا شك ...

— ولكن خبرنى . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود !

— قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهى ليست فى حاجة إلى أمثالنا

— أو أن أمثالكم ليسوا فى حاجة إليها !

— هذا وهذا ...

— وخبرنى كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأى ؟

— الدنيا كلها ...

— أقصد فى سلككم الخاص ...

— الجميع يا أخى . هذا أمر مفروغ منه

— ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة المظهرية بعد أن يلتحق بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟

— هذا سؤال طيب . نعم الأوفق أن يكون الشخص عالماً بفلسفة المظهرية مستمداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التصرف وحسن السبك ...

— أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لى ...

— أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

— لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر فى شأنى وشأن أمثالى وشأن هذه الأفكار ...

* * *

أ — وإلى أن تفكر وتهتدى إلى حل أنظر إلى حذائى وخبرنى عن نوع جلده

— هو جلد ثعبان

— برافو ! وجلد هذه الحقيبة ؟

— جلد ثعبان كذلك

— برافو !

— ولكننى لا أدرى إن كان جلد الحقيبة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

— هذا لا يهم

— ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

— أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل فى هذا شك ياصديق ؟

— ولكن اسمح لى ...

— ماذا ؟

— ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجعلنى صالحاً للسلك . وعلى الأقل فى نظرك أنت

— قل . قل . ما هى ؟

— هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما معاً ومعهما غيرها . . . أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ، فى حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخى !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع، فإن الموانع كثيرة. هذا إن أردت الحقيقة. ولكن لا . لا . لا تؤاخذنى فإن الحقيقة فى خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذى تشترى به جلد ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس ؟ وليس للاعتبارات الأخرى أى تقدير ؟!

— أى اعتبارات أخرى ! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين جداً وهو «مودة» حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا

— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاح السياسى ... ولنترك مسألة الجلد وخبرنى عن نوع الجورب الذى تلبسه ....

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل والقميص

— شىء جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا تكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إننى أميل إلى هذا الشكل من الملابس

— ولكن هذا يتطلب تعباً وتفكيراً ومجهوداً ووقتاً ونقوداً . فهل عملك يسمح بذلك !

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين فى سبيل ...

— المظهرية ...

— برافو !.. وهذه هى الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولكن قل لى، لماذا أنت تلبس كل هذا اللبس العالى الفخم مع أنك على سفر ؟

* * *

كان هذا الحديث فى القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان أن الصديقين التقيا فى محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية نادرة إذ يلتقيان على هذه الحال بعد غياب أحدهما فى الخارج غياباً طويلاً . لذلك أسرعا فاتخذا مكانهما فى القطار معاً ، ثم كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على صديقه (ا) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار، فسأله الخبر فكان «يتظاهر» أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام يمشى فى دهليز العربة يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث ؟

أ — عن صديق كان معى بالباخرة وسمعته يقول إنه سيسافر فى هذا القطار

ب — وهل وجدته ؟

— للأسف لا ...

— ربما تخلف

— ولكن كان يهمنى جداً أن يكون موجوداً فى هذا القطار

— هل لى أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . اسأل ...

— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسناً لو كان معنا ...

— وإذا لم يكن معنا فهل فى هذا ضرر عليك ؟

— لا . ولكن كنت أود أن يكون معنا

— هل أعرفه ؟

— لا ...

* * *

ثم جعلا ينتقلان من حديث إلى حديث إلى أن بلغ القطار محطة الإسماعيلية ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق (أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هى ... ها هى ... ياللخسارة !..

— ما بالك يا أخى ؟ من هى ؟ وما هذه الحركات ؟ اجلس اجلس

أ — يا للخسارة ! ولكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد سنحت الفرصة

— ما هى الحكاية ؟ خير ! خير إن شاء الله

— الحكاية طويلة . وهناك فى الاسماعيلية إن شاء الله ستكون نقطة التحول فى الموقعة...

٣ - شعر ناجي

للأستاذ دريني خشبة

١ — فصول غير مكتوبة
٢ — قليل عن حياة ناجي وثقافته
٣ — ماذا نرجو من ناجي
٤ — بعض ما يؤخذ على ناجي

لولا خشيتنا ألا ننتهي من الكتابة عن ناجي ومن الثناء عليه ، لعقدنا فصولاً طوالاً عن غَزَله الرقيق العذب ، وعن فكاهته الحلوة الهادئة ، وعن سخريته اللاذعة اللافحة ، وعن فلسفته الضاحكة المتفائلة التي تُبطن قليلاً من الشك لا يلبث أن يضفى عليه أضواء إيمانه العميق فيمحقه ، وعن وطنيته التي تبشر وتهدى وتتفتح بالآمال في غير بكاء ولا إعوال ... وعن فهم ناجي لهذه الحياة الجديدة الصاخبة التي تحترب من حولنا وتتفاعل في دؤوب وجِد ... وفي بحار من الدماء أحياناً ...

ولولا خشيتنا ألا ننتهي من الكتابة عن ناجي لعقدنا فصلاً طويلاً عن حياته ونشأته وتعلمه ، لنعلم مثلاً أنه ولد في آخر ليلة من ليالي سنة ١٨٩٧ [١] وأنه يكره أن يجعل هذه الليلة تاريخاً لمولده ، وأنه يرى من العدل أن يؤرخ لمولده بأول يناير سنة ١٨٩٨ ، لأنه لم يمش في القرن التاسع عشر إلا عامين اثنين على حد قوله ، وثلاثة أعوام حسب أصول الطرح الصحيح . ثم لنعرف أنه كان تلميذاً نابغاً ذكياً ، مثله الآن ، لأنه لا يزال تلميذاً نابغاً ذكياً ، وإن تغيرت مدرسته فأصبحت مكتبة كبيرة ، أو ثلاث مكتبات كبيرات حشد فيها خمسة أو ستة آلاف من كتب الأدب والفكر ... والطب ... وأنه حشد فيها تلك الآلاف من الكتب لا للزينة والتباهي ، ولكن للقراءة العميقة المنظمة ... وإن من هذه الكتب ، كتباً إنجليزية ـ وهي الكثرة الغالبة وأن منها كتباً فرنسية ، وكتباً ألمانية ، لأن ناجي ، كما أخبرني ، كان مولعاً بالحصول على الشهادات العلمية ، ولذلك فهو قد ثقف الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليحصل على عدد من الدرجات العلمية من انجلترا ومن ألمانيا . وبعد أن شفى

(١) ولد الشاعر بشبرا القاهرة وهو حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوي الكبير وتعلم في مدرستي باب الشعرية والتوفيقية ، ثم تخرج في مدرسة الطب .

— خير إن شاء الله ... هل وجدت صديقك ؟

— نعم . نعم . وجدتها ...

— من هي ؟ أصديقك هذا سيدة ؟

— سيدة بالطبع ...

— ما أكثر سيداتكم يا « رجال » السلك !

— وهل ظننته رجلاً ؟

— بالطبع . لأنك قلت صديقي ولم تقل صديقتي ...

— ألا تعرف أن صديقي في عرفنا معناه صديقتي ...

— لا . لم أكن أعرف ...

***

جلس الصديق (أ) حائراً سارحاً بعد الذي رأى على أفريز محطة الاسماعيلية ، وتولاه شيء من التفكير والوجوم ، ثم أخرج سجارة من علبة مصنوعة كذلك من جلد ثعبان . ثم أشعلها بولاعة ذهبية بديعة كان ينقصها أن تكون مغطاة بجلد ثعبان ...

ثم تذكر أنه لم يعرض على صديقه سجارة ، فأخرج العلبة مرة أخرى وقدم منها سجارة لصديقه (ب)

ب — (وقد أراد تغيير مجرى الحديث) إنها سجارة مصرية فاخرة . لا شك أنك بمجرد وصولك أرض الوطن أسرعت فاشتريتها

— لا . لا . إنها معي من أوربا

— من أوربا ؟ كيف ؟

— لأني أدخن السجاير المصرية هناك

— شيء جميل ! ذلك لأنها مصرية

— نعم ! ولأن لها ميزة الأفضلية

— (مداعباً) قل الحق . لها ميزة المظهرية ...

— (مبتسماً) ها هي ذي الحقيقة يا سيدي برزت من تلقاء نفسها . أمسرور أنت إذن ؟

ب — بل إن للسلك السياسي لسحراً

راشد رستم

ظمأه من شهادات هذه البلاد الطيبة ، شرع يروى من آدابها بلغاتها الأصلية ، ولعلى لا أبالغ إن ذكرت أن ناجى يجيد الإيطالية إلى حد ما ، وأنه يستطيع أن يقرأ الأدب الإيطالى بلغته الأصلية

كان ينبغى أن نعقد فصلاً عن ثقافة ناجى التى ترتوى بكل هذه الثقافات ، وتنهل من مناهل الآداب العالمية التى تتصل بها اتصالاً منظماً ؛ وربما كانت قد أتيحت لنا فرصة نذكر فيها طريقة ناجى فى تنظيم ثقافاته هذه كلها ، ووضع الحدود بينها حتى لا تصير خليطاً يشحب إلى جانبه لون خاصته الأولى (١) وأعنى قرضه للشعر ؛ فقد كلمنى أحد الأصدقاء عن ناجى فرأيته يزعم أنه أوشك أن ينقطع عن نظم الشعر ، إن لم يكن قد انقطع عن نظمه بالفعل . والذى أعرفه أن ناجى لا يزال يغنى كعادته ، وإن يكن قد انقطع بالفعل عن النظم الكثير بين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ ، وذلك لأسباب لم يحن الوقت لذكرها ، أما بعد سنة ١٩٣٨ ، فقد أخذ ملك الكنار يعود إلى شدوه الأول وشجوه القديم . وليس صحيحاً أن شعر ناجى فى صباه خير من شعره الحالى ، وإن كنت قد أوردت جميع الأمثلة التى ذكرتها فى مقالى السالفين من ذلك الشعر ؛ فقد آثرت أن أفعل ذلك لكي يستطيع من يريد الرجوع إلى شعر ناجى أن يجده مجموعاً فى ديوان مستقل ، لا متفرقاً فى عشرات المجلات ، أو مختزناً فى رأس الشاعر (!!) ... وذلك أن ناجياً لا يقيد شعره فى ديوان أو كراسة ، كما يصنع عباد الله الشعراء ، وهو حين ينظم المقطوعة أو القصيدة فهو إنما ينظمها فى رأسه ... أى فى ذهنه ، وهو لا يتناول قلماً وقرطاساً ، ثم يخلو إلى نفسه كما يستوحى معظم الشعراء ملائكتهم — أو شياطينهم — ولكنه ينظم شعره كلما هاجته دواعى الشعر وهواجسه ، فهو ينظمه فى الخلوة ، كما ينظمه بين يدى الحبيب . وهو ينظمه فى الحدائق ، كما ينظمه فى زحمة الترام . وهو ينظمه ناعساً أو مستيقظاً ...

ونحن نأسف لأن ناجياً لم يجمع شعره منذ سنة ١٩٣٨ إلى الآن فى ديوان يكون بأيدى محبى فنه والمفتونين به من قرائه الكثيرين فى الأمم العربية . وليس يخفف من هذا الأسف أن ثلاثة أرباع هذا الشعر مسجل فى صفحات الرسالة ، لأن هذا التسجيل لا يسعف إلا الأقلين بالرجوع إلى هذا الشعر

***

وبعد ... فماذا فى جنة ناجى الوارفة الظلال من حسك وسعدان وأشواك ؟ وماذا ينقص هذه الجنة الدانية القطوف مما فى جنات أولئك الشعراء الأمجاد : شلى ، وبيرون ، وكيتس ، ووردذورث ، وسكوتس ، وتنيسون ، وبوب ، وشيكسبير ، وبروننج وغيرهم وغيرهم من شعراء الإنجليز والفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان وقدماء اليونان ممن كانت أرواحهم تهوم حولنا وتنمنم ، وتطل علينا من خزائن كتب ناجى ، وتكاد تغنى لنا وأنا أحدثه عنها جميعاً ؟ لقد أوشكت أن أترك هـــذا السؤال بين يدى ناجى ، ثم أفرغ من نقده ! لقد رأيت فوق مكتبه ديوان الشاعر الإنجليزى الشاب كيتس ، فتناولته ثم ضحكت ... ثم أخبرته ، وقد سألنى ، أننى كنت أقرأ فى هذا الديوان قبل أن ألقى ناجى بدقائق ، منظومته الرائعة الخالدة (أنديميون) ... وأننى كنت أقرأها لأهيئ من مأساة تأليفها ونقدها رداً صامتاً على نقاد هذا الزمان ، الذين يحلو لهم أن يقضوا على شعرائنا الشباب كما قضي نقاد كيتس على كيتس ، فمات فى ريعان الصبا وشرخ الشباب ضحية هؤلاء العلماء الظالمين الذين لا يرضيهم إلا أن يقذفوا فى نار الجحيم بشعرنا وشعرائنا ونقدنا ونقادنا ممن يعرضون أقلامهم وكراماتهم لدفع أذى أولئك العلماء العتاة الظالمين عن جنود أدبنا ومعقد رجائنا فى مستقبل هذا الأدب

فهل يخشى ناجى أن ينظم لنا غرة مثـــل أنديميون ، أو درة مثل أدونيس ؟ ألا يذكر ناجى أى أثر تركته فى نفسه أدونيس التى نظمها شلى تخليداً لذكرى كيتس ، بمناسبة موته من جراء الحملة الظالمة التى شنها عليه حضرات النقاد الظالمين ؟

لقد جرب ناجى النظم ، وقد أعطانا مثالاً شائقاً فى ديوانه

(١) لا جـدال فى أن خاصة ناجى الأولى هى قرض الشعر وإن كان من العدل بل من الانصاف أن نقرر أنه طبيب لا يعدل بمهنته شيئاً فى الحياة ، وأنه يملأ مكتبته بالكتب الطبية التى يدرسها فى عناية وعمق . وكان المرحوم شوقى بك يثق به ثقة لا حد لها حتى كاد يكون ناجى طبيبه الخاص ، وهكذا يصنع كثير من القاهريين . ولناجى قدرة وطلاقة عجيبة فى المحاضرة فى علوم مختلفة بلغات مختلفة .

الصغير المتواضع تحت عنوان : قلب راقصة ... تلك الأقصوصة التى تؤكد ما ذهبنا إليه من نبل مشاعر ناجى وجمال تصويره للحياة وتفجر الشعر من قلبه وتدفقه فى دمه ، وقد جرب ناجى نظم الملاحم ، فأنشأ ملحمتيه الرقيقتين اللتين لم تطبعا بعد : الأطلال ، وليالى القاهرة ، وكل منهما فى حوالى ألف بيت ... فهل يحسب ناجى أنه أدى واجبه نحو الشعر العربى ، والأدب المصرى الحديث ، بهذا القدر الضئيل من الجهد المشترك ؟ أليس يروع ناجى ما يرى من الفراغ المفزع فى دواوين شعرائنا شيباً وشباناً ؟ أيستطيع أن يقارن بين هذه الدواوين وبين تلك المئات من دواوين الشعراء الأوربيين الذين كانت أشباحهم تشرف علينا من خزائن كتبه ؟ أخشى أن يكون ناجى شاعراً أنانياً ، يقرأ كل هذا القدر من الشعر ، ولا يعطى الناس غير تلك الصُّبابات من القصائد والمقطوعات ... إنما نريد تجاوباً بين ناجى وبين أصدقائه من أولئك الشعراء المحبوسين فى خزائنه ... لقد أنجبت مصر ناجياً ليكون بلبلاً من بلابلها التى تأسو بغنائها أضعاف ما تأسو بطبها ... لقد أردنا أن نكتب عن ناجى فبدأنا بالكتابة عن قلبه ... فأين قصة ذلك القلب ؟ أين هذه القصة الكبيرة الطويلة ذات الصور والتهاويل التى يجيد ناجى إبداعها ؟ إن بيرون حينما أنشأ دون جوان أو تشيلد هارولد ، وشلى حينما نظم روزاليند وهيلين وقصصه الباكيات الأخر ، وشيكسبير حينما نظم فينوس وأدونيس ... وشعراء الغرب حينما نظموا قصصهم البارع العالى ، إنما كانوا ينظمون قصص قلوبهم الفتية الكبيرة النابضة ... فأين قصص قلوب شعرائنا فى غير البيت أو البيتين أو القصيدة أو المقطوعة ؟ ومن غير ناجى ومن هم من طراز ناجى ممن ثقفوا أساليب الأدب الأوربى ، ونهلوا من معينه يستطيعون أن يسدوا تلك الثلمة فى الشعر العربى ؟

ولا أستطيع بعد هذا أن ألاحظ شيئاً على أشعار ناجى يمكن أن يؤبه له أو يعتد به . وإن كان لا بد من ملاحظة شىء والتصريح به ، فهو هذا التهافت القليل الذى ينتاب بعض أبيات ناجى ... وهو تهافت مادى فى غالب الأمر ، أي من ناحية التركيب والأسلوب . ولا شك فى أن السبب فى ذلك هو ما يأخذ به ناجى نفسه من طريقته العجيبة فى قرض شعره ، وبالأحرى ... نظمه أشعاره بتلك الطريقة الغيبية التى لا يستعين فيها بقلم أو قرطاس . ونحن نعرف من علوم النفس والتربية أن الشىء الذى يستعمل الإنسان فيه أكثر من حاسة واحدة تكون دراسته ووعيه أكثر إتقاناً مما إذا اقتصرنا فيه على حاسة واحدة أو حاستين فى الوقت الذى نستطيع أن نستعمل فيه أكثر من ذلك . فلو أن ناجياً كان يتناول قلماً وقرطاساً ليدون أشعاره وقت نظمها لاستطاع أن يعيد فيها نظره ويجيل عليها عينيه ، ولأجرى عليها عملية التجويد . وإذا هو أشرك مع عينيه أذنيه ، ثم لسانه ، أى جعل يرددها ، أو (يُدندن !) بها ، إن صح أن نستعمل هذا التعبير المصرى لجاءت كل أشعاره مصقولة على غرار واحد وتجنَّب ما يندُّ به ذهنه من الانحراف النحوى أحياناً : كقوله فى رثاء المرحـــوم طانيوس عبده :

إجمع الآن طـاقةً غَضَّـةَ النور تبتسمْ
أهدها روح شاعر خالدٍ بالذى نظمْ

فقد عدَّى أهدى بغير لام أو إلى وهى لا تتعدى إلا بهما . وكقوله فى الشك :

نغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطهور رحاب

فقد جرَّ رحاب فى غير موضع للجر ، وإن احتج بالضرورة الشعرية ، فليس يعيب الشاعر الناضج إلا أن يحتج بها . ومن ذلك استعماله دوى مكان دوَّى بالتشديد

وعلى ذكر رثاء طانيوس عبده ... لقد ذكر ناجى أبياتاً لم يكن (يليق !) أن يذكرها قط فى ديوانه وإن يكن قد ذكرها فى الحفلة ، ولن أزيد الطين بلة فأذكرها هنا

وإلى أن يصدر ناجى الجزء الثانى من ديوانه فنحن نحييه ونعقد عليه أحسن الآمال

دريني خشبة

١ـ الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

اللغز ... ومرادفاته

قد يبدو لأول وهلة أن الألغاز فن مستحدث تسرب إلى أدبنا العربي في عصوره المتأخرة، فلهج به المتخلفون من الأدباء حتى أصبح فناً قائماً بذاته، وغرضاً في النثر وفي الشعر تنصرف إليه الغاية، وتُصاغ فيه الرسائل والمقطعات، كما نرى ذلك في العصر التركي وما تلاه من عهود الانحطاط

على أن النظرة الشاملة تنفي عن أذهاننا هذه الفكرة الخاطئة، وتكشف لنا عن مدى تسلسل هذا الفن مع العربية منذ أقدم عصورها

والواقع أن الألغاز - وما يجري مجراها - لا تعدو أن تكون ضرباً من التعبير عماده اللقانة والفهم وحسن التأتي والفطنة من القائل ومن المستمع جميعاً؛ وتلك نفحات ذهنية كان للعقل العربي منها منذ نشأته أوفر نصيب. واشتقاق «اللغز» في اللغة يشير إلى قدم هذه التسمية أو قدم مدلولها على الأقل، إن لم يمكن التثبت من إطلاقها على هذا الفن نفسه منذ العهد الجاهلي

يقول قدامة في كتابه نقد النثر: أما اللغز فانه من ألغز اليربوع ولغّز إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمنة ويسرة، ليعمى بذلك على طالبه، وهو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجاة

وأورد ابن الأثير قريباً من هذا ثم أضاف: وقيل - يعني في الألغاز - جمع لَغْز بفتح اللام، وهو ميلك بالشيء عن وجهه ...

هذا وللغز مرادفات كثيرة يوردها أكثر المصادر من غير تفرقة ولا تحديد، فيقال له (اللحن) وهو التعريض بالشيء من غير تصريح، أو الكناية عنه بغيره. ومن ذلك قوله تعالى في صفة المنافقين: (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) قال الزمخشري: أي في نحوه وأسلوبه، وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية ..

ويطلق على اللغز أيضاً المعمّى والترجم والأغلوطة، والأحجية والمحاجاة (لدلالة الحجا عليه)، والأدعية مثل الأحجية ... وأنشد الجوهري في الصحاح:

أداعيكَ ما مُستصحَباتٌ مع السُّرى … حِسانٌ وما آثارهُنّ حسان!

وقال يعني السيوف. ويقال للغز أيضاً (الألقية) وهي ما يلقى بقصد الاختبار وطلب التعجيز، و(المعاياة) ولعلها من تطلب الإعياء أو إثبات العي. وكل هذه ألفاظ تتقارب معانيها حتى لتكاد تؤول إلى مدلول واحد. ولقد حاول ابن الأثير في «المثل السائر» أن يفرد من بين ذلك ما سماه (المغالطات المعنوية) فيجعله نوعاً، ثم يضم الأحاجي والأغاليط والألغاز والمعميات فيجعلها نوعاً آخر

تقسيم ابن الأثير

وهو يقول عن النوع الأول الذي سماه المغالطات المعنوية: حقيقته أن يُذكر معنى من المعاني له «مثل» في شيء آخر أو «نقيض»، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً

ويقدم كنموذج لما له «مثل» قول المتنبي في وصف رمح:

يغادر كلَّ ملتفت إليه … ولَبَّته لثعلبه وجارُ

فمعنى الثعلب المقصود هنا سنان الرمح. ولكن إمكان انطلاق هذا اللفظ على الحيوان المعروف أيضاً، أتاح للشاعر أن يثبت لفظ (الوجار) على سبيل الجمع بين المثلين: الثعلب الحيوان ووجاره

أما ما يأتي على سبيل «النقيض» فذلك كقول الشاعر - محاجياً في الدواب -:

وما أشياء تشريها بمال … فإن نفقَتْ فأكسد ما تكون؟

إذ يقال نفقت السلعة أي راجت، ونفقت الدابة إذا ماتت

قال ابن الأثير: وموضع المناقضة ههنا في قوله إنها إذا نفقت كسدت، فجاء بالشيء ونقيضه، وجعل هذا سبباً لهذا ...

ويخطّئ ابن الأثير من يُدخل هذا الضرب من المغالطات المعنوية في باب الألغاز؛ ويعيب ذلك على أبي الفرج في أغانيه والحريري في مقاماته

واللغز عنده — بعد ذلك — هو كل معنى يستخرج بالحدس والحزْر ، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ، ولا يفهم من عرضه . ويمثل لذلك بقول الشاعر[1] ملغزاً فى الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته ... يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت ... عينى عليه افترقنا فرقة الأبد !

على أنه يعود فيتمثل بقول الآخر ملغزاً فى (خلخال) :

ومضروب بلا جرم ... مليح اللون معشوق
له قدُّ الهلال على ... مليح القد ممشوق
وأكثر ما يُرى أبداً ... على الأمشاط فى السوق !

وواضح أن من السهل إدراج هذا المثل فى باب المغالطات المعنوية ؛ إذ الأمشاط والسوق المقصودة هنا هى تلك المواضع المعروفة من الجسم ، ولكن الشاعر غالط فى معنى الكلمتين جميعاً ، وأتاح له هذه المغالطة المعنوية (المزدوجة) ما يكون من اقتران سوق البيع والشراء فى الأذهان عادة بأمشاط الشعر التى تباع فيها ، حتى لكان مما أضافه ابن الأثير إلى ذلك قوله : بلغنى أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : لقد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً !

هذا وإن المغالطة المعنوية فى البيت الأخير — بذكر الشيء ومثله — لشبيهة بما سلكه المتنبى من المغالطة فى معنى الثعلب بذكر «مثل» له وهو الوجار . فنرى من ذلك أن اللغز ومرادفاته — ومن بينها المغالطة المعنوية — تدور جميعها حول مدلول واحد أو يكاد يكون واحداً . فمحاولة التفرقة بين معانى هذه المترادفات توشك أن تكون تعسفاً لا يحصل منه ومجهوداً لا طائل تحته

لماذا يلغزون ؟

استعمل الفصحاء من قديم هذا الضرب من التعبير الدقيق ناظرين إلى فوائده فيه ، منها رياضة الفكر على تصحيح المعانى واستنباط دقائقها من بطون الألفاظ . ومنها إظهار البراعة فى التلبيس والتمويه بتجلية الحق فى معرض الباطل وإلباس الممكن ثوب المستحيل . ومنها توليد المعانى الغريبة والتزيد فيها ، وابتكار ما يستثير العجب منها فى غموضه ، والإعجاب بعد تجليته وإيضاحه . ومنها صون ما يراد صونه من معانى الكلام وحجبه إلا دون من يُرغب فى بذله إليه ؛ وذلك ما يقال له « الرمز » وأصله فى اللغة الصوت الخفى الذى لا يكاد يفهم ، ثم أطلق على ما خفى من الكلام وأريد طيه عن سائر الناس مع الإفضاء به إلى بعضهم . قال قدامة فى نقد النثر : « وقد أتى فى كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير ، وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون

يضاف إلى هذه الأغراض الدنيوية جميعاً غرض آخر متعلق بالدين ، هو ما يكون من تجنب الكذب الصراح أو اليمين الكاذبة ، مع سلوك سبيل المداراة والإرضاء بالظاهر من القول . وقد جاء فى الحديث : رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس . وإنما يكون ذلك عند التقية ومخاطبة من تخشى بادرته من حاكم غاشم أو سفيه متهجم . ويسمى ابن دريد ذلك (الملاحن) وقد ألف فيه كتاباً فيما سنشير إليه . ويسميه قدامة « المعارضة » وتعريفها عنده أنها المقابلة بين الكلامين المتساويين فى اللفظ . قال : وذلك مثل قول بعضهم وقد سأله بعض أهل الدولة العباسية عن قوله فى لبس السواد فقال : وهل النور إلا فى السواد ! وأراد نور العين فى سوادها ، فأرضى السائل ولم يكذب

وضرب قدامة مثلاً من المعارضة فى القرآن قول مؤذن يوسف : «أيتها العير إنكم لسارقون» وهم لم يسرقوا الصواع ، وإنما عنى سرقتهم إياه من أبيه

قلت : وشبيه بهذا قوله تعالى على لسان إبراهيم : « بل فعله كبيرهم هذا » يعنى أن الصنم الأكبر كان أشدها إغاظة له لما رأى من زيادة تعظيمهم إياه وأقوها — تبعاً لذلك — حملا على التحطيم » والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه » — ففى الآية أسلوب تعريضى جمع بين تبكيتهم ، والتبرؤ من الكذب بإسناد الفعل ظاهراً إلى الصنم

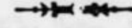
وليس بعد هذا النوع من المعارضة كذباً بوجه ، إذ كان من مأثور قولهم : « فى المعاريض مندوحة عن الكذب » . والصدق فى اللفظ غير مراد لذاته ، بل لدلالة فيه على الحق ، ومعونة منه على بلوغه . وقد أزال الغزالى ما لعله يتبقى من الشبهة

(١) أبو المظفر أسامة بن منقذ . توفى عام ٥٨٤ هـ

٥ - القرآن الكريم

فى كتاب النثر الفنى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



ويلتحق بزعمه الذى زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية سياسية اجتماعية الخ زعمُه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة، أى إنها نشأت قبل الإسلام لا بعده[1] وهو يبنى هذا الزعم أيضاً على ما افترض من أن القرآن أثر جاهلى

وفى الحق أن جميع ما ارتأى وما افترض فى كتابه هذا متصلاً بالقرآن لا يتسق ولا يستقيم فى بحث باحث إلا على فرض أن القرآن من كلام عربى من العرب. وهو لم يصرح بهذا كما صرح بإنكار إعجاز القرآن من ناحية الأسلوب، إلا أن وصفه القرآن بكل ما لا يصدُق إلا على نتاج البيئة دليل قاطع فى الموضوع

اقرأ له زيادة على ما قدمنا قوله عن القرآن من صفحة ٤٥ « فلننظر إذن أهو كتاب طبيعي، أم هو كتاب مملوء بالزخرف والصنعة المحكمة » وقوله « فمن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذى أولعوا بالجرى فيه وهو عصر الدولة العباسية، وأن يجعلوا ميدان النضال عصر النبوة نفسه، وأن يحدثونا ما هى الصلات الأدبية والاجتماعية التى وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف الذين نراهما مجسمين فى القرآن. هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية ». فهذا نص لا يقبل شكاً ولا يحتمل تأويلاً فى أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب تأثر بما تأثروا أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية اجتماعية جاءتهم من الخارج، وأن ما امتلأ به فى زعمه من « الزخرف والصنعة المحكمة » ليس طبيعياً كالذى تراه فى الزهر والشجر والشفق والسماء، ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج! ونسى أنه لم يقل بأن القرآن أثر جاهلى إلا لينفى عن العرب أن يكونوا « أخذوا طرائق النثر الفنى عن الفرس واليونان »، فهو يسلبهم كل ما أعطاهم، بل يشكك حتى فى عبقرية القرآن لو كان من صنع عربى ووضعه، كما ترى من قوله « هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية ». والتقليد هنا ليس هو تقليد عربى لعربى، ولكن تقليد عربى لأعجمى، لأن الصلات الخارجية التى يتساءل عنها فى النص السابق هى صلات بين العرب ومن حولهم من الأعاجم. فتشكيكه فى العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع فى أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الإنسان، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى فى عبقريته

وصاحب الكتاب يعرف هذا الرأى من نفسه، ويعرف

(١) الجزء الأول صفحة ٤٧

فى استعمال (المعاريض) بقوله فى شأنها: « الصدق ههنا يتحول إلى النية فلا راعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير؛ فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته، صار صادقاً كيفما كان لفظه »

هذا ولم يتفرد متصوفة المسلمين بالإغراب والتعمية فى أقوالهم - تقية منهم ومداراة للعامة وظلمة الحكام - وإنما شاركهم فى ذلك أهل التصوف من سائر الملل. وسبق هؤلاء جميعاً أهل التفلسف من قدماء الأمم. وقد مرت عبارة قدامة فى رموز أفلاطون، والقفطى فى كتابه: « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » يقول عن أفلاطون هذا إنه ألف كتباً كثيرة مشهورة فى فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق

وكان هيرقليس اليونانى يسمى (الفيلسوف المعمَّى) لأنه كان لا يتكلم إلا بالألغاز. وينسب مثل هذا إلى أبيذقليس.

قال القفطى: ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه، وينتمى فى ذلك إلى مذهبه - يعنى مذهب الشك فى المعاد - ويزعمون أن له رموزاً قلما يوقف عليها[1] وهى فى غالب الظن إيهامات منهم.

(جرجا - يتبع) محمود عزت عرفة

(١) أقول: لعل أبا العلاء كان يشير إلى أمثال هؤلاء بقوله: لقد كذب الذين ظنوا فقالوا: أفى من ربنا أمر برمز

بعد ما بينه وبين ما عليه المسلمون ، كما ترى من قوله بعد ذلك النص « ولكن مثل هذا البحث فى رأيى خطر على الباحثين المسلمين فى الوقت الحاضر : لأن الرأى العام فى مصر والشرق الإسلامى لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الصميمة والعناصر الدخيلة . والمستشرقون أيضاً لا يهتمون بمثل هذا البحث ، لأن أكثرهم مقتنع بأن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام » . فإذا صح ما نقله هذا الرجل عن المستشرقين فالمستشرقون أقرب منه إلى الإسلام إذ ليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، ويتبعوا النتيجة الحتمية لوجود القرآن مع ما اقتنعوا به من أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . أما هو فقد رأيت ما قال

وليس ذلك كل ما قال ، فقد قال أيضاً فى صفحة ٤٦ « وليس أمامنا أى دليل على أن القرآن متأثر تأثراً محسوساً بآداب أخرى أجنبية وإن كان هذا ممكناً لأن العرب قبل الإسلام كانوا على اتصال قليل أو كثير بمن جاورهم »

وقال أيضاً من صفحة ٤٧ « ويمكن الحكم بأن اللغة الأدبية التى سبقت الإسلام لم تكن تخالف كثيراً لغة القرآن ، لأن التطور الكبير الذى ينقل اللغة من أسلوب إلى أسلوب ومن روح إلى روح لا يتم فى خمسين سنة مثلاً ، وإنما يتطلب مدة طويلة ، خصوصاً فى أمة بدوية محافظة قليلة الاختراع والتبديل فى لغتها وأسلوبها » . اقرأ هذا واحكم ما رأى صاحبه فى القرآن ، أأنزله الخالق معجزة للخلق على الدهر ، أم هو من كلام الناس تطور روحه وأسلوبه كما يتطور الروح والأسلوب فى كلام البشر ؟

ثم اقرأ له من صفحة ٥١ : « وإنما ينبغى أن نعتقد أنه كان لهم أدب قوى متين يقرب فى روحه وأسلوبه من روح القرآن وأسلوبه ، فإن البيئة واحدة ، واللغة واحدة ، والعصر واحد » فإذا قرأت له عقب ذلك « ولم يكن محمد إلا بشراً ألهم هداية قومه كما صرح القرآن غير مرة » عرفت أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام محمد ، وعرفت أيضاً أنه يفترى على القرآن فإن القرآن وإن قال إن محمداً بشر لم يقل إنه ألهم هداية قومه ، فإن مادة « ألهم » لم ترد قط فى القرآن

فإذا قرأت له من صفحة ٦٠ « فإن القرآن يسجع أحياناً ولكنه لا يلتزم السجع ، لذلك نجا من التكلف والابتذال » عجبت لهذا الكاتب المدعى البصر بالفصاحة والبيان ، كيف لم يجد ما يقوله فى سجع القرآن إلا أنه نجا من التكلف والابتذال ! وهو ثناء يشبه الذم لو أنه قيل فى سجع أحد الفصحاء مثل ابن العميد الذى يستحسن صاحب الكتاب سجعاً له كل الاستحسان (صفحة ١٥٧) ، فكيف به وقد قيل فى القرآن

ولعلك لاحظت أنه حين (نجى) القرآن من التكلف والابتذال فى السجع رد ذلك إلى أنه يسجع أحياناً ، أى إلى قلة السجع لا إلى السجع نفسه . فإذا قرأت له قوله من صفحة ٦٥ « ولو تركنا المشكوك فيه من الآثار الجاهلية ، وعدنا إلى نص جاهلى لا ريب فيه وهو القرآن ، لرأينا السجع إحدى سماته الأساسية » لعجبت لهذا الرجل كيف يكتب . ألم يقل قبل إن القرآن يسجع أحياناً ؟ فكيف يجعل السجع الآن إحدى سماته الأساسية ؟

ومثل آخر من إنزاله القرآن منزلة كلام البشر قوله من نفس الصفحة « والقرآن نثر جاهلى ، كما أوضحنا ذلك من قبل ! (والتعجب من عندنا لأنه لم يوضح بأكثر مما قدمنا لك) والسجع فيه يجرى على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان . ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين ولا تنس أن الوثنية كانت ديناً يؤمن به أهله فى طاعة وخشوع ، وكانت لهم طقوس فى هياكلهم . وكانت تلك الطقوس تؤدى على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصارى واليهود » !

أفترى هذا الكلام يحتاج إلى تعليق ؟! أم هل تريد كلاماً أوضح وأدل على رأى هذا الأفاك ؟ إذن فاقرأ له ما قال بعد

ذلك : « والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب فى صيغتها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات ، والفرق بين اللغتين يرجع إلى المعانى ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال . ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية . فاللون الدينى واحد ، وسورة الأداء تكاد تكون واحدة » ! فقد رأيت الآن ! لقد صارحك صاحب النثر الفنى بذات نفسه ، لا عن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين فى الصورة والشكل ، ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كلها بنت البيئة ، بنت الجزيرة العربية ، ولك أنت أن تعلل لماذا أغفل الوثنية فلم يجعلها رابعة البنات !

الرجل بقوله هذا قد وضع بين أيدى الناس المفتاح إلى مذهبه فى القرآن والدين ، وليس النص السابق فلتة فاتت الرجل ، فقد ذكر رأيه فى الدين وفى القرآن فيما كتب بعد النثر الفنى بما يتفق مع هذا الذى كتب فى « النثر الفنى » وأين ؟ سأخبرك ببعض ذلك ، وفى البعض بلاغ

كان الأستاذ أحمد أمين علل فقدان الملاحم والمنظومات الطويلة فى الشعر العربى بتقيد الشعراء بعد العصر الجاهلى بقيود الشعر الجاهلى ، فرد الدكتور زكى مبارك عليه يقول فى صفحة ١٣٩٣ من العدد ٣١٥ من الرسالة « إن عبقرية العرب ليست فى القصص وإنما عبقرية العرب فى الغناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ؛ فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ ، فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن . وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب » والأستاذ أحمد أمين كان يتكلم عن أدب العرب مقارناً إياه بأدب غيرهم من الأمم والشعوب ؛ فهذا الرد من زكى مبارك لا يصلح رداً إلا أن تكون الديانات الثلاث من وضع العرب ؛ وإلا أن يكون القرآن من أدب العرب كذلك

***

وبعد ، فقد كنت أسندت إلى زكى مبارك تهماً ثلاثاً : أنه يدعو إلى نقد القرآن ، وأنه ينكر إعجاز القرآن وأنه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر ، وطلبت إليه أن يتبرأ أو أثبت ، فأجاب إنى لا أفهم كتابه ، وأنه لا يتبرأ منه ولو ذهب معه إلى جهنم الحامية ، فكان لا بد من الإثبات . وقد فعلت ، وإن لم أستقص ما فى كتابه وما كتب بعده من دليل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥١ — ومخبر النساء بعد المنظر

عيّرت امرأة حكيماً بقبح المنظر . فقال لها : ياهذه ، إن منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المنظر ...

٥٥٢ — ثلاثون خاتماً وثلاثون عكازاً

في (تاريخ بغداد) للخطيب : قال عبد الله بن محمد بن شهاب : كان لخلف بن عمرو العكبري ثلاثون خاتماً وثلاثون عُكازاً ، يلبس كل يوم خاتماً وعكازاً[1] طول شهره . فإذا جاء الشهر المقبل استأنف لبسها . وكان له سوط معلق ، فقلت له : ما هذا؟ فقال : ما رُوي : (علّقْ سوطك يرهبك عيالك)[2]؟ وكان ظريفاً ...

٥٥٣ — خطبة في الصلح

في (محاضرات الراغب) : خطب رجل في الصلح ، فقال : أما بعد ، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال ، والسلام

٥٥٤ — عجائب

في (الأغاني) : أحمد بن الطيب السرخسي : حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر ، وحضرته مغنية (يقال لها شنين) مشهورة فغنت (قول دعبل) :

لا تعجبي يا سلمَ ، من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

ثم غنت بعده (والشعر لدعبل) :

لقد عجبتْ سلمى وذاك عجيب رأت بي شيباً عجّلته خطوبُ

فقلت لها ما أكثر تعجب سلمى هذه ! فعلمت أني أعبث بها

(١) ويحمل عكازاً ، ومثله
إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا
إنما أراد و كحلن العيون . والزجج دقة في الحاجبين وطول ، وقيل أطاله بالأثمد (اللسان ، التاج)

(٢) (في مجمع الأمثال) : علق سوطك حيث يراه أهلك . هذا يروى عن النبي (عليه الصلاة والسلام) والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ، ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم

لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فهلّا الفتى ألاّ يراح إلى ندى
وألاّ يرى شيئاً عجيباً فيعجبا[1]

فعجبتُ والله من جوابها وحدّته وسرعته ، وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً

٥٥٥ — اخترت استعمال الصواب فيك

في تاريخ بغداد للخطيب : قال قال المأمون لأبي حفص عمر بن الأزرق الكرماني : أريدك للوزارة

قال : لا أصلح لها يا أمير المؤمنين

قال : ترفع نفسك عنها

قال : ومن رفع نفسه عن الوزارة ، ولكني قلت هذا رافعاً لها وواضعاً لنفسي عنها

قال المأمون : إنّا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال ، ولكن دولتنا منكوسة ، إن قوّمناها بالراجحين انتقصت ، وإن أيدناها بالناقصين استقامت ؛ ولذلك اخترت استعمال الصواب فيك ...

٥٥٦ — أفتانا به الإمام أبو إسحق

قال محب الدين بن النجار في تاريخه : قال شميب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو إسحق الشيرازي[2] هذين البيتين لنفسه :

جاء الربيع وحسنُ ورده ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب[3] ووجنتيه وحسن خدّه

ثم بعد مدة كنت جالساً عنده فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور (بلدة على ساحل بحر الروم) فقال لغلامه : أحضر ذاك الشان فقد أفتانا به الإمام أبو إسحق . فبكى الشيخ الشيرازي ، ودعا على نفسه ، وقال : ليتني لم أقل هذين البيتين ! ثم قال لي : كيف تردهما من أفواه الناس ؟ فقلت : ياسيدي ، هيهات ! قد سارت بهما الركبان

(١) راح له يراح : أخذته له خفة وأريحية

(٢) صاحب البيتين : (سألت الناس عن خل) وفيه يقول الشاعر عاصم من بغداد :
تراه من الذكاء نحيف جسم عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضره الجسم النحيل

(٣) قال ابن خلكان : كان في غاية من الورع والتشدد في الدين . وقال السبكي : شيخ الاسلام ، صاحب التصانيف التي سارت كسير الشمس

نحو أدب قومى

الوادى المقدس

للأستاذ سيد قطب

على ضفافِ الخلودْ ... وفى شِعابِ الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ ... قد كان هذا الوطنْ

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ ... تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حىٌّ سِواكْ ... يُهدِى إليه الضياءْ ؟

رأتك تلك الضِّفافْ ... رأتكَ تلك البُرورْ
رأتك قبل المطافْ ... وأنتَ طفلٌ غريرْ

وشبتَ والدهر شابْ ... وحنّكَتْكَ الحياهْ
والنيلُ بادى الشبابْ ... والزهر يقْفو خُطاهْ

ينسابُ مثل النَّغَمْ ... فى عزفِ ناىٍ طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ ... تُضفِى عليه الغيوبْ

خريرُهُ صَلَواتْ ... معطّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ ... مرتّلاتُ القصيدْ

يا نيلُ كم من شِراعْ ... يا نيلُ كم من سَفينْ
أسلَمْتَها للوداعْ ... على مدارِ السِّنينْ

يا نيل كم من جموع ... ماجت بتلك الضفاف
يا نيل كم من زروع ... وذِى وذِى للقطاف

وأنتَ صِنوُ الخلود ... وفى يديْك الزمام
وكل عام تعود ... مُجدِّدَ الأيام

تجرى فتجرى الحياه ... ويُمْرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه ... وتمرح القُطْعان

ويَنْشطُ الزرزور ... بمجمَع الغيدان
لِعشه المعْمور ... بفرحه الوسنان

أكادُ خلفَ القرون ... أحسُّ رِكْزَ الجموع
أراهُم مُهطِعين ... فى موكب للربيع

قد شمّروا للحصاد ... وخلَّفوا أمشير
فى فرحة الأولاد ... تسابقوا للبكُور

وموكب للرَّواح ... فى كل يوم يؤوب
يزُفُّه الفلاح ... على مدار الغروب

من الحقول المَريعه ... إلى الحى والديار
تضم فيه الطبيعه ... أبناءها الأبرار

لحونُه من صياح ... ومن رُغاء النَّعَم
ومن رجيع النُّباح ... ومن ثُغاء الغنم

على مدار القرون ... يسير فيه الرُّعاه
كأنهم خالدون ... ما بدَّلوا فى الحياه

أحبُّ فيكَ الخلود ... يا أيُّها الوادى
أحب فيك الصمود ... لِلقاهر العادى

تَصبُّ فيكَ الوفود ... وأنت يقظانُ ساهر
تصوغهم من جديد ... كأنما أنت ساحر

يا مهبط الأسرار ... من الغيوب العميقه
يا موطن الأسحار ... من القرون السحيقه

تأوى إليك الزمان ... خوف البِلَى والفناء
يأوى لحصن الأمان ... فيستمدُّ البقاء

ووجهك الفتان ... بِلونه الأسمر
يا طالما يزدان ... بزرعك الأخضر !

ترنو له عيناى ... فى فتنة العاشق
يا أرض يا دنياى ... يا آية الخالق

يا أرض كم تحلمين ... بالزهر أحلام شاعر
رؤاكِ طولَ السنين ... يا أرض، تلك الأزاهر

وريحك المعروف ... يشمه أنفى



٧ — الشعر الجديد

يلحق بالشعر الجديد ما يدعونه اليوم (الشعر المنثور) . ويكاد النوعان يتطابقان فى جميع المظاهر والخصائص التى ألمت بها فى هذه الأحاديث . وغالب ما قرأت من (المنثور) مُنشأ إنشاء ؛ ومنه ما هو مترجم . وما يستجاد من هذا أو ذاك لا يكاد يذكر

ولقد كنت أحسب بادِىَ الرأى أن رُحْب (المنثور) وانفساح جنباته ، وأنه غير منحصر فى وزن أو قافية ـ مما يأذن لسلامة التعبير ومتانة الأداء . ولكنى وجدت الحال هى الحال . فإن كان لهم شىء مما يزعمون من المقدرة ، فهنا مجاله . وإلا فأين نتلمّس (نضارة الزهر ، وعَبَق الريحان ، وفتنة الألوان) ؟

وعلى ذكر (القافية) يَعِنّ مظهر آخرُ سوى ما أسلفنا ـ من مظاهر (الشعر الجديد) : ذلك هو قَلَق القوافى فيه ونبوّها ، حتى إنك لتحس أنها تحشر حشراً ، وتساق سوقاً ، وتضغط فى أماكنها ضغطاً ، فتأتى واهنة خائرة ، أو باردة فاترة

ورصانة القافية تنبئ بالفُحولة ورسوخ القدم . وقديماً اعتبرها النُّقاد من أُسس الموازنة ، ومقوّمات المقايسة بين الشعراء . وقد عُنى بها (العروضيّون) فبسطوا فيها القول ، ونسّقوا لها القواعد ، وأفردوها بالتأليف ؛ حتى وصلوا من ذلك إلى تفصيلات دقيقة ، وتفريعات عجيبة . وذلك لمكانتها من القصيد ، وأثرها فى النفوس ، متى اكتملت فيها شرائط الحسن ، واستحكمت لها أصول الفن

ولسنا بصدد طرْق هذا الباب ؛ وإنما نريد أن نقول لهؤلاء النظّامين : رويدكم ؛ فإن الأمر ليس من الهوْن كما تظنون ؛ فإحكام القافية وإنزالها منزلتها ، مما يتطلب تحصيلاً عظيماً ، وحِسّاً مرهَفاً ، ومُعاناة طويلة للجزل من الكلام ، والمحكم من القريض

فلا غرْو إذاً أن ندرك سرّ تبرّم القوم بالقوافى ؛ فقد تواترت اليوم صيحات تدعو إلى (كسر هذا القيد ، وخلع ذلك النِّير) . قالوا : وما للتقفية والشعر ؟ لئن كانت التقفية سبيل القدماء ومنبت عصورهم ، لخير لنا فى عصرنا هذا أن نطّرحها ، لنكون فى التفكير أكثر سداداً ، وفى الخيال أبعد مرمى ، ولنكون سِراعاً ككل شىء

قالوا هذا ، وقالوا كثيراً غيره ، وأوغلوا فى الاحتجاج ، فأصبحنا نرى من القصائد ما لا تقفية له مطلقاً ، وما نُوّعت فيه التقفية على أوضاع وأشكال شتى ، وصور لا تكاد تنحصر

فالسر ـ فيما أرى ـ ليس فيما زعموا . وإنما السر كل السر فيما يقوم فى سبيل التقفية ـ ولا سيما إن طالت فى القصيدة ـ من عقبات ، وما يعترض من شدائد . فكيف النجاة إلا فيما يتمحّلون وما يفتعلون من أسباب ؟

وبينما أنا أهم باختتام هذه الكلمة ، إذ خطر لى حوار كان بين أديبين[1] ـ منذ قريب ـ حول ما يسمى (الشعر المهموس) وهو ما يمكن أن تتسع له أحاديثنا هذه . وكان فى نفسى منه شىء . وهو فن ابتدع حديثاً ، فيما أظن

(١) على ما أذكر . ولعلهم أكثر . والموضوع ليس فى متناول يدي الآن . وإنما اعتمدت فيه على الذاكرة

فى خاطرى مألوف مميزُ المَشرف

ياأرض ، هذا الصعيد مقدس فى ضميرى
سرى عليه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرطُ الحنين إليهمُ فى شعورى
يردهم شاخصين إلىّ خلف الدهور

يا أرض سرٌ دفين مُغيّبٌ فى ثراكْ
يردّنا موثقين إليكِ أسرَى هواكِ

هـذا الثرى المنثور فى صفحة الوادى
عرفته فى الضمير رفات أجدادى

ياأرض . هذا النشيد من وحيك العبقرىّ
فاقْـضِى له بالوجود بسرِّك القُدُسىّ

(حلوان) سيد قطب

ولقد كنت جهدت فى تبين مدلول (الهمس) فى ذاك الحوار، مستأنساً باللغة، فلم أوفق كل التوفيق. فانصرفت إلى الشعر الذى ساقاه للتصوير، وتأملته وأمعنت فيه

وكان أحد الناقشين يتعصب لشعراء (المهجر) أشد التعصب ويقدمهم في هذا الباب، وينكر على المصريين - فيما أذكر - استعدادهم فيه. وساق كل من المتناظرين مقطوعات مختلفة. وطال النقاش

إلا أنى لم أتذوق فى الشعر المصرى مذاقاً خاصاً، لم ألمح فيه لوناً أو طعماً خاصاً - أما الشعر المهجرى فكان من صفته الوَنَى والفتور والتهافت، وإن حاول الأستاذ - جاهداً - أن يحمّله من المعانى ما لا يحتمل، وأن يعتصر منه ما ليس فيه. ولقد عجبت من هذا الاختيار، وفى (المهجر) شعراء ذوو مكانة سامية، ولهم فن مستملح، وتجديد عذب

فليت شعرى ما (الهمس) فى الشعر وما مرماه؟

(للحديث بقية) (ا. ع)

كتابة الإسبانية بالحروف العربية

أورد حضرة الأستاذ الجليل «ن» فى العدد ٥٦٢ من الرسالة خبراً حول كتابة اللسان الإسبانى بالحروف العربية استحدثه من أستاذنا الدكتور باول كراوس

وكأنى بكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الحقيقة التاريخية إلا اليسير؛ لذلك أحببت أن أقدم إلى أصدقاء «الرسالة» لمحة سريعة عن الظروف التى أحاطت بهذه الكتابة راجياً أن تتاح لى الفرصة للتحدث عن أدب الموريسكيين الذى كان جله يكتب بالحروف العربية

بعد أن استرد الإسبانيون غرناطة - آخر معقل لدولة الإسلام فى الأندلس - ظل كثير من المسلمين Morlscos يعيش فى كنف الدولة الجديدة المنتصرة. ولكن سرعان ما اشتدت وطأة محاكم التفتيش عليهم، فحملوا - أمام هذا الضغط - على استعمال اللغة الأعجمية Aljamia فى حياتهم الاجتماعية. ولم يكن فى وسعهم حينئذ أن يكتبوها بالحروف اللاتينية؛ فلجأوا إلى حروف لغتهم العربية

وفى سنة ١٦٠٩ أُقصى الموريسكيون عن إسبانيا واندثرت لغتهم التى استحدثوها، فقُضى بذلك على آخر مظهر من مظاهر الأدب الإسلامى فى الأندلس

والأدب الأعجمى ككل أدب، له ناحيتان: النثر، ويتمثل فى كتب الدين والشريعة وسير الرسل. والشعر، وقد نظمت به المدائح النبوية وقصة يوسف

وها هى ذى بعض الأبيات من قصة يوسف نظمها باللغة الأعجمية شاعر مجهول عاش فى القرن الثالث عشر والرابع عشر:

حديث دا يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لُوَميا نْتَ أُدَ اللهْ أَ لَلْتْ يَاشَ إبارْدَادَار

أُنْرَدُ إقُنْبِلِدُ شانُرْ دَارَابْتُرَار

ثم يسترسل فى ذكر الصفات الإلهية حتى يصل إلى قول يوسف لأبيه:

أُكَاشْتُ فُوَا كَابِي أُنْزَ أَشْتَرَالَّشْ

كَامُرْتْ لَفَرَّارْ تِيَاىَ كُنَالَّشْ

كَالْشُلْ إِلُلُنْ أَرْكَا أُنْدَبْ أُنْتَرَالَّشْ

ومعناه: «إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين»

ولا تزال خزائن الموريسكيين مدفونة لم يكشف فى القرن التاسع عشر إلا على القليل منها. ولعل فى استخراجها من مدافنها ما يوضح مدى النشاط الفكرى الذى بلغه هؤلاء القوم المعذبون.

أحمد مدينة

البيت الذى يعدل ألف بيت

قرأنا فى العدد الأخير من «الرسالة» رأى الأستاذ دريني خشبة فى بيت للدكتور إبراهيم ناجى وهو يعدله بألف بيت من جيد الشعر

ونحن نرى أن البيت الذى يعدل ألف بيت من جيد الشعر هو بيت الرئيس أبى منصور على بن الحسن (صردر):

ناضلننا بنوافذ مسمومة وودت لو قبلت منهم الرامى

من قصيدته:

يا ماء « لينـة » لو نفعت أوامى

كانت حياضك لى كئوس مـدام

أما البيت :

ومن عجب أحنـو على السهم غازاً

ويسألنى قلـبى متى يرجع الرامى

فيعدل بيتاً واحداً ، لأنه مأخوذ عن الرئيس أبى منصور بتصرف

محمد على خليل

بقايا نغم

نشر الأستاذ محمود حسن إسماعيل قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » الغراء بهذا العنوان ورد فيها ما يأتى :

وفيهـا أنت يا ليلاىْ سلوٌ يانعٌ لبكاىْ

وفجـر رائع لدجاىْ وخلد سامع لغِـناىْ

يملنى ويوحيـــنى

أما أنت ياليلاى سلو يانع لبـكاى ، فهذا كلام جميل وإن كان الـلو لا يوصف بأنه يانع ، وأما قوله (يملنى ويوحينى) ، فذلك خطأ محض إذ ليس من اللغة الصحيحة أن أقول (يوحينى) بمعنى (يوحى إلىّ أو لِى) ولو قال (يُحْييِنى) لـكفى نفسه هذا الاضطرار الذى أوقعه فى خطإ واضح

هذا وللأستاذ تقديرى وثنائى على أى حال .

عبد القادر محمود

« كتاب الفلاحون » والدكتور غلاب

طالبنا الدكتور غلاب بالأدلة على جور الأب عيروط أحياناً وعلى ركاكة أسلوب الترجمة ، فاليه بعض هذه الأمثلة بلا تماليق :

١ — جاء فى ص ١٥٨ : إن الشدة القرآنية تلين أمام الضرورة والتقاليد

٢ — وجاء فى الصفحة نفسها : إن جرائم القتل بسبب العرض التى هى لا تزال مألوفة إلى حد كبير والتى هى مجندة من الإسلام ، إن لم تـكن من أوضاعه تاقى رحمة العدالة الرسمية (أى فى المحاكم !)

٣ — وجاء فى ص ١٦٠ : أن الأم التى تلد تلحقها نجاسة شرعية مدة (أو إبان كما يقول السيد غلاب) أربعين يوماً إن كان المولود ولداً أو ثلاثين إن كان بنتاً !

٤ — وفى ص ١٦١ يقول بعد أن شنع كثيراً على عادة إطالة مدة الرضاع : ونحن نشاهد نفس هذا التعيين فى مدة الرضاع عند قدماء المصريين وفي أفريقيا السـوداء وفى أوامر القرآن !

٥ — وجاء فى ص ١٢٥ : إن الفلاحين يقومون بطقوس الصلاة بعد الوضوء مساء !. ويوم الجمعة مرات عديدة ! وأنهم يصلون جماعة ، أو على الأقل يصورون هيكل حركات الصلاة !

٦ — وفى ص ١٣٣ : « إن النساء الباكيات على الميت (يؤنبن الإله على دعونه إياه !) ويسائلن الميت وزوجته وأولاده بل والموت نفسه » وينتهى الـكلام بلا معنى عند هذه العبارة ! فمم التساؤل ؟

٧ — وفى ص ١٢٤ : ينفى عن الفلاحات ملاحظة شىء من قواعد الإسلام حتى الشهادتين أو الصوم أو الزكاة

٨ — وفى ص ١٥٦ : رمى الفلاحات المصريات جميعاً بالعهر والدعارة وعدم الصون !

٩ — وفى ص ١٨ يتهم الفلاحين بأنهم يقدسون الحيوان ، كما كان يصنع قدماء المصريين !

١٠ — وفى ص ١٢٥ : إن المسلمين لا يفهمون عربية القرآن الأدبية !

* * *

فهذه عشرة مآخذ من عشرين أعددناها فى مقال أشفقت « الرسالة » من نشره . فهل يأبى المترجم إلا أن تزيد ؟! وهل يرضيه هذا اللون المكشوف من النقد ؟ أما ركاكة الأسـلوب فالـكتاب كلهُ شاهد على ذلك ، وفى نشر شىء منه تضييع لوقت القراء

(د . غ)



عمى حسن

للأستاذ نجيب محفوظ

رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ ... أين جلدى وأين رشادى ؟ ... وكيف أدارى خجلى حيال هذه الشميرات المحترقة ؟ ... وكيف أستمع لنجوى هـذا الرأس الكبير الذى ظل - ستة وأربعين عاماً - ملتقى لتجارب الحياة ، يحتفظ منها بما يشاء ويعتبر بما يشاء ؟! ... فهل حقاً خاننى البصر وهل حقاً خانتنى الإرادة ؟ ... أو إن عمق إحساسى بالخجل والخيبة هو الذى كبر الهفوة لناظرى وضاعف من أثرها فى شعورى ؟ ... والحق أنى لم آت أمراً أشذ به عن سنة الطبيعة ، بل لو كنت ذا فطنة لأيقنت من زمن طويل أنه ما من هذا المصير مفر ... ألم ألق بنفسى فى مرتع الحسن الصبيح والشباب النضير أشهد نضجه واستواءه ؟ ... فمن أين كانت لى قوة أصد بها نزوع القلب عن أن يجنى من حصاد الهوى ما يروى به غلة فؤاد أضناه الترمل وعناه التوق إلى الأليف

وقد عرفت « فيفى » وهى فى المهد بعد أن نورت الدنيا بأسبوع واحد ، وكنت فى ذاك الوقت فى الثلاثين وأنتظر مولودا أيضاً . وأذكر أنى كنت أوصى زوجى - ضاحكاً - أن تكثر من النظر إلى وجه طفلة جيراننا علّ مولودنا المنتظر يقبس من روائها حسناً . ولم يكن يفصل بين الشقتين سوى ردهة قصيرة فجملت الصغيرة - حين دعاها الداعى إلى تعلم الحبو والمشى - تقطعها حبواً ومشياً ، فنمت رويداً رويداً تحت سمى وبصرى ، لها منتهى ودى وحبى وحنانى ، بل لكأنها ما كانت تتحرك وتنمو إلا بالحرارة التى يسكبها حبى على قلبها الصغير . وزاد هذا الحب وتضاعف حين ابتلانى الدهر فسلبنى زوجى ثم ابنى الصغير ، فعلقتها بجنون ووجدت فيها سلوة وعزاء . وأحبتها أختى - وكانت تقيم معى - فصرنا لها أباً وأماً . كان حسبى أن أنظر فى عينيها الخضراوين أو أعابث شعرها الكستنائى أو ألبى نداءها فرحاً مسروراً إذا نادت « عمى حسن » ، وكان أبوها يضاحكنى فيقول : « ما عرفت كذبى طفلة تحب عمها أكثر من أبيها ! »

فيفى الصغيرة تلك هى التى أحببت فيما بعد حباً غير الحب الأبوى الأول . وإنى لأتساءل متحيراً متى أحببتها هذا الحب الجديد ؟ أو كيف تحول حنانى إلى عاطفة قوية وشغف جنونى وهيام حق ؟ ... هل تولد فجأة ذاك اليوم الرهيب الذى لا ينسى؟ هذا بعيد . ففى مثل حالتى لا يأتى الحب فجأة ؛ بل كيف أقول فجأة وقد ترعرعت عمرها السعيد البالغ ستة عشر عاماً بين يدى وفى متناول أنفاسى ! إنما يمكن أن يقال إن بذرته ذرت فى فؤادى منذ استوى العود الغض وارتوى بماء الشباب ، وامتلأ الصدر والخدان بالأنوثة ، ودمض فى العينين بريق الفتنة والملاحة ، فلم أعد أرى طفلة تلثغ باسمى أو تلهو بسلسلة ساعتى ، ولكن شابة حسناء ريا الشباب ناضرة الحسن تنفث الفتنة والهيام . هنالك بهرنى الحسن وملأنى الإعجاب . وكنت كلما دب دبيب الفتنة فى قلبى تعوذت بالله وأنكرت مشاعرى ؛ ثم جفلت من مداعبتها ، فلم أعد أربت على خدها أو أعابث ذؤاباتها ، وهمت فى أجواء من الغموض واللهفة والشوق المكتوم والحيرة القاتلة والشغف والخوف ، ولولا أنى ممن يندر أن يفكروا فى أنفسهم أو ينظروا فى باطنهم لفطنت إلى حالى ، ولكنى رحت أقنع نفسى بأن ما انتابنى من اضطراب ما هو إلا أثر من إعجابى بالأنوثة الناضجة يتحد فى قلبى بحبى الطاهر القديم . هكذا خادعت نفسى . على أنى لم ألبث أن صحت يوماً وقد بلغت بى الوحشة حد الجنون - وكانت غابت أسبوعاً فى بيت جدها - « رباه إن الحياة لا طعم لها بدون فيفى واعترانى شجن وكمد ووجوم

وجاء يوم فرأيت قلبى على ضوء الشمس الساطع وبرح الخفاء ، وكنت أعبر فناء البيت إلى الطريق ، وكانت فيفى تلهو كحبوب عادتها بركوب الدراجة فى الفناء . فلما رأتنى مقبلاً اتجهت نحوى بدراجتها فى رشاقة حتى صارت على بعد أذرع منى ثم رفعت يمناها تحيينى ، فاختل توازنها ، واضطربت بها الدراجة

فهرعت نحوها حتى حاذيتها ، فاعتمدت بيسراها على كتفي الأيسر متفادية السقوط ، ونظرت إليها مؤنباً فطالعتني بعينين ضاحكتين ، وقد شدت راحتها على كتفي وانغرست ركبتها في قلبي ولم أسترد نظرتي فأدمت إليها النظر وقد لانت أساريري . ثم ما لبثت أن ابتلعني تيار عارم من الوجد والهيام فوددت بكل ما أوتيت من قوة وشغف لو ضممتها إلى قلبي . وجعل هذا القلب ينتفض كان ركبتها مفتاح كهربائي يسلط على شغافه تياراً عنيفاً . هكذا انقطع الشك وبرح الخفاء . وبعد لحظات كنت ماضياً في طريقي وقد انشغلت عن الدنيا جميعاً ، فلم أعد أشعر إلا بنفسي التي نبضت بحياة جديدة كدوامة ثائرة ، فأثملني طرب دفين ، ولكن لم يزايلني شعور بالتبعة والخوف والحزن . وجعلت أتساءل « إلى أين تمضي بي يا قلبي ؟ » نعم إلى أين ؟ ... فهذا طريق غير مأمون العثار ، فأين مني خطى الشباب وقلوب الفتيان ؟ ... وهل أنا إلا « عم حسن » فماذا يقول والداها العزيزان لو علما بما جد في قلبي ؟ ... كيف ريان جارهما الرزين الوقور وقد انقلب عاشقاً ولهان ؟ ... بل مالي أثقل على قلبي بالتردد والمخاوف ، فلأقل مع قلبي إن هذا الحب شيء طبيعي لا غرابة فيه ، وإنه لن يكون الأول أو الأخير من نوعه ؛ بل سأفرض أن جاري العزيز بارك بعطفه ما يختلج في صدري ، فكيف لي بعد ذلك أن أحولها من ابنة إلى زوجة ! وكيف أجعلها تنظر إلى عمها حسن فترى فيه حبيبها حسن ؟ وضاق صدري والتهب جبيني وذكرت الصلعة اللامعة التي أتوج بها هامتي ، والشيب الذي يحرق فؤادي ، وثلاث أسنان قد قلعت ، وسنة جديدة قد نفضت ، فأكلت مسيري مملتاً شجناً وكآبة .

ولكن هل ارعويت ؟ ... كلا ... ففي اليوم الثاني جاءتنا إلى البيت خفيفة نشيطة كعادتها - وكانت أختي تصلي العصر - فأقبلت نحوي وجلست إلى جانبي يتألق ثغرها بالابتسام ، فأحدث مجيئها شفاء لما كنت أكابد من أوجاع الانتظار ، وهيج أسقاماً أنكى من هاتيك الأوجاع وأمر . وجدتنا منفردين فخلت أني أنفرد بها لأول مرة ، وداخلني اضطراب وقلق وهيام . ولم تكن أول مرة تخلو إلي وأخلو بها ، ولكن أجدت لي الخلوة هذه المرة شعوراً لا عهد لي به ، ووجدت في أعماق نفسي حسيس أمنية يهمس لي لو تخلو لنا الدنيا كما تخلو هذه الحجرة ! ... لو تخلو فلا أخت ولا أب ولا أم ولا مخلوق سواها وسواي . هنالك تؤاتيني شجاعتي وتنجاب عني الوساوس وتنحسر عن ناظري غشاوة القنوط ... فمن لي بأن أطير بها إلى تلك الدنيا المقفرة ؟ ... وحولت إليها عيني فرأيت المرح والبراءة ، فثبتهما على وجهها المحبوب . وما كان أسعدني رجلاً في تلك اللحظة لو جثوث - أنا والأعوام التي أحملها على عاتقي - عند قدميها الصغيرتين مادا راحة رالغب ضارع ... وشعرت بتحديق عيني فرشقتهما بنظرة صافية حتى أحسست الأرض تميد بي ، وتعمدت ما وسعتني الحيلة أن أجعل لنظرتي معنى جديداً غير ما عهدت ، وأن أحمل عيني رسالة من أعماق الفؤاد لأجذبها من عالمها البريء إلى دنيا آمالي وأحلامي . ولكن هل أدركت شيئاً ؟ ... هل بلغت الرسالة ؟ ... أما لو كان ذلك كذلك لتولاها الارتباك وخضبها الخجل ... فهل تعثرت في الارتباك أو غض من طرفها الحياء ؟ اختلط على عيني الأبصار والتوهم واصطرع في مجال إحساسي قوى الإدراك ونوازع الأمل . وعطفت رأسها عني برشاقتها الحلوة فاستقر بصري على خدها الوردي . وفي نشوتي وهيامي تجمعت وثبة الحياة الجارية في كياني في رغبة واحدة لا تقاوم ... أن ألثم هذا الخد . وهوى عنقي نحوها في ذهول الوجد فلثمتها ! والتفتت نحوي كالفزعة . ثم ضحكت ضحكة عالية ملأ رنينها أذني ومشاعري جميعاً ؛ ثم طوقت عنقي بذراعيها وقبلتني في خدي ! هل نلت المرام ؟ . رباه ! كانت قبلة اقشعر لسريان برودتها جسدي ، فجمد دمي في عروقي ، وسكت قلبي عن الخفقان ، واحترق وجهي خجلاً . كانت الطفلة المرحة البريئة تقبل عمها حسن ، وكان مثلي كمثل مجنون عاد إليه رشاده فجأة فوجد نفسه متجرداً وسط قوم عقلاء . ألا ما أبعد الشقة بين الأفعال والنيات ! ألم تلتفت إلي في رشاقة الغزلان ؟ ألم تطوق عنقي بذراعيها ؟ ألم تطبع على خدي قبلة ؟ ولكن أين من هذا كله الحب والولع ؟! وشق علي الخجل وشقت علي الخيبة ، وبينما راحت هي ، وكأنها نسيت كل شيء ، تروي لي ما شاهدت في السينما أمس ، جعلت أحادث نفسي : رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ أين جلدي وأين رشادي ؟ وتساءلت محزوناً : ألا يجمل بي أن أشد الرحال إلى بيت غير هذا البيت وحي غير هذا الحي ؟!

نجيب محفوظ



12me Année No. 567

Lundi - 15 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٦٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــرس

ردود وحــــدود

للأستاذ عباس محمود العقاد

تناول الباحث الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك موضوع الفردية والاجتماعية فى مقال آخر بمجلة الثقافة فانتهى منه إلى قوله :

« ... ومجال القول فى هذا الموضوع فسيح ، ولفظ الفردية والاجتماعية يطلق على معان كثيرة ينشأ بسببها خلاف بين الكتاب الأفرنج والعرب على السواء . فالفردية التى عنيتها فى مقالى السابق هى الأنانية أو الأثرة ، والاجتماعية هى الغيرية والإيثار . ولا شك أن الأستاذ معى بعد هذا التحديد فى أن الرقى الأخلاق والاجتماعى سائر نحو الاجتماعية لا الفردية . فمن أسباب رقى الغربيين على الشرقيين وعيهم الاجتماعى أو بعبارة أخرى شعورهم بوطنهم وأمتهم بجانب شعورهم بشخصهم . ومن هذا الوعى نظمت الجمعيات والنقابات ، وبذلت الدماء فى الحروب دفاعاً عن الوطن ... »

ثم استطرد قائلاً : « على أن الفردية قد تطلق أيضاً على نوع النظام الحكومى الذى يتمتع به الفرد بحريته وملكيته وتجارته وما إلى ذلك من غير أن تتدخل الحكومة فى شأنه إلا عند الضرورة القصوى ، وضده الاجتماعية أو الاشتراكية ، وفى

هذا المعنى أيضاً أخالف الأستاذين ، وأزعم أن العالم سائر إلى الاشتراكية على نحو ما ، ومصداق ذلك أن أعظم الأمم الفردية كانجلترا أو أمريكا تصطبغ نظمها من حين لآخر بما يقربها من الاشتراكية ، فتتدخل في تنظيم الاقتصاد وتأخذ من الغنى لتعطى الفقير »

وأحسب أننا متفقون بعد هذا في أكثر مراحل الطريق :

فنحن نعيب أدب الأنانية المحدودة كما يعيبه الأستاذ ، وهو على ما نرى يوافقنا على أن الأدب المحض مطلوب غير معيب ، وكل منا يقدر الفائدة الاجتماعية ويحب أن يكون للأديب سهم كبير فيها

وإنما الخلاف على ما يظهر في تقدير الدرجات

فنحن نعطى الدرجة الكبرى للأدب المحض ونقول إنه يخدم المجتمع ولا يستغنى المجتمع عنه بحال من الأحوال ، لأن التعبير عن خوالج النفس علامة صحية يدل وجودها على سلامة البنية الاجتماعية ، كما يدل فقدها على نقص أو عطب في تلك البنية . وليس على الأديب حرج أن يكتفى بالأدب المحض الذى يقترن بتلك السلامة ؛ لأنه إذا أهمله لم يقم به أحد غيره . أما البحث في شئون المعيشة ومسائل الأسعار والموارد والأجور فهو بحث يحسنه الاقتصادى والسياسى وكاتب الصحف الخاصة إذا قصر فيه الأدباء

ولكن الأستاذ أحمد أمين يعطى الدرجة الكبرى للأدب الذى يبحث في تلك الشئون ، ويرى أن تاريخ الإنسان يتقدم من الفردية إلى الحاسة الاجتماعية أو الوعى الاجتماعى الموكل بمسائل المعيشة وما إليها ، ويستدل على ذلك بأمم الغرب واصطباغ النظم الإنجليزية والأمريكية بصبغة تقربها من الاشتراكية

وفي هذا نحن مختلفون

لأننا نرى أن العبرة التى خرجنا بها من الحرب بين الأمم المتحاربة هى عبرة «الحرية الفردية» في مقاومة الدعوة المنصرية التى يمحي فيها الأفراد

فقد تبين حتى الساعة من مجرى الحرب العالمية أن أقوى الأمم دفاعاً عن نفسها هى الأمم التى تبلغ فيها الحرية الفردية مداها ، أو هى الأمم التى تعترف للفرد بحقوقه في جانب حقوق الدولة

فالأمم المنصرية — وهى النازية والفاشية — قد استمدت كل الاستعداد للحرب فلم تبلغ من غايتها بعض ما بلغته الأمم الديمقراطية على قلة استعدادها في بداية أمرها . وهذا مع نكران الفرد الشديد في الأمم المنصرية ، ومطالبتهم كل فرد في الدولة بالفناء في مشيئة الأمة كما يمثلها حكامها المطلقون

فالصراع القائم اليوم هو أصدق امتحان للفردية في مكافحتها للمنصرية العمياء التى تمحو حقوق الأفراد

أما أن الأمم الديمقراطية « تصبغ نظمها اليوم بصبغة تقربها من الاشتراكية وتأخذ من الغنى لتعطى الفقير » فهذا في اعتقادنا أكبر تسليم للفردية من قبل المنصرية ، وأكبر انتصار لحقوق الفرد إلى جانب حقوق الدولة

فمعنى هذا كله أن الفرد يجب أن يعرف جزاءه على خدمة وطنه ، وأن نسيان حقوق الفرد في إبان الصراع القومي أمر غير عادل وغير مشكور ، إذ الوطن الحقيق بالدفاع عنه هو الوطن الذى ينصف فيه الأفراد من جميع الطبقات ولا يظلمون

ونقابل بين هذا وبين « السخرة الوطنية » في الحروب الماضية فنرى جلياً أن « الحقوق الفردية » هى التى انتصرت في الحرب الحاضرة إلى جانب الحقوق الدولية ، وأن تاريخ الإنسان متجه لا مراء إلى تعظيم حرية الفرد وحقوق الفرد وترجيح المجتمع على المجتمع بمقدار ما يتفاضلان في تلك الحرية وتلك الحقوق

وتقرير هذه الحقيقة مهم فيما نرى لمصلحة الدعوة التى يدعو إليها الأستاذ أحمد أمين . إذ نحن خلفاء أن نعرف الآن هل نحن محتاجون إلى مطالبة الدولة برعاية حق الفرد أو محتاجون إلى مطالبة الفرد برعاية حق الدولة ؟ وهل التقصير الآن آت من الفرد في رعاية الحقوق القومية أو من الأمم في رعاية الحقوق الفردية ؟

ويبدو لنا أن الأستاذ أحمد أمين يطالب الأمم برعاية حقوق الأفراد ، فهو إذن أقرب إلينا أو نحن إذن متقاربون

وسبيلنا إذن أن نعظم إحساس الفرد بحريته وحقوقه وديونه على المجتمع حين يطالب المجتمع بديونه عليه

ولا خسارة في هذا على الأمم ولا على الأفراد

* * *

ولعلم الكلام نصيبه فى مناقشاتنا اليوم مع نصيب علم الاجتماع أو فلسفة الآداب والفنون

فقد كتب إلينا الأديب الدمياطي الأستاذ طاهر أبو فاشا يعقب على ما نقلناه عن المعرى فى بعض فصولنا الحديثة إذ تقول :

« ونستبعد التخيل الذى ينتظر المذياع ورسائل البرق وركائب الهواء ونكاد نجزم أن أبا العلاء لم يذكر السماع من بعيد والانتقال فى لمح البصر وسريان النار مئات الفراسخ إلا ليقول إنها مستحيل من المستحيلات الكثيرة التى تتعلق بها قدرة الله كما يتعلق بها وضع الجسمين فى مكان واحد ، وهو أبعد الإحالات فى أقوال الفلاسفة ومنهم أبو العلاء الذى لا يخلو أسلوبه من الأغراب والتبسط حين يتحدث إلى غير الفلاسفة من الفقهاء »

وقرأنا فى مجلة « دمياط » تعقيباً يشبه تعقيب الأديب الدمياطى جاء فيه : « إن قدرة الله يستحيل أن تتعلق بالمستحيل ـ إلا العادى طبعاً ـ لأنها إن تعلقت به فإما أن تتعلق به لتوجده أو لتعدمه . فإن كان الأول فهو يستحيل لأنه لو وجد المستحيل لما كان مستحيلاً ، ولا نقلب واجباً أو جائزاً كما يقول إخواننا علماء الكلام ، وإن كان الثانى فهو مستحيل أيضاً لأنه معدوم بنفسه ولزم تحصيل الحاصل كما يقول المتكلمون »

وتعقيبنا على هذا التعقيب أن مراجعة كلامنا مرة أخرى تغنى عنه ، لأننا « أولاً » لم نكن نتكلم عن رأينا بل عن رأى المعرى فى رسالة بعينها و « ثانياً » لم ننس أن الفلاسفة ـ ومنهم أبو العلاء ـ يقولون إن وضع الجسمين فى مكان واحد أبعد الإحالات و « ثالثاً » حرصنا بأن المعرى يكتب بأسلوب الإغراب والتبسط حين يتحدث إلى الفقهاء . أى إنه يعنى غير ما يقول ، وأن رأيه الصحيح غير رأيه فى هذه الرسالة بعينها .

ومذهبنا نحن بعد هذا أن « إمكان مالا يمكن » شيء لا يقبله عقل الإنسان

ولكن الإنسان قد يحكم باستحالة أمر وهو مخطيء فى حكمه لبطلان الأسباب التى يبنى عليها الاستحالة

ومثال ذلك من كان يؤمن بأن الأرض مسطحة تحدها آفاق السماء ، فإنك لو قلت له : هل يمكن أن يذهب الإنسان غرباً ويعود شرقاً لقال لك على اليقين إنه مستحيل وليس فى الإمكان

ولكنه مخطيء فى فهم الاستحالة ، لأن الأرض ليست مسطحة محدودة بآفاق مطبقة عليها . بل هى كرة مستديرة تذهب إلى مغربها فتعود من مشرقها ، كما يحدث هذا كل آونة فى هذه الأيام

وكذلك وضع الجسمين فى مكان . فإن استحالته قائمة على أن الفضاء ثلاثة أبعاد ، فإذا ثبت أن الفضاء أربعة أبعاد أو خمسة أو ستة تحيط بالأجسام من غير جوانبها المحسوسة ، أو إذا ثبت قول أينشتين إن الزمان بُعد رابع يحيط بالأجسام فى التقاءات كثيرة ، فهنالك يتغير النظر إلى استحالة وضع الجسمين فى مكان واحد ، ويصح أن « يكون فيها قولان » على لسان الجادين لا على لسان الهازلين فى فض المشكلات !

* * *

وللنحو نصيبه كذلك مع نصيب علم الكلام أو علم الاجتماع وفلسفة الآداب والفنون

فقد ظهر من العراق خازن آخر من أولئك الخزنة الواهمين الذين يحسبون أنهم قابضون على مفاتيح اللغة جميعاً ليفتحوا ويغلقوا ويصرفوا ويمنعوا ويقولوا بما يجوز وما لا يجوز وما يقال وما لا يقال ، وليس لهم من محصول اللغة ما ينغلق عليه قفل واحد !

فهذا الخازن الواهم يقول فى خلط كثير « إن المقابلة بين الكفتين » لا تجوز ، ومثل هذا لا يرد عليه . وكفى

ويقول وهو يرد علينا : « احتج أولاً بالمراوحة أو الروح لا من الرواح ثم وثب إلى التراوح . وفى كليهما كان مسقطاً فى القول واهماً ، وهذه عاقبة من يخطيء الصواب ويريد الخلاص من الإقرار بالخطأ ، فالمراوحة عمل فاعل واحد والتراوح عمل فاعلين أو أكثر منهما . فالاختلاف واحد لا يتراوح وحده ، وكذلك لا يقال هذا الشيء لا يتساوى ولا يتماثل ولا يتشابه » إلى آخر هذا اللغط العجيب

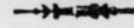
وجوابنا على « لا يقال » هذه بسيط جداً ، وهو بل يقال ويقال ويقال ، ولا يقال غيره فى هذا المعنى ، وإليه المثال

فيقال مثلاً : « لا يتساوى القمر فى ليلتين وقد تتساوى الشمس فى برجين »

ويقال مثلاً : « لا يتشابه الرجل فى عمرين ، وقد يتشابه العمر فى رجلين »

الغنــــاء

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي



أنا (والله) لست من علماء (الغناء) ولا من التلامذة فيه؛ ولا أغشى اليوم دوره حتى أسمعه، ولست عراقياً ولست حجازياً ... (فما أشرب ولا أطرب ...[1])

ولو كنت هناك لتمثلت بقول محمود جار الله (رحمه الله):

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من الدوكاه والعشاق[2]
وألذ من نقـر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراقي

وما روايتى قول الحسن البصرى فى السماع ـ وقد نظمه ابن عبد ربه فى عقده ـ وسائر ما أرويه فى (نقل الأديب) إلا زلفى، تزلف إلى هذه اللغة التى شاء الله أن أكتب فى ديوان خدامها ووسيلة لتحبيبها إلى بنيها فى هذا الزمان العجيب. فلما اطلعت فى الرسالة الغراء (٥٦٣) على مكتوب الفاضل السيد عبد العزيز الرفاعى فى (مكة المكرمة) فى الحجاز موطن الغناء فى القديم ودار محلليه، خفت أن أجيب، فأخطىء ولا أصيب. وأنا فى البحث فيما أعرفه المعرفة الصالحة وجل القلب، فكيف تكون حالى فى الذى أجهله؟ فليس لى ـ وقد قلت الحق ـ إلا اتباع هدى الله والعمل بقوله تعالى فى (النحل والأنبياء): «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»

رحت إلى ابن عبد ربه وقلت له: انت رويت قول الحسن فى كتابك (العقد) ـ واسمه اليوم العقد الفريد ـ فكيف يكون الغناء عوناً على طاعة الرب، وكيف يصل الرجل به رحمه ويؤاسى أخاه؟ فتلقيت منه هذا الكلام:

«إن الصوت الحسن يسرى فى الجسم، ويجرى فى العروق، فيصفو له الدم، ويرتاح له القلب، وتنمى له النفس، وتهتز الجوارح، وتخف الحركات ... وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب. وقد يبكى الرجل بها على خطيئته، ويرق القلب من قسوته، ويتذكر نعيم الملكوت ويتمثله فى ضميره ... وبعد فهل خلق الله شيئاً أوقع بالقلوب ... من الصوت الحسن ... وهل على الأرض رعديد مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير:

قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناج؟!

إلا ثاب إليه روحه، وقوى قلبه؟ أم هل على الأرض بخيل قد تقفعت أطرافه لؤماً ثم غُنى بقول حاتم الطائى:

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى فى ماله سبلا

إلا انبسطت أنامله، ورشحت أطرافه؟ أم هل على الأرض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على بن الجهم:

يا وحشتا للغريب فى البلد النازح (م) ماذا بنفسه صنعا

(١) قال بعضهم: أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ. وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدوا لنا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق»

(٢) الدوكاه والعشاق: نغمان. وجدت فى نزهة الجليس للعباس ابن على المكى هذا: «أنغام العرب أصلها فارسية وهى ستة كالهندية: الراست والدكاه والسيكاه والجهاركاه والبنجكاه ونوروز الصباح.

ويقال على هذا المثال: «لا يتماثل المرض فى الإنسان والحيوان، وقد يتماثل فى الإنسان»

ويقال أيضاً: «لا يتراوح الاختلاف بين عصرين، ولكنه قد يتراوح بين يومين أو سنتين»

ويقال تقاضيا وتقاضاه، وتجاوبا وتجاوب الصدي أو تجاوب المكان بالأصوات، وتراميا وترامى السحاب، وتدانيا وتدانى منه، وغير ذلك كثير مما فيه قصد المفاعلة وليس فيه قصد التعاقب والترق

وليعلم ذلك الخازن الواهم بعد هذا أن الاختلاف مفرد ولكنه يدل على جميع المختلفين، فإذا قلنا تراوح الاختلاف فهو القياس كما نقول تراوح المختلفون وتقاتل الناس وتباينت الأمم وتعانق الأصحاب، ولا نهاية لما يقال من هذا القبيل

أفيقال هذا إذن أو لا يقال يأيها الجواد، بلغة العامة لا بلغة الضاد؟ يقال ويقال، وإن استطعت فقل خيراً منه فى معناه، وما أنت بمستطيع.

عباس محمود العقاد

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا إلا انقطعت كبده حنيناً إلى وطنه ؟ ... »

وناقشت صاحب (العقد) فى التحليل والتحريم فقال لى : عِ هذا الخبر :

« قال ابراهيم بن سعد الزهرى قال لى الرشيد : من بالمدينة ممن يحرم الغناء ؟

قلت : من أمتعه الله بخزيته !

قال : بلغنى أن مالك بن أنس يحرمه

قلت : يا أمير المؤمنين ، أوَ لمالك أن يحرم ويحلل ؟ والله ما كان ذلك لابن عمك محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا بوحى من ربه ، فمن جعل هذا لمالك ؟ ولو سمعت مالكاً يحرمه وبدى تناله لأحسنت أدبه ... »

وجيت إلى ابن خلدون وفاتحته بما قصدته لأجله ، فما أملاه على :

« إن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يُستسهل معها الصعب ... ويزيد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات متناسبة ... لأجل ذلك تتخذ العجم فى مواطن حروبهم الآلات الموسيقية فيحدق المغنون بالسلطان فى موكبه بآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة »

وقلت فى نفسى : « الحكمة ضالة المؤمن » فغدوت إلى أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) واستراَيتهم ـ طلبت رأيهم ـ فى الغناء ، فمن جوابأتهم :

« من الألحان والنغمات ما يسكن سورة الغضب ، ويحل الأحقاد ، ويوقع الصلح ، ويكسب الألفة والمحبة . فمن ذلك ما يحكى أنه فى بعض مجالس الشراب اجتمع رجلان متغاضبان وكان بينهما ضغن قديم ، فلما دار الشراب بينهما ثار الحقد ، والتهبت نيران الغضب ، وهم كل واحد منهما بقتل صاحبه ، فلما أحس الموسيقار بذلك منهما وكان ماهراً فى صناعته غير نغمات الأوتار ، وضرب اللحن الملين المسكن وأسمعهما ، وداوم حتى سكن سورة الغضب عنهما ، وقاما فتعانقا وتصالحا . ومن الألحان والنغمات ما ينقل النفوس من حال إلى حال ويغير أخلاقها من ضد إلى ضد . وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة ألحاناً من الموسيقى تسمى « المحزن » وهى التى ترقق القلوب[1] إذا سمعت وتبكى العيون وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاصَ السرائر ، وإصلاحَ الضمائر . وكانوا قد استخرجوا لحناً آخر يقال له « المشجع » كانت تستعمله قادة الجيوش فى الحروب ، يكسب النفس شجاعة وإقداماً . واستخرجوا أيضاً لحناً آخر كانوا يستعملونه فى المارستانات يخفف ألم الأسقام عن المريض . واستخرجوا أيضاً لحناً آخر يستعمل عند المصائب والأحزان يعزى النفوس ويسكن الحزن . واستخرجوا لحناً آخر يستعمل عند الأعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل ما يستعمله الحمالون والبناءون وأصحاب المراكب يخفف عنهم كد الأبدان وتعب النفوس . ولكل أمة من الناس ألحان ونغمات يستلذونها لا يستلذها غيرهم مثل غناء الديلم والأتراك والأعراب والأرمن والزنج والفرس والروم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والعادات ... »

وقد وجدت عند صاحب كتاب (إنسان العيون) المعروف بالسيرة الحلبية هذه المقالة وهى جديرة بالرواية :

« قد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الأشجار ... ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع . وعن أبى بشر أن النبى (صلى الله عليه وسلم) وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عليهم . وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر . وتواترت الآثار بإنشاد الأشعار بين يديه (صلوات الله وسلامه عليه) بالأصوات الطيبة مع الدف وبغيره . وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ، ولو فيه جلاجل ، لما هو سبب لإظهار السرور »

تلكم أقوال جماعة فى الغناء ، وحيا الله أخانا الفاضل المكى وحيا ربعه ، وحيا مواطن عظيمة كريمة بهر الدنيا منها ذلك الضياء !

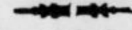
---

(١) فى (الأحياء) للغزالى : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ، ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث الفتور فى القتال وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب . فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن قتال الواجب فهو عاص

قيس ولبنى

مسرحية الاستاذ الشاعر عزيز أباظة بك

للأستاذ دريني خشبة



خرج من منزله بظاهر المدينة لبعض شأنه ، فمر بخيام لبنى كعب فاستسقى ، فبرزت إليه بالماء ابنة شيخ القبيلة ، وسيد الحى ، الُحباب السكلبي ، فما كذب أن سَبَقَت القطرةَ الأولى التى أطفأت حر ظمئه ، النظرةُ الأولى التى أشعلت دمه ، وأججت فى فؤاده ذلك الهوى المبرّح ، والتى أصابت روحه بهذا الظمأ ، بل بذاك السُّعار ... إلى العيون النّجل ، والفم الباسم ، والوجه المغازل ، والقد الفاره ، والصبا المجتمع ، والجمال الفينان !

ومضى قيس وقد أبرمت عيناه وعينا لبنى الوثيقة المقدسة بين قلبيها الخاليين ، فى تلك السرعة الخاطفة التى لا تكون إلا بين العيون والعيون !

ثم تعدد اللقاء ، وصرّح الحب ، وغنّت البيدُ بالهَزَج الحلو الذى كان يرسله قيس من أعماق قلبه شعراً موجعاً حزيناً

ومضى قيس إلى أبيه ، ذريح بن ليث بن بكر ، فباح له بحب لبنى وسأله أن يخطبها عليه ، فأشاح ذريح ، وأشار على ولده بخطبة إحدى بنات عمه ، فهن أولى به ... وكان ذريح ذا مال واسع وثراء ضخم ، ولم يكن له ولد غير قيس ، نخشى أن يدخل فى ماله ناس ليسوا من أهله . فانطلق قيس إلى أمه يستعين بها على أبيه ؛ غير أنه كان كالمستعين على الرمضاء بالنار ، فانطلق إلى أخيه فى الرضاع ، الحسين بن على ، وكان معه ابن أبى عتيق ، فشكا إليهما بثه ، فطمأنه الحسين ، وانطلقا به إلى الُحباب والد لبنى فخطباها منه على قيس ، فنسى الرجل تقاليد البادية إكراماً لفخر شباب الجنة ، وإجلالاً لابن بنت رسول الله ، ولم يشترط شيئاً إلا أن يسعى إليه ذريح والد قيس لتمام الخطبة ، حتى لا تكون فضيحة من جراء ما رددته كثبان الجزيرة من أشعار قيس ... ولم ير الحسين فيما طلب الحباب تعسفاً ، فمضى إلى ذريح فأقسم عليه إلا أن يخطب لبنى على ابنه قيس ، فخضع الرجل ولان عاصيه ، وتمت الخطبة ، وزفت لبنى إلى حبيبها ... وأوى الألف إلى إلفه ، ورقأ الدمع وسكن الوجيب ، وتهلل وجه الحياة

وغبرت سنون ... ثم كان ما لم يخش أحد أن يكون ! لقد أحزن ذريحا ونغص عليه عيشه ، أن لبنى عقيم لا تلد ... لقد أرسل الرجل عينيه فى ظلمات المستقبل الكريه ، فرأى ثروته الواسعة تؤول إلى أيد من غير صلبه ، فأقسم ليكونن له من قيس ولبنى موقف ، وليكونن له فى هذا البلاء رأى ومنه مخرج ! ... وإذن فَلْتَبِنْ لبنى ... وليتزوج قيس فتاة غيرها ولوداً غير عقيم ... ولتكن الحياة فى دار ذريح من أجل هذا جحيماً لا تحتمل ، وليشن ذريح وزوجه الحرب الداخلية على قيس وزوجه ، وليتهماه بالتقصير والعقوق والانشغال عنهما بلبناه ، وليطلبا إليه تطليق لبنى على مسمع منها ، فإن أبى فليرغماه على أن يشرك معها زوجاً أخرى ، فإن أبى فليتسرّ ، وليتخذ من الأماء من يضمنّ له الولد ، فإن أبى فليسلط عليه ذريح عذاباً لا قبل له به

... وقد رفض قيس كل هذه الحلول ... فكان ذريح يخرج وقت الظهيرة فيعرض رأسه للنار التى تصبها الشمس ، فإذا رآه قيس أقبل عليه ووقف يظله حتى يفىء الفىء فينصرف . ولما طال هذا الأمر ، وكان ذريح يستعين على قلب قيس بدموعه كى يطلق لبنى ، ضعف هذا القلب ، وفى ساعة من ساعات الذهول أرسل قيس كلمة الطلاق التى كان يشترطها ذريح ليريحه من هذا العذاب الذى استمر عاماً بأكمله !

ولم يلبث قيس أن ذُهِب بعقله ، وانقلبت الحياة فى بيت ذريح مأساةً لا تطاق ... ولما انقضت عدة لبنى ، أقبل أبوها وأهلها لاحتمالها ... وحيل بين قيس وبين الإلمام بخبائها فهام على وجهه ... ثم اتبع رحلها ملياً ... وهنا يقول صاحب الأغانى : وعلم أن أباها سيمنعه ، فوقف ينظر إليها ويبكى ، حتى غابوا ، فكر راجعاً ، ونظر إلى خف بعيرها ، فانكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ! »

ولم يلم قيس على ما أصابه إلا نفسه

وأشار عليه أبوه بالتقلب في أحياء العرب عسى أن يجد فتاة تُسليه أو تنسيه، فأبى أولاً ... ثم فعل ... ورأى فتاة حسناء فسألها عن اسمها فأجابت: « لبنى! » فخر مغشياً عليه، ولما أفاق عرض عليه أخوها الصهر، فقبل بعد طول امتناع ... فلما زفت إليه زوجه الجديدة لم ينظر إليها ولم يهش لها ولم يدن منها ولا خاطبها بحرف! ... وأخبره صديق له أن لبنى حينما علمت بزواجه بعدها غمها ذلك وقالت: « إنه لغدار، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم! »

ولم يفتأ قيس يشبب بلبنى ويرسل نفسه في إثرها حسرات يؤجج بها شعره الحزين الباكي حتى اضطر الحباب إلى أن يشكوه إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، فكتب معاوية إلى نائبه بالحجاز يهدر دم قيس إن تعرض للبنى، وأمر أباها أن يزوجها رجلاً من كِندة، فزوجها من كُثَيِّر بن الصلت

وتلهى قيس بالاتجار في الإبل، وذهب بقطعة منها إلى المدينة فلقيه زوج لبنى ووقف يشتري منه ناقة وهو لا يعرفه، وذكر له أن يأتي إلى دار كثير بن الصلت ليقبض الثمن إذا أصبح. وذهب كثير إلى منزله، وأمر أن تعد لبنى غداء يتناوله مع أحد أضيافه ... فلما كان الغد، وأقبل قيس، وصوّت بالخادم لتخبر سيدها أن صاحب الناقة بالباب، سمعته لبنى وعرفته، فلما دخل لقيته، وكشفت قناعها، فبهت ساعة لا يتكلم، ثم نشج نشيجاً مؤلماً، واستخرط في البكاء، وانصرف من فوره محزوناً محطماً ... وأرسلت وراءه لبنى من يسأله فيم تزوج، فقال: أقسم ما اكتحلت عيني بالمرأة التي تزوجتها ولو رأيتها ما عرفتها ولا مددت إليها يداً ولا كلمتها ولا كشفت لها عن ثوب! فكانت إجابة جددت هوى لبنى وفجرت قديم حبها!

وسافر قيس إلى الشام ليلاقي معاوية، فلقيه ابنه يزيد فشكا إليه حاله، فرثى يزيد له، وأزال ما كان كتب أبوه من إهدار دمه

وأكثر الرواة بعد ذلك على أن قيساً ولبنى قد توفيا مفترقين. وذكرت قِلّة أن ابن عتيق قد توسل إلى كثير، زوج لبنى، بالحسن والحسين وجماعة من أهل البيت في حاجة لم يذكرها له حتى وعد أن يقضيها مما له من ملك أو مال أو أهل، فقال ابن أبي عتيق: إذن تهب لي لبنى زوجتك وتطلقها! ففعل كثير، واستحيا الحسن والحسين ومن معهما لأن ابن أبي عتيق لم يطلعهم من ذلك على شيء من قبل ... وأبقى ابن أبي عتيق لبنى عنده حتى قضت عدتها، ثم زوجها قيساً، فنعما بما كان لهما من سابق حب وسعادة حتى ماتا!

* * *

فهذه إذن قصة قيس ولبنى كما أوردها أبو الفرج في الأغاني، لخصناها على هذا النحو المضغوط، لنقابل بينها وبين تلك القصة الشعرية الجميلة التي نظمها الشاعر الكبير المتفنن عزيز أباظة، للمسرح المصري أولاً، ولنزيد بها في ثروة الأدب العربي، وليساهم في تجديد هذا الأدب أولاً وقبل كل شيء!

ماذا صنع هذا الشاعر الكبير بتلك القصة الفريدة؟ ومن أي نقاطها آثر أن يبتدئ، وعند أي طرفيها آثر أن ينتهي؟ وأي قدر من التوفيق أصاب في تقسيم فصولها، وتوزيع المناظر على تلك الفصول، وبعث الحياة والحركة في مناظرها بتعدد مشاهدها المختلفة؟ وماذا من رواية أبي الفرج آثر أن يثبت، وأن يحذف؟ وهل وفق كل التوفيق في كل ما أثبت وكل ما حذف؟ وماذا ابتدع من المناظر الجديدة التي ليست من صلب الرواية الأصبهانية؟ ولغة التمثيلية وفرق ما بينها وبين لغة قيس ومن إلى قيس من عرب الحجاز قبل ثلاثة عشر قرناً ...

كل هذه أسئلة ينبغي أن تجد أجوبتها في المقارنة بين قصتي مؤلف الأغاني والشاعر المصري؛ ونتعجل فنقول إنها أجوبة سترفع رأس الأدب العربي الحديث، وستفتح أعين الشعراء العرب عامة، والشعراء المصريين بوجه خاص، على كنز من الكنوز التي نفتقدها في آدابنا، والتي لن يعمر ديوان من دواويننا إلا إذا شمل شيئاً منها أو مما يشبهها من الشعر القصصي الطويل. هذا كلام لن نفتأ نردده، وسوف نردده ما ترددت أنفاسنا

* * *

ألف الشاعر درامته فجعلها في خمسة فصول:

١ — فالفصل الأول يتألف من ستة مشاهد، ويتضمن وفود ابن أبي عتيق من قبل الحسين على الحُباب، أبي لبنى،

ومعه قيس وذريح ، لخطبة لبنى ، فتتم الخطبة ويزول ما بين الحيين من البغضاء التي سببتها أشعار قيس في التشبيب بلبنى

٢ — ويتألف الفصل الثاني من خمسة مشاهد ، ويبدأ بعد زواج قيس من لبنى بخمس سنوات ، ويكون قيس مريضاً أو متماثلاً للشفاء ، ويتضمن مخاصمة ذريح وزوجه لقيس ولبنى ، وطلب ذريح تطليق لبنى أو ضم زوجة ثانية إليها أو تسرى قيس ببعض الأماء ... وتكون حجة ذريح وزوجه انصراف ولدهما عنهما بسبب لبنى ، ثم يصرح الرجل بالحقيقة وهي عقم لبنى . ويرفض قيس جميع ما عرض عليه وينتهي الفصل بذلك ... دون أن نعلم علام استقر الرأي :

٣ — أما الفصل الثالث فيتألف من منظرين ، أولهما قصير ويتألف من مشهد واحد ، ونسمع فيه إلى راع يتغنى ببعض شعر لقيس ، ثم نرى قيساً يناجي نفسه ، ثم يناجي المغني ، ونعلم أنه طلق لبنى ، وأنه لا يلوم إلا نفسه لما أصابه بسبب ذلك من وجد وحزن ولوعة

ويتألف المنظر الثاني من ثلاثة مشاهد ، ويتضمن منظر ارتحال لبنى بعد قضاء عدتها في بيت ذريح ، وما كان من محاولة قيس الإلمام بخيامها ، وما أوشك عمله هذا أن يحدث من قتال بينه وبين فتيان الحباب لولا تدخل أبي لبنى ... وتبدو لبنى لجأة فيرجف قيس ... ثم يمضي بها الركب بين حنين قيس وأنينه ...

٤ — ويتألف الفصل الرابع من خمسة مشاهد ، ويتضمن عفو أمير المؤمنين عن قيس ، ومنحه الحرية يغدو ويروح كيف يشاء ، وهياج آل الحباب لذلك ، كما يتضمن زواج قيس ، وحزن لبنى لهذا الخبر ، مما يؤكد ما كان لا يزال في قلبها من إعزاز لقيس ، ثم تقدم مالك ، بن عم لبنى ، لخطبتها ، وكان يحبها من قبل ، ثم تمام هذه الخطبة ، ورضاء لبنى بها بعد الذي عرفته من زواج قيس

٥ — أما الفصل الخامس ، أو الفصل الأخير ، فيتكون من منظرين ، يتألف أولهما من أربعة مشاهد ، ويتضمن لقاء مشحباً بين قيس بن ذريح ، وقيس بن الملوح ، أو مجنون بني عامر ، وفيه عتاب بين القيسين ، ثم إعتاب ؛ ثم يقبل ابن أبي عتيق — حبيب المحبين ، والسفير بين المغرمين ، باحثاً عن المجنون فيغتبط بلقاء المجنونين ! ثم يجوز بالوادي كثير زوج لبنى فيرى إبلاً وأينقا هي إبل قيس وأينقة قد عرضها للبيع ، فيكلمه في مُهر ، فيبيعه له قيس وهو لا يعرفه ، على أن يقبض الثمن غداة غد في منزل كثير ... ويذهب الجميع بعد انصراف كثير إلى خيمة ابن أبي عتيق ليسمروا ثمة

أما المنظر الثاني فيتألف من مشهد واحد طويل ، ويتضمن ذهاب قيس والمجنون وابن أبي عتيق إلى دار كثير — زوج لبنى — ليقبض ثمن المهر . فيكون ثمة لقاء مشْجٍ عنيف بين قيس ولبنى ... لقاء مفاجيء تتفجر فيه العواطف ، وتذوب فيه روح قيس وقلبه فيغشى عليه ، وتحمل لبنى إليه الماء الذي يسعف به ، فإذا أفيق ، كان عتب وكان عذل ... يقبل في إثره كثير ، فتتقدم إليه لبنى أضيافه كلاً منهم باسمه ، حتى إذا بلغت قيساً عرفه كثير قبل أن تذكر اسمه ... ثم يتدخل ابن أبي عتيق فلا يزال يُعمّي على كثير ويُكنّي ، ثم ينتهي إلى تأكيد ما بين قلبي قيس ولبنى من عقود وعهود ، مع وفائها لزوجها الثاني ، حتى ينتهي إلى أن يطلب من كثير أن يخيّر لبنى بينه وبين قيس ... فإذا أثنت عليه لبنى وقالت كلاماً يفهم منه محبتها لقيس ... أرسل الكلمة الهائلة ... وتم تسريحها ... ثم ينبض القلبان الحبيبان بالأغنية القديمة الخالدة .

(يتبع) دريني خشبة

وليم شيكســـبير

هل كان ملكا ؟

للأستاذ حسين غنام

(ولد شيكسبير فى أبريل عام ١٥٦٤ ، وتوفى فى أبريل عام ١٦١٦ ؛ وفى ذكر ميلاده وموته نكتب هذه الكلمة الطريفة تحية للشاعر العظيم فى قبره)

توطئة

ظلت المسرحيات الخالدة المنسوبة إلى وليم شيكسبير، شغل العلماء والأدباء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فى ناحية واحدة ، لأن العالم شغل بها منذ أن وجدت ، من نواحيها الأخرى

فلم يكن شاغلهم هـذا القرن إذن هو قوتها الخارقة ، فلا يختلف اثنان فى عبقرية كاتبها وقوته التى لا تجارى ، والذى يقدم على بحثها يهيبها قبل الإقدام على دراستها وفهمها ، وشيكسبير علم : أى مادة قائمة بذاتها تدرس فى المدارس الإنجليزية جميعاً ، ابتدائيها وعاليها

حتى فن (السينما) ، على ما بلغه من شأو عظيم فى الإخراج والحيل الخارقة للطبيعة نفسها ، يتهيب الإقدام على هذه المسرحيات لإعدادها للسينما ، وقد أخرجت السينما روايتين من مسرحياته ، هما : حلم ليلة صيف ، وروميو وجوليت . وقد بلغت الأخيرة من الجودة والإتقان فى الإخراج حدًّا كبيراً . أما حلم نصف الليلة فقد سقطت فى الإخراج ، ولهذا ينظر فن السينما إلى أعمال شيكسبير خجلاً !

وهاتان المسرحيتان ليستا من أحسن أعمال شيكسبير ، فماذا تكون النتيجة لو أقدم فن السينما على إخراج بعض مسرحياته الممتازة مثل مكبث ، والملك لير ، وعطيل ، وسمبلين ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وكما تريد ؟

خذ مثلاً كاتباً مسرحياً آخر ، هو برناردشو ، فقد اعترف بنفسه أن فيلم (بجماليون) المأخوذ عن مسرحيته التى تحمل هذا الإسم ، بلغ درجة من النجاح لم تبلغها المسرحية على المسرح ...

وقل مثل هذا فى فيلم (ميجور باربارا) المأخوذ عن مسرحية بهذا الإسم ، فقد نجح نجاحاً كبيراً ...

وقد عادت (السينما) إلى أعمال شيكسبير فى محاولة أخرى ، هى مسرحية هنرى الخامس ، تخرجها بالألوان الطبيعية ، وهى محاولة جدية عساها تنجح !

* * *

أما أن أعمال شيكسبير شغلت العلماء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فلم يكن مبعثها قوتها وعظمتها ، ولكنه البحث فى حقيقة كاتبها ومنشئها ، وهل هو الممثل المغمور وليم شيكسبير ، أم هو شخص غيره ؟

وقد ظهرت كتب عديدة فى هـذا الموضوع ، إلى جانب المئات والمئات من الكتب التى تبحث هذه الأعمال وتشرحها وتحلل عبقرية شيكسبير ... وعلى الرغم من قيام هذه الحرب التى تكاد تستنفد جهود الشعوب جميعاً ، أفراداً وجماعات ، بمن فيهم من علماء وأدباء وشعراء وصحافيين ، فإن الكتابة عن شيكسبير لم تنقطع عاماً واحداً ... ومن الكتب التى ظهرت عنه أخيراً ــ فى نحو عام سابق من هذا التاريخ ــ كتاب للأستاذ هسكث بيرسون عن حياة شيكسبير ، وقد قال عنه برناردشو إنه عمل طيب لم يقرأ له نظيراً فى التراجم القديمة التى وصفت عن المترجم له العظيم ...

وكتاب ثان بقلم الدكتور تليارد عنوانه صورة عالم اليزابث ، وآخر بعنوان طوالع فولستاف للأستاذ دوفر ولسن

والكتاب الثانى يختص شيكسبير بالقسم الأكبر منه ، فى كلامه عن تأثير الأدب فى العالم ، وعمل الكتاب والأدباء والشعراء فى سبيل الإنسانية والحضارة

أما الثالث فهو يدافع عن شيكسبير من الناحية الإنسانية فيما صور به هنرى الرابع فى تخليه عن صديقه فولستاف ، ويدافع عن إنسانية شيكسبير المتطرفة وحبه للخير العميم ، ضد آراء موريس مورجان ...

وكتاب رابع بقلم إديث ستول عنوانه مفكرة شاعر ،

وهو يبحث فى نظم شيكسبير وقوته على التعبير البعيد البليغ وكتاب خامس ، وهو موضع حديثنا فى هذا المقال ، وهو من الكتب الكثيرة التى شغلت الباحثين قرناً من الزمان فى تلك الناحية الواحدة ، والتى يتلخص بحث العلماء والأدباء فى محاولاتهم ومجادلاتهم منها فى : هل هذه المسرحيات كتبت بقلم شيكسبير أم بقلم فرنسيس بيكون وكيل الملكة اليزابث ، وظلت تنسب إلى شيكسبير مئات من السنين ؟

الكتاب الجديد

هذه المسألة حيرت عديداً من العلماء والأدباء ...

وهذا الكتاب آخر ماظهر عن هذا الموضوع ، وقد وضعه الأديب الأمريكى المعروف إدوارد مورجان ، الذى توفر على دراسة شيكسبير مدة عشرين عاماً متوالية ، وخرج من هذه الدراسة بنظرية جديدة إذا صحت قلبت تاريخ شيكسبير ومسرحياته رأساً على عقب ، بل غيرت كثيراً من تاريخ انجلترا المتوسط

وقد سببت هذه النظرية الجديدة حيرة جديدة ، واستحدثت حدثاً ضخماً فى تاريخ الأدب الإنجليزى . وقبل أن نتكلم عن هذا الكتاب ونناقشه يجب أن نضع أمامنا ما قاله أحد نقاد الإنجليز أخيراً بصدد الكتب التى تخرجها المطابعة عن شيكسبير وأعماله : (إن الكتب التى توضع عن شيكسبير شتيت مختلف ، فبعضها دون ، وبعضها جنون ، على أن غالبيتها تتحدث عن الناقد نفسه لا عن شيكسبير وأعماله ، ولكنها جهود مشكورة على أية حال !)

يدعى مورجان أن الإجابة الصحيحة لكل المحاولات والمناظرات والبحوث السابقة يتلخص فيما يلى من الحقائق التى ضمنها كتابه ، ونحن نأتى على بعضها ونناقشه فيما يلى :

١ — هل مات إدوارد السادس صغيراً ؟

يقول مرجان إن فرنسيس بيكون كتب المسرحيات المعزوة إلى شيكسبير ، ولكن بيكون كان فى نفس الوقت ، هو ملك انجلترا إدوارد السادس الحقيقى !

فالمعروف فى تاريخ انجلترا أن هـذا الملك المعجزة ، الخارق الذكاء ، مات فجأة وهو فتى فى السادسة عشرة من عمره .

ولكن مورجان ، على ذلك ، يدعى أن ادوارد الصغير لم يمت فى هذه الباكرة ولكنه اختفى فجأة اختفاء غامضاً مريباً

٢ — الرسالة الخفية

يعلم كل الأدباء الذين درسوا شيكسبير جيداً ، أن هناك دلائل وقرائن تثبت أن مؤلف روايات شيكسبير حاول أن يحمل أعماله رسالة خفية بين سطورها ...

ولكن هؤلاء الذين يعتقدون أن شيكسبير حاول أن يلمح إلى أنه بيكون نفسه تجابههم هذه الحقيقة : لماذا كان بيكون ، وهو ذو الشخصية القوية الممتازة فى البلاط ، والقاضى الفاضل رفيع الشأن والفيلسوف العظيم ، يحاول ، أو يرغب فى إخفاء حقيقة شخصيته ، ويمنح الخلود لممثل وضيع مجهول اسمه شيكسبير ؟

هذه المسألة المعقولة تهلهل ما نسجه هؤلاء الذين يقولون أن شيكسبير هو بيكون . فقد كان من السهل على بيكون أن يكشف عن نفسه كمؤلف لتلك المسرحيات وهو ما تقدم من تلك المكانة الأدبية ، لو لم يكن فى المسألة سر أعظم من هـذا وأمر أشد خطراً ... يبدو لنا من النقطة التالية ...

٣ — هل كان الملك وكيل الملكة ؟

وهذا الرأى المعقول يؤيد وجهة نظر مورجان تأييداً قوياً . فهو يعتقد أن فرنسيس بيكون كان أكثر من كاتب متحجب . لقد كان شخصية متحجبة أيضاً ؛ فهو شخص فر من الجلوس على عرش خطير ، محاط بالدسائس والمؤامرات ، إذ لم يجرؤ على الكشف عن شخصيته الحقيقية خوفاً من (نصف أخته) القوية ، إليزابث ، التى نصبت على عرش انجلترا عام ١٥٥٨ ، حتى لا تقتله

ويعتقد مورجان أن اليزابث عرفت أن وكيلها فى الملك ، فرنسيس بيكون ، كان ابن والدها نفسه ، هنرى الثامن ، من زوجته الثالثة جين سيمور ، وإنه سيكون — تبعاً لذلك — خطراً شديداً على عرشها ، إذا طالب به

ولكن ، هل هناك سبب معقول يجعلنا نعتقد أن هـذا الغلام ، صار قادراً فيما بعد من سنيه المتأخرة ، على أن يكتب هذه الأعمال التى نحلها وليم شيكسبير ؟

بالتأكيد هناك سبب معقول !

كان هذا الملك ، وهو طفل صغير ، مشهوراً فى البلاط أنه طفل عجيب معجز ، مفرط فى الذكاء والقوة العقلية ، حتى سموه سليمان الثانى !

فقد كان وهو فى السابعة من عمره ، شاعراً ورساماً ، وقد حذق اللغة اللاتينية حذقاً تاماً ...

ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية !

ويحتمل بل يرجح ، أنه اتفق مع (نصف أخته) أى أخته من أبيه ، الملكة اليزابث ، على أن يكتب أعماله الأخرى تحت إسم فرنسيس بيكون ... ومن الناحية الثانية ، باستعماله إسم الممثل المجهول شيكسبير لمسرحياته ... ولا يكون بذلك خطراً على عرش (نصف أخته) حتى فى تلميحاته الخفية بين سطور كتاباته

فاذا يكون دخل هـذا الممثل المجهول المدعو شيكسبير في عرش انجلترا ، وما هي علاقته به ؟

فى عام ١٥٥٣ ، أعلن أن إدوارد الصغير مات فتربعت على عرش انجلترا اللادى چين جراى ، ولـكنها قتلت بعد تسعة أيام من حكمها . وعندئذ حكمت مارى تيودور مدة قصيرة ، ثم خلفتها اليزابث عام ١٥٥٨

وكانت هـذه الفترة من التاريخ الإنجليزى فترة دموية من دسائس ودماء

وإذا كان إدوارد حياً ، ومختفياً كان لديه من الأسباب ما يجعله يخشى على حياته إذا ظهر وطالب العرش فآثر السلامة الشخصية على العرش

على أن اختفاءه المفاجىء ، وإن ظل سراً مكتوباً ، جعل كثيرين من الناس يشكون فى أنه مات حقاً

ويقول مورجان : إن الأوراق الرسمية فى سنة ١٥٩٩ تثبت أن عدداً كبيراً من الناس ألقى عليهم القبض ، لأنهم أعلنوا أن إدوارد السادس حى لم يمت . وكان حينئذ عمره يقرب من الستين عاماً ...

وكثير من الـكتاب والشعراء لمحوا فى كتاباتهم إلى أن الملك الصغير إدوارد لم يمت ، فهذا الشاعر (مايكل دريتون) يقول من قصيدة :

« إن الملك إدوارد السادس ، المقصور فى حياته القصيرة ، (مع الريبة فى هذا) ولـكنه ترك المملكة »

٤ — فى منزل بيكون

ويستمر مورجان فى كلامه فيقول ثانياً :

إن هناك برهاناً آخر ، وهو أن المنزل القديم ، الذى كان يعيش فيه بيكون ، فى سانت البان ، كان مكتوباً على باب الحجرة الخاصة التى ينام فيها أسماء جميع الملوك الإنجليز من وليم الفاتح إلى چيمس الأول الذى ارتقى العرش بعد الملكة اليزابث .

وبين اسمى اليزابث وچيمس يوجد اسم آخر يكاد يكون مطموساً ولـكنه يبدأ بحرف ...E وهو أول حرف من سم إدوارد

ومن المحتمل جداً أن يكون بيكون فى نزوة تهكمية ساخرة كتب سم إدوارد هناك ، وهو يعنى به نفسه !

٥ — طغراء

وهنا يذكر مورجان برهاناً قوياً على صدق نظرياته . ويبدو معقولاً إلى حد بعيد ... يدلل به على أن شيكسبير وبيكون ، لم يكونا غير شخص واحد هو إدوارد السادس ...

وهذا هو البرهان :

فى بعض مسرحيات شيكسبير توجد هذه الطغراء ...

EVI
ER
ET

فالأولى تعنى الحرف الأول من إدوارد ، والحرفان بجانبها IV يعنيان السادس

والثانية تعنى إدوارد ركس

والثالثة تعنى إدوارد تيودور

وهذه الطغراء نفسها وجدت بالذات فى بعض أعمال فرنسيس بيكون

٦ — القرد في اللحية

ويلفت مورجان أنظارنا إلى صورة زيتية لفرنسيس بيكون، وجدت في كتابه المعروف

The Mirror ox State and Eloquence

فإذا قلبت هـذا الرسم وجعلت رأسه إلى أسفل، وجدت في لحية الرسم الغريبة شكلا لوجه قرد!

وتذكر سجلات التاريخ أن إدوارد السادس كان مغرماً بقرد يعتز به إلى درجة بعيدة، وكان هذا القرد يجلس دائماً على كتف نديم هذا الملك ... كهذا الرسم :

٧ — نقش في الخشب

ودليل آخر ...

فقد وجد كتاب اسمه Minerva Brittanica بقـلم مؤلف مجهول باسم هنري بتشام، ويظهر في هذا الكتاب رسم عليه نقش في الخشب يحمل هاتين الكلمتين اللاتينيتين Mente Videbor ومعناها سأكون مرئياً في العقول، ولكن الغريب في أمر هـذا النقش أن نقطة وضعت وضعاً شاذاً بين الكلمتين، لأن هذه النقط لا توضع في اللغات الإفرنجية إلا في آخر الجمل، ولكنها موضوعة بين الكلمتين، فتجمل من آخر الكلمة الأولى، وأول الكلمة الثانية هذه الحروف : TE. VI

وهـذه هي الحروف الأولى من إسم : تيودور إدوارد السادس، كما في هذا الرسم، والكاتب يخفي نفسه خلف ستار !



(البقية في عدد قادم)

حسين غنام

٢ــ الألغاز فى الأدب العربى

للأستاذ محمود عزت عرفة

ملاحن العرب

كان العرب من قديم بهذا الضرب من التعبيرات الغامضة ، وعرفوا قيمته . وكانت تسعدهم على ذلك فطنة ولقانة وسرعة بديهة طبعوا عليها ؛ حتى لتؤثر عنهم فى هذا الصدد أقاصيص معجبة لا تخلو فى نظر المدقق من المبالغة والتهويل – وإن بقى لها كامل دلالتها على تأصل هذا الفن فيهم – كالذى يروى عن العنبرى الذى أسر فى بكر بن وائل ، فسألهم يوماً رسولاً يبعث به إلى قومه فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا ... والقصة مشهورة جاء فيها قول الرجل للرسول : « قل لهم – يعنى قومه – إن العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معهم حيساً ، واسألوا الحارث عن خبرى ... » وسأل قومه الحارث بعد أن أعياهم فهم كلامه ، فأوقفهم على مرامى رسالته ، وأنذرهم قرب وقوع أعدائهم عليهم وغزوهم لديارهم ، فاتخذوا للأمر أهبته ...

ومثل هذه القصة فى الأدب الجاهلى كثير . ولقد فُتن الرواة بترديد هذا النوع من الملاحن وجمعه والتزيد فيه ، وتجدّد بظهور الإسلام الغرض الدينى – الذى أشرنا إليه – من المعارضة عند التقية ، وتجنب الكذب الصراح بإضمار غير الظاهر من القول . واقتحم الأدباء واللغويون باب التصنيف والجمع فى ذلك . ومن أشهر ما انتهى إلينا فيه (كتاب الملاحن) ، وهو مؤلف لطيف لابن دريد (أبى بكر محمد بن الحسن البصرى الأزدى ، المتوفى عام ٣٢١ هـ) وقد طبع حديثاً فى مصر

ويعلن ابن دريد الغرض من تأليف الكتاب فى مقدمته فيقول : هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف ما يظهر ، ليسلم من عادية الظالم ويتخلص من جنف الغاشم ؛ وسميناه (الملاحن) ، واشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التى لا يشوبها الكدر ولا يستولى عليها الكلف ... الخ

وقد سجل لنا ابن دريد جمهرة من ألفاظ اللغة التى تصلح للتعمية والمعارضة فى الكلام . منها أن تقول : والله ما سألت فلاناً فى (حاجة) قط والحاجة ضرب من الشجر له شوك ، وما (رأيته) أى ما ضربت رئته ولا (كلمته) أى جرحته ... وتقول ما أنا بصاحب (بكر) وهو ضرب من النبْت ، ولا أخذت لفلان « فروة » وهى جلدة الرأس ، ولا كشفت لفلانة « قناعاً » ولا عرفت لها « وجهاً » فالقناع الطبق والوجه القصد ... وتقول « ما لعبتُ » أى ما سال لعابى وما « جلست » من قولهم جلَس فلان إذا دخل الجلْس وهو نجد وما والاه ، وما عرفتُ لفلانة « بعلا » وهو النخل يشرب ماء السماء ، ولا « زوجاً » وهو النمط يطرح على الهودج ... الخ

فتيا فقيه العرب

من ضروب الألغاز ما وضعه الرواة قديماً تحت عنوان « فتيا فقيه العرب » بقصد المحاجاة والمعاياة . وقد نقل السيوطى عن التبريزى فى تهذيبه أن فقيه العرب هو الحارث بن كلدة . لكنِ المشهورُ من لقب الحارث أنه حكيم العرب أو طبيبها ، ولم يشتهر بين القوم باسم الفقيه . على أن السيوطى يوضح هذه الشبهة فيقول : أطلق على طبيب العرب فقيهُ العرب لاشتراكهما فى الوصف بالفهم والمعرفة ...

والحارث بن كلَدة ثقفى من الطائف حذق الطب فى بلاد فارس ونال هنالك الشهرة البالغة ، ثم رجع إلى الحجاز . وكانت وفاته فى أوائل عهد الرسول عليه الصلوات ولم يثبت إسلامه ، وإن كان من الثابت أن النبى استشاره غير مرة ، وكان يأمر أصحابه باستشارته . ولم يجزم أحد بنسبة هذه الفتاوى إلى الحارث ، وإنما يبدو أن شهرته ، وما أثر عنه من الفطنة وجودة الطبع هو ما جرَّ إلى إدراج اسمه فى هذا المقام . ثم أصبح فقيه العرب فيما بعد شخصاً خيالياً تسند إليه كل فتوى دقيقة أو جواب لغز بارع . يقول السيوطى فى وصف ما تطورت إليه التسمية : ليس مراد ابن خالويه والحريرى بفقيه العرب شخصاً معيناً ؛ إنما هم يذكرون ألغازاً وملحاً ينسبونها إليه ، وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف ...

ومن الجلى أن هذا النوع من الألغاز مقصود به التعجيز وإظهار البراعة فى عمق التفكير ودقة العبارة . وأكثر من فُتن به الفقهاء فى مجالسهم وحلقات دروسهم وتناظرهم ... فمن

ذلك قولهم إن فقيه العرب أفتى بجواز السجود على الخد إن كان ظاهراً « والخد هنا بمعنى الطريق » . وسئل فقيه العرب عن الوضوء من الإناء المموج فقال : « إن أصاب الماء تمويجه لم يجز ، وإلا جاز » والمراد بالمموج المضبّب بالعاج

ولأبى محمد الحريرى طرائف معجبة من الألغاز والأحاجي ، ومقامته الثانية والثلاثون – وتسمى الطيبية أو الحربية – تدور جميعها حول فتاوى فقهية ملغزة ينسبها إلى فقيه العرب ، وفقيه العرب عنده هو بطل مقاماته المشهور – وشيخ المكدين – أبو زيد السروجى ... وضع على لسانه جواب مائة مسألة ملغزة ألقيت إليه فى علم الفقه ، ما بين طهارة وصلاة وصيام وحج ، ومعاملات مختلفة من بيع وشراء وقضاء وأحكام وزواج وطلاق ... والمقامة مشهورة يتيسر للقارئ أن يراجعها فى مصدرها .

وهنالك مقامات ثمانٍ أخر تدور جميعها حول الألغاز والكنايات وما يجرى مجراها ، وهى بحسب ترتيب موضعها وأرقامها من الكتاب : الثامنة المعربة ، ١٥ : الفرضية ، ١٩ : النصيبية ، ٢٤ : القطيعية أو النحوية ، ٣٥ : الشيرازية ، ٣٦ : الملطية ، ٤٢ : النجرانية ، ٤٤ : الشتوية أو اللغزية

وقد سبق الحريرى أستاذه بديع الزمان بمقاماته الثلاث فى فن الألغاز وهى : الصفرية التى وصف فيها الدينار إلغازاً ، ثم العراقية والشعرية فى الإلغاز عن أبيات من الشعر

ضروب أخرى من اللغز :

إذا تركنا الملاحن والمعاريض وفتيا الفقيه جانباً ، ثم نظرنا إلى اللغز من وجهة طرائق الإغراب فيه ، وجدناه ضروباً ... قال ابن الأثير : منه المصحَّف ومنه المعكوس ، ومنه ما ينقل إلى لغة من اللغات غير العربية . وضرب مثلاً[1] للأخير بقول القائل : اسمى إذا صحفته بالفارسية « آخر » . فهذا شخص اسمه تركي وهو دنكر – بالدال والنون – و « آخر » بالفارسية « ديكر » بالياء ، فإذا صُحفت هذه الكلمة بجعل يائها نوناً صارت « دنكر » وهو الاسم المطلوب

وقد وجدت قريباً من ذلك فى كتاب الله ما قصه عن بنى إسرائيل فى قوله تعالى : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون »

فقد أمروا بأن يقولوا حطة – أو ما فى معناها – من كلمات التوبة والاستغفار ؛ والمعنى حط عنا ذنوبنا حطة . فأبدلوها ظالمين مستهزئين وقالوا « حنطة » وقيل قالوا بالنبطية (حطا سمقاثا) أى حنطة حمراء ، وهذا ضرب من التعمية والإلغاز حملهم على التشدق به حمقهم واستهزاؤهم ، وما فتئوا يرددونه حتى فضح الله مكرهم . ونرى تسجيلاً آخر للقصة نفسها فى آيتى الأعراف : وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية . إلى قوله تعالى : بما كانوا يظلمون

وفى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم »

قال الزمخشرى : كان المسلمون يقولون لرسول الله (ص) إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم : راعنا يا رسول الله ، أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه . وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى (راعينا) فلما سمعوا بقول المؤمنين (راعنا) افترصوه وخاطبوا به الرسول (ص) وهم يعنون به تلك المسبة فنُهى المؤمنون عنها وأمروا بما فى معناها وهو (انظرنا)[1] فذلك تعريض آخر لحدثى اليهود من معاصرى الرسول ، يسجله الله عليهم ويكشف سترهم فيه

ويبدو أن ولوع القوم بهذه التعمية والألغاز كان لا ينتهى عند غاية ؛ فقد روى[2] عن عائشة رضى الله عنها أن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك[3] فقال النبى : عليكم ! قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : بل عليكم السام واللعنة ! فقال عليه السلام : يا عائشة إن الله يحب الرفق فى كل شىء . قالت عائشة : ألم تسمع ما قالوا؟ قال فقد قلت عليكم !

(يتبع)

محمود عزت عرفة

---

(١) ستَرِد أمثلة مختلفة للمصحف والمعكوس فى تضاعيف الكلام .

(١) يذكرنا هذا بقول ابن رشيق : « إن بعض الوزراء ، وقيل بل هو المأمون ، غير (المسلحة) واستهجنها لما فيها فقال قولوا : « المصلحة » ، وليس ذلك لعلة إلا موافقة كلام السفلة » العمدة ج : ١ ص : ١٨٣

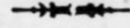
(٢) إحياء علوم الدين للغزالى ج ٢ : « آداب الألفة والأخوة والصحبة »

(٣) من معانى السام : الموت — الألفاظ الكتابية للهمذانى

كتاب الوعى القــــومى

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



البلاد العربية الآن فى سبيلها إلى التنبه والوعى الذى يسبق النهضات ويدلها على المهيع الواضح ، ويأخذ بيدها إلى الطريق الواجب أن يسلك . فإن المسالك متشعبة دائماً فى إبان هذه الأوقات ، ولا بد من أدلاء ماهرين من رجال الفكر الناضج والثقافة الصحيحة يقفون بجانب رجال السياسة والحكم فى البلاد العربية الصاحية من سباتها الطويل ليوجهوا البلاد وجهة صحيحة خشية أن تطغى عليها تيارات مختلفة فتصرفها عن سواء القصد واعتدال الجادة

هؤلاء الأحرار « الوعاة » من رجال الفكر هم الذين نحتاج إليهم اليوم فيما نحن بسبيله من يقظة قومية . وإذا كان عددهم قليلاً لا يتناسب مع خطورة القضية التى تواجهها البلاد العربية ، فقد ظهرت من قلائلهم « آثار واعية » تبشر بأن الوطن العربى بدأت فيه طلائع التفكير المنظم والدرس المتسق ، وتبشر كذلك بأن ضآلة العدد ليست بمانعة من جودة النوع . وتبشر كذلك بأن البلاد العربية ظهر فيها قوم لا يؤمنون بقيمة الأمشاج المختلطة من الأدب والشعر إيمانهم بالقيم العالية للعلم الصحيح الذى يعبر عنه الغربيون بكلمة Science لا العلم الذى كان يجعل من الفقيه عالماً ومن النحوى عالماً ومن العروضى عالماً

ولقد ظهر فى المكتبة العربية ثلاثة كتب قيمة تتصل بموضوع الثقافة والتربية القومية وما إليها : الأول كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين . والثانى كتاب « آراء وأحاديث فى التربية والتعليم » للأستاذ ساطع الحصرى مستشار المعارف فى الجارة العربية الشقيقة سورية ، والثالث كتاب « الوعى القومى » للدكتور قسطنطين زريق أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت

أما الكتاب الأول فوضعى يختص بموضوع الثقافة فى مصر ، وقد لقى فى حينه ما يستحقه من النقد ومكّن الله لمؤلفه من الأمر ما يعينه على تحقيق برامجه الطويلة

أما الكتاب الثانى فيتناول مسائل فى التربية والتعليم والقومية ، وكان من حظى أن أقدمه لقراء « الرسالة » من عهد قريب . أما الكتاب الثالث – الوعى القومي – فكان من حظه أن يقدمه إلى قراء الرسالة تقديماً موجزاً بليغاً أستاذنا وصديقنا توحيد بك السلحدار الذى كان له الفضل فى إذاعة بعض نسخ منه بين أصدقائه الذين يحبهم ويحبونه ويحب أن يناقشهم كثيراً فى مسائل تتعلق باليقظة القومية والنهضة الحقيقية لبلادنا

وليست « الرسالة » بباخلة على مثل هذا الكتاب أن يطول الكلام فيه ، فإننا نعرف من أهداف صاحبها النبيلة ؛ واضطلاعه بحمل رسالة الفكر الصحيح فى الوطن العربى ما يطمعنا فى إطالة الكلام ، فإن قيمة مثل هذا الكتاب « التوجيهى » لا تعرف ما دام مطموراً فى رفوف المكاتب ، أو منـحّى فى زوايا الخزائن ؛ وإنما تظهر قيمته ويعرف قدره متى ما نبّه إليه منبّه أو ذكّر به مُذكر . والذكرى تنفع المؤمنين

* * *

يشترط الدكتور زريق لاستكمال النهضة القومية العربية ثلاث خطى رئيسية : الأولى : بناء الأساس الفكرى الذى تقوم عليه النهضة بدراسة الغايات والوسائل دراسة بعيدة عن الارتجال

والثانية : تحويل هذه الدراسة المنظمة إلى عقيدة قومية تتجه بالأفراد إلى الأهداف الصحيحة

والثالثة : تنظيم ، الأمة العربية وضبط نوازعها وإخضاع إرادتها لأرادة وحيدة منبعثة من عقيدة واحدة ، وتعنى هذه الخطوة العمل المنظم الصادر عن فكر منظم يدرّب عليه الرجال والنساء على السواء

والدكتور زريق حين يدعونا إلى البحث فى غايات نهضتنا لا يحرم علينا دراسة نهضات الأمم الأخرى ودرس غاياتها ؛ فإن مثل هذه الدراسات تكون كالقبس على شرط أن نكيفها لحياتنا الخاصة

والعربي الواعي قومياً هو الذي يعرف من أى المنابع يفيض هذا الوعى ، وإلى أى الأهداف يتجه . أما التشدق بألفاظ اللغة والجنس وجلال التاريخ القديم من غير فهم حقيقي لمعانيها فذلك نوع من الشعور الذي لم يرتفع إلى قمة الفكر ؛ ولم يكتسب مع الفكر نعمة الحياة

والعربي الواعي يحس إحساس فهم وإدراك بعوامل الضعف فى الشخصية العربية الحاضرة ويواجه مشكلاتها مواجهة واقعية صريحة لا عوج فيها ولا التواء

ولما كان الغرب بوصفه الحاضر عاملاً فعالاً مع شخصيتنا العربية الحاضرة ، ولا مناص لنا من تفاعل هذين العاملين ، فقد وجب علينا أن نفهم الغرب حق فهمه وندرك كنهه حتى نحسن مواجهته ونأخذ له أهبته ويكون اتصالنا به على ضوء وبصر وعلم لا عن صُدف طارئة . ومن الخطر أن تأخذ البلاد العربية روعة وتعروها هزة بمظاهر الغرب الخلابة حتى ولو كان ذلك فى سرعة السيارات وعجيب صنع الأدوات ... فإن وراء ذلك نظاماً اقتصادياً لا شك سيبقى فى جوهره النظام السائد فى المستقبل . والدكتور زريق يدعونا إلى إدراك هذا النظام الذى يمتاز بالتنظيم الدقيق الذى يؤلف بين أجزائه ، وأخذنا من محاسنه وتجنبنا عيوبه التى كانت تحت اختبار الغربيين

والحق أن الدكتور زريق متأثر بهذا « التنظيم » حتى فى طريقة تأليفه ... فكتابه – كما يقول أحد المعجبين به – لا يعدو أن يكون مسائل متفرقة يعرفها الرجل الواعي منا ، وتخطر على باله حين يغشى مجتمعاً أو يركب سيارة أو يقرأ كتاباً أو يشاهد أحوالاً ... ولكن الدكتور زريق جمع هذه المسائل « ونظمها » تنظيماً جعل منها وحدة متماسكة الأطراف ، وأخرج منها كتاباً لا تحس فيه تفككاً أو تصيداً لفكرة أو اجتلاباً لمعنى ولكنك تراه مترابطاً محكماً متسلسلاً

وليس مثل هذا التنظيم فى الدرس سهل المأتاة على كل من حاوله . فكثيرون منا تضطرب الأفكار فى خواطرهم وتزدحم على نفوسهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يؤلفوا بينها ويصنفوها فى كتاب يُفضى كل سطر منه إلى تاليه ، ويؤدى كل فصل منه إلى تابعه ، كما فى كتاب « الوعى القومى »

ولم يجعل المؤلف مهمة الإيقاظ للوعى القومى حبساً على رجال السياسة وأصحاب الحكم . بل كل فرد من أفراد الأمة يستطيع أن يساهم فى الإيقاظ مهما كان عمله ، ومهما كان مركزه ، وذلك جميل من المؤلف ، فإذا كان الأفراد جميعاً يحملون ألم سوء الأحوال ، ويشتركون فى احتمال المصائر مهما كانت نتائجها فلم لا ينالون شرف المشاركة فى التنبيه على مايعود عليهم بأحسن الفوائد وأجزل العوائد ؟

فاشتراك أفراد الأمة فى الإيقاظ جائز بل واجب على شرط أن تنعدم الأثرة كما يردد الأستاذ ساطع الحصرى ، وينعدم التمرد والعصيان على رأى البروفسور كامبانياك

وللدكتور زريق على أستاذيته الجليلة فى جامعة بيروت هو معلم من الطراز الأول ؛ فهو لا يحاول فى كتابه أن يكون مبدع ألفاظ أو منشئ عبارات أو مخاطب عواطف ... ولكنه رجل اختمرت عنده فكرة نبيلة فقام يدعو إليها فى عبارة تتفق مع جلال فكرته . فلا ترى عنده مبالغة أو سرفاً فى القول أو حشداً للألفاظ ، ولكنه مع ذلك قد عرض الفكرة عرضاً بليغاً ، لا يتزيد فى لفظة ولا يهوّل فى عبارة ولكنه يلقى الكلام على ضوء من صدق الأحكام . وبعد النظر واتساع الثقافة وإدراك لحقائق التاريخ مع وزن لقيم الألفاظ التى يستعملها وقَدْر حقيقى لها

إلا أن أغلاطاً قليلة وقعت فى الكتاب نرجو من الكاتب الفاضل أن يتدارك أمثالها فى المرجو المنتظر من تأليفه . ومن هذه الأخطاء : ص ١١ « يبقى الأستاذ شيبوب وأمثاله محقون » والصواب محقين ، والواو التى بعد النفى والاستثناء فى قوله «وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة ألا ويشعر» لا لزوم لها والفصيح تركها ؛ وقد كرر هذا الخطأ فى ص ٤٨ وص ٧٩ ، والفعل عاقه يتعدى بغير همزة فلا يقال أعاقه ويعيقه ص ٤٩

والآية التى أوردها المؤلف فى آخر مقدمة الطبعة الثانية ص ١٦ محرفة وصحتها : « فإن الذكرى تنفع المؤمنين » والمؤلف لم يشر إلى أنها آية ، إلا أن وضعها على تلك الصورة قاطع على أنها اقتباس من القرآن الكريم

وعلى الأستاذ سلام الله ورحمته .

محمد عبد الغنى حسن

أذان الفجر

للدكتور عزيز فهمي

الله أكبرُ هذا الذكرُ توحيدُ الله أكبرُ هذا اللحنُ تجويدُ
ترنم الكونُ في رفق وفي دَعة وسبح الطير والتسبيح تغريد
وأرهفَ الليلُ أذْنا جِدَّ صاغية
والبدر معتكف والأفقُ مخضودُ[1]
وكاد يُطرق ما في الكون من حجَرٍ
فللجماد كما للحيِّ تهجيدُ
بلالُ[2] أذَّن في أعلى منابره وردَّد الذكرَ والمزمارَ داودُ
لله صوتٌ سرى والليل منهزمٌ كما تراجعَ بعد العزم رعديدُ
تطير كالعِهن[3] أشتاتاً غياهبه كما تناثر بركانٌ وجلمودُ
ويزحف الصبحُ في أعقاب جحفله
فينجلي ولواء النور معقودُ
لله صوتٌ سرى وهْناً[4] على وهَن[5]
حتى تجاوبَ بعد الكبْتِ محدودُ
بينا يُجلْجِل في الآفاق منطلقا يردُّه الذكر فالممدود مشدودُ
الله أكبر يا نُوَّامُ فانتبهوا جدَّ المعاد ولم تُنجز مواعيد
إن تُنجزوه فتكفير ومغفرةٌ أو تُنسِئوه فكفران وتجديد
هذا المؤذن يسري صوته نغما لحن رهيب له في الصدر ترديد
يُطهر النفس من أدران عالمها فالنفس صاعدة واللحن تصعيد
كأن تعويذةً في الجو عابرةً تمسُّها فإذا بالإثم مردود
لحنٌ حبيب يجوب الكون مخترقا
مع الأثير حدوداً دونها البيدُ
لحن شجيٌّ يجوب الليل هاتفه وأين منه إذا أسرى الأغاريد
وأين منه لحون الطير ذكَّرَها وكر الحبيب بأن الإلف مفقود
وأين منه الثاني في تلهفها تبوح بالشوق أو يُفضي به العُود
الله أكبر ! مات الليل وانبلجت
أشعة الصبح ... هذا الفجر مولود !

(١) عاجز عن النهوض (٢) بلال بن رباح مؤذن الرسول
(٣) كالصوف
(٤) الوهن كالموهن قال الأصمعي هو حين يدبر الليل
(٥) سرى ضعيفاً متئداً

على قبر أخي

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

آه ياقبر ، هنا كم طاف روحي هائماً حولك كالطير الذبيحِ
أوَ ما أبصرتَه دامي الجروح يتنزى فرط تبريح ويأسِ
مرهقاً مما يعنيه الحنينْ
وهنا يا قبره أشواقُ نفسي يا لأشواقٍ على تربك حُبْسِ
وهنا قبلة أحلامي وحِسي قرَّبتني الدارُ أو طال نزوحي
لخيالي بك رهن كل حينْ
إن نأى بي البعد ردتني إليكْ لاعجات مانني ، وجداً عليكْ
لستَ تدري أيَّ دنيا في يديكْ من حنان وبشاشات وأنسِ
يا لقلبي ، أصبحت في الهامدينْ
آه يا قبرٌ له إشعاعُ نورٍ لا أرى أجمل منه في القبور
فيك أحبابي ، وفي قلبي الكسيرِ مأتمٌ ما انفك مذ باتوا لديكْ
قائماً يأخذ منه بالوتينْ
وإذا يُنزِفُ دمعُ المقلِ يجهش القلبُ أسىً ، ما يأتلي
نادباً عندك أشهى أملِ باكياً فيك نصيري وظهيري
ساكباً من ذوْبه غيرَ ضنينْ
أوحش السامرَ من ذاك السميرِ غيرَ أصداء فؤادٍ وشعورِ
نغمٌ أفعم أمواج الأثير بالأماني والهوى والغزلِ
وترامى بين أحضان السنينْ



أغنية «الرياح الأربع»

أهدى الأستاذ الشاعر «على محمود طه» مسرحيته الفاتنة «أغنية الرياح الأربع» إلى صديقه الشاعر «محمد عبد الغنى حسن» فحياه بهذه الأبيات :

ما زلتَ تُطرب فى البيان وتُبدعُ
وتَصُبُّ لحنكَ فى القلوب وتُترعُ

لك كلَّ يوم آيةٌ شعريةٌ ... لله ما هذا الخيال الطيّع ؟ !
وتَظَلُّ ترتاد الغيوبَ محلِّقاً ... وتجوب آفاق المحيط وتذرع

الناس فى سجن الجمود وقيدِه
حُبِسوا وأنتَ لك الفضاء الأوسع

صور تُجلِّيها بريشة ماهر ... ينقاد فى يده البيان ويخضع
تلك المعانى النافرات ذلولةٌ ... بيديْكَ لا تأبى ولا تتمنع
وتكاد تُبرزُ كلَّ خافية الهوى ... فكأنها شيء يُحَسُّ ويسمع

يا أيها الملاح مالك تائهاً ... لا يستقر على شراعك موضع ؟
والبحر مضطرب الأواذى هائج ... والريح عاصفة المهبة زعزع
فى كل ثغر مشهد لك رائع ... وبكل ميناء حديثٌ أروع
تلك الروايات الفصاح جليلةٌ
وأجلُّها عندى «الرياح الأربع»

شعر ناجى

حينما أصدر الدكتور ناجى ديوان شعره «وراء الغمام» كتب الأساتذة الأعلام العقاد وطه والمازنى ، وكتب غيرهم من أدباء الشباب الشيء الكثير فى شعر ناجى . وقد اتفقت آنذاك أو كادت تتفق أقوال الشيوخ والشباب فى طبيعة ذلك الشعر . والذى يخيل إلى الآن ـ وقد أتم الأستاذ دربنى خشبة دراسته فى شعر ناجى أنه لم يطلع على ما قيل فى هذا الشعر . فما قال أولئك الأعلام والنقاد فى شعر ناجى يناقض ما قاله فيه الأستاذ دربنى خشبة مناقضة صريحة

أما المآخذ الشعرية فقد ذكر بعضها الأستاذ حافظ جلال والمرحوم مماية نور وسواهما فقد أعادوا أكثر عيون شعر ناجى إلى الأستاذين العقاد ومطران وبعضها إلى شعراء المهجر نعيمه ومعلوف . واللطيف فى هاتيك المآخذ ، أنها هى بعينها التى اقتبسها الأستاذ الناقد دربنى خشبة للتدليل على سمو شعر ناجى !

حبيب الزحلاوى

القرآن فى كتاب النثر الفنى

الأستاذ الغمراوى يرى فيما يرى أن الدكتور زكى مبارك يذهب إلى أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد صرح الدكتور بما ينفى هذا الزعم فى كتابه «الموازنة بين الشعراء» ص ٢٢٦ إذ روى بيتى البوصيرى

زهرة عطرت الدنيا بنشرِ ... ثم مالتْ بين أحلام وشعرِ
وذوت عن عمُرٍ للزهر نضرِ ... هكذا تنفدُ أعمارُ الزهورِ
والشذى باقٍ بروح العابرينْ

كلما أشرق فى الليل القمرْ ... مترعاً بالنور أعصابَ الزَّهَرْ
أظلمت نفسى وهاجتنى الذِّكَر ... كيف غيبتُك فى ظلمة قبرِ
كيف أسلمتك للترب المهينْ

وإذا ران على الدنيا هجودُ ... وغفا فيها شقىٌّ وسعيدُ
لم يزل يهتف بى صوتٌ بعيدُ ... من وراء الغيب وانىٌ وظهرْ
ومضى يهمسُ همسَ العاتبينْ

عتبه أخذى بأسباب البقاءْ ... أتملَّى من وجودٍ وضياءْ
وعديل الروح فى وادى الفناءْ ... السَّنى ضنَّ عليه والوجودُ
فهو بالحرمان لم يبرح رهينْ

أيها الهاتف من خلف الغيوبِ ... ما ترى نبع حياتى فى نضوب
لم أزل أضرب فى عيش جديب ... موحش كالقفر موصول الشقاء
منذ أمسى نجمه فى الآفلين

أين إبراهيم منى أين أينْ ... حبة القلب ونور الناظرين
أنا من عيش وموت بينَ بينْ ... فمملُّ الحَيْن موف عن قريب
يمسح الجرح وآلام الحنين

ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادى إليها ماقى السلم

ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجانى عن الحرم

ثم يعقب قائلاً : « كلمة صدق ؛ ويكفى أن تقرأ القرآن بجيدة ونزاهة لتلمس هـذه الحقيقة ؛ فالقرآن كتاب خطر رهيب يحمل عدوه على الإيمان به والخشوع لديه ، ولو صحت ـ لا صحت ـ أراجيف الملحدين من أن القرآن من إنشاء محمد بن عبد الله لكان محمـد أعظم رجل شهد هـذا الوجود » وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صـدور الذين أوتوا العـلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »] طبعة ثانية سنة ١٩٣٦ م ، وأنا أرى أن قول الدكتور ولو صحت إرخاء العنان للخصم . وأقول للدكتور أيضاً إن محمداً أعظم رجل شهد الوجود ، لأن صاحب العزة والجبروت عَـلِمه أهلاً ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ لأن يحمل عبء تلك الرسالة العظيمة ، ولأن ينزل عليه ذلك الكتاب العظيم ، فمن البداهة أن الدكتور لا يرضى لرأيه أن يكون من أراجيف الملحدين !

هـذا ومن بعض الإلزامات التى ألزم بها الأستاذ الغمراوى الدكتور مبارك قوله فى الرسالة (٥٦٥) « إذا كان ـ يعنى القرآن ـ من عند الله فـكيف يمـكن أن يثبت للعرب ذاتية كالذى أراد وليس فيه لعربى منهم حرف » ، ويمـكننا أن نرد هذا الإلزام قائلين : إن القرآن الـكريم ـ وهو من عند الله يدل على أن العرب لهم ذاتية أدبية باعتبارهم مخاطبين به وهو أجدر من يراعى مقتضى الحال

ابراهيم السيد عجلونه

إلى الأستاذ الكبير (ا ٠ ع)

تصدّيت — مشكوراً — للأخذ بيد شباب الشعراء إلى النهج السوىّ ، فشكرنا لك صنيعك وحمدنا لك كريم نهضتك ، وانتظرنا منك — وأنت الأستاذ والوالد — أن توضح لهم معالم الطريق فى رفق وأناة ، شأن المربى القادر يُغضى عن العيب ، ويدل على الصواب

ولـكننا يا أستاذ رأيناك -- وقد كتبت إلى اليوم سبع كلمات — تحمل عليهم حملة التأديب والزجْر والتشهير دون توجيه صالح ، أو رغبة صادقة مخلصة فى تقويمهم وإصلاحهم وهدايتهم

أين يا سيدى الأمثلة والنماذج تشرحها لهم وتقفهم على مواضع الحسن والقبح فيها ؟

أين الشرح والتعليم الذى يفعله الأساتذة مع تلاميذهم الذين يريدون بهم خيراً ؟

ألا ترى يا سيدى الأستاذ الجليل أن كلماتك هذه ربما كان من نتائجها تثبيط بعض العزائم التى نريدها على أن تنشط ، وإماتة بعض الهمم التى نريدها على أن تحيا وتعيش وتنمو ؟

إن شعراء الشباب هم الرجاء المرموق ، والأمل المرّجى ، وإن لهم لجهداً مشكوراً ، وآثاراً حميدة ، وإن « الرسالة » الـكريمة هى مؤازرتهم ومناصرتهم ومعينتهم ، وهى سلمهم إلى المجد الذى يبغون ونبنى لهم ويحبون ونحب لهم

فإما أن تكون — يا سيدى الأستاذ — هادياً ومرشداً ومُوجّهاً لهم وإما أن تدعهم يشقون طريقهم إلى المجد أو يهلـكوا دونه . والسلام

(المنصورة) على متولى صلاح

إلى الدكتور زكى مبارك

إن مما أحزن كل معنى بالأدب هـذه الخصومة التى قامت بين الزيات ومبارك وهذه القطيعة التى وقعت بين المبارك والرسالة

وإنى كواحد يعنى بالأدب ويعجب بالزيات والمبارك ويحب الرسالة من حق أن أحزن وأتألم وأتأذى لما حصل ، ومن حقى أن أنتصر لصاحب الحق فى هذا الخلاف

إن السبب الذى إليه يعزو الدكتور مبارك هـذه الخصومة هو أن الرسالة نشرت لأحد خصومه كلاماً آذاه وآلمه وأغاظه

ولا إخال أحداً ممن يعرفون الأستاذ الزيات على حقيقته — لا كما عرفه الدكتور مبارك أخيراً — يجارى الدكتور فى اعتقاده ويقره على رأيه ؛ لأن الزيات كما نعرفه ويعرفه غيرنا وكما عرفنا به الدكتور مبارك نفسه فى أكثر من مناسبة أديب رضى الخلق كريم النفس سليم القلب نبيل القصد لا يخاصم إلا الباطل ولا يناجز إلا الضلال ولا يناصر إلا الحق . يعتز بأصدقائه ويعتز أصدقاؤه به ولا يختلف مع أحد منهم إلا على حق

ولعل الدكتور مبارك يذكر قوله فى الأستاذ الزيات فى حديث له مع الأستاذ طه الراوى نشر فى الرسالة بعددها ٥٣٠ الصادر بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٤٣ وهو « أن الزيات صديق مضمون » ولما سئل عن معنى مضمون أجاب « أن لها معنى ومعانى ، فالصديق المضمون هو الصديق الذى لا يخشى تغيره بأى حال »

وكيف يكون الصديق « المفطور على العقوق » والذى لا ينفع معه عتاب » « والذى حرم نعمة الفهم لمعنى الصديق » صديقاً مضموناً ؟ وهل حقاً أن الزيات مفطور على العقوق يا دكتور ؟

إن كان تلفيقاً ما نشر فى الرسالة من كلام أغضبك فأدحضه بما يتوفر لديك من براهين ؛ أما أن تسكت عمن آذاك وآلمك وتنحى باللائمة على الأستاذ الزيات وحده فهذا ظلم ؛ لأن الزيات بنشره ما نشر إنما يؤدى واجبه كواحد لا يحابى ولا يمالىء أحداً

والرسالة كما يعرفها كتابها وقراؤها وأنت منهم يا سيدى الدكتور ميدان تتصاول فيه الأفكار وتتبارى فيه القرائح وتتسابق فيه الأقلام فمن حقها أن تؤدى رسالتها الأدبية وفق الخطة التى وضعتها لنفسها

فكيف ترضى يا سيدى الدكتور أن تسلبها حريتها فى التصرف بهذا الحق وتحرمها حقها فى استعمال هذه الحرية فتطالبها بمراعاة صداقتك وهذا مما لا يتفق ومنهجها الذى تسير عليه

(بغداد) يحيى محمد على

تجول تلك السماء

جاء فى قصيدة الأستاذ سيد قطب المنشورة فى العدد الماضى

يا فجر من ذا رآك تجول تلك السماء

فاستعمل كلمة (تجول) بمعنى تطوف متعدية بذاتها

مع أن الفعل (جال) لم يرد فى كتب اللغة عامة متعدياً بنفسه بهذا المعنى فقد جاء فى المصباح والمنجد ما يأتى : « جال يجول فى البلاد طاف يطوف » « وجال جَوْلاً وَجَوْلةً وجولاناً فى المكان » طاف به ودار وجاء أيضاً : « جال بمعنى اختار » وهذا ليس المعنى المقصود فى البيت

فلو أن الأستاذ قطب استبدل بكلمة « تجولُ » « تجُوب » لما وقع فى هذا الخطأ

محمد عبد الفتاح ابراهيم



2me Année No. 568 — Lundi - 22 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤» العـــدد ٥٦٨

الفهـــرس

١٨ ـ دفاع عن البلاغة

١٠ ـــ التلاؤم فى الأســلوب

أثبتنا بحجة العقل ودليل الوجدان أن التأنق فى الأسلوب أصل فى طباع الناس ، وسر فى كيان اللغة ، وركن من أساس البلاغة ؛ وأن الجمال اللفظى المطبوع مُنْية كل لسان ينطق ، وبغية كل أذن تعى ؛ فالناس خاصتهم وعامتهم يحبون أن يسمعوه ، والكتّاب قادتهم وساقتهم يتمنون أن يستطيعوه. وإذا كان فى حمَلة القلم من يقدح فيه وينفر منه كان ذلك من باب الكذب على النفس مردُّه إلى أسباب يعرف بعضها ذلك الثعلب الفاضل الذى

رام عنقوداً فلمـــا أبصر المنقودَ طالَه

قال : هذا حامضٌ لما رأى أن لا ينــالَه !

فلندع ذلك الآن ولنسدد القول إلى الغرض المقصود من التلاؤم. فما التلاؤم فى حقيقة معناه وطبيعة مداه ؟ التلاؤم كلمة جامعة لكل وصف لا بد منه فى اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان ، مقبولاً فى الأذن ، موافقاً لحركات النفس ، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التى يعبر عنها الكاتب أو الشاعر.

فالتلاؤم من حيث القبول فى الآذان والخفة على اللسان ، يكون فى الكلمة بائتلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة

الجرس . ويكون فى الكلام بتناسق النظم وتناسب الفِقر وحسن الإيقاع . ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرخامة ، وانسجام التراكيب ، ومتانة الحبك ، وكل صفة تنفى عن الكلام التنافر والنبوّ والقلق والتعسف والتعقيد والهلهلة والركاكة والغثاثة والحوشية والجفوة . ومدار ذلك على الذوق الفنى السليم ، والأذن الموسيقية المرهفة . فى هاتين الحاستين وضع البارئ المصور البديع – جلّ وعلا – سر الفن كله . وبهاتين الحاستين هذبت الدهور اللغة ، وصقلت العبارة ، وتنخلت الألفاظ والتراكيب ، فتخيرت منها للأساليب الرفيعة لغة خاصة يعبرون عنها فى تاريخ الأدب بالألفاظ الكتابية والتراكيب الشعرية

وإلى هاتين الحاستين يُعزى التفاضل بين كاتب وكاتب ، والتفاوت بين شاعر وشاعر ، والتباين بين ناقد وناقد ؛ وإليهما كذلك يرجع تقديم كلمة على كلمة ، واختيار لفظة دون لفظة ، وقصور الكلام عن مداه ، أو بلوغُه إياه ، سواء أكان هذا البلوغ أو ذلك القصور من جهة تأثير الكاتب أو الشاعر ، أم كان من جهة تأثر القارئ أو السامع

وعلى هاتين الحاستين يجري نظم الكلام متسقاً كحبات العقد ، مؤتلفاً كنغمات اللحن ، منسجماً كسلاسل النهر ، مصقولاً كمتن السيف ، مونقاً كأفواف الوشى ؛ وتلك خصائص الطبع الموهوب لا حيلة فيها لمحتال ، ولا قدرة عليها لمقلد . وتفاوت الفضل كما قال ابن الأثير « يقع فى تركيب الألفاظ أكثر مما يقع فى مفرداتها ؛ لأن التركيب أعسر وأشق »

وتمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة ، لأن المرجع فى ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السمع ، فما استخفه كان حسناً ، وما استثقله كان قبيحاً . « وحسن الألفاظ وقبحها ليس إضافياً إلى زيد دون عمرو ، وإلى عمرو دون زيد ، لأنه وصف ذوقى لا يتغير بالإضافة »[1] فالقَراح والنُقاخ وصفان مترادفان الماء ولكن حسن الأول وقبح الثانى لا يختلف فيهما أحد

***

وأما التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، فيكون بتقطيعه فِقَراً وفواصل تقصر أو تطول تبعاً لحالات النفس والفكر . فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع ، ولكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ، ومن القوة أو الضعف . قد تكون أشعة الإلهام كومضات البرق تتعاقب على الذهن بسرعة ؛ وقد تكون عواطف النفس فائرة تجيش بالألم أو تضطرم باللذة ؛ وحينئذ تكون الفقر القصيرة أنسب الصور للتعبير عنها ؛ كما ترى فى السور المكية من كتاب الله ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة ، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآى كثير السجع رائع التشبيه قوى المجاز . وقد تكون المعانى رزينة بطبيعة موضوعها لتوخيها الإفادة أو الإقناع أو الشرح ، فتقتضى الأسلوب المرسل أو المفصل ، كما ترى فى السور المدنية من القرآن الكريم ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل ، فنزل أسلوبها هادىء البيان طويل الجمل مفصل الآيات واضح الغرض . أما إذا كانت الفكرة متشاجنة الأصول متشابكة الفروع فالأبلغ أن تفصَّل بالاستدارة .

والاستدارة (La période) صورة من صور التعبير فى اللغات العليا ، تحدث عنها أرسطاليس وترجمها مترجموه إلى العربية بهذا الاسم ، ولكن البيانيين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينبهوا إليه فى أساليب العربية على كثرة وروده فى النثر والنظم ، حتى وقع عليه بعض المتأخرين فسموه (القول بالنظم) أو (حسن النسق)[1] . والاستدارة جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة ، وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام ، وتتساوق فى انتظام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة

مثالها من الشعر قول النابغة :

فما الفرات إذا هب الرياح له	ترمي غواربُه العِبْرين بالزَّبد
يمده كل وادٍ مترع لجبٍ	فيه ركام من الينبوب والخضَد
يظل من خوفه الملاح معتصماً	بالخيزرانة بعد الأين والنَّجد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلة	ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومثالها من النثر قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة » ، والاستدارة كثيرة الدوران فى طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ٥٧

(١) قال ابن حجة فى خزانة الأدب : «حسن النسق ويسمى التنسيق نوع من محاسن الكلام وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متتاليات أو متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه » ا ه

٢ - قيس ولبـــنى

للشاعر المجدد الأستاذ عزيز أباظه بك

للأســتاذ دريني خشبة

وضعنا بين أيدي القراء - وذلك في العدد السابق من الرسالة - خلاصة مضغوطة لقصة هـذا الهوى اللافح ، والحب الرمض الممض ، الذي ملأ حياتيْ قيس ولبنى بمأساة من أروع مآسي الأدب العربي القديم ، أو الأدب العربي في صدر الإسلام ، وذلك وَفْقَ ما أثبت القصةَ أبو الفرج في أغانيه ، ثم أردفنا الخلاصة بموجز جاف لمسرحية الشاعر المجدد عزيز أباظة بك ، رجاء أن نشرك معنا القراء في استعراض القصـتين ، والموازنة بينهما ، وإدراك ذلك الجهـد الشاق الموفق الذي بذله الشاعر المصري البارع في استغلال قصة الأغاني والتصرف فيها ، دون تقيد برواية ، ودون تقديس للتاريخ ، فالأغراض الأدبية ، ولا سيما إن كان المسرح هو طريق إبرازها ، لا يلزم أن تتقيد بما ورد في سجلات الماضي ، حتى وإن كان ما ورد في تلك السجلات هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من أي نواحيه . . . ولا داعي لأن نضرب مثلاً بالطريقة التي تنوولت بها مأساة مثل مأساة كليوبطرة على أيدي شيكسبير وشوقي مثلا . . . وقد كان شيكسبير نفسه لا يحفل كثيراً بدقائق التاريخ وحقائقه ، بل كان يضحي كل شيء في سبيل الهدف الذي كان يضع من أجله دراماته ، مع أنه كان يغترف الحوار أحياناً من سجلات هذا التاريخ

١ - فلقد استغنى الأستاذ عن شخصيتي الحسن والحسين ، واكتفى بأن يكون ابن أبي عتيق رسول الحسين إلى الحباب أبي لبنى ، وللشاعر رأيه في هذا الاستغناء ... والكلام عن ذلك لا بد أن يكون كلاماً شائكا ، لأنه يتناول مسئلة إبراز الأشخاص الذين تحيطهم بهالات مقدسة على المسرح . . . وقد كان الشاعر لبقاً في وسيلة هـذا الاستغناء ، إذ جعل سببه اشتغال الحسين بموضـوع تلك البيعة التي فرضها معاوية على المسلمين لابنه يزيد ، ولم يجعل سببها إكبار الحسن أو الحسين عن المشاركة في هـذه القضية الغرامية . . . التي كانا فيها رسولي رحمة وحنان وعطف بين قلبين ، وبين أسرتين كريمتين من أسر المدينة والبطون القريبة منها في مترف

٢ - واستغنى الشاعر أيضاً عن قصة زوغ هـذا الحب بين قيس ولبنى ، كما استغنى عن مرات اللقاء المختلسة الأولى ، التي تذكي الحب عادة وتؤكده ، والتي تصور ما كان يتجشمه المحبون في سبيل هـذا اللقاء في البيئة العربية القديمة من أخطار وما كانوا يستهدفون له من هول وروع

٣ - واستغنى كذلك عن هذا المشهد المؤثر الذي توسل به ذريح للتأثير على قلب قيس الغض كي يطلق لبنى . . . مشهد قيامه في الظهيرة عاري الرأس والشمس تصب لهبها على يافوخه ، ومجيء قيس ليظلل أباه حتى يفيء الفيء ...

٤ - ومنظر وداع لبنى في قصة أبي الفرج ! هـذا المنظر الذي لا يكاد أن يضارعه مثيل في أدب أمة من الأمم ! اسمع إلى الأصفهاني حيث يقول : « فوقف ينظر إليهـا ويبكي حتى غابوا . فكر راجعاً ونظر إلى خف بعيرها ، فأكب عليه يقبله . ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ! فلما جن الليل ، وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار ، وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ... !! »

ولست أدري لماذا لم يسجل شاعرنا الكبير هذا المشهد الرائع في نهـاية الفصل الثالث ؟ لعلنا نوفق إلى كشف السر في المقال الباكي الذي سوف يتلو هذا الفصل

٥ - ولم يشأ الشاعر لمسرحيته أن تنتهي إلى مأساة ، ولذلك لم يأخذ في ختامها بأقوال الجمهرة من الرواة الذين قرروا أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد الطلاق ، وأنهما ماتا على هذا الفراق المر . والبعد الوبيل ، وأخذ بأقوال القلة التي لا يؤبه لها من الرواة الذين زعموا سعي ابن أبي عتيق والحسن والحسين ، أو ابن أبي عتيق وجاه الحسن والحسين لتطليق لبنى من كثير ، وردها على قيس . وهكذا آثر النهاية السعيدة التي تجبر ما انشعب من تلك القلوب الكسيرة وترد الأمنة إلى عيون المؤرقين ، على النهاية الباكية القاسية التي تفرق بينهم أبد الدهر . وللشاعر مطلق الحق في أن يتصرف هـذا التصرف ، وسنترك تعليل اختياره هذا إلى الفصل الباكي الذي سـوف يتلو هذا

الفصل كما ذكرنا من قبل ، والذى سوف نطالع فيه القراء على الأهوال النفسية التى يضطرب بها فؤاد شاعرنا العزيز فتؤزه أزاً ... هذا الفؤاد الذى أصبح فى ذاته ملحمة حزينة آسية ، مشرقة بالدمع ، من أروع ملاحم شعرنا الحديث ... ملحمة تحترب فيها الذكريات وتتضرم بالآلام والأوجاع

ولو قد أراد الشاعر أن تكون مسرحيته مأساة ، لأحببنا له أن يخلق من ضعف القصة الأصبهانية قوة ، وأن يثور فيها على التاريخ وعلى الرواة ثورة كاملة شاملة ... فقد أحب قيس لبنى ، وبادلته لبنى هـذا الحب الجارف الذى خالط قلبيهما وامتزج بدمائهما ، وربط بينهما الرباط المقدس الذى لا يعقل أن ينفصم على هذا النحو الزرى المضحك ، لأن ذريحا أراد له أن ينفصم ، ولأن ذريحا وزوجه أصرا على أن ينفصم ، بحجة أن قيساً قد آثر عليهما زوجه أولاً ، ولأن لبنى أنثى عقيم ثانياً ... فيظل قيس يخالف من أمرهما عاماً بأكمله ، إبقاء على زوجه التى لا يد لها فى هذا العقم ، ثم ينهزم هذا النبل كله فجأة ، وينهزم هذا الحب العارم الصارم كله فجأة ، وتنحل الأواصر المقدسة فجأة ، فيرسل قيس زوجه وحبيبة قلبه ومنية نفسه إرسالاً سهلاً هيناً ليناً ، لأنه لم يعد يحتمل أن يعذب أبوه المأفون نفسه ، ولم يعد يحتمل أن يرى تلك النار المشبوبة فى دار المجانين الذين يظلون عاماً طويلاً وأكثر من عام طويل يشاكسون زوجين سعيدين حبيبين ، وينغصون عليهما صفو الحياة ... لوددنا إذن لو أن شاعرنا قد ثار على التـــاريخ وعلى الرواة وعلى أبى الفرج ثورة كاملة شاملة ، فرفض قصة هذا الفراق وذاك الطلاق الذى أضحك الدنيا بأسرها على سذاجة قيس لبنى ، وأشمت به قيس ليلى ، وعرضه لزراية المحبين وازدرائهم فى عالم الإخلاص والوفاء

٦ — ولكن ماذا عسيت أن تكون ماجريات الحوادث لو ثار الشاعر هذه الثورة ؟ هنا يترك الأمر كله للعبقرية التى برهن الشاعر الكبير على أنه يدخر منها الشيء الكثير

٧ — ثم طلاق كثير للبنى ... هذا الطلاق الذى تم فى جلسة واحدة ما خطبه ؟ أبهذه السهولة يتم الطلاق في البيئة العربية المحافظة الصارمة ؟ ومتى طُلب إلى عربى ، بَـلْه المسلم ، أن يُعطى حرية التصرف فى أحد من أهله ... ولا سيما إن كانت الزوجة هى الغرض من إعطاء تلك الحرية ؟ ثم كيف تم تلك الخدعة التى لا يجيزها عرف ولا دين فى حضرة الحسن والحسين ، سِبْطَىْ رسول الله ، وسيدَىْ شباب أهل الجنة ؟ وإن فوجئنا بها مفاجأة ؟ !

ولكن هذه هى الرواية التى أثبتها أبو الفرج ، وأبو الفرج راوية ماهر يستعين على أذهاننا بإثارة مشاعرنا ، فلا يدعنا مستطيعين أن نسأل ما خطب كذا وما خطب كذا ... ولكنه يتركنا نتألم فى غير استنكار لهذه القلوب الرطبة التى أنهكها الحب ، وأنهكتها الرحمة للمحبين ... الرحمة التى لا تدع لسائل أن يسأل ، ولا لمستدرك أن يستدرك

***

وبعد ، فقد كانت قيس ولبنى نجاحاً كاملاً على مسرح الفرقة المصرية ، وقد تلفت الشعب فجأة فوجد آذانه تمتلئ ببيان عربى فصيح ، وشعر بدوى فيه جزالة وفيه فخامة وروعة ، وفيه موسيقا تلين عاصيه ، وتتدفق به فى القلوب مُيَسَّراً مفهوماً ... بل محفوظاً فى كثير من رقائقه ، مُحَبَّباً فى كثير من قوافيه ، مدهشاً فى كثير من كلماته التى تخيرها ذَوْق دقيق كأنه ذوق لآل ، أُغرم بالعربية الفصحى فوهبه الله سرها ، يجلو من غُرَرِها ودُرَرِها ما يشاء ...

لقد كانت قيس ولبنى ، برغم ما حاك فى القلب من قصة أبى الفرج ، قطعة من الحياة يختلط فيها جد الواقع بروعة الشعر ، وتدفق الحوار بهدوء النجوى ، وحرارة الحب بصلابة الواجب !

لقد كان فرحنا بها لا يعد له فرحنا بأية طرفة أدبية صدرت عن المطبعة المصرية هذا العام ... وكيف لا نفرح بها وقد صدرت بعد الدعوة الطويلة التي دعت إليها الرسالة ، من وجوب عناية الشعراء بالدرامة المنظومة التى آن الأوان لكي تسد فراغاً مخيفاً فى الأدب العربى ... وليس معنى هذا ، قبل أن يعقب علينا معقب ، أو أن يسيء تأويل كلامنا مسيء ... أن قيساً ولبنى كانت ثمرة لهذه الدعوة ، ولكنها كانت آية من آياتها ...

لقد سألت ناظمها الشاعر الجليل : ماذا أوحى إليك بنظم مسرحيتك ؟ فأجاب حفظه الله : لقد اقترحتها علىَّ زوجتى ... ظللها الله برحمته ورضاه !

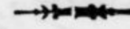
ولهذا حديث غير هذا الحديث ، ومقام غير ذاك المقام . وسوف أتحلل مما وعدت الأستاذ به من عدم التحدث عن هذه الأشياء ، لأنها من حق التاريخ والأدب لا من حقه .

دريني خشبة

بحث نفسي اجتماعي

لماذا لا تكون سعيداً ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو



كثيراً ما يتوق الناس إلى ما ليس فى متناول أيديهم ، لا لأنهم يريدون هذا الشىء بذاته ، ولو أنهم يظنون بأنهم سيكونون سعداء إذا حصلوا عليه ، ولكن لأن هناك شيئاً يفتقرون إليه فى تركيبهم العقلى والروحى

ومن أوهام الجنس البشرى أن يعتقد أن السعادة رهينة بشىء أو مكان أو زمن ؛ أو بأنه يمكن الاستحواذ عليها بالمال ، أو بأنها توجد فى جهة دون أخرى ، أو بأنها ستأتى حتما على أجنحة الزمان ، وكل أولئك - لعمر الحق - من بعض الترهات التى تعترى الناس فى طفولة التفكير

السعادة لا يمكن أن تشترى بمال لأنها حالة من حالات العقل — الحالة المستمدة من الداخل موجهة إلى الخارج — وستتبعك إلى كل مكان ، وفى كل وقت وفى كل حالة إذا أنت نظرت إلى الأشياء والحالات التى تحيط بك بعين مميزة فاحصة ، وعندئذ تعرف أن التمييز والتقدير هو الحب ، وأن الحب هو أن تكون سعيداً

وبعد ، فما الأشياء التى تجعلك سعيداً أو شقياً ؟ أنت اليوم تقول إنك سعيد لأن لديك ما كنت تريد . وبعد شهر ستكون شقياً وتود أن تحصل على شىء آخر ، وستكون سعيداً مرة أخرى عند ما يفىء أمامك أمل الحصول على رغبتك الجديدة ؛ وشقياً عند ما ينهار ما بنيت بسبب نكبة ما . والفقر الحقيقى أو الشقاء ليس فى أن تمتلك القليل بل هو فى أن تشتهى الكثير ، فلكى يكون المرء سعيداً عليه أن يكون قنوعاً فالقناعة كنز لا يفنى

السعادة التى تترجح من خيط واه إنما هى كرغبات محسوسة معرضة للسقوط والضياع . هذى السعادة مثلها فى الخداع كمثل السراب

الرغبة ، والطموح ، والتأميل فيما هو أحسن ، كل أولئك ضرورى للتقدم الإنسانى ولا سيما إذا فسرت كما يجب أن تفسر فهى مبعث السعادة . ولكنه التفسير الذى يخفف كفة الصواب أو كفة الخطأ فى الميزان . فإذا رغبنا فى شىء صائب يستحق الاهتمام وجدنا طريقة أو أخرى نحصل بها عليه ويمكننا أن نعيش فى الأمل سعداء . وعلى ذلك ، يجب علينا أن نذكر أن ليس هناك شىء مادى يستحق أن نزن كل سعادتنا به ؛ فإذا كانت رغباتك تهدر سعادتك ، فغربلها جيداً وانظر كم منها غير مجد ، ورض نفسك على أن تقذف به بعيداً

لا تكن متتبعاً لأولئك الأغرار الواهمين لأنه ينقصهم العقل ، إنهم يرون قشور الأشياء لا لبابها ، والشىء الذى يعوزهم هو القدرة على التغلغل فى أعماق الأشياء ، أى التفرس والتبصر والاستشفاف

إن المغنطيس الكهربى يجذب الحديد عند ما يسرى التيار فى وحداته ، كذلك تجذب الشخصية السعادة عند ما يتدفق تيار عقل ثاقب فى شعوره الداخلى . ربما يكون المرء محبوباً من شخص ومكروهاً من آخر ، والاتجاهات العكسية ما هى إلا محض رد فعل لفكرة فردية تتبعها مقارنة للشخص المعين طبقاً للفكر والمقاييس المعينة لرجل بعينه . والمرء يحتمل أن يكون فى الحقيقة غير مستحق حب أحد له أو كراهية أحد ؛ أو ربما يستأهل حب كل منهما . ولكن شعورهما المحدود يمنعهما رؤية الحقيقة كاملة واضحة .

وهكذا يواجه الناس الحياة . وغالباً ما تكون التأويلات الشخصية هى التى ترق بالعقول التى لا تتسع لإدراك الأشياء إدراكاً شاملاً ، وبغير ذلك يضيع الكثير من الجمال والسعادة . فإذا أمكن الفرد أن يرى السعادة فى شىء فلِمَ لا يمكن أن يراها الجميع ؟ ألم يكن الفرق غالباً فى عقل الفرد ؟

أنت لا يمكنك أن تكون سعيداً لأن عندك ما عندك ، ولكن لأنك تحب ما عندك . وقوة الحب والكراهية كامنة فى نفسك ، واتجاهك الفردى نحو شىء وصلتك الشخصية به هى التى يعتقد بها

ربما تكون هنا ، أو هنالك ، أو فى أى مكان ، فإذا أضاء

في دنيا الأحلام

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا أومن بالأحلام ولا أعيرها اهتماماً جدياً، لأني أعتبر أكثرها ناتجاً عن عوامل الغريزة المكبوتة والعقل الباطن، غير أني أقف حائراً أمام بعض الأحلام التي حلمتها وأصبحت بعد قليل حقيقة راهنة لا أحلاماً طارئة لا تتجاوز مخيلة النائم ولا تعدو فراشه

وكم تساءلت: أهي المصادفة تقضي بصحة بعض الأحلام أم هو الإلهام؟ ولكن ما هي المصادفة وما هو الإلهام؟ وكيف أعلل حدوثهما؟ لا أدري

وكل ما أدري أني رأيت أربعة أحلام صح ثلاثة منها والرابع ما يزال غامضاً؛ وأرجح أنه سيظل غامضاً إلى ما شاء الله

حلمت وأنا في عهد التلمذة أن المفتاح الذي كنت قد أضعته وكان يهمني أمره كثيراً مطمور في التراب قرب شجرة قديمة المهد في قلب الملعب الشرقي في مدرسة الحكمة. وكنت قد فتشت عنه في كل مكان هناك دون جدوى، ثم وجدته في المكان نفسه الذي هداني إليه الحلم

أما الحلم الثاني فهو: كنت ذات ليلة جالساً في داري أطالع إحدى الصحف اليومية فجاءني ولد لا يتجاوز الثالثة من عمره وضرب الجريدة التي في يدي وطرحها أرضاً. ثم أخذ يداعبني مقهقهاً ويلاعبني راكضاً من كرسي إلى كرسي، ومن ناحية إلى ناحية. والغريب في الأمر أني حلمت أن هذا الولد هو ولدي مع أني ما كنت أباً في ذلك الحين ولا متزوجاً

وبعد سنوات صح هذا الحلم بحذافيره، إذ كنت صباح يوم جالساً في المكان نفسه أطالع بعض الجرائد، فخرج ولدي من غرفته وهو دون الثالثة من عمره وتقدم نحوي وضرب الجريدة وأوقعها من يدي. ثم شرع يلاعبني ويركض مقهقهاً من مكان إلى مكان. وكان في لباسه وكامل هيئته يشبه تمام الشبه الولد الذي عاينته في الحلم

أليس من الغريب المدهش أن يشاهد المرء ولده في الحلم قبل

قلبك وسما عقلك ستشعر بالسعادة تغمر نفسك. أما إذا فكرت بأنك عُوملت بإجحاف، أو إذا ظننت أنه لا يمكنك الحصول على ما ترغب، أو إذا لم يبدُ لك الجو جميلاً، فلا يمكن أن تملك إلا الحزن

عند ما تمطر السماء ويكفهر الجو وتتلبد السحب بالغيوم يشعر الكثيرون بالتعاسة إذ يقولون (أين هي الشمس؟ يا له من يوم عبوس!) ويفهم آخرون — وهم أسمى روحاً — أن هناك وراء تلك السحابة المليئة بالمياه المتدفقة شمساً لا تزال تشع. أليس من الخرق أن يُخدع بمثل نقاب رفيع كهذا أناس عقلاء ذوو حس؟ ومع ذلك فالحد الذي يفصل بين الفرح والحزن دقيق كما أنه خداع؛ مبهم لمن يميلون للظاهر، وواضح لمن أوتوا الإيمان والذكاء فيرون الحق من خلالها

إذا كان حب شخص هو ما تظن أنه سيجعلك سعيداً فلا تعتمد على ذلك الحب. أحبب بقوة ما استطعت ولكن لا تطلب الحب إن لم تر هناك استجابة. الحب الصادق القوي هو المثل الأعلى، ولكن إذا كان هناك تفاوت كبير في الطبع وأنت نفسك الشخص الذي لا يميل إلى التبادل فيحسن بك كثيراً أن تنقل انتباهك — مع إرادتك — إلى شخص آخر أكثر تلبية

والحب في صدق وإخلاص ورزانة يمكن أن نطلق عليه بسهولة مسألة انتباه Attention. انقل انتباهك، فينتقل حبك. وأنت لا تحب كل الملايين من الناس المحبوبين لأنك لا تعيرهم انتباهك، ولأنك لا تعرفهم معرفة ألفة، ولذلك لا يمكنك أن تفهم حياتهم. سيأتيك الحب بأخذك الاتجاه الإيجابي نحو الشخص الذي تحب واهباً لا سائلاً، معطياً خطتك الحكيمة الاعتبار والانتباه الضروريين ...

ثم إن التعاسة ناشئة معظمها عن أننا نتصور غيرنا أسعد حالاً منا، وعن أننا نريد أن نكون دائماً أسعد من سوانا ...

والشخص إذا أضاع كل شيء فعليه ألا يفقد الأمل وحب العمل. فالعمل المنتج يرفع القلب ويعلي الفكر ويشرف الشعور ويؤله النفس. وهل هناك سعادة فيما عدا ذلك أو في شيء غير ذلك؟

عبد العزيز جادر

دبلوم علم النفس وعضو نادي المتكلمين بإنجلترا

مجيئه إلى العالم ؟ أإتفاقاً كان ذلك أم وحياً أم ماذا ؟

أما الحلم الثالث فهو : حلمت منذ أعوام أن أحد الأنسباء وهو شاب في ريق العمر ونشاطه قد قضى نحبه في أحد المستشفيات ؛ وبعد أيام قليلة جاءني رسول يبلغني خبر وفاته في المستشفى نفسه الذي حلمته ممدداً فيه على فراش الموت

وأغرب من ذلك أن الشاب كان يتمتع بصحة يحسد عليها فلم يدر بخلدي أدنى خوف على حياته . ولم يكن لدى من داع لحدوث هذا الحلم الذي أوحى إلىّ بموته

أنا لا أدعى معرفة الغيب ولا ما يخبئه المستقبل في طياته ، ولست من مدّعي النبوة ، أنا رجل من طلاب الأدب والعلم لا من طلاب المعجزات والخوارق . لكني لا أنكر وجود قوة في الإنسان تستبق معرفة الحوادث . هذه القوة ما تزال مستترة على العلم لم يسبر غورها بعد ولم يتح له تحديدها

فكم مرة يفكر المرء في أحد أصدقائه ولا يلبث حتى يراهم أمامه . وكم مرة يتخيل أمراً فيتحقق لساعته ، وقد قيل : « اذكر الذيب ، وهيىء له القضيب »

أما الحلم الرابع فهو على جانب عظيم من الغرابة ، لا يمتّ بصلة إلى الشهوات المكبوتة التي يقال إنها تستيقظ في العقل الباطن في خلال النوم ، ولا يتعلق أيضاً بموت أو ولادة أو كسب أو خسارة أو ما شاكل ذلك مما يكثر حدوثه بين الأحياء فيعلق بمخيلاتهم ويشغل أذهانهم ، فيأتيهم في الحلم

لا أزال أذكر أنني ليلة الحلم أويت إلى مخدعي قبيل منتصف الليل ، وبقيت أتقلّب على فراشي إلى ما بعد الساعة الثانية دون أن يغمض لي جفن من تكاثر قصف الرعود وتواصل هدير الزوابع والأمطار ، لأن الليلة كانت هائلة من أروع ليالي الشتاء برقاً ورعداً ومن أشدها برداً وزمهريراً

لم يتملكني النعاس إلا في الهزيع الأخير من الليل ولم أكد أستسلم إلى سلطان الكرى حتى نزل عليّ هذا الحلم ، فشعرت ساعة نزوله كأنني لست بالنائم ولا بالمستيقظ بل بينهما ، وما بينهما سوى عالم الرؤى — عالم الأنبياء والأولياء — ولا شأن لي في هذا العالم

حلمت أن صديقاً لي توفاه الله منذ عدة سنوات هبط مخدعي وانتصب أمامي قائلاً : أنتم معاشر الأحياء تعتقدون أن المرء الذي تغادره الحياة تغادره المعرفة ويبرحه الشعور ، فتنقطع كل صلة له بكم وبمالكم ، فيعود لا يدرى ما يحدث بأوساطكم ولا يشعر بأعمالكم ولا بسرائكم وضرائكم ؛ وهذا خطأ فاضح ، فالميت لا يفقد غير الحركة والنطق اللذين كان بهما يظهر لكم معرفته وشعوره ، ولا يعني فقدانهما فقدان المعرفة والشعور ، بل فقدان الواسطة التي كان بها يتصل بكم

أجل ليس لدى الأموات ألسنة تتكلم ولا أجسام تتحرك لتعرب لكم عن معرفتها وإدراكها وشعورها بل هم بقوة الحياة الكلية — وقد أصبحوا جزءاً منها — غدوا أقوى منكم معرفة وأسمى إدراكاً وأشد شعوراً

كنت في الحياة الدنيا أعدّ نفسي ويعدّني الناس من فطاحل العلماء ، ومن أعاظم الدهاة الذين لا تخفى عليهم خافية ، وبعد الموت تبينت جهلي وجهل الناس تقدير إدراكي ومعارفي

فأنا الذي كنت أحسب عالماً لم أكن إلا على يسير من العلم ، وأنا الذي كنت أُعَدّ مدركاً لم أكن إلا على ذرة من الإدراك لأنني لم أعرف من شجرة الحياة طيلة حياتي إلا قشورها

كنت على جانب عظيم من الجهل لأنني لم أتمكن في الحياة من معرفة أقرب المقرّبين إلىّ ، الذين كنت أساكنهم أو كانت تربطني بهم صلة من الصلات . أما اليوم فقد حرّرني الموت من الجهل ، فغدت علومكم التي كنت أتبجّح بمعرفتها بمثابة ألاعيب صبيانية أمامي ، وصارت دنياكم الحافلة بالرموز والأسرار والأحاجي مضيئة عن ظهر قلبي ، وبواطنكم المستترة التي لم أدرك كنهها في الحياة أصبحت اليوم واضحة حيال ذهني وضوح شمس الظهيرة

لقد كنت مخدوعاً حقاً في كثير من الأمور . مخدوعاً في معرفتي لنفسي ومعرفتي للناس . فجاءني الموت يعرفني بنفسي مبيناً لي مقدار قصورها وعجزها في المعرفة خلال الحياة . ويعرفني بالناس كما هم لا كما كنت أتوهم معرفتهم . لأنه أظهر لي ما تكنه طبائعهم من خفايا الغرائز والنزعات التي كانت غامضة عليّ كل الغموض

لقد كنت مخدوعاً بالمظاهر الخارجية إلى أقصى حد. فكم رجل كنت أحسبه صديقاً فكان عدواً. وكم إنسان كنت أعدّه مخلصاً فكان مخاتلاً. وكم رجل دين كنت أعتبره جم الفضائل فكان جمّ الرذائل. وكم امرأة كنت أعتقد بها الطهر والورع فكانت على غير ذلك

أما الآن فقد تجاوزت عالم الغش والخداع والتمويه إلى عالم الحقائق فأصبحت أرى كل شيء واضحاً جلياً. إنى أطل عليكم من كوة هـذا العالم – عالم الحياة الكلية وأرقبكم من نوافذها المشمة فى دخائل أذهانكم وقلوبكم: وأتفقد أعمالكم وكل ما يصدر عنكم من خير أو شر. وإنى لعالم بكل ما تظهرون وما تكتمون

ولست وحدى أعلم ذلك بل يعلمه مثلى كل من حرره الموت من قيود دنياكم وأصبح متحداً بالحياة الكلية التى تسبغ عليه نعمة المعرفة الكاملة

فالأموات يرونكم دائماً وأنتم لا تشعرون برؤيتهم إياكم، ويتفقدونكم دائماً وأنتم لا تعلمون بتفقدهم لكم، لأنهم أصبحوا أرق منكم معرفة وأسمى روحاً وأنفذ بصيرة

فكم من رجال حولى يتطلعون إلى دنياكم ويرقبون فيها أبناءهم وأحفادهم ويرون ما آلوا إليه من الضنك والفقر على الرغم من كثرة ما أورثوهم من مال وعقار. فهم يشاهدون أموالهم التى اكتسبوها بعرق الجبين وادخروها لأبنائهم كيف تتبدد فى الحانات والمواخير وأندية الميسر والخلاعة، ويأسفون لضياعها فى بؤرة الفساد ويتألمون لأنهم لم يعملوا بها عملاً مفيداً للجنس البشرى بدلاً من توريثها لمن لا يستحقها

أما دنياكم هى دنيا الحروب والمطامع – دنيا الرياء والأباطيل – دنيا الأخطاء والفواحش – دنيا الخوف والجهل والضعف. ولهذا نحن نشفق عليكم بالرغم من كثرة شذوذكم وتهربكم على الأخص من معرفة الحقيقة – حقيقة نفوسكم وحقيقة غرائزكم. كأن الحقيقة هى غول دنياكم تخشونها كما تخشون الموت، والحقيقة وحدها هى رجاؤكم العتيد. نخير لكم أن تظهروا على هلاتكم بدلاً من أن تتقنعوا بأقنعة الغش وتتستروا بها، فهى لا تستركم عن وجه الحق، فالأقنعة فانية والحقائق باقية.

انتهى الحلم فاستيقظت فور انتهائه وأنا أردد عبارته الأخيرة. فقلت فى نفسى هل الأقنعة الفانية هى أجسامنا التى نتعارف بها فى هذا الكون، والحقائق الباقية هى جوهر الحياة الذى لا يدركه الفناء. ثم عكفت على نفسى أسألها: كيف جاءنى هذا الحلم؟ وهل يحلم المرء بما لا يدركه وما لا يقع تحت حواسه؟

ألا تبلغ المخيلة شأواً لا تبلغه الحواس ولا يصل إليه الإدراك؟ أليس للدين الذى يلقن الإيمان بالحياة الأخرى ضلع أيضاً فى هذا الحـلم المرتكز على الإقرار الصريح ببقاء الحياة بعد الموت؟

أليس لمعضلات الحياة الدنيا ومشاكلها أو بالأحرى، أليس لتعطشي لمعرفة أسرارها وحل رموزها وأحاجيها يد فى إلهام هذا الحلم الذى يملنى بكمال المعرفة بعد الموت ويشبع رغباتى وتمنياتى ولو فى العالم الآخر بالوصول إلى ذروة الإدراك: إدراك حقائق الحياة وخفايا الكائنات؟

(بيروت) توفيق حسن الشرتونى

٣ـ الألغاز فى الأدب العربى

للأستاذ محمود عزت عرفة

ألغاز الفقهاء والنحويين

(١) كان الفقه الإسلامى فى نموه، وانشعاب فروعه من أصوله، أشبه شىء بالدوحة العظيمة أنشبت فى الأرض جذورها ثم تطاولت إلى السماء بهيكلها، وأرسلت أفنانها مكتسيات بالورق النضر فى كل متجه فلم تدع تحتها مكاناً ضاحياً أو موضعاً غير ظليل

وفى العصر العباسى وما تلاه من عصور التدوين والتصنيف توسع الفقهاء فى دراسة الفروع توسعاً لم يتركوا معه شاردة ولا واردة إلا أثبتوها؛ وراحوا يفتنُّون فى افتراض مواطن الشبه، ثم الإفتاء فيها بما يزيل لبسها، افتناناً ولجوا به باباً من التكلف والصنعة لم يحمد الكثيرون لهم مغبته لما قد صرفهم إليه من الحفول بالتوافه واستنفاد قوى التفكير فيما لا تعظم جدواه أو ينفع كثيراً علمُه

وقد أشرنا فيما قبل إلى ذيوع ما أسموه فتيا فقيه العرب؛ ونذكر هنا أن جلة العلماء ورؤساء المذاهب منذ القرن الثانى لم يسلوا فى مجالسهم وحلقات دروسهم ممن يتعرض لهم بأسئلة يرمى بها إلى تعجيزهم، ويذهب فيها مذهب التعمية والإلغاز على نهج فتاوى فقيه العرب

ولم يكن بد لهؤلاء الأئمة من أن يجيبوا وإن صرفهم ذلك لحظة أو لحظات عما هم بسبيله من البحث الجدى والتحقيق المفيد

قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى — المتوفى سنة ٦٠٦هـ — فى كتابه مناقب الإمام الشافعى: اعلم أنه نقل أن الشافعى سألوه فى بعض المسائل بألفاظ غريبة، فأجاب عنها فى الحال بألفاظ غريبة ونحن نذكر بعضها. أحدها: قيل له: كم قُرء أم فلاح؟ فأجاب على البديهة: من ابن ذكاء إلى أم شملة. والمراد بالقرء الوقت، وأم فلاح الفجر وهو كنية الصلاة. والسؤال واقع عن مدة وقت صلاة الفجر؛ وقول الشافعى رضى الله عنه من ابن ذكاء أى من وقت الصبح وهو كنيته، إلى أم شملة وهى كنية الشمس أى إلى طلوع الشمس ... وسئل: هل تسمع شهادة الخالق؟ قال: لا ولا روايته. والخالق الكاذب قال تعالى: « إن هذا إلا خلق الأولين » وأورد الفخر الرازى أمثلة أخرى، ثم ختم بقوله: فلنكتف بهذا القدر، إذ لا يمدح الشافعى بمثله!

(ب) وقريب من ألغاز الفقهاء وفتاويهم - وإنهن لكثر - ألغاز أئمة اللغة

على أن هؤلاء لم يكتفوا بابتداع الألغاز ابتداعاً، أو جمع ما قيل منها مقصوداً به التعمية حقيقة، وإنما أضافوا إلى ذلك أشياء من كلام العرب فطنوا إلى إمكان إيجاد التعمية فيها، وإن لم يقصد قائلوها ذلك. وأكثر هذا أبيات من الشعر القديم[1] « لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن يكون ألغازاً. وهى نوعان: فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب ».

ويسمى القسم الأول أبيات المعانى، ومن أقدم أمثلتها قول الشاعر — يصف عقاباً صعد إلى موضع وكرها فى يوم عاصف الريح:

ومحجوبة أزعجتها عن فراشها ... تحامى الحوامى دونها والمناكب
وخفاقة الأعطاف بانت معانق ... تجاذبنى عن مئزرى وأجاذب

ومن جياد أبيات المعانى فى شعر المتأخرين قول النواسى يصف الكرم:

لنا هجمةٌ لا يدَّرى الذئب سخلها ... ولا راعها غضُّ الفِحالة والحظرْ
إذا اختبرت ألوانها مال صفوُها ... إلى الحوِّ إلا أن أوبارها خُضر

وقوله من قصيدة يمدح فيها الفضل بن يحيى:

إليك أبا العباس من بين من مشى ... عليها امتطينا الحضرمىَّ الملسَّنا
قلائصُ لم تعرفْ حنيناً على طَلى ... ولم تدْرِ ما قرعُ الفنيق ولا الهِنا

قال ابن رشيق: « فذكر أن قلائصهم التى امتطوها إليه

(١) السيوطى فى المزهر ج ١ ص ٣٣٨

نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج اللغز ، واتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتى تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مقودها

ومن أبيات المعانى قول شاعر يصف أيام الزمان ولياليه (وهى الأسبوع) :

سبعُ رواحلُ ما ينخْنَ من الونا
شيمٌ تُساق بسبعة زُهُر
متواصلات لا الدؤوبُ يملُّها باقٍ تعاقبها على الدهر

ولابن إسحق الجرمى (توفى ٢٢٥هـ) فى دودة القز :

وبنات جيب ما انتفعت بعيشها وودتُّها فنفعْنَنى بقبور
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها قرن الكباش إلى جناح طيور

وقال صرّدر ملغزاً بجرة (توفى عام ٤٦٥هـ) :

ذاتُ أيدٍ ثلاثة أبدَ الدهـ ـرِ ترى فوق رأسها أيديها
شربتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيك مثل ما تسقيها
خَرِتُ آذانها مَغابنُ أيديـ ـها وبافوخها مقرٌّ لفيها

ولابن الخشاب يُلغز فى كتاب (توفى فى سنة ٥٦٧هـ) :

وذى أوجه لكنه غير بائح بسر ، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

وقال شاعر يلغز فى (الإبرة) :

سعت ذات سَمٍّ فى قميصى فغادرت
به أثراً ، والله يشفى من السمّ !
كست قيصراً ثوب الجمال وتبّعاً
وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وللحاتمى فى الباب (توفى عام ٣٨٨هـ) :

عجبت لمحرومين من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الفجر يفترقان

ألغاز فى اللفظ والتركيب والإعراب

مرت بنا أمثلة مختلفة لأبيات المعانى قديمها ومحدثها … أما الضرب الثانى من ضروب الألغاز وهو ما يستعان فيه بالإغراب فى « اللفظ أو التركيب والإعراب » فذلك ما تتضاءل جودته أمام النوع الأول ويصغر قدره دونه

وإن أثر التكلف والصنعة ليظهر فيه ظهوراً لم تعرفه العربية فى عصورها المتقدمة . وهو لا يعدو أن يكون - فى أكثر أمره - تمويهاً لفظياً سهل الإدراك قليل العمق ، لا يصعب على السامع فهمه ، ولا على المنشئ إيراد مثله

ومن أقدم نماذجه التى تلمسها اللغويون فى شعر الأوائل . قول الفرزدق :

يفلِّقنَ هاماً لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

قال ثعلب : ها حرف تنبيه ومَن استفهام . قال مستفهماً : من لم تنله سيوفنا ؟ وتقدير البيت : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم . قلت : فيكتب البيت هكذا :

يفلقن « ها ، من لم تنله سيوفنا ؟ »
بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقم

وقال آخر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا بردِّيه تصادفيه سخينا

قال السيوطى : جوابه أن الأصل « بل رديه » ثم كتب على لفظ الإلغاز

ومن ذلك قول الآخر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلاً أدع القتال وأشهد الهيجاء

قال : يقال أين جواب لما ؟ وبم انتصب « أدع » ؟ ثم أوضحه بما خلاصته أن يكتب البيت هكذا . لن - ما رأيت أبا يزيد مقاتلا - أدعَ … الخ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

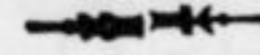
معنى البيت : أقول لعبد الله - لما سقاؤنا وهى أى ضعف ونحن بهذا الوادى - شِمْ ، أى شم البرق عسى يعقبه المطر …

ونلاحظ أن هذا الضرب الأخير من الألغاز اللفظية اتى أنصاره والمتشيعين له منذ القرن الخامس الهجرى فما بعده ؛ وراج على ألسنة النظامين والسجاعين ممن آثروا جانب اللفظ على جانب المعنى ، وأنفقوا مجهودهم فى المحسنات البديعية والحلى اللفظية يرصعون بها صفحات منثورهم ومنظومهم . وكأنما الضرب الأول من أبيات المعانى قد ذهب بذهاب المطبوعين من أدباء اللغة ، وذوى القرائح المبتكرة فيها . وبقى هذا الضرب الأخير من التلاعب بالألفاظ يتمم الصورة الباهتة لحالة الأدب فى عصور

القضايا الكبرى فى الإسلام

٥ - قتل حجر بن عدى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



هـذه القضية من أكبر القضايا الإسلامية ، وقد قام المسلمون وقعدوا لها ، وعدوها على معاوية بن أبى سفيان فى أربع عدوها عليه . روى ابن الجوزى بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كُنّ فى معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، وهى أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حُجْر بن عَدِىّ ، فياويلاً له من حجر وأصحاب حجر

وهذا إلى ما بلغه عدد الشهود فى هذه القضية ، فقد بلغوا فيها سبعين شاهداً ، ولم نصل إلينا قضية إسلامية بلغ الشهود فيها مثل هذا العدد ، وكل هذا يدل على ما لهذه القضية من الشأن فى الإسلام ، وسنقوم بدرسها غير متأثرين فيها إلا بما يقضى به الشرع ، لأن حكمه فوق كل شخص ، ويجب أن يكون نافذاً فى الناس كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ورفيعهم ووضيعهم

كان حجر بن عدى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد القادسية فى خلافة عمر ، وشهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب عليًّا ، فكان من شيعته ، وكان من أعظم الناس ديناً وصلاة وعلماً ، ولكنه كان مغالياً فى تشيعه ، حتى إنه لم يسترح لما استراح له الناس جميعهم من تسليم الحسن بن على لمعاوية ابن أبى سفيان . واجتماع كلمة المسلمين بعد ذلك الخلاف الذى كاد يقضى عليهم

وقد تم ذلك الصلح سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، فاستعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وأوصاه فيما زعم المؤرخون ألا يترك شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب على والإقصاء لهم ، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شىء سيرة ، ولكنه كان لا يدع شتم على والوقوع

انحطاطه ، وهو كما قلنا أيسر تأليفاً وأقل عمقاً من سابقه . ومن أمثلته المتأخرة قول ابن نباتة ملغزاً فى « القطائف » :

أحاجيك ، ما حلو اللسان وإنه ... لأبكم إذ تعزى إليه المعارف

يُرى جالساً فى الصدر ما كان كاملاً ... فإن نقصوه فهو فى الخَلْقِ « طائف »

وللشريف فتح الدين القنائى يلغز فى « كمُّون » :

يأيها العطار أعرِبْ لنا ... عن اسم شىء قل فى سومك

تبصره بالعـين فى يقظة ... كما يرى بـ« القلب » فى « نومك »

وذلك أن مقلوب أحرف « نومك » هو « كون » ...

وقال صلاح الدين الصفدى ملغزاً فى « الفيل » :

أيما اسم تركيبه من ثلاث ... وهو ذو أربع ، تعالى الإلٰه !

حيوان و « القلب » منه نباتٌ ... لم يكن عند جوعه يرعاه

« فيك » تصحيفه ، ولكن إذا ما ... رمت عكساً يكون « فى » ثلثاه

وقال آخر ملغزاً فى « بلبل » :

وما طائر نصـفُـه كله ... له فى ذرى الدوح سير ولبث

رأينا ثلاثة أرباعـه ... إذا صحفوها غدت وهى « ثلث »

وكانوا ربما يهوى أحدهم إلى درك من السخف بعيد فيقول :

يا من له الطول فى المعالى ... وبالمعانى لنا يبصِّرْ

إنى كما قلت فى سؤالى ... ماشل قولى : نعم مقصِّر !

و « نعم مقصر » يرادفها « إى وَان » ؛ فذلك لغز فى « إيوان » بعث به على بن الحسين الموصلى إلى صديقه ومعاصره صلاح الدين الصفدى

وقريب منه قول شهاب الدين بن حجر ملغزاً فى « صهباء » :

يا فاضلاً هو فى الأحا ... جى ليس يخلو من ولع

ما مثل قولك للذى ... يبكى الحبيب : « اسكتْ رجَع ! »

(يتبع) محمود عزت عرفة

فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فإذا سمع ذلك حجر بن عدى قال : بل إياكم ذم الله ولعن ، ثم قام وقال : أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذم ؛ فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته . فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه ويصفح ، فلما كان آخر إمارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله ؛ فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد ، وقال له : مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك . فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون : صدق حجر وبرَّ ، مُرْ لنا بأرزاقنا ، فإن ما أنت فيه لا يجدى علينا نفعاً . وأكثروا من هذا القول وأمثاله ، فنزل المغيرة ودخل عليه قومه فقالوا : علام تترك هذا الرجل يجترىء عليك فى سلطانك ؟ فقال لهم : إنى قد قتلته ، سيأتى من بعدى أمير يحسبه مثلى ، فيصنع به ما ترونه يصنع بى ، فيأخذه ويقتله

ثم توفى المغيرة فضم معاوية الكوفة إلى زياد بن أبى سفيان ، فقدم إليها من البصرة ، ثم قام فى الناس فخطبهم ، وترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ، ولعن قاتليه ، ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، فبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث ، فشخص إلى الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه - وحجر جالس - ثم قال : أما بعد فإن غِبَّ البغي والغى وخيم ، إن هؤلاء جَمُّوا فأَشِروا ، وأمنونى فاجترؤا علىَّ ، والله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ولست بشىء إن لم أمنع الكوفة من حجر ، وأدعه نكالا لمن بعده

ثم أرسل إلى حجر يدعوه وهو بالمسجد ، فقال له أصحابه لا تأته ولا كرامة ، فرجع الرسول فأخبر زياداً بذلك ، فأمر صاحب شرطته أن يبعث إليه جماعة ، ففعل فسبهم أصحاب حجر ، فجمع زياد أهل الكوفة وقال لهم أتشجُّونَ بيد وتأسون بأخرى ، أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الأحمق ، هذا والله من دحسكم ، والله لتظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أوَدَكم وصعرَكم . فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك . فقال لهم : فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ، ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه ، ثم بعث زياد صاحب شرطته إلى حجر وأمره أن يشد عليه وعلى أصحابه بالسيوف إن لم يتبعوه ، فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من إجابته ، وحصل بين الفريقين قتال لجأ بعده حجر إلى داره ، ثم انتقل منها إلى دور بعض أهل الكوفة يحتمى بها ، ولما ضاق عليه الأمر أرسل إلى محمد ابن الأشعث الكندى ليأخذ له من زياد أماناً حتى يبعث به إلى معاوية ، فجمع محمد جماعة ودخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم ، فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ، حرب فى أيام الحرب ، وحرب وقد سالم الناس ، على أهلها تجنى براقش . فقال حجر : ما خلعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لعلى بيعتى . فقال زياد : هيهات هيهات يا حجر ، تَشُجُّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكن الله منك أن ترضى ، كلا والله . فقال حجر : ألم تؤمنى حتى آتى معاوية فيرى فىَّ رأيه ؟ فقال زياد : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن

ثم بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع منهم اثنى عشر رجلا فى السجن ، ودعا رؤساء الأرباع وهم عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة وقيس بن الوليد وأبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى ، وقال لهم : اشهدوا على حجر بما رأيتم منه ، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب ، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره

وقد نظر زياد فى شهادتهم فقال : ما أظن هذه الشهادة قاطعة ، وإنى لأحب أن تكون الشهود أكثر من أربعة . فكتب أبو بردة شهادة غيرها قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين ، شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرةً

صلماء[1] . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق . فشهد عليها سبعون شاهداً من وجوه أهل الكوفة

ثم بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية ومعهم هذه الشهادة ، فحبسهم بمرج عذراء ، وكتب إلى زياد : أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه ، وشهادة من قِبَلَكَ عليهم ، فنظرت فى ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام

فكتب إليه زياد : أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك فى حجر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردنّ حجراً وأصحابه إلىّ

فلما قرأ معاوية كتابه أمر بقتل حجر وسبعة من أصحابه ، وعفا عمن بقى منهم بشفاعة بعض أصحابه من قومهم ، وكان مالك بن هبيرة السكونى قد قال لمعاوية : يا أمير المؤمنين دع لى ابن عمى حجرا . فقال له معاوية : إن ابن عمك حجرا رأس القوم ، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد على مصرى ، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فلما قتل معاوية حجرا اعتزل مالك معاوية فى منزله ، فأرسل إليه معاوية أن يأتيه فأبى ، فبعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك فى ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى ، وإن حجر بن عدى لو قد بقى خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر . فقبلها وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده فى جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه

ولكن كثيراً من الناس لم يقبلوا هذا العذر من معاوية فى قتل حجر وأصحابه ، وأنكروا عليه هذا الحكم إنكاراً شديداً ، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لو لا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيَّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان ما علمت إلا لمسلماً حجّاجاً معتمراً . وقد رثته هند بنت زيد الأنصارية وكانت تَشَيَّعُ فقالت فى رثائه :

ترفع أيها القمر المنير تَبَصَّر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
تجَبَّرتْ الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحركما نحر البعير
فإن يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير

والذين لا يعذرون معاوية فى قتل حجر يرون أن ما حصل منه لا يحل به سفك دمه ، لأن دم المسلم حرام ما لم يرتد عن دينه أو يسفك دم غيره ، وقد حملوا فى ذلك آية الحرابة على خلاف ظاهرها ، وهى قوله تعالى فى الآية — ٣٣ — من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) فذهبوا إلى أن أوفى هذه الآية للتفصيل لا للتخيير ، وعلى هذا يكون جزاء أولئك المحاربين أن يقتلوا إذا قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من الأرض إذا أخافوا الناس ولم يأخذوا مالاً ولم يقتلوا

ولا شك أن هذا كله خلاف ظاهر الآية ، ولهذا ذهب كثير من السلف إلى أن أوفيها للتخيير لا للتفصيل ، فيكون ولى الأمر مخيراً فى هذه العقوبات يجتهد فيها على ما تقتضيه مصلحة الدولة ، ولا يتقيد فيها بتلك القيود السابقة ، وقد أخذ معاوية بهذا فى حكمه على حجر ، ورأى أنه أمام فتنة إذا لم يأخذ فيها بأقصى العقوبة استطار شرها ، ويكون فى ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر وأصحابه ، وقد كان له أن يأخذ فى ذلك بأخف هذه العقوبات وهو النفى من الأرض ، ولكنه استعمل فيه حقاً أباحه له الله تعالى ، وله فى ذلك اجتهاده الذى يعذر فيه ولو كان خطأ ، ولو أنه استعمل فى ذلك أخف هذه العقوبات لكان أولى وأحسن

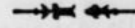
وكان على حجر وأصحابه أن يتعظوا بتلك الفتن التى ذهبت فيها دماء من لا يحصى من المسلمين ، وقتل فيها خليفتان من الخلفاء الراشدين ، وأن يسعهم فى ذلك ما وسع من كان أعلى منهم مقاماً ، وأعظم شأناً ، وأقوى كلمة ، من كبار المهاجرين

(١) يرى فى هذا أن الخروج على الامام والجماعة كفراً

على هامش النقد

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان



يأبى شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير « ا . ع » ، ويأبى الذين يناخون عنهم من الشيوخ أن يقروا هذه الحملة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا . ع » يأبى ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة شاعر بعينه أو تجريحه

وللأستاذ فى ذلك رأيه ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من شعره - لعلها من أحسن بضاعته - ثم يسأله رأيه فى هذا الطراز من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ رأيت - وأنا ممن يضيقون بهذا الشعر الجديد - أن أكفيه الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأى فى هذا الشعر

أما هذه القصيدة فهى « أين الطريق » ، وصاحبها هو الشاعر الشاب الأستاذ على شرف الدين

— ١ —

وقبل أن نناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أهى من الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجاً ننتهى من دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بعبارة أخرى هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هى من القديم فى وحدة موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة فى هذا الشعر الجديد تدور حول موضوع مؤتلف تتسلسل أفكارها وتتواكب معانيها لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة - من هذا الشعر - فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط من التشبيهات والاستعارات المتسفة والأخيلة البعيدة حتى لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهى من القصيدة ، التى قد تبلغ المائة من الأبيات - وما ظفرت منها بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً .

أما قصيدتنا فهى إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم من عنوانها (أين الطريق) ما فى نفس الشاعر من حيرة . يبدؤها بيأس من الحياة جرّه عليه احترافه الأدب ، ثم يمضى فى وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه ومات شعوره فما يحس فرحا أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه فيشكو إليهما أساه وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم أن يتكلموا وقد سكت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم فى ذلك الأمر ، ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق فى ثورتهم للعن على رضى الله عنه ، ولكن حقهم فى ذلك يضيع بما كانوا يذهبون إليه من لعن عثمان ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن الحمق الذى كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ، على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بنى أمية كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسن طلب إلى معاوية فى صلحه معه أن يكف عن شتم على فلم يجبه إليه ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم يف به ، ولا أدرى كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل الأمر بعده للحسن ، وما أظن الذى كان يتلى على المنابر يتعدى لعن قتلة عثمان ، فكانت شيعة على ترى أنهم يقصدونه بذلك ، وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك فى ذلك القتل

عبد المتعال الصعيدى

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام الصبا فى كنفهما فيتحسر على تلك الأيام الذواهب ، كما كان يتحسر عليها الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التى طمحت إلى المجد فكبا دونه سالكا فى ذلك سبيل الاستمارة ، فإذا المجد جبل مرهوب المناوز أملى الشباب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا الأعصاب والفصحى فتمزقت كفه ودميت قدماه ، ولكن لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونكبة الأدباء فى هذا البلد العجيب

— ٢ —

ولو أنك نظرت إلى هذه المعانى التى طرقها الشاعر لم تجد فيها شيئاً جديداً يمكن أن نعده من سمات الشعر الجديد إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك فى مطلع القصيدة ويصاحبك فى كل بيت من أبياتها حتى تأتى على آخرها

عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر روح وإن الحياة الشعرية التي لا تفيض بالنعمة ولا تشيع السرور بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »(١)

وأى أمل نرجوه فى شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهمة ويجعل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد فمال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب

هذه النفاصة التى تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها هى من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره إلا أن شاع فى شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء بؤس الأديب وشقاء من أدركته (حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً فى شعر الخريمى وأبى تمام وأبى العلاء ولكننا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره حياته ويقول غير ما يحس ، لم نرَ منهم من كان فى حياته راضياً وفى شعره ساخطاً كما نرى فى هذه الأيام . بل رأينا من كان فى حياته وشعره راضياً كأبى نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبى العلاء . أما التلفيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند سادتنا شعراء هذا الزمان

(١) العدد ٥٦٣ من الرسالة

إنك لترى الشاعر فى أيامنا هذه وحياته كلها مرح ولهو ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً من الأحزان فى بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب — رحمه الله — إذا شدا فى شعره بالبؤس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو يصور حاله التى يعانيها ، ويصف حياته التى يقاسيها — وهذه هي مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا — وهو معروف بمرحه ولهوه وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة — فلن نقبل منه هذا الشعر القاتم الحزين الذى تلمحه حتى فى عنوان ديوانه (الأشواك) فتحس منه الوخز وتلمس الدماء ... وما أحسب هذا الشعر إلا أثراً من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان . سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (الدماء) وغير ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً فى وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التى يكتظ بها هذا الشعر ، وعجيب من الأستاذ البشبيشى أن يضع هذا الغموض بجانب ما فى شعر أبى تمام والمتنبى والمعرى وابن هانىء وشوقى والزهاوى من عقد فى الخيال حيرت الباحثين أزماناً(٢)

شتان يا سيدى ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غامض لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخريج وكلها صائب . أو لأنه عميق بعيد الغور حتى إذا كشفت عن معناه وأسفر لك وجهه هششت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يُبن على أساس من الفكر الصحيح فهيهات أن ينكشف لك فيه وجه — لأنه لا وجه له — إلا مع تعسف لا يحتمله اللفظ ولا تطيقه العبارة

هل قرأ أستاذى البشبيشى بيت أبى تمام فى الخمر :

جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

(١) الرسالة العدد ٥٦٤

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٣ — أحق الناس بستر هذا الشعر أنت

قال أبو الفرج : تقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن ابن الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له ، فخلط في قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدري ويخطي وما درى
وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئاً فعل ، فقال له : ادن . فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل (وكان قد قيل في جد عبيد الله) فتبسم عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مصطنعاً فسر إلى منزلك وقال لخصمه : رح إلى فغرم له ما كان يطالب به

وهل فكر أي مذاهب الجهمية يريد؟ وهل قرر ما يحتمله البيت من تأويل وتخريج ؟ وهل تذوق النشوة التي يتذوقها من يتكشف له وجه يرضيه من قصد أبي تمام بهذا البيت ؟

وهل قرأ قوله :

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزماً فقدما أدرك النجح طالبه

وفكر في هذا الغموض ما مصدره ؟ وهل بني على أساس صحيح أم فاسد ؟

ومع هذا فإن أبا تمام لم يسلم من الملامة بسبب هذا الغموض الذي له وجه ، فكيف تريدنا على أن نرضى من شعرائنا الجدد غموضاً ما له وجه ؟ بل ولا عين !

(البقية في العدد القادم) محمد محمود رضوان

٥٥٤ — اعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم

في (الكامل) : يروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أزير[1] في يوم قر في مشيته ، فقال له : ممن أنت يامغرور ؟ فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى[2] ، ويدفئني حسبي . وقيل لآخر في هذه الحال : أما يوجعك البرد؟ فقال : بلى (والله) ، ولكني أذكر حسبي فأدفأ . وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر عما يجد ، فقال : ما على منه كبير مئونة ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دام بي العرى فاعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم .

٥٥٥ — إذا نكر انصرف

كان الزمخشري في جوف الكعبة مشغولاً بتأليف الكشاف، فجاء الإمام عمر النسفي ، وقرع باب الكعبة . فقال الزمخشري : من على الباب ؟ فقال النسفي : أنا عمر
فقال الزمخشري : إذا نُكِّر صُرِف

٥٥٦ — فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً

قال أبو حيان التوحيدي : سمعت الشيخ أبا حامد (الأسفرايني) يقول لطاهر العباداني : لا تعلق كثيراً لما تسمع مني في مجالس الجدل ، فإن الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام ، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فأنا مع ذلك نطمع في سمة رحمة الله[3]

---

(١) أزير مصغر أزار

(٢) هو يمشي الخيزلى والخوزلى إذا تبختر (التاج) مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك (اللسان)

(٣) تاج الدين السبكي : هو طمع قريب فإن ما يقع من المغالطات والمغالبات في مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ونشر العلم وبعث الهمم على طلبه ما يعظم في نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله

قرأ قارىء في مجلس الامام الاسفرايني : (للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً) فقال أما العلو فقد أردنا ، وأما الفساد فما أردنا

من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذَهبْتُ لِلرَّوْضِ في صَباحِ
مُقيدِ اللَّحنِ ، والجناحِ
وفيه ما بِيَ من أغانِ
مَطلُولةِ الشدو بالجراحِ
أوتارُ أطياره سُكارَى
يَعْزِفنَ وَجْدَ المحب نارا
سعيرُها خمرةُ الحيارَى !
حَثَّتْ إليه الرُّؤَى خطاها
وخلفها انسابت الدُّموعُ !

***

سِيَّانِ في قبضةِ الرِّياحِ
شوكُ الجلاميدِ ، والأقاحي
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دنانٍ بغير راحِ !
وكم ربيعٍ لنا توارَى
تودُّ لو كانت العذارَى
لِسِحره الغائب انتظارا
ماتتْ لياليه في صِباها
فهل لأحلامها رُجوعُ ؟ !

***

وكم خريفٍ بلا زهورِ
ولا أغانٍ ، ولا طيور
يلوحُ مُستيقظَ الشُّعور
كأن خمراً عليه سارا
مُتيَّمَ النُّور مُستطارا
كنشوة حَلَّتِ العِذارا
ونغمة رقرقت شجاها
ومالها في الرُّبى سميعُ !

***

رأيتُ عُشاً على خميلِ
كهجعة جَمَّة الغليل
رَيّان بالنوحِ والعويل
هديله في الصباح طارا
فضج للدوح واستجارا
ناحَتْ بأشواقه جِهارا
حمامة مَزَّقَتْ حشاها
وخان أحلامَها الرَّبيع !

***

وأنَّ تحتَ الظلال جدولْ
يجرى ... ولكنه مُكبَّلْ
كخاطرٍ في دمي تَنَقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نِفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا مَزارا
كطائرٍ في الشِّباك نارا
وأنّه في الحشا طواها
سجن يُسمونه الضلوع !

***

حزينةٌ أنت يا ظلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بها ملالُ ؟
أحاطنا الحبُّ والجمالُ
وأنتِ مِثلي كتمت نارا
وتنفضين الأسى عِطارا
لبست من حَيْرَتي دثارا
ولُحتِ ثكلى تريدُ فاها
يبكي به قلبها الصديعُ !

***

وأنتَ يأيُّها الحزينُ !
يا شاعراً شفّه الحنينُ ...
ألْقِ مزاميرَكَ الأنين
في ظُلمة لم تجد نهارًا
فَقَدَ إنشادُها ودارًا
كغُربة ضلَّت الدِّيارَا
فطنَّبتْ في الرُّبى أساها
والرَّوض من حولها خليعُ ! !



٨ – الشعر الجديد

أوضحت فى هذه الأحاديث آرائى فى «الشعر الجديد» مطلقة صريحة . وكانت قد تجمعت لدىّ من مطالبات طويلة . وكنت أهم أحياناً بتقييدها ، وأنساها أحياناً ، حتى كان أن فتح «الأستاذ الجليل» هذا الباب . فلممت شعث ما تفرق منها فى ذاكرتى ، وجهرت بها مستهدفاً وحدى لغضب الناضبين ؛ فإن جلة النقاد قد آثروا العزلة ، واعتصموا بالسكوت ، لما قدمت في كلمتى الأولى . ولقد وددت لو كنت قد خرجت من الإجمال إلى التفصيل ؛ ولكنى جانبت الأشخاص ، لما أسلفت ، وعمدت إلى «المدرسة» — كما يعبر الآن — وهى تجمع ما تفرق من خصائصهم ، وتضم شتات مميزاتهم

ولا شك عندى أن الذين تتبعوا كلماتى وتأملوها فى إنصاف وعدل ، قد أدركوا أى صنف أعنى من الشعراء ، وأى نوع تنتظم هذه الصفات التى عنيت ببسطها ، وجهدت فى تحديدها — فلا يغالطن مغالط بعد هذا — أنى أعنى فلاناً أو فلاناً من شعرائنا ذوى المكانة فينا ، أولئك الذين أجمعنا على تمجيدهم ، لا الذين يتلمسون شهرتهم بين فئة قليلة من المعجبين

والآن آنَ أن أتحدث إلى الكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة فى بعض نقداته ، كما وعدت أن أفعل .

قال الأستاذ[1] : «لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربى بعد البارودى وشوقى وحافظ . . . وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة ، والذين يعتز بهم الشعر العربى . . . الخ»

أقول : يشير الأستاذ إلى مقالى بالرسالة[2] . فقد قصرته على هؤلاء العِلية الأمجاد ، وضممت إليهم صبريا — وإن كان كثير غيرى لا يذكرونه فى حلبتهم — لأوجه من الشبه كثيرة بينه وبينهم . وقد رجعت إلى هذا المقال ، فإذا هو خلو من هذا الإنكار . ولعله توهمه من قولى : «فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سدلت على المسرح الستارة . ثم عادت فارتفعت . فإذا مشهد عجيب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنظام ... الخ» فهذا يا سيدى لا يدل بمنطوقه ولا بمفهومه — فيما أدرك أنا — على أنه لم يكن بيننا إذ ذاك شعراء من الطبقة الأولى ، بدليل قولى : «فوضى النظم والنظام» ؛ فإن كلمة «النظام» إنما تطلق فى العرف العام على القارضين الذين ينظمون ولا يشعرون[1] ؛ فهذه الفوضى لا نعرفها فى أثناء حقبة شعرائنا هؤلاء . وإنما شاعت بعدهم هذا الشيوع الذى نلمسه الآن . أما قولى : «إن تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم من يعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية» ، فدليل آخر يشهد لى . ومعنى كون تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، أن لهم ميزات اشتركوا فيها جميعاً ، فأفردتهم بين شعراء جيلهم . فهم فصل قائم برأسه فى تاريخ الشعر الحديث . وهكذا يجب أن يكون فى تاريخ الأدب المصرى

على أنى مع ذلك عند عقيدتى الثابتة فيهم — وهى عقيدة جمهرة المتأدبين فى العالم العربى — تلك هى أنهم لا يزالون يتسنمون المكانة الأولى بين الشعراء لهذا العهد . والفلك الدوار قد يجود بأمثالهم وبأعظم منهم . فليرقب الفلك الدوار

وقال الأستاذ الفاضل : «أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها ، لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً ، أوليس من الحق فى شيء ؟ وهل من العدل أن يجحد شعراء الشباب عامة ، لأن تلك القصيدة لم ترقه ؟ »

أقول : ليرجع الأستاذ إلى مقالى الأول خاصة ، ومقالاتى بعد ذلك ، ليرى أبان أنا أحكامي جميعاً على تلك القصيدة وحدها ؟ وليراجع سيدى المقال الذى تعرضت فيه لهذه القصيدة ، ولينظر ما قلت هناك . وإذا كان الأستاذ يحكم هذا الحكم من غير أن يقرأ كلامى حق القراءة ، فما حيلتى ؟ وما حيلتى أيضاً أن يسيغ

(١) عدد ٥٦١ ص٢٩٨ من الرسالة (٢) عدد ٥٥٩ ص٢٥٨

(١) من العمر

أن يكتب مثلى سبعة أحاديث مستنبطاً آراءه فيها من قصيدة واحدة ؟

وهل فى كلامى ما يشير أو يدل على أنى « أجحد شعراء الشباب عامة ؟ » لا يا سيدى . إنى حكمت على فئة كبيرة تسنى لها — بعوامل مختلفة — أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل فى ألفاظه وتراكيبه ومعانيه . فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يُستجاد أو يستملح . ولولا أنى لزمت الصمت عن الأشخاص فى هذه الأحاديث لمثلت

أما « نبش قبور الموتى » و « سرقة أكفان النائمين تحت التراب » ... الخ . فهذه ألفاظ معادة ، نسمعها دائماً فى معرض الازدراء بالقديم أو التنفير منه . فنضرب عنها صفحاً

وقال الأستاذ أيضاً من مقال آخر(١) : (وخامسة الأثافى ، أو داهية الدواهى ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع فقد ذكرت فى كلمتى . . . طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب فى مصر ، على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث . وكان هـذا الخطأ سبباً فى إثارة بعض هؤلاء الشعراء أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هـذا النحو الزرى فى ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء) . ثم قال : (ولكن المضحك فى هذا الأمر غلو بعض من نقموا منى ذكر أسمائهم فى ثبت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة ، ونكش شعر رأسه (نكشة) أفزعتنى ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمنى بأنى أناقض نفسى حين أعلن استجادتى لشعر هؤلاء (الـ . . .) . ثم قال : (والظريف أن الذين أنكر عليهم صديقى « العاصفة » شاعريتهم ، كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إلىّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... الخ .)

هذا ما رأينا اقتباسه ضرورياً من كلامه

فانظر إلى هؤلاء الشعراء كيف ينكر بعضهم شاعرية بعض على هذه الهيئة الغريبة !

وهل بعد تصوير الأستاذ دريني خشبة لهذا المنظر البديع ، نحتاج إلى شرح أو تعليق ؟

« انتهى الحديث » (ا . ع)

---

(١) عدد ٦٣ ص ٣٢٥

جائزة أدبية

فى عدد المقتطف الصادر فى شهر مايو نشر الشاعر بشر فارس قصيدة عنوانها « إلى زائرة »

قرأت القصيدة ، ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها فى أوقات متفاوتة ، وكنت ، عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم ؟ ! ولكن هل فى أداة تفكيرى عطب أو تلف ، وقد قرأت وفهمت أكثر ما نشر فى ذلك العدد من المقتطف من بحوث فى العلم والفلسفة والأدب ؟

يحسن بى إذن أن أشرك قراء الرسالة معى فى قراءة هذه القصيدة وأتعهد بجائزة مالية قدرها خمسة جنيهات مصرية ، أدفعها إلى من يستطيع فهم معانى تلك القصيدة وشرحها ، ولا أستثنى قراء العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ، وقد أودعت المبلغ فى إدارة الرسالة . وهذه هى القصيدة :

إلى زائرة

لو كنتِ ناصعة الجبين ... هيهات تنفضنى الزياره
ما روعة اللفظ المبين ؟ ... السحر من وحى العباره

ظِلٌ على وَهَج الحنين ... رَسَمَتْـــه معجزة الإشاره
خطٌ تساقط ، كالحزن ، ... أرخى على العزم انكساره
ماذا بوجْـد المحصَنين ؟ ... صوت شجٍ خلف الستاره

غيِّبتِ فى العجب الدفين ... معنى براعتـــه البكاره
دراًّ بفـــوت الناظمين ... ونهضت تَهـديني بحاره
خطوات وسواس رزين : ... وهبٌ تُنمِّيه الطهاره

« بشر فارس »

حبيب الزحلاوى

حول مزايا الخط العربى

مما رزئت به هـذه اللغة الكريمة بتأثير من ضعف حماتها ، أن أصبحت حسناتها سيئات تعتد عليها

ومن عيوبها عند الكثيرين أنها أهملت فى خطها حروف الحركة مستعيضة عنها بالشكل الجزئى ، أو الشكل الكامل لمن لا يجيد القراءة ، وحجة من يفضلون الكتابة اللاتينية أنها برئت من هذا « العيب » الذى أورث كتابتنا اللبس والغموض

وإن من الطريف المضحك أن يكون صدى هـذه الصيحة عندنا ، صيحة تقابلها هنالك ، يتنادى فيها القوم بحذف حروف

الحركة من كتابتهم ضنًّا بالزمن والورق والمجهود

وإلى القارىء نص عبارة وردت بإحدى المجلات الأمريكية (١) عن هذا الموضوع

« لقد كتب الشيء الكثير حول الهجية المنقحة كوسيلة من وسائل التوفير فى المساحة . ومن المحتمل أن تكون هذه خطة جيدة ، على أنها ستكون أجود إذا نحن تقدمنا بها إلى مدى أكثر ، باتخاذ نهج من الاختزال يتوفر به نحو أربعين فى المائة من مساحة المكتوب . ولن يكون هذا شاقاً إلى الحد الذى تعتقد ، لأنك تستطيع بلا شك أن تتلو هذه العبارة . أليس كذلك ؟ » وكتبت المجلة العبارة على هذا النسق من الهجاء :

"Mch hs bn wrttn abt rfrmed splng as a savr of spc. Possbly ths wld b a gd pln. Bt it wld b a bttr pln if it wer carrd frthr ..."

وهذا نص الجزء الأول مما ترجمناه ؛ وإذا نحن أعدنا كتابته على الوضع الذى يكتب به فى الإنجليزية اليوم ، جاء هكذا :

Much has been written about reformed spelling as a saver of space. Possibly this would be a good plan. But it would be a better plan if it were carried farther

ويرى القارىء مبلغ الاقتصاد فى الطريقة الأولى ؛ ويتضح من الإشارة باستعمالها أن القوم قد بدأوا يتلمسون أسلوباً فى الهجية كأسلوبنا ، يحذفون منه حروف الحركة . أفلا يحق لنا بعد كل هذا أن نستمسك بما نحن عليه ، وندع القوم وكتابتهم يبقون عليها أو يصلحونها . وحسبنا من شر سماعه ؟

(جرجا) محمود عزت عرفة

شعر ناجى

فى العدد السابق كلام عن شعر ناجى هو صدى لذلك التطاحن القديم الذى لا نؤثر له أن تشب ناره بعد أن خمدت بين الشعراء والشعراء وبين الشعراء والنقاد وبين النقاد والنقاد ... وأبغض شيء إلىّ أن أكون من موقدى تلك النار أو أن أتسبب فى إيقادها ... ورجائى أن يتقى الله الذين يحاولون — قاصدين أو غير قاصدين — إيقاد تلك الفتنة من جديد ، لأنها تضر الأدب ولا تنفعه ، فرب نقد أو اتهام لا يعدو أن يكون تجنياً ، يقضى به الناقد أو المتهم على روح الأديب ... أما الاتهام بالسرقة فى مثل تلك السهولة وفى مثل ذلك اليسر فهو من الظلم الصارخ الذى يحسن أن نجنب أنفسنا الوقوع فيه ... وقد تفضل أحد الأدباء فى العدد الأسبق ، فرد أحد أبيات ناجى التى راقتنا حتى عدلناها بألف بيت من جيد الشعر إلى الشاعر صُرَّدُر حيث يقول :

ناضلننا بنوافـــذ مسمومة   وودت لو قَبَّلت سهم الرامى

وبيت ناجى هو :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً   ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى !

ولو ألقى الأديب الفاضل باله إلى أن لحاظ الحبيب لا يحسن بل لا ينبغى أن توصف بأنها مسمومة (!) لأن السم والعياذ بالله لا يكون إلا فى رؤوس الأفاعى وأذناب العقارب واليعاسيب والزنابير والنمل ، لفطن إلى ناحية الضعف فى بيت صر در

ولو أراد الأديب الفاضل أبياتاً أقرب إلى بيت ناجى ، وهو مع ذلك يفضلها جميعاً ، لوضعنا بين يديه الأبيات الآتية :

لابن الرومى :

فيسبيك بالسحر الذى فى جفونه   ويصبيك بالسحر الذى هو نافثه

يحن إليه القلب وهو سقامه   ويألف ذكراه الحشى وهو فارثه

وللبحترى :

أين التى كانت لواحظ طرفها   يصبو إليها القلب وهى سهام

إن مت من أسف لشط مزارها   فالموت روح والحياة حمام

وللسرى الرفّاء :

بنفسى من أجود له بنفسى   ويبخل بالتحية والسلام

وحتفى كامن فى مقلتيه   كمون الموت فى حد الحسام

وله أيضاً :

وقد فوقن بالألحاظ نبلاً   قلوب العاشقين لها رمايا

تمنينا اللقاء فكان حتفاً   وكم أمنيـة جلبت منايا

وكنا قد أعددنا مائة بيت أو تزيد كلها تدور حول معنى بيت ناجى فإن أحب الأديب الفاضل أرسلناها إليه ... وسيفضل معنا بيت ناجى عليها جميعاً ، لأن ناجياً فى غنى عن أن يسرق من أحد ، لأنه يصور بروحه ودمه ، وله ثقافة وحسن اطلاع يغنيانه عن صردر القديم وصَرَّ دَرَّ العصر الحديث . وقد آن لنا أن نعدل .

(د . غ)

(١) الريدرز دايجست نقلا عن « تايم » ، نقلا عن : دالاس نيوز Dallas News الأمريكية



12 me Année No. 569

Lundi - 29 - 5 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الشعر والدبابات

للأستاذ عباس محمود العقاد

الآراء فى الأدب والشعر كثيرة يضل القارئ المبتدئ بينها فلا يدرى أيها المصيب وأيها المخطئ ولا يسهل عليه الفصل بين الأصيل منها والدخيل

ولكننى — على تبعتى كما يقولون فى لغة السياسة — أقرر هنا قاعدة مضمونة الصواب ، يستطيع أن يعتمد عليها من شاء فيصون وقته ويريح نفسه من العناء ، وهى : أن أقرب الآراء فى الأدب والشعر إلى الخطأ هو الرأى الذى يفرض على الأديب موضوعاً لا يعدوه ، ويوجهه إلى مطلب ينحصر فيه ، كائناً ما كان ذلك الموضوع من جلالة القدر ، وبالغاً ما بلغ ذلك المطلب من سعة الأفق

فالأدب تعبير عن الحياة

والحياة أكبر من أن تنحصر فى غرض واحد أو تعتكف على سنة واحدة ، فليس أوسع من شعور الأحياء بالحياة ، وليس أوسع من تعبير الشعراء والكتاب عنها

خطأ أن يقال للأديب إنك مطالب بالكتابة فى شئون السواد الجاهل ومحرم عليك أن تخط شعراً أو نثراً لا يفهمه هؤلاء ، لأن صعود الجاهل إلى طبقة العارف أكرم وأجدى

الفهـــرس

على بنى الإنسان من نزول العارف إلى طبقة الجاهل

وخطأ أن يقال للأديب إن مسائل العيش هى موضوع الكتابة الوحيد فى هذا الزمان أو فى أى زمان . لأننا لا نكرم الأديب ولا نرحم الفقير بهذا المذهب . فليس من الكرامة للأدب أن يكون فرعاً ملحقاً بالمطاعم والأفران ، وليس من الرحمة للفقير أن يقضى نهاره فى الكدح للعيش ثم يتناول كتاباً ليقرأه فإذا هو أيضاً كدح للعيش من طريق البصر والبصيرة

وخطأ أى يقال للأديب إنك مقيد بإقليمك فلا تكتب حرفاً يخرج بك من نطاق ذلك الإقليم . لأن غارس البصلة — ودع عنك الأدب — لا يقول لها وهو يغرسها : كونى إقليمية ولا تشبهى البصلة التى تنبت في خارج هذا الإقليم . ولكنه يغرسها وتخرج هى على ما تشاء لها التربة والنور والهواء ، ولا نظن البصلة أقدر على الاستقلال « بالتكيف » الإقليمى من الفكرة الإنسانية . فمن كتب فى مصر فلن تكون كتابته إلا مصرية ولو كان موضوعها قطب الشمال أو قطب الجنوب ، ولن يصبح الأدب الذى يكتبه النرويجى مصرى الإقليم ولو أجراه كله على النيل والأهرام والصحراء

***

ومنذ مدة شاعت فى مصر والشرق العربى بدعة بيغاوية من تلك البدع التى لا يدرى قائلها نفسه ماذا يفهم منها وماذا عسى أن ترمى إليه

فقالوا إن العصر عصر مخترعات وحروب فلا موضع فيه للشعر والغزل ولا لتواريخ الشعراء والغزلين !

وتشاء المصادفات أن يلغط اللاغطون بهذه البدعة ومطابع الغرب تأتى بين حين وحين بالدواوين الجديدة والنخب الكثيرة من أشعار القدماء والمحدثين !

هذا وهم أصحاب المخترعات وأول المصابين أو المصيبين بحروب الطيارات والدبابات

بل تشاء المصادفات أن نرى العشرات من هذه الكتب فى مكتبتنا الشرقيـة ، وأن يتصدى الجندون فى الجيوش الأوربية بيننا لطبع النشرات الدورية ، فإذا هى حافلة بالحديث عن الشعر والأدب والجد والفكاهة ، وإذا هى خاليـة أو تكاد تخلو من تلك الموضوعات التى يخيل إلى أصحاب البدع البيغاوية أنها دون غيرها موضوعات الكتابة فى عصور الحروب والمخترعات

ولكن المصادفات قد شاءت فى هذه الأيام مشيئة لم تكن تخطر لببغاء من تلك الببغاوات المسكينة على بال

ففى بريد الشهر الماضى وصل إلينا من لندن كتاب يقول كثيراً بلسان المقال ويقول أكثر من ذلك جداً بلسان الحال .

أى كتاب ؟ كتاب مختارات شعرية سماه صاحبه « أزهار أناس آخرين Other Nen's Flowers

ومن صاحبه يا ترى ؟

لتتعب الببغاوات أدمغتها إن كانت لها أدمغة تتعب فما هى بقادرة على تخمينه ولا المقاربة منه

ولكننا نعفيها و نعفى غيرها من جهد التخمين فنقول لهم : إن صاحب هذه المختارات هو المارشال ويفل Wavell حاكم الهند العام وقائد الميادين الذى عرفه المصريون وأبناء الأمم العربية فى الشرق الأدنى

أى والله هو القائد الكبير بعينه ! هو الرجل الذى لا يصنع شىء فى ميدان من ميادين الحرب إلا سئل عنه وسمع له رأى فيه ، هو الرجل الذى يحرك من الدبابات والطيارات والمدافع أضعاف ما تراه تلك الببغاوات رأى العين من بعيد

تكبره وقمة « الديبوة » فى أعين الناس

وتكبره فوق ذلك هذه المختارات التى يرتضيها الأديب الناقد ولا عمل له غير القراءة والكتابة والاختيار

لأن نبوغ القائد فى فنه عمل عظيم ، ولكنه غير عجيب

أما العظيم والعجيب حقاً فهو نبوغه فى الذوق الأدبى ومساهمته فيه بالنصيب الراجح واتساع وقته له فى أحرج الأحوال

وذلك هو النبوغ الذى لا تفهمه الببغاوات ولا يفهمه أصحاب البدع ممن لا يصلحون للعمل ولا للكتابة ولا للقراءة ، ولكنهم يجلسون فى مقاعد المعلمين ليقسموا الأعمال بين الكتاب والقراء والساسة والقواد ، وكل من خلق الله وما خلق الله فى ملكوت الله !

بين قصائد الكتاب نماذج مختلفة يقرأها الجندى ، ونماذج

أخرى يقرأها محب الطبيعة ومحب الأسفار ، ونماذج يقرأها العاشق ويقرأها الفتى والعذراء ، ومنها في الكتاب مئات تملى بها صفحاته التي تربى على الأربعمائة ، وواحدة منها تكفي لسؤال الببغاوات عن مكانها من زمان الطيارات والدبابات ، وهي قصيدة توسون عن رسالة الفتاة المحتضرة إلى حبيبها حيث يقول :

« ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق أيتها الفتاة التي تودع هذه الغبراء ؟

« ماذا أقول للحبيب يوم تنفضين عنك كساء الحياة ؟ »

« قولي له : في هذا الجانب من وراء القبر نحن العذارى لا ندري كيف تكون الحياة مرة التناول ، ثم تكون بعد ذلك مرة الفراق »

ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق حين أراه ؟

ماذا أقول له وقد أطبقت عينيك على الظلام ؟

قولي له حين تفارقين سرير العذراء الذاوية : إنها الآن تراك بنور الضمير وقد عميت العينان

ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق وأنت تضنين عن نزر الكلام ؟ ماذا أقول له أيتها المقبلة على وادي الحمام ؟

قولي له وأنا أجاهد الشفتين بختام كل كلام : إن التي أحبتك أمس بكل ما فيها من حياة تحبك اليوم بكل ما فيها من موت ! »

هذا نموذج من نماذج مختلفات في الكتاب ، لا حاجة بنا أن نسأل عصر الطائرات والغارات الجوية عنها أو نلتمس لها جواز الدخول فيه ، لأن الرجل الذي اختارها له على الأقل حقوق في الطيارات توازن أضعاف الحقوق التي تدعيها الببغاوات الآدمية ، لا سيما وهي بحمد الله ببغاوات لا تطير !

* * *

وقد جاءنا في البريد نفسه كتاب دوري يسمى « أوربا » يعنى بنشر الأنباء الثقافية والاجتماعية عن القارة الأوربية في إبان الحرب الحاضرة ، فإذا في صفحاته المختارة صفحة عنوانها « قارة من الشعراء » ، ومطلعها يغني عن سائرها ، حيث يقول مقدمها في بضعة سطور :

« إحدى الظواهر البارزة — والمعزية — في هذه الطامة الدموية أنها حفزت القرائح من كل طراز إلى معالجة القريض ... وهذه صحف الجيوش المتحالفة تزدحم بشعر الهواة كما تنتشر الصحف السرية في القارة بين الأمم المقهورة ، وفيها قصائد لا تحصى يترنم فيها أصحابها بما طاب لهم من نغمات التحدي والصبر على البلاء »

* * *

هذه الحقائق التي نلفت إليها الأنظار من حين إلى حين هي أنفع الحقائق الأدبية لقراء العربية في هذه الآونة

لأننا قد برمنا بعصر الجمود ورجونا أن نسرع الخطى في عصر الطلاقة والتجديد

وما هو الجمود في لبابه ؟

هو ضيق الأفق أو هو حصر الحياة في نطاق محدود

وهذا الجمود بعينه هو الذي يتخبط فيه ببغاوات البدع ، وهم يحسبون أنهم مجددون وأنهم يخرجون بالشرق المسكين إلى زمان غير زمان الجمود

هذا الضيق الوبيل هو الذي يستقرون فيه أو يرجعون إليه حين يقولون ويعيدون : نحن في عصر العلم فدعونا من الأدب ! نحن في عصر النار والحديد فدعونا من الفن والجمال ! نحن في عصر الطيارات فدعونا من القصائد والشعراء ! نحن في عصر الحقيقة فدعونا من الخيال !

وحقيقة الحقائق الكبرى أن العصر الذي يحصر الحياة في نطاق واحد هو أخبث العصور وشر العصور وأسخف العصور ، وأن الهمجية في عصرها لأصدق وأشرف منه لأنها صادقة في اندفاعها ولو في الظلام ، وهذه العصور التي يصفونها تضيق بفسيح الطرق وهي في النور

إن الغرب لم يغلبنا لأنه قال بالعلم دون الأدب أو بالمخترعات دون الأخيلة والخواطر النفسية ، ولكنه غلبنا لأنه وسع نطاق الحياة

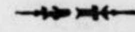
فليكن هذا شعارنا في نهضتنا فهو آمن شعار وأنبل شعار . وسعوا أفق الحياة ولا تضيقوه وأنتم على ثقة من صواب ما تعملون وجدوى ما تعملون . أما « خذوا هذا ودعوا ذاك » ، فهو كلام كسالى مهزولين لا يصلحون للعلم ولا للأدب ، ولا يفلحون مع الطيارات ولا مع الحمير والبغال ، ولا يزالون يجهلون ما يقولون ثم لا يتوارون بجهلهم عن العيون بل يتحلون به حلية الفخار ويبرزون للتعليم والتنديد !

عباس محمود العقاد

الهـــوى العذرى

بين جميل و بثينة

للأستاذ نقولا الحداد



كثيراً ما يكون أن تؤدى الحوادث التافهة إلى أمور جسام ، ما من أحد إلا رأى ثمرة تسقط عن شجرة فلم يبال . ولكن السير إسحق نيوتن رأى ذات يوم تفاحة تسقط من شجرتها فتنبه إلى سبب سقوطها . وكان من جرّاء تفكيره فيه أنه اكتشف ناموس الجاذبية واستنبط « حساب التفاضل والتمام » الذى يعد فى قمة العلوم الرياضية

والحب غريزة فى الأحياء حتى فى الجماد . وكل إنسان يحب ويعشق . على أن الآدميين متفاوتون فى سورة الحب . وجميل بثينة لا يعد نادرة الزمان فى العشق والغرام . فمثله كثيرون : كقيس ليلى وقيس لبنى وكثير عزة وأمثالهم ممن كنّاهم الناس بأسماء معشوقاتهم أو لم يكنوهم . ولكنهم اشتهروا بشغفهم وافتتانهم وغرامهم المضنى

والأستاذ عباس العقاد اتخذ عشق جميل بثينة « تفاحة نيوتونية » لكى يتوسل به إلى أبحاث سيكولوجية وأخلاقية واجتماعية فى الحب والعشق . فأوغل فى صميم هذه الأبحاث فى كتابه جميل بثينة حتى استخرج منها نواميس الحب العليا كما استخرج نيوتن من سقوط « التفاحة » ناموس الجاذبية الكونية » . ولا بدع فكلا الحب والجاذبية نبضة واحدة فى الطبيعة وعند التحقيق تجد أن لهما ناموساً واحداً

إنما جاذبية الكون حبٌ وكذا الحب فى الورى جاذبية

وعندى أن أقوى ما يسترعى الأذهان فى مباحث العقاد إصابته موضوع « الهوى العذرى » . وهو بالحقيقة موضوع سيكولوجى ليس بالهين الخوض فيه والغوص إلى قرار بحره ؛ لأن : الهوى العذرى ظاهرة نفسية إنسانية تناقض سنة الغريزة النسلية فى خط مستقيم . وفى الطبيعة البشرية الآن كثير من الظاهرات الأخلاقية التى تناقض الغرائز الطبيعية فى الأحياء حتى العليا منها . وأظهرها سنة التنازع ، « تنازع البقاء وبقاء الأنسب » . تقوم تجاهها فى العالم الاجتماعى « سنة التعاون والتضامن » فهذه طبيعة اجتماعية أخلاقية تناقض على خط مستقيم سنة تنازع البقاء البيولوجية

والمسألة التى هى موضوع التحليل والتعليل فى الناحيتين هى : إلى أى حد يند الهوى العذرى عن الحب الطبيعى الغريزى . ففى فصل عشق جميل وبثينة بحث مستفيض فى هذا

ولى فى تعليل الهوى العذرى كلمة أبسطها فيما يلى تمشياً مع الأستاذ فى بحثه :

إذا كان المعشوق على منال اليد من العاشق كان الحب غريزياً لا تخيل فيه ولا تصوُّر . الذات حاضرة فلا لزوم للصورة ولا وظيفة لها . والحقيقة قائمة فلا سبيل للخيال . ومتى طلعت الشمس اختفى الظلام ، وإذا تفتحت العينان امّحى الطيف من المخيلة

الحب الغريزى هو المبدأ الأول ، هو لهب الشهوة . فإذا انطفأت هذه الشهوة خمد الحب ، ومتى تيقظت احتدم . فإذا كان الحبيب بعيد المنال تولّى الخيال العمل فى دولة الحب بإيعاز الشهوة . حينئذ تخترع المخيلة الجمال وتبدع فى تصويره إلى أن تصبح صورة الحبيب فى صفحة التصور أجمل من الحبيب نفسه فى هيكل المادة . حتى إذا استعرض الصب حبيبه رآه كما صورته المخيلة لا كما ترى عيناه هيكله المادى . ولهذا قد تستغرب إذ ترى معشوقاً لا مزية له على سائر الناس يفتن عاشقه دون سائر الناس ، ويفتتن به عاشقه دون سائر الناس . فتستغرب هذا الافتتان وتندهش من وله هذا العاشق وهيامه بحبيب لا يتفوق بشىء عن سائر المعاشيق . ولا يزيل دهشتك هذه إلا آية الغرام الذهبية وهى « الجمال فى عين الرائى »

فإذا تعذر اتصال المحب بالحبيب تحول غرامه إلى طيف الحبيب وخياله . يصبح عاشقاً خيالاً قائماً فى مخيلته وهو ما نسميه « الحب الروحانى » . يرتفع الحب فى نفس الإنسان من حضيض المادة إلى سماء الروح . ويحلق فى أعالى تلك السماء حتى يصبح العاشق وهو يبتغى تمتعاً نفسانياً لا جسدياً . حينئذ يتوارى الحب الغريزى وراء الحب الروحانى . وهذا قابل دون ذلك للتعاظم إلى ما لا نهاية له . يتعاظم الحب الروحانى ويتضاءل الحب الجسدانى ، إلى أن يصبح

ذاك برجاً هائلاً ، وهذا حصاة فى أسفل البرج . يصبح العاشق كله روحاً تطوف فى سماء الوجود ، بل تكاد تمدد خيال المشوق حتى يشمل الكون كله ، أو تقلص الكون كله حتى ينطوى فى خيال المشوق . حينئذ يقنع العاشق بنسمة من أنفاس المشوق ، وبنظرة فى صورته ، ويسمع كلمة رضى منه ، كما قال ابن الفارض :

عدينى بوصـــل وامطلى بنجازه

فعندى إذا صح الهوى حسن المطل

وما دام هوى العاشق يتجسم على هـذا النحو ، والعاشق يتلذذ بهذا الوهم ، ولا يمكنه أن يحصـل على الحقيقة . فهواه هذا هو الذى نسميه « الهوى العذرى » . ونعنى بالهوى العذرى الحب الذى خلا من نبضة الغريزة النسلية وتوارت فيه الشهوة الجنسية

هو العنب الذى أعرض عنه الثعلب لأنه عال لا يمكنه أن يثب إليه ، فقال : « إنه عنب حامض »

فإذا قدرت ما تقدم من التعليل فلا تستغرب أن يعظم هذا الحب الروحى إلى حد يطمس أن الحب الغريزى ، ويتمادى العاشق فى توله وهيامه حتى يتراءى له أن اللذة الجسدية أصبحت ثانوية عنده

ولـكن متى زالت موانع الاتصال بالحبيب ارتدّ الهوى الروحانى إلى الوراء ، وبرز الهوى الغريزى إلى الأمام وقضى على عذرية الحب

على أن الهوى الروحانى لا تذهب قوته سدى بل تضاعف قوة الهوى الغريزى ، لأنه كلما حلق الحب فى جو الخيال وسبح فى فضاء الروحانيات انقض إلى حضيض الحب الغريزى متى زالت موانع الاتصال بالحبيب . وكلما كان ارتفاعه عظيما كان انقضاضه قوياً

وفى رأى مارى ستوب مؤلفة كتاب « الحياة الزوجية » أنه يحسن بالزوجين أن يفترقا حيناً بعـد حين ويعيشا منفردين لـكى يتعاظم فى قلبيهما الحب الروحانى العذرى حتى متى اشتد شوقهما التقيا بقوة حب شديد

ولذلك ما نسميه هوى عذرياً ليس إلا فرقاً أثيرياً وهمياً يزول بزوال الموانع من لقاء الحبيبين

أما الموانع فلا يجهلها أحد . فمنها ما هو شرعى كارتباط أحد المتعاشقين بزواج آخر . أو ما هو شبه شرعى كتفاوتهما فى المقام والشرف والنسب الخ . أو ما هو عرفى كالحشمة الفائقة التى تأبى عليهما اتصالاً بلا مسوغ شرعى . وهـذا المـانع الأخير كان قوياً عنـد العرب وله أشكال مختلفة . ومنها عند العرب تشبيب الشاعر بعشيقة يحرم عليه الزواج منها . وكنا نود أن يشرح لنا الأستاذ العقاد هذه الشريعة العرفية عند العرب ويفسر لنا سببها وفلسفتها.

والمرأة عند الأمم العريقة فى الحضارة ولا سيما الأمم العربية متصونة كل التصون . وفى كثير من العصور كانت فى الخدور والعرض مقدس بعد قداسة المعبود . ولذلك كان الحب الغريزى محتبساً فى نطاق ضيق من الأدب ولا يجد له منفذاً إلا من نافذة التخيلات الشعرية . فمتى عز على العاشق لقاء محبوبه جنح إلى التأمل العقلى حتى تسنى له أن يتمثل لقاءه بحبيبه ويشاهد جماله الفتان وبهاءه اللامع ولطفه الأثيرى فيتمتع به تخيلياً

إذن فهذا الهوى العذرى الذى هو منطق الحب الروحانى الخيالى هو موحى الشعر الغزلى . ولولاه لما كان ثمت شعر ، لأن الحب الغريزى لا يوحى بشىء سـوى طاعة الطبيعة فقط . والإنسان والحيوان فيه سواء

بهذا الحب الشعرى يتلذذ المحب ويترفع عن الشهوة البهيمية . وفى هذا الفردوس الغرامى الذى تبتدعه المخيلة ينشأ إله الشعر . أجل ، فى هذه الخلوة العقلية التى يحتكر فيها الحب القوى العقلية ويحصرها فى التأملات الغرامية تتيقظ فى نفس العاشـق غريزة الشاعرية . فـكل عاشق شاعر بحكم الحب . ولـكن ليس كل شاعر ينظم

بناء على ما تقدم لا يمكن أن يكون حب جميل لبثينة عذرياً إلا حين يكون جميل ممنوعاً عنها ، وكان إنه إذا اتصل بها عاد حبه غريزياً كما فهم من سيرة حياته التى تخللت كتاب الأستاذ العقاد .

ولا ريب أن ذلك المنع الذى منى به جميل تارة من قبل أهله وتارة من قبل أهل بثينة عظم فيه الهوى الروحى الشعرى ، ثم الهوى العذرى فى حين الصد والمنع

بقيت كلمة فى باب من أبواب الحب طرقه الأسـتاذ العقاد وناقش فيه الأستاذ الدكتور طه حسين بك وهو غدر المحب بالحبيب وتعريضه للفضيحة . ولذلك قصة رواها الدكتور وهى :

« زعموا أن أهل بثينة أذاعوا فى الناس أن جميلاً لا يشبب بابنتهم بل بأمة لهم . فغضب جميل لهـذه المقالة وأراد أن يكذبها

فواعد بثينة والتقيا ذات ليلة وتحدثا . ثم عرض عليها جميل أن تضجع فانعت، ثم قبلت . وأخذها النوم . فلما استوثق جميل من ذلك نهض إلى راحلته فمضى، وأصبح الناس فرأوا بثينة نائمة فى غير بيتها فلم يشكوا فى أنها كانت مع جميل وقال جميل فى ذلك شعراً »

قال الدكتور : « أنظن أن مثل هذا الخبر يمكن أن يكون حقاً ؟ وأن رجلاً كجميل كان يحب بثينة حباً كالذى نجده فى شعره يستطيع أن يعرض حبيبته لمثل هذه الفضيحة ! » اه

وفى رأى الأستاذ العقاد « أن حب جميل لا يمنع أن يعرضها لتلك الفضيحة ، لأنها لا تتجاوز معنى قصيدة من القصائد الكثيرة تغنى فيها بحبها ولقائها ومناجاتها ، ثم أرسلها فى أفواه الرواة تطوف البادية والحاضرة حيث قدر لها المطاف »

فالدكتور يعتقد أن العاشق الذى يحب ذلك الحب العذرى لا يمكن أن يغدر بحبيبته ذلك الغدر ، والأستاذ لا يحسب تعريضها للفضيحة غدراً بها ينقض حبه لها فهو يمكن أن يحبها حباً جماً ولا يبالى بفضحها على ذلك الشكل

وإنى لأستأذن حضرة الأستاذين الكبيرين أن أقول : إن تصرف جميل مع بثينة فى ذلك الحادث وفى قصائده التى تمس سمعتها ليس قاعدة لتصرف العشاق جميعاً . على أن تصرفا كهذا لا يتوقف على الحب وشدته أو ضعفه ، وإنما يتوقف على أخلاق العاشق ونوع تربيته ، فقد يتورع عاشق غير جميل عن أن يعرض حبيبته لفضيحة ، وجميل لا يتورع ، لأن لذلك خلقاً نبيلاً ليس لجميل ، فيتحاشى أن يعرض حبيبته الملامة أو فضيحة بل يمكن أن يكون أنبل من ذلك فيعرض نفسه دون حبيبته لفضيحة لكي ينقذها منها أو من مثلها ، وفى الروايات كثير من أمثلة ذلك . والروايات تمثل على الغالب حقائق لا مثلاً عليا وهمية فقط . ولا بد أن يكون بعض القراء قد وقعت لهم أو لذويهم حوادث من هذا القبيل . فالمسألة مسألة أخلاق لا مسألة حب . بل هى مسألة أنانية أو غيرية

والغالب أن الهوى العذرى يعصم العاشق عن أذى معشوقه أو فضحه . وجميل لم يهو هوى عذرياً ، لأنه لم يكن ممنوعاً من بثينة . أو أنه كان يتخطى المنع فيتصل بها على رغم ممانعة أهله وأهلها وأراجيف الناس . وإن كان فى شعره أو قوله ما يدل على أنه عذرى الهوى فهو من قبيل الدعوى الكاذبة بالنزاهة والتعفف كما يفعل كثير من الناس حرصاً على سمعتهم وكرامتهم ومقامهم وهم كاذبون

نقولا الحداد

بين «أنات حائرة»

وبين «قيس ولبنى»

من دموع الشاعر الجليل الأستاذ عزيز أباظه بك

للأستاذ دريني خشبة

تُرى ، هل كانت هذه الزوجة الكريمة الملهمة تدرى أنها تقترح على زوجها إنشاء رثائها هذا المؤلم الحزين الخالد ، وهى لا تزال على قيد الحياة ، حينما اقترحت عليه نظم « قيس ولبنى ؟ »

ويا ترى ، هل فطن هذا الزوج الكريم ، وقد شرع بنظم « قيس ولبنى » أنه إنما شرع بنظم رثاء أعز الناس عليه ، وهى بعد لا تزال تنبض بحياة حافلة سعيدة ؟

يا للمأساة التى أنتجت لنا كل هذا الأدب ، وكل هذا الشعر !

فوجئت بهدية الأستاذ الكريم على غير سابق معرفة ، ففرحت بها ، لأنها ملأت يدىّ بأ.لى المنشود الذى كنت أرسلهما من أجله فى الأدب العربى فلا تفوزان منه إلا بالوشل الذى لا يشفى غلة ، ولا يبل ظمأ ... فلما قرأتها ، عرفت فيها ريح ذلك الفؤاد المحزون الذى نَفَّسَ عن أشجانه « بأناته الحائرة » أو هذه الباقة العبقة من زهرات الألم والأسى ، التى نظمها الشاعر تحية لروح أعز الناس وذكرى ! وجدت فى المسرحية ريح هذا الفؤاد المحزون ، وكنت قد تصفحت « أنات حائرة » ، فلشد ما راعنى أن صدق حدسى ! لقد وقعت فيها على زفرة من ذاك الأنين الموجع الذى وصف به الشاعر فى إحدى مراثيه تلك الليلة الخالدة فى حياة كل زوج ، الليلة الأولى التى تربط بين قلبين ، وتحقق حلمين ، وتستفتح فى تاريخ كل عش هادئ طوبى من السعادة والمحبة والتوفيق ...

لقد أجرى الشاعر على لسان قيس ، فى ليلته السعيدة الأولى ، حينما لم الله شمله بلبنى ، نغماً من تلك الموسيقا الباكية التى ترددت فى أطرافها أناته الحائرة ، والتى ذرف بها دموعه وروحه ، وجدا على شريكة حياته وحرقة والتياعا ...

اسمع إلى الشاعر الجليل يرثى إلفه فى ليلة ذكرى عُرسه :

يا ليلة جمعتنا بعد طـــول نوى
ذكراك هاجت لنا الأشجان ألوانا
ذكرت ما كان من عرس جلوت به
علىَّ أكرم خلــــق الله إنسانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقا   والروض متسقاً والبان رَيّانا
بتنا تضىء ظلام الليل نشوتنا   وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت ، فلم تفرغ مقالتنا   إلى الصباح ولم تفرغ شكاوانا

واسمع إلى قيس يكمل هذا اللحن :

وحولنا الليل يطوى فى غلائله   وتحت أعطافه نشوى ونشوانا

فتتم لبنى اللحن قائلة :

نكاد من بهجــة اللقيا ونشوتها
نرى الربى[1] أيكةً والرمل بستانا
ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا
والماء صهباء ، والأنسام ألحانا
ونحسب العمر فيضاً من صبا وهوى
والغيب ملآن بالأشراق ريانا[2]

فينشدو قيس :

لم نمتنق والهوى يفرى جوانحنا   وكم تعانق روحانا وقلبانا
نغضى حياء ، ونغضى عفة وتقى   إن الحياء سياج الحب مذ كانا[3]
ثم انثنينا وما زال الغليل لظى   والوجد محتدماً والشوق ظمآنا

وتختم اللحن لبنى وهى قائلة :

فى سبيل الهوى ما ذاب من مُهَجٍ
وانهلَّ من مقل زانى وقربانا
خضنا الليالىَ نشكوها وننكرها
حتى التقينا ، فقد لذت لنا الآنا[4]

حتى التقينا فقد لذت لنا الآنا ! لله ما أوجع تلك الذكرى !

اسمع إذن إلى بقية اللحن يرسل فيه الشاعر الجليل روحه ودموعه :

يا ليلة شبّت الذكرى بعودتها   فى دورة العام ماذا هجت لى الآنا ؟
قد كنت فيما مضى أنساً نطيب به
نفساً ، فأمسيت أوصاباً وأشجانا

(١) فى ديوان أنات حائرة « الدنا » مكان « الربى »
(٢) فى الأنات : والغيب مؤتلق الآفاق مزدانا
(٣) ليس هذا البيت فى ديوان الأنات
(٤) البيتان ليسا فى الديوان

أضنيت أسوان ما ترق مدامعه
وجت فوق حشايا السهد حيرانا
يبيت يودع سمع الليل عاطفة
ضاق النهار بها ستراً وكتمانا
ويرسل الشجو فى سر الدجى حرقاً
لو الدجى قُدّ من صخر إذن لانا !

إلى آخر هذه الأنات الحائرة بين الديوان الوفى الخالد، وبين المسرحية الوفية الخالدة

لقد كنت أقف عند كل شعر يقوله قيس، فأحس فيه قلباً يحترق وروحاً تتململ من الوجد، فى ديباجة قوية، ونفس مرسلة، لا تتفق كثيراً لمن ينظمون شعراً لا تصله بقلوبهم صلة ولا بأرواحهم بموضوعه شأن، فلما وقعت على هذا الشعر الذى يقبسه الشاعر من مراثيه، ليجريه على لسان قيس ولبنى، عرفت سبب هذه الحرارة التى تشيع فى كلمات قيس ولبنى خاصة فلما قرأت فى خطابه إلى أنه إنما شرع ينظم مسرحيته باقتراح من هذه الزوجة الوفية، عرفت أن المقادير قد شاءت أن تكون المسرحية كلها أخلد المراثى فى ديوان الأنات الحائرة

ولكن. ما دام الأمر كذلك، فلماذا آثر الشاعر الجليل أن تنتهى منظومته هذه النهاية السعيدة، ولماذا لم ينته بها إلى المأساة، والمأساة أوجع فى القلب، وأنكأ للنفس! ولا سيما أن كثرة الرواة على أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد افتراقهما؟

وأحسب الإجابة عن هذا سهلة هينة ... فالشاعر المحزون رجل مؤمن عامر القلب بالإيمان ... وهو قد نظم المسرحية لتكون رثاء ووفاء ... وهو قد اتخذ قيساً ولبنى رمزين خالدين له ولإلفه ... وهو قد كره لهذا السبب أن ينتهى حبهما إلى هذا الفراق الكريه الذى قال به معظم رواة أبى الفرج، والذى لا لقاء بعده ... حتى فى عليين ... وهو لهذا السبب آثر أن يجمع بينهما فى هذه الحياة الدنيا ... وأظنه ... بل أؤكد أنه رمز بذلك إلى لقاء الدار الآخرة

***

وبعد ... فنحن نريد أن نتجه بأمانينا إلى هذا الإيمان الذي يعمر قلب عزيز أباظه بك ... الرجل الذى وفى لشريكته فى الحياة ما لم يف أحد لأحد ... الرجل الذى كان يملك هذه الذخيرة من الشعر والشعور وقوة التعبير، ثم لا يطمع فى شهرة أدبية، ولا يحاول منافسة أحد من جبابرة الأدب، حتى كان الذى قضى الله، فسمت إليه الشهرة التى تحنى أقدام غيره وهو أزهد الناس فيها، لأنه إنما كان يبكى لنفسه، ولم يطلب قط أن يسمده أحد، أو أن يمده بالإسعاد على ما ألم به. إنما هو حسن حظ الأدب المصرى الحديث الذى أظفره الله بأدمع ذلك القلب الكبير وأناته، منظومة فى سموط من الألم. أراد الله أن يرسلها الشاعر تفريجاً لهمه، وتنفيساً عن قلبه ... وإلا فأين كان كل ذلك الأدب وقد بلغ الشاعر الخامسة والأربعين؟[1]

فنحن إذن نتجه إلى قلب الشاعر العامر بالإيمان، بأمانينا، بأمانى الأدب المصرى الحديث ... بهذه الآمال التى رددناها، ولن نمل من ترديدها، حتى يعمر شعرنا المصرى الحديث بهذه الثروة الزاخرة التى شهدنا بعض أقباسها فى مجنون ليلى، وكليوبطره، وقمبيز، وكثير عزة، وأغنية الرياح الأربع ... وأخيراً ... فى قيس ولبنى ... وفيما لا أذكر الآن من روائع شعرائنا المجددين

نتجه إلى قلب الشاعر العامر بالإيمان إذن. راجين أن يسير بالشعر المصرى الحديث فى تلك الناحية الموضوعية التى سار بها فى مسرحيته الخالدة، والتى سار بها فى روائعه «فى بطحاء مكة» و «على قبر خديجة أم المؤمنين» و «أحد» و «ذكريات»

وليؤد كل منا الدين الذى فى عنقه للوطن واللغة والأدب.
وينبغى ألا تحول آلامنا بيننا وبين واجبنا

دريني خشبة

(١) ولد الشاعر بالزقازيق فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٨ وتعلق بحفظ الشعر منذ أول الصبا، وكان خالد الذكر المرحوم حافظ بك إبراهيم صديقاً للأسرة الأباظية، كثير التردد عليها، فكان يهدى الشاعر إلى روائع الشعر العربى ويوصيه بحفظها ثم عالج قول الشعر وهو فى السنة الرابعة الابتدائية وثابر على معالجته متأثراً بالشعر القديم، ثم متأثراً بعد ذلك بشوقى الذى يعتبره فى أوائل القائمة من شعراء العربية وكان شديد الحرص على أن يحتفظ بشعره لنفسه، وألا يطلع به إلا نخبة من أصدقائه وأقربائه المختارين، وإن نشرت له الجرائد بعض القصائد والمقطوعات وهو بعد تلميذ بالمدارس الثانوية. وقد بدا بنظم قيس ولبنى باقتراح من زوجته ظللها الله برحمته ورضاه — فبدأ نظمها مجاملا ومتسلياً، ثم ذهب فيها شوطاً بعد شوط، ثم أخذ نفسه بإتمامها وفى أكتوبر سنة ١٩٤٣ صدر ديوانه الحزين الباكي «أنات حائرة»، ومما قاله لنا بصدده: «فلقد طالما جاهدت نفسى أن أطويه كدأبي عن الناس! إنه أدمع قلبى وأنين روحى، فأى شأن للناس به!» والديوان يمتاز بقوة أسلوبه، وقوة روحه، وقوة حزنه، وقوة إيمانه؛ وقد نظم معظمه وهو بين يدى الله بالحجاز، فكان يمازج فيه بين التذكريات المؤلمة المبكية، ولا نغالى إذا قررنا أنه من أروع ما فى الشعر العربى من شعر الرثاء

مع نفسي . . . !

للأستاذ سيد قطب

(١) كتاب الحياة

هذه الحياة الدنيا عجيبة : صفحة منها تعرض كأنما هي وجه الجحيم ، فإذا الدنيا كلها آلام ، وإذا الطريق كله أشواك ؛ وإذا النفس الإنسانية في يأس لا رجاء لها فيه ، وضيق لا مخرج لها منه . وصفحة تعرض ، كأنما هي طلعة الفردوس ؛ فإذا النفس الإنسانية تطلّع على هذه الحياة ، وكأنما ترتادها أول مرة ، وفي رحابها الفسيحة آفاق للأمل لا تأخذها الأبصار

وليس بين هذه الصفحة وتلك ، إلا بمقدار ما تتحول النظرة من صفحة إلى أخرى في كتاب !

فأين هو الحق والباطل في هذا الكتاب العجيب ؟

(٢) لحظة سعيدة

كم في هذه الدنيا من أشياء جميلة ، نفقدها كل يوم لأننا لا نلقى إليها انتباهنا في اللحظة المناسبة

بالأمس كنت في حجرتي منفرداً ، كانت أبوابها مغلقة عليّ ، لأنني في أعقاب توعك زال . وفجأة نظرتُ إلى النافذة المغلقة ، فرأيت الشمس من ورائها توصوص لي بأشعتها

لقد أحسست إحساساً — غير كاذب — أنها تستأذن عليّ في لهفة . إنها تود لو أسمح لها بالدخول . كانت كالصبية الغريرة في مطلع الربيع ...

وما كدتُ أفتح لها النافذة حتى أشرق محياها الوضيء بابتسامة عريضة . وراحت تلقى بنفسها في فرح وشوق على أرضية الحجرة المتواضعة ، كأنها مليكة تتخفف من التقاليد

وما لبثتْ أن أخذت تتجاذب مع كل شيء في الحجرة أطراف حديث شهي ، كنت أصغي له بكل جوارحي ؛ ولقد وعيت في لحظات قصار أشياء كثيرة ، لا أملك أن أبوح بها . لقد ذابت في دمي وأحاسيسي ، واندست هناك بعيداً عن متناول الألفاظ

ورويداً رويداً جملت أشعر أن كل ما في الحجرة يؤلف (جوقة) راقصة توقع (سيمفونية) عذبة . ورأيتني أشترك مع هذه الجوقة في الرقص والتوقيع . وقد غاب عن حسي كل ما في العالم الخارجي من شخوص وأحداث ، وكل ما في عالمي النفس من مشاغل ومنغصات

لقد كانت لحظة جميلة . حقيقة لم تدم . ولكنها كسب لا شك فيه ، يضاف إلى رصيدي المتواضع من السعادة العميقة في هذه الحياة

(٣) الحلم الضائع

حينما كنت أحلم مغمض العينين ، كنت أتسخط على أشواك تؤذيني في هذه الأحلام

فلما استيقظت وتفتحت عيناي ، رحت أتحسر على تلك الرؤى بكل ما فيها من آلام

عندئذ حاولت أن أغمض أجفاني مرة أخرى ، وأن أستعيد الحلم الذاهب مع الكرى

هنالك سمعت هاتفاً من الأعماق :

هيهات أيها الواهم هيهات
إنه حلم واحد في هذه الحياة

(٤) الفتى المفقود

لست أنت التي أريد يا فتاة ، ولا عليك آسى في هذه الحياة

إنما أريد ذلك الفتى الحالم الذي كان يحيل حقيقتك المجسمة ، إلى رؤيا مجنحة

ذلك الفتى الذي كان يلقاك في عالم الأجسام ، كأنما يلتقي بأسطورة في عالم الأوهام

ذلك الفتى الذي كانت تضطرب أنفاسه وتتلاحق لأن كفه لامست كفك ، أو لأن نظرته التقت بنظراتك

ذلك الفتى الذي كان الدم يطفر في شرايينه والبهجة ترقص في خاطره ، لأن شفتيك أو عينيك قد همستا إليه ابتسامة سريعة

نعم ! أريد ذلك الفتى المغمض العينين ، الذي كان يراك بخياله حورية ساحرة . فإذا فتحهما مرة فرآك إنسانة عابرة ، أغمض عينيه فاستطاع أن يلقاك في الفردوس المسحور

أريد ذلك الفتى الذي أفتقده في نفسي اليوم فلا ألقاه . وعليه آسى كل الأسى لا عليك أنت يا فتاة !

(حلوان)

المرأة في حياة المتنبي وشعره

« إلى المرأة التي المتني كل حديث عن المرأة »

للأستاذ حسن الأمين

هل كان للمرأة في حياة المتنبي أثر من بعيد أو قريب ، وهل كان لها في شعره توجيه خاص ، وهل بدت على هذا الشعر صبغة لها مساس أو بعض مساس بها ؟

لا بد لنا قبل التوغل في الجواب من أن نفرق في موضوعنا بين المرأة أماً وبينها زوجة أو حبيبة ، إذ لكل أثره الخاص وناحيته التي لا تشبه ناحية الآخر . فماذا كان تأثير الأم على المتنبي ؟ كل ما عرفناه عن أم المتنبي أنها كانت همدانية صحيحة النسب من صلحاء النساء الكوفيات(١) ومهما أراد الدكتور طه حسين أن يحيط بمولد المتنبي من الشذوذ(٢) ومهما أردنا أن ندفع هذا الشذوذ فلا ريب أنه لم يكن لأم المتنبي أي أثر لا في حياته ولا في شعره ، بل إن المتنبي الذي تغنى بجدته لم يشر إلى أمه إشارة ولم يولها ذكراً . والدكتور طه حسين محق حين يقف طويلاً أمام هذه الظاهرة فيتساءل عن السر فيها . ولكننا لا يمكن أن نذهب معه إلى النتيجة التي وصل إليها من أن ذلك إنما كان لأن مولد المتنبي كان شاذاً ! ولماذا كان شذوذ المتنبي هو السر في ذلك ، ولا يكون السر فيه هو أن المتنبي لم ينعم بتلك الأم ففقدها قبل أن يعرف المجتمع وينغمس في الحياة ؟ أكبر الظن أن أم المتنبي قد فارقت الدنيا قبل أن يقدر لابنها التعرف عليها والتمتع بعطفها وحنانها فتركته لأمها ، فكانت أمها له أماً ، وكانت عاطفة البنوة ملتهبة فيه لجدته ، لأنه لم يعرف غيرها أماً ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا يذكر المؤرخون شوق جدته إليه ولا يذكرون شوق أمه ، ولماذا يعنى برثاء جدته ولا يعنى برثاء أمه ؟

ومهما كان مولد المتنبي شاذاً - على رأى الدكتور طه حسين - فإن هذا الشذوذ لن يحول دون شوق الوالدة إلى ولدها ولن يحول بين رثاء المتنبي لأمه لو كانت هذه الأم حية عند ما كان ابنها شاعر العرب ، ومهما يكن من أمر فالذى لا ريب فيه هو أن أم المتنبي بعيدة عن كل أثر في حياته وشعره ، وقد حلت محلها في هذا الأثر أمها فكان من تأثيرها في شعره تلك القصيدة الرثائية الخالدة التي قيل عنها : (أنه ورد عليه كتاب من جدته تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه وصول الكوفة فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها)(١)

ونحن لا تهمنا العلة التي ماتت بها الجدة ولا فرق لدينا إذا كانت هذه العلة هي الفرح أو الحزن أو أية علة أخرى مادامت قد ماتت قبل أن يراها ابن ابنتها وبعد أن أوشك أن يراها ، وقد كان المتنبي وهو الشاعر الحساس الملتهب الشعور المتأجج القلب كان حرياً به أن يخلد هذا الموقف الرائع بمثل ما خلده به من الشعر الذي لا نزال نحس فيه أحزان المتنبي وآلامه ، والذي لا يزال على تطاول العهد به مضرب المثل في الأسى العميق والشجن الدامي ، ومن ذا الذي لا يهزه هذا القول :

أحن إلى الكأس التي شربت بها
وأهوى لمثواها التراب وما ضما

وإذا كان المتنبي ينادي بأنه يحن إلى الكأس التي شربت بها جدته فما كان ذلك لأن هذه الجدة قد ماتت وملكه عليها الحزن فحسب ، بل كان ذلك لأن نفس المتنبي كانت في ذلك الحين قد امتلأت هموماً ، ولأن الزمن كان قد جرعه أمر الغصص ، ولأنه كان قد رأى بعينيه انهيار آماله في الحياة وأهل الحياة ، ولأنه كان قد وصل إلى حال أصبح يحن معها إلى ورود كأس

(١) أنساب السمعاني وتاريخ بغداد (٢) مع المتنبي

(١) الديوان

المنية ، ثم فوجىء بموت القلب الذى كان يرى أنه وحده يخفق بحبه ، وأنه وحده الذى يستروح إليه ويعتمد عليه فصاح من أعماق قلبه فى ساعة يائسة (أحن إلى الكأس التى شربت بها) وها هو نفسه يزيد هذه الفكرة وضوحاً وجلاء فيقول :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا
فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

فهو قد قاس من صروف الليالى ما جعله مسىء الظن بها وما جعله لا يترقب منها إلا الشر ، فلما أتته هذه الداهية لم يفاجأ بها ولم تزده علماً بما يحمله له الزمن من خبايا المصائب والمحن . ثم هو ذا يمعن فى الإيضاح والجلاء فيصور خيبة أمانيه وتلاشى أحلامه ، فلا ولاية ولا سلطان ولا حشم ولا اتباع بل حظ عاثر ويأس قاتل :

طلبت لهـا حظاً ففاتت وفاتنى
وقد رضيت بى لو رضيت بها قسما

وهكذا بعد أن طوف فى البلاد وراء (الحظ) ، فاته هـذا الحظ وفاتته كذلك هذه الجدة الرؤوم ونحن نلمس فى عجز البيت حساً من الندم الخفى على تلك المغامرات والضرب فى الفلوات وراء الحظ المنشود ونلمس روحاً من الأسف المكبوت على أن لا يكون قد قنع فلم يجازف ورضى فلم يندفع ، وعلى أن لا يكون قد عاش إلى جانب تلك الجدة خلى البال من المطامح بدلا من أن يعيش إلى جانب أولئك الذين لم يعرفوا حقه ولم يجيبوا سؤله ، ولا أدل على هذا الندم والأسف من البيت الذى يليه :

فأصبحت أستسقى الغمام لقبرها
وقد كنت أستسقى الوغى والقنا الصما

ولا نريد أن نسترسل فى النظر بهذه القصيدة ، وإنما نكتفى بالقول إنها صورة حية لما كانت عليه نفس المتنبى من الحزن والكمد ، وإنها مظهر واضح لما كان فيه من التبرم بالناس والحياة وأن وفاة جدته كانت مفجراً لعاطفته ، فأرسل نفسه على سجيتها فبكى فيها بكاء مراً :

حرام على قلبى السرور فإننى
أعد الذى ماتت به بعدها سما
وما انسدت الدنيا على لضيقها
ولكن طرفا لا أراك به أعمى
فوا أسفا أن لا أكب مقبلا
لرأسك والصدر الذى ملئا حزما

وتحدى الناس تحدياً صارخاً :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها
فقد ولدت منى لأنفهم رغما
تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا إلا لخالقه حكما
يقولون لى ما أنت فى كل بلدة
وما تبتغى ، ما أبتغى جل أن يسمى
كأن بنيهم عالـــون بأننى
جلوب إليه من معادنه اليتما

واستهتر بالدنيا وما فيها :

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبى
ويا نفس زيدى فى كرائهها قدما

هذا هو أثر المرأة الأم ، أو على الأصح المرأة الجدة ، فى شعر المتنبى ، فما هو أثر المرأة الزوجة والمرأة الحبيبة فى حياته وشعره ؟

إذا كان قد وجد بين المؤرخين من يذكر أم المتنبى فيقول إنها همدانية من صلحاء نساء الكوفة ، فإنه لم يوجد بينهم من يذكر زوجته أو يتحدث عنها بشىء ، فنحن لا نستطيع أن نعرف فى أى زمن تزوج المتنبى ، ولا فى أى طور من أطوار حياته ، ولا فى أى بلد من البلاد التى نزلها ، بل إن الغموض ليكتنف هذه النقطة من تاريخه كل الاكتناف ، وليس لدينا شىء واضح عنها ، غير أنه كان له ولد سماه « محسداً » ، أما من هى أم محسد ، وكيف اتصل بها المتنبى ، وأين اتصل ، وكيف كانت حياته معها ؟ فإنا لا نستطيع الإجابة على شىء من هذا . فهل عاشت معه فى بلاط سيف الدولة ؟ وهل انتقلت معه إلى مصر ؟ وهل ذهبت إلى أرجان وشيراز ؟ وهل امتدت بها الحياة بعده أم ماتت قبله ؟ كل ذلك لا يجيبنا عنه التاريخ بشىء ،

التناقض
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

تقدم فيما أسلفنا من كلمات مثل من تناقض صاحب النثر الفنى، لكن المقام فى تلك الكلمات لم يكن يسمح بالتنبيه إلى ذلك التناقض إلا عرضاً. فلعل من الخير الآن أن ننبه إلى بعض ما فاتنا التنبيه إليه هناك

وأول ما نحب التنبيه إليه من هذا تناقضه فى موقفه من المأثور من النثر الجاهلى. فبينا هو ينفيه ويغالى فى موقف، إذا هو يثبته ويؤكده فى موقف، فهو ينفيه نفياً بتاً فى قوله:

« وما نقله الرواة من النصوص لا يكفى لتعيين أساليب النثر فى العصر الجاهلى ... وهو على قلته مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية » ص ٣٥ : أول : ثم يؤكد ذلك فى صفحة ٣٧ إذ يقول :

« وإذا كان الشعر الجاهلى مهدداً بمثل هذا الرفض مع اتفاق الباحثين على أنه كان وحده موضع عناية الرواة والحفاظ والناسخين، فكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما نسب إلى الجاهليين من النثر مع أن عناية الرواة به قليلة، ومع أن من خطباء الإسلام نفسه من ضاعت آثارهم لقلة التدوين » لكنك تقرأ له فى صفحة ٥٢ ما ينقض هذا من أساسه إذ يحدثك :

« فأنا من الذين يرون أنه كان هناك أدب جاهلى واسع النطاق ...

يقولون : وأين آثار ذلك الأدب الجاهلى ؟

وأجيب : بأن ذلك الأدب قد ضاع أكثره حتى ليصعب أن نتخذ منه أداة لوصف ما كان عليه الجاهليون من أنظمة أدبية وسياسية واجتماعية ودينية

وهنا يبتسم المنكرون قائلين ومن يدرينا أنه كان هناك أدب ضاع ؟

وعند هذه المفاجأة نجد الجواب، لأن الأدب الجاهلى لم يضع إلا عند المتأخرين، أما المتقدمون من رجال القرن الأول والثانى والثالث فقد عرفوه وتدارسوه » !

ولكن أمراً واحداً يستوقف النظر، هو أن الذين ذكروا مقتل المتنبي ذكروا أن محسداً قتل معه، فنحن نعرف من ذلك أن محسداً كان يصحب أباه فى عوده من فارس إلى العراق، ولكننا لا نعرف السن التى كان فيها محسد، كما إننا لا نعرف أين كانت أم محسد فى ذلك الحين. على أننا نستطيع التأكد من أنها لم تكن تصحبه فى تلك الرحلة القانية، لأنها لو كانت تصحبه وقتل زوجها وولدها لسمعنا عنها خبراً، ولروى أبو نصر الجبلى للخالدين عنها شيئاً ؛ فياليت شعرى هل كانت لا تزال على قيد الحياة تنتظر أوبة زوجها وولدها وتستعد لاستقبالهما بعد الغياب الطويل ؟ هل كانت أم محسد فى الكوفة تترقب عودة أبى محسد ومحسد فتبثهما لواعج الوجد والشوق وتفضى إليهما بما فى الصدر من هوى وحنين ؟ أم كانت فى مكان آخر تستطلع أخبار الغائبين العزيزين متوقعة ما يحملانه لها من مجد ورفاه ومال ؟ أجل هل كانت حية تنتظرهما أم كانت ميتة من عهد بعيد أو قريب فلم يفجعها موتهما الدامى ؟

كل ذلك سر فى ضمير التاريخ لم يكشف عنه لأحد. ولكننا نتساءل : هل يمكن أن تموت فى حياة زوجها، ثم لا يرثيها بكلمة ولا يبكيها بقصيدة بعد أن رأينا شدة تفجعه على جدته وطول حرقته لموتها، ونحن يعنينا فى مقالنا هذا أن نعرف مدى تأثيرها فى حياة المتنبي وفى شعره، وبعد كل الذى مر ندرك أننا لا يمكن أن نجد لها أى أثر فى حياته ولا فى شعره

أما ما كان من تأثير الحبيبة فى المتنبي فذلك ما سنجيب عليه فى مقال تال .

(النباطية — بلاد الشام) حسن الأمين

ثم يعود فيؤكد هذا فى صفحة ٥٣ إذ يقول : « أنا أقول بأن الأدب الجاهلى لم يضع إلا عند المتأخرين ، أما المتقدمون فكانوا يعرفونه ويروونه ويتجرون به فى الأسواق الأدبية وعلى أبواب الملوك

فصاحب النثر الفنى يثبت هنا ما كان قد نفى وأنكر هناك من وجود نثر جاهلى صحيح عرفه القدماء الإسلاميون وتدارسوه ، واستنتجوا منه ما استنتجوا ، وحكموا عليه وله بما حكموا . وهو بهذا يهدم كل ما بنى ورتب على فقد النثر الجاهلى من نحو إهماله آراء القدماء وحكمهم فى نثر الجاهلية ، واضطراره إلى الرجوع إلى القرآن لاستنباط صفات ذلك النثر ، بقطع النظر عن رأى صاحب النثر الفنى فى القرآن . أما كيف ، وقد كان ذلك النثر موجوداً مدروساً فى القرون الثلاثة الأولى ، أمكن أن يندثر ويضيع فى القرن الرابع والقرون بعده ، فذلك ما لا فائدة فى التسآل عنه أو النظر فيه عند صاحب الكتاب

وموقف صاحب الكتاب من أمية العرب فى الجاهلية يشبه موقفه من النثر الجاهلى ، فهو يقضى فيها بما يلائم غرضه فى كل مقام . إذا أراد أن يهدم ما بناه الأقدمون على أمية العرب شكك فيها ثم نفاها ، حتى إذا أراد أن يحتج لبعض مزاعمه التى ينقضها نفيه الأمية عن عرب الجاهلية أثبتها وأشاعها

فهو يشكك فيها حين يريد أن يثبت لهم أدباً مكتوباً فى الجاهلية إذ يقول : « وهذا الذى أقوله يحملنا على الشك فى التقاليد التى جرى عليها الباحثون من أن العرب كانوا أميين بدرجة خطيرة ، وأنهم لذلك لم يحفظوا عن طريق الكتابة شيئاً يستحق الذكر من قصائدهم وخطبهم ورسائلهم »

وهو ينفيها عنهم حين يثبت لهم فى الجاهلية علوماً ونهضة لا تقوم إلا على الكتابة والكتاب كما ترى فى قوله : « وظهور كتاب كالقرآن فى أى لغة يدل على أنها تعدت طور الطفولة منذ أزمان ، واللغة حين تصل إلى عهد القوة والفتوة لا تخلو من باحثين يهتمون بتقييد ما يعرض للأساليب من القوة والضعف والوضوح والغموض » ص ٤٨ وفى قوله : « وإنما أرجح أن يكون العرب فى جاهليتهم عرفوا النحو وعرفوا غيره من العلوم الأدبية . ألسنا نري القرآن يجرى على نمط واحد فى أوضاعه النحوية لا يختلف فى ذلك إلا باختلاف رواته من القبائل المختلفة » ص ٥٥

وفى قوله : « ونتيجة ما سلف أن العرب فى جاهليتهم اهتموا بالنثر الفنى اهتماماً ظهر أثره وعرفت خواصه فى خطب الخطباء ورسائل الكتاب » ص ٥٦

فاقرأ له واعجب إذ يقول بعد ذلك مباشرة : « ولكن ما عرف عن العرب من إهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فيهم أضاع علينا معرفة من اهتموا اهتماماً جدياً بتدوين البديع ، فكان من ذلك أن شاع الاعتقاد بأن ابن المعتز هو أول الكاتبين فى هذا الفن الجليل » هذا يقوله فى مقام يريد فيه أن يجعل البديع كالنحو علماً معروفاً فى الجاهلية كما هو صريح كلامه فى صفحة ٥٦ ، فلما لم يجد دليلاً أو شبه دليل على ذلك علله بإهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فى عرب الجاهلية ، ناسياً ما كان ادعاه لهم من قبل من وجود علماء كاتبين يهتمون بتقييد العلوم

ومثل آخر من اضطرابه وتناقضه ما كتب فى القرآن وأثره فى أهل العصر الأول ؛ فهو فى صفحة ٥٨ يروى فى الهامش رأى المسيو مرسيه من أن العرب كانوا يتجنبون محاكاة القرآن وأن القرآن لذلك لم يؤثر فى نثرهم الفنى تأثيراً يذكر . وقد وافقه بحق على تجنبهم المحاكاة وخالفه بحق كذلك فى إنكاره تأثرهم بالقرآن إذ يقول : فإن ذلك — أى تجنبهم المحاكاة — لا ينافى تأثرهم به وتأثيره فيهم ، فإن هناك عدوى روحية تمس القلب والعقل وتصبغ الآثار الأدبية بصبغة ما يقرأ المرء أو يسمع وإن تكلف الهرب وحسب نفسه بمنجاة من المحاكاة والتقليد » فهذا صريح فى أنه يرى أن تأثرهم بالقرآن كان غير مباشر ، أى كان رغم تكلفهم الهرب عن المحاكاة والتقليد . لكنه يرجع بعد ذلك فى صفحة ٦٠ فيقول توصلاً إلى تخطئة بعض مخالفيه « والقرآن أساس المنهج الكتابى لذلك العصر — عصر الصدر الأول — بلا شك » فينقض بهذا ما وافق وما خالف به

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضي)

ونعود بعد ذلك إلى قصيدتنا فنكشف ما فيها من سمات الشعر الجديد بقدر ما يطيقه قلمى الضعيف . فمنها :

اضطراب الوزن

وشعراؤنا المجددون لا يأبهون بأوزان الشعر كثيراً ... هم ينظمون كما تهديهم الفطرة فإن جرى نظمهم على أوزان الشعر فيها . وإن حادوا عنها ووجدوا من يلومهم أخذتهم العزة فراحوا يعنفون هذا الأسلوب العتيق — مراعاة الوزن ويناودن بتحرير الشعر من هذه القيود الثقيلة التى اصطنعها الأقدمون

وإذا كان الشاعر — على شرف الدين وهو من الذين درسوا العربية وراضوا عروضها وقافيتها يهمل الوزن فأحر بسائر شعرائنا الشبان أن يكونوا أكثر منه إهمالاً له

مطلع قصيدته « أين الطريق »

ملَّ الرحيل معفَّرٌ أودى به حظ الأديب

وهى كما ترى من (مجزوء الكامل) ووزنه (متفاعلن) أربع مرات . وقد اختل الوزن فيها مرتين . الأولى فى قوله :

لن تشهدى منى السرور علىَّ الشروق ولا البكاء على الغروب

فإنه كرر (متفاعلن) خمس مرات . والأخرى كذلك أيضاً فى قوله :

وكأنما للنمط والحرمان من أبنائها حظ الأديب

تناقض المعانى

ويحدث هذا فى أشعار القوم ، لأنهم لا يقصدون إلى هدف فى نظمهم . وإنما هى أفكار تروح وتجىء ، وتشرق وتغرب على غير هدى . ولقد يخيل إلى أن الشاعر منهم يشرع فى نظم قصيدته وما فى نفسه غاية أو هدف فما يزال يلفق البيت والأبيات من الشرق ومن الغرب حتى تستوى له قصيدته . ولئن سألته ماذا يعنى وأيا يريد لتسلل لواذاً ما يلوى على شيء . فهل تنتظر من مثل هذا إلا أفكاراً متناقضة ومعانى متباينة ؟

وهذا شاعرنا يحدثنا عن برمه بالحياة لكثرة نوازلها حتى لقد مات شعوره

وتمرست نفسى زماناً ثم تابت من لنوب
مات الشعور بها فما أنا بالحزين ولا الطروب

وإذن فقد مات شعوره فما يحس حزناً ولا طرباً ، ولكنه بعد ذلك يحدثنا عن قلبه الذى ينزع بالشجو ثم يشكو أساه إلى والديه ، ثم يرجع فى آخر قصيدته « مكلوم الفؤاد بحظ منسى سليب » ، ولست أدرى كيف يتفق الشجو والأسى والفؤاد المكلوم لإنسان فقد الشعور ؟ ...

وتراه يقول إنه لم يبق منه بعد أن أرهقه الزمان

إلا بقـــايا مأتم فى الوجه يبديه شحوبى

مراسيه ، إذ كيف يمكن أن يكون القرآن أساساً للمنهج الكتابى من غير أن يقلَّد أو يحاكى ، أم كيف يتكلفون العرب من محاكاته ثم يكون عندهم أساساً للمنهج الكتابى ؟

وأعجب من هذا وأصرح فى تناقضه أنه بعد أن رجح معرفة الجاهليين ؟لم النحو بناء على جرى القرآن على نمط واحد فى أوضاعه النحوية ، رجع فنفى ذلك فى الهامش فى نفس الصفحة (ص ٥٥) إذ يقول تعليقاً على دعواه تلك :

« عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، ولكنه دليل على أن اللغة كانت موحدة فى طرائق التعبير ، وهذا كاف للاقتناع بأنهم فكروا فى ربطها بقواعد النحو وأصول البيان » ! فانظر إلى استدلاله على معرفتهم النحو فى الجاهلية بعدم اختلاف الأوضاع النحوية فى القرآن ، ثم نصه على أن عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، واحكم هل هذا بحث باحث أو عبث عابث ؟ أما كيف أن توحُّد اللغة فى طرائق التعبير كاف للاقتناع بأنهم كانوا فكروا فى ربطها بقواعد النحو وأصول البيان فى الجاهلية ، أم كيف أنهم فكروا فى ربطها بقواعد النحو مع أن العرب لذلك العهد لم يكونوا عرفوا النحو ، فأمر لا يقدر على فهمه إلا من قدر على قوله : صاحب الكتاب ومن على غراره فى البحث والتفكير .

محمد احمد الغمراوى

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب

ولست أدرى كيف يتفق لمثل هذا الحطم الذى لم تبق له الأيام إلا أشلاء من الآمال أن يرقى الجبل مزوداً بأعصاب قوية

فصمدت لا زاداً سـوى الأعصاب والفصحى العروب

ثم ما رأيك فى كلمة « الأعصاب » فى هذا الشعر ؟

ومن تناقضه أيضاً أنك تراه ساخطاً على الشباب آملا الخير فى المشيب :

وسئمت من ليل الشبيبة وانتظرت ســـنا المشيب

ولكنه — وقد بلغ الثمانين من زهده وشاب بخياله — ساخط أيضاً على المشيب :

وبلغت من زهدى الثمانين التى هدّت جنـــوبى

عثرات اللغة والنحو

وهذا شائع فى شعر القوم ولا سبب له إلا جهلهم باللغة وأساليبها ، وفقرهم فى الاطلاع على كنوزها ودقائقها . وارتضاخ ألسنة الكثير منهم بلكنة أعجمية يُزْهوْن بأن تظهر فى تعبيرهم ، وأخيراً عدم مبالاتهم بما يفشو فى أساليبهم من اللحن وتهوينهم من شأنه . يقول شاعرنا :

وتكشفت لى محنـــة الأكفاء فى البلد العجيب

والأكفاء هم النظراء ، وإنما يريد الأكفياء جمع كفىّ أو الكفاة جمع كاف ... ويقول :

وقصيدُ عمرٍ دامىَ الأوزان مجروحَ الضروب

ولست أدرى بم نصب نعت المرفوع . ولا معنى للتعلل بالقطع هنا

ازدحام الاستعارات وفسادها

ولعل فساد الاستعارة من أشهر عيوب القوم . فالمعروف أن للاستعارة أصولا ودقائق يزلّ من يحيد عنها ، وأنه لا بدّ من أن تكون مشابهة بين المستعار والمستعار له حتى تصح ... على هذا جرى كلام العرب ، ولكن سادتنا لا يحفلونه ، هم يستعيرون ما شاءوا لما شاءوا من غير اكتراث بعلاقة . وحسبهم ما فى الألفاظ من بريق ولمعان

ثم إن الاستعارة فى كلام بلغاء العرب كانت بمقدار ، وقد تقرأ القصيدة من شعر امرىء القيس أو الفرزدق فلا يقع لك إلا استعارة أو اثنتان أو ثلاث أو ما قرب من ذلك ، وقد عاب النقاد على شعراء بنى العباس إيغالهم فى الاستعارة والتجنيس ، وقضية الاستعارة فى شعر أبى تمام استغرقت أكثر كلام الآمدى فى كتاب الموازنة . فما بال شعرائنا يفرقون فيها — إلى فساد فى التشبيه وانقطاع فى العلاقة — إغراقاً بعيداً يجعل كل شعرهم استعارات وصوراً متراكمة ، وما هكذا يكون البيان . وقديماً قالوا إن الشىء إذا زاد عن الحد انقلب إلى الضد . اقرأ لشاعرنا هذه الأبيات :

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب

وجراح أنات تلاشت واندملن على ندوب

ورفات آهات تضمن قبرها صـدر الغيوب

وقناة دمع لم تزل بالخد من عهـد النحيب

وحنين قلب ملجم الدقات مكبوح الوجيب

نزاع شجو دونه فى ناره شجو الغريب

وقصيد عمر دامى الأوزان مجروح الضروب

أرأيت إلى أشلاء الآمال ، وجراح الأنات ، ورفات الآهات وقبرها ، وصدر الغيوب ، وقناة الدمع ، والدقات الملجمة ، وقصيد العمر ، والأوزان الدامية ، والضروب المجروحة ؟ أرأيت إلى هذه الزحمة المرهقة ؟ ثم اسمع إليه بعـد ذلك يصف أيام الطفولة بأنها رفافة كالروح أو كالنور أو طيف الحبيب وأنها ريا كنوار المروج ، ثم إنى أؤكد لك أن شاعرنا — على ما رأيت — مقتصد فى استعاراته وتشبيهاته بالنسبة لما عودناه شعراؤنا المجددون ، فهل هذا هو التجديد يا معشر الشعراء ؟

لقد مرت عصور كان الجناس فيها آفة الأدباء ، فهل يحق لنا أن نقول إن الاستعارة والتشبيه اليوم آفة الشعراء ؟

سوء المقابلة

والمقابلة من محسنات البديع ، ولكن لهـا دقائق . وقديماً عابوا على الشاعر مقابلته الحب بالمجرم فى قوله (سرور محب أو إساءة مجرم) ، لأن مقابل المحب هو المبغض لا المجرم مع أن المبغض مجرم

وشعراؤنا يقابلون فيخلطون ، وشاعر اليوم يقابل السرور بالبكاء وبرج السعد ببرج الخطوب وإنارة الشمس بغيابها ، وقد يكون له فى كل هذا تأويل ولكنه على كل حال مما يضعف الشعر ويشوه جماله

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٧ — أنا آكل الكبش بصوفه

قال الطبرى : كان للفضل بن الربيع (وزير الأمين) خال يستعرض أهل السجون ويتعاهدهم ويتعقدهم ودخل فى حبس الزنادقة فرأى فيه أبا نؤاس[1] — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شاب ، أنت مع الزنادقة ؟ قال : معاذ الله قال : فلعلك ممن يعبد الكبش

قال : أنا آكل الكبش بصوفه ...

قال : فلعلك ممن يعبد الشمس

قال : إنى لأتجنب القعود فيها بغضاً لها

قال : فبأى جرم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : ليس إلا هذا

قال : والله لقد صدقتك . فجاء إلى الفضل فقال له : يا هذا لا تحسنون جوار نعم الله (عز وجل) أيحبس الناس بالتهمة ؟

قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادعى (أبو نؤاس) من جرمه فتبسم الفضل ، ودخل على محمد (الأمين) فأخبره بذلك ، فدعا به وتقدم إليه[1] أن يجتنب الخمر والسكر ؛ إن قال نعم ، قيل له : فبعهد الله ، قال : نعم ، فأخرج

٥٥٨ — غريم وقاضى كريم

فى (جمع الجواهر فى الملح والنوادر) لأبى إسحق الحصرى : قال الصولى : كنت يوماً بين يدى (أمير المؤمنين الراضى بالله) إذ دخل عليه بعض الخدم برقعة دفعها صاحب الخبر الملازم لمجلس أبى عمر القاضى : يذكر أن رجلاً أحضر خصما للقاضى ، وادعى عليه مئة دينار ، فألزم القاضى الغريم اليمين إذ لم يجد الخصم بينة ، فأخذ الدواة ، وكتب بيتين ، ودفعهما إلى القاضى ، فأمر القاضى غلامه فأحضر مئة دينار ، ودفعها إلى الرجل ، والبيتان هما :

وإنى لذو حلف كاذب إذا ما اضطررت وفى الأمر ضيق

وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق ؟

فعجب الراضى من الرجل وديانته ، وعجب من كرم القاضى وحسن ما فعله

٥٥٩ — بما رضى به لنفسه ولأنبيائه

كان لشريك القاضى جليس من بنى أمية ، فذكر شريك فى بعض الأيام فضائل على بن أبى طالب ، فقال ذلك الأموى : نعم الرجل على ! فأغضبه ذلك وقال : ألعلى يقال : نعم الرجل ، ولا يزاد على ذلك . فأمسك حتى سكن غضبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، ألم يقل الله تعالى فى الإخبار عن نفسه (فقدرنا فنعم القادرون) ، وقال فى أيوب (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) ، وقال فى سليمان (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أفلا ترضى لعلى بما رضى الله به لنفسه ولأنبيائه ؟

فتنبه شريك منذ ذلك لوهمه ، وزادت مكانة ذلك الأموى فى نفسه .

(١) قال أبو الورد السبعى : كنا عند الفضل بن سهل بخراسان ، فذكر الأمين فقال كيف لا يستحل قتاله وشاعره يقول فى مجلسه :

ألا سقنى خمراً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

فبلغت القصة محمداً فأمر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نؤاس فحبسه

(١) فى أساس البلاغة ، والقاموس ، والمصباح : تقدم إليه فى كذا وقدم إليه تقديماً : أمره به . وفى القاموس أمره وأوصاه به .

ضعف الأسلوب

وهذا موضوع يطول شرحه فى شعر القوم ، ولكن لن يفوتنا أن نمثل له بقول شاعرنا

أمى أبى أدعو وعند كايكما خير المجيب

وقوله يخاطبهما

أغضبتما فبكيا جوادى أم ترى كثرت ذنوبى

وقوله :

وبلغت من زهدى الثمانين التى هدت جنوبى

فما رأيك فى (عند كايكما خير المجيب) و (أم ترى كثرت ذنوبى) وجمع الجنب فى (هدت جنوبى) ؟

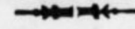
* * *

أما بعد ... فهذه نظرات سريعة لم يملها علينا إلا رغبتنا فى خير الشعر الجديد . ولدينا — فوق ذلك — مزيد .

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

ميت بين الأحياء

للدكتور عزيز فهمي



أنا حيٌّ غيرَ أنى لستُ حيّا　　　إنما أطوى بقايا العمرِ طَيّا
ذُبِل القلب فأذوى مُقلتيّا　　　وأرانى ضاحكا طَلق المُحيّا
وأرانى ناعمَ البالِ رضيّا
ليتنى اليومَ كما كنتُ شقيّا !

يوم كُنانى أتون العمر نصلَى　　　حرَّه هجراً وتعذيباً ووصلا
إن دنا منا حبيبٌ ثمَّ ملّا　　　بدّلَ القلبُ حبيباً وتسلّى
لا نبالى من تجنّى أو تولى
إن دعانا الحبُّ لم نعدم حَفيّا

يوم كان الشعر وحياً وهديلا　　　يوم فجّرناه نبعاً سلسبيلا
يوم كان العيش سهلاً وذلولا　　　يوم كان الجِدُّ لهواً وفضولا
يومَ علّمْنا القَمارىَّ المُثولا
يوم علمنا القمارىَّ الرَّويّا !

يوم كنا نُرهقُ الجسم شبابا　　　يوم كنا نرشُفُ العمر حبابا
كيف أضحى ذلك القلب خرابا　　　كيف حال الكرْمُ غِسليناً وصابا
كيف حالت جذوة القلب ترابا
كيف أمست بعدها صفراً يُديّا!

ما لعينى لا ترى رأياً جديدا　　　أغشتها غشوة عادت صديدا؟
ما لقلبى خافقاً خفقاً وئيدا　　　ذلك القلب الذى كان عنيدا !
كل شىء جامد حولى جمودا
ليس فى دنياى ما يوحى إليّا !

كلما لاح بريق فى سمائى　　　أو بدا آلٌ تلقّفْتُ إزائى
فإذا بالبرق ومضٌ كسَناء　　　وإذا بالآل أطلال ترائى
وأنادى والصّدى رجع ندائى
ليتنى لم ألْفِ فى الأوهام شيّا !

ويروح الناس أو يغدون حولى　　　وأنا راض بحالى وبحِيلى
ويجيئون لِلَهوٍ أو لِشغل　　　وأنا حيرانُ مشدوهٌ، وعقلى
عاجز عن درك ما يشغل مثلى
من رآنى ظن بى مَسّاً خفيّا

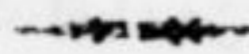
شاب هذا الروح واليأس احتواه　　　مذ أفاق الروح من حلم شجاه
وأفاق الصب من ماضى هواه　　　عبثاً تنشد يا قلبى سواه
قد كَبُرتَ اليوم فاقنع بشذاه
عش جماداً أو فعش مثلى خليا !

أيهذا البلبل الشادى بلحن　　　ما لهذا اللحن لا يُطرب أذنى
أيها البلبل ! ما هذا التجنى ؟　　　هات صوتاً غير هذا أو فدعنى
يا أمير الدوح لُمْ أو لا تَلُمْنى
كان هذا الصوت فى الماضى شجيا!

عزيز فهمى

صديقى الربيع

للأستاذ العوضى الوكيل



شجرُ «المشمش (1)» ازدهرْ　　　وغــدا أبيضَ الغُرَرْ
وسرى البِشرُ فى الغُصو　　　نِ نضاراً وفى الزَّهَرْ
تلك بُشرَى الربيع قد　　　سبقت ركبَه النَّضِرْ !

يا صديقى الربيع عُدْ　　　تَ، فجدّدتَ ما غبرْ
كم فؤاد لحسْنِك الرّا　　　ئع الفاتن انتظرْ !
شاعر خالد النشيـ　　　ـد ولولاك ما شعرْ !
ناقل عنك ما استطا　　　عَ سبيلاً وما قدرْ !

يا صديقى الربيع قد　　　لجّ بى الشوقُ واستعَرْ
لمَسراك نضيرة　　　فيك يُروَى بها النظرْ !
ومعان وضيئة　　　فيك تسمو على الفِكرْ
ونسيم لشهر آذا　　　رَ عذب السرى، عطرْ

العوضى الوكيل

(1) المشمش أول الأشجار إحساسا بالربيع فهو أسبقها إزهاراً وإبراقاً



حول شعر الشباب

قرأت مقال الأستاذ محمد محمود رضوان فى العدد الأخير من الرسالة الغراء ؛ وقد تصدى فيه لاحتمال ما تركه الأستاذ الكبير (ا . ع) من سوق الأمثال لمواضع النقص فى شعر الشباب .

وعجيب من الأستاذ رضوان أن يتنصل من طابع الشباب مبكراً ، ويحاول أن يقود الحملة على شعر إخوانه الشبان ! على أن العجب قد يقل أو يضمحل إذا علمنا أن الأستاذ قد خلص من متاعب العام الدراسى ، واستقبل فترة الراحة والاستجمام ، فهو يأبى أن يدع الطير في أوكارها ، ويرى بسهامه هدفين من زملائه ، ويمعن فى البأس والتحدى فيرمى إلى غرض ثالث بعيد !

لقد أخذ على الأستاذ طاهر أبى فاشا ميله إلى شكوى الزمان ، ورأى فى ذلك اللون من الشعر تناقضاً مع ما يعرفه عن (طاهر) من الدعابة . . . وفاته أن الشاعر يعلم من أسرار نفسه أكثر مما يعرفه خلطاؤه ! فقد يهزأ بالحياة ظاهراً ، ويخوض عبابها مع الخائضين ، حتى إذا بلغ منه يأس الزمان ، نفّس عن نفسه ، وسجل على الحياة عدوانها ، وهو فى كل ذلك فطرىّ النزعات ، لا يمت إلى التناقض بسبب ، وإنما هو الشاعر : يسخر حيناً ، ويجدّ حيناً :

أعاتب نفسى أن تبسمت خالياً
وقد يضحك الموتور وهو حزين !

ومن ينكر على الأستاذ (على شرف الدين) غرامه بشكوى الزمان ، وهو الشاعر الأبى النفس ، الذى قعد به حظه العاثر ، وسلك إلى غايته السهل والوعر ، فلم ينل من الحياة ما يرضى نفسه الطموح ! وهل يؤخذ على قصيدته الرائعة أنهـا قوية النسج ، جزلة الأسلوب ، موحدة الفكرة ، وتلك صفاتٌ نلتمسها فى كثير من الشعر فلا نظفر بها ؟ أفيصح بعد هذا أن ننظر إليها على أنها من الشعر القديم ؟ ! لقد ظلمتم شعراء الشباب ! إذا أخطأهم النسج القوى ، وصفتم شعرهم بالسخف والفتور ، وإذا راعكم منهم البيان الجزل قلتم : هـذا من الشعر القديم ! كنت أود أن تنقد القصيدة — وأنت الشاعر — من حيث الوزن ، فتشير إلى هَـنَةٍ جاءت من الأستاذ سهواً ، يراها القارئ المدقق فى البيت الخامس منها . . . وإنى أدعك لألمعيتك — وأنا بها جِدُّ خبير — وسأرى ما أنت صانع

ثم إن الأستاذ « رضوان » يفرق بين غموض بعض الصور فى شعر الشباب ، وغموض كثير من الصور فى شعر القدامى ! ويسألنى ! هل تبينت معنى قول أبى تمام :

جهمية الأسماء ، إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

وقوله :

هن عوادى يوسف وصـواحبه
فَعزْماً ، فَقِـدْماً أدرك النجح طالبه

وقد فات الأستاذ أن الغموض غموض حيث كان ، وأنه مخل بالبلاغة على أية حال ، وأن الشاعر القدير لا يكد ذهن قارئه فى الوصول إلى ما تنطوى عليه أساليبه ، وبقدر ما يتوافر له من أسباب الوضوح يكون حظه من البيان ، ومنزلته بين الشعراء . ولأمرٍ ما وصف المتنبى وأبو تمام بالحكمة ، وانفرد البحترى بصفة الشاعرية المطلقة !

وهل ضرب النقاد الأمثال للتعقيد اللفظى والمعنوى من قول القدامى ظالمين أو عابثين ؟

وبعد فإنى أوثر أن يتولى الشباب الدفاع عن شعرهم ، وأقف من هذه القضية عند هذا الحد ، وأعتقد أن عناصر النبوغ كثيرة فى شعر الشباب ، وأن التوجيه والإرشاد أجدى على الأدب ، وأليق بالناقدين والسلام

(الاسكندرية) (م . ع الهمشيشى)

القرآن الكريم فى كتاب النثر الفنى

كتب الأديب إبراهيم السيد عجلان فى العدد ٥٦٧ من الرسالة كلمة ذات شطرين : شطر يتعلق بنص ذكره من كتاب الموازنة بين الشعراء وشطر يتعلق بإلزام ذكره مما كتبنا

أما الشطر الأول فالدكتور زكى مبارك موجود ليدفع عن نفسه إن استطاع ، ومع ذلك فقد اعترف حديثاً بأن ما أسندناه إليه هو بالفعل رأيه

وأما الشطر الثانى فيكفى أن ننبه الأديب الفاضل إلى كلتين أغفلهما تحددان الذاتية الأدبية التى هى مدار الإلزام ، وهما كلتا « كالتى أراد » أى ذاتية كالتى أراد زكى مبارك . وهو لم يرد إلا ذاتية أدبية تستلزم كتابة الرسائل وتأليف الكتب فى الجاهلية ، أى ذاتية أدبية غير التى أشار إليها الأديب وأجمع عليها جميع العلماء والمؤرخين .

محمد أحمد الغمراوى

حول الشعر الجديد !

ليس بغريب أن تفسح الرسالة « وصاحبها من رسل التجديد فى الأدب العربى عامة » صدرها لمناقشة الجديد والقديم من الروح الشعرى ؛ بل إن فترة الانتقال والتقلقل التى نجتازها لتفرض علينا هذا النضال ، وتاريخ الأدب حافل بأمثاله . ولكن الغريب حقاً أن يكون حماة القديم والداعون له دائماً من رجال اللغة والنحويين (وإنى لأحبهم ، فقد أشربت تقديرهم عن والدى وأستاذى الزيات والمبارك) لم أفهم لهذه الثورة سبباً ولن أفهم حتى أجد لهذه الأسئلة جواباً :

ما معنى التجديد عند دعاة القديم ؟ هل هو عرض الفكرة القديمة فى لفظ جديد ؟! وكيف يكون اللفظ جديداً واللغة واحدة . أوليس من الطبيعى أن تتجدد الفكرة والصورة دون اللفظ ، لأن البيئة تتجدد فالأحاسيس التى تثيرها تتجدد ، والتعبير الذى يصورها يتجدد . ومن التعبير تكون الفكرة . ماذا جناه شعراء الشباب ـ وأنا منهم ـ سوى أنهم جددوا فى الفكرة مع حيوية فى التعبير وقوة التصوير وسلامة فى اللغة ؟

إن التجديد ـ بمعنى افتراع ما لم يكن ـ بدأ فى اعتقادنا بالتمثيلية الشعرية ؛ وستجد هذه والملاحم أيضاً ـ كما يدعو الناقد المجدد الأستاذ دربنى خشبة ـ سبيلها إلى الكمال عندنا ؛ فقد أوشكنا أن ننتهى من ملحمة كبيرة عنوانها « ملائكة وشياطين » ، وعند إخواننا الملهمين الأفاضل محمود إسماعيل وقطب وجودت وعبد الغنى حسن ومحمود شعبان والخميسى وفؤاد كامل والدكتور فهمى ومحى الدين صابر ونخيمر والوكيل

هذا فى الشعر أما فى النقد فإن رسل التجديد فيه هم شبابنا الأفاضل مندور وخشبة وقطب والعريان ، وفى القصص الأساتذة ذهنى وجوهر وباكثير والسيرى والمصرى والسحار ومحفوظ .

هؤلاء هم حملة رسالة التجديد من الشباب ؛ وإن الحياة لتسير ؛ وليس منا من توهم أن رسالتنا يمكن أن تتأثر بمقال ، وهيهات أن يكتمل النقد من غير مثال

حسين محمود البشبيشى

« الفوضى » فى المجمع

رأيت الأستاذ الكبير (ا . ع) بك عضو (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) يستعمل فى نقد (الشعر الجديد) المنشور فى مجلة (الرسالة) لفظة (الفوضى) بمعنى الاضطراب والعبث ، ورأيت زميله فى المجمع أيضاً الأستاذ أحمد أمين بك يستعملها كذلك فى اقتراحه الذى قدمه أخيراً للمجمع المذكور ، وكذلك زميلهما الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين فى نقده لهذا الاقتراح

ويقول الدكتور مصطفى جواد فى (مجلة المجمع العلمى العربى — ج ١٠ م ١٨ — : « الفوضى جمع لا مفرد ، ووصف لا اسم جامد ، واستعمالها وإن شاع لا يدل على بصارة بلغة العرب . فالفوضى كالمرضى والقتلى والشتى والصرعى وما أشبه ذلك . فاستعمال « الفوضى » بمعنى الاضطراب والاختلاط والعبث والانتشار والمرج والاختلال خطأ مبين » . وهو موافق لما نص عليه بعض ثقات اللغويين ، ولكن فى كلامهم أيضاً وكلام غيرهم من الأثبات ما يؤيد صحة الاستعمال المشهور : ففى المخصص (صار القوم فوضى أى متفرقين) وفى اللسان (قوم فوضى : مختلطون ... والوحش فوضى متفرقة تتردد ... ونعام فوضى أى مختلط بعضه ببعض ... التهذيب : كل ما كان فى اللغة من باب الإفاضة فليس يكون إلا عن تفرق أو كثرة) وفى الجمهرة (جاء القوم فوضى إذا جاءوا وذهبوا مختلفين) وفى التاج (قال أبو زيد : أمرهم فيضيضى بينهم وفيضوضى ويمدان وفيوضى بالفتح أى فوضى . وذلك إذا كانوا مختلطين يلبس هذا ثوب هذا ، ويأكل هذا طعام هذا ، لا يؤامر أحد منهم صاحبه فيما يفعل من أمره . وذكر اللحيانى أيضاً مثل قول أبى زيد)

محمد غسانه

من خريف الربيع

جاء فى قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل المنشورة فى العدد الماضى من الرسالة الغراء ما يأتى

وأنة فى الحشا طواها
سجن يسمونه الضلوعُ

ويلاحظ القارىء أن فى هذا البيت إقواء ؛ إذ ضم الشاعر كلمة « الضلوع » مراعاة للقافية مع وقوعها مفعولاً ثانياً « ليسمُّونه » . . وهذا غير سائغ عند العروضيين . فضلاً عن النحويين

محمد عبد الفتاح ابراهيم

تصحيح

جاء فى مقال شيكسبير المنشور بالعدد ٥٦٧ ، بالفقرة رقم ٣ ما يأتى : « ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية » ، والصواب : ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اليونانية القديمة إلى اللغة اللاتينية »

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 570

Lundi - 5 - 6 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٥ يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٩ ـ دفاع عن البلاغة

١١ ـــ التلاؤم فى الأســلوب

رأيت مى أن تقطيع المنثور من الـكلام جملاً أو فِقراً أو فواصل عمل بلاغى تقتضيه حالة النفس وحركة الذهن وطبيعة التنفس . وهذا التقطيع ـ وإن نشأ فى اللغة على مقتضى الطبع ـ له فلسفة وهندسة وموسيقى هن عناوين علم البلاغة ، وبراهين فن البليغ . فأما الفلسفة فقد أشرت إليها فى مقالى السابق إشارة توجّه أو تنبه . وأما الهندسة والموسيقى فلا كهما التلاؤم بين أجزاء الفِقر وفواصلها . فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن ، وإن كانت متماثلة فهو السجع . مثال الأول : وآتيناهما الـكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم . ومثال الآخر : إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم . فبين المستبين والمستقيم تعادل ، وبين نعيم وجحيم تماثل . بَلْهَ التوازن بين آتيناهما وهديناهما ، والـكتاب والصراط ، والأبرار والفجار

والتوازن ويسمى الازدواج مَوْسَقَةٌ فطرية فى نفوس العرب جعلوا بها النثر أشبه بالنظم فى جمال الرصف وحسن الإيقاع . فهو صفة ملازمة من صفات الأسلوب لا تـكاد تنفك عنه فى جميع أغراضه ومختلف صوره . وهو فى ذلك يخالف السجع

فإن للسجع موضوعات ومواضع لا يطلب إلا لها ، ولا يحسن إلا فيها ؛ ولذلك يُقبل فى غرض دون غرض ، ويجمُل فى صورة دون صورة . قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير : « كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ، ولا يقصدونه بتة ، إلا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ، وإن كانت كلماتهم متوازنة ، وألفاظهم متناسبة ، وفصولهم متقابلة . وتلك طريقة الإمام على ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ » . وقال أبو هلال فى الصناعتين : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً . ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج . ولو استغنى كلام عن الازدواج كان القرآن ؛ لأنه فى نظمه خارج عن كلام الخلق . وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه » . وقال فى موضع آخر : « واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط . ولا يلزمك فيها السجع . فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد » .

فالازدواج على إطلاقه ، والسجع على تقييده ، يؤلفان الموسيقية فى الأسلوب البليغ منذ كان للعرب ذوق وللعربية أدب . فليست الحال فيهما هى الحالَ فى سائر الأنواع البديعية التى نشأت فى الحضارة ونمت بالترف وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف . فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات ، والمزاوجة بين الكلمات ، والمجانسة بين الفواصل ، إنما ينكرون جمال البلاغة وجميل البلغاء فى دهر العروبة كله . وإذا أقررناهم على أن ذوق العصر لا يسيغ ذلك البديع الذى أولع به كتاب العصر الخامس ومن خلف من بعدهم ، فذلك لأننا لا نقحم فى ذلك البديع تلك الأنواع التى تحسَب فى عناصر الأسلوب وتنسب إلى خصائص اللغة ؛ كصحة المقابلة ، وحسن التقسيم ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، واتفاق الفقرة والفقرة فى الوزن ، واتحاد الفاصلة والفاصلة فى الروى

وأقطع الحجج على أن الازدواج والسجع من لوازم الأسلوب العربى أن القرآن وهو « كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » قد تجوَّز فى بعض الألفاظ والصيغ محافظة عليهما . قال شمس الدين بن الصائغ فى كتابه : إحكام الرأى فى أحكام الآى : « وتتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة المناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكماً » نذكر نحن منها على سبيل المثال : تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو : ولله الآخرة والأولى . وتقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . وتقديم الضمير على ما يفسره نحو : فأوجس فى نفسه خيفة موسى . وتذكير اسم الجنس مرة وتأنيثه أخرى نحو : أعجاز نخل منقعر ، وأعجاز نخل خاوية . والإفراد فى موضع التثنية نحو : فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، بدلاً من (فتشقيان) . وتغيير بنية الكلمة نحو : طور سينين ، بدلاً من طور سيناء . ووضع اسم المفعول موضع اسم الفاعل نحو : حجاباً مستوراً ، بدلاً من ساتراً ...

كذلك تجد فى كلام أفصح العرب وسيد البلغاء مثل ذلك . فقد كان صلى الله عليه وسلم يغير بنية الكلمة لتلائم أختها فى مثل قوله : « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وإنما أراد ملمة . أو فى قوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » ، وإنما أراد موزورات من الوزر . فلو كان الازدواج نافلة والسجع فَضْلة لما كان لهما هذه المنزلة من كتاب الله وحديث رسوله .

ولقد زهقت صناعة الحريرى زهوق الباطل ، وذهبت بضاعة الحموى زهاب الزَّبد ، فلم يبق حياً قوياً على فشو العجمة وشيوع الجهالة غير هذين النوعين الأصيلين ، يجريان على الأقلام الموهوبة مجرى الطبع ، ويفعلان بالنفوس الشاعرة فعل السُّلاف ، ويحفظان للأسلوب العربى روحه الذى عاش عليه وفنه الذى خلد به . والناس لا يكرهون السجع لأنه سجع ، ولا البديع لأنه بديع ، وإنما يكرهون التكلف والتمويه والبهرج وتنميق الألفاظ على المعنى التافه ، وترصيع الأسجاع فى الكلام الغث ، كما يكرهون الزخرف المنمنم على الجدار المنهار ، والحلة الموشاة على الجسد المسلول . ولكنك إذا تدبرت ما كتبناه فى حد البلاغة وتعريف الأسلوب ، ووعيت ما قلناه فى معنى الأصالة ومدلول الوجازة ، وكان لك الطبع الذى صقله الأدب ، وجلته الفطنة ، وأسعفته الملكة ، أمنت الكلمة التى لا تقع فى موضعها من الجملة ، والصناعة التى لا تقوم على أساس من الطبع والذوق ، والحلية التى لا تساعد الأسلوب على التأثير والإبانة . وإذن يكون ما تدبج هو الجمال ، وما تنتج هو الفن .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

مكانة العرب بين الأمم

للدكتور عبد الوهاب عزام

تخلد الأمم على وجه الأرض وتحيا على مر الدهور وتثبت في صفحات التاريخ بأسباب وقوانين . ويختلف حظها من الخلود ومن المجد باختلاف هـذه الأسباب المؤاتية والقوانين السارية ، قوة وضعفاً ، وإبطاء وإسراعاً ، وضيقاً واتساعاً . وهي أسباب متصلة متشابكة يؤدي بعضها إلى بعض ويمسك بعضها بعضاً . من هـذه الأسباب صلاحية الوطن ، والقوة الحسية والمعنوية ، والثبات للحادثات ، والاحتفاظ بالخصائص ، والاعتداد بالنفس والثقة بها ، وحضارة الأمة وأثرها في العالم ، وقدرتها على الأخذ والإعطاء في معترك الأمم ، والمكانة بين الناس ، وعظام التاريخ على مر الدهور

فأما الوطن فقد منح الله العرب موطناً فسيحاً وسطاً بين المواطن ، فياضاً بالخيرات بعيداً من الآفات الطبيعية المدمرة . موطنُ العرب جزيرتهم التي ولد فيها تاريخهم ومثواهم القديم الذي عرفهم فيه التاريخ منذ تحدث عن البشر بين نجد إلى إيران وجبال طوروس والبحر الأبيض ، ثم متقلَّبهم الذي نشرهم فيه الإسلام إلى بحر الظلمات وأواسط إفريقية . وهو موطن شاسع الأرجاء يقع معظمه في الإقليم المعتدل ، وقليل منه في الإقليم الحار ، ويجري فيه ثلاثة من أعظم أنهار العالم : النيل ودجلة والفرات ، وتتقسمه السهول الخصبة ، والبراري والصحاري والجبال ، وتمتد سواحله على بحر العرب والبحرين الأحمر والأبيض . هذا الوطن العظيم يكفل الحياة القوية والعيشة الغنية ، والثباتَ على الخطوب ، والبقاء على الزمان . وقد جعل الله مهد العرب جزيرة ممتازة محدودة بالبحار من معظم جهاتها تحفظت هـذا الجنس القوي بمعزل من تقلب الجماعات ، بعيداً من طرق المهاجرات فبقي بطبيع الأجسام القوية والطباع السليمة ، والفطر الخالصة ، ثم يمد بها أجزاء الوطن العربي الكبير ، كلما نالت الخطوب من أهلها أو أرقتهم الحضارة . وما يزال يقذف بهم موجة بعد موجة كالنهر العظيم المتدفق من قُنن الجبال ، بَعُد ينبوعه من الشوائب ، واطَّرد مجراه إلى الغاية المقدورة له ، ونبتت على عبريه الزروع والأشجار ، وحييت الأمم

ما تزال جزيرة العرب خلاقة ولاّدة فياضة تمد الأقطار العرب بالقبيل بعد القبيل . فإن بليت الأمم فهذه الأمة لا تبلى ، وإن أفنت الأقوام الحوادث فالعرب لا تفنى ، وإن نضب معين الأمم فلن يغيض الدم العربي الخالص ما دامت أنهار الله جارية في أرض الله ، وما دامت شمسه وهواؤه وأرضه تنمي الأجسام وتطبع الأقوام

وأما الثبات للحوادث الطبيعية والإنسانية ، فما دام هـذا الوطن العظيم يعرف بعضه بعضاً ، ويتصل بعضه ببعض ، فستجد كل ناحية في النواحي الأخرى ما يسعفها بمطالبها إن قحطت ، وما يدرأ عنها الأحداث إن طغت عليها . ومحال أن تعمها كلها الحوادث إلا أن يكون حادث القيامة حين يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما احتفاظ الأمة بخصائصها فعلى قدر ما في أجسامها وعقولها من قوة ، وعلى قدر ما فيها من اعتداد بالنفس وثقة بها ، والعرب من أقوى الأمم أجساماً وعقولا ، وأكبرها أنفة وإباء وعجباً وفخراً . والعربي منذ العصور الأولى يغلو في الاعتداد بنفسه ويأبى أن يسويها بالأمم ، ويربأ من مصاهرتها . وقديماً أبى النعمان أن يزوج كسرى ، وحديثاً قال أحد مجاهدي العرب في طرابلس الغرب ، وقد عقد صلح بين أهل طرابلس والطليان وامتنَّ هؤلاء على العرب بأن سووهم بأنفسهم في الحقوق . قال هـذا العربي المجاهد وهو ليس رئيساً ولا زعيما : « وا سوأتا ! أأسوَّى أنا بالرومي ... إنه لذل عظيم » . بل كان من آفات العرب الغلو في هذه الكبرياء فصعب أن ينقادوا ويسلسوا القياد . فبهذا الشعور بالعلاء والعظمة يعتزون بأنفسهم ، ويمتازون بخصائصهم ، ويتمسكون بأخلاقهم . وقديماً قال شاعرهم :

وإني لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وقديما رهن حاجب بن زرارة التميمي قوسه لملك الفرس ضماناً لما التزم من خراج . وحارب بنو شيبان الفرس إباء أن يسلموا سلاح النعمان بعد أن قتله كسرى . وقال أبو تمام يمدح بني شيبان :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها   وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

والمثل أكثر من أن تذكر فى هذا المقام، وأبين من أن تبين

إذا أحاطت الأمة القوية أنفسها وخصائصها بأخلاق قوية كفلت دفع الخطوب عن حوزتها. ولا سيما الأخلاق الإنسانية العزيزة التى تأبى للأمة أن تخضع فتذل فتفنى. والعربى فى جاهليته وإسلامه أبىّ حرّ، يأنف أن يَستعبد أو يُستعبد، وقد أمدّه الإسلام بفضائل سيّرته على وجه الأرض كالنجم لا يضل ولا يكل، وجعلته قانوناً من قوانين الله يسير إلى غايته مسير الشمس والقمر فى حُبُك السماء.

وكلما أخرجت الأمة من عمل أيديها، وأظهرت من نتاج عقولها، ونشرت من ثمرات أخلاقها وآدابها، زادتها صناعاتها وعلومها وآدابها رسوخاً على الأرض وثباتاً على مجرى الخطوب. ولا يعرف التاريخ أمة أثرت على وجه الأرض، وشادت فى الآفاق وفى الأنفس أكثر من العرب. لا يعرف التاريخ أمة حملته أكثر مما حملوا، أو جمّلته أحسن مما جملوا، أو سيطرت عليه أعظم مما سيطروا، أو سطرت على صفحاته أجل مما سطروا.

فإذا تركنا التاريخ القديم من معين وسبأ وحمير ومن بابل وأشور، فهل يحدثنا التاريخ عن أمة طلعت على العالم بمثل ما طلع العرب؟ همةً ذللت المشرق والمغرب فى سنين، ونيةً تريد الخير للناس أجمعين، وعدلاً يسوى بين الجبارين والمستضعفين، بل يمحو من الأرض كل جبار ومستضعف ويقف الناس جميعاً إخوة على سَنَن من العدل المطلق، والمساواة الكاملة، والأخوة الشاملة.

هل يعرف التاريخ أمة جمعت فى سلطانها ما جمع العرب من أمم وأقطار، ثم آخت بينهم وحفزتهم إلى الفضائل والآداب والعلوم والصناعات، فإذا معظم العالم المتحضر متعاون على نسج حضارة واحدة عظيمة، كل أمة على قدر مواهبها وقواها؟ فوصلت ما انقطع من سير الحضارة، وقطعت ما اتصل من سير الجبروت والاستعباد والشر والفساد. وما فعلوا هذا كله إلا ابتغاء وجه الله، وقصداً إلى إصلاح الناس، وعمران الأرض.

وقد ربط التاريخ ذكر العرب وتاريخ العرب بهذه المآثر وتلك الفضائل والأخلاق والمكارم، وضمن لهم الخلود ما بقى للناس سيرة فى الفضائل والمعالى. لا أقول إن الإسلام صُنع العرب فالإسلام صنع الله، ولكن العرب كانوا أول من حُمّلوا هذه الأمانة فحملوها، ودُعوا إلى هذه المعالى ففقهوها، وكلفوا نشرها فنشروها، فكأنما خلقت لهم أو خلقوا لها، وكانوا أحق بها وأهلها، وللأمم الإسلامية بعد هذا فضل لا ينكر. ثم أدب العرب هل يعرف العالم أعظم منه سعة رقعة، وطول مدة، وجمالاً وجلالاً؟

إذا ثبّتت الأمم بنيانها على كر العصور بالسير المجيدة، والمثل العالية، فعند العرب سير رجف بها الزمان، وأقر لها الحدثان. وإن مكنت الأمم لأنفسها بالصناعات والعلوم والآداب فعند العرب ما يكفل لهم التمكن فى الأرض والخلود فى سجل التاريخ. وحسبُ المجادل أن يُسير فكره بين هضب إيران وبحر الظلمات وجبال البرانس وغابات إفريقية، ويعبرَ التاريخ فى هذه المواطن كلها أربعة عشر قرناً ليرى مجد العرب ويبصر حجة العرب

ولا نقول إن العرب خَلقوا ولم يقلدوا، وابتدعوا ولم يتبعوا، وأعطوا ولم يأخذوا، وأعاروا ولم يستعيروا، ولكنا نقول إنهم أحسنوا الخَلق والتقليد، وأجادوا الابتداع والاتباع، والأخذ والعطاء، والاعارة والاستعارة. والأمم تدل على فضلها بالأخذ كما تدل عليه بالعطاء، وتثبت حياتها بالمحاكاة كما تثبتها بالخلق. وإنما حياة الأحياء على قدر ما تؤثر فى غيرها وتتأثر. الذى لا يأخذ ولا يعطى جماد، والنبات يأخذ قليلاً ويعطى قليلاً. وانظر بعدَ هذا الحيوان الأعجم والإنسان، ثم اعتبر هذا فى تاريخ الأمم يصح الاعتبار ويطرد القياس

تخلد الأمم بأفعالها وآثارها، ويقينها فى أنفسها، ويزيدها مكانة وتمكيناً فى الخلود أن يزيد على مر العصور مجدها، وتعظم على كر الدهور بين الأمم مكانتها، حتى تعلو على أحداث الزمان ومطامع الإنسان، فتقر لها الأمم بالفضل وتخلى لها سبيلها فى الحياة

وللعرب من هذا كله نصيب موفور ، وسعى بين الأمم مشكور ، إلا من ضل به الهوى أو جار به الحسد . وهم جديرون اليوم بتاريخهم ، حقيقون بسيرتهم . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل دعاة حرية وأخوة ، وهداة مدنية وعمران ، وأئمة أخلاق وآداب ، وأنصار فضيلة وحق . ولن يكون نهوضهم اليوم إلا خيراً للبشر وسلاماً للناس أجمعين

ولهذه الأمة الكريمة الخالدة لغة كريمة خالدة أنضجها الزمان المتطاول فى البقاع الشاسعة من الجزيرة ، وأخرجتها الفطرة السليمة والإحساس المرهف ، والإدراك النافذ ، لغة كاملة معجبة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة ، وتمثل كلماتها خطرات النفوس . تكاد تتجلى معانيها فى أجراس الألفاظ ، وتتمثل فى نبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة ، فالمعانى المحسة والمعقولة مبينة فى ألفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الأشياء المتشابهة ، فتضع للشبيه لفظاً غير ما وضعته لشبيهه إدراكا للفرق الدقيق بينهما . فإذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلاً كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم . وإذا دلت اللغات على صفات الوجه الإنسانى مثلاً بكلمات مركبة لكل صفة ، دلت العربية على كل حلية في الإنسان وكل صفة فى عينيه وحاجبه وأنفه وفمه وأسنانه وغيرها بأسماء خاصة . وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل

ثم هذا الإحساس الحاد الدقيق المتمثل فى المفردات يتجلى فى التركيب مدهشاً . فلكل كلمة لها فى الجملة مكانة يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة نفسها فتعطى صوتاً مكافئاً لهذه المكانة . فالكلمة الأصيلة لها أقوى الأصوات وهو الضم ، والأخريات لها الفتح والجر ، وما أرى هذا إلا ضرباً من الحياة فى الألفاظ والتركيب يبين عن أدق الإحساس وألطفه

وإذا اشتملت اللغات على كلمات هى مادتها ، فى اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن . تخذ المادة أو اخلقها أو استعرها من لغة أخرى ، ثم صبها فى قالب من قوالب الأسماء والأفعال وصورها بالقوالب أو الأوزان ما تشاء . فلغتنا تدل بالمادة والوزن وبالصيغة والهيئة . فمن سمع فاعلا أو مفعولا أدرك أن هذا الوزن فى حركاته وسكناته له معنى يلازمه فى المواد كلها . وبهذا حدت اللغة واستبانت خصائصها ، حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها . للأسماء أوزان وللأفعال أوزان ، فما لا تزنه هـذه الأوزان فهو أجنبي . وبهذا بقيت على الدهر المتطاول خالصة نقية ، صحيحة قوية

قيل إن لغتنا صعبة بهذه المفردات وبهذه التراكيب والأوزان ، وإنها تكاد تأبى على دارسها ، وتعجز طالبها . وهذا حق لا ندفعه ، وإن عد عيباً فلا ننكره . ولكنه ليس من نقصان فى خلقها أو اختلال فى بنيتها أو عجز فى موادها وأوزانها . ولكنه نتيجة التطور الكامل والنمو التام . فأدنى الأشياء فى هذا العالم أيسرها وأقلها تركيباً . والكمال يصحبه التركيب والتفصيل والأشكال والأعضال . اعتبر هذا فى النبات والحيوان ، فى الحيوان ذى الخلية الواحدة بالإنسان ، ثم انظر المراتب بينهما . واعتبر هذا فى البداوة والحضارة وفى أنواع الحضارات تجد النقص بساطة ويسراً ، والكمال تركباً وصعوبة . الكمال فى هذا العالم لا ينال إلا بتطور تلده الأحقاب بعد الأحقاب ، وتنوء به العزائم بعد العزائم ، فلغتنا صعبة ، ولكنها كاملة حية دقيقة مواتية ، حية حساسة موسيقية متلائمة

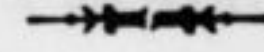
وقد امتحنت هذه اللغة الحضارةُ الواسعة ، واختبرها التاريخ الطويل ، فلم تعجز ولم تعي ولم تضق بكل ما أدركه الإنسان من علم ، وثقفه من صناعة ، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والأمم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة

وقد أراد الله لهـا أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسى والعقلى مصوراً فى كلمات وآيات ، وجزيت على هذا خلوداً ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له إحساس وإدراك . وتقلب الزمن ، وتوالت المحن ، وثارت الفتن وهى ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين الله وروعة كواكبه . خمسة عشر قرناً محت لغات وخلقت لغات ، وبدلت لغات وحرفت لغات ، والعربيـة هي العربية لم تمح ولم تتغير ولم تبدل ، وما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق هذه العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الأمم

مصر الإسلامية

للدكتور محمد مندور



ليس من شك فى أن الحضارة المصرية القديمة قد خلفت رواسب بعقليتنا الراهنة ، ولكننا نتركها الآن ما دام مظهرنا العام اليوم أننا أمة عربية ، ونقف عند مصر الإسلامية ، ونعنى بها تاريخياً مصر منذ الفتح العربى إلى الحملة الفرنسية ، ولهذه الفترة أهميتها فى كل محاولة جادة لإدراك مقومات حياتنا الثقافية ، وذلك لأن دراستها ستنتهى بنا إلى حقيقة كبيرة ، هى أن مصر المعاصرة ليست استمراراً لمصر الإسلامية . وبيان ذلك هو أن الحضارة العربية والثقافة العربية لم يطرد تقدمهما ببلادنا ولا اطرد جانب الخلق فيهما ، بل غلبت عليهما المحاكاة والصنعة بدلاً من الإبداع والأصالة ، حتى أنه عند بدء الحملة الفرنسية نستطيع أن نقول إن مصر الإسلامية كانت تحتضر فى معظم نواحى نشاطها الروحى بل والمادى . ولم يكن بد عندئذ إذا أريد لبلادنا أن تنهض من أن تقوم نهضتها على أساسين جديدين : هما بعث التراث العربى القديم الذى خلفه صدر الإسلام ببلاد الشرق العربى من جهة ، والأخذ عن الحضارة الأوربية مباشرة أو عن طريق الترجمة من جهة أخرى

وظاهرة اضمحلال الثقافة العربية بمصر فى تلك الفترة من الظواهر التاريخية الكبيرة التى تستحق الدرس . ونحن لا نريد اليوم أن نقف عند تقلب الحكم ببلادنا بين العباسيين والطولونيين ، والأخشيديين والفاطميين ، والأيوبيين والمماليك ، والأتراك العثمانيين وما كان فى عهد كل منهم من ضعف بلادنا السياسى أو قوتها ، وتأثير ذلك فى حياتها الروحية ، وإنما نريد أن نفسر الظاهرة على أساس ثقافى بحت

والذى يبدو لنا هو أن هذا التفسير لا يمكن أن يستقيم إلا إذا حددنا العلاقة بين الثقافة العربية فى مصر والثقافة العربية فى جزيرة العرب والعراق والشام حيث نبتت تلك الثقافة

وثمة حقيقة عامة في تاريخ الثقافة العربية لها نظائرها فى تاريخ الثقافات الأخرى القديمة ، وهي أن تلك الثقافة قلما ازدهرت إلا حيث توجد السلطة السياسية ويوجد الأمراء الذين يرعون تلك الثقافة

ومصر فى عهدها الأول بالحكم العربى لم تكن منفصلة عن الخلافة لا فى عهد عمر وعثمان وعلى ، ولا فى عهد الأمويين أو العباسيين ، بل كانت تابعة تبعية محكمة ؛ ولهذا لم تقم بها سلطة سياسية مستقلة تستطيع أن ترعى الحياة الأدبية والعقلية ببلادنا وتحوط نفسها برجال الأدب والفكر كما كانت تفعل الخلافة . ومن هنا لم تنشأ ببلادنا بيئة ثقافية قوية كما نشأت ببلاد الشرق . وهناك مثل بسيط ولكنه دال على هذه الحقيقة هو مثل الليث ابن سعد ، فقد نبغ هذا العالم الكبير فى علوم الدين حتى شهد له الإمام الشافعى بالتفوق على الإمام مالك نفسه ، ومع هذا لم يستطع عالمنا المصرى أن يكون مذهباً . ولقد علل الشافعى ذلك بقوله : « إن أصحاب الليث لم يقوموا به » وفى الحق أن التفسير الصحيح هو نشأة الليث بمصر وتبعية مصر عندئذ لبلاد الشرق العربى وعلماء الشرق العربى ، وعدم استقلالها سياسياً وروحياً

وفى القرن الثالث الهجرى انفصل الطولونيون بمصر ، وأخذت بلادنا تستقل بحياتها الروحية ، كما استقلت بحياتها السياسية وكان من المنتظر أن تنشأ عندنا حضارة إسلامية لها طابعها الخاص

الأخرى ، وأولتها من الحفاوة والعناية أكثر مما أولت لغاتها أحياناً ، فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقباً طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق . ولا تزال على تبدل الأحوال وتوالى الغير لغة أدب وعلم فى الأمم الإسلامية غير العربية . ولا تزال هذه اللغات مترعة بألفاظها ولا تزال تستمد العربية

وقد حوت على مر العصور أدباً لا تحويه لغة أخرى . أدب موطنه ما بين الصين إلى بحر الظلمات ، وزمانه أربعة عشر قرناً ، ولا نعرف فى آداب العالم قديمها وحديثها أدباً اتسعت به المواطن هذا الاتساع ، وامتدت به الأعصار هذا الامتداد

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها ، والعربية بقرآنها ، خالدة باقية على الخطوب والعصور لغة دين وعلم وأدب وحضارة وإنسانية . فهل تنصرها همم أبنائها وتستجيب لها عزائمهم ؟

عبد الوهاب عزام

أو على الأقل لها قوتها على الأصالة والخلق . ومع ذلك نستطيع أن نقول بوجه عام إن هذه الظاهرة أيضاً لم تتحقق

والسبب فى ذلك هو أن وقت انفصال مصر جاء مع الوقت الذى أخذ فيه الأدب العربى ينقلب انقلاباً خطيراً نحو المحاكاة والصنعة بدلاً من الابتكار والطبع ، وجارت مصر هذا التيار العام الذى انتهى بتجفيف ينابيع الخلق الأدبى الأصيل فى بلاد الشرق العربى وفى بلادنا على السواء

وانقلاب الأدب العربى نحو المحاكاة والصنعة ابتداء من القرن الثالث الهجرى من الظواهر التى أفقرت الأدب العربى ، وكان لها فى تاريخ الأمم العربية كلها أسوأ الآثار

فالذى نلاحظه هو أنه منذ ذلك التاريخ أخذ علماء اللغة والنقاد ينظرون إلى الأدب الجاهلى والأموى وأدب الصدر الأول من العباسيين نظرة تقديس دفعهم إليها دخول الأعاجم بين العرب وتطرق اللحن إلى اللغة وشعورهم بالحاجة إلى المحافظة على صحة تلك اللغة حتى لا يدب الفساد فى لغة القرآن والحديث أو تنحرف مدلولاتهـا عن وضعها الأول . وظلت نظرة العلماء والنقاد على الأدباء والشعراء فاضطروا أن يحاكوا القدماء لا فى اللغة فحسب ، بل وفى موضوعات القول وبنـاء القصائد ، وهكذا استقرت ظاهرة المحـاكاة حتى أصبح هؤلاء الشعراء وأولئك الأدباء عبيداً للقديم وكأنى بهم يرقصون فى السلاسل

وإلى جانب هذا التيار العام — تيار محاكاة القديم المسمى فى تاريخ الأدب العربى بتيار عمود الشعر — أخذ يظهر تيار آخر معظم رجاله من الشعراء الأعاجم حاولوا أن يجددوا ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتحرروا تحرراً تاماً ؛ فحافظوا على بناء القصائد كما حافظوا على موضوعات القول ولم يجددوا إلا فى الصياغة وكونوا مذهباً هو المعروف بمذهب البديع أى المذهب الجديد . ورأس مذهبهم هو مسلم بن الوليد وبشار وأبو نواس وأخيراً أبو تمـام فهو الذى وصل بمذهبهم إلى غايته

مذهب البديع هو مذهب الصنعة . ومن هنا لم يلبث هذا اللفظ أن تطور فأصبح يدل على علم بذاته هو علم المحسنات اللفظية كما فصل موضوعاته أبو هلال العسكرى فى كتابه المعروف « بالصناعتين » صناعة الشعر وصناعة النثر

والصنعة فى الشعر والنثر من أخطر الآفات التى تهدد الفكـر والإحساس عند التعبير عنهما ، حتى لأخالها تعمي الرأى وتذهب بصدق الإحساس ، وذلك لأمر بين هو أن الشاعر أو الناثر الصانع المتكلف يفكر ويحس مرتين : مرة ليدرك الإحساس أو الفـكرة ، ومرة ليحتال عليهما حتى يسكنا إلى اللفظ وفى هذا إفساد لهما

وهكذا ظهرت المحاكاة كما ظهرت الصنعة فى الأدب العربى ، وصادف ذلك بدء نشوء أدب مصرى مستقل ، فغلبت المحاكاة وغلبت الصنعة على أدبنا نحن أيضاً كما قلنا ؛ واستمرت الأمور تسوء برغم فترات الانتعاش التى اهتزت فيها بلادنا بأحداث ضخام بددت المحاكاة أو مزقت الصنعة لوقت ما كالدعوة العلوية أيام الفاطميين والحروب الصليبية أيام الأيوبيين

وجاء حكم الأتراك العثمانيين بما صحبه من ظلمات ومظالم جففت منابع الحياة الروحية ببلادنا ، حتى إننا عند بدء الحملة الفرنسية نبحث عن أدب مصرى عربى فلا نجد إلا شعراً متكلفاً سخيفاً أو نثراً مسجوعاً يدعو إلى الضحك ، أو كتابة مهلهلة كتاريخ الجبرتى الذى تكاد لغته تمس اللغة العامية

وانتهت الحملة الفرنسية وجلس محمد على على عرش مصر فأدرك بفطرته السليمة أنه لا بد لإنهاض هذه البلاد من أن يقطع التيار ؛ فيعود إلى التراث العربى القديم ييمنه ، كما يتجه ببعثاته إلى أوربا حيث كانت الحضارة الحقة كما سنرى

محمد مندور

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

الفن والاصـــلاح

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كلما ثار الجدل فى مصر حول تقدير الفن وإطلاق حريته أو تقييدها بقيود صالح الجماعة والمحافظة على دعائم حياتها ، استحضرت فى نفسى صوراً من الطبيعة ومن حياة الأمم التى تمثل النزعتين لأجد القول الفصل الذى يقرب نفسى من الصواب ؛ فإنى أرتاح دائماً إلى أحاديث الطبيعة الأستاذة ، وإلى أحكام الحياة الصادقة الناجحة ، وأتخذهما أساسين لصحة الأفكار والأعمال غير عابىء بعد ذلك بما يرسله المنطق اللفظى والجدل النظرى

وأنا الآن بسبيل تحكيم هذين الأساسين فى القضية التى أثارها الأستاذ الكبير أحمد أمين بك ، وجادلها وعلق عليها الكاتب الفنان توفيق الحكيم ، وهى : آلفن للفن ؟ أم الفن للحياة ؟

***

فأما الطبيعة وهى أستاذتنا التى أورثتنا عقولنا وعلومنا وفنوننا وتجاربنا ، وعرضت لنا نفسها عرضاً مكشوفاً لنراها ونعرف أسرار علم بارئها وفنانها الأعظم ... فقد أرشدتنا – لو كنا نسترشد بها – إلى أن الفن فيها إنما هو وسيلة للنفع والمصلحة لا للترف ولا لإطلاق عبقرية الخلق والتجسيم والتشكيل والتلوين على هوى طليق غير منسجم مع الاتجاه العام فى الطبيعة كلها

وقد أرشدتنا كذلك إلى النسبة التى يجب أن يكون الفن بها فى الحياة وإلى ترتيب وجوده وظهوره فى كائناتها . والذى لا شك فيه أن فى كل شىء فى الطبيعة عملاً ضرورياً وعملاً فنياً . والعمل الضرورى هو الذى يضمن حياة الكائن ضماناً مباشراً . والعمل الفنى هو الذى يضمن حسن إخراجه ، ولفت الأنظار إليه وحمل الأحياء على الانتفاع به والمحافظة على استمرار نوعه وحمايته . ومن وراء ذلك الظاهر الفنى نظرة علمية دقيقة مدركة لغاياتها ووسائلها جادة مقتصدة غير هازلة ولا مسرفة .

فوجود « الكيان » المادى « وتجسيمه » وإقامة « هياكله » الضرورية وتهيئة أسباب نفعه واستمرار وجوده هى محاور العمل الطبيعي الدائم فى عالم الجماد والنبات والحيوان ، وهى الجهد المبذول فى دؤوب واستمرار فى جميع الفصول والمواسم ، ثم يأتى بعد ذلك دور التجميل والإخراج

فالجذور فى النبات مثلاً لا جمال فيها ولا زينة وإنما هى عاشقة للظلمات والعفونات ، ساربة أبداً بين الصخور والعقبات ، جاهدة باحثة عن الضروريات . فهى تقوم بأعظم العمليات وأدومها وأشقها وأنفعها لحياة الشجرة . ومع ذلك لا تحظى من تقدير السطحيين من الناس بما تحظى به زهرة خادعة فانية محدودة النفع والعمر من الزهرات التى هى من فن تلك الشجرة والتى هى فى الواقع خدعة من خدع تلك الشجرة لجلب اللقاح وتكثير النوع وحفظه

ولا جدال فى أنه خير للشجرة ولصاحب الشجرة أن يحافظ على جذرها الأعوج القبيح ساكن الظلام ليحفظ أوليات حياتها ويرفدها بعوامل النماء ، من أن يعنى بكثرة زهرها الجميل فى فترة من فترات حياتها ويهمل جذرها حتى يمرض ويصيبه العجز والكلال عن السعى لغذائها . فإن بقاء الجذر صحيحاً عاملاً كفيل ببقاء الأمل فى حياتها واستمرار وجودها وإنتاج ثمارها وأزهارها . وإن فى الأشجار منافع كثيرة قد يكون جمال الأزهار أقلها عند من يقدرون العناصر الأساسية للحياة . واسألوا جانيات الشوك وجامعي الأحطاب من البرارى والقفار والوديان : أليسوا يمرون على الأزهار البرية الجميلة الفواحة العطر لا يعبأون بها كما يعبأون بالأشواك والأحطاب يجمعونها ليوقدوا النيران ويقيموا الجدران ، طلباً للدفء والمأوى بين الأهوال القاسية التى تهدد حياتهم الضرورية ؟

كذلك البؤساء مادياً ومعنوياً ، المجهودون المنهوكون من السعي فى سبيل القوت والحق والعدالة يمرون بالتحف الفنية والآثار الأدبية التى أنتجت للترف العقلى وألاعيب الذكاء وإزجاء حياة الفارغين الهانئين كما تمر جانيات الشوك وجامعو الأحطاب بالأزهار البرية التى لا توقد ناراً ولا تقيم مأوى !

وينبغى ألا نجعل هوايات المترفين مادياً أو عقلياً مقياساً

للأحكام حين نتحدث عن المسائل الكبرى التي تمس إصلاح مجتمع لا تزال أكثر آلامه ناشئة من التفاوت الفاحش مادياً وعقلياً بين طبقتيه العالية والسافلة، المترفة وهى قلة، والمجهودة المنهوكة وهى الكثرة؛ فإن الإنصاف يقضى أن تكون المقاييس منتزعة من حياة الكثرة التي هي أشد التصاقاً بضروريات العيش، وأرهف إحساساً بمشكلاته، وأعظم تعرضاً لآلامه ونكباته، وأقوى اضطلاعاً بخدماته

ومن هنا أخطأ الأستاذ توفيق الحكيم حين هون من شأن الجهود الأدبية الإصلاحية لما وازنها بالآثار الفنية الخالصة متخذاً حجته من ضياع كثير من نتاج الأولى وبقاء كثير من الثانية فى ذاكرة الزمان، وحين قرر أن الأدب الأوربى لم يبلغ مبلغه العظيم بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية، وإنما بفضل قيمته الفنية، وأن الآداب الأوربية لم تحترم يوماً فناناً أو أديباً لأنه مصلح، ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديباً أو فناناً، وأنه لا ينبغى للنقاد والمصلحين أن يملوا على الفن اتجاهاً بعينه ولا يجوز لهم أن يوصوه بالحكمة والإصلاح إلا أن يشاء هو ويرضى. لأن الفنان صانع المصلح، ومصلح المصلح ... وحين قرر مع الأستاذ الكبير العقاد أن اتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية وقرر أن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعل الحيوان حيواناً ...

إن المصلح هو الذى يمهد للجماعة أن تحيا وتستكمل عناصر نموها وكالها حتى يكون فيها فنانون وعلماء وقادة وصناع وزراع... حتى يكون فيها جذور الحياة وثمارها وأزهارها ... وعمله هو السابق المهيء لنضج الملكات الفنية والكفايات الأدبية التى تردُ فى عهود الجود والجهالة موارد محدودة ومشارع آسنة. ولا جدال فى أن الكفاية الفنية فى الفنان والأديب تتسع وتعمق كلما كثرت أمامها منابع الوحى وجداول الأفكار والأعمال والمشاهد. ومَن الذى يهيء لها هذا كله غير المصلح الذى تستهوى نفسه دائماً حياة النفع العام والتهذيب العام والكمال العملى، ويأخذ نفسه من نفوس أمته ويتسع قلبه لمؤثرات الحياة والاجتماع ويدرك أكثر أسرارها؟

وقد يكون الفنان — وهو فى الغالب محدود الهواية — يهوى جانباً معيناً من الحياة ويغلبه وجدان واحد يستولى عليه ويصبغ إنتاجه بصبغة واحدة، فلا يستطيع أن يدرك جوانب الحياة الأخرى إلا إذا كان فناناً عبقرياً موسوعياً واسع الثقافة متمدد الأوتار؛ فإنه حينئذ يلتقى بالمصلح بل يكون هو المصلح ... إذ أن المصلح فى واقع الأمر فنان ولو لم ينتج آثاراً فنية. بل هو أعظم من فنان ... هو «مخرج» يخرج حياة أمته وينسقها وينظم شؤونها ويعرضها عرضاً جميلاً. والمخرج كما يعلم الأستاذ الحكيم أصبح الآن هو الكل فى إبراز الفنون العليا فى الحياة الحاضرة. ولولاه لم يستطع الفن أن يغزو الحياة الآن هذا الغزو الشامل، ولم يكن لكثير من الفنانين الفرعيين إلا ذكر ضئيل

المصلح هو رائد «فن الحياة» وهو لا شك أعظم الفنون! لأن الحياة يجب أن «تعاش» أولاً فى طمأنينة وسعادة وعدالة يشعر بها الجميع. ثم يأتى بعد ذلك دور «فلسفتها» التى تحلو للمترفين عقلياً من الفلاسفة والفنانين والأدباء الطلقاء الفارغين

وللمصلح بما له من هذه الوصاية الشاملة أن يقول للفنان: إنك «نشاز» فى جوقة أمتك... أو هادم لوحدتها، أو خارج على حدود مجتمعها، أو مفسد لمثلها الأعلى، أو مبلبل لخواطرها. وله أن يقترح عليه عملاً بعينه يراه لازماً لكمال الإخراج فى حياة أمته، وله أن يقتضيه «الضريبة الأدبية» فى مستوى معين ليردها على الفقراء فى الإحساس الذاتى بالفن والجمال

إن حياة الاجتماع الإنسانى شأن عظيم! بل هى أعظم شؤون الإنسان: فمنها تفجرت ينابيع فكره ولغته وراحته وعلومه وفنونه وصناعته، ومنها أدرك قوة نفسه بين غمرات القوى العمياء، بل منها أدرك «فرديته» وحريته وحقوقه، ومنها ظهرت تفاعلات نفسه مع جنسه هذا التفاعل الذى أخرج كوامن نفسه وخصائص جنسه. فليس من الحق أن تُهدر حقوقها فى سبيل حقه ولو كان فناناً ... وليس من الصحيح أن يقرر أن الإنسان سائر من الاجتماعية إلى الفردية حتى فى الفن. إلا أن يكون هذا انتكاساً. وليس من الصحيح أن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعله حيواناً. وأنه بالتالى كلما كثر الإحساس بالجماعة فى جماعة ما، كان هذا دليلاً على أنها أدنى إلى حياة الحيوان ... كلا! هذه أحكام لا أدرى كيف أرسلها الأستاذ الحكيم؟!

فالواقع أن نسبة الغيرية والإيثار والإحساس بالجماعة وبالجنس البشرى كله والتضحية بالنفس فى سبيلهما — وهى دعائم الاجتماع — تنمو نمواً عظيماً. وليس من هذه الصفات شيء

رسائل التعليقات للرصافي

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن أحب إلى من أن أكتب عن الرصافى الشاعر الذى أحبه كما أحب هذه النخبة الكريمة من شعراء العراق الشقيق ، لا الرصافى الفيلسوف الذى يدعونا إلى دين جديد !

ولم يكن أحب إلى من أن أترك القلم للصديق الأعز ، أخى الدكتور زكى مبارك ، لأن القضية قضيته ، والموضوع موضوعه ، وهو الذى فتح علينا باب هذه الفلسفة الجديدة التى أخذ الرصافي يدعونا إليها من دار السلام

لكن الدكتور زكى مبارك يخاصم الزيات اليوم تلك الخصومة التى لا سبب لها ، ويخاصم الرسالة تلك الخصومة التى لا سبب لها كذلك ... إنه يخاصم الزيات ويخاصم الرسالة لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، وأرادا أن يسجلا هذه الصفحة الخالدة من صفحات حرية البحث التى كان الدكتور علماً من أعلامها ، بما أثبت فى كتبه الكثيرة الجريئة من أفكار وآراء ، وهى أفكار وآراء تمس ديننا وتمس لغتنا ، بل هى تخوض فيهما خوضاً . . . أفإن رأى أحد مفكرينا من ذوى الغيرة على الدين واللغة أن بعض هذه الآراء قد جار عن القصد ، وجاء مالئاً يديه بالبرهان وبالدليل ، أو بما يؤمن هو أنه البرهان وأنه الدليل ، على بطلان ما ذهبنا إليه ، غضبنا ... وتركنا مجادلنا يقول كل شىء ، ولا نقول نحن شيئاً ؟

إن الدكتور زكى مبارك غاضب لأنه لم يكن ينتظر أن يهاجم فى ميدانه الذى هو الرسالة . . . ولقد كنت أغضب مثله حينما أرانى أهاجم ، بل أتهم ، فى الرسالة التى أعدها ميدانى ... وكانت حجة الأستاذ صاحب الرسالة أنه كثيراً ما نادى بأن الرسالة :

تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
وتجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
وتصور مظاهر العبقرية للأمة العربية

وأن مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة . . .

فى جماعات الحيوان إلا فى حدود الغريزة الضيقة فى الأمومة والأبوة فى بعض الحيوانات العليا ، ولم تنتج حياة الاجتماع فى جماعات الحيوان نتائج تزيد على حاجات هذه الغريزة المحدودة . بينما تنتج حياة الاجتماع فى الإنسان نتائج كثيرة جداً جعلت أمام العالم الطبيعى عالماً آخر صناعياً ، وجعلت الوعى الاجتماعى فى الفرد مبنياً على عقل الفرد وفلسفته لا على غريزته وحدها . إن الجماعة البشرية سائرة من الفردية فى الأمة إلى الجمعية الدولية ، وبوادر هذا واقعة الآن فى هذه الحرب . وبذورها وجدت من قبل فى المجموعات السياسية الكبرى . ولا شك أن هذا يستتبع كبتاً للنوازع الفردية فى كل أمة من الأمم التى تشترك فى هذه المجموعات ، ونزولاً عن بعض خصوصياتها وحرياتها وحقوقها التى كانت لها وهى فريدة ، كما استتبعت حياة الجماعة فى الأمة الواحدة نزول الأفراد عن كثير من حقوقهم وحرياتهم التى كانت لهم قبل حياة الجماعة . فالقانون واحد مطرد : وهو السير من فردية الأسرة إلى اجتماعية القبيلة ثم إلى الأمة ثم إلى الامبراطوريات واتحاد الولايات . ومن هذه إلى جمعية الأمم التى هى أمل العالم

وليس ذلك فى السياسة وحدها ، فإن ما فى السياسة ينتقل إلى الثقافة والفن الذى ثار حوله هذا الجدل . فالآثار الفنية الأولى فى الأدب العربى مثلاً لم تكن غير مقطوعات شعرية غنائية هاج بها وجدان قائلها فى مناسبات الحب والفراق والفخر والحماسة والمدح والرثاء وغيرها من أغراض الشعر الغنائى ، وهو لا شك شعر فردى يستجيب للأحاسيس والوجدانات الخاصة . ثم أخذت هذه المقطوعات تطول وتتسع للأغراض الاجتماعية فتذكر فيها الحروب والوقائع والمفاخر العامة للقبيلة حتى انتهت بالطولات والمعلقات التى اهتم بها غير قبيلة قائلها من العرب . ثم ابتدأ ذكر الأمة العربية كلها يسطع فى الشعر العربى حين وضعها الإسلام وضعاً واحداً أمام الأمم الأخرى التي احتكت بها فى النضال والفتوح . أفلا يقال بعد ذلك إن الفردية فى الفن العربى كانت تقل نسبتها تبعاً لنمو الوعى الاجتماعى بين العرب ؟

(للكلام بقية)

عبد المنعم خلاف

وأنه لذلك يؤثر أن تكون الرسالة دائماً سجلاً صادقاً لاحتراب الأفكار في مصر وفي الشرق العربي بحيث يجد فيها مؤرخو العالم بعد ألف سنة صورة حقيقية لما كان يجرى في هذه الأقطار من جدل يدل على الحياة ، ونضال يثبت الشخصية ... وكانت حجة الزيات الأخرى أن الرسالة تناولت بالنقد كل كتابها الأماثل ، وأن الدكتور زكي مبارك نفسه كان أحد مناوير هذا النقد ، فلم يكد يسلم من قلمه أحد ممن لهم في تحرير الرسالة الجهاد المشكور . لكن النقد الذي كان الدكتور يشب ناره لم يكن نقداً يمس الدين ويمس العقائد ، كهذا النقد الذي وجهه إليه أخيراً أحد الكتاب الأفاضل الغُيُر . والذي كان سبباً في تنكر الدكتور للرسالة ولصاحب الرسالة

وبعد ... فحسبنا خروجاً على موضوع هذه القضية التي تسبب في إثارتها الدكتور زكي مبارك بكتابيه العظيمين اللذين لم يؤلف مثلهما كثيراً لا في مصر ، ولا في الشرق العربي ألا وهما :

١ — في التصوف الإسلامي

٢ — النثر الفني

ولعلي لا أثير سخط أحد بوصف هذين الكتابين بالعظمة ، وبالرغم مما يحملانه من أوجه النقص التي أشار إليها غير واحد من الكتاب والتي وصفتها لأخي الدكتور زكي مبارك أول ما لقيته بالقاهرة في العهد الأخير بأنها - أي أوجه النقص هذه (بُقع !) كبيرة كان يحسن بالأستاذ أن يتحاشاها حتى لا تقلل من قيمة كتابيه الجليلين ... وكان هذا قبل عامين على ما أذكر . على أنه ليس هنا - أو ليس الآن - موضع التحدث عن آيات الخلود في هذين الكتابين ... لأننا نكتب هذا الكلام بمناسبة ذلك الكتاب المفاجيء الذي وصل إلى مصر من العراق الشقيق ، والذي ألفه الشاعر الفاضل معروف الرصافي ، وسماه : « رسائل التعليقات » (مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٤) وجعل ثلثيه في نقد كتابي الدكتور زكي مبارك في التصوف الإسلامي والنثر الفني ... والعجيب أن الدكتور زكي لم يطلع بعد على الكتاب الذي ألف في نقده ، ولو لم أكن مشغولاً بقراءته ومناقشة ما فيه لدفعت به إلى صديقي ليسمعنا رأيه فيما رماه به شاعر العراق من تهم أشهد بين يدى الله أنه بريء منها ؛ وإن خانه التعبير فكتب ما يشتم منه هذا الذي أخذه عليه ناقدوه

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلن أننا نقدس حرية الفكر ما لم ترم إلى شر ، وما لم تكن نتيجتها بلبلة أفكارنا والعصف بمعتقداتنا ، وهدم المعايير الأخلاقية الكريمة التي زودنا بها ديننا الذي هو أعز علينا وأكرم من فلاسفة العالم

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلن أننا نؤمن بالله هذا الإيمان الفطري الساذج الذي قذفه الله في قلوبنا ، وأنار به بصائرنا . وأن الله هو خالق تلك الأكوان كلها ، فالله شيء والأكوان كلها شيء آخر . وليس الله مجموعة من القوانين الطبيعية كما يقول الفلاسفة . وإيماننا هذا الساذج الفطري هو الذي يصحبنا في تفكيرنا دائماً وهو لسهولته ويسره لا يشغلنا كثيراً ، ولا يقذف بنا في تلك المهامه التي تورث الخبال ، ولا تثمر إلا الضلالة ، وهو لسهولته ويسره يصرفنا إلى ما هو أجدى من أمور هذه الحياة التي يملأها الجد ... ونحن بهذا الإيمان الساذج الفطري الذي نطيع به الله ونحب به رسوله ، والذي ندعو الله أن يزيده في قلوبنا رسوخاً أكثر تمدينا من الذين يرموننا بالجمود ، فما أرسل الله رسله إلا لمحاربة الجمود وهداية الناس إلى الحق واليقين

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي أيضاً ، نذكر ما أخذ على الأستاذ من الجرأة في العقيدة ، والتحلل مما جاء به النبيون أو تأويله بما يلائم أفكاره ، ولا يزال القراء يذكرون هذا الذي نشرته الرسالة عن عقيدته سنة ١٩٣٥ (٨ يوليو العدد ١٠٥ — السنة الثالثة) نقلاً عن الأستاذ أمين الريحاني الذي يقول :

« إن للرصافي رأياً في الوحي الشعري غريباً : هو لا يؤمن

بالوحى ، أو بالحرى الوحى المنزل ، إنما يعتقد أن القوة الشعرية فى الإبداع ، تتعلق بقوة الباه فى الجماع ! وأن الضعف الذى يعتري القوة الواحدة يتصل بالأخرى ، إذن لا بد من التوازن بينهما ... بل هو ضرورى ...

« ... ثم ذكر (أى الرصافى لأمين الريحانى) النبى محمداً وهو فى نظر معروف شاعر عظيم ... على أن أجمل قصائد النبى ، أى أجمل السور القرآنية ، إنما هى التى جاء بها فى عهد الاعتدال الجنسى ، يوم لم يكن له غير خديجة زوجاً ، أما بعد وفاة خديجة ، فقد أصبح محمد مزواجاً ، وكانت القصائد — السور — فى هذا العهد مثل نسائه ، أى دون ما تقدم منها ومنهن

« فقد كتب الرصافى سيرة النبى محمد ، وأطلعنى عليها مخطوطة بيده ، فى سبعة دفاتر من الدفاتر المدرسية ، فما أدهشنى منها ما فيها من العلم والتحقيق ، لأن مصادر الموضوع متوفرة لمن شاء معالجته ، وأحسن البحث والموازنة ، إنما أدهشتنى القوة النافذة والمقدرة على التحليل والاستخراج ، والتفلسف فى عقائد لا تستقيم بغير الإيمان والجرأة والصراحة مع الاتكال على العقل والعلم فيهما

« فقد استخدم فى سيرته المصباح الذى استخدمه العلماء الأوربيون فى نقد التوراة — أى مصباح النقد الأعلى الذى ينير العلم بنور العقل والمقارنات التاريخية . ومما يزيدك إعجاباً بالرصافى أنه لا يحسن لغة أجنبية[1] ، فقد ركن فى كل ما حلل وأوّل واستخرج واستنتج إلى اجتهاده الخاص ، وإلى علومه وحدة العربية

« وإنك لتدرك الروح فى مصنفه هذا إذا علمت رأيه بالله ، فقد قال لى مرة : إن الآية : لا إلـه إلا الله ، لا معنى لها ، ويجب أن تبطل ، أو تبدل بالآية : لا إلـه إلا الوجود ، أى أن الكون هو الله ، هى عقيدة البانيتزم ، أى الحلول ، وهو فيها على اتفاق والزهاوى . وقد يهمل وينسى كثير من شعر الرصافى فى المستقبل ، وتظل سيرته النبوية من الكتب التى تقرأ وتكثر

وقد علقت الرسالة على هذا اللغو تعليقاً كريماً ، فذكرت أن حكومة العراق صادرت كتاب الريحانى لمثل هذا الهتر ، وأن الرصافى قد يقول شيئاً من هذا الكلام فى ساعة لهوه ليطوى فى بساط الشراب ، لا لينشر على الناس فى كتاب ... الخ »

لقد تعمدنا أن نطيل الاقتباس لأن الرصافى عاد فردد هذه الأراجيف فى كتابه الجديد الذى لم يصادر ، وينبغي ألا يصادر ، فالمصادرة سلاح رث لا يجمل استعماله فى هذا العصر الذى يأخذ بحرية الفكر . . . وسنرى كيف نبطل هذا اللغو بعد عرض آراء الأستاذ الكبير ...

(يتبع) دمينى خشبة

[1] فى الكتاب الجديد للرصافى يقول إنه يتقن اللغة التركية

من اقتصاديات ما بعد الحرب

مستقبل القطن المصري

للأستاذ زكريا بك حجاج
مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

١ — تأثير السعر على الانتاج

تأثير السعر فى الانتاج الزراعى — شواهد من الماضى — خطورة انكماش الأسعار — الدعوة إلى تثبيت أسعار السلع الزراعية فى الحرب والسلم — مقترحات لتسهيل ذلك — اقتراح إنشاء صندوق للقطن .

مشكلة الإنتاج الزراعى هى مشكلة السعر ؛ فكل منهما يتأثر بالآخر تأثراً كاملاً دائماً . والخطأ فى تدبير مشكلتهما فى دولة ما قد يفضى إلى خرابها ، ولقد أطاحت هذه المشكلة فى انجلترا قبل الحرب الحالية بثلاثة وزراء للزراعة

وتذبذب قيم النقد واضطراب الأسعار كانا السبب المباشر للتدهور الزراعى الذى منى به العالم بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ ، إذا استثنينا الفترات القصيرة التى تحسن الإنتاج فيها لعوامل عارضة قصيرة الأجل

ومثل تلك الحالة ما وقع بعد الحروب النابوليونية ، وما حدث غب الحرب الأمريكية الأهلية (١٨٧٣ — ١٨٨٠)

ونصيب مصر من ويلات تدهور الأسعار فيما بين الحربين الماضية والحاضرة كان نصيباً كبيراً . فقد كانت أسعار بعض المحاصيل المصرية لا تفى بنفقات زراعاتها ، وكان بعضها يظل ملقى فى الحقل حتى يدركه التلف ولا يجد من ينقله إلى الأسواق لأن تكاليف النقل كانت — على ضآلتها — تثقل المنتج وتجر عليه خسارة محققة

وما زالت فى الأذهان ذكريات قاسية عن التدهور الذى أصاب أسعار القطن فى موسم ١٩٣١ — ١٩٣٢ والقمح والذرة فى سنة ١٩٣٢ والبصل فى سنة ١٩٣٧

عاش الفلاح خلال تلك الفترة معيشة ضنكا ، وأصبح المار بالقرى لا يكاد يرى الجنيه إلا مع آحاد ، بل لقد حدثت بعضهم صادقاً أنه إبان اشتداد الأزمة فى سنة ١٩٣١ لم تقع عينه على أية عملة مدة ثلاثة أشهر

وقد ثقل على الفلاح دفع ضرائب الأطيان ، وآدته الديون ، فانتزعت منه المصارف والمرابون أطيانه ، وبيعت بالمزاد الجبرى مواشيه وآنية بيته ؛ ولولا صدور تشريعات صيانة الثروة العقارية لوقع أغلب فلاحينا فى الإفلاس التام

وكان من جراء ذلك أن ضعفت القوة الشرائية لدى الفلاح وهو الذى يكون ٨٠ فى المائة من مجموع الشعب ، فكسدت أسواق المطالب الزراعية من آلات وأسمدة وغيرها ، وخلت أسواق الملابس والحاجيات البيتية من روادها الفلاحين الذين كانوا يفيضون عليها الحياة . فنضب النشاط التجارى ، وتعطلت بالتالى الأيدى العاملة ، ومن ثم انتشر الفقر ، وفاض القلق والاستياء فى النفوس . وتطلع الناس إلى إصلاح النظم الاجتماعية أو تبديلها . وفى غمرة العوز والسخط ودّ بعضهم لو اشتعلت الحرب لعلها تأتيهم بخير ، أو لعلها تكون أرحم بهم ذبحاً ، أو لعلها تأكل الناس جملة فيستريحوا .

وحالة انخفاض الأسعار أو انكماشها Deflation أو إقامة النقد على قاعدة الذهب Gold Standard تقع غالباً كلما وضعت الحروب أوزارها

فالفلاح إبان الحروب يشترى ما يلزمه من بذور وأسمدة وآلات ووقود بأسعار مرتفعة جداً هى وليدة التضخم النقدى Inflation وهو يدفع أجور الأيدى العاملة على هذا الأساس ، وإذا اقترض أموالاً فإن فوائدها — على الأرجح — تكون مرتفعة تبعاً للحالة

فإذا دخلت الدول المتحاربة فى السلم هبطت أسعار المحاصيل هبوطاً بالغ الشدة حتى لتعجز عن تعويض بعض مصاريف الإنتاج

فلو أن فلاحاً مصرياً اقترض مثلاً فى سنة ١٩٤٤ مبلغ ١٢٠٠ جنيه لكفاه وقت الاقتراض للوفاء بهذا الدين ١٥٠ قنطاراً ، ولكن هذا القدر من القطن لن يفى بالدين إذا جاءت السلم ، بل قد لا يفى ضعفه ؛ وهنالك يعمد الفلاح إلى إنقاص

الأجور ، ويعمل على خفض قيم الإيجار . يفعل ذلك ابتغاء تفادى الخسارة أو تخفيفها ، ولكن عبثاً ما يحاول ، إذ يتقرر عندئذ زيادة قيمة العملة إلى ما يوازى ضعف أو ثلاثة أمثال قيمتها فى وقت الحرب فيتلاحق التدهور ، ويقع الفلاح فى أزمات عصيبة تهدم كيانه المالى ، ولا يجد سبيلاً إلى سداد ديونه التى تكون قيمتها الشرائية قد زادت كثيراً عما كانت عليه وقت الاستدانة

هذه الحالة الخطيرة يجب أشد الوجوب اتقاؤها حتى لا ينخفض مستوى المعيشة بعد الحرب وتقع فى حالة الانكماش التى بسطنا آنفاً مظاهرها السيئة . والذى أعتقده أن لا بد لذلك من وضع نظام تثبيت الأسعار Stibilisation des prix للسلع الزراعية فى الحرب والسلم على السواء بحيث تكون مجزية للفلاح ، أى بحيث تكفل له الربح المعقول ، على أن يقترن هذا النظام بحماية الإنتاج الأجنبى أسوة بما يصنع غيرنا من الدول من مثل انجلترا التى ظلت تحمى صناعة سكر البنجر زمناً غير قصير حتى أمكن وقوف هذه الصناعة على قدميها بلا سند

وبالنسبة للقطن المصرى بالذات أقترح أن تضمن الدولة لمنتجه سعراً يحقق له الربح المناسب . ولإمكان ذلك يجب العمل على زيادة الصناعات القطنية ، وذلك بتشجيعها وحمايتها من الصناعات القطنية الأجنبية كما ذكرت ، مع تخفيف الضرائب عنها تخفيفاً يطرد باطراد الزيادة فى الإنتاج ، أى مع مراعاة (الفئة التصاعدية) فى فرض الضرائب

وظاهر أن هذه الحماية ستكفل امتصاص مقدار وفير من قطننا فى مصانعنا ، ولذلك أثره الأدبى والاجتماعى الباهر فى حياتنا . بيد أن الأخذ بهذه المقترحات لا بد له من رأس مال يكفى لتمويل ثلث المحصول على الأقل ، فكيف السبيل إلى هذا المال وأبواب الصرف فى ميزانيتنا تكاد تلتهم كل ما يجىء من أبواب الإيراد ؟

أقترح أن ينشأ لهذا المشروع صندوق خاص يدعى صندوق القطن على نمط صندوق الفرنك الذى أنشئ فى فرنسا عام ١٩٢٨ ، وتؤدى إلى صندوق القطن هذا كل المبالغ التى تمت إلى هذه السلعة بأية صلة ، مثل أموال التأمين الإجبارى على القطن ، وجملة الرسوم الجمركية على الأقطان المصدرة ، وضريبة الأرباح الاستثنائية التى تحصل من المنازل المحلية ومن بيوت التصدير ، وفروق أسعار الاستيلاء على البذرة ... الخ .

وأرى أن تبادر وزارة المالية بإنشاء هذا الصندوق من الآن

ورب معترض يقول إن تدبير المال اللازم للأخذ بهذه الفكرة ليس بالأمر الهين ، فنجيب هؤلاء بأن لا ضير أبداً من توفية ما يستلزمه الصندوق من مبالغ مهما تكن الوسيلة . ذلك أن الأمر أمر المحصول الأول للبلاد الذى هو عماد الاقتصاد فيها والمال — على غير ما كان يظن الاقتصاديون القدامى — يجب أن يسخر لخدمة المصالح الاقتصادية وليس العكس . وما النقد - كما يعبر F. Zewig - إلا خادم للبشرية وليس سيدها

ومما يفيد كثيراً فى حماية الأسعار من الانخفاض اتباع نظام الإنتاج والبيع التعاونيين . وقد أخذت بهذا النظام فعلاً بعض الجمعيات التعاونية فجنت منه ثمرات طيبة

هذا التثبيت لأسعار القطن سيكفل — لو تم — رواج الفلاحين ، ومن ورائهم باقى الأمة ، وعندئذ سيجد الفلاح السبل المادية والمعنوية لزيادة إنتاجه من القطن ، والمضى فى تحسين نوعه ، حتى يفى بحاجات الصناعة القطنية الرفيعة ومن ثم تزداد قيمة المحصول فتزداد البلاد خيراً

(٢) تصريف القطن

اقتراح قيام الحكومة بوضع نماذج للقطن المصرى — فوائد وضع هذه النماذج

تدع مصر منذ قديم مهمة تصدير القطن إلى بيوت التصدير التى تتولى الاتصال بالمنازل الأجنبية ، وعرض نماذج الأقطان عليها . ولسنا نعدو الحق إذا قلنا إن المنتج المصرى قد يغبن كثيراً بسبب الصلات المعنوية والمادية بين هذه البيوت وتلك المنازل ، ولاعتبارات أخرى غير خافية

ورأيى أن تقوم الحكومة نفسها بوضع نماذج لكل نوع من أنواع القطن المصرى وفق ما تستلزمه حاجات الصناعة ، ملاحظة فى ذلك درس الخصائص الإقليمية للمناطق الزراعية المختلفة فى مصر ودراسة خصائص قطن كل منطقة من الناحية

الألغاز فى الأدب العربى

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة)

ألغاز منثورة

لم تسلك الألغاز سبيلها إلى النثر الفنى كغرض من أغراضه إلا فى عصور الأدب المتأخرة عندما انحط الشعر والنثر جميعاً. نخاض الأول مجارى ضحلة من الأفكار والأخيلة والأساليب، وتهافت إلى معان ضئيلة ليس أدل على مبلغ ضؤولتها من أنهم لم يكونوا يصوغونها فى أكثر من أبيات لا تتجاوز فى تحديدها «البضع»؛ يضمنونها من متكلف التورية ومستكره الطباق والتجنيس ما قد يكون توفر لديهم فى لحظات تفكيرهم الآلى، واعتكافهم الطويل على تصيد الألفاظ من معجماتها. فاقتحم النثر على الشعر حرمه وقد زايلته قداسته، وشاركه سائر فنونه وأغراضه. ولم يبق إلا أن يجوس معه خلال مجاهل الألغاز التى حلا لأكثر الشعراء المتأخرين أن يلتاثوا فيها . . . وهكذا نجد الألغاز المنثورة منحصرة فى هـذا النوع المريض الدنف . . . المتحامل على سند واه من إغراب لفظ، أو لىّ تركيب، أو تعمية إعراب، أو تصحيف أو تحريف أو عكس أو قلب أو غير ذلك

ومن أمثلته قول الصاحب بن عباد لأبى العباس الحارث فى يوم قيظ : ما يقول الشيخ فى قلبه؟ أراد قلب (الشيخ) وهو (خيش)[1]

ومن طريف الألغاز المنثورة قول العماد الكاتب للقاضى الفاضل : «سر فلا كبا بك الفرس» فهذا الكلام إذا قرئ معكوساً — بالابتداء من آخر أحرف الفرس — حصلنا منه على العبارة بنصها! ويناظره جواب القاضى الفاضل على دعاء العماد بقوله : «دام عُلا العماد»

ومن رسالة لفضل الله بن عبد الرحمن بن مكانس ملغزاً فى الورد : ما عاطل تتحلى به المجالس، ويتفكه به الجالس، تحمرّ وجناته من الشرب، وتحمد آثاره فى البعد والقرب . . . إن حذفت أوله وحرّفتَ باقيه وجدته أمراً بالشراب، وإن فمات كذلك فى ثانيه رأيت ما بقى يؤكد المحبة بين الأصحاب. و «ورّ» إن حذفت آخره كمن ورّى، وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج «دُرا» . . .

وكتب بدر الدين بن الدمامينى من لغز فى (روضة) : ما قول مولانا أبقاه الله تعالى . . . فى دار ينعم بها الجانى، وتطرب فى مرابعها الألحان المغنية عن المثالث والمثانى . . . طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل، ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل . . . إن عرّف لفظها كان علماً لمحل[2] لا يطرقه محْل، ولا ينكر تأنيثه لفحل. يحدث المصرى بحلاوته، ويخبر عن لطفه وطلاوته. وإلا فعلم على جملة يعرفها الطالب[3] ويستحسن

---

(١) الخيش مروحة تشبه الشراع تعلق فى سقف البيت ويشد إليها حبل تتحرك به. فاذا بلت بالماء ورشت بماء الورد حدث من حركتها نسيم بارد طيب الريح — عن الشريشى فى شرح المقامات

(٢) يقصد الروضة العامرة إحدى منازه القاهرة

(٣) لعله يشير إلى كتاب يعرف بالروضة، ولم يتسع لنا المجال لتحقيق هذا.

الصناعية أيضاً، وسيعينها على الدراسة الأخيرة أن فى بلادنا الآن معامل يستطاع بوساطتها تعرف حاجات صناعة الغزل وإجراء مختلف التجارب

وسيفيد وضع هذه النماذج فى تحديد القيمة الصناعية للقطن المصرى بالضبط، وسيتيح للمنتجين أن يبيعوا أقطانهم بأسعار موحدة لا غبن فيها، وسيرد عليهم هم أنفسهم النفع الذى كان يجنيه الوسطاء، وسيرفع عن القطن المصرى الآصار التى كان هؤلاء يضعونها عليه. وفوق هذا فسيجلو للمصانع حالة الأقطان المصرية ويسهل عليها الحصول على حاجاتها المنوعة من مختلف الأقطان، وسيكشف الغطاء عن أسرار طلبات المغازل، تلك الأسرار الخافية إلا على بيوت التصدير الأجنبية

وأرى ألا تسمح الحكومة بإنتاج أصناف من القطن تخالف النماذج التى تضعها، أى أن تمنع إنتاج أى نوع لا يستوفى مطالب المغازل. وتحقيقاً لذلك لا بأس — إذا اقتضت الحال — من قصر الزراعة القطنية عندنا على بيئات معينة.

(البقية فى العدد القادم) زكريا مهاج

ارتكاب المهالك لينال ما فيها من المطالب . قد فتحت لأرباب المقاصد أبوابها ، ومنحت الأفهام الضالة هديها وصوابها ... الخ

ونحن لا نطيل بإيراد الأمثلة من هذا الباب وإنما نترك للقارىء أن يطلب المزيد منها - إن شاء الله - فى مظانها ومواطن طلبها من مجاميع الأدب المتأخرة ...

نبذ فى الملغزين وبعض تصانيفهم

نختم هذا البحث بذكر بعض من كانت لهم شهرة الاختصاص بالألغاز وسمة البراعة والحذق فيها ، دون من ألموا بها غير مكثرين ، فى أشعارهم أو تصانيفهم ، كأكثر الذين أشرنا إليهم . فمن برّزوا فى هذا الفن : الحسين بن على المعروف بالنديم[1] قال ياقوت : « كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى فى حل الألغاز العويصة » ، ومن طريف أمره أنهم وضعوا له أبياتاً على صورة الألغاز ولم يلغزوا فيها - يختبرون بذلك فطنته - فقالوا له :

وماشيء له فى الرأس رجلٌ   وموضع وجهه منه قفاه
إذا غمّضت عينك أبصرته   وإن فتحت عينك لا تراه

ونظموا له أيضاً :

وجارٍ وهو تيار   ضعيف العقل خوار
بلا لحم ولا ريش   وهو فى الرمز طيار
بطبع بارد جداً   ولكن كله نار

فقال عن الأول إنه طيف الخيال وعن الثانى إنه الزئبق ؛ وعلل إجابته فى ذلك بكلام مقنع !

وبرع فى هذا الفن أيضاً محمد بن أحمد الهاشمى الملقب بأبى العبر ، وله فيه طرائف أورد ياقوت كثيراً منها فى معجمه

وذكر أيضاً عن محمد بن سعيد الموصلى أنه كان « ذكياً فهماً إماماً فى استخراج المعمى والعروض » ، ووصف ابن عنين الدمشقى بقوله : « لغوى أديب ... برع فى الشعر وحل الألغاز »

وممن اشتهر بالألغاز فى مصر تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوى (٦٤٦ - ٧٢٢ هـ) . ذكره تلميذه كمال الدين الأدفوى فى الطالع السعيد فقال : « كان لشيخنا تاج الدين يدٌ جيدة فى نظم الألغاز والأحاجى وحلها » ثم أورد بعض ألغازه شعراً . وتحدث أيضاً عن الشريف فتح الدين على بن محمد القنائى (المتوفى سنة ٧٠٨ هـ) فقال : « وله يد عليا فى حل الألغاز وله فيها نظم كثير . كان شيخنا تاج الدين الدشناوى يكتب إليه بالألغاز ويحلها ، وكذلك علم الدين يوسف بن أبى المُنا » وذكر عن هذا الأخير - وقد توفى عام ٧٢٨هـ - أنه كان ذا « معرفة جيدة بحل الألغاز والأحاجى ، ونظم فيها أشياء كثيرة » ثم أورد له شيئاً من كلامه

وممن لهم تصانيف فى الألغاز أشارت إليها المصادر الأدبية - وإن لم يصلنا أكثرها - : ثابت بن قرة مؤلف رسالة السبب الذى لأجله ألغز الناس فى كلامهم[1] ؛ وأبو الحسن بن كيسان النحوى صاحب كتاب (المعمَّى) ؛ ومحمد بن أحمد ابن طباطبا صاحب كتاب المدخل فى معرفة المعمى من الشعر ؛ ومحمد بن أحمد الكاتب المعروف بالمفجع ، وله كتاب : الترجمان فى الشعر ومعانيه ، يشتمل على ثلاثة عشر حداً آخرها حد اللغز . وللحسن بن أسد الفارقى كتاب فى الألغاز ؛ والزمخشرى صاحب الكشاف وأساس البلاغة معروف أيضاً بكتابه : الأحاجى النحوية . وقد قام الإمام السخاوى « أبو الحسن على ابن محمد » بشرح هذا الكتاب . قال السيوطى فى بغية الوعاة : وله من التصانيف - يعنى السخاوى - شرح أحاجى الزمخشرى النحوية ، من أجل الكتب فى موضوعه ، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشرى بلغزين من نظمه

إلى هنا نقف الحديث . ونحن لا نحاول أن نستوعب أو نستقصى فى مثل هذا البحث المستفيض ؛ وإنما نضع أمام القارئ خلاصة نرجو أن تكون وافية ملمة من الموضوع بأكثر أطرافه ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

---

(١) كان نديم الخليفة المستنجد بالله ، وعاش بين سنتى ٥٠٠ و ٥٨٠ هـ

(١) سنو وفيات ابن قرة وابن كيسان وابن طباطبا والمفجع والفارقى والزمخشرى والسخاوى هى على الترتيب : ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٤٨٧ ، ٥٣٨ ، ٦٤٣ من الهجرة

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٦٠ — أغذية السوء كالذنوب

أبو القاسم السميسر :

يا آكلا كلَّ ما اشتهاه   وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجنى   فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم   أغذية السُّوء كالذنوب

٥٦١ — الخليفة يدعو لطبيبه النصراني في عرفات

(عيون الأنباء) : قال إسحق بن علي الرهاوي في كتاب (أدب الطبيب) : عن عيسى بن ماسة أن يوحنا بن ماسويه أخبره أن الرشيد قال لجبرئيل بن بختيشوع[1] وهو حاج بمكة : ياجبرئيل، علمتَ مرتبتك عندي ؟ قال : ياسيدي ، وكيف لا أعلم ؟! قال له دعوت لك (والله) في الموقف دعاء كثيراً . ثم التفت إلى بني هاشم فقال : عسى أنكرتم قولي له ، فقالوا : ياسيدنا ، ذميٌّ ، فقال : نعم ، ولكن صلاح بدني وقوامه به ، وصلاح المسلمين بي . فصلاحهم بصلاحه وبقائه . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين

٥٦٢ — وما ننفض من حولك

كان أحمد بن أبي خالد وزير المأمون فاضلاً مدبراً جواداً ذا رأي وفطنة ، إلا أنه كانت أخلاقه سيئة

قال له رجل يوماً : والله لقد أُعطيت ما لم يعطَه رسول الله

فقال : والله لئن لم تخرج مما قلت لأعاقبنك

قال : قال الله تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك)

وأنت فظ غليظ القلب ، وما ننفض من حولك

٥٦٣ — فيم اقتحامك ؟ — أريد بسطة كف

دخل الشيخ عبد الرزاق الشبي على الحسن بن أبي نمي

(١) معنى بختيشوع عبد المسيح ، لأن في اللغة السريانية البخت العبد ويشوع عيسى (ابن أبي أصيبعة)

شريف مكة يستأذنه في السفر وركوب البحر ، فأنشده الشريف قول الطُّغرائي[1] :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه   وأنت تكفيك منه مصّة الوشل ؟

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة :

أريد بسطة كف أستعين بها   على قضاء حقوق للعلى قِبَلي[2]

فأمر له الشريف بقضاء دينه ، وأمر له بألف أحمر ، وترك الشيخ السفر

٥٦٤ — مشيت في مكرمة

في (تاريخ بغداد) بينا أبو السائب المخزومي (عبد الله ابن السائب) في داره سمع رجلاً يتغنى بهذه الأبيات :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم   حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
حسبي بأن تعلمي أن قد أحبكم   قلبي وأن تجدي بعض الذي أجد
ألقيت بيني وبين الحب معرفة   فليس تنفد حتى ينفد الأبد
وليس لي مسعد فامنن علي به   فقد بليت وقد أضناني الكمد

فخرج أبو السائب من داره يسعى خلفه ، فقال له : قف ، أنا مسعدك ، إلى أين تريد ؟ قال : إلى خيام الشعف من وادي العرَج[3] ، فأصابتهما سماء شديدة فجعل أبو السائب يقرأ : (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا[4] والله يحب الصابرين)

ثم رجع إلى منزله وقد كادت نفسه تتلف ، فدخل عليه أصحابه وإخوانه فقالوا له : يا أبا السائب ، ما الذي تصنع بنفسك؟ قال : إليكم عني ، فإني مشيت في مكرمة ، وأحييت مسلما ، والحسن معان ...

(١) مؤيد الدين الحسين بن علي قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ، وهي لفظة أعجمية

(٢) لي قبله حق ، لي قبله مال أي عنده (الأساس ، التاج)

(٣) الشعف : ما ارتفع من الأرض وعلا . العرج بالفتح واد بالحجاز (التاج)

(٤) استكان واستحال : انتقل من كون إلى كون وانتقل من حالة إلى حالة (الكشاف) والاستكانة الخضوع والذل

جمال وشوك

[إلى أخي الصابر الراضي الأستاذ محمد سعيد العريان]

للأستاذ محمود الخفيف

يا حُسْنَها تُعْجِبُ مَنْ ينظرُ صَبَّارَةٌ يا طُولَ ما تصْبِرُ !
ظَامِي الحَصى مَنبِتُها مُقفِرُ لا نَبْعَ يُرْجى حَولَها أو يُرَى
إلا لِماماً عارِضٌ مُمطِرُ

لولاهُ ما إنْ عرفَتْ مَوْرِدا قد حُرِمَتْ في القفرِ حتى النَّدى
عَزيزةٌ تحيا برَغْمِ الصَّدى كم أشبهتْ في عَيْشِها حُرَّةً
العارُ تأباهُ وتَرْضى الرَّدي

مُحْصَنَةٌ ما داعَبَتْها الرِّياحْ ولا نَوَى في فَرْعِها ذو جَناحْ
لها من الشَّوْكِ رهيبُ السِّلاحْ كأنما العِفَّةُ لم تَكفِها
فاتخذَتْ أُهْبَتَها لِلكِفاحْ !

واعجبا ! أغصانُها كالنِّصالْ لكنَّما رَفَّ عليها الجَمالْ
ما شابَ هذا الحُسْنَ قطُّ ابتذالْ فما تَراها العَيْنُ مَيَّاسَةً
تأوَّدَتْ في نَزَقٍ أو دَلالْ

وحِيدةٌ أفرَدَها المَوْلِدُ يَتيمةٌ ما هَدْهَدَتْها يَدُ
باليُتْمِ لا تَشْقى ولا تَسْعَدُ ما عَرَفَتْ في قَفْرِها راعِيًا
أو أسخَطَتْها عِيشَةٌ أرْغَدُ

نَعماؤُها أنْ تَجهَلَ الأنْعُما وغايةُ الشِّقْوَةِ أنْ تَعْلَما
مَنْ عَيْشُهُ الحِرْمانُ لَنْ يُحْرَما ومَنْ يَعُبُّ الماءَ في وفرَةٍ
كانَ حَرِيًّا أنْ يُحِسَّ الظَّما

وحْشِيَّةٌ ما اتخذَتْ مِن حُلىً إلا التي تَنْسِبُها لِلعُلى
يا رُبَّ حُسْنٍ إذ يُرى عاطِلا أصالةُ السِّحْرِ به أبْرَزَتْ
جَمالَهُ فهْوَ يُرى أجْمَلا

في غيرِها إنْ رَفَّ حُلْوُ الزَّهَرْ أو لاحَ لِلعَيْنِ شَهِيُّ الثَّمَرْ
أذهَلَ هذا عَنْ سِواهُ البَصَرْ كم زينَةٍ في العَيْنِ بَرَّاقَةٍ
زاغَتْ بها الأبصارُ عَمَّا استَتَرْ



صَبَّارَتي شقَّتْ عليكِ الحياه لكنَّما جُنِّبْتِ أيدي الجُناه
في وحْشَةِ البِيدِ أطيلي الصَّلاه زاهِدَةَ الصَّحْراءِ لا تَحزَني
يا رُبَّ بُؤْسٍ كانَ فيه النَّجاه

يا شَوْكَةَ الصَّحْراءِ لَنْ تَعْدَمِي رِعايَةً مِنْ رَبِّكِ الأكْرَمِ
في كَنَفِ البارِي لَمْ تَنْتَمِي الخالقُ الرَّزَّاقُ لوذي بهِ
في عُزْلَةِ الصحراءِ واسْتَعْصِمِي

كم راعَنِي فيكِ صَريمُ الإباءْ ونُضْرَةُ العودِ بِرَغْمِ الشَّقاءْ
وبَسْمَةٌ فيها الرِّضا والرَّجاءْ ورَوْعَةُ الحُسْنِ وزَهْوُ الصِّبا
والطُّهْرُ والعِصْمَةُ والكِبرياءْ

صَوَّرْتِ يا صَبَّارَتي الناضِرَه إنْسِيَّةً كالظَّبْيَةِ النَّافِرَه
قاسِيَةً شَوْكَتُها زاجِرَه رَيَّانَةَ العُودِ على بُؤْسِها
ضاحِكَةً رائعَةً ساحِرَه

في نَشْوَةِ المُبْتَهِلِ الزاهِدِ وفي خُشوعِ الرّاكِعِ السّاجِدِ
جَلَسْتِ في الصَّحْراءِ كالعابِدِ أرنو إلى زاهِدَةٍ سبَّحَتْ
للهِ في مِحْرابِهِ الخالدِ

يا حُسْنَها كم تُعْجِبُ الناظرين صَبَّارَةٌ : لَفظٌ ومعنى مُبين
ذَكَّرْتِ يا عَصْماءُ قلبي اليقين ما أنتِ يا صَبَّارَتي صُورَةٌ
أنتِ خَيالُ الصَّبْرِ للموقنين



على هامش الشعر الجديد

اطلعت فى (٥٦٨) من الرسالة على كلمة للأستاذ الفاضل حبيب الزحلاوى ، يعلق بها على قصيدة للدكتور بشر فارس ، نشرت فى مقتطف مايو . قال الأستاذ : « قرأت القصيدة ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها فى أوقات متفاوتة . وكنت عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم !! ... » . ثم قال إنه يشرك قراء الرسالة معه فى قراءة هذه القصيدة ، ويتعهد بجائزة مالية . . . ولا يستثنى قراء العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ... الخ .

ولقد طمعت فى الجائزة ، فأكببت على القصيدة ، ممعناً فيها ، مقلباً فيها النظر ساعات بعد ساعات ؛ فكنت أبوء بالخيبة بعد كل محاولة . ولا غرْو أن تَنْبو العقول عن مثل هذا التخليط والعبث !

ثم إنى قلّبت صفحات العدد نفسه من الرسالة ، فإذا أنا أمام قصيدة عنوانها : « من خريف الربيع » — وما أكثر أمثالها ! — فتلوتها ، ثم تلوتها ، ثم تلوتها ، فوجدتنى أكاد أكون فى مثل موقف الأستاذ الزحلاوى من قصيدة بشر فارس

فقلت : ما لى لا أستريح قليلاً من ذهنى الكليل ، وعلمى العتيق ، فألجأ أنا أيضاً إلى قراء العربية فأستعين بهم ؟

فليتفضل منهم متفضل ، فيشرح لى هذه القصيدة شرحاً تلتئم به أجزاؤها ، وتتجمع أوصالها ، وتتكشف به غرائب مجازاتها ، وعجائب استعاراتها ، وبدائع أسرارها ؛ حتى تعود كوناً متماسكا ذا قِوام .

إنى إلى هذا لشديد العطش . (ا . ع)

جائزة الزحلاوى

رصد الأستاذ الزحلاوى جائزة مقدارها خمسة جنيهات مصرية لمن يفسر له قصيدة كان الدكتور بشر فارس قد نشرها فى المقتطف ، وقد أغرتنى قيمة الجائزة ودفعتنى إلى محاولة تفسير القصيدة لأنال جنيهات الزحلاوى ، والحق أنى وقفت أمام القصيدة طويلاً وما استطعت — علم الله — أن أظفر منها بمعنى مفهوم أو خاطر واضح . القصيدة كلام يوهم أنه ذو معان فلسفية عميقة ، وليس بها معان على الإطلاق ، إلا ما كان من المعانى الفردية للكلمات

(القاهرة) مصطفى على عبد الرحمن

« الشعر الجديد » لا « شعر الشباب »

معاذ الله أن يكون الشباب هدفاً مقصوداً فى هذه المعركة ، وإنما هو الشعر الجديد شباباً كان قائلوه أو شيباً . وما علاقة العمر بقديم الشعر وجديده ؟ وهل اخترم طرفة وأبو تمام إلا وشبابهما فى عنفوانه ؟

ولو أنك رجعت إلى كلمات الأستاذ الكبير (ا . ع) فى هذا الموضوع لوجدت عنوانها « الشعر الجديد » ، وكذلك عنوان مقالى فى العددين ٥٦٨ و ٥٦٩ من الرسالة

نعم إن الأستاذ الكبير قال فى إحدى كلماته : « ولكنهم كلهم — أو جلهم — أحداث أو أشباه أحداث »[1] . ولكنك لو تدبرت هذه العبارة لم تجد فيها ما يُفهم أن شعراء الشباب كلهم — أو جلهم — مجددون ، وأسارع إلى الاحتراس فأقول : « على النحو الذى فصله الأستاذ فى كلماته عن مذهبهم فى التجديد » ، ثم إن الأستاذ يقول أيضاً : « وهل فى كلامى ما يشير أو يدل على أنى أجحد شعراء الشباب عامة ؟ لا يا سيدى . إنى حكمت على فئة كبيرة تسنى لها بعوامل مختلفة أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل فى ألفاظه وتراكيبه ومعانيه ؛ فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يستجاد أو يستملح ... الخ . »[2]

إذن فمن الذى أقحم لفظ « الشباب » فى هذه الأحاديث ؟ إنهم أنصار الشباب أنفسهم ، فهم الذين كتبوا « شعراء الشباب والأستاذ الجليل » و « حول شعراء الشباب » و « شعراء الشباب » و « لقد ظلموا شعراء الشباب » و « حول شعراء الشباب » و « حول شعر الشباب »[3] . وغير ذلك

(١) الرسالة ٥٦٠ (٢) الرسالة ٥٦٨ (٣) راجع على الترتيب الأعداد ٥٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ من الرسالة

لسنا ننكر أن أكثر النظامين لهذا الشعر الجديد من شباب الشعراء، ولكننا لا ننكر أيضاً أن من الشباب من لم يفتنهم هذا التجديد المزعوم، بل إن من هؤلاء المجددين أنفسهم من ينزع عنه — طوعاً أو سهواً — فى بعض الأحيان ثوب التجديد الخادع، وحينئذ ترى من شعره ما يروقك ويعجبك. وهذا هو الذى أشرنا إليه فى حديثنا عن بعض مواضع الحسن فى قصيدة الشاعر على شرف الدين، وإذن فليس للأستاذ البشبيشى على حجة إذ يقول: «... إذا أخطأتم النسج القوى وصفتم شعرهم بالسخف والفتور، وإذا راعكم منهم البيان الجزل قلتم: هذا من الشعر القديم»

ومن العجيب أن أنصار هـذا الشعر يقحمون فى ثبت شعرائه أسماء لا تمت إلى جديدهم بصلة، بل إننا لنقرأ شعرهم فنستمتع به ونستملحه كما نستعذب ونستملح شـعر المجيدين من القدماء

أما الغموض الذى أخالف فيه أستاذى، وأما «معنى التجديد» الذى يتساءل عنه ولده الأديب «حسين» فحقهما التفصيل فى بحث قريب إن شاء الله.

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

اللهجة المصرية وصلتها باللهجات المغربية

بين اللهجات المغربيـة واللهجة المصرية وجوه شـبه فى أصوات الحروف، فالثاء فى الأولى تبدل تاء كما يبدلها المصريون فى ثلج وثوب وثوم وثور وكثير. ومثلها الذال إذ يحول إلى دال مهملة فى نحو الذهب ويذوب ويذوق. كذلك الظاء فإنها، تنقلب إلى ضاد كما فى نطق المصريين لظهر وظفر ونظيف

وبعض القبائل العربيـة فى المغرب تتلفظ بالقاف على النحو المعروف فى صعيد مصر، وقد تمكن هذا النطق فى اللهجات المغربية الأخرى حتى تأصل فيها

وكما أن معظم المصريين يبدلون القاف همزة، فكذلك يصنع سكان المدن المغربيـة مع تفاوت فى الصوت، أى الترقيق والتفخيم

والجيم المصرية لها أيضاً نصيب من الانتشار فى الأقاليم المغربية؛ إلا أن دائرة انتشارها محدودة لا تتعدى بضع مفردات من جملتها: يجازى ويجوز وجوز وجزار. وأصل هذا النطق يمنى يحتمل أن يكون قد انتقل إلى مصر عن طريق الخزرج الذين وفدوا إليها من المدينة[1] يؤيد هذا ما رواه ابن دريد من أن اليمنيين يقولون للرجل ركل وللجمل كمل[2]

أما كيفية انتقال طريقتهم فى النطق إلى المغرب فهى أن فريقاً منهم استوطن مدينة سرقسطة بعد فتح الأندلس[3] ثم توالت هجراتهم إلى عدوة المغرب حيث خلفوا أثرهم إلى اليوم

والملحوظ فى لغة المصريين أنهم يقدمون حرفاً ويؤخرون حرفاً فى قليل من الـكلمات، كما فى يفحر ويجوز وأنارب واتغاظ، فأصلها يحفر ويزوج وأرانب واغتاظ، ومثلهم تصنع فئة من المغاربة فى السجادة وبلهاء ودجاج؛ يقولون: السداجة وبهلاء وجداد

وفى الأحاجى الشائعة بين القبائل فى جبال أوراس غربى الجزائر ذكر لمصر والنيل مثل ما جاء فى أحجية المرارة:

سجرتنا سـجرة النيل ونابتة فى هواها،
لا سـطحها الريح ولا شربت ماءها

وأحجية الخرشوف:

على سجرتنا سجرة النيل نابتة فى هواهـا
أولادها سـتة وستين رضعوا فى قناهـا

وأحجية الطمورة:

بغلتنا مصرية (أى كبيرة) ترفد مائة صـاع (حمل) بلاحوية (بردعة)[4]

على أن اللهجة المصرية لم تخل من تأثير مغربى فيها، فأهل الأسكندرية يضيفون النون إلى أول الفعل فى حالة المفرد المتكلم، فيقولون: (نسافر) بدلاً من أسافر؛ ثم يتبعون الفعل بالواو إذا تحدثوا عن أنفسهم، فيقولون (إحنا بنسافرو)

وهـذا النهج فى التعبير من خصائص اللهجة المغربيـة والأندلسية، لعل المهاجرين من أهل الربض فى عهد الحكم أو الفاطميين من بعدهم حملوها معهم. ومن هذا القبيل لفظتا «الـكسكسى» و «البلغة» فإن لهما شهرة فى المجتمع المصرى غنية عن التعريف.

أحمد مصدق
ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

---

(١) كرنكو فى مقاله عن الخزرج بدائرة المعارف الاسلامية
(٢) شرح ابن يعيش على المفصل، ج ١٠ ص ١٢٧
(٣) كرنـكو فى نفس المقال
(٤) جاكوبيتى: النـكت الملتقطات فى معرفة المحاجيات. ص ٤٥ و١٢٨ و١٢٣



12me Année No. 571

Lundi - 12 - 6 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٧١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — ١٢ الموافق يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــرس

صفحة

السطحيون أو الكتعاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى فى البريد مقال مطول قال مرسله إنه نشره فى بعض المجلات نقداً لكتابى عن عمرو بن العاص فى سلسلة أعلام الإسلام

وخلاصة المقال بعد كلمات لا تقدم ولا تؤخر أن مؤلف عمرو بن العاص « غلب على العرض عنده أسلوب الصحافة ، والاكتفاء بالاسترسال دون التحرى والتحقيق ، وأن مراجعه محدودة ، وأن بعض أحكامه يعوزها التحرى ، وأن السطحية وقلة العناية بالتحقيق تبدوان فى مواضع غير قليلة من الكتاب » إلى آخر هذه التهم التى تتردد بتوكيد ليس بعده توكيد وثقة ليس من ورائها ثقة ، واطمئنان يفوق كل اطمئنان

ولغير دليل يقال هذا كله اللهم إلا الأدلة التى من قبيل قول هذا العميق الكثير المراجع حيث يقول : « يرى القارئ الاختصاصى فى تاريخ الإسلام أن المؤلف أخطأه التوفيق فى مواقع ، وأن مراجعه محدودة ، وأن بعض أحكامه يعوزها التحرى . مثال ذلك ما كتبه فى تردد عمر بن الخطاب فى تسيير عمرو لفتح مصر ، فقد زعم المؤلف أن عمر لا يرى داعية للحرب إلا درءاً لخطر أو قصاصاً من عدوان ، وهذا غير صحيح . فليس

معروفاً أن فتوحات العرب كانت للدفاع أو للانتقام فقط . وإلا فأين الجهاد لإعلاء كلمة الله ؟ وأين الأسباب الاقتصادية البحتة التى تتجلى فى بعض ما كتبه المؤرخون العرب ؟ ففى فتوح البلدان للبلاذرى قالوا لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب ... »

فالعلامة العميق ، الكثير المراجع ، قد حسب أنه وقع على المراجع التى لم يقع أحد عليها لأنه قرأ فى فتوح البلدان ذلك الكلام ، وقد حسب أن أحداً من الناس لا يعلم أن أبا بكر استنفر المسلمين للجهاد بغير هذا المرجع الفريد الوحيد البعيد عن كل قارئ مستفيد

ونحن أيضاً قد فاتنا هذا كما فات كل قارئ مستفيد

فاتنا أن نعلم أن أبا بكر استنفر المسلمين للجهاد ونحن نؤلف كتاباً فى تاريخ محمد عليه السلام ، وكتاباً فى تاريخ الصديق ، وكتاباً فى تاريخ عمر ، وكتاباً فى تاريخ على بن أبى طالب ، وكتباً أخرى فى تاريخ صدر الإسلام . فلم يفتح الله علينا بكتاب واحد فى أثناء ذلك كله يقول لنا إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد استنفر المسلمين للجهاد ... ولهذا نحن سطحيون قليلو المراجع ... وحضرة الناقد بفتوح بلدانه وحدها عميق يعلم ما لا يعلم إلا بالجهد الجهيد

حضرة الناقد العميق إذن مسئول ، وله الفضل والكرامة ، أن يدلنا على كتاب واحد - واحد فقط - تلقيناه عن تاريخ صدر الإسلام ولم يذكر هذا الذى ذكره واستدل به على كثرة مراجعه وقلة مراجعنا ... نحن المساكين السطحيين

نعم كتاب واحد لم يذكر هذا الذى ظنه كنزاً مخفياً لا يعثر به العاثرون إلا بعد فك الأرصاد وإطلاق البخور والتنقيب فى كل رف مسحور وكل سرداب مطمور

وما قول صاحبنا بعد هذا فى رسائل الصديق نفسها وهى تدل على مكان الغنائم من ترغيب المسلمين فى الجهاد ؟

قال فى رسالة « سارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسن نيتكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة »

ولكنه قال فى رسالة أخرى : « فاستتموا موعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المثوبة ، واشتدت فيه الرزية ، وبعدت فيه الشقة ، وفجعتم فى ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسير فى عظيم ثواب الله ! »

فهى أسباب اقتصادية بديعة تلك التى تتقدم عليها الفجيعة فى الأنفس والأموال وتعظم فيها المثوبة وتثقل الرزايا !

وأيا كان غرض الجهاد مع هذا فليس الأمر موضع شك فى فريضة الجهاد على المسلمين ، وليس فى السامعين باسم الإسلام من يجهل أن الجهاد مفروض على المسلم فى حالة من الأحوال ، بل المبالغة التى أربت على كل مبالغة فى حديث الأقوام عن الإسلام أنه دين السيف كما يقولون

إنما المسألة هى موضع الجهاد لا وجوب الجهاد فى بعض الأحوال ، والذى ننكره كل الإنكار أن المسلمين يقاتلون لغير ضرورة ويحملون السيف فى غير موضع السيف ، ولسنا نحيل صاحبنا العميق إلى مراجع الرف المسحور أو السرداب المطمور ، ولا إلى ما كتبناه فى وصف عمر أو وصف الصديق ، ولسنا نكلفه شيئاً أكثر من فهمه للكتاب الذى ينقده بل للفصل الذى يشير إليه ، بل لأول جملة فيه ، حيث نقول : « كان الصدام بين العرب والدولة الرومانية قضاء موعوداً منذ اللحظة التى نشأت فيها الدعوة الإسلامية وكتب لها البقاء . لأن الإسلام رسالة تتجه إلى أسماع الناس وقلوبهم ، والدولة الرومانية سلطان قائم يحول بين رسالته وبين الأسماع والقلوب ، فلا مناص من التقائهما يوماً من الأيام ، على سلام أو على خصام ، وهما إذا التقيا على خصام أو على سلام دخل الإسلام مصر مدافعاً أو غير مدافع ، ويفتح الإسلام مصر على كلتا الحالتين : فتح رضوان أو فتح تسليم » !

فنحن إذن يا شاطر يا عميق ! لسنا بسطحيين إلى هذه الدرجة ، وفتوح بلدانك يا شاطر يا عميق ليست بالمرجع الذى نحتاج إليه أو يحتاج إليه أحد ليعلم ما يعلمه جميع المنصفين إلا أمثالك من العمقاء الكثيرى المراجع ! ! وهو أن الجهاد

واجب إذا اضطر إليه المسلمون ، وليس بواجب ولم يجب قط في غير هذه الحال

* * *

وهل نحن سطحيون قليلو المراجع لهذا دون غيره أيها القراء ؟

معاذ الجهل والجهلاء والكتاعة والكتعاء

بل نحن سطحيون قليلو المراجع لأن العميق صاحب المراجع الكثيرة يقول عنا : « فترى مثلاً أن المؤلف يصحح أرطبون إلى أريطون ... والظاهر أن المؤلف يتأثر هنا بتلر في كتابه فتح العرب لمصر ، والصواب أطربون كما فطن إلى ذلك دي جويه في تعليقاته على الطبعة الأوربية لتاريخ الطبري ، والواضح أن كلمة أطربون تعريب اللاتينية Tribunus وهي رتبة من رتب القيادة الرفيعة عند الروم »

فواضح بالله كيف ؟

وصواب يا أخانا بأي دليل ؟

هكذا « وبس » ... واضح وصواب ! ! ونحن غلطانون « وبس » لأننا اعتمدنا على بتلر وانت لم تعتمد على شيء ؟

أما نحن فنعترف أننا عولنا كثيراً على بتلر في كتابه فتح مصر ، ونقرر أننا لم نعرف في تاريخ هذه الفترة من هو أولى منه بالتعويل عليه ، ونحيل صاحب المراجع إلى الهامش الذي فيه أن أبا المحاسن ذكر الإسم الصحيح وهو أريطيون .

فعلام يعول صاحب المراجع الكثيرة في الجزم بتخطئة بتلر وضبط الإسم على أرطبون دون أريطبون ؟

أيكفي أن تكون في الدولة الرومانية وظيفة يقال لصاحبها « تريبوناس » ليكون واضحاً وصواباً أن حاكم بيت المقدس اسمه أرطبون ؟

إن كان هذا كافياً فلله در المتهكم الساخر الذي قال إن شيكسبير من أصل عربي أندلسي هاجر إلى الجزيرة البريطانية وأصل اسمه الشيخ زبير فصحفت إلى شيكسبير !

ولم لا يكون واضحاً وصواباً بالله ؟ الشيخ زبير اسم من أسماء العرب ، والمسلمون قد هجروا الأندلس إلى كل مكان ، والإنجليز يبدلون الكاف بالخاء في كثير من الأسماء . فما أقرب التصحيف بعد هذا من شيكسبير إلى الشيخ زبير رحمه الله ؟

أما نحن فما كنا متهكمين ساخرين لأن الله خلقنا سطحيين غير محققين ، ولهذا رفضنا تصحيف « تريبوناس » إلى أرطبون وعللنا ذلك بأسباب تليق بالسطحيين المتعجلين

« أول » هذه الأسباب أنه على كثرة التصحيف في نقل الألفاظ الأعجمية لا نزال نرى أن المسافة بعيدة بين أرطبون وتريبوناس

و « ثاني » هذه الأسباب أننا نريد أن نعرف لماذا لم تصحف ألقاب أخرى مع أن اللغة اللاتينية زاخرة بالألقاب ولقب التريبوناس يطلق على غير واحد من الناس

و « ثالث » هذه الأسباب — وهو أسخفها وأضعفها — في نظر السطحيين المتعجلين أن وظيفة التريبوناس كانت ملغاة إلغاء باتاً منذ قرون في نظم الدولة الرومانية على عهد قسطنطين

و « رابع » هذه الأسباب — وهو أسخف وأضعف — أن الذي يجزم بهذا اللقب عليه أن يذكر اسم صاحبه الأصيل وأن يثبت وجود الوظيفة واللقب في ذلك الحين

كل هذا أخذنا به لأننا سطحيون قليلو المراجع ، ولو كنا عمقاء كثيري المراجع كصاحبنا لما حفلنا بشيء من هذه الأشياء ولكان حسبنا أن نقول « صواب وواضح » بغير عناء

* * *

ولا تنتهي سطحيتنا نحن السطحيين المساكين عند هذا الذي قدمناه أيها القراء

كلا . نحن سطحيون جداً والعياذ بالله . نحن من السطحية نكاد نتجاوز سطح الأرض إلى أجواز السماء

نحن سطحيون جداً ، لأننا بالغنا في إجمال الكلام على حريق مكتبة الأسكندرية ، « فجاء عرضنا للمسألة مبتورا لا يغني كثيراً ، والمسألة خطيرة الشأن ووثيقة الصلة بسيرة عمرو »

أي والله معشر القراء !

إن مسألة المكتبة وثيقة الصلة بسيرة عمرو بن العاص !... عمرو بن العاص الذي لا يعدو في هذه المسألة أن يكون على حال من حالين : إما أن المكتبة لم تحرق وحينئذ لا صلة له بها على الإطلاق، وإما أنها أحرقت بأمر الخليفة وحينئذ لا صلة له بها على الإطلاق

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

٢ - الفن والإصلاح

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لا يجوز لنا ونحن فى أول عهد النهضة الذى مرّ بمثله الغربيون قبلنا بما يقرب من خمسمائة سنة تقريباً أن نرجو من أدبنا الحالى أن يرمى إلى القيمة الفنية والمزايا الأدبية وحدها كما يرمى إليها الأدب الأوروبى الحاضر. لأن الأدب الأوروبى ثمرة عوامل اجتماعية وأدبية وسياسية عدة هى التى عملت فيه وكونته وأنضجته وجملته أقرب إلى الكمال

وإن الغلطة التى نرتكبها ونكررها فى مجالات السياسة والأدب والاقتصاد هي أننا دائماً ننسى الفارق التاريخى العظيم بيننا وبين الأوروبيين، ونحاول أن نطبق على بيئتنا القاصرة المتخلفة مقاييس الحياة الأوروبية الحاضرة غروراً منا بالمدنية الصناعية الآلية التى أمكننا نقل كثير من مظاهرها إلى حياتنا فى السنوات الخمسين الماضية وغفلةً منا عن أن نقل المكان دائماً من حضارة لأخرى أسهل وأسرع من نقل السكان؛ لأن نقل السكان يستلزم المرور بدرجات من النضج العصبى والثقافى والسياسى والأدبى لا يمكن أن يتحقق إلا فى أطوار وأدوار تاريخية، وبخاصة إذا كان الانتقال لم يتخذ طريق الطفرة والثورة وإنما اتخذ طريق النضج البطىء على نار هادئة كثيراً ما يطفئها أعداء الإصلاح فترة، ويعوق عملها الاستعمار والوصايات السياسية الجائرة

فيحسن بنا أن نطرح جانباً الآن قصة الموازنة بين أدبنا الحالى وأدب الغربيين الحالى فإنها موازنة مثبطة

فما كان الأدب الأوروبى الحاضر ليبلغ مبلغه من الازدهار والقيمة الفنية والمزايا الأدبية لو لم تسبقه تلك الحركات الإصلاحية والثورات. وهى ثورات وحركات ساهم فيها أدباء النهضة بجهود عظيمة. وما كان يمكن أن يصل الأدب الأوروبى بمعناه الموسوعى ولا بمعناه الفنى الضيق إلى ما وصل إليه الآن لو لم تقم حركات تحطم قيود الجهالة والجمود فتحطم الأغلال عن العقل الأوروبى

فإذا نادى الأستاذ أحمد أمين بك أن يكون بجوار أدبنا الفردى والفنى الخالص أدب اجتماعى يعرض مشكلات حياتنا ويصور أمانينا ورغباتنا فى الإصلاح، ويوقظ أفكارنا الراقدة ويثيرها إلى مطالب المجد والشرف والصلاح والحرية، فلن يكون فى طلبه هذا اعتداء من النقد على الفن ولا تقييد له ولا حمل له على السير فى طريق آداب الأمم الديكتاتورية الحالية، وإنما هو طلب معتدل لا يرضى الغلاة من محبى الإصلاح السريع الذين قد يرون من الواجب فى حياة أمة مثل أمتنا لم تحقق جميع ضروريات حياتها الاجتماعية والسياسية ولم تتحرر تحرراً كاملاً من وصايات جائرة أن يكون معظم أدبها وفنها موجهاً وموحياً بالكفاح فى سبيل حريتها، وتصحيح أوضاعها الأساسية فى السياسة والاقتصاد والأخلاق، وأن يرسم لذلك المنهج الذى يصح أن يكون فى هذا الدور، وأن الجهاد للأحياء الأشقياء العبيد الذين لم ينالوا كرامة حقوق الحياة ومبادئها الأولية أولى من الجهاد للفن الخالص على ما فيه من لذة وانطلاق وفلسفة وشعر وترف إننا نكون أناساً غير طبيعيين حين نفرط فى الاستمساك

غير صلة التنفيذ والطاعة، وليس هنا إذن موضع الإطالة فى هذا الموضوع

فهمنا هذا لأننا سطحيون متعجلون، فأطلنا القول على حريق المكتبة فى «عبقرية عمر» وشغلنا به بضع عشرة صفحة من ذلك الكتاب. ولم نر أن نعيد هذا كله فى موجز عن تاريخ ابن العاص الذى لا يقال عنه هنا إلا إنه أمر فأطاع، إن كان قد أمر بشىء وهو لم يؤمر قط بشىء!

سطحيون يا معشر القراء

سطحيون متعجلون، فماذا يصنع معنا أولئك العمقاء المتريثون، الذين يقرأون فتوح البلدان وما شاء الله كان!

وإن السطحيين المتعجلين أيها القراء لا تحتمل منهم إطالة أكثر من هذه الإطالة فى مساجلة العمقاء المتريثين... فكفاية هذا ... ولا حاجة إلى مزيد من السطحية وقلة المراجع وكثرة المعاذير!

عباس محمود العقاد

بحقوق الحياة والحرية وتهاون فيها ، ثم نأبى إلا الاستمساك بحقوق الفن فى حريته وانطلاقه .

نكون كالفرنسيين الذين جنت عبادتهم للفن وآثاره على كرامتهم السياسية والقومية حين أخذهم الذعر على مدينتهم باريس ، فسلموا للألمان حين وصلوها إبقاء على ما فيها من مخلفات الفن وآثاره . وكلما وازنت بين صنيعهم هذا وصنيع الإنجليز بتعريض لندن لجماعات الطير الألمانية تفجؤها بالهدم صباح مساء فى أسلوب جديد من الحرب المطلقة المجنونة التى لا عهد للناس بها ، فلم يبالوا بما أصاب كنوزها الفنية وآثارها التليدة والطارفة من الهدم والحرق فى سبيل إنقاذ حريتهم وكرامتهم وشرفهم القومى ، وفى سبيل سلامة الروح من التعبد لنير الحرية والتعذية — أقول كلما وازنت بين صنيع هؤلاء وهؤلاء أدركت الفرق العظيم بين روح الأمتين . وبين العقلية الأنجلوسكسونية واللاتينية على العموم

فالعقلية الأولى عقلية أحسنت التلقى عن الطبيعة فى تقويم الحقائق والأشياء ، فهى تحافظ على آلات الحياة الأصلية التى تكفل حق العيش وحق الحرية قبل المحافظة على أى شأن آخر . وقد نسيت فى ساعة المحنة والشقاء والجد هوايات الترف والكماليات ، وضحتها خوف أن تضحى ما هو أعظم منها . . . هدمت لندن لتنقذ ما هو أعظم من لندن ، وهى الروح الإنجليزية ! وهو درس عظيم أعطته إنجلترا للعالم جميعه فى هذه الحرب ... أعطته لأعدائها وأصدقائها على السواء فانتفعوا به ولن ينسوه !

أما العقلية اللاتينية فى دورها الحاضر الذى ابتلى المصريون بجوارها فيه وذيوع ثقافتها فيهم . فهى عقلية لم تحسن التتلمذ على الطبيعة فى تقدير لباب الأشياء ، بل تستهويها حياة القشور المزوقة والثرثرة والجدليات والاستعراضات المسرحية والانطلاق وراء النوازع والشهوات ، والتحلل من قيود الاجتماع بحجة الحرية الفكرية . وإنما هى فى الواقع حرية طباع لا حرية أفكار . فهى عقلية يسهل استهواؤها واستفزازها وزعزعتها ، لأنها لم تستند إلى طبع ركين يستمد من الطبيعة أسلوبها فى تقويم الأشياء وتقدرها ، وتقديم الأنفع على النافع ، وتضحية الفروع محافظة على الأصول ...

* * *

ذلك هو تقدير الطبيعة والحياة الصادقة الناجحة للفن وآثاره . وهو تقدير موزون ليس فيه تقتير ولا إسراف . هو تقدير فى الواقع خاضع للمنفعة والجد فى خدمة الأغراض الأصيلة للحياة . لا للترف ولا للهزل ، ولا لإرسال قوة الخلق على هوى طليق أو جموح .

وليس الفن البشرى كله مع الأسف سائراً مع هذا الاتجاه . بل منه ما هو سائر معه ، وهو أسمى درجاته . ومنه ما يفسد غايات الحياة ويشترك فى تعطيلها وتقويض كيانها فى النفوس ، وهو أحط دركاته ... ومنه ما لا فساد معه ولا ضرر منه ، وهو ما يفيض لإرضاء عبقرية الخلق المودعة فى الإنسان ، أو لإظهار المهارة والذكاء ، أو لتزجية الفراغ وتسلية المجتمع . وهذا فن لا بأس من كثرته فى الأمم التى فرغت من إقامة حياتها على دعائم العدالة والقوة والحق

وإذ ثبت أن لحياة الجماعة من القيمة والاعتبار ما تستحق معهما حياطتها والمحافظة عليها من عوامل الهدم والبلبلة والانتكاس التى تسببها النزعات الفردية والاستبدادية فى السياسة — وهى فن الحكم — فلا جدال حينئذ فى أن للجماعة الحق فى فترة من فترات حياتها أن توجه الفن بلسان النقد إلى الوقوف عند حد ما فيما ينتجه ، حتى يكون منسجماً مع منطق الطبيعة ، أو أن تلزمه على الأقل الوقوف دون حدود الفساد ، والضر الذى يبلبل الأفكار ويشوش على الإحساس الصادق بالحياة .

وإن قوة السخرية فى نفس فنان أو تشاؤمه أو إباحيته أو شذوذه قد توحى إليه بصور فنية تثير دهش الناس وعجبهم ، ولكنها قد تزلزلهم وتفسد عليهم ألفتهم بالحياة ، واتتمامهم بمثلهم العليا ، أو تأخذهم إلى حياة اللذة والجموح الذى لا تحتمله الحياة العملية ، أو تبحث لهم من الصور الشاذة فى الحياة ، أو تخلق لهم تلك الصور وتحملهم على تقليدها بطريق الإيحاء .

ومن هنا يجب التيقظ للأعمال الفنية ، لأنها أخطر أنواع الثقافة وأشدها تأثيراً ، وأوسعها حيلة فى استهواء الناس ، وأعظمها انتشاراً بين الجماهير

والفنان الكامل لا بد أن يكون فى فنه نوعان من الإنتاج : نوع فردى يجرى فيه على طبعه المتفرد الخاص المتدل وذاتيته

الممتازة ، ونوع اجتماعى يجاوب فيه الأصداء الاجتماعية التى تتداول سمعه وسمع الناس فى عصره . وبخاصة إذا كان مجتمعه مشوشاً ناقصاً يحتاج إلى تكميل وتنظيم ، وما يد أن يكون هذان النوعان من الإنتاج فى آثاره . وليس فى هذا إعنات من المجتمع له وإنما هو تنبيه له وتوجيه إلى الآفاق التى يستمد منها عوامل كمال فنه ويؤدى منها ضريبته الأدبية

وليس بصحيح أن الأثر الفنى الذى أنتج فى مناسبة اجتماعية بعينها وكان مستوفياً شروطه الفنية فى الصياغة والحبكة والإخراج يفقد تقديره ووقعه بزوال مناسباته وانقضاء عصر أشخاصه ، كما توهم الأستاذ توفيق الحكيم حين قال عن إبسن إنه كاد يهزأ النقد به وبآرائه فى السياسة والمجتمع لولا فنه ، وأنه قد مات فيه المصلح وبقى الفنان

ليس هـذا بصحيح لأن « التاريخ » له حظه فى التقدير ، ولأنه يظل تاريخاً حياً كل العصور ما دام الفن قد استطاع أن يضفى عليـه من الحركة والحياة ما يضمن لشخصياته الوجود الخالد فى ذهن القارىء وخياله . وليس لصحة الآراء أو خطئها باختلاف العصور أثر كبير فى التقدير ما دام الشرط الأساسى وهو بلاغة الفن قد تحقق

فلن يغمط حق الفنان المصلح الذى جرد نفسه لخدمة مجتمعه وأراد قيادته نحو الكمال ولو تغير عهد الناس ورأيهم فى آرائه الإصلاحية إلا إذا ذهب التقدير الفنى للتاريخ الخالص ، وإلا إذا أهدرت قيمة جهاد الطفولة البشرية وخطواتها المتعثرة الأولى نحو الرشد ونشدان الكمال

وإذا كان الفنـان يملك قوة الإنتاج الذى يهدى أمته ويسـددها نحو الكمال ويأخذ بيدها فى عهد الانتقال . ويملك أيضاً قوة الإنتاج فى الأدب الإنسانى الخالص ، ثم يعرض عن النوع الأول سعياً وراء الخلود الواسع والشهرة العريضة بالإنتاج فى النوع الثانى ؛ فإنه لا شك ذو عقوق بأمته وبخل عن أداء « الضريبة الأدبية » الواجبة لها فى فنه

وسيحسب هذا لدى النقد الصحيح نقصاً فى طبيعته الفنية التى لم تستجب لنداء بيئتها ، وبلادة فى طبيعته الاجتماعية التى لم تحركها عوامل البؤس أو الجهل أو الاستبداد ، ولم تعطفها عواطف الرحم التى يجب أن تكون بينه وبين مجتمعه

على أننا لا نسلم أيضاً بأن الأدب الخاص بمجتمع ما ، والذى يعالج مشكلة من مشكلاته أو يعرض مشهداً من مشاهد حياته لا يروق أذواق غيره من المجتمعات ما دام ذا ذخيرة موفورة من العواطف والأفكار والغرائز والمواقف والمفاجآت البشرية المشتركة . وتلك ذخيرة لا يخلو منها عمل فنى يستحق الخلود ، حتى لدى المجتمع الذى أنتج فيه . فالطبع البشرى واحد الجوهر فى كل مكان وزمان وإن اختلفت أعراضه اختلافاً ما ، وها نحن أولاء نرى فيما نقرؤه ونشاهده فى السينما من آداب الأمم وفنونها الخاصة مصداقاً لما نقول ، فهى كثيراً ما تعالج مشكلات خاصة بالوسط الذى أنتجت فيه . ومع ذلك نجد فينا نحن الشرقيين الأسيويين أو الأفريقيين تذوقاً وفهماً لمراميها وأشخاصها

والتاريخ البشرى متشابه الموجات ، وأمراض المجتمعات البشرية فى دور تكوينها واحدة تقريباً ، ووسائل كفاح الاستبداد والجهالة والبؤس واحدة أو متشابهة

فلا يتوهمن فنان أن دائرة شهرته وخلوده تضيق بضيق المجتمع الذى يعالجه أو يصوره ، فإن النماذج البشرية التى تعرض فى حذق وبراعة أبداً خالدة ؛ تلتقى فى فهمها وتقديرها عقليات الأمم . والبشرية المتفرقة الآن صائرة حتماً إلى لقاء : لقاء فى الفكر والقلب والدم والفن ... وطلائع هذا المستقبل المأمول مقبلة بل هى حاضرة فى دراسة كل أمة لآثار عبقريات كل أمة ، وفى اقتناء مخلفاتها وترجمة روائع آدابها والتعرف إلى خصوصيات روحها . والدليل على ذلك يا صديقى الأستاذ الحكيم أن أدبك القومى ترجم كله ؛ فقد أخبرتنا أن « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » ترجما ... أما أدبك الذي يدور حول الرموز والأساطير العالمية ، فالفرصة فى ترجمته أقل من هذا

فابحث فى قومك ومجتمعك القريب عن ينابيع لوحيك وصنعتك البارعة ، فإن قومك أولى وأحوج إلى الإيقاظ

والتحرير والإصلاح . ولا عليك من الخلود وذيوع الصيت ، فإنهما لك ما احتفظت بصنعتك

إنك شغلت نفسك بالأدب العالمي الذي يدور حول الأسرار والرموز والأساطير والقضايا الفلسفية التي تتصل بها النخبة الممتازة في كل أمة . وأنتجت في هذا إنتاجاً هو لا شك مفخرة للأدب العربي بين آداب العالم وللعقل المصري بين عقول الأمم . ولكن اسمح لي أن أقول لك بصراحة إن « الشعب » المصري لم ينتفع بما أنتجت إلا انتفاعاً يسيراً جداً بالنسبة إلى إنتاجك المبارك ، فليس لك في السينما الشعبية إلا « رصاصة في القلب » وهي على ما فيها من بعض المواقف التهذيبية لم تعالج عقدة هامة من عقد الحياة المصرية الكثيرة ، ولم تثر في أذهان الجماهير ثورة ما على الأوضاع السيئة التي تضيع حياتهم الراهنة . وإنما هي لون من ألوان أدب الفكاهة والمتعة في قوم لا ينقصهم من ألوان الفكاهة والتهريج وإزجاء الفراغ شيء ... بل قد استحالت حياتهم إلى أضاحيك ومباذل ...

أما رواياتك الكبرى فلن تتسع لها الآن حوصلة المسرح المصري أو السينما ، ولن يهضمها جمهوره إذ أنها تعالج قضايا فلسفية ورمزية فوق المستوى العام . وأحسبها وضعت للقراءة العميقة لا للتمثيل والتجسيم ، فإن أحاديث شخصياتها تحتاج إلى سامعين مثقفين دارسين . وقد شهدت ذلك بنفسي في « أهل الكهف » حينما مثلت في أول عهدها

لقد تركت أنت وأمثالك لغيركم من المؤلفين التجاريين أن يمدوا بنتاجهم شركات السينما وهيآت المسرح التي كأن بينها سباق في قتل روح هذه الأمة وفي تشويه سمعتها في الأقطار العربية بما ينتجه أكثرها من فن فج رخيص مهرج داعر يسرق البقية الباقية من أخلاق الشرف والقوة في الأمة ، ويفسد ذوقها ويحطم رجولتها ويديل عفاف نسائها ، ولا يرتفع بها — إلا في النادر — إلى مستوى أعلى ولا يثيرها وينبهها إلى أوضاعها السيئة في السياسة والاقتصاد والدين والاجتماع

وإن تبعة المسئولين عن توجيه الثقافة الفنية العامة لهذا الشعب تبعة ثقيلة فادحة ! فقد أطلقوا لتجار الغناء والمسرح والسينما أن يفعلوا ما يحلو لهم . وما يحلو لهم هو الربح والثروة بأي الطرق ، وكثير منهم لا يفهمون روح هذا الشعب لأنهم ليسوا منه ... ولا يبالون مصالحه ولا يقدرون ظروف الانتقال الخطيرة التي يمر بها . ولا يعلمون ما يحتاجه الآن لتدعيم بنائه الاجتماعي وتقوية روح النضال والكفاح فيه حتى لا ينسى ولا يفنى بين غمرات الحياة الجديدة العجيبة

لقد أصبحت أوقن أن قادة هذا الشعب الحقيقيين هم زمرة المسرح والسينما والغناء ، ففتيان الشعب وفتياته ونساؤه وأطفاله على معرفة تامة بتفصيلات حياة الممثلين والمغنين والممثلات والمغنيات ، وعلى إلمام تام بمواقفهم وأحاديثهم وأغانيهم ومراقصهم ومباذلهم . بينما هم على جهل تام بحياة الأبطال والمصلحين والخدام الحقيقيين لصالحهم وسعادتهم ، وما أظن حياة الأغلبية لهؤلاء الممثلين والممثلات تصلح أن تكون قدوة تقود الفتيان والفتيات

عبد المنعم خلاف

---

٢ – رسائل التعليقات للرصافي

للأســتاذ دريني خشبة

أشرنا في العدد السابق إلى بعض آراء الرصافي القديمة ، مما له علاقة بآرائه الحديثة التي طلع بها على الناس فجأة تعليقاً على كتـابي الدكتور زكي مبارك : التصـوف الإسـلامي والنثر الفني ... وإلى القراء الآن بعض هذه الآراء :

١ — يؤمن الرصافي بوحدة الوجود ، وأن لا إله إلا هذا العالم الأعظم الكلي ، وأن قولنا لا إله إلا الله لا معنى لها (أنظر العدد السابق) ، وخير أن يقال لا إله إلا الوجود . . . » إن البحث والتفـكير قد ألجآني إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١١) « وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائي (ص ١٣) — وقد فسر الظاهر والباطن في سـورة الحديد بأن « الظاهر الذي نراه بأعيننا وندركه بحواسنا ، والباطن الذي لا نراه ولا ندركه » (ص ١٣) . ويدعي أن كل شيء في هذا العالم جزء من الله ، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلي ، كمظاهر الأمواج لماء البحر المائج (ص١٥) » . ولا يصح لأحد أن يقول أنا الله ، كما قال الحلاج ، لأنه جزء من كل ، وإلا كفر (ص ١٦)

٢ — ويؤمن بأن محمداً ، بما أوتي من الكمال النفسي ، والفـكر القدسي هو سيد العارفين بهذه الحقيقة (ص١٤) ، وإن يكن قد أخفاها عن أصحابه ، ولم يلمح بها إلا لأبي بكر : « ولا نعلم أحداً كان يقول بها (بوحدة الوجود) من أصحاب رسول الله اللهم إلا أبا بكر . . . فلا يبعد أن يكون قد أخذ عنه هـذه الفـكرة بالتلقين ، أو يكون قد عرفها من القرآن بالتدبر والتفـكير (ص ٤٨) » ، « وآخر ما نقوله في هذا إنه لم يكن في زمن البعثة من يمثل فـكرة وحدة الوجود سوى رسول الله ، وأصدق الظن يجيز أن يجعل أبا بكر من عارفيها ، كما مرت الإشارة إليه (ص ٧٢) »

٣ — ولا يعترف بأن القرآن هو كلام الله ، ولـكنه كلام محمد ، فإذا ذكر شيئاً من القرآن قال : يقول محمد في القرآن ، (ص ١٣) ، ولـكنه يعتذر لمحمد بأنه كان يفني في الله – أو في الوجود الـكلي – فناء كاملاً ، ولذا جاز له أن يقول هذا القرآن ويزعم أنه يقول الذي يقوله الله ، ويفعل الشيء ويؤمن بأن الله هو الذي يفعل (ص ١٤)

٤ — ويعتقد أن كل ما يقع في العالم إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإفلات منها (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً) — ويؤمن بالجبر « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها » (ص ٢٣) والإنسان دابة ، وأخذه بناصيته ، أي جعله تحت قهره وسلطانه واستيلاؤه عليه (ص ٢٤)

٥ — وهو لهذا ينكر الأدعية (والصلاة من الأدعية طبعاً) ، لأنها لا يمكن أن تغير شيئاً مما لا بد من وقوعه : « . . . لأن الدعاء لا يصح في المعقول أن يكون سبباً لهلاك الظالم ، أو لشفاء المريض ، أو لقضاء حاجة المحتاج ، فإن ذلك خروجاً عن سنة الله . فإن قلت : فما معنى الاستجابة التي وردت في القرآن « وقال ربكم ادعوني أستجب لـكم » قلت : إن الاستجابة تـكون بمعنى أن الله (تعالى) يهيئ أسباب هلاك الظالم ، وشفاء المريض على وجه موافق لسنة الله ، تهيئة غير مسببة عن الدعاء ولا مترتبة عليه ... الخ (ص ٧٦) وأن هذه الآية واردة مورد التمثيل الذي هو كثير في القرآن (ص ٧٧) ويستدل على أنه لا معنى للدعاء بالحديث « إن الله لا يعجل لعجلة أحدكم » فعبارة هذا الحديث (وحديث غيره) تدل بصراحة ووضـوح على أنه لا معنى للدعاء ولا للاستجابة على الوجه الذي يقولونه ويتصورونه (ص ٧٨) . وإنما فائدة الدعاء هي في التسلية لنفس الداعي عمـا أصابه ، والتنفيس لـكربه ... الخ ص ٧٨

٦ — وينزلق الرصافي من هذا إلى ما ينزلق إليه بعض المتصوفة من القول بأن الأدعية (ومنها الصلاة) « هي من الأمور التابعة لظاهر الشريعة ، فهي لعامة الناس دون خاصتهم من العارفين (ص ٨٢ — ٨٣) »

٧ — وهو يؤمن بأن كل ما يقع في الوجود فهو حق ، وأن الباطل هو المحال . وهو في ذلك يأخذ برأي محيي الدين بن عربي ... « كل ما وقع في هذه الـكائنات فهو حق ، إذ لو كان باطلاً لما وقع ، وإذا كان كل ما وقع في هذه الـكائنات حقاً ، تساوت المتضادات بحكم الضرورة ، فالضلال كالهدى ، والعصيان كالطاعة ، والتقوى كالفسق والفجور ، والشر كالخير ، والحسن كالقبيح ... الخ (ص ٢٣) ويؤيد هذا بالآية الـكريمة : « ربنا

ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك ، فقنا عذاب النار »

٨ — وما دامت قد استوت المتضادات فى نظره : « ... فعلى الصوفى أن يأخذ نصيبه من الدنيا كما يشاء ، وأن يقرع جبهته بالكأس الروية من لذاتها بقدر ما يستطيع ! (ص ٨٣) كيف لا ، وهو الذي خلق كل نفس فألهمها فجورها وتقواها ، وهو الذى إلى نجديها من الخير والشر هداها ! (ص ٨٦)

٩ — والتصوف عنده « ليس زهداً وعبادة ، وإنما هو فكرة ونزاهة ، يتساوى فيه الترهب والخلاعة ، ويتلاقى فيه التزمت والدعارة ، لأن الله فى مذهب وحدة الوجود يعرف بكل ما فى الكون ، وأن كل ما فى هذا الكون حق عند أهل وحدة الوجود ، فلا أدل عليه من آثاره ، ولا أهدى إليه من ساطع أنواره ، وليس وضع الرجل جبهته على الأرض ساجداً لله ، بأدل على الله من انكبابه على حليلته (بحروفه من ص ٨٥) . وأكثر من هذا ، إذا رأى الصوفى فى أى نوع من لذات الدنيا وشهواتها ما يفتح له باباً من أبواب المعرفة لم يتأخر أن يطرق بابها ، ويفك عيابها ، ويلبس ثيابها ... كيف لا وقد استوت عنده المتضادات ، واجتمعت الملذات بالمذلات ، وإنما الأعمال بالنيات ؟ ! وكيف يذمون الدنيا وقد أودع الله حبها فى الغرائز ، وساوى فى محبتها بين الشواب والعجائز . (بحروفه وثمة أشد منه ص ٨٤)

١٠ — وهو يكفر بالبعث ، وربما آمن بالتناسخ — أو عودة الكائنات بأمثالها لا بأعيانها — ولكنه مع ذلك يعترف بفائدة الإيمان بالبعث ، وما يتصوره المؤمن من الحساب ، فيمتنع عن الشرور ويقبل على الخيرات . « والذى أراه (فى البعث أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان ، وأن ليس للعقل فيه مجال ، ولا يخفى أن الإيمان بالغيب يتسع لأكبر منه وأبعد ، ولم تقم لنا عليه فى الحجج الدينية حجة أعظم من قياسه على النشأة الأولى ، ولا يخفى أنه قياس مع الفارق بعيد جداً ، لأن النشأة الأولى إنما وقعت على وجه من أسباب النشوء موافق لسنة الله فى خلقه ، وليس كذلك النشأة الأخرى . نعم ! نحن فى عالم الكون والفساد ومن الممكن عقلاً أن تعود الأشياء الفاسدة أو الهالكة فى هذا العالم إلى كونها الاول ، ولكن بأمثالها لا بأعيانها ، فإن عودتها بأعيانها مستحيل ، ومن العبث إقامة الأدلة العقلية على أمور لا تقوم إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا إيماناً بالغيب ، كما جاء فى القرآن « يؤمنون بالغيب » ، فالإيمان بالغيب هو أساس الأديان كلها (!) (ص ٣٦)

« وكما ينكر الرصافى البعث على الصورة التى نؤمن بها ، فكذلك ينكر الثواب والعقاب ، ما دام الله — أو الكون الكلي — هو الآخذ بناصية كل شىء ، وما دام كل ما يقع فى الوجود إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإفلات منها (الجبر المطلق !) وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى للثواب والعقاب ، بل لا معنى ليوم القيامة ! إلا أنه يعترف بفائدة الإيمان بهذا كله كما قدمنا — وهذه مسألة أخرى — ومع أنه يؤمن بالجبر ، يؤمن بأن الإنسان مكلف ! لأنه عاقل « وحيثما كان التكاليف كان الثواب والعقاب ٢٢ ص ٣٩ إلا أنه يجعل الثواب بعد الموت بالاندماج فى الوجود الكلي » ويجعل العقاب بالألم أو الندم الذى يحيق بالمسىء فى الدنيا ، فإذا مات المسىء وتساوى هو والمحسن فى الاندماج بالوجود الكلى ، وهو فى ذلك يؤمن بما وسوس به الجيلانى ... « لأن تساوى الطائع والعاصى عند الله لا يكون إلا بعد الرجوع إلى الله أى بعد الاندماج فى الوجود الكلى المطلق ، فهناك لم يبق للطاعة ولا للعصيان أثر ما !! » ص ٣٢ — ٣٣

وبعد فهذا بعض ما في ذلك الكتاب وموعدنا العدد القادم إن شاء الله

دمينى هشيمة

مستقبل القطن المصرى

للأستاذ زكريا بك حجاج

مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(٣) دفاع عن الأقطان ذات التيلة الطويلة

طول التيلة فى بعض أنواع أقطاننا ميزة متفردة لا يجوز إهمالها — مأساة القطن السكلاريدس وملابساتها وكونها مقصورة على هذا الصنف بالذات وليست تمس كل قطن طويل التيلة — استنباط أقطان جديدة طويلة التيلة — ميزة هذه الأصناف — فلتعمم فى غير خشية زراعة الأقطان طويلة التيلة .

ويشترك القطن المصرى مع أقطان البلاد الأخرى فى بعض الميزات ، ولكن له ميزات خاصة أتاحتها له طبيعة مصر ، فطول التيلة مثلاً فى بعض أنواع أقطاننا ميزة متفردة ، وليس من الحصافة الاقتصادية إهمال هذه الميزة ، ومحاولة منافسة البلاد الأخرى فى إنتاج أقطان قصيرة التيلة ، ولا سيما وأن فى الوسع — بجهود سنشير إليها — توزيع أقطاننا ذات الميزات المفضلة بشروط مناسبة .

نعم لقد اقترن إنتاج السكلاريدس وهو ممتاز بطول تيلته بتضحيات عظيمة ، إذ كان يكلف الفلاح نفقات كبيرة لم يكن يعوّضها السعر ، لأن إنتاج الفدان منه كان ضئيلاً نسبياً ، وتصافى حليجه كان دون المائة

وما منعَ الناس وقتئذ عن ترك زراعته إلا الأمل فى تحسن أسعاره ، وعدم وجود أقطان مماثلة تكون أضمن وأكثر ربحاً

وفى الثلاث أو الأربع السنوات التالية للحرب الماضية مباشرة استطاع الفلاح بفضل اليسر الذى خلّفته سنوات هذه الحرب أن يواجه تلك التضحيات ، ولكن لما عاد النقد إلى قاعدة الذهب لم يجد فائضاً يضحّي به ، فما لبث أن رهن أطيانه

وقد زاد المسألة حرجاً أن غلات الأطيان المرهونة قُدّرت قيمتها على أساس الأسعار فى وقت التضخم النقدى ، ولم تقدر بسعرها العادى . هذا إلى توالى النقص فيما ينتجه الفدان من قطن السكلاريدس نتيجة لانحطاط الفصيلة وللتلقيح الطبيعى والخلط الزراعى وقلة التسميد وضعف العناية بالوسائل الزراعية الصحيحة

وكان طبيعياً ، وقد تدهور سعر السكلاريدس وهو سيد الأقطان المصرية أن تتدهور أسعار الأصناف التى تقل عنه تنفيذاً لقانون النسبية الظاهر الآثار فى كل مناحى الحياة . فهبطت الأسعار جميعها إلى أدنى مستوى Level Price وأتيح لمحترفى المضاربة أن يلعبوا على مسرح الاقتصاد المصرى أدواراً أكسبتهم على حساب المنتج كسباً كبيراً

لذلك ليس غريباً أن تثير الدعوة إلى زراعة الأقطان طويلة التيلة أشد الانزعاج . ولكن المأساة - إذا نفذنا فى حقائق الأمور - مأساة صنف السكلاريدس بالذات وليست مأساة كل قطن طويل التيلة . وليس يصح منطقياً أن يسوء حظ كل الأقطان طويلة التيلة لأن أحدها كان سيء الحظ لظروف خاصة

ساءت أسعار السكلاريدس فى المدة من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٣٢ إلا فترات قصيرة ارتفع فيها السعر نسبياً . وقد اختتمت هذه الفترة بهبوط السعر هبوطاً مزعجاً إذ بلغ فى شهر يونيو سنة ١٩٣٢ تسعة ريالات

لذلك جد المهتمون بالأمر فى استنباط أصناف أخرى يكون لها من وفرة الإنتاج ما يضمن الربح لمنتجها ؛ فاستنبط فى سنة ١٩٣٤ صنفا النهضة والجيزة ٧ ، وكان الأول قصير العمر فمات ، فأما الثانى فما زال يعيش

وتوالى الاجتهاد فيما بين سنة ١٩٣٤ ووقتنا هذا ، فاستنبط الوفير وهو متوسط التيلة ثم الكرنك والملكى اللذان يعدلان السكلاريدس فى طول تيلته ، وأخيراً صنف جيزة ٣٩ أو شربينى

وفى هذه الفترة الأخيرة (من سنة ١٩٣٤ إلى الوقت الحاضر) لم يصب الأقطان طويلة التيلة كساد . بل - على العكس - صادفت هذه الأصناف إقبالاً طيباً جداً من المصانع على الرغم من ظروف الحرب التى حدث من التصدير

وإذا كنا متفقين مع المستر هانكوك خبير القطن بوزارة الزراعة فيما ينادى به من أن الصناعة لا تتطلب طول الشعرة فحسب ، بل هى تتطلب أيضاً متانة الشعرة ودقتها ، فإننا لنغتبط

إذ نؤكد أن الصنفين المصريين المستنبطين أخيراً وهما الملكي والكرنك يجمعان إلى مزية طول التيلة مزيتي المتانة والدقة

إن مناطق زراعة القطن في أمريكا وآسيا وأفريقيا ـ إذا استثنينا بعض جهات أمريكا ـ لا تنتج إلا أقطاناً قصيرة التيلة . ومن المقطوع به أن البيئة الأولى لإنتاج القطن ذي التيلة الطويلة هي أرض الكنانة التي أكرمتها العناية الإلهية بطبيعة جوية معتدلة ويد عاملة رخيصة مجتهدة

فلننعم ـ في غير خشية ـ زراعة الأقطان طويلة التيلة ما دامت توائم طبيعة أرضنا ، ولا سيما وقد استنبطت منها أصناف وفيرة الإنتاج عالية التصافي

على أن الغبن في زراعة القطن السكلاريدس لم يكن مرجعه في الحق إلى نوعه ، ولكن إلى ملابسات بيعه ، فالمنتج كان ينشد الربح ، أو على الأقل الفرار من الخسارة ؛ والمغزل كان يستكثر السعر ، فكان يؤثر الرخيص من الأنواع ولو كان قصير التيلة . ولو استطاعت المصانع شراء السكلاريدس بما يزيد ٢٠٪ على أسعار القطن الأمريكي لفعلت راضية

وقد كان بيع القطن المصري يخضع لعوامل توجدها الآلة البورصية ؛ فهي كانت تسجل بحساسية شديدة كثرة العرض عند بدء الموسم ، ويظل ذلك التسجيل حتى يخرج أغلب المحصول من أيدي المنتجين

هذا إلى الملابسات التي أوضحناها قبلاً ، وإلى عوامل أخرى كانت تتآمر على خفض أسعار ذلك القطن

على أن النسبة الآن بين سعر القطن المصري طويل التيلة وبين سعر القطن الأمريكي ليست عالية . فالقطن « المدلن » الأمريكي يساوي الآن ٢٠ دولاراً ، أي ما يوازي ٦٦٠ قرشاً باعتبار أن الدولار يساوي ٣٣ قرشاً ، فلو أضيف إلى هذا السعر ٢٠٪ منه ، أي ما يعادل ١٣٢ قرشاً ، لكان السعر ثمانية جنيهات مصرية تقريباً ، وهو ما يقرب جداً من سعر القطن الكرنك المصري محلوجاً

هذه هي النسبة ، والظروف ظروف حرب حدّت من تصدير قطننا المصري ودعت إلى عدم التعامل عليه في البورصات . فكيف في الظروف العادية حين ينطلق قطننا من كل قيد ؟

(٤) — وسيلة التبادل

نقد نظام المعدنين النفيسين ـ نظام التبادل التجاري المرجح الأخذ به بعد الحرب ـ اقتراح الأخذ بهذا النظام في مصر

إن عناصر الغنى في أمة من الأمم هي مقدرتها على الإنتاج الزراعي أو الصناعي ، ووفرة اليد العاملة والآلات فيها . وليس النقد في حقيقة أمره إلا أداة للاستبدال ووسيلة المقارنة بين القيم . ولقد ظل الذهب والفضة طويلاً مقياس الغنى في الأمم ، ولكنهما في الحق مقياس أفسده سوء الاستعمال . وما مثل هذين المعدنين في تقدير الثروة العامة للأمم إلا كميزان مختل في حانوت بدال ، لا يلبث أن يؤدي إلى إفلاس صاحبه

إنه ليس من العدل أن ينقسم الأفراد إلى فريقين : أحدهما وهو الفريق الأكبر يقضي حياته في الإنتاج الزراعي أو الصناعي ، ومع ذلك يعاني الكثير من البؤس والبطالة . والثاني وهو فريق الأقلية يتحكم في الفريق الأول ، يعطي ويمنع لأن بيده المال

هذا النظام ينبغي أن يستبدل به نظام آخر يحقق العدالة لأفراد الأمة ، ولا يدع للمال كل ذلك السلطان الضخم ، بل يُنصب الإنتاج نفسه حاكماً اقتصادياً بدلاً من الحاكمين الحبيسين : الذهب والفضة

والظن أن العالم يتجه بالفعل هذا الاتجاه ، وأن نظام التبادل التجاري فيما بعد الحرب سيحمل كثيراً من الدول على التخصص في إصدار سلع معينة مقابل استيراد ما يلزمها من الدول الأخرى على نحو قريب من نظام المقايضة Barter Economy Le troc فليكن القطن طويل التيلة سلعتنا التي نحصل بها على حاجاتنا من الخارج

وبهذه المناسبة نذكر أن عندنا الآن كميات من هذه الأقطان ينبغي ألا يساورنا القلق على تصديرها ، لأنه عندما يستقر السلام سنستطيع أن نجيب بها مطالب البلاد المجاورة التي ستعوزها يقيناً هذه الأصناف

(٥) — نظام تمويل المصارف للقطن

نقد نظام التمويل في مصر ـ إرهاقه للمنتج ـ النظام المنشود

إن نظام أعمال المصارف في مصر ـ فيما يختص بتمويل المنتج الزراعي عامة ، ومنتج القطن بصفة خاصة ـ يخالف نظم المصارف الوطنية في بلدان العالم جميعاً . وكأنما وضع خصيصاً لهذا البلد السيئ الحظ

يقدم الفلاح إلى المصرف إنتاجه القطني فيقدّر المصرف للسلعة ثمناً بخساً ، وبذلك يكون « النطاق » الواجب أداؤه ضئيلاً ، ثم يرفع المصرف سعر الفائدة ، ويقيد المنتج بالتزامات ثقيلة تؤوده وتعجزه عن الوفاء بها ، فلا يلبث المصرف أن يقذف إلى البورصة

النصـــاح والوعاظ
على أبواب الخلفاء
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الحكم فى الإسلام لم يبن على الاستبداد ولم يقم على الانفراد، بل أقيم على الشورى وبنى على الرأى. ولقد قال تعالى لنبيه عليه السلام: « وشاورهم فى الأمر ». وما كان أغنى النبى عن نصح الناصح ومشورة المشير، لمكان فضله، ومقام علمه. ولكن المبادئ الصحيحة لا تحابى مقاماً ولا مكاناً، ولا تعرف عصراً ولا زماناً.

فلقد حدث حماد بن زيد بن هشام عن الحسن قال: « كان النبى يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشىء فيأخذ به »

وكان عمر على شدته ينتفع بأهل الرأى والمشورة ويستمع إلى قولهم، وروى عنه قوله « الرأى الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة خيط مرار لا يكاد ينتقض » وطبيعى أن حكاما ذلك شأنهم فى قبول المشورة وتلقى الرأى كانوا يستمعون إلى الناصح المبتدئ بنصحه، المتفضل برأيه، فيفتحون له قلوبهم وآذانهم، أو يعطونه الأمان أن يقول ما يشاء فى صراحة وحرية. وفى كتب التاريخ والأدب من ذلك طرائف وأشتات

وكان خلفاء الرسول أكثر الناس اهتداء بهديه واقتداء به فلم يصدر عنهم من الأحكام ما فيه مخالفة لسنته وحيدٌ عن طريقته. ولهذا لا تجد على أبوابهم مزدحماً من الناصحين والوعاظ، لأن الوعظ لا يكون إلا عند ما تدعو إليه الحاجة وتشتد الضرورة. وقلّ أن نجد في عصر الخلفاء الراشدين إلا مذكراً يذكر الخليفة فى عبارة موجزة وإشارة قصيرة. كما حدث لعمر ابن الخطاب فقد دخل عليه سعيد بن عامر وقال: « إنى موصيك بكلمة من جوامع الإسلام ومعالمه. قل: أجل. قال: اخش الله فى الناس ولا تخش الناس فى الله، ولا يخالف قولك فعلك. فإن خير القول ما صدقه الفعل. وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك. وخض الغماية بالحق حيث علمته، ولا تخف فى الله لومة لائم »

ولقد كان عمر يصغى إلى نصح الناصح، ولقد يبلغ به التأثر حتى يبكى فتخضل لحيته كما صنع مع خولة بنت حكيم

عشرات الألوف من قناطير القطن دفعة واحدة فيهبط السعر بطبيعة الحال، وكأن المصرف بما فعل قد مهد للأقطان الأجنبية والصناعة القطنية الأجنبية منافسة أقطاننا وصناعتنا

ولسنا نرى فى ذلك غرابة، فالمصارف الأجنبية التى لدينا إنما تمثل وترعى المصالح الاقتصادية والصناعية لبلادها وحملة أسهمها

لا جرم إذن أن هذا النظام المصرفى هو من عوامل اختلال اقتصادياتنا وانحطاط مستوى معيشة المنتج المصرى. ولقد عاش هذا النظام طويلاً دون أن ننتبه لمساوئه. فلنعمل جاهدين على درء هذه المساوئ كلها أو بعضها، وليكن ذلك عاجلاً بقدر المستطاع

إن النظام المصرفى الذى ننشده فى مصر يجب أن يكون نظاماً يشجع الإنتاج ويحميه من الكساد المصطنع ويحافظ على الثروة الوطنية، ويدفع عنها كيد المتلاعبين، ويكون منطوياً على روح مصرية صميمة تعنى بالصالح المصرى أولاً وأخيراً

(٦) **الحوج إلى نهوض بيوت مصرية بتصدير القطن المصرى**

وكذلك يجب أن تكون الروح فى تصرفات بيوت تصدير القطن مصرية، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت وطنية. ولئن قيل إن بيوت التصدير الأجنبية لها من خبرتها الطويلة بحاجات المغازل ما لم يتح لبيوت مصرية، فإن هذه الخبرة لن تكون كل شىء فى تصريف إنتاجنا حين تضع الحكومة — طبقاً لاقتراحنا — نماذج للقطن المصرى كله

والواقع أنه ليس فى التجارة أو الصناعة سر يستغلق على المنصر المصرى، وكل ما يستلزمه نهوض المصريين بتصدير أقطانهم هو مزيد من النشاط والمثابرة والجد وممارسة عملية تبصرهم بما خفى عليهم طويلاً. إن المصريين حين يقومون هم أنفسهم بتصدير أقطانهم قد يواجهون مصاعب جساماً، ولكن لنتخذ من هذه المصاعب دروساً نافعة، وكل صعب يهون فى سبيل أمنية عزيزة كتمصير بيوت التصدير ذلك التمصير الذى يساعد على إتمام استقلالنا فى ناحية اقتصادية لها أهميتها

زكريا مهران
مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

أما فى العصر الأموى فنجد الخلافة قد انقلبت مُلكاً . ونجد الخلفاء قد صدر عنهم من الأعمال ما يعدُّه المؤمنون بعداً عن السنة ، وتجافياً عن المعالم . وهنا يكثر الوعظ ويفشو النصح بأبواب الخلفاء . ونجد جماعة من هؤلاء النصاح يقفون على أبواب الخلفاء لا يبغون جزاء . ولكن يطلبون رضى الله ولو أسخط المنصوح . ولا يبالون بكلمة الحق يعلنونها صريحة فى وجوه الحكام علَّ قلوبهم تلين وتخضع

فلقد ذكر ابن طلحة فى « عقده الفريد » حادث وفود أبى بكرة على معاوية ناصحاً مذكراً فى كلمات بليغة وعبارات فصيحة ، ومعاوية يستمع إلى الرجل فى حسن إقبال ، والرجل يذكره بالدنيا الفانية والمتاع القليل والدار الباقية . ويقول فى نص عبارته : « اعلم أنك فى كل يوم يمضى عنك وفى كل ليلة تأتى عليك ، لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ، ومن الآخرة إلا قرباً . وعلى أثرك طالب لا تفوته ، وقد نصب لك حد لا تجوزه . فما أسرع ما تبلغ الحد ، أوما أوشك ما يلحقك الطالب . وأنا وأنت وما نحن فيه كانا زائل ، وسنصير إلى ما هو باق فى الآخرة »

وما أكثر ما وقف النصاح بباب سليمان بن عبد الملك . وكان هو نفسه يسأل عنهم ويطلبهم إلى مجلسه ويبدؤهم بالسؤال ، ويفسح لهم المجال ، فلا يقف بينه وبينهم حراس ، ولا يذودهم عنه حُجّاب . حدَّثوا أنه حج ، ولما أتم المناسك دخل المدينة وسأل عن جماعة ممن أدركوا أصحاب رسول الله . فأتوا له بأبى حازم التابعى . فقال له الخليفة يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ... وما زال الرجل يصف هول الحشر حتى بكى الخليفة . وسأل واعظه قائلاً : كيف السبيل إلى صلاح الأعمال : قال : تقسمون بالسوية ، وتعدلون فى القضية ، وتراعون أمر الرعية

ولما طلب الخليفة منه أن يذكر حاجته ، طلب الناصح منه أن يزحزحه عن النار ويدخله الجنة ... ! وهو طلب ليس فى يد الخليفة تحقيقه . فاعترف بعجزه ... !

ولقد روى المدائنى أن رجلاً من عبد القيس بن قصى دخل على سليمان بن عبد الملك طالباً الكلام . فأذن له ، فقام وهدد الخليفة بالغلظة فى كلامه ، ورجا منه أن يحتمله على كره ، فإن وراءه للخليفة نفعاً وللأمة خيراً . فأذن له بالاستمرار . فأخذ يطلق لسانه فى الخليفة بما خرست عنه الألسن قبله ، وأخذ يلوم الخليفة على سوء اختياره لبطانته ، فهم حرب للآخرة ، سلم للدنيا ، وهم لن يألوا الأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً . وأخذ يحمِّل الخليفة مسئولية ما اجترحوا من سيئات ويذكره بخسارة الصفقة وفساد التجارة لمن يريد إصلاح دنياه بفساد آخرته

ومن عجب أن رواة هذه الأخبار لم يصلوا بنا إلى نهاياتها ... بل كثيراً ما كانوا يضيعون الواعظ فى الزحام ... فلا يوقف له على أثر . . . كما حدث مع واعظ الخليفة المنصور الذى لقيه ليلاً فى الطريق فدعاه إلى المسجد فأخذ الرجل يعظه بكلام شديد وحديث طويل وبعد الصلاة طلب الرجل فلم يوجد ... !

وأكثر ما تكون الحاجة إلى النصح حين تسوء الأفعال ويكثر الانحراف من الحكام . ولكننا نلاحظ فى كتب الأدب والتاريخ أن الوعاظ لا يزدحمون إلا على أبواب الصالحين من الخلفاء ... وعلة ذلك أن الحاكم الصالح أكثر قبولاً للنصح واستماعاً للوعظ من غيره . فالطريق إليه ميسر ، والباب إليه مفتوح ، والعاقبة مأمونة ، والمغبة محمودة . لأنه لا يثور ولا يسخط ولا يغضب حتى ولو أغلظ الناصح فى نصحه

وهكذا ليس من الغريب أن نجد جماعة من الوعاظ يزدحمون على باب عمر بن عبد العزيز ، ويجدون فى ظلاله أمناً . فهو يفرح بهم ويهش لهم ويتلقى الكتب منهم ويحتفظ بها ويشير إليها فى مجالسه . فقد كتب إلى طاووس الواعظ كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه . فكتب إليه طاووس : « سلام عليك يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى أنزل كتاباً ؛ وأحل فيه حلالا ، وحرم حراما ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه متشابهاً ، فأحلْ يا أمير المؤمنين حلاله ، وحرِّمْ حرامه . وتفكر فى أمثال الله تعالى واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه ، واعتبر بأمثاله والسلام عليك » . وطريقة طاووس فى هذا الكتاب هى طريقة الفقيه لا الواعظ . وإن كانت تؤثر عنه مواقف ومقامات لم يخش فيها حاكماً ولا سلطاناً . وكثيراً ما حاول الأمراء تقريبه إليهم فكان يعرض عنهم ولا يزداد إلا جرأة فى النقد وصراحة فى القول ...

ومواعظ طاووس تجدها في شكل كتب ورسائل يرسلها ولا يلقيها أمام الموعوظ ، لأنه كان من أبعد الناس عن مصاحبة الملوك والقرب منهم ، وكان واحداً من ثلاثة رجال اجتنبوا السلطان ولم يتصلوا به ، والإثنان الآخران هما أبو ذر الغفارى وسفيان الثورى

وكثيراً ما وقف محمد بن كعب القرظى بين يدى عمر ابن عبد العزيز ينصحه ويعظه ، وقد يشتد في النصح وعمر لا يضيق صدره ولا يخرج عن حلمه ويقول الواعظ : « إن الدنيا سوق من الأسواق ، فنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم » فيطرب عمر لهذا الكلام

ويقول الواعظ : — يا أمير المؤمنين ! افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم . فيطرب عمر لهذا الكلام ولسان حاله يقول : — اللهم إنى ما أغلقت دون أحد من المسلمين باباً ، ولا ألقيت بينى وبينهم حجاباً ، ولا رأيت مظلوماً إلا أخذت له الحق من ظالمه ...

ودخل عليه زياد العبد مولى ابن عباس . فقال : — يا أمير المؤمنين : أخبرنى عن رجل له خصم ألد كيف حاله ؟ قال سيء الحال . قال فإن كانا خصمين ألدين ؟ قال ذلك أسوأ الحالة . قال فإن كانوا ثلاثة ؟ قال لا يهنيه عيش ! قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك عند الله تعالى ! مطالبك إن قصرت في حقه . فبكى عمر حتى رق له الحاضرون .

ومن خلفاء بنى أمية الذين استمعوا إلى نصح الناصحين هشام بن عبد الملك . وكان على شحه حليماً واسع الصدر . فقد حدثوا أن خالد بن صفوان المشهور بابن الأهتم دخل عليه فحدثه عن ملوك الأعاجم وزوال ملكهم بعد تمكن الأمر لهم ، فبكى هشام ، وأجزل العطاء للناصح على ما كان من بخله وحرصه

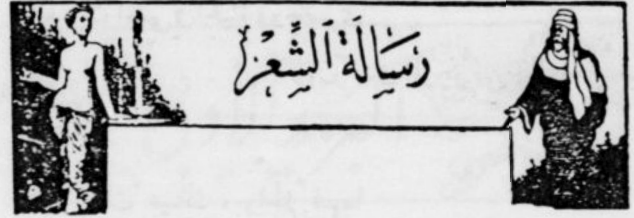
* * *

وفى أول العصر العباسى بقيت بقية من هؤلاء الوعاظ ، وقد وجدوا بباب المنصور منفسحاً . ولهذا نجد في كتب الأدب طائفة من أخبارهم معه . وكان الرجل منهم يشتد في الكلام ويقسو على الخليفة ويعنف على البطانة ، ويصف الأدواء في صراحة . حتى لقد بلغ من بعضهم أن قال له : « هل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح » . وهذه الموعظة طويلة . ولعلها أطول ما روى عن الوعاظ والنصاح ، ولا يدانيها في طولها إلا نصيحة الأوزاعى للمنصور أيضاً ، ولكن الأخير كان أخف نقداً وألطف مدخلاً من الأول الذى أوردنا جملة من مواعظه ولم نعرف اسمه ، لأن المصادر التى رجعت إليها لم تذكر اسمه ، بل جملته رجلاً عابراً ! يظهر في المسجد ويصلى مع المنصور ، ثم يطلب فلا يوجد

ويلاحظ أن الوعاظ من أهل العلم والفقه لا يغالطون في النصح كما يفعل أهل الزهادة والتقشف ، فطاووس الفقيه أميل إلى الفقه والأحكام منه إلى التعنيف والإيلام ، وكذلك الأوزاعى إمام الشام

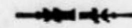
وما أكثر حاجة عصرنا هذا إلى رجال من طراز هؤلاء النصاح الشجعان الذين لا يعجبهم فساد الزمان ولا يرضيهم إلا رضى الديان

محمد عبد الغنى حسن



وحى لقـــاء

للأستاذ سيد قطب



هـــذا اللقاء كأنه ذكرى   مكنونة في عالَمِ النفس
وكأنه وهمٌ أجسِّـــمه   لا حادثٌ فى عالَم الحسِّ

***

هذا اللقاء الخاطف ُالواجفْ   وتلفُّتُ الأنظار فى حذر
كتِمالةِ الأحلام ، كالذكرى   فى رِعشةِ اللفتات والصور

***

أختاه . واعجبًا لنا ! عدنا   فى هـــذه الدنيا غريبين
عدنا إذا ما خلسةٌ سنحت   نمضى على حذر كلصـين !

***

ألقاكِ مثل الطيفِ عابرةً   وكأنْ ما قد كان ما كانا
وكأنما الأيامُ ما شعرتْ   أنَّا عمَرْنا قطُّ دُنيانا !

***

وتفكرين كأنما افترقتْ   من مَطْلع الدنيا طريقانا
وتذكّرين كأنما اجتمعتْ   فى خاطرِ الأيام ذِكرانا !

***

ما أنتِ ؟ إنى لم أجدْ أبدًا   أنى كشَفتُكِ قطْ فى النور
ما أنتِ إلا فكرةٌ شردت   ما أنتِ إلا طيفُ مذعورِ !

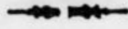
***

وشقيَّةُ الخطوات عابرةٌ   فى حينما اتجهتْ للمولِ
وكأنما تمضى مُروَّعةً   وضميرُها يُفضى لمجهول !

أيهـــا الحب !

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

[ننشر هنا الجزء الأول من ملحمة كبرى عنوانها « الحب » تقع فى عشرة أجزاء]



أيها الحب الذى يُظمئُنى   لمزيد ، كلما جرَّعنى !
اسقنى خمــرك حتى أنتهى   أنتَ يا منْ للردى يُسلمنى
اسقنى : فالموتُ عندى غايةٌ   لكَ عُليا نحو من أوجدنى
وأزِلْ للدود جسمى ثم طرْ   بحياتى ... حُرَّةً عن بدنى

***

أيها الحب الذى أخضعنى   لقواه وهو يغـــزو مهجتى
تلك نيرانُكَ ... ما أعذبها   حينما تحـــرق منى قوّتى
جاذبٌ أنت فؤادى مرةً !   دافعٌ أخرى ، لتُدنى لهفتى
وأنا نهْبٌ لـما يا حُبُّ قد   شِئته من رحمة أو قسوةِ

***

أيها الحبُّ تسامَى وانحدَرْ   جنة كنت لدينا أم سَقَرْ
أنت رىٌّ خالدٌ ما ذاقـــه   أحد إلا سما فوق الفِكَرْ
عانقت روحى روحاً فيك ، ما   حلمَتْ إلا بها أنقى الصُّور
فاستبح ما شئت قلبى ودمى   أنا حى بك من دون البشر

***

إن تكن قيداً ، فما أكرمه !   فهو لى طـــوق إلى حريتى
فنيتْ ذاتىَ فى شرعك – إذ   عشقتْ – لكن لتحيى يقظتى
وتُريـــنى فِتناً أبصرُها   خلَلَ الإغراق فى محبوبتى
وتُريني صوراً فى الغيب ما   نصعت إلا لتسبى مهجتى

***

أيها الحبُّ لك التقديسُ يا   صفةَ الربِّ ويا سرَّ الحياهْ
إن لمست الصخر لما ينتفضْ   كائناً يسمو مُدِلاًّ بقـــواه
يجنح النفسُ إلى ظِـلك فى   لهفة الناسك تدعوه الصلاه
وتفنى الروحُ من أحلامها   لكَ لحناً هو زُلفى للالـه

***

أنتَ في كل شروق وغروب   تمزج الظلمة بالنور الحبيب !
أنتَ تنسابُ مع الماء إلى   برعم الزهرة في الوادي الخصيب
ثم في الزهرة لمَّا ترتجى   بلبلاً يطربها حتى تغيب
ثم في الموت ، وفي البعث : مُمَنِّى   تنشأ الأنفسُ منها والقلوبْ

***

أيها الحبُّ الذي قامتْ على   أصله الدنيا ودارَ الفلكُ
وارتمى النور على أقدامه   وجثا بين يديه الملَكُ
أنتَ في الريح إلى الغاب إذا   أخذت أغصانها تشتبك
ولقد عشنا بمعناك ، وفي   دينك الحقِّ الأنامُ اشتركوا

***

معبدٌ أنتَ لأبناء الحياه   تسجد الألباب فيه والجباه
قد سرى فيه بخورٌ عابقٌ   باحتراق في الحنايا والشفاه
يغنم الراكع في ساحته   نعمةَ الإيمان تستهوى دماه
معبدٌ أنتَ ولا يجْحَدُه   غير كفَّار بأشواق الحياه

اللقاء الأول

للأستاذ أحمد مخيمر

ولما تلاقينا لأولِ مرة
ورف فمى الصادى على فمك العذبِ
وجدت لينبوع الحياة تدفقاً
بنفسى ، وموسيقى تغلغل فى قلبى
وأحسست أنى من جديد على الذرا
أُطلُّ إلى الأجيالِ ، والزمن الرحبِ
هنالك حيث النورُ طلقٌ مجدَّد
سمعتُ أغاريد السمٰواتِ والغيبِ
يغنى [illegible] من [illegible]
فناهيكِ من شدوٍ وناهيكِ من سرب

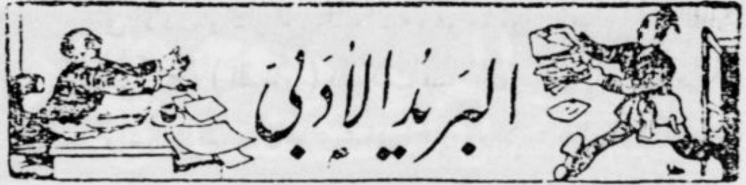
وأبصرتُ أمسى فى الحياة ، وحاضرى
وبانَ غدى المرجوُّ من خلل الحجْبِ

***

وحينَ رنتْ عيناكِ ، والحلمُ فيهما
وظلُّ الكرى ملْقًى على طرف الهدبِ
ذهبتِ بأحلامى إلى مَشرَع المنى
ورُحتِ بأشواقى إلى منهل الحبِّ
وأدنيتِنى للخلدِ حيناً ، فلم تزلْ
تطالعهُ عينا فؤادى على قُربِ

***

ولما وقفنا للوَدَاع ، وأوشكتْ
تفيضُ بناتُ العين غرباً إلى غربِ
وهبَّتْ نُسيماتُ الأصيلِ رقيقةً
أرقَّ من النجوى وأحلى من العتبِ
يَهجنَ دواعى الشوق بين جوانحى
فيلمعنَ فى أغوارها لُمعةَ الشُّهبِ
أهبتُ بقلبي : قد خُدعتَ بما ترى
من الثمر المنضودِ والغُصُن الرَّطْب
أغرَّكَ أن الوِرْدَ دانٍ ، وأنها
قريبٌ ، وأنَّ النورفى وجهها يَسْبى!
لعلك لو فتشت عنها وجدتَها
أحابيلَ للدنيا تظلُّ بها تُصْبى
غداة غدٍ أخشى إذا ما تكشَّفتْ
تُقلِّبُكَ الآلام جنباً إلى جَنْبِ
فقال فُؤادى : كلُّ حبٍ لقيتُه
فزادٌ بيمين السالكين على الدَّرْبِ
إذا ما بدَا الحبُّ الكبيرُ لناظرى
نفضتُ يدى مما عرفت من الحبِّ
[illegible]
فما لكَ من عَتْبٍ ، وما لى ذنبِ



فى اللغة

جاء فى كلمتى فى (٥٧٠) من الرسالة ما يأتى : « ولا غرو أن تنبو العقول عن مثل هـذا التخليط والعبث » ، وكانت العبارة فى الأصل الذى أنفذته إلى الرسالة هكذا : « ولا غرو من أن تنبو .... »

ويظهر أن المصحح ظن أن « من » من الخطأ ، أو من سبق القلم ، لحذفها

ولـكن إثبات « من » صحيح كحذفها ، فنى « الأساس » (لا غرو من كذا : أى لا عجب) (ا . ع)

تعليقات قرشية مكية

(١)

تثور اليوم على صفحات الرسالة الغراء وفى « بريدها الأدبى » الشائق معركة نقدية هائلة إخالها لا تزال بعد فى مرحلتها الأولى .

أما الحملة فثيرها الأستاذ الـكبير « ا . ع » ولقد كان فى رأيى — محقاً فيها — وموفقاً إلى حد كبير ؛ فآفة الشعر العربى — فى النظرة الصحيحة العادلة — هاته البهرات والقشور يزوقها ويبهرجها من لا يستطيع أن يحمل من روحانية الشعر العربى وموسيقاه الرفيعة معرضاً للسخرية الأدبية والزراية الصاخبة فى شكول هي غاية فى بلادة التذوق وتحجر الإحساس.

ولـكن الأستاذ الـكبير (ا . ع) رأى أن يجعل من هذا العراك — حداً فاصلاً ، وكأنه لم يقتنع بنجاح عمليته فى دورها الخطير — فانبرى للشعراء الشباب عامة بالتهـكم العارم والنقد اللاذع ، وكنا نود لو ترفق الأستاذ رعاية لعهد الشعر فى ذاته ! فلا مكابرة فى أن الشعر العربى اليوم هو فى أزهر عصوره الذهبية وأزهاها — إذا استثنينا بعض المشاركات المتشاعرة فيه . وحسبنا تدليلاً على هذا ما تزخر به دواوين الشعر الحديث وسجلاته . ومالى لا أحيل القارىء الـكريم على « مجموعات الرسالة المالية » ، وما حوته من جيد الشعر وروائعه فى جميع سنيها الخالدة .

على أننا — ونحن بصدد الحديث عن هذه المعركة الجديدة — نجد لزاماً علينا التنويه بفضل الأستاذ الـكبير « ا . ع » الذى تكرم فأثار هذا الجدل ، كما أن من فروض الشكر تقدير مجهود النقاد الرشيق الأستاذ « دريني خشبة » والشاعر المفضال الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » على نبله وقصده ، أما الأستاذان « سيد قطب وحبيب الزحلاوى » فمن حق القارىء أن يوجه إليهما عتباً لطيفاً على هذا التجنى الذى لا يحسن أن يبدر من مثليهما !

(٢)

لم يقتصر الأستاذ الجليل العقاد على عبقرياته الرفيعة الأربع فراح يجلو للعالم من حيوات أبطال الإسـلام وساداته وعالماته صحائف وضاءة تتجلى بين سطورها ذكريات طيبة حبيبة ؛ فثمة « الصديقة بنت الصديق » وثمّ « عمرو بن العاص » وسيصدر له، إن لم يكن صدر أخيراً ولم يردنا بعد ، الـكتاب الشائق « عبقرية خالد بن الوليد » ، كما التفت ذهن العقاد الشاعر إلى شعر العرب الفنى وتراثهم فانبرى يبسط لنا من هيولاه ما يسر ويبهر عن مذهبى الشاعرين الغزليين العظيمين « عمر بن أبى ربيعة » و « جميل بثينه » ومسلـكيهما فتكشفت لهما — بفضله — مدرستان عتيدتان الصبغة هما ذخر الباحث وعدة الأديب

أما مجموعة العقاد الأخيرة « عرائس وشياطين » التى انتخب فيها نتفاً وطرفاً من مذخور الأدب ما بين عربية وشرقية وغربية والتى يترجمها فى مقدمته : « مجموعة وحى العرائس ذوات الشياطين أو من وحى الشياطين ذوى العرائس تلقيناها من هؤلاء وهؤلاء وجمعناها هدية للقراء » فأقرب وصف لها — عندنا — يزاوج بين وضعها وحقيقتها أن نقول إنها حديقة فيحاء ذات أفنان مزهوة ملوّنة فى خمائل شهدية الجنى عطرية الشذى منغومة الصدى تتخطر فيها عرائس « هنريك هينى » و « شارل ماكي » و « توماس هاردى » معتنقات مع شياطين « ابن المعتز » و « ابن مهل » و « الشريف الرضى » ، وغير أولئك وهؤلاء من الأرواح المرحة المجنحة التى أباحها العقـاد ورضى لها أن تهامس وتتلاقى وتتخالس فى حديقته الناضرة المريعة « عرائس وشياطين »

(٣)

وها هو الزمن يسعف ويفي فنقرأ للزيات الحكيم الشاعر، قطعة عتيدة عن المعرى الحكيم الشاعر! قطعة رائعة تزخر بالمعاني الخوالد، وتفيض بالألفاظ البارعة، في بيان مشرق زاهر، وإحساس دقيق مرهف، هو بيان الزيات.

لقد أعدت قراءة المقال[1] مرات ومرات، فكان يتجلى لناظرى ونفسى أننى أطالع مجلداً ضخماً عن الشاعر الخالد، لا مقالاً موجزاً فيه الفكرة العابرة والنظرة السريعة

الواقع أننى لا أدرى - والله - بماذا أصف هذه الفقرات البليغة النابضة: « ... كان فى ظلام الرحم، وولد فى ظلام المشيمة، ثم عاش فى ظلام البصر، وانتهى إلى ظلام القبر. ومن هذا الظلام المتصل نسج القدر حياة أبى العلاء، وأنشأ عواطفه وسوّد فلسفته، وأبهم عقيدته، وأوحش نفسه! ومن هذا الظلام أيضاً تفجر النور كله على قلبه وعقله؛ فكان آية من آيات ربه الكبرى فى ذكاء الفهم ولطافة الحس، وقوة الحفظ ودقة التخيل » ...

« صاحب أبو العلاء الزمان ولابس الناس وراود السعادة حتى استحار شبابه، فلم تزده الأيام إلا يقيناً بعجزه الطبيعى عن مجاراة الأنداد فى سباق الحياة، وعن مرضاة النفس بلذات العيش، وعن منازلة الخصوم بسلاح الإفك، فانقلب إلى داره نافضاً كفيه من دهر لا رجية له فيه، وعالم لا صديق له به، ونعيم لا نصيب له منه! »

« كان أبو العلاء فى شبيبته نسيم زحمة، ثم صار فى كهولته عاصفة دمار! ولعله لو كان بصيراً متفائلاً كالجاحظ، أو ضريراً شهوان كبشار، لتبدل حكمه على الدنيا وتغير رأيه فى الناس! »

أأصف هذا بسحر التعبير، وبنصاعة التدليل، وبدقة الملاحظة، أم أصفه ببراعة المنطق، وعمق التحليل، وبهر الإحاطة، أم أنعته بتلون - الاتساق، وإشعاعات العبقرية ومقدرة الفنان؟!

(مكة المكرمة) **حسن عبد الله القرشى**

الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

فى الأسبوع الماضى انتقل إلى جوار الله شيخ من شيوخ الأدب، وعلم من أعلام الصحافة، هو الأستاذ « عبد الرحمن البرقوقى » منشئ مجلة (البيان)، وصاحب المؤلفات القيمة فى الأدب والتاريخ. فجأته المنية وهو مشغول بإعداد الجزء الثالث من كتابه (الذخائر) فأسكتت قلباً كان ينبض بأنواع المعرفة، وأسكنت قلماً كان يجرى بمعانى الجمال. والأستاذ البرقوقى كان ثمرة مباركة من ثمار الشيخ محمد عبده، تأثر به فى الناحية الأدبية، فكتب فى علوم البلاغة، وشرح بعض كتب الأدب. وكان من خير أعماله إصداره مجلة (البيان) فى عهد لم يكن للأدب فيه نفاق، فلاقى فى سبيل ذلك ما يلاقى المجاهدون الأولون من الجهد والمشقة فى تذليل مصاعب الطريق، وارتياد مجاهل الأرض. جزاه الله على اجتهاده وجهاده خير الجزاء، وعوض أمته وأسرته من فقده خير العوض

إلى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يسرنى أن أبدى على صفحات الرسالة إعجابى بما تكتبون، وتقديرى لما تحققون، ولا ينقص من قدر ذلك الإعجاب، أو يغض من قيمة هذا التقدير، أن يقع فى تعقيبكم على كتاب « الوعى القومى » مما يقتضى التعقيب فى زعمى

لقد ذكرتم أن الواو بعد النفى والاستثناء فى قول المؤلف « وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة إلا ويشعر » لا لزوم لها والفصيح تركها

فهل تقصدون إلى تلك القاعدة التى تقول: « إن الجملة الماضوية الواقعة حالاً بعد إلا يتعين ربطها بالضمير ويمتنع ربطها بالواو »، كما فى قوله تعالى: « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون »؟

أعتقد أنكم لا تقصدون إلى ذلك ولا تريدونه؛ لأن الجملة فى عبارة المؤلف مضارعية مثبتة لا ماضوية

لم يبق إلا أنكم قد عمدتم إلى التنبيه على ما فى عبارة المؤلف من الخروج على القاعدة التى تضمنها بيتا ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت   حوت ضميراً ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا   له المضارع اجعلن مسندا

ولكنى ألاحظ أنكم قصرتم القاعدة على جملة الحال المضارعية المثبتة الواقعة بعد النفى والاستثناء، مع أنها عامة تنتظم ما وقع بعدهما وما لم يقع، فأنى لحضرة الأستاذ هذا التخصيص؟

أحمد مصطفى طاهونه

(١) العدد (٥٦٠) من الرسالة



الشيرازي يغني

سمعنا قبل ثلاث عشرة سنة على شبابة الدكتور عبد الوهاب عزام تناغيم فارس، فلقد غنى هذا الأديب الكبير أناشيد الفردوسي بلغة الضاد ونشر (الشاهنامة) عن المخطوطات التي سلك الأسفار للتنقيب فيها والحصول عليها. فأتم الترجمة النثرية التي أثرت عن (قوام الدين البنداري). ولست بسبيل الفردوسي والدكتور عزام فلهما فينة إطراب وإعجاب سيأتي بها الكتاب، وإنما هذه استهلالة يمر عليها القلم تلقاء كتاب جديد لشاعر فارس أخرجه للناس الدكتور ابراهيم أمين الشواربي المدرس بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، وإنه لترجمة غزل لحافظ الشيرازي كتب مقدمته الدكتور طه حسين بك، فأوفى على الغاية من تحليل أدب الشيرازي كدأبه في مقدماته للكتب القيمة التي يحملها بيده إلى الجمهور لتحل بينه في المقام الكريم. وكتب الأستاذ الفاضل مترجم (أغاني شيراز) توطئة لسيرة الشاعر الفارسي وضح فيها نهج غزله، وفتح الطريق سالكة أمام القارئين، وحقق بعد ذلك في كل منسوخة أثرت لديوان الشاعر على الطريقة الجامعية في تحرى المصادر وتنقية الأقوال من تصحيف الناسخين وتحريف الطابعين؛ ثم اندفع في ترجمة عربية نقية يخيل إلى قارئها أنه يرف بروحه على الأبيات لا تعتوره عقبة ولا تصدمه عقدة. إنها مقطوعات اختار لها المترجم بحوراً مزدوجة من كل جانب، ولقد كان منه هذا الازدواج أغنى للكلام في بيت وأوفر للسياق في شطر.

يا لها غزليات منسوجة بالصوفية كما زعم بعض النقاد، معطرة بالخمرة كما قال الشراب. وقد حار الناس في شعراء الخمر الفارسيين، إذ عرفوا عمر الخيام يسكب على نفسه الخمرة حياً وميتاً، ويشرب الصهباء بكأس من التراب ربما كانت جوانبها من فم امرأة ويدها يد إنسان، فقالوا: صوفي يشطح الشطحات. ولم يفيد الشيرازي قراءه ففتح لهم باب معانيه على مصراعيه، فمن كان منهم صوفي النزعة فهمها على هواه، ومن كان غير ذلك فهم المعنى دون لباس التصوف، وكيفما دار الأمر فإن أشعار الشيرازي خلقت للناي والمزمار، سواء أديرت بها الأذكار، أم لثمت بها الأقمار.

إنها لتحفة جديدة في الأدب العربي المعاصر ضمها كتاب قيم زين بصور فنية أبدعت بعضها ريشة المثال الموهوب الأستاذ محمد بديع

(القاهرة) زكي المحاسني

١ — الوميض

عدلت الكاتبة الفلسطينية المهذبة هدية عبد الهادي في قضية الرجل والمرأة عدلاً تاماً في هذا الكتاب الجميل الذي أذاعت معظم أحاديثه من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية. ولقد قرأنا الكتاب كله فحمدنا للكاتبة الفاضلة حسن إشاراتها إلى المرأة العربية عامة، والمرأة المصرية بوجه خاص، كما بهرنا الحديثان القيمان عن باحثة البادية وقاسم أمين ... إن كتاب الوميض، صيحة حق تجهر بها سيدة مسلمة تعترف في صراحة بما للمرأة وبما للرجل من حقوق وواجبات، ونحن يسرنا أن يذيع هذا الكتاب في مصر خاصة ليتم التجاوب المنشود بين الأوساط النسائية في العالم العربي العزيز. وبالكتاب محاولات قصصية بارعة نرجو أن تصلها المؤلفة الأديبة حتى تتم منها مجموعة مستقلة لتساهم في قضية تجديد الأدب العربي على خير وجه. وإن كان لنا أن نلاحظ شيئاً على أسلوب الكتاب فرجاؤنا أن تضاعف الكاتبة عنايتها باستدراك الهفوات القليلة التي لا تنقص من قيمة جهدها المشكور شيئاً

٢ — من النقد الفرنسي

أحسن الأستاذ روحي فيصل كل الإحسان في جمع بحوثه الجليلة هذه التي لخصها عن ثلاثة من أئمة الأدباء والمفكرين الفرنسيين، ونشرها في ذلك الكتيب الصغير بحجمه الجم الفائدة بموضوعه ... إنها دروس حميدة في النقد، عالجت الشعر، والحاجة إلى الشعر «لبول فاليري» والعاطفة في الأدب، والبيان «لغوستاف لانسون» والحياة والشعر «لآبل بونار»، وقد

وفق الأستاذ روحي كل التوفيق في تلخيصه هذه البحوث الجيدة التي أكسبها أسلوبه الطريف طلاوة وحلاوة . والكتيب هو الحلقة الثانية من سلسلة « اليقظة » السورية التي تنسج على منوال « اقرأ » المصرية ، والتي نتمنى لها الرواج الذي تستحقه

٣ – عرفت ثلاثة آلاف مجنون

هذا كتاب مؤلم في حياة المجانين وأحوالهم ، ألفه الدكتور آر . سمول ، وعربه الدكتور فائق شاكر ، والأديب حافظ جميل « مطبعة التفيض — بغداد » وهو يحوي ثمانية عشر فصلاً في أخبار المجانين وأسباب الجنون ، وطرق ترويضهم ونوادرهم الشجية ، في قصص شائق وتحليل سيكولوجي فريد . والكتاب لا يستغني عنه الطبيب ولا المربي ولا المراهق ولا كاتب القصص ولا المشتغل بالتحليل النفسي . ولا عيب في الكتاب إلا فوضى الأخطاء المطبعية التي يجب تداركها في الطبعة الثانية

٤ – رسالة الغفران بالإنجليزية

لا ندري لماذا آثر الأستاذ ج . براكنبري أن يقدم رسالة الغفران لبني وطنه — أو بني لغته — الإنجليز على هذا النحو الذي لم يألفوه في أدبهم ... لقد كنا نفضل أن ينقل خلاصة لها طويلة على نسق الخلاصة التي كتبها المرحوم الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي مثلاً ، والموجودة في بعض أجزاء النظرات . لأن المقصود من نقل الروائع الأدبية هو إعطاء صورة من روحها وموضوعها ، لا من شكلها ، ولا سيما إن تعرضت تلك الروائع المشكلات اللغوية ومعضلات النحو والصرف ، مما لا يهم إلا أصحاب اللغة نفسها . وما دام الأستاذ المترجم قد نقل الرسالة عن النسخة المحررة التي وضعها الأستاذ كامل كيلاني ، فلم تكن مندوحة عن اتباع طريقة الأستاذ المنفلوطي ، ولكن على صورة أوسع ، ولم تكن ثمة ضرورة في ترجمة الأشعار العربية تدعو إلى الارتباط باللفظ ، بل كان يكفي أن يعطي المترجم صورة متماسكة من روح البيت أو القصيدة ، مع تقريب المعاني إلى الذوق الإنجليزي بما يناسب طبيعة هذا الذوق نفسه ، وهذا ما نفضله نحن في ترجمة الشعر الأجنبي إلى اللغة العربية . وما دام الكتاب مقصوداً به أن يقدم للقراء الإنجليز ، فلم يكن ثمة داع إلى إثبات هذا القدر الكبير من الشعر العربي – باللغة العربية – في صلب الرسالة . إلا إن كان غرض المترجم هو إضفاء ثوب علمي على عمله . أو أن ينتفع المستشرقون مثلاً بجهده المشكور ، فإن كان قد قصد إلى شيء من ذلك ، فنحسب أن عامة القراء من الإنجليز لا يزالون في حاجة إلى شيء آخر من رسالة الغفران ، لم نقدمه لهم بعد

وفي الترجمة أخطاء يسيرة في نقل معاني الشعر العربي لا يتسع المجال لاستعراضها هنا

٥ – مباحث في فلسفة الأخلاق

كتاب صغير ، إلا أنه جم الفائدة ، ألفه الأستاذ الفاضل محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، فاستطاع أن يضغط فيه فصولاً قيمة في الخلق وتكوينه ، والسلوك ، والضمير والمثل الأعلى ، والقياس والمقاييس الخلقية ... الخ في عبارة جيدة ، وعرض جميل ··· ولولا مغالاة الأستاذ المؤلف في ضغط هذه البحوث حتى أصبحت بالبحوث المدرسية أشبه منها بالبحوث الحرة لكان الكتاب خيراً مما هو . ولعل هذه الإشارة تحفز الأستاذ إلى إطرافنا بتوسيع كتابه ليخلص لنا منه سفر قيم .

والأستاذ محمد يوسف موسى من المؤلفين المعروفين بحسن اطلاعهم على الفلسفة الإسلامية خاصة ، وكتابه : فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ، هو من أمتع الكتب في موضوعه ، وهو آية على اجتهاد الأستاذ وحسن فهمه لما يكتب . وكتابه الثالث : تاريخ الأخلاق آية ثالثة على مقدار ما ساهم به في التأليف الفلسفي في نهضتنا الفكرية الحديثة «د خ»

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12 me Année No. 572 — Lundi - 19 - 6 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة — « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٩ يونية سنة ١٩٤٤ » — العــــدد ٥٧٢

وسائل الوحدة العربية ومقاصدها

للدكتور عبد الوهاب عزام

للعرب موطن واحد أو مواطن متصلة، مترامية بين هضب إيران وبحر الظلمات. وسمة هذا الوطن لم توهن الصلات بين أرجائه المتنائية، فكانت متعاونة متواصلة، على حين لم يكن للناس من وسائل الاتصال وطرق التعارف ما كشفت لهم الحضارة الحديثة، وقد خضعت هذه البلاد كلها حيناً، ومعظم البلاد الإسلامية الأخرى لدولة واحدة الكلمة العليا فيها لرجل واحد، يشرف على هذه الأقطار الواسعة ويدبر أمورها العليا. وكأنما زويت للعرب جوانب الأرض فتدانت أطرافها أو كأنها كانت مصورة على خريطة، كما قلت في الخليفة الوليد:

دانت لسطوته البلدان واجتمعت
في همة العرب أقطار وأمصار
كأن ما بين شيخون وقرطبة
على الخريطة للرائين أشبار

فكيف وقد قرَّب العلم والصناعة ما بين أقطار العالم كله، وصار ما بين مشرق الأرض ومغربها أيسر على المسافر وأقرب مما كان قديماً بين أرجاء القطر الواحد. كيف وقد صار الإنسان

الفهرس

يسمع الإنسان يتكلم فى أقصى الأرض ، ويعرف الأحداث التى تقع فى أبعد الممالك أسرع مما كان القدماء يعرفون أحداث المدينة الواحدة

لقد طويت المسافات والأوقات ، وتدانت الأبعاد والآماد . فما سَعة الوطن العربى بحائلة دون اتصال أقطاره وتعارفها وتعاونها وتآخيها .

ولهذا الوطن الشاسع لغة وأدب وتاريخ وثقافة ، كانت وما تزال على تطاول العصور ، وتنائى الديار ، واحدة أو كالواحدة . فأما اللغة فقد بقيت لغةُ القرآن شائعة فى هذه الأقطار مسيطرة عليها ، فنشأ ما نشأ من اللغات المحلية أو العامية ، ودامت اللغة العربية ملتقى عقولهم وعواطفهم ، وترجمانَ آمالهم وآلامهم ، ووسيلة تفاهمهم وتعارفهم . فما يلتقى عربى بعربى مهما تباعدت ديارهما إلا ارتفعا قليلاً عن لغتيهما المحليتين إلى العربية الجامعة الواسعة فتحدثا بها ، وتعارفا بما علمتهما العربية من قبل من تاريخ وأدب وما طبعتهما عليه من عواطف وآداب ، وكأنهما أخوانِ فرقت بينهما الحادثات حيناً ثم اجتمعا .

وإذا تحدثا فى التاريخ رجعا إلى أواصر جامعة ، ومفاخر مشتركة . فإذا ذكرا خليفة أو ملكا أو أديباً أو شاعراً أو كاتباً أو متكلما أو محدثاً أو مفسراً أو فقيهاً أو فيلسوفاً ذكرا رجالا ليس أحدهما أولى بهم من الآخر ، وسمع كل من أخيه ما يعرفه أو ما يسره أن يعرفه من تاريخه ، وإذا تحدثا فى الحاضر فبينهما على العلات عواطف مولِّفة ، وثقافة مقرِّبة ، اجتمع على تأليفها الماضى والحاضر . وكثيراً ما لقينا العرب من غير ديارنا فى أوطان عربية وغير عربية فما تناكرت الوجوه ، ولا تقاطعت الألسن ، ولا تباعدت العواطف ، ولا اختلفت المعارف إلا بمقدار ما تختلف معارف رجل عن أخيه فى المملكة الواحدة والبلد الواحد

هذا ولم يعمل العرب اليوم لنشر ثقافتهم بينهم ، وإشاعة أدبهم فيهم ، والتقريب بين عقولهم وقلوبهم ، وإنما هو ميراث التاريخ الذى لم تقو الخطوب على تفريقه ، ورباط الماضى الذى لم تجرؤ العصور على تمزيقه . فكيف إذا مهدت السبل واتخذت الوسائل لتعريف العرب بثقافتهم الموروثة وإمدادهم بثقافة جديدة مشتقة من تاريخهم وأوطانهم ، مستمدة من كل ما أخرجته عقول البشر فى الشرق والغرب . كيف إذا اجتمع علماء العرب على نشر ثقافتهم القديمة مهذبة مرتبة موضحة ميسرة ، واتفقوا على إشاعة ثقافة حديثة ملائمة بيئاتهم وأحوالهم ، ثم اتخذوا فى نشر هذه وتلك وسائل النشر الحديثة . إن الكتاب ليؤلف اليوم فى القاهرة أو دمشق فيقرأ فى بغداد بعد قليل ويقرأ فى المغرب بعد حين على كثرة ما وضع من الفواصل التى أريد بها قطع المغرب عن سائر بلاد العرب . فكيف إذا نظمت الحكومات والجماعات وسائل التعليم والنشر ، ورفعت العوائق وأزالت العقبات ، وتوسلت بما يعرف العالم اليوم من وسائل . إن العالم العربى ليصير إذن بلداً واحداً فى ثقافته وتربيته إلا ما تقضى به البيئة من اختلاف بين الأقطار وبين أرجاء القطر الواحد غير مضرٍّ بالأواصر ولا مخلٍّ بالثقافة المشتركة

والحق أننا حين نتحدث فى التقريب بين بلاد العرب أو التأليف بينها لا نحاول أن نخلق أو نضع أواصر وروابط ولا أن نحتال بالأوهام إلى مقاصدنا ولكنها الحقائق الماثلة ، والأواصر القائمة التى غفلنا عنها حيناً فما وهنت ، وحاول الزمان إنكارها فما خفيت ، وعالجتها الحادثات لتزيلها فما قدرت . إنها خلق الله ومن يغير على الله خلقه ، وإنها سنة الله ومن يبدل على الله سنته . وإنها الحق الذى لا يملك الباطل له تحويلاً ، والتاريخ الذى لا تستطيع الخُدَع فيه تأويلاً

بين البلاد العربية من الروابط والأواصر والعواطف ما بين كل أمة موحدة قوية ، وفيها من الآمال والمقاصد ما لكل أمة عزيزة طامحة ، ولكن ينقصها التهذيب والتدبير والتنظيم والتوضيح . ولهذه كلها وسائلها وهى يسيرة إن صحت عقولنا ونشطت أيدينا

لقد دعا العرب منذ سنوات إلى الاحتفال بذكرى أبى الطيب المتنبي . فاجتمع أدباء من الأقطار العربية فى دمشق ، وتجاوبت البلاد العربية كلها بهذه الدعوة ، واحتفلت بهذه الذكرى ، فلم يخل قطر بين دجلة والمحيط الأطلسى من احتفال بالمتنبى وكتابة عنه ، وإعراب عن عواطف العرب بشعره . هذا ولم تكن الوسائل الكافية قد اتخذت للاحتفال بالشاعر الكبير ، ولكنها كانت دعوة صادفت نفوساً متعارفة ، وقلوباً متآلفة قد غذاها

أدب واحد وأيدها تاريخ واحد ، والبلاد العربية تدعو اليوم إلى الاحتفال بأبي العلاء المعرى هذا العام . وكل أدباء العرب سواء فى الاهتمام به ، والدعوة إلى إعظامه . وسيكون احتفال المعرى ، مرآة لوحدة الثقافة فى البلاد العربية

هذه الأواصر والوشائج الطبيعية والتاريخية التى تربط بين بلاد العرب لا تعمل عملها إلا إذا عنينا بها فأحكمناها ، وأزلنا العوائق من طرقها ، ووجهناها إلى الغاية المرجوّة وأحسنا الانتفاع بها . وإلا بقيت كقوانين الطبيعة التى لا يهتدى إليها أو المعادن الفنية التى لا يستخرج ما فيها ، أو الأشجار العظيمة التى لا تجنى ثمراتها ، أو الأنهار الزاخرة التى لا يُستقى ماؤها . إن النيل ودجلة والفرات وبَرَدى وأنهاراً أخرى صغيرة تجرى فى بلاد العرب ولكنها لا تسقيها حتى يسيطر الإنسان على مجاريها ويحوز مياهها ويسوقها إلى الأرض بالسدود والقنوات . وكذلكم هذه الأفكار التى فى عقولنا والعواطف التى فى قلوبنا والآمال التى فى نفوسنا ، والقوى التى فى أيدينا ، وكل ما عندنا وما نستحدث من علم وأدب وخلق كلها تحتاج إلى العناية والرعاية والتوجيه والاستثمار . فنحن فى حاجة إلى مؤتمرات للائتمار بيننا فى التعليم والتربية والاقتصاد وشؤون كثيرة ، ثم اتخاذ الوسائل التى تؤدى بنا إلى ما نؤمل من اتفاق وتعاون على بناء حضارتنا على قواعد وطيدة ، والسير إلى مقاصدنا على خطط سديدة . على أن نأخذ للأمور أهبتها ، ونعد لها عدتها ، ونعرف المقاصد ونخط الوسائل على بيّنة من أمرنا ، وبصر بحاجاتنا ، واعتداد بأنفسنا فنخلق من بيئتنا وتاريخنا وأحوالنا وأخلاقنا حضارة فيها من تاريخنا سمات ، وعليها من أيدينا علامات ، فليس كرامة أن تقلّد ولا تبتدع ، وليس حياة أن تستعير من غيرك لباسه ، وتستجديه طعامه ، وتأخذ منه حليتك وزينتك ثم تزعم أنك نظيره ، ولكن الحياة فكر ونصب وعمل ودأب وخَلق واختراع واعتداد بالنفس واعتزاز بها ، وأن تشيد بناءك بيدك لنفسك ثم للناس . إنما الحياة أن يكون للأمة على الأرض آثارها ، وسماتها وخصائصها . ولا حرج من بعد أن تأخذ من الأمم وتعطى ، ثم تعاون البشر كافة على حضارة إنسانية جامعة

وبعد فعلى الذين يهيمنون على شؤون العرب من رؤساء وزعماء وعلماء وأدباء أن يخطوا للأخلاق خططها كما يخطون للمعارف والصناعات وغيرها . فما يرتفع لأمة بناء على غير قواعد من أخلاق قوية صحيحة فاضلة . ولا يستقيم لها فى الحياة منهاج إلا على هدى الفضائل والمكارم . إننا وقد أخذتنا الفتن والمحن ، وألقت علينا الحوادث أعباء باهظة لا نستطيع أن نثبت ونجد إلا بمُدد من الأخلاق وأسلحة من الفضائل . ويخشى أن نفتن عن أنفسنا فنضل طريقنا ، ونفقد سجايانا ثم لا يردنا إليها الجهاد الطويل ، والجد الدائم والندم الضائع وقديماً قال شاعرنا العربى :

ما تنسج الأيدى يبيد وإنما ... يبقى لنا ما تنسج الأخلاق

وحديثاً قال شاعرنا شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فليحسن سادتنا وقادتنا القيام على أخلاق هذه الأمة ، وليحسن الشعراء والكتاب تربيتها وتغذيتها وليجنبونا كل فكرة سقيمة ، وكل معنى عليل ، ليجنبونا الألفاظ الرخوة والمعانى الدنيئة ، فلا يهبطوا بشبابنا إلى الدرك الأسفل حيث تموت الهمم ، وتخمد العزائم ، وليسموا بهم إلى المعالى التى تطمح إليها النفوس الأبية القوية الطامحة

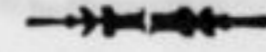
أمامنا تجاربنا وتجارب الأمم ، فلنعتبر ونتعظ ، فالسعيد من وعظته الحوادث وأخذ من الأيام العبر ، واهتدى بهدى التاريخ ، واستمع لنصائح الزمان . إن الزمان يسرع ، والحوادث تتوالى ، والأعمار تمضى ، والتاريخ يسجل والأجيال تقرأ ، فليسرع بنا التفكير والتدبير ولتُحكم الأقوال والأفعال ، لنساير الزمان بكفايته من الأهبة ، ونلقى التاريخ بملئه من العمل الصالح ، والمجد الباقى

وبعد فالعرب اليوم ، على علاتهم ، فيهم من العقول والأخلاق وبينهم من الروابط والعواطف ، ولهم من التاريخ والمكانة ما يؤلف أمة قوية رشيدة عزيزة كريمة فاضلة . وليس لمسير القافلة إلا أن يبين الطريق وتصلصل الأجراس

وليست دعوة العرب إلا إلى الكرامة والعزة وإلى الخير والحق والوئام والسلام . وليست نيتهم إلا الخير للناس جميعاً . لا يريدون إلا أن يتخذوا مكانهم بين الأمم ، ويؤدوا نصيبهم

بعث القديم

للدكتور محمد مندور



ليس من شك فى أن ثقافتنا الحديثة تقوم كما قلنا فى المقال السابق على أساسين : بعث التراث العربى القديم والأخذ عن أوربا ، ولقد كان للحملة الفرنسية فى ذلك أبلغ الأثر وذلك لأمرين : نقل الطباعة إلى مصر وفتح منافذ بلادنا على العالم الغربى . ولا ريب فى أن عودة الفرنسيين إلى بلادهم حاملين آلات الطباعة التى كانوا قد أتوا بها إلى مصر قد أخر نهضتنا الثقافية ما يقرب من جيل ، وذلك لأننا لم نستطع أن نستخدم الطباعة بعد ذلك إلا فى سنة ١٨٢٢ أى بعد الحملة الفرنسية بعشرين عاماً ، وإذا ذكرنا أن حركة البعث العلمى فى أوربا لم تصب ما أصابت من نجاح فى القرن السادس عشر بعد الميلاد إلا بفضل تلك الطباعة ، أدركنا أن نهضتنا الثقافية الواسعة لم تبدأ فى حقيقة الأمر إلا منذ استخدامنا لآلات الطباعة على نحو مطرد أى منذ سنة ١٨٢٢ كما قلنا ، وإنه وإن تكن الجمعيات العلمية التى ألفت لنشر الكتب لم تتكون فى حقيقة الأمر إلا بعد ذلك بكثير ؛ فجمعية المعارف التى أسسها محمد عارف باشا لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ وهى تشبه فى تكوينها إلى حد بعيد لجنة التأليف القائمة الآن وشركة طبع الكتب العربية التى كان من أعضائها حسن باشا عاصم وأحمد بك تيمور لم تتأسس إلا سنة ١٨٩٨ ؛ إلا أن حركة البعث أقدم من ذلك بكثير فهى لم تنتظر تكوين الجمعيات لتبدأ ، ولعل انتشار الأفكار الأوربية بفضل أعضاء البعثات كان من أهم الدوافع لذلك البعث ، فرجل كرفاعة الطهطاوى قد فطن بلا ريب أثناء إقامته بفرنسا إلى أن النهضة الأوربية التى رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية للآداب القديمة لاتينية ويونانية ، ولهذا كان يؤمن بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب ، بل يجب أن تمنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى

ولقد ظهرت آثار هذا البعث فى الشعر قبل ظهورها فى النثر ، وأكبر شخصية تمثل بعث الشعر هى بلا شك شخصية محمود سامى البارودى ، وتلك ظاهرة من اليسير فهمها ، فالنثر الذى كان شائعاً عندئذ لم يعد أن يكون : إما نثراً تعبيرياً يستخدم فى التأليف العلمى أو فى الصحافة ، وإما نثراً شخصياً كالذى نجده فى الرسائل ، والنوع الأول لم يكن يخلو من عجمة فى الصحف ومن نزعة للجدل والتعقيد فى التأليف . والنثر الشخصى ظل نثراً مسجوعاً لفظياً متكلفاً حتى عند أولئك الكتاب الذين نمت ثقافتهم حتى امتلكوا أفكاراً يغنيهم جمالها أو عمقها عن تزويق اللفظ كالأستاذ الإمام الذى ظل يكتب بالأسلوبين معاً ، أسلوب التأليف وأسلوب الرسائل

وفى الحق إننا لا نعرف أسلوباً يتميز به الأدب الحديث بأضيق معانيه غير أسلوب القصة ، فهى أكبر مظهر من مظاهر الأدب الحديث ، وليس بخاف أن القصة حديثة العهد ببلادنا وهى بمجرد ظهورها أخذت تنفذى السجع بمادة الفكر وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهذا واضح فى حديث عيسى بن هشام ؛ فأسلوب المويلحى رغم حرصه على أوجه العبارة البلاغية لا يخلو من فكر وإحساس صادقين ، وذلك لأن القصة بطبيعتها تقدم

فى الحضارة الإنسانية ، ويوفوا دينهم للتاريخ . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل أنصار حق ودعاة أخوة وبناة مدنية وأئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون . ليست دعوة العرب عدواناً على أحد ولا عداء لأحد ، وإنما هى دعوة الأمة الكريمة العزيزة العادلة التى تعرف ما يجب عليها لنفسها وللناس ، وتحرص على أن تحمل ما هى أهل له من الإعباء ، وتشيد ما هى جديرة به من المكارم ، وتأخذ حقوقها وتؤدى واجباتها على سنن بيّن من العدل والإحسان ، وخطة قويمة من الهدى والرشد . والله المسؤول أن يهيئ لها من كل أمر رشدا

عبد الوهاب عزام

للكاتب مادة، وكل مادة تحتاج إلى العبارة عنها، فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة

ومنذ أن خطا أسلوب النثر تلك الخطوة أخذ يشيع في غير القصص حتى امتد إلى المقالة أو الموضوع القصير على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكري الذي جمع في أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأي. ولكننا رغم كل ذلك لا نستطيع أن نقول إن النثر قد وصل عندئذ إلى ما لم يكن بد من أن يصل إليه ليجاري النثر الأوروبي فيصبح تعبيراً مباشراً عن فكر غني أو إحساس صادق ثم يتسم رغم مباشرته بصفات الأدب كعمل فني، وتلك مرحلة لم نصل إليها إلا في القرن العشرين. وليس من شك في أن السيد مصطفى لطفي المنفلوطي هو الذي خطا بنثرنا إلى تلك المرحلة الأخيرة. ومنذ ظهور هذا الكاتب العظيم لم يلبث النثر أن استحصد حتى سبق الشعر

واليوم ننظر في نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوي في أثناء أحدهما المويلحي والبكري ومصطفى صادق الرافعي واحمد حسن الزيات على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس، ولكنهم يجتمعون معاً في خاصية واحدة، هي أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية المتأخرة، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها

والتيار الثاني يبتدئ كما قلنا بالمنفلوطي، ذلك الرجل المرهف الإحساس العذب الأسلوب. ذلك الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجل الغذاء، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر. ولقد كان لعدم معرفة هذا الكاتب باللغات الأجنبية معرفة تعمق وإحساس، ما احتفظ لأسلوبه بالسلاسة العربية الصافية. وأما غيره من كتاب هذا التيار فلن تعدم أن تجد في أسلوبهم آثاراً واضحة للتأثر باللغات الأجنبية، وما نظننا في حاجة إلى أن ندل على ما في أسلوب كاتب كبير كطه حسين من تأثر واضح بطرق الأداء الفرنسية

وأما الشعر فقد سبق النثر — كما قلنا — إلى التحلل من سخافات الصنعة اللفظية وتفاهة المادة، وسر هذا التحرر يرجع إلى بعث الشعر العربي القديم من جهة، وإلى طبيعة هذا النوع من الأدب من جهة أخرى، فنحن نلاحظ أن البارودي قد سلك إلى تكوين مذهبه الشعري نفس المسلك الذي سلكه من قبل أبو تمام، فالشاعر العباسي قد كان دائم القراءة للشعر القديم والاختيار منه، حتى قالوا إنه قد ألف ثمانية أنواع من المختارات، ولا يزال بين أيدينا ديوان الحماسة شاهداً بأن هذا الشاعر كان أحسن اختياراً وتذوقاً للشعر منه خلقا له. وكذلك فعل البارودي، فمختاراته تضم جانباً كبيراً من خير ما خلف العرب. وشعر البارودي نفسه شديد الشبه بشعر المتنبي، كما أن شعر صبري باشا يكاد يحكي شعر البحتري، وفي هذه الحقائق ما لا يدع مجالاً للشك في أن نهضة الشعر الحديث عندنا إنما قامت على بعث القديم ومحاكاته

وموضع التساؤل هو: كيف يستطيع شعر يقوم على محاكاة القديم أن يعبر عن حياة جديدة؟

هذه المشكلة سبق أن واجهها الأدب العربي واقتتل حولها النقاد والشعراء، ففي العصر العباسي سخر أبو نواس من الدمن والأطلال وبكاء دعد وإسعاد الرفيق وإلف الناقة، وظنه تجديداً أن يخرج على تلك الأوضاع لينازل الخمر ويداعب الغلمان ويصف القصور والحدائق. وهذه النظرية وإن تكن لها وجاهة الظاهر، إلا أنها في الحقيقة لا تعدو أن تكون وجاهة سطحية، فالفن ليس بهيا كله، وإنما هو بروحه وصياغته، ولا أدل على ذلك من أننا لا نزال إلى اليوم نؤمن بأن خير ما خلف العرب من شعر هو لا ريب الحنين إلى الديار، وذلك لأن هذا الحنين وإن لم يمت إلى تجاربنا الحاضرة بسبب من واقع الحياة، إلا أنه يرمز

فى حقيقة الأمر إلى مشاعر إنسانية عامة ، لا تزال ولن تزال من أجل ما نحمل من مشاعر ، فهو يثير فى النفس شعور الإلف والحنين إلى الماضى ، والتعلق بالأمكنة التى لا ريب لها أرواح تعلق بأرواحنا فتحملها على المحبة . والإحساس بالأمكنة وما تحوى من ذكريات ومسرات وآلام من أخصب منابع الأدب . ونحن بعد لا نحتاج إلى أن نمارس بالفعل كل التجارب التى نتحدث عنها فى أدبنا ، وإلا كنا فقراء الخيال . ومن يستطيع أن يزعم أن كاتباً أو شاعراً ما قد بلا بنفسه كل ما يتحدث عنه ؟ وهل ننسى أن جانباً كبيراً من آداب العالم أجمع لا يمثل ما عاشه كتابه بالفعل ، بل ما ودوا أن لو عاشوه ؟ والواقع والخيال يرجعان بعد فى الأدب الصادق إلى منبع واحد، هو القلب البشرى . وأساس النجاح هو أن يستثير الكاتب فينا إحساساً حقيقياً ، سواء أكان ذلك الإحساس التفاتة إلى ماض عرفناه، أو تلهفاً إلى مستقبل نود أن نعرفه ، أو مزيجاً منهما

وإذن فعندما نسمع الشاعر الذى يقول :

ألا أيها الوادى الذى ضم سيله
إلينا نوى ظمياء ، حييت واديا !

لا نملك إلا أن نهتز ، ولو لم نر فى حياتنا سيلا ولا وادياً ولا عرفنا ظمياء

والشعر القديم أمس قرباً بالروح الشعرية بحكم موضوعه وصياغته ، فالطلل والناقة أحب إلى النفس من القصر والسيارة . الطلل يستثير معنى الفناء ، ونحن البشر لا يحركنا معنى أكثر مما يحركنا هـذا المعنى . وإن كان من نعم الله أننا ننساه أغلب الوقت ، وربما كان فى هـذه الحقيقة ما يزيده قوة حينما يثار . والناقة حيوان أليف صبور ودود ، ولا كذلك الآلة الصماء ، وصياغة الشعر القديم كموضوعاته ألصق ما تكون بحقيقة الفن . الشعر الجاهلى يجمع على نحو رائع شاعرية الروح وواقعية العبارة ، حتى ترى صورة مادية قريبة مأخوذة من واقع الحيـــاة وقد خلت من كل تكلف فاسد

لقد ابتدأ البعث الشعرى فى بلادنا إذن بإحياء القديم ، ولكن هذا الإحياء لسوء الحظ قد جنح إلى العصر العباسى ، حتى إننا لا نزال إلى اليوم أكثر معرفة ودراسة لأدب ذلك العصر منا للأدب الجاهلى والأموى ، وذلك فيما يبدو لسهولة الأدب العباسى ومشقة الأدب القديم ، ثم لأننا فيما أعتقد لم نصل بعـد من النضوج الفنى إلى حيث نؤمن بتلك الحقيقة الكبيرة التى قال بها من قبل الرجل الصادق الذوق السيد المرصفى من أن خير الأدب العربى الجاهلى والأموى .

ونحن نعتقد أن الإمعان فى دراسة ذلك الأدب الجاهلى وتذوقه هو الوسيلة الوحيدة للخطو بشعرنا التقليدى خطوة جديدة أو على الأقل لصيانته من أن ينقرض أمام تيار الشعر الحديث المستمد من الأدب الغربى

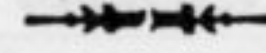
هذه هى مظاهر البعث الأدبى فى مصر المعاصرة أجملناها ، وبقى أن ننظر فى النقل عن أوربا ، وكيف أثر هـذا النقل فيما بعثنا من تراث ، وكيف تفاعل معه ليخلق نوعا جديداً من الحياة الثقافية نخشى أن يكون جانب كبير منها مفتعلا ، ولـكننا نرجئ تفصيل ذلك إلى المقال الآتى

محمد مندور

٣ـ رسائل التعليقات للرصافي

وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة



ذهب الأستاذ الرصافي في تعليقاته إلى أن « وحدة الوجود » هي شيء لم تعرفه الدنيا قبل الإسلام ، وأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من عرفها ، وأنه لم يذكر منها شيئاً لأصحابه إلا ما لمح به منها لأبي بكر ، وإن يكن قد أشار إليها في القرآن ، ثم ظلت مجهولة حتى القرن الثاني من الهجرة حينما جهر بها المتصوفة الذين يعدهم الأستاذ وحدهم فلاسفة المسلمين (ص ١٣ — ١٤)

وقبل أن نخوض في هذا الحديث الذي لم نكن نؤثر أن نعرض له لو لم يدع الأستاذ الرصافي جميع المسلمين إلى الأخذ به ، عائباً عليهم أخذهم بظاهر ما أتاهم الرسول به ، وعدم فهم ما قال « محمد » في القرآن على أصله ، مستشهداً على غفلة المسلمين بكلام لمستشرق إيطالي جاهل يقول : « إن المسلمين تمسكوا بمتن الإسلام لا بروحه ، فأغمضوا عيونهم على شكل الأحكام التي أثبتها محمد ، وبقوا جامدين عليها ، فلذا بقيت على ما هي عليه من ركود وجمود ، أي بقيت ديناً ابتدائياً لا يتمشى مع كل زمان ؛ وليس ذلك من عمل محمد ، بل هو من عمل المسلمين . . . » ص ٢٠٣ ، داعياً لهذا المستشرق بألا يفض الله فاه لقوله هذا الكلام ... فض الله فاه وأفواه الزنادقة أجمعين !

لولا هذا اللغو الذي يدعونا الرصافي إليه ، ولولا أنه طبعه في كتاب وزعه وأهدى منه ، لما آثرنا أن نخوض في إفك نهانا رسول الله عن الخوض فيه حتى لا نهلك . . . ولكن ما الحيلة ونحن نرى بالجمود والدعوة إلى الحجر على حرية الفكر إذا دعونا إلى محاربة هذا البهتان الذي شاع في الدولة العباسية ؛ فكان في شيوعه القضاء على أمجاد المسلمين الفكرية والسياسية

قبل أن نخوض في هذا الحديث إذن نحب أن نعود بالأستاذ الرصافي ، هداه الله ، إلى ما قبل الإسلام بقرون عشرة أو نحوها . . . لنستعرض ما كان يراه فلاسفة اليونان في هذا الوجود ، وذلك منذ أن بدأت الإنسانية تتفلسف تلك الفلسفة التي نعتها ، وإن تكن هي التي هدتنا إلى الله خالق كل شيء . . . المحيط بكل شيء ، الهادي إلى سواء السبيل . وسنجتهد ألا نلتوي بالقراء في مهامه تلك الفلسفة اليونانية التي تصور لنا أخصب نضال فكري في التاريخ للاهتداء إلى الحق . ومع ذلك فلم يفز الحق منها بشيء : وسنرى أن اليونان فكروا في وحدة الوجود ، وأن مشكلات هذه الوحدة كانت تتعقد في رؤوس فلاسفتهم تعقداً يقف عند أصول مضحكة ، لأنها مزيج من خيبة الرجاء ، ومن الخبط في ظلمات لم يحن الحين للتفكير الإنساني أن يستجلي أسرارها . ومع أنه من الجرأة أن نلخص هذه الأفكار المتضاربة في عمود أو عمودين من أعمدة هذه المجلة ، إلا أننا مضطرون إلى ذلك ، لنضحك آخر الأمر على وحدة الوجود التي تملأ أدمغة متصوفينا ، كما ضحكنا أياماً ونحن نكب على الفلسفة اليونانية نتأملها ونتدارسها عسى أن تهدينا إلى شيء نفرح به

١ — فكر طاليس في نشأة الموجودات ، حية وجامدة ، فزعم أنها نشأت من الرطوبة[1] ولكن كيف نشأت ؟ هذا ما لم يستطع طاليس أن يفسره

٢ — ثم زعم تلميذه أنجزماندر أنها خلقت من مادة غير معينة ولا محدودة[2] ، وذلك بالانفصال عنها ، ثم قضى الله عليها بالفناء في تلك المادة ثانية للأنانية التي أبدتها في أن تكون لها حياتها المستقلة !

٣ — ثم زعم أنجزيمنس أنها البخار Vapour—âap ، وأن الأشياء قد خلقت منه ، إما بالتكاثف (السحاب والماء والتراب) أو بالتخلخل (النار والشموس) !

٤ — ثم جاء فيثاغورس وأتباعه الذين اقتدوا بأورفيوس الموسيقي في تقشفه وزهده واتخذوا البياض شعاراً لهم وسموا إلى تطهير النفس من أدران المادة بالتفكير الفلسفي فزعموا أن الأشياء قد خلقت من العدد (! !) وملأوا فلسفتهم

(١) Moisture (٢) Infinite Undefined

بالألغاز التي لا يفهمها من ليس من طائفتهم

٥ — ثم كان أجزنوفانس المنشد الذي ثار بأساطير هومر الإلهية ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الذي ليس كمثله شيء والذي تنزه عن الأعضاء، فهو سميع كله سمع، وبصير كله بصر وعاقل كله عقل ... موجود في كل الوجود Omnipresent إلا أنه كان يؤمن بأن الله (حال) في العالم، وأنه ليس شيئاً غيره، وهو لذلك أول قائل بوحدة الوجود

٦ — ثم جاء بارمنيدس فأنكر كل ما تدركه الحواس ولم يؤمن إلا بما يدركه العقل، وذهب إلى أن كل شيء غير الوجود – الكينونة! – خداع ووهم، لأن المحسات كلها فانية والوجود وحده هو الأزلي الخالد، إلا أنه عاد فاعترف بكرّية الوجود وأنه يشغل مكاناً وفي ذلك اعتراف ضمني بمادية الوجود ... !

٧ — ويؤيد الفيلسوف زينو ما ذهب إليه بارمنيدس، وينكر الحسيات والتعدد والحركة (وسبحان واهب العقول!) فكأنما العالم عند هؤلاء عالمان، عالم الوجود المعنوي، وعالم الوهم (اللاوجود) الحسي – أما ما هي العلاقة بين العالمين فلم يحاولوا تبيانها

٨ — ويجيء هرقليطس فينقض آراء من تقدموه، ويعترف بالتقاء عالمي الوجود واللاوجود، بل بالتقاء المتناقضات كلها، محتجاً بأن التناقض هو في نظرنا فحسب، ثم يرتأى أن العالم كله مخلوق من النار، وأنه دائم التحول لا يثبت على حال واحدة لحظة واحدة، وأن العقل الإنساني والحياة الإنسانية هما قبضة من تلك النار تشتعل بالحواس والتنفس – ودوام التحول هو دوام الاشتعال nûp، إلى أعلى way up وإلى أسفل way down الخ

٩ — ثم يأتي إمبذوكلس فيرد المخلوقات إلى أربعة جذور (عناصر!): التراب والماء والهواء والنار، ويزعم أنها لا تتغير في طبيعتها وأن الذي يقوم بالاتصال بينها هو الحب (الجاذبية) وأن الذي يقوم بالانفصال بينها هو البغض (التنافر). ويتناوب الحب والبغض تجميع العناصر وتفريقها إلى الأبد، فمرة ينتصر الحب فيصير الكون كله مزيجاً «وحدة» وأخرى ينتصر البغض فتتفرق العناصر

١٠ — وتأتي نوبة الذريين، فيقول ديمقريطس[1] إن العالم يتركب من ذرات seeds يدفع بعضها بعضاً، خبط عشواء (!!) فيناقضه أناجزا جوراس الذي يقول بتعدد العناصر وبوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة هي «العقل» أو ما يسميه هو Noös تتولى تحريك تلك العناصر وتوجيهها وجهة غائية صالحة تضمن جمال الكون ونظامه، إلا أنه يعتقد قدم العقل والعناصر على السواء وأن أحدهما لم يخلق الآخر، وإن حرك العقل العناصر وألف معها «وحدة الوجود!» – ومع ذاك فقد ظل اثنينياً آخر الأمر

١١ — ويأتي «دور» السوفسطائيين الذين يعنون بالحياة العملية، ويهملون الفلسفة النظرية، وزهدوا في المناقشة حول الآلهة ... ويقول أحدهم «بروتاجوراس»: «إنني لا أستطيع أن أقرر إن كانوا موجودين أو غير موجودين، كما لا أستطيع أن أستبين صورهم، وإن حياتنا القصيرة لا تساعدنا على معرفتهم معرفة صحيحة لشدة الغموض الذي يكتنفهم!» وبهذا أثاروا الشكوك وزعزعوا العقائد، وإن خدموا الثقافة خدمة جليلة.

١٢ — ويصلح سقراط ما أفسده السفسطائيون، وينشيء نظرية المعرفة القائمة على الإدراكات العقلية والمعاني الكلية، والتي جعلها أساساً للفضيلة كما جعل الجهل أساساً لكل الشرور، وتجاهل عواطف المرء وشهواته؛ فكانت نقطة الضعف في فلسفته التي ردت إلى الناس إيمانهم بالحقائق الخارجية على أساس ثابت غير الأساس القديم الساذج الذي هدمه السوفسطائيون. وقد انقسم أتباع سقراط بعد موته إلى طوائف ثلاث، فانصرف الكلبيون عن زخرفة الحياة وآثروا التقشف، وزهدوا في العلوم والفنون. بل دعوا إلى الجهل مكتفين بالفضيلة التي تكفل لهم السعادة! أما القورينيون فقد خالفوا الكلبيين في طريق الوصول إلى الفضيلة ولم يروا السعادة في الزهد والتقشف، بل رأوها في اللذة والاستمتاع بكل ما تصبو إليه النفس في حدود الاعتدال حتى لا تكون النتيجة شراً، وكلما كانت اللذة حسية كانت في نظرهم أضمن جلباً للسعادة من اللذة الذهنية، ولهم في شرح اللذات كلام طويل عجيب — أما الميجاريون فقد

(١) أسقطنا من السلسلة أستاذه الفيلسوف ليكيوس وإن يكن هو صاحب النظرية

نشدوا السعادة – أعنى الفضيلة – فى حياة التأمل والمعرفة – فى التعمق الفلسفى ، واستكناه حقيقة هذا الوجود

١٣ – ثم كانت نظرية المثل التى قال بها أفلاطون ، وأن لكل شئ مثالاً من الكمال مجرداً من الحس يسمو إليه ، فهو يجعل المُثل ذوات مستقلة عن الأشياء لها وجود قائم بنفسه ، وجعل مثال الخير أساس جميع المثل : ومع أن أفلاطون يعترف بوجود إله خلق العالم ويمسكه ويدبر أموره فهو يتردد بين الوحدانية والتعدد ، ولا يحدد العلاقة بين الله ومثال الخير ؛ والعالم عند أفلاطون عالمان . عالم الحقيقة وهو عالم المثل ، وعالم الظواهر وهو هذ العالم المحس ، وهو صورة لعالم المثل . ثم هو يؤمن بالتناسخ ، فتعود النفس السعيدة إلى عالم المثل وتبقى فيه حقبة ثم تعود فتحل فى إنسان آخر ؛ فإن كانت شقية عذبت قليلاً ثم حلت فى جسم مخلوق وضيع ، والسعادة عند أفلاطون هى الإحاطة بعالم المثل ، وفهم العلاقة بين المثل والمحسوسات والتمتع بالمتع البريئة ، ثم تحصيل أكبر قدر من الثقافات ، وترانا من أفلاطون أمام ثالوث عجيب : المادة ، والمثل ، والله ، وكلها قديم . وهذا هو الضلال

١٤ – وقد نقد أرسطو نظرية المثل وهدمها من أساسها لِما خلق أفلاطون من هذا العالم الخيالى الذى يوازى هذا العالم المدرك ، ولأنه لم يستطع تعليل كليهما ولا تعليل الحركة فى العالم الثانى . وقد رأى أرسطو أن سبب هذه البلبلة فى أفكار الفلاسفة هو عدم وجود قواعد ثابتة تضبط أفكارهم وكلامهم فاخترع المنطق لهذا الغرض . وقد عرض لمسألة الله وخلق العالم فنفى الزمنية بينهما ، بل جعلهما مقترنين ، اقتران المقدمة بالنتيجة ، فلم يكن الله أولاً ثم كان العالم . وبهذا كان العالم قديماً عند أرسطو ... والله عنده هو الكمال المطلق والعلة الصورية الغائية التى تحرك هذا العالم بجذبه إليه . وهذا هو الترقى، اقتراب العالم من الكمال المطلق ... وما دام العالم قديماً فهو لا أول له ... وكذلك لا نهاية له . . . واضطرب أرسطو فى تصور ذات الله ، هل له وجود مستقل مشخص ، أم ليس له هذا الوجود المشخص المستقل ؟ فقول أرسطو مرة إن الله يحيا فى سعادة أبدية ، وأنه هو الوجود المطلق يدل على التشخيص والوجود المستقل ؛ ولكن تعبيره عنه مرة أخرى بأنه هو الصورة المجردة يعنى أنه من مادة لا وجود لها ... وعلى هذا فلا وجود له إلا هذا الوجود المعنوى . وليس بعد هذا اضطراب فى فلسفة المعلم الأول الإلهية . أما فلسفته الطبيعية فسليمة لا غبار عليها ، إذ تتبع هذه الفلسفة نشوء العالم من الهيولى إلى الصورة ، وإن فضله درون فى هذا الباب

***

وبعد ، فكيف بعد هذا العرض السريع لهذه الناحية من نواحى الفلسفة اليونانية يزعم الأستاذ الرصافى أن وحدة الوجود هى شئ إسلامى بحت لم يعرفه إلا محمد ، ثم فلاسفة المتصوفة المسلمين بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان ؟!

ثم ماذا أصاب الفلاسفة اليونانيين من الهلكة والتخبط ، من لدن طاليس أول فلاسفتهم إلى أرسطو أعظم مفكريهم ، بسبب القول باندماج الله فى العالم أو العالم فى الله ... إلا من هدى الله !

أما الرد على الأراجيف التى تنشأ عن هذا الإفك ، فليس هذا أوانه

دريني خشبة

٢ – التناقض
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إن الأمثلة التى ضربناها لتناقض صاحب الكتاب لا تمثل كل مظاهر فساد التفكير الفاشى فى الكتاب ، وليست هى كل أمثلة التناقض فيه على الرغم من أن أكثر الكتاب تراجم ونصوص فى كثير منها طول ، وهذه وتلك تقى بطبيعتها صاحب الكتاب أن يظهر عيوب تفكيره اللهم إلا إذا تطوع بالتعليق

فمن أمثلة وقوعه فى التناقض حين يأخذ فى التعليق وهو يترجم لرجال القرن الرابع ما وقع فى كلامه على ابن شهيد ؛ فقد روى لابن شهيد رأياً يناقض صريح رأى زكى مبارك فى الأسلوب ، وأقره على ذلك الرأى فهدم بذلك رأى نفسه وتناقض من حيث لا يدرى . روى له فى صفحة ٥١ من الجزء الثانى قوله : « إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ، فإذا جاور النسيب النسيبَ ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر وطابت المخابر » إلى آخر ما روى له . ثم علق عليه بقوله : « وهذا كلام جيد ، وأجوده ما نص فيه على أن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ؛ فإذا جاور النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة» وليس لتعليقه هذا معنى إلا أنه يقر للأسلوب بما أنكره مراراً من قبل . فإن تناسب الحروف من صميم الأسلوب أو هو الأسلوب صرفاً ، لأنه يتعلق باللفظ والصيغة دون المعنى . فهذا نص لا يستطيع صاحب الكتاب تمحلاً ولا تأويلاً له ، يضاف إلى ما ناقض به نفسه سابقاً فى أمر الأسلوب ، وينقض عرضاً كل ما كتب عن أسلوب القرآن ، لأن القرآن الكريم هو المثل الأعلى لهذه الظاهرة البلاغية التى نبه إليها ابن شهيد ، وأقرها واستجادها زكى مبارك فى غفلة من ذاكرته وهواه . على أن هناك نصوصاً أخرى له غير التى سبق ذكرها ينقض بها مذهب نفسه فى الأسلوب وإنكار مكانته قد تأتى لبعضها مناسبة فنذكره

ومما جاء فيه صاحب الكتاب بقول مختلف استقامة ألسنة الأعراب . فهو يقول فى صفحة ٥٥ من الجزء الأول : « ورأى من المضحك أن يظن أن العرب لم ينتبهوا إلى وقوع اللحن فى لغتهم إلا بعد الإسلام ، وأن اتصال العرب بالأعاجم هو الذى رماهم باللحن ، كأن لغة العرب بدع من اللغات لا يلحقها تغير ولا تبدل ، وذلك رأى واضح البطلان » وهو هنا يخلط بين اللحن وبين التغير الطبيعى الذى يطرأ على اللغة بالتدريج فى الدهر الطويل والذى نشأت وتنشأ عنه اللهجات ، والذى لا يمكن أن يعد من اللحن بحال . لكن لا علينا ، فنحن هنا لا ننظر فى صحة نتائجه ، ولكن فى اتساق تفكيره ؛ إذ النتائج قد يرجع بطلانها إلى فساد المقدمات مع اتساق التفكير أو إلى فساد التفكير مع صحة المقدمات ، كما قد يرجع طبعاً إلى فسادهما معاً . فلتكن مقدمات صاحب الكتاب ما تكون أفهو متسق التفكير ؟

لقد أشار إلى هذه النقطة فى موضعين آخرين على الأقل . أشار إليها عرضاً فى صفحة ٥٨ من الجزء الأول حين أراد توكيد تأثر نثر الصدر الأول بالمدنيات الأجنبية . قال : « ولا عبرة بما عرف عن فريق من العرب من الحرص على تربية أبنائهم تربية عربية صرفة ، فإن هذا لم يكن يراد به صرف الشباب العربى عن فهم المدنيات الأجنبية ، وإنما كان يراد به حمايته من العجمة التى كانت تعيب الأرستقراطية العربية ، وتجعل صاحبها موضع السخرية بين معاصريه » وهو بهذا يشير طبعاً إلى ما هو معروف عن العصر الأموى من إرسال بعض الأمراء والخلفاء أبناءهم إلى البادية لينشأوا فيها على استقامة اللسان والسلامة من اللحن . لكن اقرأ الآن له من صفحة ٢١ من الجزء الثانى : «فإننا نرتاب فى سلامة الأعراب من اللحن والغلط ، ونرى أنهم قد يلحنون كما يلحن المولدون » ! إذن ففيم كان إرسال الأبناء إلى البادية حماية لهم من العجمة التى كانت تعيب الأرستقراطية العربية ؟ لقد كان ذلك عبثاً إن صح رأى صاحب الكتاب فى أن الأعراب قد يلحنون كما يلحن المولدون . ولو وقف قول صاحب الكتاب عند هذا لكان

الخلف خفياً بين طرفي أقواله الثلاثة وبين أوسطها ، ولجاز أن يلتمس له شيء من عذر ، لكنه – وهذا موضع العجب – علق على قوله الثالث في الهامش بما يأتي :

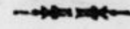
« ويجب أن نذكر أن الشعر الجاهلي والأموي كان يجري على قواعد من النحو لم تأخذ صيغة نهائية في التحديد والترتيب ، كما اتفق ذلك في العصر العباسي ؛ فأغلاط الجاهليين والأمويين ليست أغلاطاً بالقياس إلى لغتهم هم ، وإنما هي أغلاط بالإضافة إلى اللغة التي حدد قواعدها النحويون » ! إذن فلم رميهم باللحن حين لا لحن ما داموا كانوا ينطقون طبق لغتهم هم ، وافقت نحو العصر العباسي أو خالفته ؟ إن هـذا الرجل لا يدري أنه بقوله هذا قد نفى تطرق اللحن والعجمة إلى الأمويين في الوقت الذي ينسب فيه الجاهليين إلى اللحن في صلب كتابه ، ولا يدري أنه بجعله الشعر الجاهلي والأموي يجري على نحو رجراج كالذي يدعي ويتوهم يصطدم بالسبب الذي من أجله زعم أن نشأة علم النحو قديمة في الجاهلية ، ألا هو جري القرآن « على نمط واحد في أوضاعه النحوية لا يختلف في ذلك إلا باختلاف رواته من القبائل المختلفة » إذ كيف يمكن أن يجري القرآن على نحو واحد ولا يجري الشعر ؟ وإذا كان القرآن لا يختلف نحوه إلا باختلاف القبائل فلم لا يكون الشعر أيضاً كذلك ؟ إن الرجل يعترف من حيث لا يدري باطراد النحو في لغة كل قبيلة ما دام اختلافه من اختلاف القبائل ، ويعترف بأن اللغة في جملتها تجري على نحو واحد ما دامت لا تختلف إلا في المواطن اليسيرة التي تختلف فيها الرواية في القرآن حسب اختلاف القبائل عند هذا الرجل ، وإذن فلا معنى لترجرج نحو اللغة في العصر الأموي وانعقاده في العصر العباسي إلا أن هذا الرجل أراد أن يأتي بجديد يخالف به علماء العربية فوقع في خلف بعد خلف في النقطة الواحدة وفي العبارة الواحدة ، سنة الله في الباطل وأهله

على أنه لا حد فيما يظهر لباطل هذا الرجل ، ولا نهاية لتخبطه ؛ فقد تعرض للقرآن مرة أخرى حين ترجم لابن فارس وحاول نقد آرائه ، لكنه ترقى في هذه المرة فاقترح أن يفرد للقرآن نحو خاص ! إي والله ! واقرأ له إن شئت من هامش صفحة ٤٢ من الجزء الثاني : (والقرآن يجب أن يفرد له نحو خاص ، وكذلك الأدب الجاهلي والأموي ، ولغات العالم كله تعترف بما يسمى « النحو التاريخي » ونحن في حاجة إلى ذلك النحو لتوجيه بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن) ! أفكان علماء العربية ينتظرون صاحب النثر الفني حتى يجيء بذلك النحو الخاص لتوجيه « بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن » ؟ وفيم كانت علوم العربية كلها إن لم تكن لفهم القرآن وتبيان ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً في القرآن ؟ وشـذوذاً عما ذا ؟ عن نحو لغة قريش وهو معترف بأن القرآن يجري على نمط واحد في أوضاعه النحوية إلا إذا كان الراوي من قبيلة غير قريش ؟ أم عن نحو لغات القبائل الأخرى وهو يعترف أن لغة القرآن إنما هي لغة قريش ؟ فما الحاجة إلى نحو جديد إذا كان القرآن يجري – وكان الأدب الجاهلي والأموي يجري – إما على نحو لغة قريش أو على نحو لغة قبيلة أخرى في المواطن القليلة التي تختلف فيها القبائل عن لغة قريش ؟ أمن أجل وجود نحو تاريخي للغات العالم ، يريد أن يوجد نحواً تاريخياً للقرآن ؟ إنه إذن لا يفهم ما النحو التاريخي ولا لماذا وجد في لغات العالم . إن لغات العالم الحاضرة تغيرت بالتدريج عما كانت عليه ولو من قرون قليلة ، فلغة شاكسبير مثلاً غير لغة ماكولي وولز ، ولا أحسب لغة بوالو وراسين عين لغة هوجو وأناتول فرانس . والنحو التاريخي للانجليزية أو الفرنسية يبين الاختلاف الذي طرأ فيما بين ذلك على الإنجليزية أو الفرنسية ، فأي شبه بين عربية القرآن والأدب الجاهلي والأموي وبين الإنجليزية أو الفرنسية من هذه الناحية ؟ لو كان هذا الرجل يكتب عن فهم لا عن تقليد ببغائي ، لأدرك أن النحو التاريخي للغة القرآن هو نحو نشأة العدنانية عن أصلها في ماضي العربية السحيق ، وهذا لو أمكن الوصول إليه لا يفسر ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً في القرآن ، لأنه لا شذوذ هناك إلا إذا كان نحو الجاهلية الأولى هو الأصل وإذن يكون أكثر نحو العربية المعروف شذوذاً ، كما إن أكثر نحو الإنجليزية أو الفرنسية الحاضرة شذوذ بالإضافة إلى نحوهما في الماضي السحيق . فصاحب النثر الفني يكتب من غير علم ولا ترو ولا تفكير سديد ، أو هو رجل راكب في البحث هواه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

محمد أحمد الغمراوي

كل يوم لنا عتاب جديد

للدكتور زكي مبارك



قرأت كلمة الأخ الكريم الأستاذ دريني خشبة فرأيته يصرح بأني خاصمت الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات ، لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، فهل يكون معنى هذا أني أحارب تلك الحريات ، وأني أبغض من يتعرضون لنقد ما يصدُر عن قلمي ؟

لا شيء من ذلك ، فهذا الأخ يعرف مبلغ حبي لحرية الرأي ، وإنما أراد أن يتلطف فيدعوني إلى الصلح بذلك الأسلوب الرفيق ، ولعله لو انتظر أياماً لرأى كيف يسعى الأستاذ الزيات إليَّ أو أسعى إليه ، فبيننا أواصر أخوية لا يزلزلها خصام ولا قتال ، ونحن أعقل من أن نختصم بصورة لا ينفع معها صلح ، فالعقل الذي يوحي بمجاملة الأعداء رغبةً في تحويلهم إلى أصدقاء ، لا يقبل أبداً محاربة الأصدقاء ليحوّلهم إلى أعداء

والدنيا لا تسمح في كل يوم بخلق صداقة كالصداقة التي بيني وبين الأستاذ الزيات ، ولعلها لن تسمح أبداً ، فقد تبدلت الدنيا من حال إلى أحوال ، حتى كادت تصيّر الصداقة الصحيحة من ضروب المحال

وما بيني وبين الأستاذ الزيات من الوداد قد تعرّض لمكاره كثيرة ، فقد كان لنا في كل يوم عتابٌ جديد ، وكان حين يتعب مني يقول : كيف أستطيع أن أصلح ما بينك وبين الناس ولا أستطيع أن أصلح ما بينك وبيني !

والخصومة الأخيرة لم تكن مما يحب ، لأنها وقعت بعد صلح شهده أبنائي قبل أسبوعين اثنين ، ولهذا قال وهو يعاتب : ما الذي سيقول أبناؤك ؟

وكان الجواب حاضراً ، ولكني لم أجب ، ولو أني أجبت لقلت : إن أبنائي تعجبوا من أن يسمح الأستاذ الزيات بنشر كلام يزعم كاتبه أني أحارب القرآن ، وأحارب الدين ، مع أنهم يرون في كل يوم أني أدعوهم إلى المحافظة على الصلوات

وكنت أستطيع أن أقول للأستاذ الزيات : وما الذي تقول أنت إن عاتبك ضميرك وأنت تعرف أني أديت للإسلام خدمات لن يؤدي بعضها من يتهمونني في إسلامي ؟

ولكني لم أقل شيئاً ، وتركت الأستاذ الزيات ينشر سلسلة من المقالات لرجل حاقد شوى قلبَه الحقدُ عشرين عاماً أو تزيد ، وقد قدمت للأستاذ الزيات ردّين فطواهما عن عمد ، لأنه رآني أحاسبه ولا أحاسب ذلك الحقود ، فكيف رغب الأستاذ الزيات في أن ينجو من حسابي ، وهو حسابٌ يحمل أنفاس العتاب ؟

وما الذي يقع إن طوى الأستاذ الزيات هذا الرد أيضاً ليصورني أمام قرائه بصورة من يأبى الصلح ؟

لن يقع شيء ، فقد كتبت عشرين رداً ، ثم مزقتها جميعاً ، رعايةً للمودة الغالية التي تفيأنا ظلالها عدداً من السنين ... وللأستاذ الزيات أن ينسى أني عرفته أو عرفني ، فأنا نفسي تناسيتُ فنسيت ، ولم يعُد بيني وبين الرسالة من صلة غير متابعة ما يُنشر فيها من الأبحاث الجياد

كان رأيي أن معاونة الرسالة فريضة على كل مصري ، لأنها صوت مصر في الشرق ، ولم يقع ما يغيّر هذا الرأي ، فالرسالة باقية بإذن الله ، وسأعاونها ما حييت ، وسأتذكر في كل وقت أنها كانت لقلمي أجمل ميدان ، وأرحب ميدان

والله عز شأنه هو الذي أراد أن يقع ما وقع ، فما كان يخطر في بالي أن لقراء الرسالة نحو كتّابها عواطف تصل إلى حد العشق ، ولا كنت أتوهم أنني سأتلقى في كل يوم خطابات من قرائي في مصر والشام والعراق ، خطابات كلها أسفٌ على ما قيل من أني خاصمت مجلة الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات

وأنا لا أستكثر أن ينزعج قرائي لفراقي ، فما كذبت عليهم في حرف ، ولا صارحتهم بغير الحق ، ولا تخوفت من تمردهم على الصراحة ، ولا دعوتهم إلى مصانعة الباطل في سبيل المنافع الفانية

والأستاذ الزيات يعرف كيف جنَى قلمي على حياتي ، وكيف خلق لي ألوفاً من الأعداء ، وكيف قضى بأن أعيش في وطني عيش الغريب

وهل ينسى حزنه لحزني يوم نجح بعض الحاقدين في محاربة الحوار الذي أدرته على لسان آدم ولسان حواء ؟

وهل ينسى العلقم الذي اجترعناه معاً ونحن نعاني ثورة

الجهّال على القلم البليغ ؟

مضى ما مضى ، وأصبح ودادى للأستاذ الزيات طيفاً من أطياف التاريخ ؛ فلم يبق إلا أن أنص على ظاهرة خطيرة ، ظاهرة مؤذية تزلزل المجتمع الإسلامي من حين إلى حين ، وهى تتمثل فى غرام الجاهلين بالغض من عقائد المثقفين ، ليقولوا إنهم وحدهم أهل الإيمان ، وليعزّوا أنفسهم عن جهلهم البغيض ، وتلك تعزية كانت تنفع فى الأيام الخوالى ، ولكنها اليوم أضيع من الضباع

كنا نجد فى عبارات المؤرخين عند التعرض لأحد المفكرين أمثال العبارة الآتية :

« وكان غفر الله له يُتَّهَم بالنظر فى العلوم العقلية »

فهل تبقى هذه العبارة وأمثالها على ألسنة بعض الخلق فى هذا العهد ؟

وأنا أوجّه الأسئلة الآتية إلى من يدّعون التفرد بالغيرة على الدين الحنيف :

إذا عجز الإسلام عن غزو قلوب المثقفين فإلى من يُصوِّب سهامه الروحية ؟

وإذا صح أن الإيمان الحق هو إيمان العجائز فما هو مصير أهل الشباب والعافية ؟

وإذا كان الجهل بشيراً بصحة العقيدة ، فما الموجب لإنشاء المعاهد العالية ؟

أتريدون الحق ؟

الحق أنى لن أيأس من أن يظفر المثقفون بمكانتهم فى المجتمع الإسلامى ، فقد نزعنا راية الإسلام من أيدى الجهلة ، وصار إلى أقلامنا المرجع فى شرح أصول الدين ، والمسلمون كلهم يشهدون بأن أقلامنا هى التى تبصّرهم بجمال الشريعة الإسلامية ، وجمال اللغة العربية ، والله يؤتى الحكمة من يشاء

أقلامنا هى التى تشرح دقائق الأدب العربى ، وسرائر الدين الإسلامى ، ولن نترك هذه الميادين للجاهلين ، ولن نرحم أعمارهم التى تضيع فى اتهامنا ظلماً بالزيغ والإلحاد

وإذا ألحدنا فمن يؤمن ؟

أيؤمن الجاهلون وقد حجبهم الجهل عن الإيمان ؟

على أنفسهم فليبكوا ، إن كانوا صادقين ، فما فوق غفلتهم غفلة ، ولا فوق جهلهم جهل ، وهم حطب جهنم ، ولكنهم لا يشعرون

الإسلام دين العقل ، لا دين الجهل ، ونحن بفضل الله ومشيئته ورعايته أنصار هذا الدين ، ولن يتلقى المسلمون مبادئه إلا عن أقلامنا ، فليرحم نفسه فلان الفلانى ، وليطمئن إلى أن متاعبه فى محاربتى لن تنال منى إلا بقدر ما تنال النمال فى نسف الجبال

لقد سمحت مجلة الرسالة لفلان الفلانى أن يشطح وينطح فى نقد كتاب النثر الفنى ، فماذا صنع ؟

انبهرت أنفاسه وانقطعت بعد خمس مقالات هى من الهزال بمكان !

هل كان الأستاذ الزيات ينتظر هذه العاقبة لذلك الفلان ؟

اسمع كلامى يا صديقى الزيات ، اسمع كلامى ثم اسمع ، فما كنت نبياً حتى تزعم القدرة على بعث الأموات ، ولا كنت سينمائياً يُنطق الصور الهوامد من وراء حجاب

قد أثق بقدرتك على المستحيل يا صديقى الزيات ، ولكنى أستبعد كل الاستبعاد أن تقدر على خلق ذلك الفلان

ولك أن تجرّب حظك إن أردت ، لك أن تحاول مغاضبة الله فتحيى من أراد الله أن يموتوا ، لأنهم جاهلون ، وإن زعموا أنهم علماء وأحياء

جرِّب حظك يا صديقى ، فنحن فى أزمان التجاريب ، وقد تصل إلى أشياء لا تخطر فى البال

وأسارع فأقرر أن نجاحك فى تجاريبك لن يصل إلى الزعم بأن إيمان الضفادع أشرف من إلحاد الرجال

لقد فرح فلان الفلانى حين رآنى أعترف بصحة ما رواه عن كتاب النثر الفنى ، وأنا أرجو الأستاذ الزيات أن يخبرني أنه رأى كتاباً فى الأدب العربى أعظم وأعمق من كتاب النثر الفنى

إن الأستاذ الزيات يؤرخ الأدب ، فليحدثنى عن كتاب هو أعظم من كتابى ، إن كان يستطيع ، ولن يستطيع

إن ذلك الناقد الحاقد لكتاب النثر الفني وقف عند مسألة شائكة ، وهى المسألة الخاصة بآرائى فى إعجاز القرآن ، ولم يقف



فى معرض الفن

للأديب نصرى عطا الله سوس

عناصر العمل الفنى هى إحساس الفنان وتخيلته ، وشخصيته الخالقة التى تحيل مشاعره وتأثراته إلى مادة جديدة لها طابعها الخاص ، والرغبة الملحة فى الإنتاج ، والقدرة على الأداء ، ثم التوفيق فى الإخراج

وتقاس قوة العمل الفنى بقوة هذه العناصر مجتمعة ، كما يتسرب الخلل إليه بقدر ما يتطرق الضعف إلى أحد هذه العناصر أو بعضها

كما يجب أن تكون هذه العناصر فى حالة توازن ، فلن تجدى قوة الأداء شيئاً إذا كانت العاطفة ضعيفة أو فجة . والفنان الكبير حين تعوزه الرغبة فى الإنتاج ويقسر نفسه عليه قسراً ، يأتى عمله الفنى مشوشاً مضطرباً تنقصه الطواعية : ذلك الإحساس الذى يتملك الفنان حين مؤاتاة الملكة فيشعر أنه فى يد قوة أكبر منه تسوقه وتلهمه وتختار له الألفاظ الدالة أو الألوان المعبرة ...

هذه مبادئ أولية — أو أظنها كذلك — ولا أدرى كيف غابت عن عقول أعضاء اللجنة التى اختارت هذه المجموعة من اللوحات وجعلت منها معرضاً للفن[1] ، إذ مستوى المعرض فى مجموعه أقل من المتوسط بكثير ونسبة المجيدين فيه قليلة جداً . وأنت إذ تلقى نظرة عابرة على ما فى المعرض من لوحات يفدحك الإحساس بأن بعض هؤلاء المصورين قد قضوا أعمارهم فى غرف مغلقة فلم يروا من محاسن الطبيعة أو جمال الكون شيئاً ، وإلا فلما اختاروا هذه الأشكال الفجة الرثة للتعبير عن عواطفهم وإحساساتهم ! ؟

وفيما يلى بعض أرقام قد تلقى بعض الضوء — أو تهيئ بعض العذر للذين يحكمون على هذا المعرض حكماً قاسياً كما فعل ناقد فى إحدى الجرائد الأجنبية المحلية فقال إن صور هذا المعرض قد طبخت طبخاً وأنه معرض كئيب !

بلغ عدد العارضين ١١٦ بينهم ٢٧ آنسة وسيدة

وبلغ عدد الصور ٣٥٨ منها ٨٥ للسيدات

وبلغ عدد التماثيل ٢٨ تمثالاً

وبلغ عدد الذين ينتمون إلى الرسم بحكم المهنة - من مدرسين وطلبة بمعاهد الفنون - ٣٧ رساماً ومثالا ، عرضوا ١١٨ صورة وتمثالاً

ونحن لا ننكر على بعض هؤلاء الموهبة الفنية ، ولكن امتلاكهم ناصية الأداء بحكم المهنة يغرى البعض الآخر باقتحام قدس الفن وليس فى مكنتهم إلا الإساءة إليه وانتهاك حرمته ، كما يفعل كثير من طلبة الأزهر ودار العلوم حين يتوهمون أنهم شعراء لأنهم درسوا اللغة العربية والعروض !

* * *

(١) معرض القاهرة الرابع والعشرون للتصوير والنحت (مايو سنة ١٩٤٤)

عند هذه المسألة إلا لأنه يعرف أن الظروف لا تسمح بأن أجازيه عدواناً بعدوان ، ولو أنى وثقت بأن كلامى يُنشَر فى الرد عليه لوضعت وجهه فى الحضيض ، لأنى فى نظره ملحد ، ولأنه فى نظرى جهول ، وقد عشنا حتى نرى التهمة بالإلحاد أخف من التهمة بالجهل !

ثم ماذا ؟ ثم يبقى ما حدثنا به الأستاذ دربنى خشبة عن الكتاب الذى أصدره الأستاذ معروف الرصافى نقداً لكتاب النثر الفنى وكتاب التصوف الإسلامى

ومعنى هذا أنى وجدت فرصة تشغلنى بالأستاذ معروف الرصافى عن ذلك الفلان ، فليحمد الله ذلك الفلان ، وليثق بأنه فى أمان

سأرى ما يقول الأستاذ الرصافى ، وسأرد عليه حرفاً بحرف ، لأنه من أكابر المفكرين بالعراق ، ولأنه شغل نفسه بمؤلفاتى شغلاً يستوجب الثناء .

زكى مبارك

أبرز صور هذا المعرض من صنع الأساتذة لبيب تادرس وحسن محمد البنانى وحسين بيكار ونظير خليل ، والآنسات مرجريت نزبك وإحسان خليل و ج . كوهين

والذى يتأمل صور المرحوم لبيب تادرس يحس أن الفن قد خسر خسارة كبيرة بوفاة هـذا الفنان الناضج الذى كان بينه وبين الطبيعة صلة روحية عميقة تنعكس على صوره في جلاء ووضوح وتضفى عليها سر الفن ، ذلك السر الذى يحاول الرائى استكناهه فيفشل

أما حسنى محمد البنانى فهو فنان لا شك فى مقدرته ، خصوصاً فى « ظل التكعيبية » و « منظر ريفى » و « مراكب » تلك الصور الرائعة التى تحاول سبر غورها فلا تستطيع ، لأن فيها قلب فنان ، وقلب الفنان أعمق من أن يسبر غوره .

وللأستاذ حسين بيكار ثلاث لوحات تنبض حياة وقوة : منها « حديقة الحب بتطوان » التى تتمثل فيها فرحة الألوان ، وتحس إذ تنظر إليها فرحة الفنان نفسه والفرشاة فى يده يودع لوحته ما أودعته الطبيعة قلبه . ومنها (حرم الدكتور أبو ذكرى) تلك الآية الرائعة التى تتمثل فى تقاطيعها الأنوثة الشرقية المحتنة والجمال المصرى الصميم ، تطل من ورائه روح عذبة وادعة تمكن من إبرازها فنان متوفز الشعور والإحساس

أما « زوريان أشود » ، فقد وفق تماماً فى قطعته الحية « زنجية » ، وهى تمثل امرأة عارية ، وهى ليست امرأة عارية حقاً بل « شكل » مجرد شكل اتخذه الفنان رمزاً لعاطفة ، وأداة لإبراز نبضات قلب . وهى نبضات غامضة مستسرة توحيها الحياة الداخلية الغامضة المستسرة ، فتبرز العاطفة من وراء الشكل ، وتنسى المرأة وتذكر القلب الحي المودع فى التقاسيم والأوضاع

كما أن « السيدة ا . ب » وهى من رسمه أيضاً صورة ناضجة حية ، ونحن إذ نطلق كلمة (حية) على صورة شخصية Portait نعنى أن الصورة لا تمثل وجهاً من الوجوه ، إنما تمثل روحاً كما تتمثل فى مرآة روح أخرى هى روح الفنان

واسترعتنى صور « نظير خليل وهبه » لما فيها من عمق الإحساس وقوة الأداء والفهم التام لمعنى الفن ، فلا إسفاف هناك أو اضطراب أو خلل فى كل ما رسم

أما صور « تيتا » – الآنسة مرجريت نزبك – فيتمثل فيها الجلال الفنى الذى ينبع من تقديس وإكبار الفنانة لفنها ، ومن هنا تبدو صورها كصلوات فى محراب الفن ، صلوات للجمال الأبدى والحقائق الخالدة التى تكمن وراء الأشكال والتقاسيم والأوضاع ، وصورها الثلاث تدل على دراية ونضوج وعاطفة قوية ، ولـكنها مستقرة لا تعرف الطفرات أو سورات الإلهام ، ومن هنا ألوانها الهادئة الرزينة

وقد وقفت وقفة طويلة أمام صور الآنسة إحسان خليل : إن هذه الفتاة فنانة حتى أطراف أناملها ، والذى يتأمل المناظر الطبيعية التى رسمتها يحس أنها تتناول الفرشاة بقلبها الرقيق لا بأصابع يديها ، ومن حسن حظ « إحسان » أن صور الآنسة عايشة عبد العال قد وضعت إلى جانب صورها ، فأظهرت تماماً مميزات « إحسان » وتفوقها !

والآنسة ج . كوهين متأثرة بالفنان (رودان) بعض الشيء ، ولـكنها فنانة مجيدة ناضجة تمام النضج ، وقد عرضت الآنسة ا . شمليان لوحتين تعتبر إحداهما من خير ما فى المعرض من صور الطبيعة الصامتة ، والثانية لا بأس بها

وأحب أن أقول كلمة عن محمود سعيد بك فقد عرض ثلاث لوحات ، وكلنا يعرف مكانة هذا الفنان الـكبير الذى سبق أن أبدينا إعجابنا به . ولـكن إذا كانت هذه اللوحات تعبر عن الفنان محمود سعيد فى طوره الحالى ، فلا شك أن فنه قد أصيب بالخرس . وقد خلا فن محمود سعيد فى السنوات الأخيرة من التنويع والتجديد ، وليس فى صوره التى رأيناها فى هذا المعرض تلك العذوبة أو القوة التى كانت تطالعنا بها صوره السابقة

كما أن الآنسة مرجريت نخلة قد ظلمت نفسها بعرضها ثلاث لوحات لا تمثل فنها كل التمثيل ، وقد رأينا لها مجموعة قوية من الصور فى معرض الفن النسائى الذى أقيم فى نادى سيدات القاهرة منـذ شهرين أو ثلاثة ، ولذا أوثر عدم الحديث عنها

* * *

وقد عرض الأستاذ الحسين فوزى ١٤ لوحة ، وإذا كان

قد نجح فى واحدة أو اثنتين على الأكثر ، فلا شك أنه نجاح الصدفة لا نجاح القدرة . ومن الغريب حقاً أن تعثر على صورة للأستاذ الشيتى عنوانها « الأمومة » ، ويبدو على وجه الأم وله العاشقة الحيرى ، وعلى وجه الطفل الرضيع مشاغل وأعباء ونستون تشرشل ، ونحن نعترف للأستاذ الشيتى بالقدرة فى الرسم والتلوين فقط ... أما الروح الفنية فلا

وقد اختارت الآنسة « أندريه ساسون » موضوعات يسهل ظهور الفشل فيها ، فظهر واضحاً جلياً إلا فى صورة واحدة وهى « فاطمة » ، ففيها شىء من البراعة . وإذا لم يكن فى صور الأستاذ يوسف كامل ما يصدم العين أو الإحساس فليس فيها ما يثير الانتباه أو يحرك النشوة الفنية

أما صور الأستاذ سند بسطا فالفن منها براء ، فهى لا تدل إلا على عاطفة قلقة باهتة شاحبة ، ولا تنبئ إلا عن الاجتهاد الذى يصطدم بحدود الموهبة وحدود القدرة على الأداء فيفشل !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فيجب أن نذكر أن الإمعان فى الصقل يذهب برواء الفن ويطمس معالم العاطفة فيه كما حدث فى صور محمود سعيد والسيدة فتحية ذهنى

ومن بين الذين نجحوا فى الصور الشخصية Porraits الأستاذ محمد حسن ، فليس هناك من ينكر مقدرته ، والسيدة اعتماد الطرابلسى فى « رأس الأميرة فريال » والأستاذ بدوى اسكندر فى « ابتسامة » التى تفيض شباباً وبشراً وحياة ، والأستاذ حسين محمد بدوى فى « الجدة » وصلاح الدين طاهر فى « توفيق الحكيم » والسيدة رايس مولى فى « صورة لمارتن » والأستاذ أحمد صبرى فى قطعتين من ثلاث ، وسمسونيان سيمون فى « رأس طفل » ، وإجادة الأخير لصور الطبيعة الصامتة خير بكثير من إجادته للمناظر الطبيعية أو الصور الشخصية ؛ وقد عرض جورج ميخائيل لوحتين إحداهما لفتاة والأخرى لفلاح ، وكلاهما فياض بالمعانى

***

وخير من رسموا مناظر الطبيعة هم : الآنسة إحسان خليل فى لوحاتها الثلاث ، والأستاذ نجيب أسعد ، وله قطعة واحدة جيدة ، هى « فى الحديقة » ، أما بقية مجموعته فهى دون المتوسط بكثير . وسعيد حامد الصدر فى « شجر » و « فى الحديقة » ، والأستاذ نعيم جاب الله فى « منظر ريفى » . كما يجب ذكر زهور الأستاذ شفيق رزق فهى خير ما عرض من نوعه فى المعرض

***

وهناك مجموعة أخرى من الرسامين نلمح فيهم الروح الفنية ، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى المستوى الذى نرجوه لهم ، ونأمل أن نرى لهم صوراً أحسن فى المعارض المقبلة ، وهم الأساتذة صدق الجباخنجى ، وكامل مصطفى محمد ، ومصطفى المهدى ، وسمسونيان سيمون ، والآنسات مفيدة شعبان وزينب محمد على

أما فن النحت فأعتقد أن تماثيل الأستاذ جمال سجينى هى خير ما فى المعرض ، ويأتى بعده الأستاذ فتحى محمود

وآمل أن أستطيع قريباً الكتابة فى توسع وإفاضة عن بعض الفنانين الذين أبدينا إعجابنا بهم ، اعترافا بفضلهم ومقدرتهم

نصرى عطا الله سوس

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٦٥ — لكنه أسد

(إخبار العلماء بأخبار الحكما) للقفطي: تفاخر ايرخس الشاعر اليوناني وأوميرس، ففخر على أوميرس بكثرة الشعر وسرعة عمله وعيره ببطاء عمله وقلة شعره. فقال أوميرس: بلغنا أن خنزيرة بإنطاكية عيرت لبوة بطول زمن الحمل وقلة الولد وافتخرت عليها بضد ذلك. فقالت اللبوة: لقد صدقتِ؛ إني ألد الولد بعد الولد لكنه أسد ...

٥٦٦ — واستمرض الله يمرضك

في العقد:

قال الأعمش: أتاني عبد الله بن سعيد بن أبي بكر فقال لي: ألا تعجب، جاءني رجل فقال: دلني على شيء إذا أكلته أمرضني، فقد استبطأت العلة، وأحببت أن أعتل فأوجر

فقلت له: سل الله العافية، واستدم النعمة؛ فإن من شكر على النعمة كمن صبر على البلية، فألح علي، فقلت له: كل السمك واشرب نبيذ الزبيب، ونم في الشمس، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله

٥٦٧ — لرخص فيه حفنة حفنة

في (تاريخ بغداد) عبد الله بن هلال البزاز: أكل أشعب مع سالم بن الجعد تمراً، فجعل يأكل زوجاً زوجاً، فقال سالم: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن القِران[1] في التمر

فقال: اسكت، والله لو رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) رداءة هذا التمر لرخص فيه حفنة، حفنة ...

(١) في حديث في أكل التمر لا قران ولا تفتيش أي لا يقرن بين تمرتين (الأساس) وإنما نهى عنه، لأن فيه شرها وذلك يزري بصاحبه (النهاية)

٥٦٨ — وأنت أنت وطنبورك طنبورك

في (مسالك الأبصار) للعمري: قال جحظة البرمكي: كنت بحضرة إسماعيل بن بلبل (الوزير) بواسط فلما انصرفت رافقني البحتري، وكان قد زاره، فلما وصلنا إلى (دير قُنَّى)[1] قال لي: ويحك يا جحظة! هذا دير قُنَّى، وهو من الحسن والطيب على ما ترى، وأنت أنت، وطنبورك طنبورك! فهل لك أن نقيم به اليوم فنشرب ونطرب وننعم ونلعب؟ فقلت: نعم، ولم يكن معنا نبيذ، فسألنا عمن يقرب منا من العمال (الولاة)، فكتب إليه البحتري:

يا ابن عيسى بن فَرُّخان وللفرس (م) بعيسى بن فَرُّخان افتخار

قد حللنا بدير قُنَّى وما نبغي (م) قِرَى غير أن يكون عُقار

فاسق من حيث كان يشرب كسرى (م)

عصبة كأنهم ظباء حرار

من كُميت توات الشمس منها ما تولته من سواها النار[2]

فوجه إليه عشرين دَنّاً شراباً، ومئة دجاجة، وعشرين حملا، وفاكهة. وعملت في الأبيات لحناً، فلم نزل نشرب عليه يومنا وليلتنا

٥٦٩ — استنباط

قال السبكي (صاحب الطبقات) استنبط كمال الدين القليوبي شارح (التنبيه) من قوله تعالى: (يا أيها النبي، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) — أن ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الأكمام، وكبر العمامة، ولبس الطيالس حسن، وإن لم يفعله السلف، لأن فيه تمييزاً لهم يعرفون به، ويلتفت إلى فتاويهم وأقوالهم

(١) على ستة عشر فرسخاً من بغداد وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان (معجم البلدان)

(٢) الكميت: الخمر لما فيها من سواد وحمرة، والكمتة لون بين بين السواد والحمرة (القاموس، اللسان) قال قوم: الكمت معرب وأصله بالفارسية كميته أي تخلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقي)

البخلاء...

للأستاذ علي الجندي

الناسُ في اللؤم أنواعٌ ، وشرُّهمو
عندي البخيلُ . ألا سُحقاً لمن بخلا
يا ليته حين لا تَندَى أناملُه
بالنائلِ النَّزْرِ بندَى وجهُه خجلا
أُعجوبةٌ في الورى أنّ البخيلَ — على
فَقْدِ الرُّجولة — يُدعَى بينهم رجُلا
يا بُؤسَ للحُرِّ أعمَتْه مطامعُه
فصاغَ من ماله غُلاً(١) — له — قَمِلاَ
هذا الجنونُ ! وكم في الناس ذو خَبَل
تُخْفِي ظواهرُه عن عينكَ الخبَلاَ
السل والبخل: ذا داءٌ يُطَبُّ له وذا عياءٌ ، وشر الداء ما قتلا
يشقى البخيل على الدنيا وفي يده أسبابُ نِعمته لو أنه عَقَلا
جرى له «المُشتري(٢)» سعداً ، فعاجَلهُ
بطبعه النَّحس حتى رَدَّه «زُحَلا»
يُمسِي ويُصبِح مجهوداً ، وليس له
مما جنَتْه يداه غيرُ ما أكلا
ويجرع الصّابَ مختاراً ، وثروتُه
تجرى ينابيعُها من تحته عَسَلا
لاقى العقوبة في الدنيا مُعجَّلةً كذلك الشر يأتى أهله عجلا

ماذا على الموت لو أخنى بِكَلْكَلِهِ على اللئام ، فنشفي منهمُ الغُللا
ما نفع زِعنِفةٍ بالمال قد فُتِنوا
لا يحسنون — سوى تحصيله — عملا
لو كان لله ما للمال عِندَهمو
من الجلال ، لصاروا في التُّقَى مثلا
ماتوا من الفقر خوفاً قبل موتهمو
والخوف موت وَحِيٌّ(٣) يسبق الأجلا

(١) قمل الغل : أصابه القمل فهو قمل
(٢) من كواكب السعود (٣) السريع

من أغاني الشاعر الحائر

«أغنيـــة روح»

للأديب ابراهيم محمد نجا

هات قيثاري ، ففي قلبي غناءْ وبعيني دموع الفرحِ
واستمع مني أغاريد الصفاءْ وأناشيد الهوى والمرحِ
مرت الأيام ، أيام الشقاءْ وأتى عهد الطلا والقدحِ
واستفاق القلب من أحزانهِ
واستراح الروح من أسر الشجونْ
وهفا قلبي إلى أفنانهِ بلبلاً يصدح باللحن الحنونْ

ذهب الليل بأحزان الظلامْ وأتى الفجر بأفراح الضياءْ
وتغنى بأغانيِّ الغرامْ كل قلب بات محزون المساءْ
فإذا روحي المشوق المستهامْ سابح ما بين أطياف الفضاءْ
وإذا الدنيا كما كنت أراها في رؤى الحب وأحلام الكرى
فكأن الفن بالحسن كساها أو براها الله خلقاً آخرا

ها هي الأزهار تندى بالجمالْ وهي نشوى بالضياء الغامرِ
كعذارى راقصات في الخيالْ أو كأحلام بقلب الشاعرِ
زفها النور ، وزفتها الظلال للفراش المستهام الطائرِ
ونسيم الفجر من لهفته ... يحتسي الأنداء من ثغر الزهور
والغدير الطلق من نشوته ... يتثنى بين أسراب الطيور

صور تفتنني كل صباحْ وتوافيني بفن باهرِ
وأنا الشاعر كم غنى وناحْ للجمال العبقري الساحر
فتولت بأغانيه الرياحْ في فضاء ما له من آخر
أين منها صورة الماضي الدفينْ في قلوب موجعات داميه ؟ !
صورة ينسجها الليل الحزينْ من خيوط الذكريات الباكيه !

إيه يا قلبيَ دع ما قد مضى من ليالي اليأس والحزن الوجيع
الشتاء الجهم ولّى وانقضى والربيع الطلق غنى في الربوع
آه لو عدت فؤاداً نابضاً بالهوى العذرى من بعد الهجوع
رب غصن قد تعرّى فاكتسى فلمَ اليأس؟ وما هذا الشحوب؟



الى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد قرأت مقالكم الشائق فى قضية نسب زياد فى مجلة « الرسالة » ؛ ولقد كنت أرجو وأنا ألمس فى أبحاثكم نفوذ النظر وثاقب الفكر أن لا تفوتكم فى هذه القضية نقطة وجيهة وذات خطورة ، وهى احتمال التلفيق وأثر الحزازات السياسية والحزبية

فمعلوم أن ما وصل إلينا من الروايات فى هذه الموضوع وغيره قد دُون فى عهد الدولة العباسية ؛ ومعلوم أن كثيراً مما دون فى هذا العهد، مما يتصل خاصة بالدولة الأموية و كبار رجالاتها ، قد تأثر إلى حد كبير بتلك الحزازات ، وأن الذى ينعم النظر يلمس تعمد التشويه والتسوىء والمبالغة والإعظام قوياً بارزاً وزياد من كبار رجالات هذه الدولة وموطديها ، وقد كان فى ولايته للعراق فى عهدها صارماً شديداً ؛ ثم خلفه ابنه فيها فسار من جهته على غرار أبيه ، ووقعت من جهة أخرى فى عهده حادثة كربلاء الأليمة التى جلبت عليه نقمة الناس ، وانتشرت عنه بسببها أسوأ الأحاديث

فهذا من وجه عام من شأنه أن يدعو الباحثين إلى التحفظ والتوقف والارتياب فى رواية نسب زياد واستلحاقه لأن لحمة هذه الرواية وسداها مطعن وغمز وتشويه وتسوىء

ومن العجيب أننا نجد الروايات تغمز نسب عمرو بن العاص بما غمزت به نسب زياد بشكل ما ؛ وهو من أعاظم رجال الدولة الأموية وموطديها ، ونجدها كذلك تسخُف فى وصف ظروف ولادة الحجاج وخَلْقه ورضاعه سخفاً مضحكا ، وهو صنو الرجلين العظيمين الأولين فى هذه الدولة ؛ بل ونجدها لا تدع رجلاً من كبار رجالات وقواد هذه الدولة إلا غمزته فى أمانته أو عرضه أو دينه أو خلقه ؛ وإنه لمن الحق أن يحمل هذا بوجه عام الباحثين فى قضية من القضايا المتصلة بالدولة الأموية وكبار شخصياتها إلى التحفظ والتوقف والارتياب ، وأن لا تجعله يكتفى بتوجيه وتخريج الروايات والبحث فى نطاقها كأنها قضايا مسلَّمة

يضاف إلى هذا أنه إذا أنعم النظر فى عناصر رواية نسب زياد خاصة ظهر فيها ثغرات عديدة تؤكد قوة احتمال التلفيق وضلع الحزازات السياسية والحزبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . ففى عناصر الرواية :

١ — أن زياداً كان يعرف بزياد بن عبيد ، وأنه كان له إخوة من أمه ومن أبيه هذا ؛ فهذا قد ينقض نقطة كون سُميَّة من البغايا العامة ؛ فإذا كان أبو سفيان قد اتصل بها سفاحاً فيكون قد اتصل بها وهى تحت زوج . فكيف يستقيم هذا مع رواية توكيد أبى سفيان أن زياداً من نطفته ؛ وكيف يمكن لأبى سفيان أن يؤكد ذلك من حيث الأصل . على أنه مما يصلح أن يكون موضع تساؤل وارتياب معاً وثغرة كبيرة فى الرواية هذا التفصيل الدقيق المروى عن اتصال أبى سفيان بسمية فى الطائف فى زمن الجاهلية ، وتداول هذا التفصيل ومعرفة شاهده العيانى أبى مريم الخمّار وأدائه الشهادة عنه بعد البعثة النبوية

إن تكن ياقلب قد ذقت الأسى ... فلكم ذاقته من قبل قلوب
لا تلمنى إذ أغنى فى الصباحْ ... بعد ما قد كنت أبكى فى المساء
فأنا الشاعر أيامى جراحْ ... وليالىَّ سهاد وبكاء
فلماذا أترك الصفو المتاحْ ... بينما أغرق نفسى فى الشقاء ؟!
إنها لحظة صفو أجتليها ... فى حياة غُشِّيت بالكدر !
إنها زهرة أنس أجتنيها ... بين أشواك الأسى والضجر !

يا ليالى الحب فى الماضى البعيد ... هل تعودين ؟ فقد عاد الأمل
وكأنى اليوم أحيا من جديدْ ... للأمانى ... للأغانى ... للغزل
ولقد حطّمت هاتيك القيود ... وتهيأت لأغلال القُبَلْ
فتعالى ... كل أيامى تهونْ ... غير أيام الغرام الأول
إنها ـ والعمر شجو وأنين ـ ... فرحةُ الزهر ، وشدوُ البلبل

يا حبيبى ها أنا بين يديك ... لهفة كبرى ، وشوقاً ، وهياما
وفؤادى ما هفا إلا إليك ... أوشكا ـ إلا لعينيك ـ الغراما
فإذا ما جاء واستاق لديك ... فاحتضنه يا حبيبى ... ثم ناما
وإذا جاء الصباح الباسمُ ... فاحبُه صفو الحنان الطاهر
إنه قلب رقيق حالم ... إنه قلبىَ ... قلب الشاعر :

بنحو خمسة وخمسين عاماً ورواية تلك الصورة البذيئة عن سمية بعد اتصال أبى سفيان بها ...

٢ — أن أبا سفيان قد اتصل بسمية فى الجاهلية وأن زياداً قد ولد أيضاً فيها . ولقد كان استلحاق أولاد السفاح فى هـذا العهد سائغاً جارياً لا غضاضة فيه ولا مطعن : وقد زعمت رواية نسب عمرو بن العاص أنه ولد سفاح وأن أباه قد استلحقه ؛ والعاص بن وائل السهمى والد عمرو من كبار شخصيات وبيوتات قريش ؛ فالقول بأن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد لا يستقيم مع السائغ الجارى

٣ — لم تصرح الرواية أن أبا سفيان قال للامام على إن زياداً ابنه حينما أعجب الإمام بموقفه الخطابى فى خلافة عمر ؛ وكل ما ذكرته قوله إنه يعرف أباه ؛ فكيف عرف أنه عنى نفسه حتى أنذره بضرب الخليفة ؟ ثم إذا كان الإمام قد عرف ذلك ـ لأن هناك رواية فيها إيماء أوضح ـ وكان فى اجتهاده أن تصريح أبى سفيان موجب لحده ؛ فهل كان يسكت عنه وهو المشهور بالشدة في مثل هذه الأمور . هذا مع أن فى رواية تهديد الإمام ثغرة أخرى ، لأن اتصال أبى سفيان بسمية وولادة زياد مما كان فى الجاهليـة والإمام أجل من أن يجهل أنه لا حد ولا بأس عى أبى سفيان ، لأن إسلامه قد جب ما قبله . ثم أليس هنا موضع تساؤل وعجب عن ذيوع حديث جرى بين الإمام وأبى سـفيان خاطفاً عابراً وغدوه من الروايات المتداولة على ألسنة الرواة ؟

٤ — إذا فرضنا أن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد عند ولادته مع تأكده أنه ابنه وأنه أعجب به فيما بعد فإنه لم يكن هناك مانع من جهة ولا مطعن من جهة أخرى فى استلحاقه لأن الحادث ممـا يتصل أصلاً فى الجاهلية ، وقد أقر الإسلام أنساب الجاهلية على علاتها

٥ — لقد كان زياد والياً من ولاة الإمام ، فهل يعقل عاقل منصف يعرف ظبيعة ورع الإمام وتحفظه وتشدده ، ويعرف ما كان ناشباً بينه وبين معاوية بن أبى سفيان أن يستخدم شخصاً يعرف أنه ابن سفاح أولاً ويعرف أنه ابن أبى سفيان وأخو معاوية ثانياً

٦ — ونخيل إلى بالإضافة إلى هذا كله أن زياداً المعروف فى شدته وقوة شخصيته والذى كان نابغة عبقرياً منذ خلافة عمر، ثم كان والياً من ولاة الإمام على ليأنف أن يعلن على رؤوس الأشهاد وفى مجلس شرعى أنه ابن زنا وأن أمه بغى، ولو كان ذلك بسبيل التحاقه بنسب أبى سفيان ، وأن معاوية الملك العربى المسلم العظيم ليأنف أن تُعوِّأ سمية أبيه واسمه فى هذه المناسبة مهما كان الباعث السياسى ، كما أنه ليس من ضرورة إلى ذلك ، وزياد هو ما هو من العبقرية والنبوغ وقوة الشخصية، ومعاوية هو ما هو من الدهاء والعقل والحـلم إلى تلك الفضيحة الخالدة على الدهر للاثنين مماً لتـكون وسيلة تضامن وتناصر بينهما

هـذا ما عن لى أن أعلق به عسا كم تتفضلون ببيان رأيكم توفية للموضوع الطريف الذى طرقتموه ولـكم الشكر والاحترام

محمد عزة

فى القافية

جاء فى قصيدة الأستاذ محمود الخفيف « جمال وشوك » بالعدد ٥٧٠ من الرسالة يصف شجرة الصبار :

وحشية ما اتخذت من حُلى إلا التى تنسبها للـُعلَى
يارب حُسنٍ إذ يرى عاطلاً أصالة السحر به أبرزت
جمـاله فهو يرى أجملا

وفى قافية الشطر الثالث خطأ يسمونه « سناد التأسيس » لأن ألف « عاطلاً » تأسيس ـ والتأسيس ألف فى كلمة الروىّ بينها وبينه حرف متحرك ـ ومتى أسست قافية فى قصيدة وجب تأسيس سائر القوافى

ولو أنصف الشاعر لقال

« يارب حسن حينما عُطّلا »

أو نحو ذلك .

(بنى سويف) **محمد محمود رضوان**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 573 | Lundi - 26 - 6 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٧٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٦ يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

تعليم الجنسين

للأستاذ عباس محمود العقاد

من القرارات التي لها شأن لا يدانيه شأن في قرارات التربية الحديثة أمر الحكومة الروسية الأخير بالفصل بين الجنسين في دور التعليم بعد أن مزجت هذا التعليم كل المزج سنوات متواليات على أساس المبدأ الشيوعي المعروف الذي فحواه أن الرجل والمرأة متساويان كل المساواة في الملكات العقلية والنفسية

وقد علقت نشرة الأخبار الحكومية التي أذيعت بواشنطون هذه التفرقة فقالت ما خلاصته إن التجارب الطويلة في تعليم الصبيان والبنات قد دلت على فارق واضح بينهم في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وما حولها. فكانت النتائج تختلف اختلافاً بيناً مع وحدة السن والمجهود، ويظهر هذا الاختلاف في طاقة العمل عند الصبي والبنت ومع تعدد التجارب والبيئات

والمعلوم أن عدد الصبيان والبنات الذي يقع تحت الملاحظة الحكومية في المدارس الروسية أكبر عدد يتيسر لأصحاب مذاهب التربية في قطر من الأقطار، فإن رعايا الحكومة الروسية يتجاوزون مائة وخمسين مليوناً يذهب أبناؤهم وبناتهم جميعاً إلى المدارس الابتدائية من سنواتهم الباكرة، وينشأ هؤلاء الأبناء والبنات في بيئات الشمال والجنوب، وفي مدن

الفهـــرس

الصناعة وقرى الزراعة وبين الشعوب الأوربية والأسيوية على السواء . فإذا تعذر الانتفاع بخلط التعليم بين الجنسين فى هذه البيئات جيماً فهى تجربة لا تمدلها فى الوفاء والتمحيص تجربة أخرى يملكها أصحاب مذاهب التربية فى عصرنا الحديث

ويضاف إلى هذا أن المشرفين على التعليم بالبلاد الروسية لهم مصلحة وهوى فى إثبات المساواة الكاملة بين الجنسين فى جميع الملكات والأعمال ، لأنهم يبنون على هذه المساواة نظاماً كثيرة تتناول الأسرة وتوزيع العمل وحقوق السياسة ، بل تتناول أساس المذهب الشيوعى كله فى مواقع الخلاف بينه وبين سائر المذاهب الاجتماعية ، فهم لا يفرقون الجنسين فى مرحلة من مراحل التعليم إلا إذا بطلت عندهم كل محاولة للتوحيد والتوفيق وإثبات التشابه الذى ينفى كل فارق من الفوارق بين الصبيان والبنات أو بين الرجال والنساء

لهذا نقول إن قرار الحكومة الروسية بالفصل بين الجنسين فى دور التعليم له شأن لا يدانيه شأن فى قرارات التربية الحديثة ، وينبغى أن يلتفت إليه ويطيل النظر فيه كل مشتغل بتعليم الصغار والكبار من الحكوميين وغير الحكوميين ، بل نعتقد أن المسألة يحق لها الالتفات وإنعام النظر فى نطاق أوسع من نطاق المدارس الابتدائية أو نطاق البحوث التى تعنى بالصبيان والبنات . لأن الفارق إذا وجد فى البنية لا يوجد فى زمن ويختفى بعد ذلك أو قبل ذلك فى أزمان ، بل هو موجود قائم فى دخائل البنية وأعماقها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره بين حين وحين

ولقد كان أناس من أساطين علم النفس وأئمة المذاهب الكبيرة فيه بين علماء العصر الحديث يقاربون هذه المسألة الجلى بعناية دون العناية التى تنبغى لأمثالها وتنبغى لهم وهم يطرقون المباحث التى تتصل بتهذيب النفوس ومصير الأجيال ، ولا نحاشى من هؤلاء أمثال « ألفرد أدلر » الذى خطر له أن يناظر « فرويد » فى دراساته النفسية المشهورة ، وهى فى تاريخ المعرفة الإنسانية فتح من أعظم الفتوح . فأدلر يقول فى موضوع تعليم الجنسين ، من كتابه عن فهم الطبيعة الإنسانية « إن أهم المنشآت التى أقيمت لتحسين العلاقات بين الجنسين ما أنشئ للتعليم المشترك بينهما »

ثم يقول « إن هذه المنشآت لا تقابل باتفاق الآراء . لأن لها خصوماً كما لها أصدقاء »

« فأصدقاؤها يحملون أقوى برهان لهم على صلاحها أن الجنسين — خلال التعليم المشترك بينهما — تنفسح لها الفرص ليفهم كل منهما صاحبه فى السن الباكرة فيقضى هذا التفاهم على الوروثات الوهمية ويمنع عواقبها الضارة جهد المستطاع . أما خصومها فيجيبون عادة بأن الصبيان والبنات يكونون فى سن المدرسة قد بلغوا من الاختلاف حداً يزيد الشعور به والانتباه إليه عند الاختلاط فى معهد واحد . لأن الصبيان يحسون أنهم مرهقون ، ويداخلهم هذا الإحساس مما يشاهد على البنات من أنهن أسرع فى النمو الذهنى خلال هذه السن الباكرة . فإذا اضطر هؤلاء الصبيان إلى المحافظة على مزيتهم وإقامة البرهان على تفوقهم بدا لهم فجأة لا محالة أن مزيتهم فى الحقيقة إن هى إلا فقاعة صابون ما أسهل ما تنفجر وتزول

« ويقول بعض الباحثين غير هؤلاء إن الصبيان فى المعاهد المشتركة يقلقون أمام البنات ويفقدون كرامتهم فى نظر أنفسهم

« ولا محل للشك فى اشتمال هذه الأقوال على نصيب من الصدق والرجاحة ، ولكنها لن تصمد للاختبار إلا إذا نظرنا إلى تعليم الجنسين معاً كأنه ميدان للتنافس بينهما على قصب السبق فى الملكة والكفاءة ، وهى نظرة وبيلة إن كان هذا هو غرض التعليم عند الأساتذة والتلاميذ . وما لم نوفق إلى أساتذة يرون فى التعليم المشترك رأياً أفضل من اعتقادهم أنه سبيل إلى التدرب على التنافس أو التنازع المقبل بين الجنسين فى المجتمع ، فكل محاولة للتعليم المشترك فاشلة إذن لا محالة ، ولن يرى خصومه من النتائج المحتومة إلا دليلاً على صوابهم بما أصابه من إخفاق »

ثم يستطرد أدلر فيقول : « وما أحوجنا إلى خيال شاعر لتصوير الحالة كلها في صورتها الصحيحة . فلنقنع من ثم بالإشارة إلى المواضع البارزة منها ، ومنها أن الفتاة الناشئة تتصرف فعلاً تصرف من يشعر بالضعة ، ويصدق عليها تماماً ما قلناه آنفاً عن الرغبة فى التعويض عند ابتلاء الإنسان بذلك الشعور . وإنما الفارق هنا أن شعور الضعة مفروض على الفتاة بحكم نشأتها ،

وأنها تساق إلى هذا الاتجاه سوقاً حثيثاً يدعو الباحثين ذوى النظر الثاقب أحياناً إلى تصديق هذه الضعة فيها ، وليس لهذا الوهم من نتيجة إلا النتيجة العامة التي يندفع إليها الجنسان حين يتعجلان خطط التزاحم والتنافس التي تشغل كلا منهما بغير ما يعنيه وما يصلح له ... »

* * *

هذه تخريجات أدلر وتأويلاته فيما عسى أن يصيب التعليم المشترك من عوارض النجاح أو الفشل قبل أن يوضع هذا التعليم موضع التجربة فى نطاق واسع كنطاق المدارس الروسية

فقرار المشرفين على تعليم الجنسين فى روسيا مفيد فى استدراك هذه التأويلات والتخريجات قبل أن توغل فى طريقها إلى تلك النتائج المزعومة

إذ لا يمكن أن يقال إن فصل الجنسين فى المدارس الروسية ناشىء من شعور الضعة المفروض على الفتاة أو البنت الصغيرة ، لأن النساء الروسيات من سن الأربعين فنازلاً قد نشأن على عقيدة التساوى بين الجنسين ولم تفرض عليهن البيئة عقيدة غيرها منذ فتحن أعينهن إلى الآن . ولو غلا الدعاة الروسيون إلى أحد الطرفين لجاز أن يكون غلوهم فى تقرير هذه العقيدة وتوكيدها لا فى ادحاضها وإضعافها ، فليست هناك ضعة مفروضة على الفتاة بحكم بيئتها ، ولا يوجد هناك من يسوقها إلى هذا الاتجاه سوقاً حثيثاً يوهم الباحثين ذلك الوهم الذي « توهمه » أدلر من بعيد

ومع هذا سجل الباحثون الروسيون أن الفرق حاصل بين الجنسين فى أدوار التعليم ، وتبين لهم أن الصبى من سن العاشرة إلى الرابعة عشرة يعانى من تجميع القوى فى بيئته عناء يثقل عليه فيبطىء نموه بعض الإبطاء ، وعلى خلاف هذا يطرد النمو فى البنات بين العاشرة والرابعة عشرة فيزدن فى الوزن والطول فضلاً عن استعداد الفهم والمعرفة

ثم يأتى دور الصبيان بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة فإذا هم الذين يسبقون البنات فى الوزن والطول والاستعداد للفهم والمعرفة . فلا يتأتى وهذه هى الفوارق بين الجنسين من العاشرة إلى السابعة عشرة أن يتلقوا معاً دروساً واحدة ويجارى بعضهم بعضاً فى مضمار واحد

وعدا هذا يأتى دور آخر وهو دور التفكير فى الفوارق بين عمل الرجل والمرأة فى الحياة . إذ ليس من المستطاع أن يناط بهما عمل واحد يؤديانه على نحو واحد من القابلية والكفاءة .

فالرجال يعدون للجندية ويدربون على فنون من الدربة الرياضية العسكرية وهم فتيان صغار ؛ ولا يقال إن النساء أيضاً يعملن للدفاع عن أوطانهن فى الجيوش . فإن الواقع أن الوظائف موزعة بين الرجال والنساء حتى فى ميادين القتال ، فلا تناط بالنساء إلا الأعمال التى توائمهن كأعمال التموين والمواصلات والتمريض وما شاكلها مما يباشرنه وراء خطوط النار

وكذلك لا تناط بهن فى تحضير الذخيرة والأسلحة إلا الأعمال التى يطقنها دون الأعمال الكبرى التى لا يصلحن لها ولا تناط بغير الرجال

وكما ينبغى أن يعد الرجال للجندية ينبغى أن يعد النساء للأمومة وما يتصل بها من فنون التربية والتنشئة والعناية بالصحة والغذاء ، ومهما يكن من التسوية بين الآباء والأمهات فى تبعة الأبوة والأمومة فلن تلغى هذه التسوية كل فارق بين الأب والأم فى النشأة والاستعداد

ولقد جرب فصل الجنسين بضعة أشهر فظهر أثر هذه التجربة فى زيادة التجانس والتوازن بين صفوف المتعلمين والمتعلمات ، وأمكن أن يستفيد الصبيان والبنات خير فائدة من كل فترة يتشابهون فيها ولا يتفاوتون

ولم يزل أساتذة التربية هنالك حريصين على مذهبهم المعهود من التسوية بين الجنسين وهما مفترقان . فقال سولوخين مدير إحدى المدارس بموسكو إن هذا التفرقة لا تفيد التفضيل والتمييز « لأن البنات والصبيان فى مدارسنا يتلقون وسيتلقون طبقة واحدة من التعليم والتدريب ، ويؤهبون أهبة متساوية لنصيبهما من عمل الحياة وينشأون على عقيدة التكافؤ بين الجنسين »

ونقول نحن إن عقيدة التكافؤ لا تهم فى هذا الموضوع ما بقى الفارق بين الرجل والمرأة فى البنية والوظيفة محسوباً له حسابه الصميم فى مراحل التعليم من الطفولة إلى الشباب

فليست المسألة التى نحن بصددها مسألة تقدير المنازل والمراتب

على ذكر رسائل التعليقات للرصافي

دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لخص الأستاذ الفاضل دربني خشبة مقولات احتواها كتاب أصدره الشاعر العراقي معروف الرصافي تدور حول الإيمان بوحدة الوجود وحلول الخالق في المخلوق

وكنت اهتديت إلى دليل علمي قاطع يدحض هذا المذهب ويلقي ضوءاً جديداً أمام العقل البشري الموغل في بحث علاقة الله بالكون حتى لا ينزلق إلى الأخذ به ... اهتديت إليه في ٥ - ١٢ - ١٩٤٠ وسطرته في سجل خطراتي اليومية . وهممت بنشره في مناسبات عدة أثناء مقالاتي عن الإيمان بالإنسان ، ولكن أراد الله أن أطرح هذا الدليل في مطارح البحث والجدل الذي سيثيره حتما كتاب الرصافي . فهذا هو أنسب الأوقات لانصباب هذا الدليل الجديد على ذلك المذهب القديم الرجعي الذي يرفع رأسه على قلم شاعر يريد أن يستخدم القرآن ورسول الإسلام ستاراً ودريئة ويزج بهما في الدعوة إلى مذهبه . مع أن القرآن وبيان رسول الإسلام ليس أوضح منهما في تبيين الحدود بين الله والطبيعة

***

وكنت وما أزال داعياً إلى ابتداء التفكير في الطبيعة وما وراء الطبيعة على ضوء التأمل فيما استطاعت قوة الخلق والمحاكاة والإنشاء المودعة في الإنسان أن تصنعه وأن تسخره ؛ لأن ما أنشأه الإنسان وما وصل إليه من أسرار الطبيعة جدير أن يغير منطقه التجريدي القديم ونظرته للعلاقة بين الله والطبيعة

ولكن مع الأسف لا تزال ظلال التجريدات والفروض القديمة تسيطر على عقول كثير من الباحثين الشرقيين في مسائل الوجود ، ولا يزالون خاضعين في تفكيرهم الديني والفلسفي لرجال المدرسة القديمة التي لم تتصل بأصول الثقافة العلمية الحديثة التي تحتك أيدي العلماء فيها بيد الله وتأخذ منها أسرار الخلق والتكوين ، ولو أن عقلا كعقل الرصافي ، أو كعقل الزهاوي اصطنع ذلك الأسلوب الذي ندعو إليه ، وهو أسلوب تجديد النظر في الوجود على أساس أسرار الإنسان الحالية ، إذن ما وجدا ضرورة إلى اعتناق مذهب وحدة الوجود . . . ولكنهما عقلان متأثران بالمباحث الصوفية وفلسفاتها القديمة التي أوغلت في بحث قد أثبتت الحياة أنه لا طائل وراءه بل وراءه كل الهلاك والبلبلة والضياع والاختلاط

ولقد غزا هذا المذهب عقول بعض الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم أنهم طلبوا أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشري المخلوق لإدراك النسب بين كائنات الطبيعة وحدها أولا . فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وإدراكه - كما هو المنتظر - ذهبوا إلى أنه لا بد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر ، وأنه يحل فيه وليس له

في ديوان من دواوين التشريفات ، ولكنها هي مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصالح لكل من الجنسين ، وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يتلقفها ببغاوات الصيحات الجديدة في هذا الشرق المسكين . فرب بدعة جديدة هي أعرق في النبساء وضيق العطن وضحولة الوهم من أعرق جهالات القرون الأولى

فمن شاء من ببغاوات الصيحات الجديدة عندنا أن يقال له إنه « على آخر طراز » فليكن كما شاء على آخر طراز يختاره في سنة ١٩٤٤ أو بعد ذلك بألف سنة أو ألفين

إنما عليه أن يردد صيحاته الببغاوية في الأقفاص التي تليق بها ، ولا يتجاوزها إلى حقائق الحياة وقواعد الآراء التي تناط بها مصائر الأجيال

عباس محمود العقاد

وجود منفصل عنه ، وهكذا نجد الوثنية التى حاربتها الأديان والفلسفات السامية سنداً عظيما من هذه الفلسفة التى تعيش فى ظلال هذا المذهب

وهكذا تتحول كل الطبيعة إلى أصنام آلهة !

وهكذا تعود الحجارة والبقر والخنفسان والخنازير معبودات إلهية ! ...

* * *

وبدهى أن النظرة الأولى تهدى إلى أن الله غير الطبيعة . وأن هناك انفصالا بين الخالق والمخلوق

ولكن النظرة البديهية هذه كثيراً ما يطمسها التأمل الذى لا يقنع بالظاهر الواضح ، ولا يرضيه الوقوف عندما يوحيه المنطق العملى ، بل يلذ له أن يلجأ إلى الفروض ويحاكم فكرة الله إليها ... ولا شك أن هذا إيغال مهلك لا طائل وراءه إلا الضياع والبلبلة

وقد ذهبت بى نظراتى فى النفس والوجود إلى أن الوقوف على سطح الوجود هو المنطق الذى لا نملك غيره ما دمنا محدودين ضئيلين فى أرض ضئيلة الحجم جداً بالنسبة إلى الوجود الأعظم الذى نرى منه بعض سطحه حين نسرح أبصارنا فى السماء . . .

فكل إيغال وراء ما توحيه البداهة يكون وراءه الشرود والجموح والبلبلة . فالإحساس بانفصال النفس عن الكون وانفصال الله عن الكون تبعاً لذلك هو تلك النظرة البديهية التى لا نملك غيرها إن أردنا أن نسير مع المنطق العملى للحياة . وأن نحل أكثر مشكلات الوجود ، وأن يطرد تقدمنا البشرى وأن تحدد المسئوليات والتبعات ، ولا تختلط الحدود ولا تسقط التكاليفات ولا تهدر قيم الأشياء

أما اعتناق مذهب (وحدة الوجود) فمعناه الاختلاط والتشويش والفوضى والتباس المقاصد وذهاب الاختيار بين الخير والشر

وبديهى أن الحياة الاجتماعية وصلاحها هى الفاصل فى الأمور الجدلية ، أو ينبغى أن تكون كذلك . والحياة الاجتماعية تأبى هذا المذهب كل الإباء ولا تحتمله لحظة . لأنه أعظم أسباب انهيارها ودمارها ! فإن الإنسان سيكون بهذا المذهب إله نفسه لأنه جزء من الخالق . . . وسيكون الآلهة بعدد المخلوقات أو بعدد الناس على أقل تقدير !

وإن الحياة الحالية لم تحتمل شطط الإنسان وجبروته ومتابعة هواه ، وهو يعتقد أنه مخلوق تافه مسئول له خالق سيحاسبه حساباً عسيراً ... فما بالكم به حين يعتقد فى نفسه أنه إله أو جزء من الإله !

لقد ضرب الإنسان العالم بالأضغان والمدمرات وأشعل الحياة وهو طفل عاجز قاصر ... فما بالكم به إذا حسب أن إرادة نفسه هى من إرادة الكون كله ؟!

إن الأمر أعظم مما يتصور هؤلاء الفلسفون المأفوكون ! وإن الحياة العقلية لم تقبل أن يكون للكون آلهة متعددة من العقلاء ... فكيف بهم إذا كانوا مجانين ؟

فاللهم اهد الرصافى فى شيخوخته ومرضه إلى منطق البداهة حتى يعود إليك على دين الفطرة التى يلقاك بها الفطريون المؤمنون الذين يتركون لك ما لم يستطيعوا إدراكه فى حياتهم المحدودة !

* * *

هـذا جدل يعتمد على النظر وتقليب المسألة أمام المنطق التجريدى الذى يصطنعه أصحاب المذهب ، ويعتمد أيضاً على التحاكم فى هـذه المسألة إلى المنطق العملى الذى توحيه الحياة الاجتماعية

ولو كان الأمر مقصوراً على هذا الأسلوب لوجد أصحاب هذا المذهب مجالا للمناقشة ورد القول وتشقيق الجدل ، وما كان طمعنا فى إفحامهم إلا بقدر

ولكن عمدتنا فى دحض هذا المذهب حجة بالغة من العلم الحديث صاحب المعجزات التى تخضع لها جميع أعناق البشر ، ولا يستطيع أن يمارى فيها الماهرون من صناع الكلام وحاذقى الجدل

حجة يبعثها التأمل بيقظة فى أسرار الأعمال الإنسانية العظيمة فى الطبيعة : تلك الأعمال التى استحالت إلى آيات من

آيات الكون يمر عليها الناس وهم عنها معرضون ، كما يفعلون مع آيات الله فى الآفاق ...

وهى تَسَلُّطُ العقل البشرى « باللاسلكى » وتحكمه به فى الآلات وإدارتها ورصدها من بعد شاسع ، وانفصال تام بين العقل الإنسانى والآلة . . . فقد رأينا (ماركونى) يضىء مكاناً فى استراليا وهو فى أوربا ... ورأينا الدبابات تزحف والطائرات تطير وتحارب وليس فيها سائقون ... وإنما يديرونها ويتحكمون فى تحريكها من بعد

ورأينا « رادار » تلك العين السحرية العجيبة التى حدثتنا مجلة (المختار) عن التقائها أو التقاء الإنسان بواسطتها بالأحجام على مئات وآلاف من الأميال . ومع أنها فى المهد الباكر من اكتشافها والانتفاع بها ، فقد انتفعت بها انجلترا فى مقاومة الغارات الألمانية فى معركة انجلترا

ورأينا أن ما يحدث لتلك الآلات ينتقل إلى ذهن الإنسان الراصد لها فى لحظة . فهو معها بعلمه وقدرته وإرادته يصرفها كيف شاء مع الانفصال التام والبعد الشاسع بينه وبينها . وهو يكونها ويركبها ويجعل فيها عقلاً وروحاً يحركها وتصرفها . وما دام قد أعطاها قوانينها فلا لزوم لوجوده فيها والمكث بجانبها أو الامتزاج بها

أفلا تقاس على هذا الأساس علاقة الله بالكائنات ؟ وتحل بذلك تلك المشكلة التى خلقتها عقول من لم يروا لهم سبيلاً غير اعتناق مذهب وحدة الوجود ؟ بلى ! فإن ما يقدر عليه الله لا يذكر بجانبه ما يقدر عليه هذا الإنسان الضئيل العاجز . ولا شك أن من كمال الإنسان أن يقدر على التصرف فى « مخلوقاته » من بعد ، وأن يرصدها ويرقبها ويوجه إرادته إليها وهو متحرر منها منفصل عنها لا يشعر بضرورة الاتصال بها والتقيد بحيزها الضيق ... فأولى برب الكمال المطلق والقدرة المطلقة والإرادة القاهرة أن لا يكون عليه لشىء سلطان وألا يتقيد بقيد

وإن فى ذلك آية يرسلها الله من التأمل فى أسرار الإنسان ووحى أعماله فى الأرض ... وسبحان الله ! لقد أقام من الإنسان دليلاً ووسيلة لحل كثير من العقد والمشكلات ، وخلقه صورة مقربة لبعض شؤونه الجليلة التى يتعجل المتعجلون فى الحكم عليها بعقلهم القاصر وفى مدى عمرهم المحدود الذى لا يقاس إلى الأبد الكبير الذى يظهر الله فيه شؤون الخلق والأمر فى أدوارها وأوانها الموزون المقدور و« لا يعجل لعجلة أحدكم » كما قال « محمد » سيد الأصفياء العارفين بشؤون الله !

وقد قلت مرة : إن الحياة لم تنته ولم يبد أنها تقرب من نهايتها التى تتضح بها غاياتها وتنضج ثمراتها . فلا يليق بالفيلسوف أن يحكم حكمه النهائى عليها قبل انكشاف غاياتها . وأولى به أن يرصد الأدلة التى تلدها الأيام وتضعها على طريق الأحياء يوماً فيوماً لترشد السالكين وتشير لهم إلى الأمام

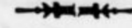
ومنذ أن اهتدى الإنسان إلى وجود القوة التى يظهر أنها « مادة » الطبيعة الأولى وهى الكهرباء ، وبعد أن شرع يدس يده وفكره فى هذه القوة الخفية ويستخدمها ويحرك بها ما يشكله من المادة . ومنذ أن ظن أنه سيصل إلى أن يكثف هذه القوة بدرجات مختلفة تحت ضغوط معينة ليخلق منها العناصر المادية المتبلورة الثلاثة والتسعين ... منذ ذلك كله ، ينبغى للمفكرين التجريديين أن يتربصوا أفعاله وكشوفه ليبنوا عليها أحكامهم ومنطقهم وأن يقتصدوا فى تلك الفلسفات الفرضية والشطحات الصوفية التى لا نهاية لها ، لأنها «ذاتية» وليست «موضوعية» موضوعها ذلك الكون المادى العجيب الذى استمددنا منه عقولنا وأحكامنا . وأن ينادوا معنا إلى الصوفية المادية التى تعجب وتتعبد بالفكر فى الطبيعة الظاهرة وأعمال الله وأعمال الإنسان فيها ، وتتعلق بالمحسوس قبل التعلق بغيره حتى تفرغ منه قبل نهاية رحلتها على الأرض ، ثم تلتفت – إن قدر لها البقاء على الأرض بعد هذا الدور – إلى ما وراء الطبيعة لتبحث فيه وتحكم عليه

عبد المنعم خلاف

بحث نفسي عملي

العقـــل الباطن
ما هو وكيف تصل إليه ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو



شبه وليم جيمس العالم النفساني المعروف العقلين الواعي والباطن بكتلة من الجليد عائمة في البحر . عُشرها يُرى طافياً على سطح الماء ، وتسعة أعشارها مغمورة فيه . ويهمنا أن نذكر أن ليس هناك كتلتان — واحدة فوق سطح الماء وأخرى تحته — ولكنها واحدة فقط تسعة أعشارها مغمور

وفي تشبيه البروفيسور جيمس ، نرى أن العقل ككتلة الجليد ، عشره واع . والعقل الواعي هو العقل المفكِّر ؛ عقل الدراية ؛ العقل الذي يبت في الأمور . وتسعة أعشار العقل باطن — أي تحت مجال الشعور ... ليس هناك عقلان ، وإنما هما حالتان متباينتان للعقل

العقل الباطن هو مستودع الذاكرة . هو مركز عواطفنا وغرائزنا ؛ يسيطر على أفعال الجسم العادية المنعكسة وغيرها من الأفعال اللاشعورية . وهو يباشر تجديد بناء الجسم حينما تموت خلايا قديمة وتولد أخرى جديدة . العقل الباطن لا يناقش قانونه الإيحاء ، فهو يتلقى الإيحاءات الموجهة إليه من العقل الواعي ثم يبدأ في العمل على إبداع الحالات التي توافق تلك الإيحاءات . وهذا هو السر الأعظم للنفوذ العقلي على الإنسان . وإن الرجال أو النساء الذين يقدِّرون هذي الحقيقة ويتعلمون بالتمرين ليصلوا العقل الباطن ويغرسون فيه إيحاءات الصحة والسعادة والقوة والتحصيل ، يمكنهم أن يكونوا أساتذة أحراراً لأنفسهم ومصايرهم مجددين بناء أنفسهم في حدود كون أوسع وأنبل وأقرب إلى الغاية البشرية العليا

والطرق التي ينصح بهـا علماء النفس للوصول إلى العقل الباطن تتطلب هدوءاً وجهداً ذاتياً ، وانسحاباً من مشاغل الحياة كثير من أساتيذ علم النفس والعلوم العقلية يؤكدون أهمية العقل في الهيمنة على التصرفات الإنسانية ، كما في حالة الصمت مثلاً ، فقد يكون الصمت مطلوباً لذاته ، بيد أن طلاب العلوم النفسية يكابدون آلاماً في سبيل هذا الصمت . وإذا حملنا النفس في مثل هذه الحالة على الرضوخ إلى الفكرة اللاشعورية يكون التأثير إثمه أكبر من نفعه

والطرق المتبعة يمكن أن تُمارس في الطريق إلى عملك ، وفي عملك ، وفي بيتك ، ومهما يكن عملك . يمكنك الوصول إلى اللاشعور طول يومك ، وبواسطة الإيحاءات المغروسة فيه تحوِّل حياتك كما تريد

١ — لقد تعلمنا أن اللاشعور هو مستودع لجميع الأفعال الانعكاسية والاعتيادية . وكل عادة من عاداتك تكون كأمر محقق ، عاملة على التأثير في العقل الباطن . ونحن نبني العادات بتكرار أفعال ثابتة . وكل عادة تطبع نفسها على اللاشعور ؛ تكون في الواقع شيئاً من اللاشعور Subconscions وأنت لا يمكنك أن تكوِّن عادة من غير أن تعمل تخطيطاً في العقل الباطن ، ومن ثم تسمى هذي العادات انعكاسات . وأنت تتصرف بطرق مبهمة بدون فكرة متيقظة أو إرادة . وهذه العادات تباشر سلوكك حتى أن الطريقة العملية للوصول إلى اللاشعور تكون ببناء العادات الحسنة ، وهذه تُبنى بالتكرار الدائم . أبدل عاداتك السلبية بعادات إنشائية . وبذلك تتحول حياتك بواسطة هذه الطريقة الوحيدة — طريقة القيادة اللاشعورية — مثال ذلك أن رجلاً في السادسة والسبعين من عمره اعتاد الإسراف في التدخين . ولقد حاول مرات عدة أن يقلع عن هذه العادة . والآن ، ما عادة التدخين ؟ هي التدخين ، مراراً وتكراراً إلى أن صارت حركة عادية . فلكي تقطع العادة عليك أن تغطيها بعادة أخرى . لقد بدأ هذا الرجل بالإقلاع عن التدخين . لقد شعر أول مرة أنه يحب التدخين ، ولكنه قال « لا » تلبية للمؤثرات الداخلية . إن له رغبة في التدخين ولكنه لم يفعل . وفي المرة الثانية استجاب كذلك للرغبة ، على حين كاد يبدأ في تكوين عادة أخرى . وفي المرة الثالثة كان ينمِّي ببطء عادة معاكسة للتدخين « لا . لن أدخن » فبمجرد أن فعل هذا عدداً

من المرات كوّن عادة عدم التدخين . وهكذا ركّب عادة على أخرى بهذه الطريقة حتى امّحت السابقة

إن هذا سيعطيك مفتاحاً لمنع أية عادة ، أيا كانت لا سيما إذا كانت عادة طبع سيء . والطبع هو تلبية تؤثر في الإحساسات لتنبيه من الخارج الذي يقلقنا

٢ — العقيدة هي الوسيلة المستترة للوصول إلى اللاشعور . فالذي تعتقد فيه برسوخ يصير في العقل الباطن أثراً سائداً . وآثارك السائدة هي التي تقودك . ولهذا يجب أن يكون لك عقيدة ، لأن وجهة نظرك ستحكم أفعالك

إذا كان لك عقيدة غير معقولة — عقيدة مبنية على خرافة وجهل وخوف وكذب لا تقوى على البحث العلمي — وتضحى حياتك ملتوية ، ضيقة وبيلة ؛ ولكن إذا كانت لك عقيدة غير مكبلة بقاعدة أو مبدأ ، لم يفسدها خوف ، عقيدة في سمو الحياة ، والاعتقاد الذي لا شك فيه للوجود غير المتناهي ، عقيدة في الاستقامة الجوهرية للأشياء — هذه العقيدة السماوية هي التي سوف تجعل من حياتك جنة ؛ وتطهر شعورك الباطن ، وفي هذا تطهير لقواك الواعية

٣ — لقد بينا أن اللاشعور هو مستودع الذاكرة ، وكل شيء تذكره يهبط إلى اللاشعور ، فإذا أردت أن تصل إلى العقل الباطن فما عليك إلا أن تستذكر شيئاً . استذكر الفِكَر العظيمة ، فإن لها أثراً مدهشاً ، وهذا هو السبب في أنك في الصيف يروقك كثيراً أن تحوطك المناظر الجميلة . خذ أجازة أسبوعين تمضيهما في جهات خلوية تر فيها عجائب الطبيعة منتشرة أمامك . ثبّت هذه الصور في اللاشعور . استذكر بعض أبيات شعر جميلة ، أو فكرة منبهة ، أو عبارة نبيلة ، ستفتح باباً من أبواب اللاشعور ، وتضع فيه اهتزازات شافية وتأثيرات فعالة

٤ — قانون الهدوء يتطلب تركيز قواك الباطنة على شيء محدود فتكون سيداً وعقلك الباطن خادمك . إلق مطالبك على اللاشعور فعنده القوة على إجابة طلبك ، وله القوة على العمل بأمرك إذا عملت على إلقاء طلباتك بقوة كافية . إذا أعطيت إيحاءاتك إلى اللاشعور بطريقة مترددة ومسايرة للزمن ، لا يمكنك أن تنتظر نتائج من أي نوع

عندما تذهب إلى عقلك الباطن لا ترج ولا تتملق . بل إلق أوامرك على اللاشعور كأنما أنت قائد وهناك ملايين الجنود في انتظار سماع أوامرك لتفعلها . إلق أوامرك ؛ وليكن رجاؤك هو الأمر الهادئ بدلا من الالتماس الحقير — هذا هو الرجاء حسب الأصول العلمية

٥ — قدّم رجاءك الاصطلاحي إذا شعرت بدافع . ادفع الإيحاء إلى جميع مشاعرك على قدر ما تستطيع . مثال ذلك : إذا أردت نظراً صحيحاً فكر فيه ، وقل : « أعين سليمة ، أعين سليمة » ، ما الذي يفعله هذا ؟ إنه يدفعها إلى الأذنين . ثم انظر لنفسك في مرآة وتصوّر عينيك كأنهما سليمتان تماماً . اكتبها على قصاصة ورق . اكتب خمسين مرة « نظر صحيح » فهذا ينبه حاسة النظر . اطبعها على اللاشعور بواسطة جميع الحواس المختلفة

٦ — صور الأشياء غير منظورة لعقلك في رسوم . ويمكنك أن تطبع في اللاشعور رسماً بأكثر سهولة من فكرة مختلسة — ازرع القدرة على التصور ، أي القدرة على إتيان صور عقلية واضحة وعيناك مغلقتان . شاهد نفسك كاملا ، فاعلا الشيء العظيم الذي تتمنى أن تفعله ، ما حاجتك ؟ أنت تشتغل في شركة بكفايتك الضئيلة بأجر زهيد ؟ إذن صوّر نفسك لعقلك أنك رئيس أو مفتش . انظر لنفسك كأنك أنت هذا الرجل وأنك تقوم بعمله . احتفظ بهذه الصورة دائماً أمامك

٧ — في الصباح المبكر عند استيقاظك من النوم ، وفي المساء قبل أن تأوي إلى فراشك ، لحظتان سيكولوجيتان . يكون الشعور فيهما في تأدية وظيفته عن جزء فقط ، واللاشعور في رقوده مفتوحاً . فحالما تفتح عينيك في الصباح ، لتكن أول فكرة لك هي الفرح . الفرح باستقبال فجر يوم جديد . استقبله بابتسامة واغتبط بمرور ليلة وبدء يوم آخر . ردد قولك : (اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك ، فلك الحمد ولك الشكر)

هذه الأفكار الحسنة ترفعك فوق كل شيء حقير ، وتضعك في جو من الأمن والفرح والجمال والقوة

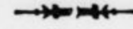
استعمل اللحظة السيكولوجية فإنها ستفتح اللاشعور

(اسكندرية) عبد العزيز جادو

٤ ـ رسائل التعليقات للرصافي

« كلمة أخيرة »

للأستاذ دريني خشبة



وبعد ، فقد عرضنا على القراء فى كلمتنا الأولى عن هذه الرسائل آراء الأستاذ الرصافى التى يلحد بها فى الله وفى الإسلام والتى نقلتها الرسالة عن الأستاذ أمين الريحانى ، عن الرصافى سنة ١٩٣٥ ؛ ثم عرضنا فى كلمتنا الثانية طائفة من آرائه تلك ، أوردها فى كتابه الجديد الذى علق به على كتابى الدكتور زكى مبارك : التصوف الإسلامى والنثر الفنى ، ومن بين هذه الآراء إيمانه المطلق بوحدة الوجود وما ينبنى على هذه الوحدة من آثار أخلاقية هدامة ، ثم رأيه فى تأليف القرآن ، والأدعية (ومنها الصلاة) ، والبعث ، والجبر ، وتساوى المتضادات من خير وشر ، وتقى وفجور ، وترهب وخلاعة . ثم إنكاره للثواب والعقاب على النحو الذى جاء به الإسلام . ثم دعوته المسلمين إلى الأخذ بآرائه إن أرادوا أن يكون لهم مجد ، أو أرادوا بين الأمم مقاماً محموداً . ثم أثبتنا فى كلمتنا الثالثة فساد ما ذهب إليه الأستاذ من أن نظرية وحدة الوجود هى شىء من صنع الرسول الكريم ، لم يعرفها العالم إلا حينما جاء بها محمد . ثم ما كان من اهتداء متصوفة المسلمين إليها بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان . أثبتنا فى كلمتنا الثالثة فساد هذا الزعم لأن نظرية وحدة الوجود فكرة ترددت فى الفلسفة اليونانية ، فقد قال بها إجزنوفانس Xenophanes الذى كان يؤمن بالحلول ، وأشرنا إلى ما كان يزعمه هرقليطس من التقاء المتضادات وتساوى الخير والشر وجميع المتناقضات بناء على ذلك ، لأن التناقض فى زعمه ، هو فى نظرنا فقط ! وذلك وما قبله هو لباب نظرية وحدة الوجود ! وأشرنا كذلك إلى ما ذهب إليه أناجزاجوراس Anaxagoras من تعدد العناصر ووجود قوة عاقلة ـ ال Noös حالّة فى الكون متحدة به ، تتولى تحريكه وتنظيمه ـ ثم أتينا على ما انقسم إليه تلاميذ سقراط من بعده من حيث نظرة كل منهم إلى الفضيلة أو السعادة . ونشدانها ... فالكلبيون ينشدونها فى الجهل والزهد والتقشف والقورينيون ينشدونها فى اللذة ، واللذة الحسية بنوع خاص ـ وهو ما يذهب إليه معظم متصوفة المشرق ـ هداهم الله ـ والميجاريون ينشدونها فى التأمل الفلسفى ، ثم وقفنا من أفلاطون أمام ثالوثه العجيب : المادة ، والمُثل ، والله ، وما كان من اضطراب أرسطو فى تصور ذات الله ، هل له وجود مشخص مستقل ، أو هو صورة مجردة معنوية ؟

استعرضنا هذه الآراء اليونانية لنثبت أن نظرية وحدة الوجود ليست شيئاً جاء به محمد أو تضمنه الإسلام ، لأنها إفك لم ينته الفلاسفة من شأنه إلى شىء يطمئن إليه قلب أو يؤمن به عقل ، ولأن الإسلام دين الفطرة ودين الاستقرار يأبى أن يسلم الناس لفوضى لاضابط لها ولاخير للأنام فيها ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن التفكير فى ذات الله ، وأمرهم بإدمان التفكير فى مخلوقاته ، كان الحكيم الأعظم الذى يهدى للرشد ويجنب الأمة مهاوى الضلالات ، وإن أخذنا إخذ رسول الله ليس دعوة إلى الجمود والحجر على حرية الفكر ، ولكنها دعوة ضد الباطل الذى ندعى إليه ولا خير لنا فيه ... بل هى تصرفنا عن الجد الذى تأخذ به أمم العالم نفسها إلى هذا العبث الذى يضحك الدنيا بأسرها علينا ، ويجعلنا موضع سخريتها وازدرائها ... لقد أمرنا نبينا بالتفكير فى مخلوقات الله لنستثمر تفكيرنا فى مخلوقاته فى صنع مدنيتنا وتوفير سعادتنا ، ولو قد عرف رسول الله خيراً فى التفكير فى ذات الله لما ضن به علينا ، ولكنه أشفق على هذا العقل البشرى الذى لم يطّلع من أسرار الوجود إلا على أنفه مقدار لا يعتد به ... أشفق عليه من مثل هذا الضلال الذى انتهى إليه الفلاسفة من بحثهم فى ذات الله ... أليس حسبنا أن نعقل أن هذا الوجود الفانى الجميل لا يمكن أن يكون موجوداً بنفسه ! ألم ندرس علم طبقات الأرض وعلم الفلك وعلم الحياة وعلم النفس ؟ أى مقدار عجيب من المعرفة هدتنا إليه هذه العلوم ؟ أكل هذا السحر العلمى المعجز شىء لم يهبنا إياه إله حكيم قادر ؟ ثم هذه الوحدة الوجودية التى يهرف بها عقل المخرفون : هل لها عقل ؟ وهل ترى وتسمع ، وهل هى مادة

صرفة أو روح صرف ، أو مادة وروح ؟ ثم ما قيمة نظرية خائبة لا تفرق بين الخير والشر ، وبين الأبيض والأسود ، وبين التقوى والدعارة ، وبين الزهد والجشع ، وبين الفضيلة والرذيلة ، وبين السجود بين يدى الله ، وإكباب المرء على حياته ؟! ما هذا البلاء الذى يدعونا المأفونون إليه ، ويزعمون أن عدم أخذنا به ووقوعنا فيه هو سبب تخلفنا وعلة تأخرنا ؟ ماذا يريد هؤلاء ؟ أيريدون أن تكون الدنيا داراً واسعة شاسعة يعمرها قوم من المجاذيب ؟ ! هل فرغنا من استكناه أسرار خلق الله ، فلم يبق إلا التفكير فى ذات الله ؟ ! هل انتصرنا على أمراضنا فشفيناها ، وعلى مشكلات الفقر والجوع والجهل فحققناها ، وعلى استئصال الشر من النفس الإنسانية فمنعنا الحروب وعالجنا الآفات ؟ ! هل عرفنا سر الكهرباء ؟ هل اهتدينا إلى (ذات !) المغناطيس و (ذات !) الضوء و (ذات !) أنفسنا فلم يبق إلا أن نهتدى إلى ذات الله ! وهل يعقل أن ندرس الهندسة الفراغية ونحن لا ندرى شيئاً عن الهندسة النظرية ، أو حساب المثلثات ونحن نخطئ الجمع والطرح !

أليس يكفى أن تكون هذه النظرية قائمة على ذلك الخيال الأخلاقى ليثبت أنها فاسدة ، وأنها لا بد أن تكون تعلة يتعلل بها المؤمنون لستر نواحى الضعف فى أديهم المنهار ، وسلوكهم المريض ، وخلقهم المعتل ؟ إنهم مثل القورينيين من تلامذة سقراط ، ينشدون اللذة ، واللذة الحسية الخسيسة على وجه الخصوص ، وانغماسهم هذا الذميم فى اللذات هو الذى جعل أذهانهم تتبلد ، وأرواحهم تصدأ ، وتفكيرهم يسف ، فراحوا يوهمون هواهم أن الخير والشر سواء ، وأن التقى والدعارة صنوان ، وأن المصير واحد ، وأن سبب تأخر الأمم الإسلامية وتخلفها هو هذا التقشف الذى لا موجب له ، وهذا الفهم السيئ لما جاء به محمد من شريعة أخذناها بحرفيتها ولم نعبث بها فخورناها وأولناها ، وفهمنا ثلاثة أرباع هذا القرآن الكريم على أنه آيات تمثيلية يخوف بها الله ، فهو — سبحانه وتعالى عن هذا البهتان — يقصد بظاهرها الأميين ، ثم جعل لها باطناً لا يعرفه إلا الراسخون فى علم وحدة الوجود من الزنادقة الذين اتصلت نفوسهم بنفس إبليس الأكبر ، ولم تندمج فى الله ... أو فى الوجود الكلى كما يكذبون ويبهرجون ويلفقون .

وبعد أيضاً ...

فحسبنا أن نأتى على نظرية وحدة الوجود من جهتها الأخلاقية هذه لنراها تنهار من أساسها ، فنريح أنفسنا من تكرار ما قاله ابن حزم والشهرستانى ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وأبو منصور عبد القاهر البغدادى فى توهينها ثم تكذيبها وتبيان زيفها ، مما هو مذكور مشهور ، ومما يسهل على كل قارئ أن يرجع إليه ليرى كيف حارب علماؤنا الأعلام تلك الفئة الباغية ... ثم نريح أنفسنا من الرد على المكذبين بالوحى وبالقرآن ، المتحللين من شريعة الله السمحاء التى يتخذونها هزواً ، ويملؤهم الغرور فيأبون أن يؤمنوا كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يفقهون .

وحسبنا أيضاً أن ننبه إلى ما يقع فيه هؤلاء الأنجاس من أخس ألوان الحب الحسى والانحراف الشديد القذر فى هذا الحب مما نقرأ أخباره عن أئمتهم وأقطابهم ، مما أورد بعضه أبو عبد الله الزنجانى فى أطروحته ، وما نجد أخباره فى الكشكول وروضة المحبين وديوان الصبابة وتزيين الأسواق وتلبيس إبليس ويتيمة الدهر وكتاب الكنايات ... ودفاع الصديق الأعز الدكتور زكى عن الصوفية فى هذا الميدان — وهو من البقع التى ذكرت فى حديثى الأول — لن يغنيهم شيئاً — فقد شوى جلودهم فيما يتعلق باستنتاجاتهم الخبيثة فى التقاء المتناقضات وتساويها فى نظرية وحدة الوجود ، وقد هاجمهم غير مرة ، ولا سيما فى باب التجريد

وحسبنا أن ننبه مرة ثانية إلى أن وقوعهم فى الموبقات الحسية هو الذى جعلهم يلتمسون تبريراً لها بقولهم إن الشريعة للعوام والحقيقة للخواص أى لهم ، ورحم الله ابن القيم فقد

٦ – القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

لقد كنا على حق حين شرَّحنا الدكتور زكى مبارك وحللناه وفضحنا موقفه من الإسلام والقرآن . و كنا على حق حين قررنا أنه يتخذ الأدب حيلة ووسيلة إلى محاربة الله الذى أنزل القرآن آية منه سبحانه ، هى عند من يفقه ويعلم أكبر وأعجب من آياته فى السماء والأرض . و كنا على حق حين قلنا إن اتخاذ زكى مبارك الأدب وسيلة لإفساد الخلق بنشر المجون ، ولإضلال النفوس بنشر الإلحاد ، هو أول تلك المحاربة وليس بآخرها ، وإن يكن بعدُ أظهر مظاهرها ، فإن محاولة إبطال حكمة الله فى جعل كتابه الذى أنزله على آخر أنبيائه ورسله معجزة أدبية ، هى محاربة لله من غير شك . وزكى مبارك يحاول إبطال تلك الحكمة عن طريقين : طريق نظرىّ هو الدعوة إلى إنكار إعجاز القرآن ليبطل عند صغار العقول أمثاله أن القرآن من عند الله ؛ وطريق عملى هو العمل على جعل الأدب إباحياً شهوانياً بعد أن جعله الله فى القرآن وبالقرآن إصلاحياً ربانياً . لقد أحيا الله بالأدب أمة ، وأنزل معجز كتابه للانسانية رحمة ، وزكى مبارك يريد أن يعين بالأدب على موت أمة ، أو أن يسد باب الحياة ويديم فتح باب الفساد والفناء على هذه الأمة المبتلاة به وبأمثاله من اللاحدة الإباحيين

ولسنا نريد ظلم زكى مبارك ، فهو فى هذا تابع مقلد ، لا مبتكر ولا مبتدع . فقبله كان أبو نواس وأمثال أبى نواس من الذين صرفوا الأدب عن الوجهة التى شرعها الله للناس فى الأدب بالقرآن ، فجعلوا الأدب للغواية بعد أن كان للهداية ، وجعلوه للشيطان بعد أن كان لله . وقبله كان ابن الراوندى وأمثال ابن الراوندى من أهل الأهواء الذين أرادوا أن يهدموا الإسلام فلم يهدموا ولم يهلكوا إلا أنفسهم ، والذين كانوا يبغون كلام الله عوجا ، فلم يقع العوج إلا بهم عقلاً ونفساً وقلباً وعملاً ، كما وقع بعقل زكى مبارك ونفسه وقلبه وعمله ، وذهبوا وبقى كلام الله ، كما وصفه الله سبحانه وتعالى : (قرآناً عربياً غير ذى عوج) و (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)

ولقد ندم أبو نواس وما ندم زكى مبارك ، وما أظنه يندم . ندم أبو نواس حين قال : (فإذا عصارة كل ذاك أثام) ، وحين قال: (وتذكرت طاعة الله نضوا) . وما ندم زكى مبارك حين يقول — فى بعض ما كتب بعد كتابه التافه الفاسد الذى شغلنا بهذه الكلمة عما كنا بسبيله من تبيين تفاهته وفساده — يقول محدثاً عن نفسه فى العراق : (يئست من الصيد فى الحرم الحيدرى بعد فرار تلك الغزالة ، وبدأت أعتب على سيدنا على بن أبى طالب ، فمثلى لا يكرم فى رحابه بالماش والجلاش ، وإنما يكرم مثلى بالهيام فى أودية الفتون) ! وليت سيدنا علياً (كرم الله وجهه) كان حياً يسمع عتبه ، إذن لأكرمه بالعصا أو بالحجر ، جزاء

نكل بهم من أجل هذا[1] ، ورحم الله الشافعى حيث قال :

« لو أن رجلاً تصوف أول النهار ، لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق » وحيث قال : « ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً »

وصدق الله العظيم القائل :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ثانى عِطْفِه ليُضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه فى الآخرة عذاب الحريق »

وحسبنا الآن أن نترك الكلمة للصديق الأعز الدكتور زكى ، ليناقش آراء الأستاذ الرصافى ، وليرى إن كان يدعونا الأستاذ إلى دين جديد

دمينى خشبة

(١) تلبيس إبليس ص ٣٦٦ وما بعدها

الماجنين المتهتكين أمثاله . ذلك فى العراق ، وفى مصر لم يندم حين يقول تحريضاً على الفجور فى بعض ما كتب : (ارجعوا ، فالفضيحة فى غرامى تكريم وتشريف ، لأنى قيثارة الغرام فى ألحان الخلود) ! ونعوذ بالله من غرور يؤدى إلى خبال ! فما سمع قبل اليوم أحد فى أدب مكشوف أو مستور ، بتكريم فى فضيحة ، أو بقيثارة فى ألحان ، إلا من مثل هذا الدعى الذى يكذب على الأدب وعلى الناس كما يكذب على الله

ولقد أصر ابن الراوندى كما يصر زكى مبارك على محاربة الله ورسوله بالكذب والزور وقلة الحياء . وهل كذبٌ أفظع أو زور أشنع من زعم هذا الرجل فى كلمته الأخيرة أن القول بإعجاز القرآن جهل ، وإن إنكار الإعجاز علم ، وإن الإيمان بالقرآن كما آمن ويؤمن المسلمون من لدن عصر الرسول إلى اليوم هو إيمان العجائز لا إيمان أهل الشباب والعافية ؟ إذن فماذا كان إيمان أمثال على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ، ومن إليهم من شباب الإسلام الذين صار كثير منهم بعد شيوخا ، والذين جاهدوا فى شبابهم وشيبهم من كان على مثل إيمان زكى مبارك اليوم؟ أفكان إيمان أولئك يمت إلى عقيدة زكى مبارك بصلة وهو يقول ما يقول فى القرآن ؟ أم كان إيمانهم إيمان عجائز يقوم على مجرد التصديق وإيمانه هو يقوم على الدليل والبرهان ؟ والله لو كان إيمانهم كذلك لكان خيراً ألف مرة مما يزعمه زكى مبارك لنفسه من إيمان هو في الواقع لا إيمان ، ويقين هو فى الواقع شك وإلحاد . إذ ما فائدة الدليل والبرهان إلا أن يوجد عند صاحبه ذلك الإيمان القرآنى الذى لا يتزعزع ، إيمان العجائز الذى يتهكم به زكى مبارك الآن ؟ وإذا وجد هذا الإيمان الراسخ الراسى عن طريق التصديق البديهى ، فما الحاجة إلى سوق الأدلة والبراهين ؟ ومع ذلك فالأدلة والبراهين متظاهرة متضافرة ، لا تدحض ولا تنقض ، ولكن زكى مبارك وأمثال زكى مبارك قوم لا يفقهون

ومن وقاحة هذا الرجل ومكابرته التى لا حد لها زعمه الذى زعم من أن المرجع فى شرح أصول الدين صار إلى مثله — والعياذ بالله — وأن المسلمين كلهم يشهدون بأن أقلام من لف لفه هى التى تبصر المسلمين بجمال الشريعة الإسلامية وجمال اللغة العربية ، والله يؤتى الحكمة من يشاء ! فهل رأيت صفاقة أوقح من صفاقة هذا الذى ينكر أن القرآن امتاز بأسلوب ثم يزعم أنه بجمال اللغة العربية بصير ، وينكر من الشريعة الإسلامية أسسها ويزعم أنه بجمالها خبير ، ويقول فى بعض ما كتب : « أعبد الله وأحب الشيطان » « أنا كافر يا ظمياء » ثم لا يتحرج أن يتبجح بقوله « ونحن بفضل الله ومشيئته ورعايته أنصار هذا الدين ، ولن يتلقى المسلمون مبادئه إلا عن أقلامنا » «والله يؤتى الحكمة من يشاء» ! « إن أبنائى تعجبوا من أن يسمح الأستاذ الزيات بنشر كلام يزعم كاتبه أنى أحارب القرآن ، وأحارب الدين » ؟

طيب ! زكى مبارك لا يحارب القرآن ولا يحارب الدين ، وماشاء الله كان ! ففيم قوله من كلمته الأخيرة « إن ذلك الناقد الحاقد لكتاب النثر الفنى وقف عند مسألة شائكة وهى المسألة الخاصة بآرائى فى إعجاز القرآن ، ولم يقف عند هذه المسألة إلا لأنه يعرف أن الظروف لا تسمح بأن أجازيه عدواناً بعدوان » إلى آخر سفهه الذى قال . فلم كانت مسألة إعجاز القرآن شائكة إن كان يقول فيها بما يقول المسلمون ونطق به القرآن ؟ ولماذا تمنع الظروف أن يجازينى عدواناً بعدوان إذا كان عدوانه هو إيراد الحجة التى تبطل عدوانى وما اتهمته به من إنكار إعجاز القرآن ؟ أيكون لكلامه هذا الممضوغ معنى إلا زعمه أن لديه حججاً تبطل إعجاز القرآن لا يمنعه من إيرادها إلا خوف الناس وبطش القانون ؟ إذن فقد أقر مرة أخرى بإنكاره إعجاز القرآن !

على أنى اتهمته بأكثر من إنكار إعجاز القرآن . اتهمته بأنه يرى القرآن كلام محمد لا كلام الله ، وأن الأديان كلها ،

لا الإسلام وحده ، بنت البيئة ومن وضع الأنبياء ، وأوردت على ذلك البراهين من كلامه . فهل يستطيع دحضاً لتلك البراهين ؟ إن كان يستطيع فلماذا لم يفعل ؟ وإن كانت تلك التهمة الخطيرة لا تطابق ما يعلم من نفسه ، وإن صادفت عبارات تشهد لها من كلامه ، فلماذا لم ينكر التهمة ؟ ولماذا لا ينكرها مجرد إنكار وإن لم يأت لعباراته تلك بتوجيه أو تأويل ؟ وإذا كان لا يستطيع هذا ولا ذاك فأينا الجاهل بالإسلام ، الكاذب على الله ، المخادع للناس ؟

الحق إنه يعلم من نفسه صدق ما وصفته به ، وصدق تحليلي نفسيته ، ويعلم أني وفيت بوعيدى الذى كنت أوعدته من كشفه للناس حتى لا يعود ينخدع به مسلم ، وأنه لن يجديه بعد اليوم أن يسوق للناس ما ليس من الإسلام باسم الإسلام تضليلاً لهم وإغواء كما كان يفعل من قبل . ومن هنا عدوله عن مقارعة الحجة إلى الشتم ، ومن هنا تظاهره بالمقدرة وهو يعلم من نفسه ما يعلمه الناس فيه من العجز . ثم من هنا محاولته إبهام من لم يتتبع أصل هذه الخصومة أنى أنا الناقد الحاقد تعرضت لنقد كتابه من حيث هو كتاب ، ثم وقفت منه عند مسألة واحدة شائكة هى مسألة إعجاز القرآن . وهو يعلم والذين تتبعوا هذه الخصومة يعلمون أنه كاذب ، لأن هذه الخصومة لم تثر إلا حول القرآن وإعجازه حين عجز زكى مبارك عن فهم أبسط كلة فى أبسط آية من سورة الفلق ، ولأن كتاب النثر الفنى لم يذكر حين ذكرناه أول مرة إلا كرجع يحوى الأدلة على إنكار صاحبه إعجاز القرآن ، وذهابه إلى أن القرآن من كلام البشر لا من كلام الله . وطاولناه وأمهلناه لينكر ما فى كتابه مما يتصل بذلك ، فأبى إلا التشبث به ، وفضل أن يذهب معه إلى جهنم الحامية مكان الملحدين الأحرار ، فلم يكن بد من أن نورد نحن من الأدلة ما يكفى لإثبات ما ادعيناه عليه وما أسندناه إليه ، من غير استقصاء للدليل . فإن كان الذى سقناه من الدليل لا يكفيه فإن لدينا غيره من النثر الفنى ومن غير النثر الفنى مما ألف ونشر . وإن اكتفى اكتفينا بما قلنا فى هذه الناحية ، ومضينا فيما كنا بدأنا من التدليل على فساد كتابه من حيث هو بحث . وإن عاد إلى الناحية الدينية بمثل بذاءة كلمته الأخيرة وافترائه ، عدنا إلى دمغه بالحجة من غير أن نلجأ إلى إيراد نص سبق ، فما أكثر غلطاته وسقطاته وشطحاته التى أتى حين كان يظن أنه فى أمن وعافية . وليذكر البيت المشهور الذى قيل فى العقرب والعودة إليها إن عادت . ومن أنذر فقد أعذر . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

محمد أحمد الغمراوى

القضايا الكبرى في الاسلام

قضية المغيرة بن شعبة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

-٦-

كان المغيرة بن شعبة من عظماء العرب في الجاهلية والإسلام، وقد اشتهر بالدهاء، حتى كان يقال له مغيرة الرأي، فلما أسلم قبل عمرة الحديبية لم يلبث أن ظهر شأنه في الإسلام، فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أموره، واستعمله أبو بكر في خلافته. وولى لعمر البحرين والبصرة والكوفة، وكان أول من وضع ديوان البصرة، وسُلِّم عليه بالإمرة

وقد اتهم بالزنا في هذه القضية الكبرى، وكان والياً على البصرة عند اتهامه بهذه الجريمة الشنيعة، فتطلع الناس إلى هذه القضية الكبرى وما يجري فيها، لأن القضاء قبل الإسلام كان قد فسد أمره في العالم، حتى صار حكمه يجري في الوضيع دون الشريف، ويتناول الضعيف دون القوي، كما فعل اليهود في حكم الزاني وقد أنزل رجمه في التوراة على موسى عليه السلام، فكان أول ما ترخصوا فيه أنهم كانوا إذا أخذوا الشريف تركوه، وإذا أخذوا الضعيف أقاموا عليه الحد؛ فكثر الزنا في أشرافهم حتى زنى ابن عم ملك لهم فلم يرجموه، ثم زنى رجل آخر من قومه فأراد الملك رجمه، فقام قومه دونه، وقالوا: والله لا ترجمه حتى ترجم فلاناً - لابن عم الملك - فرأى اليهود أن يضعوا شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع، فوضعوا الجلد والتحميم وحرفوا بذلك الحد الذي أنزل الله عليهم، وقد نزل في ذلك قوله تعالى في الآية - ٤٣ - من سورة المائدة (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين)

وما كان الإسلام ليعيب على اليهود تفريقهم في القضاء بين الشريف والوضيع، ثم يقع فيما وقعوا فيه، فلم يفعل مع المغيرة إلا أن أنزله من كرسي الإمارة إلى مجلس الاتهام، ليعلم الناس أنهم سواء في الإسلام، وأن شأن القضاء فيه أكبر من المغيرة ومن فوق المغيرة

وكان الذي اتهم المغيرة بالزنا أبا بكرة نفيع بن الحارث الثقفي مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان بينه وبين المغيرة منافرة لم يذكر المؤرخون سببها، ولعلها ترجع إلى أن المغيرة ولي البصرة بعد عتبة بن غزوان، وكان عتبة يقرب أبا بكرة لما بينهما من صلة النسب، فلما ولي المغيرة بعده لم يجد في ولايته ما كان يجده قبلها، وكان المغيرة وأبو بكر متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين في كل واحدة منهما كُوَّة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت الريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليسده فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته، وهو بين رجلي امرأة فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا. وهم زياد بن عبيد أخو أبي بكرة لأمه، ونافع بن كلدة، وشبل بن معبد البجلي، فقال أبو بكرة لهم: اشهدوا. قالوا: ومن هذه؟ قال: أم جميل بنت الأرقم من عامر بن صعصعة. وكانت تغشى المغيرة والأمراء، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها، لأن النهضة الإسلامية في ذلك العصر كانت تشمل الرجال والنساء جميعاً، فلما قامت أم جميل من تحت المغيرة عرفوها، واتفقوا على أن يشهدوا عليه عند عمر.

فلما خرج المغيرة إلى الصلاة منعه أبو بكرة، وكتب إلى عمر بما حصل منه، فعزله عن البصرة وبعث أبا موسى الأشعري أميراً عليها، وأمره بلزوم السنة، فقال له: أعني بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم في هذه الأمة كالملح. فقال عمر له خذ من أحببت، فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس مالك، وعمران بن حصين، وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة ومعه كتاب عمر بإمارته، فدفعه إلى المغيرة فقرأه، وكان أوجز كتاب وأبلغه

أما بعد - فإنه بلغني نبأ عظيم. فبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك، والعجل

فسلم المغيرة ما في يده إلى أبي موسى، وأهدى إليه وليدة تسمى عقيلة، ثم رحل إلى المدينة ومعه أبو بكرة والشهود، فقدموا على عمر، وحضروا مجلس القضاء بين يديه، فلما فتح

باب التحقيق معهم قال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد : كيف رأونى ؟ أمستقبلهم أم مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها ؟ فإن كانوا مستقبلىَّ فـكيف لم أستتر ؟ أو مستدبرىَّ فبأى شئ استحلوا النظر إلى فى منزلى على امرأتى ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها

فشهد أبو بكرة أنه رآه على أم جميل يدخله كالميل فى المكحلة ، وأنه رآهما مستدبرين ، وشهد شبل ونافع مثل شهادة أبى بكرة ، ولما جاءت شهادة زياد قال عمر : أرى رجلاً أرجو ألا يفضح الله به رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يفصح زياد شهادة الزنا وقال : رأيته جالساً بين رجلى امرأة ، ورأيت قدمين مخضوبتين تخفقان ، وإستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاً شديداً فقال له عمر : هل رأيت كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا . فقال له : هل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولـكن أشبهها

فلم يثبت الزنا بذلك على المغيرة ، لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود يشهدون به شهادة صريحة ، كشهادة أبى بكرة وشبل ونافع ، فانقلب بذلك الأمر على هؤلاء الثلاثة ، وعدت شهادتهم قذفاً بالزنا ، وقد أمر بهم عمر فجلدوا حد القذف ، ولما رآهم المغيرة قال لعمر : اشفنى من الأعبد . فقال له عمر : أسكت أسكت الله نامتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك

ولما كان الله تعالى يقول فى القاذفين « والذين يرمون المحصنات ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » جمع عمر الثلاثة فقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته . فأكذب شبل نفسه ، وأكذب نافع نفسه وأبى أبو بكرة أن يفعل لأن فعل عمر به بلغ منه ما بلغ وقد حقد على أخيه زياد مخالفته له في الشهادة ، فلم يكلمه بعدها

وقد يستغرب القارىء تلويح عمر لزياد بمخالفة الثلاثة فى الشهادة على المغيرة ، لأن مقام الحاكم يقتضى منه أن يساعد على كشف الجريمة لا على سترها ، حتى لا يفلت المجرمون من يد العدالة ، فيأمن الناس شرهم ، ويستقيم بذلك حالهم ، كما يستغرب مؤاخذة أولئك الشهود الثلاثة مع هذا بالقذف ، وإقامة حده عليهم ، وحملهم على تكذيب أنفسهم ، حتى تقبل بذلك شهادتهم فى المستقبل

ولـكنه إذا رجع إلى الأصل فى تشريع تلك الحدود وزال منه ذلك الاستغراب ، لأن الشارع فى تشديده فى تلك الحدود يقصد الإرهاب أكثر من التنفيذ ، ولهذا قيـد تنفيذها بقيود تجعلها لا تقع إلا فى النادر ، وإلا حين تتعين لحسم شر تفاقم أمره ، ولا يجدى غيرها فى علاجه ، كأن يشتهر شخص بانتهاك الحرمات ، فمثل هذا يجب على الإمام أخذه بتلك الحدود ، ولا يصح أن يعمل على إسقاطها عنه

وما كان لأبى بكرة أن يفعل مع المغيرة ما فعل ، فيتجسس عليه فى بيته ، ويطلع ضيوفه على أمور يجب فيها الصون ، بل كان يجب عليه أن يكف نظره عما شاهد ، ولا يحاول استقصاءه وتفصيله ، لأن المغيرة لم يشتهر بانتهاك الحرمات ، وقد كان من العقل والشرف بحيث يجل مقامه عن ذلك ، وكانت امرأته معه فى بيته ؛ فـكان عليه أن يحمل ما رآه عليها ، ويكف نظره سريعاً عن ذلك الأمر الذى لا يجوز له أن ينظر إليه

ولو صح أن المغيرة فعل ما شهد به أبو بكرة ، لـكان عليـه أن يستر ذلك عليه هـذه المرة ، ثم ينصحه فيما بينهما ، أو يخبر عمر فى السر بما رأى ، ولا يجتهد فى إقامة الحد عليه ذلك الاجتهاد الذى ينافى أصل تشريعه ، وقد قال النبى صلى الله عليـه وسلم : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب ، وقال أيضاً : اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله تعالى عنها ، فمن ألمَّ بها فليستتر بستر الله ، وليتب إلى الله ، فإنه من يبدى لنا صفحته نقيم عليه كتاب الله عز وجل . وقد روى عنـه صلى الله عليه وسلم وعن كثير من الصحابة أنهم كانوا يلقنون المقر ما يسقط الحد عنه ، وقد أخذ بهذا جمهور الفقهاء ؛ وذهبت المالـكية إلى أنه لا يلقن من اشتهر بانتهاك الحرمات

وقد قال ابن حزم فى كتابه مراتب الإجماع : والشهود الأربعة إذا شاهدوا الزنا كان أولى فى حقهم الستر بحـكم الأخوة ، ويكونون كأنهم لم يشاهدوا موافقة لمن لم يشاهد ؛ فإن الله تعالى ستر على عبده حيث لم يطلع على قبيح فعله جماعة أكثر من الأربع ، فلو اختاروا الستر ووافقو من لم يطلع كان هذا أحق ، وبالإخوة أليق ، لـكن لم يفترض الستر عند تمام الحجة ، إذ لو وجب ذلك لم يبق لشرع الحد قاعدة .

عبد المتعال الصعيدى

ذو الرمة صاحب مى (*)

للأستاذ محمود عزت عرفة

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
« ذو الرمة »

بين عامى ٧٧ و ١١٧ من الهجرة عاش ذو الرمة سنى حياته الأربعين، أكثر ما تراه على ظهر قلوصه يذرع الصحراء ويعتسف البيد ، وهو أشعث أغبر :

صريع تنائف ورفيق صرعى توفّوا قبل آجال الحمام
سروا حتى كأنهمو تساقوا على راحاتهم جرع المدام

وأقل ما تراه فى حمى الكوفة أو البصرة أو دمشق لا يلبث إلا ريثما ينشد مدحته ، ثم يعود ممتلئ الوطاب ، ليستأنف من سيره وسُراه على راحلته صَيْدَح ... تلك التى :

تصغى إذا شدها بالكور جانحة
حتى إذا ما استوى فى غرزها تثب

وهو فى كل ذلك ينشد قلبه الضائع ، وينتقل من ماء إلى ماء خلف أظعان محبوبته « مى » ملتمساً وجوه الحيل إلى لقائها ، والتزود من النظر إليها والاستمتاع بحديثها ، فى عفة واحتشام يضمانه فى صف جميل وكثيّر وقيس بن الملوح من عشاق العرب المستعففين

وذو الرمة هو أبو الحارث غيلان بن عقبة العدوى المضرى ، ويلتقى حديث تلقيبه بذى الرمة، فى قصص واحد ، مع حديث أول لقاء بينه وبين صاحبته « مى » ؛ إذ يروون فى ذلك أنه مر يوما بخباء قومها فاستسقاهم . فقالت لها أمها : قومى فاسقيه . . . فجاءته الفتاة بالماء ؛ وكانت على كتفه رمة — وهى قطعة من حبل — فقالت : اشرب يا ذا الرمة !

ويروون كذلك أن الحصين بن عبدة العدوى ـ كبير عشيرته ـ كان أول من لقبه بذلك حين سمعه ينشد شعره . فقال : أحسنت يا ذا الرمة ؛ وكان الشاعر منذ صغره يربط بهذه الرمة جلداً فيه تعويذة ويعلقها على عاتقه حتى كبر على ذلك وشب . على أن ابن قتيبة أورد فى كتابه « الشعر والشعراء » أنه سمى بذلك لقوله :

لم يبق منهــا أبدُ الأبيد غيرَ ثلاثٍ ماثلات سود
وغير موضوح القفا موتود فيـــه بقايا رُمةِ التقليد

أما صاحبته مى ـ بنت مقاتل المنقرى ـ فلا يكاد الرواة يختلفون فى حقيقتها ، بل إن هذه الهالة التى يطوقونها بها من الأدب الممتع لتترك فى نفس القارئ صورة جميلة لها لا تكاد تمحى

وأحاديث لقاء ذى الرمة بمى كثيرة مترددة فى كتب الأدب ، ولكن يبدو أنه بقدر جمالها وملاحتها كان قبح ذى الرمة وشناعة خَلْقه ، حتى لكان من قول أمه فيه : اسمعوا شعره ولا تنظروا إلى وجهه . . . وكان أسودَ اللون دميم الخلقة ينبزه جرير الشاعر بالأسود والعبد .

ومن الثابت أن مياً تزوجت من غير شاعرها ، وأنها افترقت عنه أضعاف أضعاف ما اتصلت به ؛ ولكننا لا نستطيع أن نتبين من هذا ـ ولا من غيره ـ حقيقة ما كان من شعورها نحوه ، ولا مبلغ ما تطوّرَ هذا الشعورُ فى فترات تعارفهما المختلفة . أما شعوره هو فواضح : حبٌ خالص ، عفيف متمكن ، إلا ما كان يشوبه من ذكر خرقاء — كمحبوبة له أخرى — وسنشير إلى حقيقة ذلك بعد قليل

وقد كان من صفة « مى » عند الراوين أنها جميلة ، مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف ، عليها وسم ملاحة وجمال . ويزيد هذه الصورة فى النفس تجسيما ما يسبغه ذو الرمة عليها من وصف ممتع فى ثنايا شعره . فهى كما يقول :

براقة الجيد واللبّاتِ واضحة كأنها ظبية أفضى بها لبَبُ
تزداد للعين إبهاجاً إذا سفرت وتحرجُ العينُ فيها حين تنتقب
لمياء فى شفتيها حُوّةٌ لَعَسٌ وفى اللثاتِ وفى أنيابها شنَب

وهى ناعمة الجمال إذا رآها ، رخيمة المنطق إذا سمعها . وأجمل ما فيها عيناها وابتسامتها :

لهـا بشرٌ مثـل الحرير ومنطق
رخيم الحواشى لا هُراء ولا نزْر
وعينان قال الله : كونا فكانتـا
فعولانِ بالألباب ما تفعل الخمـر

وتبسم لمح البرقِ عن متوضح
كلون الأقاحى شاف ألوانها القطرُ

(*) هذا المقال فصل من بحث واف عن حياة ذى الرمة ، نجتزىء به الآن لضيق المقام

ومية بعد مشرفةُ الجيد كالغزال ، مشرقةُ الوجه كالشمس ، ولكن أجمل ما فيها ـ دائماً ـ عيناها وابتسامتها :

لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت
ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الرئم فيهـا ملاحةٌ
هي السحر أو أدهى التباساً وأعلق
وتبسم عن نور الأقاحيّ أقفرت
بوعساء (معروفٍ) تُغام وتطلق

تلك مى الفتاة كما يصفها الشاعر فى ريق جمالها وميمة شبابها ، أما ميُّ المسنة العجوز ، بعد أن غالت شاعرها غول المنايا ، وقوض من صرح جمالها تواتر الأيام ؛ فهي التي يحدثنا عنها أسيد بن عمرو حين يقص فيقول :

مررت على مى وقد أسنت ، فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت : ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله :

أما أنت عن ذكراك مية تقصر
ولا أنت ناسى العهد منها فتذكر ؟

فضحكت وقالت : رأيتنى يا ابن أخى ، وقد وليت وذهبت محاسنى ، ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فى وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرة فى عين المقرور : ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره . ثم صاحت : يا أسماء ، اخرجى . فخرجت جارية ما رأيت مثلها . فقالت : أما لمن شبب بهذه وهويها عذر ؟ فقلت : بلى ! فقالت : والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ، ولو رأيتنى يومئذ لازدريت هذه ازدراءك إياى اليوم . انصرف راشداً . هذه مى فى أيام ذى الرمة وبعده ، فمن هى خرقاء ؟ لقد شبب الشاعر بها وردد اسمها فى شعره غير مرة ، وقدم إلينا من صفاتها الجميلة صورة معجبة . ولكن الروايات بعد كل هـذا تصطدم فى حقيقة شخصيتها بين إنكار وإثبات ، فمنذ بمضهم أنها هى ميّ بذاتها ، لقبها الشاعر خرقاء فى مواضع من كلامه . ويروى آخرون حديث خروجه إلى بعض البوادى والتقائه بخرقاء من آل البكّاء من عامر بن صعصعة ـ وما كان من تخريقه أدواته توصلاً إلى مكالمتها بالتماس إصلاحها ؛ ثم ما كان من اعتذارها عن نفسها بأنها خرقاء لا تحسن عملاً وتلقيبه إياها بذلك وثمة أقصوصة أخرى يروونها عن سبب تشبيبه بخرقاء متمِّمين بها « الرواية الكبرى » عن حبه لمى ؛ تلك هى أن ذا الرمة ضاف زوج مى فى ليلة ظلماء ، فلما عرفه وخلاّه بالعراء أنشد فى جوف الليل :

أراجعةٌ يا مي أيامنـا الألى
بذى الأثل ؟ أم لا ، مالهن رجوع

فألزم الزوج المحنق زوجته أن تصيح بالشاعر : (يا كذا) وأى أيام كانت لى معك بذى الأثل ؟

فركب غيلان راحلته وانصرف غاضباً ، حتى مر بخرقاء ، فوقعت فى عينه ، فقال فيها يسيراً من شعره يريد بذلك أن يغيظ ميًّا ، ثم ما لبث بعد قليل أن مات

ويقيم لدينا الدليل الملموس على حقيقة وجود خرقاء وانفصال شخصيتها عن شخصية مى ـ فضلاً عن الروايتين السابقتين ـ ما يقوله ذو الرمة فى مطلع قصيدة يمدح بها عبد الله بن معمر التيمى :

أخرقاء للبين استقلت حمولها ؟ نعم غربة ، فالعين يجرى مسيلها
كأن لم يرعك الدهر بالبين قبلهـا
لمىّ ولم تشهد فراقاً يزيلها

فها نحن أمام محبوبتين لذى الرمة يروعه الدهر بفراق واحدتهما بعد الأخرى ، ويؤيد هذه الحقيقة أيضاً قوله من قصيدة أخرى :

وأروع مهيام السرى كل ليلة بذكر الغوانى فى الفناء المواصل
جملت له من ذكر ميٍّ تعلةً
وخرقاء فوق الواسجات الهواطل

ونحن نختم كلمتنا هذه بقولنا إن الغزل وما يتصل به هو الناحية البارزة من شعر ذى الرمة ، على أن فى مدائحه وأهاجيه وفى قيمة شعره الأدبية واللغوية ما يستحق التسجيل . وحسبى الإيماء هنا إلى بائيته : ما بال عينك منها الماء ينسكب ... فإنى وجدت أكثر أبياتها ـ بل كلها ـ مستشهداً به فى مختلف المصادر العربية القديمة على دقائق لغوية ونحوية وبلاغية وبيانية لا يحيط بها العد

فهذه ناحية أخرى من نواحى دراسة ذى الرمة قد نعود إلى بسط القول فيما وقفنا عليه منها ، إن أسعدنا الوقت وانفسح لنا المجال .

(جرجا) محمود عزت عرفة

السراب ...!

[الجزء الأول من ملحمة السراب]

للدكتور ابراهيم ناجي

السرابُ الخؤونُ والصحراءُ والحيارى المُشرَّدُونَ الظماءُ
وليالٍ في إِرْهنَّ ليالٍ سَنَةٌ أقفرتْ وأخرى خلاءُ
قلَّ زادي بها ، وشحَّ الماءُ وتولّى الرفاقُ ، والخلصاءُ
كيف للنازح الغريب ارتحالي وجناحايَ السقمُ والبُرَحاءُ
وجراحي المُستنزفات الدوامي وخطاي المقيَّداتُ البطاءُ !

أدركي زورقي فقد عبث اليمُّ (م) به ، والعواصفُ الهوجاءُ !
فغرَ الليلُ فاهُ وانبسط البحـ رُ وجُنَّت أمواجه السوداءُ
والعباب العريض ، والأفق المو حش ، واللانهايةُ الخرساءُ !
أبدٌ لا يُحدُّ للعين قد ضا ق ، فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباح وعين النـ جم كلّت وما بها إغفاءُ !
عجبي من ترقُّبي ، ما الذي أر جو ولمّا يَعُد لقلبي رجاءُ !
وأنا مرهف المسامع فيه ! لي إلى كل طارق إصغاءُ ...

التقينا كما التقى بعد تطوا ف على القفر في السُّرى أنضاءُ
قطعوا شوطهم على الدم والشو ك ، وراحوا على اللهيب وجاءوا
في ذراعيكِ أو ذراعيَّ أمنٌ وسلام ... ورحمة ... ونجاءُ
وعلى صدركِ المذب أو صد ريَ حصن وعصمة واحتماءُ
كم أناديكِ في التنائي فترتدُّ (م) بلا مغنم ليَ الأصداءُ
وأناديكِ في دمائي فتنسا بُ على حسرة لديَّ الدماءُ
وأناديكِ في التداني وما أط مع إلا أن يُستجابَ النداءُ
اسمُكِ العذب أروع الأسـ ماء مهما تعدَّدتْ أسماءُ
لفظة لا تبينُ تنطلقُ الأفـ دار عن قوسها ويرمي القضاءُ
وهي بين الشفاه نايٌ وتغريـ د وطير وروضة غنّاءُ
وهي في الطرس قصة تُذكر الأحـ
باب فيها وتُحشَدُ الأنباءُ
صُدفةٌ ثم وقفة فاتفاقٌ فاشتياقٌ فوعدٌ فلقاءُ !
فقليلٌ من السعادة لا يكـ ملُ فيه ولا يطولُ الهناءُ
فافتراقٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ فجحيمٌ وَقُودُه الشهداءُ

من أدب الشاطئ

موجة ...!

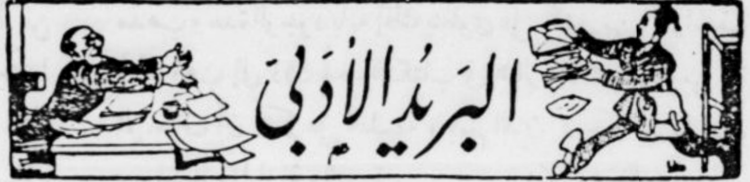
[مهداة إلى موجة بشرية متجبرة
لعل الله يبصرها بمواطن الحق والعدل]

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

موجة أزبدت وأرغت فقلنا كادت الأرض تحتنا تتبعثرْ
وعلت كالجبال وَهْيَ رواس وبدت مثل مارد لا يقهرْ
تقذف الرعب في القلوب وتُلْقِي
كلَّ هولٍ والبحر بالناس يزخرْ
تتعالى تجبُّراً كقويٍّ يتعالى على الضعيف الأصغر
أدركتها الحظوظ سعداً فراحت
تهزأ اليومَ بالأنام وتسخرْ
أيها الزاخر العنيف تمهل ! كلُّ حال لضدها تتغير ...

ومضت لحظة علينا فكانت مثل عمر الندى السريع وأقصر
فإذا الموجةُ القوية أضحت تتلاشى على الرمال وتُنثرْ
وإذا مَتْنُها الشديد الأواذي يتهادى في الرمل أو يتكسر
والهدير الذي على صفحتيها صار في الشط ساكناً لا يهدرْ
والعتوُّ الذي تمثل فيها صار ذكرى للمرء لو يتذكرْ

أيها الزاخر العنيف ترفَّقْ أيها الظالم القوي تدبرْ
كل شيء في الكون يجري عليه
أجلٌ حائنٌ وحكم مُقدَّرْ
إيه يا موجة التجبر رفقاً من يكن للفناء لا يتجبَّرْ
كان في البحر قبل خلقك موج
عدد الرمل والحصا أو أكثر ...
لا تقولي : أنا . ففي الكون خلق
أنتِ أدنى منه مكاناً وأحقر ...
رُبَّ مستكبر على الأرض يمشي
فوقه في السماء من هو أكبر



وحدة الوجود

حضرة الفاضل الأستاذ صاحب مجلة « الرسالة »

أستاذنكم والأستاذ دربني خشبة قول كلمة وضيعة فى نقد « رسائل التعليقات للرصافى » للأستاذ ددبنى خشبة فى العددين الأخيرين من المجلة

كان موضوع النقد « وحدة الوجود » ، وليس فى المقالين تعريف «لوحدة الوجود» ولا اقتباس هذا التعريف عن كتاب الرصافى (إن كان الرصافى قد عرّفها)

فعبارة « وحدة الوجود » من غير تعريف مبهمة ولا أعلم كم قارىء من قراء الرسالة فهموا المراد منها . وفيما كنت أقرأ المقال الثالث للأستاذ دربنى خشبة كنت أؤمل أن أفهم المراد منها فيما سرده من نظريات فلاسفة اليونان من طاليس إلى أرسطو إلى أفلاطون إلى غيرهم ؛ فإذا بوحدة الوجود ازدادت غموضاً بل غابت وراء سحب تلك الفلسفات السفسافية التى يعجز القارىء عن أن يحصل منها معنى معقولاً . وهو معلوم الآن أن نظريات الفلاسفة القدماء فى الوجود لا تذكر إلا فى تاريخ الفلسفة لكى يعلم المتأخرون ماذا كان تفكير المتقدمين فيها . لأن تلك النظريات سلاسل سخافات كنشوء الكون من (الرطوبة) ؟ أو من العدد أو من البخار إلى غير ذلك مما لا تهضمه العقول السليمة

واختلاف الفلاسفة القدماء فى شأن الوجود دليل قاطع على أنهم تخبطوا فيه على غير هدى . ولو أصابوا كبد الحقيقة لالتقوا كلهم فى مركز الحقيقة وهو واحد ، كما أن العلماء العصريين كلما اهتدوا إلى حقيقة علمية التقوا كلهم عندها من غير خلاف كالتقائهم جميعاً عند الجوهر الفرد Atom فى الكيمياء وعند كروية الأرض فى الجغرافيا وعند (تمركز) الشمس فى وسط أفلاك السيارات فى الفلك ، وعند جميع القوانين الطبيعية المحققة

فإذا كان المراد بوحدة الوجود أن الكون كله من ذرات وأجسام وأجرام نشأ من هيولى واحدة ، فهو ما أثبته العلم الحديث ولا يد للفلاسفة القدماء فيه . فقد ثبت للعلم العملى الاختبارى التجريبى أن جميع الأجسام والأجرام الأرضية والسماوية مؤلفة من عناصر كيمية مماثلة ، وأن العناصر مؤلفة من كهارب (ذريرات مماثلة . وإنما تختلف العناصر بعضها عن بعض بعدد ذريراتها وترتيبها وحركاتها فيها . فالهيولى «أصل المادة» هى الذريرات المماثلة التى تتألف منها جميع أجزاء الوجود

بهذا المعنى وبه فقط ، يعتبر الوجود « وحدة » أى أنه مؤلف من هيولى واحدة لا ثانى لها

ولم ترد وحدة الوجود فى فلسفات الفلاسفة المتأخرين إلا نادراً حتى تقابل مع (ثنائية الوجود) Dualism ، والمراد من هذه أن للوجود ضلعين : مادة هيولانية وعقلاً متفاعلين . ولهم فى (الثنائية) أبحاث عويصة جداً

وعند أهل العلم ، العقل هو كالحياة أحد منتجات تفاعل المادة ؛ فهو والحياة والاجتماع وأدب النفس ، كل هذه ظاهرات للمادة ـ الهيولى أصل كل شيء

وما وراء الطبيعة الذى زعمه الفلاسفة وتفلسفوا به كالحرية والجبرية والقدرية والعلة والمعلول الخ ما هو إلا نتاج عقلى ، والعقل كما قلنا نتاج المادة . فإذن ليس وراء الطبيعة شيء . وما نزعمه « وراء الطبيعة » ونتفلسف به إنما هو ضمن نطاق الطبيعة — طبيعة المادة — الهيولى

الهيولى أصل كل شيء ، ومنها وحدانية الوجود

وأما مسألة نسبة الله إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الله ، فمسألة فقهية لاهوتية لا أتعرض لها بتاتاً .

نقولا الحداد

حول مذهب وحدة الوجود

ليس أيسر على الناس من أن يَقْرِفوا الفلاسفة والمفكرين بالكفر والإلحاد ، فإن من دأب العامة أن تتمرد على كل ضرب من ضروب الامتياز ؛ وهؤلاء قد تفردوا بالامتياز العقلى ، فلا بد أن يكونوا موضعاً لاتهام العامة . ويظهر أن الناس أسخياء فى

منح لقب « الإلحاد » سخاء ما بعده سخاء ، فإن واحداً من المفكرين لم ينج من هذا اللقب الذى لا يكلف الناس كثيراً ! وقد كان أصحاب القول بوحدة الوجود — من بين سائر المفكرين — أكثرهم تعرضاً لهذا الاتهام ، فحكم على الفيلسوف الإيطالى جيوردانو برونو Giordano Bruno بالحرق ، وحكم على الفيلسوف اليهودى أسبينوزا B. Spinoza بالطرد من الكنيسة اليهودية ، وكُفر غيرهما ممن قال بوحدة الوجود كابن عربى فى الإسلام ، وسكوت إريجين Scot Erigène فى المسيحية . ولكن على الرغم من هذا الطعن الشديد الذى لقيه مذهب وحدة الوجود ، فقد استمر الفلاسفة والمفكرون ينظرون إلى وحدة الوجود على أنها أعلى صورة من صور (الواحدية) monisme وذهب نفر منهم إلى حد أبعد . فأعلن (أن وحدة الوجود هى النظرية الكونية الوحيدة التى لا بد أن يأخذ بها العالم المحدث »[1]

بيد أن ثمة فريقاً آخر من الفلاسفة قد نظر إلى « وحدة الوجود » ، على أنها تتضمن إنكاراً لوجود الله ، فذهب شوبنهور — مثلاً — إلى أن « مذهب وحدة الوجود ليس إلا صورة مهذبة لمذهب الإلحاد ، لأن حقيقة مذهب وحدة الوجود تنحصر فى أنه يهدم التعارض الثنائى الموجود بين الله والكون ، وأنه يقرر أن الكون موجود بفضل قواه الباطنة الخاصة به . فالمبدأ الذى يقول به أصحاب وحدة الوجود من أن الله والكون شىء واحد ، إنما هو وسيلة مهذبة للاستغناء عن الله ، أو تعطيل عمله » . وعلى الرغم من هذا النقد ، فإن مذهب وحدة الوجود يعتبر من أمتن المذاهب الفلسفية توحيداً وتنزيهاً . وليس من الصحيح ما يقوله شوبنهور من أن هذا المذهب يتضمن إنكاراً لوجود الله athéisme ، بل الصحيح أنه يتضمن إنكاراً لوجود العالم acosmisme . وحسبنا أن نرجع إلى كتاب « فصوص الحكم » لابن عربى ، حتى نتحقق من صحة هذا الحكم ، فإن هذا المفكر الإسلامى قد انتهى إلى القول بأن (العالم متوهم ما له وجود حقيقى) ، لأنه ليس ثمة غير حقيقة واحدة لا تتكثر ولا تتغير ، وهذه الحقيقة الواحدة هى الله أو (الحق) ؛ وهو قد أظهرنا فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، على أن الله هو عين الوجود (فما ثَمّ إلا الله الواجب الوجود ، الواحد بذاته . . . منه وإليه يرجع الأمر كله) ، فمن التعسف إذن أن نصف مذهب وحدة الوجود بأنه إفك ينطوى على كثير من الأراجيف (كما ذهب إلى ذلك أحد الكتاب فى « الرسالة ») ، ومن قلة الإنصاف أن نحكم على الفلسفة ، باسم الدين ، حكماً هذا قدره من الخطأ والمجازفة والتعسف

زكريا إبراهيم
ليسانسيه فى الآداب والفلسفة
بدرجة الشرف الأولى

[1] إرنست هيكل : « لغز الكون » ، الفصل الخامس عشر عن « الله والعالم »

إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فإنى يسرنى أن أرسل إليكم وقد فرغتم من نقد كتاب النثر الفنى فى تعرضه للقرآن الكريم ، أجل عبارات الشكر على ما كتبتم ؛ فإنه والله قد شفى غيظ قلوب المؤمنين ، وقمع شياطين الضلال والإلحاد بعد أن كثرت هذه الأيام فى كل واد

وقد قمتم بهذا الواجب الدينى عنا جميعاً ، فلكم من الله الجزاء الحسن والثواب الأوفى ؛ وقد كان من بركات ما كتبتم أن حيل بين مؤلف الكتاب وبين مجلتنا المحبوبة « الرسالة » التى نقدرها وصاحبها الفضال

وسلامى وتحياتى وإجلالى لكم وللأستاذ الزيات الجليل

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

حول قصيدة

جاء فى قصيدة الأديب إبراهيم محمد نجا « أغنية روح » المنشورة بالعدد الماضى من الرسالة هذان البيتان :

وإذا الدنيا كما كنت أراها ... فى رؤى الحب وأحلام الكرى
فكأن الفن بالحسن كساها ... أو براها الله خلقاً آخرا

ويلاحظ القارىء أن فى الشطر الثانى من البيت الثانى خطأ عروضى : يسمى سناد التأسيس . وقد أشار إلى مثله الأستاذ محمد محمود رضوان فى قصيدة الأستاذ الخفيف . فإلى متى يقع الشعراء فى مثل هذا الخطأ

محمد عبد الفتاح إبراهيم

شجر المشمش وميعاد إزهاره

جاء فى العدد ٥٦٩ من الرسالة الغراء شرحاً لكلمة (المشمش) الواردة فى قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل بأنه أسبق الأشجار إزهاراً وإيراقاً . والذى أعرفه أن أول الأشجار إيراقاً وإزهاراً هو شجر اللوز ، ثم الجارنيك ، ومن ثم المشمش . ترى هل يختلف زمن الإزهار والإيراق فى مصر عن الشام ؟

(حماه) محمد كيلانى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)